حاشية العلامة الصاوي

على

تفسير الجلالين

جلال الدين المحلّي (ت: ٨٦٤هـ) — جلال الدين السُّيُوطي (ت: ٩١١هـ)

تأليف
العالم العلّامة العارف بالله تعالى
الشيخ أحمد بن محمد الصاوي الخلوتي
(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

حُقِّقت على نسخ خطية نفيسة
ومطبوعة قديمة سليمة من التحريف والتبديل

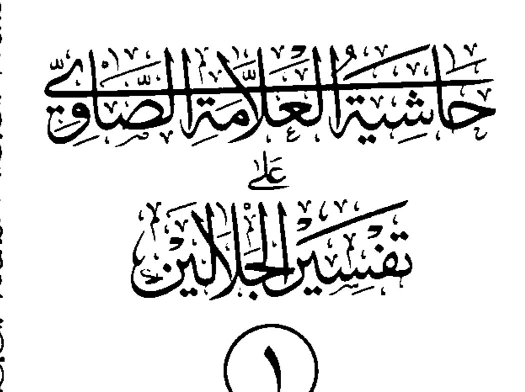
شرُف بخدمتها
مرعي حسن الرشيد

راجعها وقدّم لها
الدكتور عبد القادر الحسين

الجزء الأول

سورة الفاتحة - سورة آل عمران

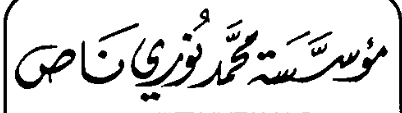
دار تحقيق الكتاب
للطباعة والنشر والتوزيع


حاشية العلامة الصاوي
على
تفسير الجلالين
١



Title: Ḥāshiyat al-Ṣāwī ʻalá Tafsīr al-Jalālayn
Autor: Aḥmad Ṣāwī, Ğalāl-ad-Dīn Maḥallī, Ğalāl-ad-Dīn Suyūṭī,
Editor: Marʻī al-Rashīd
Publisher: Dar Tahkik Al Kitab
Pages: 644 (vol.1)
Year: 2024
Printed in: Lebanon
Edition: 1

الكتاب: حاشية الصَّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي.
تحقيق: مرعي الرشيد
الناشر: دار تحقيق الكتاب
عدد الصفحات: 644 (المجلد الأول)
سنة الطباعة: 2024
بلد الطباعة: لبنان
الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)



DAR TAHKIK AL KITAB

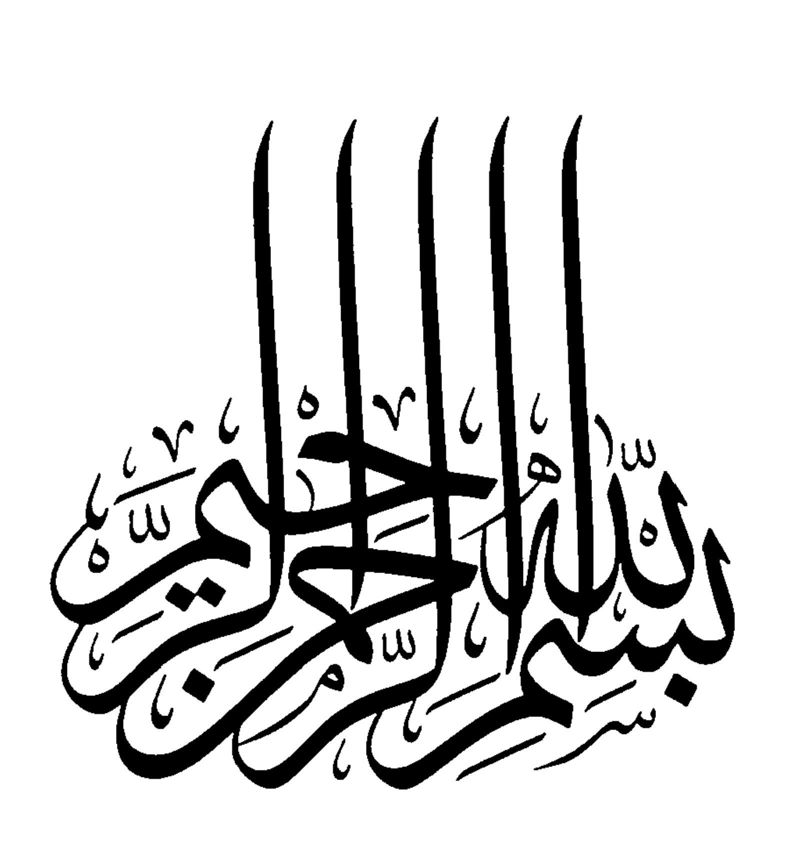


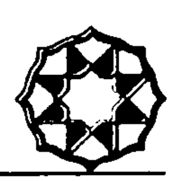
Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi
No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey : +9 (0212)5190979
Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN : +9 (0482)4622775
www. tahkikalkitab.com : info@tahkikalkitab.com



ISBN 978-9933-638-15-3

Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık
Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır
دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم الدكتور عبد القادر الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله العليم، مُنزِّلِ القرآن الحكيم، هدًى ونُوراً لكلِّ ذي لُبٍّ سليمٍ، والصلاةُ والسلام على سيدنا وحبيبِنا وقُرَّة أعيُنِنا محمَّد الرؤوفِ بِنا الرحيم.

اللهمَّ؛ ارضَ عن العُلماء العامِلِين الذين يَنفُون عن هذا الدين تأويلَ الجاهلين، وتحريفَ الغالِين، وانتِحالَ المُبطِلِين.

أمَّا بعد:

فإنَّ خير ما قُضِيَت فيه الأعمار، واستُهلِك فيه الليل والنهار، فَهْمُ كتابِ الملك القهَّار، المهيمِن على ما تَقدَّمه من الأسفار، وإنَّ تفسيره وتَحرِّيَ فهمِه بتنزيله على مُراد مُنزِّله تعالى وتَقدَّس بِحسَب الطَّاقة البشرية هو صَنعةُ الرَّاسخين مِن أهل العِلم الأحبار، وقد كثُرَت كُتب التفسير وتعدَّدت اهتِماماتُها على حسَب اختصاص مُحرِّرِيها؛ فهي ما بين مُسهَبٍ مُتوسِّع، ومُقتَصدٍ وصَل به الإيجازُ إلى ما يَقتَرِب من الإلغاز؛ اعتماداً على نَباهة الدارِسِين العارفين بأسرار الإعجاز.

وإنَّ من أوجَزِ هذه الكُتب ممَّا كتب الله تعالى لَه القَبولَ والشيوع في الأرض ذاتِ الطُّول والعرض: «تفسيرَ الجلالَين» المَحلِّي والسُّيوطي ﷺ، ولكنَّه لِوَجازته واختصاره مع سُهولة عبارته.. أوهمَ دارِسِيه أنَّهم قد أحاطُوا بِمَقاصده ومَرامِيه؛ فاشتدَّت الحاجةُ إلى تَطريزه بالحواشي التي تَكشِفُ أسرارَه، وتُقيِّدُ مُطلقَه، وتُوضِّحُ مُجمَلَه؛ لأجل ذلك كثُرَت حَواشيه.

ومِن أفضَلِها وأجملِها: «**حاشيةُ الإمام الصاوي**»، وهو مِن عُلماء الأزهر الشريف العِظام، وسادةِ صالحِيه الكِرام؛ ففيه الإيضاحُ مع الدِّقة، والسهولةُ مع اللُّطف، إضافةً إلى كثرةِ القَواعد والفوائد.

وقد تَعرَّض الكتابُ المطبوع سابقاً لِخِيانة بعض الناشرِين؛ بالاعتداءِ على الكتاب، وحَذفِ ما لا يَرُوق لأهل الهوى؛ لِذلك وجَب إعادةُ تحقيقه وتدقيقِه، وقد انبَرى لهذه المُهِمَّة الجَسيمة أخونا الفاضل الشيخُ المحقِّقُ الأديب الأرِيب الدكتور مُرعي حسن الرشيد، فجزاه الله تعالى خيرَ الجزاء.

وقد نَدَبني بحسن ظَنِّه لِأُراجعه، فقُمتُ بذلك تَلبيةً لِطَلبه، ورجاءَ الاستفادة مِن عِلمه وأدَبِه، فأسألُ الله تعالى النَّفعَ بالكتاب لَنا وله ولِكل قارئ وطالِب لِلحَق، وآخِرُ دَعوانا أنِ الحمد لله رَبِّ العالمين.

حرَّرَته أناملُ العبد الفقير ذِي العجز والتَّقصير

عبد القادر بن محمد بن الحسين الشامي الفراتي

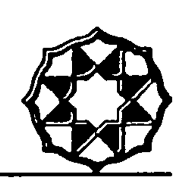
في مدينةِ يالوفا من البِلاد التركية

ظهيرةَ الثلاثاء ٢٤ جُمادى الآخرة

سنةَ (١٤٤٤هجري)

الموافِق ١٧ كانون الثاني ٢٠٢٣م

✿ ✿ ✿



بين يدَي الكتاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي نشَر لِلعلم أعلاماً، وثبَّت لهم على الصراطِ المُستقيم أقداماً، وجعَل مَقامَ العلم أعلى مَقام، وفضَّل العُلماء بإقامة الحُجَج الدِّينية ومعرفةِ الأحكام، وأودعَ العارفين لَطائفَ سِرِّه، فهُم أهلُ المُحاضرة والإلهام، ووفَّق العالِمين لِخدمتِه فهجرُوا لذيذ المَنام، وأذاق المحبِّين لَذَّةَ قُربه وأُنسِه فشغَلهم عن جميعِ الأنام.

أحمَدُه سُبحانه وتعالى على جَزيلِ الإنعام، وأشهَدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له المَلِك العلَّام، وأشهَدُ أنَّ سيدَنا ونَبيَّنا محمداً ﷺ عبدُه ورَسوله وصفيُّه وخَليلُه إمامُ كلِّ إمام، وعلى آلِه وأصحابه وأزواجه وذُرِّيَّتِه الطيبِين الطاهرين، صلاةً وسلاماً دائمَين مُتلازِمَين إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فقد مَنَّ الله جلَّ شأنه علينا بِكتاب مُبين ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦]، وجعَل له منه مُعجزةً باهرة، شاهِدةً على صِدق دعوة نَبيِّه الأكرم ﷺ، مُؤيِّدةً لحقيَّة رسالته، فكان القرآنُ هو الهداية والحُجَّة، هدايةَ الخلق وحُجَّةَ الرسول.

ولم يَكد هذا القرآن الكريم يَقرَعُ آذان القوم حتى وصَل إلى قُلوبهم، وتملَّك عليهم حِسَّهم ومَشاعِرَهم، ولم يُعرِض عنه إلا نفَرٌ قليلٌ؛ إذ كانت على القُلوب منهم أقفالها، ثم لم يَلبَث أن دخَل الناس في دين الله أفواجاً، ورفَع الإسلام رايتَه خَفَّاقة فوق رُبُوع الكفر، وأقام المسلِمُون صرحَ الحق مُشيَّداً على أنقاض الباطل.

أيقَن المسلمون أنَّه لا شرفَ إلا والقرآنُ سبيل إليه، ولا خيرَ إلا وفي آياته دليل عليه، فراحوا يُثوِّرُون القرآن؛ لِيَقفوا على ما فيه من مواعظَ وعِبَر، وأخذوا يَتدبرون في آياته؛ لِيَأخذوا من مضامِينها ما فيه سعادةُ الدنيا وخير والآخرة.

وكان القوم عرَباً خُلَّصاً، يَفهمون القرآن، ويُدركون معانِيَهُ ومراميَهُ بمقتضى سَلِيقتهم العربيَّة، فهماً لا تُعكِّرُه عُجمة، ولا يَشُوبه تكدير، ولا يُشَوِّهه شيء من قُبحِ الابتداع، وتَحَكُّمِ العقيدة الزائفة الفاسِدة.

وكان لِلقوم وقَفات أمامَ بعض النُّصوص القرآنية التي دقَّت مَراميها، وخَفِيَت معانيها، ولكن لم تَطُل بهم هذه الوقَفات؛ إذ كانوا يَرجعون في مثلِ ذلك إلى رسول الله ﷺ، فيَكشف لهم ما دقَّ عن أفهامِهم، ويُجَلِّي لهم ما خفيَ عن إدراكهم، وهو الذي عليه البيانُ كما أن عليه البَلاغ، والله تعالى يَقول له وعنه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

فكانت المنابع الأُولى لهذا العلم على لسانِ هذا النبي الكريم، والسيدِ السَّنَد الرحيم، عليه أفضَلُ الصلاة وأتَمُّ التسليم، ثم تَوالَت الألسُنُ والأقلام، فشَمِلت الآلافَ من العلماء الذين برَعوا في عُلوم حدَثت في المِلَّة، ولم يكن للعرب بها عهدٌ من قبلُ، فحاولُوا أن يَصِلُوا بينها وبين القرآن، وأن يَربطوا بين ما عندهم من قواعدَ ونظريات وبين ما في القرآن من أصولٍ وأحكام وعقائدَ، وتمَّ لهم ذلك، فخرجُوا على الناس بِتَفاسير كثيرة، لكلٍّ منهم فيها مَنهج وطريقة في الشرح ووَسيلةٌ في البيان.

إلى أن حَطَّت رحلةُ هذا التصنيف عند الإمامَين الجلالين: المحلِّي والسيوطي، فصنَّفا لِلأُمة كتاباً في لُب لباب التفسير، ابتدأ فيه الجلال المحلِّي من أول (سورة الكهف) إلى آخِر (سورة الناس)، ثمَّ ابتدأ بتفسير (الفاتحة)، وبعد أن أتمَّها اخترمَته المنية، فلم يُفسِّر ما بعدها، وجاء بعدَه الجلالُ السيوطي، فكمَّل تفسيره، فابتَدأ بتفسير (سورة البقرة)، وانتَهى عند آخِر (سورة الإسراء)، ووضع تفسير (الفاتحة) في آخرِ تفسير الجلال المحلي؛ لِتَكون مُلحَقةً به.

وقد نهَج الجلالُ السيوطي في تفسيره منهجَ المَحلي؛ مِن ذكر ما يُفهَم من كلام الله تعالى، والاعتمادِ على أرجح الأقوال، وإعرابِ ما يحتاج إليه، والتنبيهِ على القراءات المختَلِفة المشهُورة، على وجه لطيف، وتعبيرٍ وجيز، وتركِ التطويل بذكر أقوال غير مَرضيَّة، وأعاريبَ مَحلُّها كُتب العربية.

ولا شكَّ أنَّ الذي يَقرأ «تفسير الجلالين» لا يكاد يَلمس فرقاً واضحاً بين طريقة الشيخَين فيما فسَّراه، ولا يكاد يُحِسُّ بِمخالفةٍ بينهما في ناحيةٍ من نواحِي التفسير المختَلِفة.

ثُمَّ إنَّ هذا التفسير غايةٌ في الاختِصار والإيجاز، ومع هذا الاختصار فهو قَيِّمٌ في بابِه، وهو مِن أعظم التفاسير انتشاراً، وأكثَرِها تداولاً ونفعاً؛ لِذلك أكبَّ العلماء عليه يَتلقَّونه بالأسانيد المتصلة، وتَناقلته أيدِي الطلَبة في جميع الأصقاع، وانتشرت نُسَخُه بين العلماء، وتوالَت عليه الشروح والتعليقات، والحواشي المُوضحات، ومِن هذه الحواشي:

- حاشية العَلقمي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٦٩هـ)، أحدِ تلاميذ الجلال السيوطي.
- حاشية الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد (ت٩٧٧هـ).
- حاشية الكرخي، بدر الدين محمد بن محمد (ت١٠٠٧هـ).
- حاشية القاري، المُلا علي بن محمد (ت١٠١٠هـ).
- حاشية الشنواني، أبي بكر بن إسماعيل (ت١٠١٩هـ).
- حاشية الفاسي، عبد الرحمن بن محمد (ت١٠٣٦هـ).
- حاشية العقيبي، عفيف الدين علي بن محمد الأنصاري الشافعي (ت١١٠١هـ).
- حاشية اليازجي، إسماعيل بن عبد الباقي (ت١١٢١هـ).
- حاشية الأجهوري، عطيَّة الله بن عطية البرهاني الشافعي (ت١١٩٠هـ).
- حاشية الدوماني، مصطفى الصالحي الحنبلي، المتوفَّى أواخرَ القرن الثاني عشر.
- حاشية الجمل، سليمان بن عمر الشافعي (ت١٢٠٤هـ).
- حاشية التطواني، عبد الرحمن بن محمد (ت١٢٣٧هـ).
- حاشية الصاوي، أحمد بن محمد الخلوتي المالكي (ت١٢٤١هـ)، وهي الحاشية التي نَشرُف بخدمتها.
- حاشية الحفناوي، محمد بن صالح السباعي (ت١٢٦٨هـ).

وغيرها من الحواشي التي اعتَنَت بهذا التفسير، واتصل سندُ أصحابها بسنَدِ المؤلفَين الجلالين؛ كما سيَظهر لنا في مُقدمة العلامة الصاوي عند ذكر سنَده للجلالين.

ولَما كان اختيارُ الجلالين لِتفسير بعض الآيات مُغايراً للراجح من الأقوال، ولا سيَّما حين اعتمدَا الأخبارَ الإسرائيلية التي تُفسِدُ المعانيَ والمقاصد، وتوجه المعاني إلى تشويهِ العقائد، ومَقام الأنبياء عليهم السلام كان لزاماً علينا أن نضعَ بين يدَي القارئ الكريم بعضاً مِن هذه الأخبار، ونُبيِّن كيفيَّة تعامل الصاوِي صاحب الحاشية معها ردًّا وتَفصيلاً.



الإسرائيليَّات في كتاب «الجلالَين» وتَعامُل الإمام الصاوي معها

المرادُ بالإسرائيليات: ما يَعُمُّ اللون اليهوديَّ واللون النصرانيَّ للتفسير، وما تأثَّر به التفسيرُ من الثقافتين اليهودية والنَّصرانية.

وإنما أُطلق على جميع ذلك لفظُ (الإسرائيليات) من باب: التغليبِ للجانب اليهودي على الجانب النَّصراني؛ فإن الجانب اليهوديَّ هو الذي اشتهر أمرُه، فكثُر النقل عنه؛ وذلك لِكثرة أهله، وظُهور أمرهم، وشِدَّة اختلاطهم بالمسلِمين من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رِواقه على كثير من بلاد العالَم ودخل الناس في دِين الله أفواجاً.

ومَبدأ دخولها في التفسير يَرجع لعهد الصحابة، غيرَ أنَّ الصحابة وإن تَشوَّقوا لمعرفة التفاصيل لم يَسألوا أهلَ الكتاب عن كل شيء، ولم يَقبَلُوا منهم كل شيء، مع تَوقفهم فيما يلقى إليهم ما دام يحتمل الصدق والكذب؛ امتثالاً لِقول الرسول ﷺ: **«لا تُصدقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم وقُولوا: آمنَّا بالله»**[١]، فلم يَسألوهم عن شيء يتَّصل بالعقيدة، ولم يَعدلوا عمَّا ثبت عن النبي ﷺ، كذلك لا يُصدقون اليهود فيما يخالف الشريعة.

وهكذا لم يَخرج الصحابة عن دائرة الجواز التي حدَّدها لهم الرسولُ ﷺ في قوله: **«بلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرَج، ومَن كذب عليَّ متعمداً.. فليتبوَّأ مَقعده من النار»**[٢]، كما أنَّهم لم يُخالفوا قولَ رسول الله ﷺ: **«لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم، وقولُوا: آمنَّا بالله وما أنزلَ إلينا»**. أباح الأوَّل أن يُحدثوا عمَّا وقع لبني إسرائيل من الأعاجيب؛ لِلعبرة والعظة، بشرط أن يَعلموا أنه ليس مكذوباً، والثاني يُراد منه التوقف فيما يُحدِّثُ به أهل الكتاب ممَّا يكون مُحتملاً للصدق والكذب، أمَّا ما خالف شرعَنا.. فنحن في حِلٍّ من تكذيبِهِ.

أما التابعُون: فقد تَوسَّعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، وكثُرَت في عهدهم الروايات الإسرائيلية؛ لكثرة من دخل منهم في الإسلام، فظهرَت في هذا العهد جماعةٌ حَشَوا التفسير بكثير من القِصَص المتناقضة كمُقاتل بن سليمان، وهكذا تزايَد أمر الإسرائيليات

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٤٦١) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

حتى كان جماعةٌ بعد عصر التابعين لا يَرُدُّون قولاً، ثم في عصرِ التدوين وَجد من المفسرين من حشَوا كُتبَهم بهذه القِصَص الإسرائيلية!

وقد كان لِلإسرائيليات أثر سيِّئ في كتب التفسير؛ لأنَّ الأمرَ لم يَقف على ما كان في عهدِ الصحابة، بل زاد ودَخل فيه النوعُ الخيالي المختَرَع، فوضعُوا الشوك في طريق المفسِّر؛ إذ إنه أصبح يَشُك فيها جميعاً؛ لاعتقاده أنَّ الكلَّ من وادٍ واحدٍ.

وتَنقسم الإسرائيليَّات إلى ثلاثةِ أقسام:

الأول: ما يُعلم صِحتُه بالنقل عن النبي ﷺ، وهو صحيحٌ مقبول، وكذا إذا كان له شاهدٌ من الشرع يُؤيده.

الثاني: ما يُعلم كذبه، فلا يصحُّ قَبوله، ولا روايتُه.

الثالث: مسكوتٌ عنه، لا هو من الأول ولا من الثاني، فلا نُؤمن به ولا نُكذبه، وتجوز حكايتُه، وهذا القسم غالبه مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني[١].

ونجدُ أن الإمامين المحلي والسيوطيَّ قد وقع في تفسيرهما نُبَذٌ متنوعة من هذه الأخبار الإسرائيلية؛ مما هو مُندرجٌ تحت الأقسام الثلاثة السالِفة؛ منها المقبول؛ لِموافقة مقصد نص القرآن، ومنها المتوقَّفُ فيه؛ لغرابته، ومنها المردود الباطل، بعضُها عند السيوطي، وأكثرُها عند المحلي؛ لغلبة اشتغاله بالفقه، وقد تَصدى الإمام الصاوي رحمه الله للرد على هذا القِسم، وبخاصة فيما يَتعلَّق بمقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولنذكر بعضاً من الأمثلة على سبيلِ العَدِّ لا الحصر في أسلُوبه رحمه الله تعالى:

فمِن ذلك:

ـ ما أورده السيوطي في تفسير قوله تعالى في قِصة سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، قال السيوطي: (وجواب «لولا» لجامعها)، وهذا مُشكل غير مقبول؛ لِما هو معلوم من عصمة الأنبياء عليهم السلام عن القبائح قبل النُّبُوة وبعدها، فجاء ردُّ الصاوي رحمه الله بقوله: (وقيل: إنَّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو الجواب، والمعنى: ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، امتنع همُّه بها؛ لرؤية برهان

(١) «علوم القرآن» للدكتور نور الدين عتر (ص٧٥).

ربِّه، فلم يقع همٌّ أصلاً، وحينئذٍ فالوقفُ على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾، وهذا هو الأحسَنُ في هذا المقام؛ لخلوِّه من الكُلفة والشبهة).

ـ ومنه: ما أورَده المحلي من قِصة الغرانيق عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، فزَعمت القصةُ الباطلة أن النبي ﷺ لَما قرأ من سورة (النجم): ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾، ألقى الشيطانُ على لسانه: (تلك الغرانيقُ العُلى، وإن شَفاعتَهُنَّ لَتُرتجى... إلخ)، فجاء الردُّ مِن العلامة الصاوي رحمه الله بقوله: (وما ذكره المفسِّرُ مِن قصة الغرانيق روايةٌ عامة لِلمُفسرين الظاهريين، قال الرازي: أمَّا أهل التحقيقِ فقد قالوا: هذه الرواية باطلةٌ موضوعة، واحتَجُّوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول)، ثم ساقَ الأدلة على بُطلانها؛ تنزيهاً لِمَقام النبوة.

الإسرائيليات في «حاشية الصاوي»:

مع أنَّ هذه الحاشية قد حوَت تحقيقاتٍ رائعة، إلا أنَّه قد وَرد فيها نبذٌ مُتنوعة من الأخبار الإسرائيليات، وعامَّتُها من القسم المقبول، أو المسكوتِ عنه، وقد نبَّهتُ على هذه الأخبار عند تخريجها من مصادِرها الحديثية أو التَّفسيرية، وعَقَّبتُ كلَّ خبر منها بـ(وهو من الإسرائيليات).

وأمَّا القسمُ الثالث المردود.. فقد كان في بعض المواطِن من هذه الحاشية، ولكنَّه قليل، فكان لِزاماً علينا أن نُنبِّهَ عليها، وأن نُبيِّن وجهَ الصواب بالرجوعِ إلى المصادر الموثوقة؛ فعلى سبيلِ المثال: ما أورَدَه الصاوي من قِصة أوريا بن حنان وزير سيدنا داوودَ حين أرسَله للجهاد لِيُقتَلَ، فيتزوجها سيدنا داوود.

وهذا لا يَلِيق بِالمتَّسمين بالصلاحِ مِن أفناءِ ـ أي: جماعات ـ المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء، وقال عليٌّ رضي الله عنه: مَنْ حدَّثكم بحديثِ داوود عليه السلام على ما يَروِيه القُصَّاص.. جلَدتُه مئةً وستين، وهو حدُّ الفِرية على الأنبياء. ورُوي أنه حُدِّثَ بذلك عمر بن عبد العزيز وعندَه رجلٌ من أهل الحق، فكذَّب المحدِّثَ وقال: إن كانَت القصة على ما في كتاب الله.. فما يَنبغي أن يُلْتَمَسَ خِلافُها، وأعظِم بأن يُقالَ غيرُ ذلك! وإن كانت على ما ذكرتَ وكفَّ الله عنها ستراً على نبيِّه.. فما يَنبغي إظهارُها عليه، فقال عمرُ: لَسماعي هذا الكلامَ أحبُّ إليَّ ممَّا طلَعَت عليه الشمس.

وقد أطالَ الإمام الرازي رحمه الله تعالى في «تفسيره» (٢٦/ ٣٨٠) بِذكر الوُجوه التي تَدُلُّ على أنَّ القصة التي ذكَرُوها فاسدةٌ باطلةٌ، ثم أورَد اعتراضاً وأجاب عنه، فقال: (فإن قال قائلٌ: إنَّ كثيراً من أكابر المحدثين والمفسرِين ذكروا هذه القصة؛ فكيف الحال فيها؟ فالجواب الحقيقي: أنه لَما وقع التعارض بين الدلائل القاطِعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد.. كان الرجوعُ إلى الدلائل القاطِعة أولى، وأيضاً: فالأصلُ براءةُ الذمة، وأيضاً: فلمَّا تعارَض دليل التحريم والتحليل.. كان جانبُ التحريم أولى، وأيضاً: طريقةُ الاحتياط تُوجب ترجيحَ قولنا، وأيضاً: فنحن نعلَم بالضرورة أن بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يَقول الله لنا يوم القيامة: لِمَ لَمْ تَسعَوا في تشهير هذه الواقعة؟ وأمَّا بتقدير كونها باطلةً فإنَّ علينا في ذِكرها أعظم العقاب).

✿ ✿ ✿

قراءة الجلالين المُعتمَدة

لما كان الإمامان الجلالانِ على مَعرفةٍ قليلة بالقراءات المتواترة؛ كما ذكَر الجلال السيوطي عن نفسه.. فقد بدَا لِلدارسين أنهما لم يَتقيَّدَا في تفسيرَيهما بقراءة أو رِواية واحدة، ولم يَلتزما قراءة مُعينة في جميع الآيات، وكأنهما اختارَا ما كان يُحفظ من النص القرآني في ذلك العَصر، وفي تلك البِقاع المصرية، وهو غيرُ ذي إسناد مُعين.

ولكن ذكر العالم المحقق الدكتور فخر الدين قباوة حفظه الله في مُقدمة تحقيقه لـ«تفسير الجلالين»: أنه بِتَتبع ما جاء في نُسَخ «الجلالَين»، وفي مُصنفات الحواشي والتعليقات على الجلالين.. تبيَّن أن القراءة التي اختارها هذانِ المُفسران لآيات القرآن الكريم جمهورُها الأساسي مُعتمدٌ على قراءة إمامِ البصرة ومُقرئها أبي عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ)، وما خالَف ذلك كان فيه أشياءُ مِن قراءة إمامِ مَكة المكرمة ومُقرئِها عبدِ الله ابن كثير (ت١٢٠هـ)، ثم مِن قراءة إمامِ المدينة المنوَّرة ومُقرئها نافع بن عبد الرحمن (ت١٦٩هـ)، ثم مِن قراءةِ إمام أهل الشام ومُقرئِهم عبد الله بن عامر (ت١١٨هـ)، وما خالَف ذلك في بعض المواضع فهو قليلٌ، ومُعظَمُه عند الجلال المَحلي، وبما أن النصَّ القرآني في «الجلالين» ليس مُصحفاً، جاز فيه خلافُ القراءة الواحدة أيضاً[1].

✿ ✿ ✿

---

(١) مقدمة تحقيق «الجلالين» للدكتور قباوة (ص١٦).

مصادر حاشية الصاوي

صدَّر الإمامُ الصاوي رحمه الله تعالى حاشِيَتَه ببيان المصادر التي استَقى منها حاشيَتَه فقال:

(لمَّا كان علمُ التفسير أعظمَ العلوم مقداراً، وأرفعَها شرفاً ومناراً، إذ هو رئيسُ العُلوم الدينية ورأسُها، ومَبنى قواعدِ الشرع وأساسُها، وكان كتابُ «الجلالين» مِن أجلِّ كُتُب التفسير، وأجمعَ على الاعتناء به الجمُّ الغَفير من أهل البَصائر والتنوير، وجاءني الداعي الإلهيُّ بقِراءته؛ فاشتَغلتُ به على حسَب عَجزي. . وضعتُ عليه كتابةً مُلخَّصة من حاشيةِ شَيخنا المحقِّق المدقِّق الوَرِع الشيخ سليمانَ الجملِ، مع زوائدَ وفوائدَ فتَح بها مَولانا من نُور كتابه.

وإنما اقتَصرتُ على تَلخيص تلك الحاشية؛ لكوني وجدتُها مُلخَّصة من جميع كتب التفسير التي بأيدينا، تَنسُبُ لنحو عشرين كتاباً؛ منها: «البَيضاوي» و«حواشيه»، وحواشي هذا الكتاب، ومنها: «الخازن»، و«الخَطيب»، و«السَّمين»، و«أبو السعود»، و«الكَواشي»، و«البحر» و«النهر» و«الساقيَة»، و«القُرطبي»، و«الكشَّاف»، و«ابن عَطية»، و«التحبير»، و«الإتقان»، ولم أنسُب العباراتِ لأصحابها غالباً اكتفاءً بنسبة الأصل، والله على ما أقول وكيل).

وهذه لمحة سَريعة عن هذه الكتب والحواشي[1]:

ـ حاشية الجمل على الجلالَين: **«الفتوحات الإلهية بتَوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفيَّة»**، فرَغ من تأليفها سنة (١١٩٨هـ)، وهو: سُليمان بن عمر بن منصور العجيلي المصري الأزهري الشافِعي، المعروف بالجمَل، تُوفي (سنة ١٢٠٤هـ).

له «حاشية على شرحِ الرملي لمنهاج النووي»، «حاشية على متن الهمزية لابن حجر الهيتمي»، «شرح بانت سعاد»، «شرح حزب البر للشاذلي»، «الفتوحات الأحمدية بالمنح المحمَّدية لشرح الهمزية»، «فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب»، «القول المنير

(١) هذه اللمحة مستفادة من «التفسير والمفسرون» للذهبي، و«الإسرائيليات والموضوعات» لأبي شهبة، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة.

في شرح الحزب الكبير لأبي الحسَن الشاذلي»، «المِنَح الإلهيات بشرح دلائل الخيرات»، «المَواهب المحمدية بشَرح الشمائل الترمذية».

ـ تفسير البيضاوي: **«أنوار التنزيل وأسرار التأويل»**.

مُؤلفه: قاضي القُضاة، ناصر الدين أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد بن عليٍّ، البَيضاوي الشافعي، وهو مِن بلاد فارس.

قال ابن قاضي شُهبة في «طبقاته»: (صاحب المصنَّفات، وعالم أذرَبيجان، وشيخ تلك الناحيَة. ولي قضاءَ شيراز).

وقال السبكي: (كان إماماً مُبرِّزاً نظّاراً خَيِّراً، صالحاً مُتعبداً).

وقال ابن حبيب: (تكلَّم كلٌّ من الأئمَّة بالثناء على مُصنفاته، ولو لم يَكن له غير المنهاج الوجيز لفظُه المحرَّر لَكفاه).

ولي القضاء بشيراز، وتُوفي بمدينة تبريز سنة (٦٩١هـ).

ومِن أهم مُصنفاته: «كتاب المنهاج وشرحه في أصول الفقه»، و«كتاب الطوالع في أصول الدين».

وتَفسيره متوسط الحجم، جمَع فيه صاحبُه بين التفسير والتأويل، على مُقتَضى قواعد اللغة العربية، وقرَّر فيه الأدلَّةَ على أصول أهل السُّنَّة، وقد اختصر البيضاوي تفسيرَه من «الكشاف» لِلزمخشري، ولكنَّه ترَك ما فِيه من اعتزالاتٍ.

ثمَّ إن هذا الكتاب رُزِق من عند الله سُبحانه وتعالى حُسنَ القَبول عند جُمهور الأفاضل والفُحول، فعَكفُوا عليه بالدَّرس والتحشية، فمِنهم من علَّق تعليقةً على سورة منه، ومِنهم مَن حشَّى تحشيةً تامة، ومنهم من كتَب على بعض مَواضع منه، وجملةُ الحواشي عليه تزيد على الأربَعين، وأشهر هذه الحواشي وأكثَرُها تداولاً ونفعاً: «حاشيةُ قاضي زاده»، و«حاشية الشهاب الخفاجي»، و«حاشيةُ القونوي».

ـ تفسير الخازن: **«لُبَاب التأويل في معاني التنزيل»**.

مُؤلفه: علاء الدين، أبو الحسن، عليُّ بن محمد بن إبراهيم بن عُمرَ بن خليل الشيحي. البغدادي، الشافعي، الصُّوفي، المعروف بالخازن. اشتهَر بذلك لأنَّه كان خازنَ كُتب خانقاه السميساطية بدِمشق.

وُلد ببَغداد سنة (٦٧٨هـ)، وسَمع بها من ابن الدواليبي، وقَدم دمشقَ فسمع من القاسم ابن مُظفر ووزيرة بنت عمر، واشتَغل بالعلم كثيراً.

قال ابن قاضي شهبة: (كان من أهل العِلم، جمع وألَّف، وحدَّث ببَعض مُصنفاته)، وقد خَلَّف رحمه الله كتباً جَمَّة في فُنون مختلفة، فمِن ذلك: «شرح عُمدة الأحكام»، و«مَقبول المنقول» في عشرِ مُجلدات، جمَع فيه بين مُسنَدَي الشافعي وأحمدَ والكتب الستة والموطأ وسنن الدارقطني، ورتَّبه على الأبواب، وجمعَ سِيرة نبوية مُطوَّلة. وكان رحمه الله صوفيًّا، حسَنَ السَّمت، بَشُوش الوجه، كثير التودُّدِ للناس.

تُوفي سنة (٧٤١هـ) بمدينة حلَب، فرحمه الله رحمةً واسعة.

اختَصر تفسيره من «مَعالم التنزيل» للبغوي، وضمَّ إلى ذلك ما نقَله ولخَّصه من تفاسيرِ من تقدَّم عليه، وليس له فيه سوَى النقل والانتخاب، مع حذفِ الأسانيد، وتجنُّبِ التطويل والإسهاب، وهو مُكثِرٌ من رواية التفسير المأثور إلى حدٍّ ما، مَعْنِيٌّ بتَقرير الأحكام وأدلَّتِها، مملوءٌ بالأخبار التاريخية.

ـ تفسير الخطيب: **«السراج المُنير في الإعانة على مَعرفة بعض معاني كلام رَبنا الحكيم الخبير»**.

مُؤلفه: الإمام العلاَّمة شمس الدين، مُحمد بن محمد الشربيني، الشافعي، الخطيب. تَلقى العلم عن كثير من مَشايخ عَصره؛ فمِنهم: الشيخ أحمد البرلسي، والنور المحلِّي، والبدر المشهدي، والشهابُ الرملي، وغيرهم، ولَما أَنس منه أشياخُه ورأوه أهلاً للفتوى والتدريس. . أجازُوه بها، فدرَّس وأفتى في حياتِهم، وانتفع به خلائقُ لا يُحصَون.

ولقد كان على جانِب عظيم من الصَّلاح والورع، وقد أجمع أهلُ مصر على ذلك، ووَصَفوه بالعلم والعمل، والزُّهد والورع، وكثرةِ التنسك والعبادة. تُوفي في عصر يوم الخميس ثاني شعبان سنة (٩٧٧هـ).

ومِن أهم مُؤلفاته: شرحه لِكتاب «المنهاج» وكتابِ «التنبيه»، وهُما شرحان عظيمان، جمَع فيهما تحريراتِ أشياخه بعد القاضي زكريا، وأقبَل الناس على قراءتهما وكِتابتهما في حياتِه.

وذكر رحمه الله في مُقدِّمة تفسيره: أنَّ أئمة السَّلَف ألَّفوا في التفسير كتباً، كلٌّ على قَدر فهمه ومَبلَغ علمه، وأنَّه خطَر له أن يَقتفيَ أثرَهم، ويَسلُك طريقهم، ولكنَّه تردَّد في ذلك مُدَّةً من الزمن؛ مَخافةَ أن يدخلَ تحت الوعيد الوارد في حق مَنْ فَسَّر القرآن بِرَأيه أو بغير عِلم، ثمَّ ذكر أنَّه استخار الله تعالى في حَضرته، بعد أن صلَّى ركعتين في رَوضتِه، وسأله أن يَشرح صدره لِذلك ويُيسِّرَه له، فشرح الله له صدرَه، ولما رجَع مِن سفره.. كتَم ذلك في سرِّه، حتى قال له شخصٌ مِن أصحابه: إنَّه رأى في المنام أن النبيَّ ﷺ أو الشافعي يقول: قُل لفلان يَعمل تفسيراً على القرآن.

وذَكر أنه اقتَصر فيه على أرجَحِ الأقوال، وإعرابِ ما يُحتاج إليه عند السؤال، وتركِ التطويل بذكر أقوالٍ غيرِ مَرضية، وأعاريب مَحلُّها كُتب العربية، وذكر أنَّ ما يَذكره فيه مِن القراءات فهو من السَّبع المشهورات. قال: وقد أذكرُ بعض أقوالٍ وأعاريب؛ لِقُوة مداركها، أو لِوُرودها ولكن بِصِيغة: (قيل)؛ لِيُعلم أنَّ المرضيَّ أوَّلها.

ـ تفسير السمين: «**الدُّر المَصون في علم الكتاب المَكنون**».

مُؤلفه: أحمد بن يوسفَ بن محمد، العلامة شهاب الدين أبو العباس الحلبي ثم المِصري النَّحوي المقرئ الفَقيه، المعرُوف بابن السمين، قرَأ النحو على أبي حيان، والقراءاتِ على ابن الصائغ، وسَمع وولي تصديرَ إقراء النحو بالجامع الطُّولوني، وصنَّف تصانيفَ حسَنة. توفي في جُمادى الآخِرة ـ وقيل: في شعبان ـ سنة (٧٥٦هـ) بالقاهرة.

وتفسيره في أربعة أجزاءٍ، ومادَّتُه فيه من تفسير شيخِه أبي حيان، إلا أنه زاد عليه وناقَشه في مواضعَ مُناقشةً حسنة.

ـ تفسير أبي السعود: «**إرشادُ العقل السَّليم إلى مَزايا الكتاب الكريم**».

مُؤلفه: أبو السعود مُحمد بن محمد بن مصطفى، العمادي، الحنفي المولودُ في سنة (٩٨٣هـ)، بقَرية قريبة من القُسطنطينية، وهو مِن بيت عُرف أهلُه بالعِلم والفضل، قرأ كثيراً من كُتب العلم على والِده، وتَتلمذ لكثير من جِلَّة العلماء، فاستفاد منهم عِلما جمًّا، ثم طارت سُمعتُه، وفاضت شُهرته، وعَظُم صِيتُه، وتولَّى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم قُلِّد قضاءَ برُوسة، ثم نُقل إلى قضاء القُسطنطينية، ثم نُقل إلى قضاء ولاية العسكر في ولايةِ روم أيلى، ودام على قضائها مُدةَ ثمان سنين، ثم تولَّى أمر الفتوى

بعد ذلك، فقام بها خيرَ قيام، ومكَث في مَنصب الإفتاء نحواً من ثلاثين سنة، أظهرَ فيها الدقةَ العِلمية التامة، والبراعةَ في الفتوى والتفنُّنَ فيها. تُوفي رحمه الله بمدينة القسطنطينيَّة، ودُفن بجوار أبي أيوب الأنصاري، وذلك في أوائل جُمادى الأُولى سنة (٩٨٢هـ)، فرَحمه الله رحمة واسعة.

وتفسيرُه غاية في بابه، ونهايةٌ في حُسن الصوغ وجمالِ التعبير، كشَف فيه صاحبُه عن أسرار البلاغة القرآنية بما لم يَسبِقه أحد إليه، ومِن أجل ذلك ذاعت شُهرةُ هذا التفسير بين أهل العلم، وشَهد له كثير من العلماء بأنه خيرُ ما كُتب في التفسير.

ـ تفسير الكواشي: له تفسيران: كبيرٌ وسَماه: **«التَّبصرة»**، وصغير وسمَّاه: **«التَّلخيص»**.

مُؤلفهما: مُوفق الدين: أحمدُ بن يوسف بن الحسين بن الحسن ابن رافع الكواشي، أبو العباس، مُوفق الدين الضرير، الموصلي الشافعي، وُلد سنةَ (٥٩١هـ)، وتُوفي سنة (٦٨٠هـ).

وذكر في تفسيره الصغير ثلاثةَ وقوف بالرمز؛ فرمز (تا): إلى التام، و(حسن): إلى الحسَن، و(كا): إلى الكافي، وأورَد القراءات أيضاً.

ـ تفسير أبي حيان: **«البحر المُحيط»**.

مُؤلفه: أثير الدين، أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن عليٍّ بن يُوسف بن حيان، الأندلسي، الغرناطي، الحيَّاني، الشهير بأبي حيَّان، المولود سنةَ (٦٥٤هـ).

كان رحمه الله مُلِمًّا بالقراءات صَحيحِها وشاذها، مَعروفاً بكثرة نَظمِه للأشعار والموشَّحات، كما كان على جانبٍ كبير من المعرفة باللغة، أما النحوُ والتصريف فهو الإمام المطلَقُ فيهما، خدَم هذا الفنَّ أكثرَ عُمره، حتى صار لا يُذكر أحدٌ في أقطار الأرض فيهما غيرُه، وبجانب هذا كُلِّه كان لأبي حيان اليدُ الطولى في التفسير، والحديث، وتراجمِ الرجال، ومَعرفة طبقاتهم، خُصوصاً المغاربة.

ولقد أخذَ كثير عنه العلم حتى صارَ من تلامذته أئمَّةٌ وأشياخ في حَياته، وهو الذي جَسَّر الناس على كتب ابن مالك، ورَغَّبهم فيها، وشرَح لهم غامِضَها.

وأمَّا مُؤلفاته فكثيرة، انتَشرت في حياته وبعد وَفاته في كثير من أقطار الأرض، وتَلقَّاها الناس بالقَبول، ومِن أهمها: «تفسير البَحر المحيط»، و«غريب القرآن»، و«شرح التسهيل»، و«نهاية الإعراب»، و«خُلاصة البيان».

وقد قيل: إنَّ أبا حيان كان ظاهريَّ المذهب، ثم رَجع عنه وتَبع الشافعيَّ على مذهبه، وكان عريًّا مِن الفلسفة، بريئاً من الاعتزال والتجسيم، مُتمسِّكاً بطريقة السَّلَف.

أمَّا وفاتُه فكانَت بمصر سنةَ (٧٤٥هـ)، فرَحمه الله ورضي عنه.

وتفسيرُه «البحر» مُعتبَرٌ عند أهل العِلم المرجعَ الأول والأهَمَّ لِمَن يُريد أن يقفَ على وُجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم؛ إذ إنَّ الناحية النحوية هي أبرَزُ ما فيه من البُحوث التي تَدُور حول آيات الكتاب العزيز، والمؤلف إذ يَتكلم عن هذه الناحية، فهو ابن بجدتِها، وفارسُ حَلبتها، غير أنَّه قد أكثر من مسائل النحو في كتابِه، مع تَوسُّعه في مسائلِ الخلاف بين النحويين، حتى أصبح الكتاب أقرَبَ ما يكون إلى كتُب النحو منه إلى كُتبِ التفسير.

هذا وإنَّ أبا حيانَ وإن غلَبت عليه الصناعةُ النحوية في تفسيره، إلَّا أنَّه مع ذلك لم يُهمِل ما عدَاها من النواحي التي لها اتِّصالٌ بالتفسير، فتَراه يَتكلم على المعاني اللغوية لِلمُفردات، ويَذكر أسباب النزول، والناسخَ والمنسوخ، والقراءاتِ الواردة مع توجيهها، كما أنه لا يُغفِلُ الناحيةَ البلاغية فى القرآن، ولا يُهمِلُ الأحكام الفقهية عندما يَمُرُّ بآيات الأحكام، مع ذِكره لِما جاء عن السلف ومَن تَقدَّمه من الخلَف في ذلك.

ـ تفسير النهر: **«النهر المادُّ من البحر»**.

مُؤلفه: أبو حيان أيضاً، ذكر فيه: أنَّه لَما كان «البحر» طويلاً.. اختَصره منه، فقال: (وربما نشأ في هذا النهر ما لم يَكن في «البحر»، وذلك لتجدد نَظر المستخرِج لِلآلِيه، ونكبت فيه: عمَّا ذكرناه في «البحر» من أقوال اضطرَبت بها لُجَجه، وإعراب مُتكلَّف تقاصرَت عنه حُجَجُه).

ـ تفسير القرطبي: **«الجامع لأحكام القرآن»**.

مُؤلفه: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فَرْح الأنصاري، الخزرجي، الأندَلسي، القرطبي، المفسِّر.

كان رحمه الله من عِباد الله الصالحين، والعُلماء العارفين، الزاهدِين في الدنيا، المشغولين بما يَعنِيهم من أُمور الآخِرة، وكانت أوقاتُه كُلُّها مَعمورة بالتوجه إلى الله وعِبادته تارة، وبالتصنيف تارة أخرى، حتى أخرج للناس كُتباً انتَفعوا بها.

ومِن مُصنَّفاته: كتابه في التفسير المسمَّى بـ«الجامِع لأحكام القرآن»، و«شرح أسماء الله الحُسنى»، وكتاب «التَّذكار في أفضل الأذكار»، وكتاب «التَّذكِرة بأمور الآخرة»، وكتاب «شرح التَّقصي»، وكتاب «قَمع الحرص بالزهد والقناعة ورَد ذلك السؤال بالكتب والشفاعة».

سَمع من الشيخ أبي العباس بن عمر القرطبي، مُؤلف «المُفهِم في شرح صحيح مُسلم» بعضَ هذا الشرح، وحدَّث عن أبي عليٍّ الحسَن بن محمد البكري، وغيرِهما.

وتُوفي في شوَّال سنة (٦٧١هـ)، فرحمه الله رحمةً واسعة.

وتفسيرُه من أجَلِّ التفاسير وأعظَمِها نفعاً، أسقَط منه القصص والتواريخ، وأثبَت عِوَضها أحكامَ القرآن واستنباط الأدلة، وذكَر القراءاتِ والإعرابَ والناسخ والمنسوخ، وذكر أسباب النزول، وبيَّن الغريبَ من ألفاظ القرآن، وأكثَرَ مِن الاستشهاد بأشعار العرب، ورَدَّ على المعتَزلة، والقَدرية، والرَّوافض، والفلاسفة، وغُلاةِ المتصوِّفة.

- تفسير الكشاف: **«الكشَّاف عن حقائق التَّنزيل وعُيون الأقاويل في وُجوه التأويل»**.

مُؤلفه: الإمام محمود بن عمر بن محمد بن عمرَ النَّحوي اللغوي، الأديب، المعتَزلي الزمخشري، الملقَّبُ بِجار الله؛ لأنَّه ارتحل إلى مكةَ وأقام بها مُجاوراً للبيت، وفيها ألَّف كتابَه في التفسير.

وُلد سنة (٤٦٧هـ)، وقد برَع في اللغة، والأدبِ والنحو، ومَعرفة أنساب العرب وأيامِهم، حتى فاق أقرانَه، كما كان عالماً بِكثير من العلوم الإسلامية، كالفقه، ولا سيَّما الفقهَ الحنفي، والأصول والتفسير وغيرها، ثمَّ اعتَنَق مذهب الاعتزال، ودعَا إليه، وصار من أئمَّة المعتزلة، والمنافحِين عنهم، ولَه مؤلفات كثيرة، منها: «ربيع الأبرار»، و«الأساس»، و«الفائِق»، وتُوفي سنة (٥٣٨هـ).

وتَفسيره «الكشاف» من خير كتب التفسير وأجَلِّها، ولولا نَزعتُه الاعتزالية في بعض الآيات القرآنية. لَما تناوله المعتَرِضون بالنقد، ولَمَا شنَأه بعض الناس، وبِحَسْبِ هذا

الكتاب فضلاً ومنزلةً أنَّ كل مَن جاء بعد الزمخشري عالَةٌ عليه فيما يَذكره فيه من أسرار الإعجاز، والغَوصِ على المعاني البلاغية الدقيقة.

ولِبَراعته في الكلام، وتَمكُّنِه من فنون القول، وبُعد غَورِه يَدُسُّ بعضَ آرائه في أثناء تفسيره، وتَرُوج على خلق كثير من أهل السنة، ولِذا قال البلقيني: استَخرجتُ من «الكشاف» اعتزالاً بالمناقِيش من قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ﴾.

ـ تفسير ابن عطية: **«المُحرَّر الوجيز في تفسير الكِتاب العزيز»**.

مُؤلفه: أبو محمد عبد الحقِّ بن غالب بن عطيَّةَ الأندلسي المغرِبي الغرناطي الحافِظ القاضي. وَلِي القضاءَ بمدينة المرية بالأندلس، ولما تولَّى توخَّى الحقَّ، وعدَل في الحُكم، وأعزَّ الخطة. ويُقال: إنه قصَد مرسيةَ بالمغرب؛ لِيَتولى قضاءها، فصُدَّ عن دخولها، وصُرِف منها إلى الرِّقة بالمغرب، واعتُدي عليه رحمه الله، وتُوفي بالرِّقة سنة (٥٤٦هـ).

وتَفسيره له قِيمتُه العالية بين كتب التفسير، وعند جميع المفسِّرين، وذلك راجع إلى أنَّ مُؤلِّفَه أضفى عليه من رُوحِه العِلمية الفيَّاضة ما أكسَبه دِقَّة، ورواجاً، وقبولاً، وقد لخَّصه مُؤلِّفُه - كما يَقول ابن خلدون في «مُقدمته» - من كتب التفاسير كُلِّها؛ أي: تفاسيرِ المنقول، وتحرَّى ما هو أقرَبُ إلى الصحة منها، ووَضع ذلك في كتاب مُتداوَلٍ بين أهل المغرب والأندَلس، حسَنِ المَنحى.

والحقُّ أنَّ ابن عطية أحسَنَ في هذا التفسير وأبدَعَ، حتى طار صِيتُه كلَّ مَطار، وصار أصدقَ شاهد لِمُؤلفه بإمامته في العربية وغيرِها من النواحي العِلميَّة المختلفة.

ـ تفسير التحبير: **«التَّحبير في علوم التفسير»**.

مؤلِّفه: الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السُّيوطي.

قال عنه في «إتمام الدِّراية لِقُراء النقاية» (ص٢٠): (لم أَقف على تأليف في علم التفسير لأحدٍ مِن المتقدِّمين، حتى جاء شيخُ الإسلام جلال الدين البلقيني، فدوَّنه ونقَّحه وهذَّبه ورتَّبه في كتاب سمَّاه «مَواقع العلوم من مواقع النجوم»، فأتى بالعَجب العُجاب، وجعله خمسين نوعاً على نمَط أنواع علوم الحديث، وقد استَدركتُ عليه من الأنواع ضِعفَ ما ذكَره، وتتبَّعتُ أشياءَ متعلقة بالأنواع التي ذكرها ممَّا أهملَه، وأودعتُها كتاباً

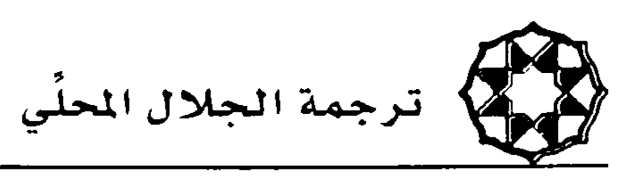
سمَّيتُه: «التحبير في علم التفسير»، وصدَّرته بِمُقدمة فيها حدود مهمَّة، ونقَلتُ فيها حدوداً كثيرة للتفسير ليس هذا مَوضع بَسطها، فكان ابتداءُ استنباط هذا العلم من البلقِيني، وتمامه على يَدَي، وهكذا كل مُستنبط يكون قليلاً ثم يَكثُر، وصغيراً ثم يكبر. ويَنحصر في مُقدمة وخمسةٍ وخمسين نوعاً بحسَب ما ذكر هنا، وأنواعه في «التحبير» مئةُ نوع ونوعان).

ـ **«الإتقان في عُلوم القرآن»**.

مُؤلفه: الإمام الحافظ أبو بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

وهو مِن أجمَعِ ما صُنف في هذا الباب، استفاد من مُؤلَّفات السابقِين وخاصَّةً «البُرهان»، وزاد عليها، وتَناول علومَ القرآن الكريم وما يَلحَقُ بها في ثمانين نوعاً، أوَّلها: مَعرفة المكي والمدني، وآخرُها: طبَقات المفسِّرين، وأشبَع كل نوع بحثاً وبياناً، جزاهُ الله عن المسلمين خيرَ الجزاء، وقد طُبع كِتابه عِدَّةَ مَرات في مجلَّدين كبيرين، منها ما طُبع في المكتبة التجارية، وعلى هامِشه كتابُ إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني، ومع هذا لا يَزال هذا الكتاب بِحاجة إلى تحقيقٍ وعِناية وحُسنِ إخراج؛ لِيَسهُلَ على القُرَّاء تَناوله والاستفادةُ منه.

✿ ✿ ✿



ترجمة الجلال المحلِّي

اسمه ونسبه:

هو الشيخ الإمام الفقيه الأصولي العلامة جلال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن الكمال الأنصاري المحلِّي القاهري المصري.

ولادته ونشأته العلمية وشيوخه:

كان مولده سنة (٧٩١هـ) بالمحلة الغربية، و«المحلة» مدينة مشهورة في القاهرة[١].

نشأ جلال الدين المحلِّي بالقاهرة، فقرأ شتى العلوم، وبرع في الفنون فقهاً وأصولاً، وكلاماً ونحواً ومنطقاً، وغيرها، ومهر وتقدَّم على الأقران، وتفنَّن في العلوم العقلية والنقلية.

قال السخاوي: أخذ جلال الدين الفقهَ والأصولَ والعربيةَ عن الشمس البِرْماوي، وكان مقيماً معه بالبيبَرْسية فكثر انتفاعه به لذلك، والفقهَ أيضاً عن البيجوري، والجلال البلقيني، والولي العراقي، والأصولَ أيضاً عن العزّ ابن جماعة، ولازَمَ البساطي في التفسير وأصولِ الدين وغيرِها، وانتفع به كثيراً، وأخذ علومَ الحديث عن أبي زرعة العراقي، وابن حجر العسقلاني وبه انتفع، فإنَّه قرأ عليه جميعَ «شرح ألفية العراقي»، وأذن له في إقرائه، وكان أحد الطلبة المؤيدة عنده، بل كان كلَّما يشكل عليه في الحديث وغيره يراجعه فيه.

وتتلمذ الجلال المحلِّي رحمه الله تعالى على يد كثير من العلماء، منهم:

١ ـ الحافظ ولي الدين أبو زُرْعَة أحمد بن عبد الرحيم العراقي الشافعي (ت: ٨٢٦هـ).

٢ ـ الحافظ محمد بن عبد الدائم المصري البِرْماوي (ت: ٨٢٦هـ).

---

(١) انظر: «شذرات الذهب» لابن العماد: (٩/ ٤٤٧)، «والضوء اللامع» للسخاوي: (٧/ ٣٩)، و«البدر الطالع» للشوكاني: (٥/ ٦٣١)، و«إيضاح المكنون» للبغدادي: (٣/ ١٤٧)، و«الأعلام» للزركلي: (٥/ ٣٢٣).

٣ ـ الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ).

٤ ـ سراج الدين ابن المُلَقِّن (ت: ٨٠٤ هـ) .

٥ ـ سراج الدين البلقيني (ت: ٨٠٥ هـ).

٦ ـ عز الدين ابن جماعة (ت: ٨١٩ هـ) .

مكانته العلمية:

وصف المحلِّي بأوصاف كثيرة، فلقد كان مهاباً وقوراً، عليه سيما الخير، وكان رجَّاعاً إلى الحق، إذا ظهر له الصواب على لسان من كان رجع إليه، وكان زاهداً في المناصب، فقد عُرض عليه القضاء بعد وفاة الحافظ ابن حجر فأبى.

وكان شديد الذكاء، حتى قيل عنه: إن ذهنه يثقب الماس، وكان حادّ القريحة قوي الحجة.

قال السخاوي: «كان إماماً علامة محققاً نظَّاراً مفرط الذكاء، صحيح الذهن»[١].

وقال السيوطي: «وكان غرة هذا العصر في سلوك طريق السلف، على قدم من الصّلاح والورع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢].

من تلامذته:

١ ـ يوسف بن شاهين قُطْلوبُغا الكَرْكَري الحنفي، سبط الحافظ ابن حجر. (ت: ٨٩٩هـ).

٢ ـ محمد بن عبد الرحمن الحافظ السخاوي. (ت: ٩٠٢ هـ).

٣ ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. (ت: ٩١١ هـ) .

٤ ـ نور الدين السمهودي. (ت: ٩١١ هـ).

٥ ـ إبراهيم بن محمد بن أبي شريف المقدسي. (ت: ٩٢٣ هـ).

---

(١) - «الضوء اللامع»: (٧/ ٤١).

(٢) - «حسن المحاضرة»: (١/ ٤٤٣).

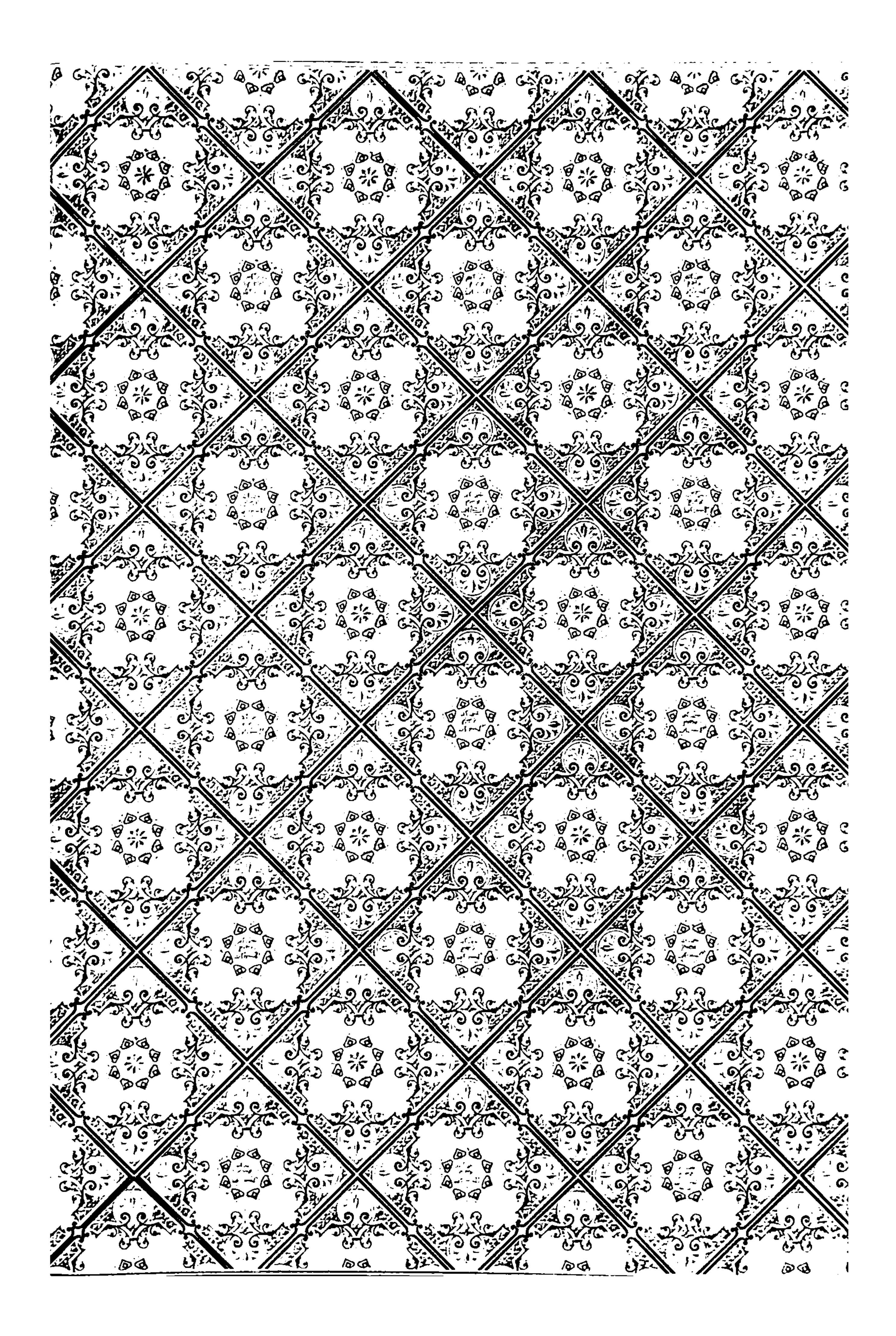
من مؤلفاته:

«البدر الطالع في حلِّ جَمْع الجوامع»، و«شرح الورقات» في أصول الفقه، و«الجهر بالبسملة»، و«الحاشية على شرح جامع المختصرات»، و«الحاشية على جواهر البحرين للإسنوي»، و«شرح الفرائض»، و«كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين»، و«الأنوار المضيَّة في مدح خير البرية ﷺ»، و«شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» في النحو، و«شرح الإعراب عن قواعد الإعراب»، و«شرح الشمسية»، وتفسير القرآن («تفسير الجلالين» - وهو كتابنا هذا).

وفاته:

اتفق المؤرخون على أن وفاته كانت سنة (٨٦٤ هـ) بمصر، ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعي .







ترجمة الجلال السيوطي

اسمه ونسبه:

هو عبد الرحمن بن الكمال أبي المناقب أبي بكر بن ناصر الدين محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي - أو الأسيوطي - الطولوني الشافعي[١].

و«سيوط» أو «أسيوط»: مدينة كبيرة تقع غربي النيل في صعيد مصر، وهي أكبر مدن الصعيد.

والده: قال الإمام السيوطي عن والده: (هو الإمام العلَّامة ذو الفنون، الفقيه الفرضي، الحاسب الأصولي، الجدلي النحوي، التصريفي البياني، المترسل البارع، كمال الدين أبو المناقب أبو بكر بن محمد، وكان مولد والدي بأسيوط في أوائل هذا القرن تقريباً، أي: القرن التاسع، وقدم القاهرة سنة عشرين ونيّف، واستقر به المقام، وأقبل على العلوم بأنواعها، فأخذ عن مشايخ عصره، وتردد إلى مجالس الحافظ ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه الحديث، وكانت له اليد الطولى في الإنشاء).

ولوالد السيوطي بعض التصانيف وجلُّها حواشٍ وشروح لكتب، منها: حاشية على «شرح الألفية» لابن المصنف، لم تتم، وصل فيها إلى باب الإضافة، وحاشية على «العضد»، لم تتم، وحاشية على كتاب «أدب القضاء» للغزّي، وأجوبة على اعتراضات ابن المقرئ على «الحاوي».

توفي والد السيوطي يوم الاثنين الخامس من صفر سنة (٨٥٥ هـ)، رحمه الله تعالى[٢].

---

(١) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١/ ٣٣٥)، و«التحدث بنعمة الله» ص٥.

(٢) ينظر: «التحدث بنعمة الله» ص٥ و٨ و٩، و«نظم العقيان» ص٩٥، و«بغية الوعاة»: (١/ ٤٧٢)، و«حسن المحاضرة»: (١/ ٤٤١ و٤٤٢)، و«الضوء اللامع»: (١١/ ٧٢ و٧٣)، و«بدائع الزهور»: (٢/ ٢٨٩)، و«شذرات الذهب»: (٧/ ٢٨٤ و٣٥٠).

ولادته ونشأته:

ولد السيوطي ليلة الأحد بعد المغرب مستهل رجب من سنة تسع وأربعين وثمانمائة (١/ رجب/ ٨٤٩هـ).

أما مكان ولادته فيذكر السيوطيُّ أنه في القاهرة، هذا وقد اكتنفت ولادتَه حادثةٌ طريفة، وذلك أنَّ والده احتاج إلى كتابٍ، فأمر زوجته أن تأتيه به من مكتبته، فذهبت لتأتيه به، فجاءها المخاض وهي بين الكتب فوضعته، فأطلق عليه ابن الكتب[١]، فكان كما قيل، فقد ولد وعاش مع الكتب، وأفنى عمره في تأليفها وتحريرها.

ولد السيوطي بالقاهرة بعد انتقال أبيه إليها بمدة طويلة حيث كان يعمل مدرساً للفقه الشافعي بالجامع الشيخوني، ونتيجةً لغلبة الطابع الصوفي على البلاد من ناحية، ولكون والده من صوفية الشيخونية من ناحية أخرى، حمله بعد مولده إلى أحد كبار الأولياء بجوار المشهد النفيس، وهو الشيخ محمد المجذوب، فباركه، وكان والده قد قارب الخمسين من عمره في ذلك الحين.

وعندما بلغ السيوطي الثالثة من عمره ـ وكانت شهرة الحافظ ابن حجر تملأ الدنيا، وكان شيخاً لأبيه ـ اصطحبه والده إلى مجلس الحافظ ابن حجر في إحدى المرات، وقد كان لحضور هذا المجلس أثره العميق في نفسية السيوطي وفي حياته العلمية فيما بعد[٢].

ولم يلبث والده أن توفي بعد قليل في صفر عام (٨٥٥هـ)، حين كان ابنه لم يتمّ السادسة من عمره، وقد ولي الوصاية عليه بعد أبيه أحد أصدقائه من الصوفية، وهو الشيخ جمال الدين ابن الهمام الحنفي[٣].

وقد أنشأ السيوطي يحفظ القرآن قبل وفاة أبيه، وقد بلغ في الحفظ عند وفاته إلى سورة التحريم، وواصل الحفظ بعد وفاته، فأتم القرآن الكريم ولم يبلغ الثامنة من عمره[٤].

---

(١) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١/ ٣٣٦)، و«التحدث بنعمة الله» ص٧ و١٦ و٣٢، و«الضوء اللامع»: (٤/ ٦٥)، و«النور السافر» للعيدروسي، ص ٥١ و٥٤ و٦٢، و«بدائع الزهور»: (٤/ ٨٣)، و«الكواكب السائرة»: (١/ ٢٢٦).

(٢) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١/ ١٨٨)، و«النور السافر» ص٥٤.

(٣) ينظر: «شذرات الذهب»: (٨/ ٥٢)، و«النور السافر» ص٥٤.

(٤) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١/ ١٨٨)، و«شذرات الذهب»: (٨/ ٥٢).

دلّ السيوطي بحفظه المبكر للقرآن الكريم على ذكاء متوقد، وذاكرة قوية، وقد حفظ بعد ذلك «عمدة الأحكام»، و«المنهاج الفرعي» في الفقه للنووي و«المنهاج في الأصول» له أيضاً على ما ذكر، و«ألفية ابن مالك» في النحو، و«منهاج البيضاوي»، وقد أتم حفظ هذه الكتب وعرضها على شيوخ عصره، ومن ثم فقد أصبح أهلاً لأن يطلب العلم على أيدي علماء العصر في مختلف مناحي العلم[١].

ومنذ مستهل عام (٨٤٦هـ) وحين كان السيوطي لم يتم الخامسة عشرة من عمره، أنشأ يطلب العلم، فأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ؛ منهم الشمس محمد بن موسى الحنفي إمام الشيخونية في النحو، وعن الفخر عثمان المقسي، والشموس البامي وابن الفالاتي وابن يوسف أحد فضلاء الشيخونية، والبرهانين العجلوني والنعماني بعضهم في الفقه وبعضهم في النحو، وأخذ الفرائض عن العلامة فرضي زمانه شهاب الدين الشارمساحي الذي كان قد بلغ المائة من العمر.

وقد أجيز بتدريس العربية في مستهل عام (٨٦٦هـ)، أي: حين كان في السابعة عشرة من عمره، وقد ابتدأ التأليف في هذه السنة؛ فكتب شرحاً للاستعاذة والبسملة، وأطلع عليه شيخه علم الدين البلقيني شيخ الإسلام، فكتب عليه تقريظاً، وقد لزم عليه كثيراً من أبواب الفقه، وأجازه بالتدريس والإفتاء في عام (٨٧٦هـ) حين كان السيوطي في السابعة والعشرين من عمره، وحضر تصديره، وقد توفي البلقيني عام (٨٧٨هـ).

كما لزم السيوطي شيخ الإسلام شرف الدين المناوي، فقرأ عليه بعض كتبه في الفقه والتفسير.

ولزم في الحديث والعربية العلامة تقي الدين الشمنيّ أربع سنين، وكتب له تقريظاً على «شرح ألفية ابن مالك» وعلى «جمع الجوامع» في العربية، وكان شيخه يشهد له بالتقدم ويثق في علمه وسعة اطلاعه.

وقد أخذ جملة من العلوم منها التفسير والأصول والعربية والمعاني عن العلامة محيي الدين الكافيجي الذي لازمه السيوطي أربع عشرة سنة، وكتب له الكافيجي إجازة عظيمة بذلك، كما حضر دروساً عديدة عند الشيخ سيف الدين الحنفي[٢].

---

(١) ينظر المرجعان السابقان.

(٢) ينظر: «حسن المحاضرة»: (١/ ١٨٩). وسيأتي الكلام عن شيوخه.

من شيوخه:

١- شيخ الإسلام شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.

٢- الإمام علم الدين صالح بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني.

٣- قاضي القضاة أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد المناوي القاهري الشافعي.

٤- الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداري الحنفي القسنطيني.

٥- العلامة أبو عبد الله محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود البرغمي الرومي الحنفي، ويعرف بالكافيجي لإكثاره من قراءة «الكافية» لابن الحاجب.

٦- الإمام محمد بن عمر بن قطلوبغا البكتمري القاهري الحنفي النحوي.

٧- الإمام جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري المحلي.

٨- الإمام يحيى بن محمد بن إبراهيم بن أحمد الأقصرائي الحنفي.

٩- العلامة محمد بن أحمد بن محمد المخزمي الباني الفقيه الشافعي.

١٠- نجم الدين بن تقي الدين بن تقي الدين محمد بن فهد المكي.

من تلامذته:

١- الشيخ بدر الدين حسن بن علي القيمري.

٢- شيخ القراء، أبو حفص سراج الدين عمر بن قاسم الأنصاري المصري.

٣- أبو الفضل شهاب الدين، أحمد بن الأمير تاني بك الألياسي.

٤- شرف الدين قاسم بن عمر الزواوي المغربي القيرواني.

٥- الإمام المحدث شمس الدين محمد بن يوسف بن علي الشامي الصالحي الدمشقي.

٦- العلامة المسند المؤرخ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي.

٧- مؤرخ مصر أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي.

٨- الإمام العلامة السيد يوسف بن عبد الله الحسيني الأرميوني.

٩- الشيخ سليمان الخضيري المصري الشافعي.

١٠- الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني.

من مؤلفاته وآثاره:

الإتقان في علوم القرآن، وإتمام الدراية لقراء النقاية، وأحاسن الاقتناس في محاسن الاقتباس، وأدب القاضي على مذهب الشافعي، وأذكار الأذكار مختصر حلية الأبرار، وإرشاد المهتدين إلى نصرة المجتهدين، والأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، وأسباب الاختلاف في الفروع، وإسعاف الطلاب من مختصر الجامع الصغير بترتيب الشهاب، وإسعاف المبطأ برجال الموطأ، والأشباه والنظائر في الفقه، والأشباه والنظائر في النحو، وأطراف الأشراف بالإسراف على الأطراف، والأعلام الحسنى بمعاني الأسماء الحسنى، والإفصاح على تلخيص المفتاح، والاقتراح في علم أصول النحو، والإكليل في استنباط التنزيل، وأنموذج اللبيب في خصائص الحبيب، وبدائع الزهور في وقائع الدهور، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، والبهجة المرضية في شرح الألفية، وتاريخ الخلفاء، وتبييض الصحيفة بمناقب الإمام أبي حنيفة، والتحبير في علوم التفسير، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص، وتحفة المجتهدين في أسماء المجددين، وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، وترجمان القرآن في التفسير المسند، وتفسير **الجلالين**. (**وهو الذي بين أيدينا**)، وتناسق الدرر في تناسب السور، وتنزيه الاعتقاد عن الحلول والاتحاد، وتنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، والجامع الصغير لأحاديث البشير النذير، وجامع المسانيد، والحاوي للفتاوي، وحسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، والخصائص الكبرى أو كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، والدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، والديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، ورفع الخصاصة في شرح الخلاصة، والسيف الصقيل في حواشي ابن عقيل، وشرح ألفية العراقي في الحديث، وشرح شواهد المغني، وشرح الصدور بشرح أحوال الموتى في القبور، وعين الإصابة في مختصر أسد الغابة، واللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، ولباب النقول في أسباب النزول، ولب اللباب في تحرير الأنساب، ومجمع

البحرين ومطلع البدرين في التفسير، ومجاز الفرسان إلى مجاز القرآن، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها، والنكت على الألفية لابن مالك والكافية والشافية لابن الحاجب وشذور الذهب ونزهة الطرف لابن هشام، ونواهد الأبكار وشوارد الأفكار على تفسير البيضاوي، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية.

وفاته:

توفي الإمام السيوطي رحمه الله تعالى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر من شهر جمادى الأولى من سنة (٩١١هـ) كما ذكره الشعراني في «ذيل طبقاته».

وصلى عليه الشعراني بالروضة عقب صلاة الجمعة بجامع الشيخ أحمد الأباريقي، ثم صلى عليه خلق كثير مرة ثانية بالجامع الجديد في مصر العتيقة.



ترجمة الإمام الفقيه المُفسِّر المُتكلم
أحمدَ بنِ محمد الصاوي
رحمه الله تعالى
(١١٧٥ ـ ١٢٤١هـ)

اسمُه ونسبه:

هو الإمام العلَّامة، قُدوةُ السالكين، ومُربي المُريدِين؛ شهابُ الدين أبو العباس أحمدُ بن مُحمد بن محمد بن الشريف الحنَفي الحُليفي الصاوي المالكي الخَلوتي.

يَنتهي نسَبُه لِلدوحة العَلَوية المباركة، فالحنفي نِسبة لمحمد بن الحنَفيَّة، ابنِ سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولادته ونشأتُه:

وُلد الإمام الصاوي سنةَ (١١٧٥هـ) في قريةٍ على شاطئ النيل من إقليمِ الغَربية بمصر تُدعى: (صاء الحجر)، وإليها نِسبتُه، وقُدَماء اليونان يُسَمُّونها: (سايس)، وهي اليومَ قريبة من منطقة (بسيون)، وتابعةٌ لها.

أمَّا نِسبتُه الحُليفي.. فلِلميقات المعروف بذي الحُليفة؛ إذ أجدادُ الإمام كانُوا من أهله قبل هِجرَتهم إلى مصر.

عُرف والدُهُ بالصلاح والورع وكثرةِ العبادة والتَّبتُّلِ إلى الله تعالى، بل كان صاحبَ ولايةٍ شَهد له بها مَنْ حولَه، وأمُّهُ مِنْ بنات مَشايخ عربان البحيرة من قرية (جبارس)، كانت عابدةً تَقيَّةً ورعةً، رُوي: أنَّ الإمام قرأ عليها شيئاً من عُلوم التوحيد بنيَّة تَعليمها، فقالت له: (يا ولدي؛ كلُّ هذا الذي تقرأه عليَّ وتَقُوله لي هو في قلبي، غير أنِّي لا أستَطيع أن أعبِّرَ عنه بِعباراتٍ كعِباراتك).

نَشأ في حجرِ أبيه في رياضٍ من التقوى والمعرفة، فبَدأ بحفظ القرآن بإشارته ومُتابعته، وما لبث أن تُوفي والده وهو دُون الخامسة، وأتمَّ حِفظه وهو ابن خمس سنين،

ثمَّ تولَّى إخوتُه رِعايتَه، فطلب منهم الإذنَ له بالسَّفر لِطَلب العلم في الأزهَر بالقاهرة، فمَنَعُوه لصغر سنِّهِ يومئذٍ، فسكن فترةً راضياً، ثم فرَّ مِنهم إلى قرية (القضابة)، وله فيها بعضٌ مِن أقاربه، فأخبرهم بِعَزمه على طلب العلم، فأكرَمُوه وأمَّنوه، ثمَّ كان أن اقتنعَ إخوتُه بفكرته التي ألحَّ في طلَبها، فدخل القاهرة قاصداً الأزهر سنة (١١٨٧هـ) وعمرُهُ يومَها لم يُجاوِزِ الثانيةَ عشرة؛ لِيَنالَ قدَرَ الله الذي قسَمَه له وهو يَتقلَّب في أحشاء أُمِّه.

مَرحلة الطلب والتأهيل العلمي:

كان الأزهر يومَها حافِلاً بأساطين العُلماء الأفذاذ، وكان من جملة مَنْ تولَّى وِصايَتَه العلَّامة الشيخ شافع الخفاجي، والعلامةُ الشيخ مُحمد عبادة العدوي، ومنهم: العلامةُ الشيخ أحمد السجاعي صاحبُ الحواشي المشهورة، وكان مِن لَطيف أخباره معَهُ: أنَّه ذاتَ يوم مرض الشيخ السجاعي، فبعث لِلطَّلبة أن يَحضروا الدرسَ في بَيتِه، وكان قد بقي درسٌ من «شرح ابن عقيل على الخُلاصة»، فلمَّا جاؤُوه.. قال لهم: (هل فيكم الصاوي؟) فقالُوا: لا، فقال: (انتظروا حتى يَحضُرَ)، وأرسل إليه، فما قُرئ الدرس إلَّا بِحَضرته.

ومن جملة العلماء الذين نهَل منهم الإمامُ الصاوي: شيخُهُ في الحديث والتفسير العلامة الإمام سليمان بن عمر الشهير بالجمَل، وهو صاحبُ الحاشية المشهُورة على «الجلالين» والمسمَّاة بـ«الفُتوحات الإلهية»، والتي هي الأصلُ لِحاشية علَّامَتنا الصاوي عليه كما سيأتي، وكان الشيخ الجمَل يُحِبُّه ويُجِلُّه.

ومِنهم: العلَّامة الذي سارَت بآثاره الركائبُ محمدُ بن محمد الأميرُ الكبير السَّنَباوي المالكي، وكان الشَّيخ الأمير يُحِبُّه ويَستوصيه بالدعاء، ويَشهد له بالصلاح ورُتَبِ المعرفة.

ومنهم أيضاً: العلَّامة محمدُ بن أحمد بن عَرفة الدسوقي المالكي، مَنْ صارَت حواشِيه خاتمةَ القول في كلِّ فنٍّ وعِلمٍ حشَّى فيه.

ومِنهم: شيخُ الأزهر العلَّامة عبد الله الشرقاوي. كلُّ هؤلاء كان لهم نصيبٌ عند الإمام الصاوي، ولكن ما نزَلُوا من قلبه كمَنزلة شيخه ومُرَبِّيه أوحدِ زمانِهِ العلَّامةِ البَحر الشيخ أحمد الدَّردير، رَضي الله عنه وعنهم أجمَعين.

في رحاب الشيخ الدردير:

العلامة الدردير كان نجمَ الهداية في سماءِ إمامنا الصاوي رحمهما الله، وكانت عُلقة كلٍّ منهما بِصاحبه تُجاوِزُ حُدود المألوف، قال العلّامة المؤرخ الجبَرتي في ترجمة الإمام الدَّردير رحمه الله تعالى: (الإمامُ العالم العلامة، أوحَدُ وَقته في الفُنون العقلية والنَّقلية، شيخُ أهل الإسلام وبرَكةُ الأنام، أبو البركات أحمدُ بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العَدوي المالكي الأزهري الخَلوتي الشَّهير بالدردير، وُلد ببني عَدي كما أخبر عن نَفسِه سنةَ (١١٢٧هـ)، وحَفظ القرآن وجوَّده، وحُبِّب إليه طلبُ العلم، فوَرد الجامع الأزهر وحضَر دروس العلماء، وسمع الأوَّليَّ عن الشيخ محمد الدقري بِشَرطه، والحديثَ على كلٍّ من الشيخ أحمَدَ الصباغ، وشمس الدين الحفني، وبه تخرَّج في طريق القَوم، وتَفقَّه على الشيخ علي الصَّعيدي، ولازمه في جُلِّ درسه حتى أنجب، وتَلقن الذكر وطريق الخَلوتية من الشيخ الحفني، وصار من أكبر خُلَفائه، وأفتى في حَياة شيوخه، مع كَمال الصيانة والزهد والعِفَّة والديانة، وحضَر بعض دُروس الشيخين: المَلَّوي، والجوهري وغيرِهما، ولكن جلُّ اعتِماده وانتسابه على الشيخَين: الحفني، والصعيدي، وكان سَليمَ الباطن، مُهذَّبَ النفس، كريمَ الأخلاق).

ومُؤلفات العلامة الدردير لها مكانةٌ رَفيعةٌ بين كُتُب المتأخِّرين عِند السادة المالكية، و«خَريدته»، و«صلَواته»، و«تُحفَتُه» لا تَغيب عن مكتبةِ طلَبة العلم المجدِّين، فمتى وكيف عرَف الصاويُّ دليلَ قلبه إلى ربِّه؟

في السنة التي وفَد فيها الفتى الصاوي إلى القاهرة قاصداً الأزهر (١١٨٧هـ)، وبعد سِتة أشهُر أقامها يومَها، جذَبته الطَّلْعةُ الحرَّة البهيَّة ذاتُ الأنوار الربانية للشيخ الدردير لأن يكونَ مُنتظِماً في عقد الولاية، ووقَع نظر الأحمدَينِ على بَعضهما، وحيرةُ الحياء والوجَل تَغلي في فؤاد الفتى؛ لِتَتجلى نظرةٌ مُنكسرةٌ راجية، تُخالطُها نظرة أبَوية حانية مُتوقدة تلألأَ شعشاعُها، تجولُ في صفحات وجهِ الوصية الربانية الوافدة، ويُبايع الشيخ الدرديرُ ولَدَه الروحيَّ الصاوي، ويَرتضيه ليثاً في طريق السادة الخَلوتية، طريقِ العِلم والعمل والولاية والأدَب مع الله تعالى ومع رَسُوله المصطفى عليه صَلوات الله وسلاماته.

ولك أن تَعلمَ أنَّ الشيخ الدردير قام فنسَج الصاويَّ نسيجاً جديداً لا تُبلِيه الأيام، فأخَذ عنه المعقولَ والمنقول وهو يومَها إمامُ مصرَ كلِّها فيهما، وتفقَّه على يدَيه حتَّى بلغ الأمرُ أنْ إذا رأى الشيخُ الدردير خطَّ الصاوي على فتوى ما . . سارعَ وختمَ عليها؛ لِعلمه بتديُّنه وتحقيقه العلمي، والصاويُّ مع هذا مُلازمٌ لمجالس الشيخ وأوراده، لا يَنِي ولا يتأوَّل، حتَّى كان له في قلبِ الشيخ المقامُ الأول.

وبلَغ من تَعظيم الإمام الصاوي لِشَيخه الدردير ما تَتحيَّرُ فيه العقول، فكان لا يَذُوق نوماً وشيخُه مُستيقظ، فإذا نام. . نام تحت رِجلَيه، واستيقظ قبله، ولا سيَّما بعدما أَخَذ الدردير بأُذنه يوماً نام فيه عن وِردِه وقال: (أُذنك باردة!)، قال الصاوي: (ففَهِمتُ إشارته، وتصبَّبتُ عرَقاً مِن شِدة الحياء، ولزمتُ الهمَّةَ والاجتهاد في أخذ الأوراد)، فما فاته بعد ذلك وِردٌ للشيخ إلَّا وكفَّره بإحياء ليلةٍ كاملةٍ.

وقد حاول بعضُ الوُشاة ممَّن أكلت الغيرةُ قلبَهُ تغييرَ قلب الشيخ الدردير في حقِّ الصاوي، فنعَته بالتفريط والغِياب عن مجلس الذكر، فقال العَلَم الدردير: (ولدي أحمدُ لا نظيرَ له أتى أو لم يَأتِ)، حتَّى بلَغ من الشيخ محمد عُبادة ـ وهو من أقران الشيخ الدردير في الأزهَر وابنُ بَلدته، ومِن جملة أشياخ الصاوي كما سبق ـ أن جعل الصاويَّ وسيلتَهُ لِلدخول لِقَلب الشيخ الدردير، ثمَّ بعدها كان يقول: (أَوَدُّ أن أُسلَب العلم والشهرة وتكونَ مَنزلتي عند الشيخ الدردير كمَنزِلَتك يا صاوي!)، وكان قد شاهد يوماً كيف أخذَ الصاوي عن الدردير ورداً خاصًّا، فقال: (لقد امتلأ قلبي وجسَدي نوراً من سماعي الذكر في أُذنِه، فكيف بمن أُدخل الذكرُ إلى قلبِه؟!).

بقي الصاوي مُلازماً لشيخه الدَّردير إلى آخِرِ لحظة من حَياته، وكان الشيخُ الدرير أيامَ مَرضه يسأل عنه، ويقول: أين وَلدي أحمد؟ فيَقولون: هو أسفلَ الدار، فأمَر بمجيئه، فصَعِد إليه، فقال له الشيخ: لمَ تأخَّرتَ يا ولدي؟ ثلاثة أيام وأنا مُشتاق إليك، فقال الحاضِرُون: إنَّه لم يَخرج من المنزل منذ أن حصَل لك المرض، فقال الشيخ: (إن متُّ لا أقطَع بأحد غير وَلدي أحمد).

مُجاهداته في طريق القوم:

يوماً لقَّن الشيخ الدردير جملةً من مُرِيديه ورداً خاصًّا، وكان بينَهم العلَّامة السيد خير الدين الغزي، فقال لهم: الطريقُ صعب، وهذا أوَّلُ قدَم يَضعه المريد فيها، فكونُوا على حالة طيِّبة، والزَموا الآداب، ولَما وصل الصاوي.. قال له: يا ولدي؛ ارفَقْ بنفسِكَ؛ إنَّ لبدنك عليك حقًّا، فقام الجماعةُ من عند الشيخ باكِين على أنفُسِهم؛ بِتَشديده عليهم، وتَخفيفِه على الصاوي.

فقد كان الإمامُ لا يأكلُ إلَّا لُقَيمات قليلة، ويُلازم الجوعَ مِنْ غير صَوم، فضلاً عن الصوم، ودخل الخَلوة بأمر شَيخه، فبقي ثلاث ليالٍ يَأكل قليلاً من الأرز، فاشتهت نفسُه طعاماً حُلواً، فأدَّبها بأن ترَك الطعام والشراب ثلاثَ ليالٍ، حتَّى صار يَسمع نفسَهُ حالَ الذكر تقول: يا مغيثُ؛ أَغِثنا، فإذا برجل يَطرُق الباب ومعه تمرٌ حسَن، فأخذه وأغلَق الباب، ولم يأكل، حتَّى عرَض في قلبه: شيء أتاك بلا طلَب؛ فكُله، فصار يَأكل في اليوم ثلاثَ تمرات لا يَزيد عليها!

وقد تأدَّب الإمام بِجُملة من طُرُق السادة الصوفيَّة؛ فقد تلقَّى الطريقةَ الخَلوتية عن شيخه الدردير، وعن الشيخِ عبد المُتعال الخراشي، والطريقةَ الشاذليَّة عن الإمام عبد الوهَّاب العفيفي، والخراشي أيضاً، والطريقةَ القادرية عن السيد أعرابي البيروني، وكذا الطريقةُ الدمرداشية عنه، بل وأخَذ جُملة الطرق الصوفيَّة عن الإمام محمد الأمير الكبير رحمه الله تعالى.

أخلاقُه وثَناء العلماء عليه:

ألسنةُ الخلق أقلامُ الحقِّ سبحانه وتعالى، قال السيد أحمد الششتي تلميذُ الإمام الصاوي في الكتاب السَّالف الذكر (مَناقب الصاوي): (اشتغل بالإرشاد إلى طريقِ الرشاد، وأنقذ الله به مُهَج العباد من الحسَد والبَغي والعِناد، فعمَّ نفعُه الحاضِر والباد).

ثمَّ إنَّ أستاذِي رضي الله عنه وعنَّا به شرَع يدعُو النَّاس إلى الله بحاله وقالِه، وحالُهُ مع عباد الله العطفُ والرَّأفة وعدمُ التشديد، يُرَبِّي أتباعه بالألحاظ في كلِّ الألحاظ، ويَدلُّهم على المقام الأعلى مِن أول قدَم، حتَّى فاح شذا عِطره في الأكوان، وانتشر سرُّه في جميع الوِديان).

وقال العلامة محمد ابن ظافر المدَني الأزهري المالكي في كتابه «اليَواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» (١/ ٦٤): (العلَّامة المحقق، والجِهبذ الفهَّامة الحبر المدقِّق، وحيدُ الزمان، وفريد العصر والأوان، قُدوةُ السالكين، ومُربي المريدين، شيخ الوقت والطريقة، العابرُ من المجاز إلى الحقيقة، لم أقف لَه على ترجمة، وأخذ رحمه الله تعالى عن سيدي أحمد الدردير، وسيِّدي محمد الأمير الكبير، ومَن في طبقتهما... إلى أن قال: وتُوفي بالمدينة المنوَّرة سنة إحدى وأربعين ومئتين وألفٍ رحمه الله تعالى).

وقال إمامُ أهل السنة في عصرِه العلَّامةُ يوسف النَّبهاني في كتابه «جامع كرامات الأولِياء»: (الشيخ أحمد الصاوي شيخُ الطريقة الخَلوتية، وأستاذُها الأعظَم في مصر، بعد شيخه الشيخ أحمد الدردير أستاذِها الأعظم في مصر، بعد شَيخه الشيخ محمد الحفني أستاذِها الأعظَم في مصر، بعد شيخه السيد مصطفى البَكري أستاذها الأعظَم ومُجددها الأكرَم، ولكلٍ منهم كراماتٌ كثيرة، وأعظمُها معرفتهم برب العالمين، وتسليكهم المريدِين الصادقين، وكلُّهم من أكابر العلماء والأولياء العارفين، رضي الله عنهم أجمعِين، ونفَعنا ببركاتهم آمين، وعنهم انتَشرت هذه الطريقة العليَّة في بلاد مصر والحجاز والشام والمشرِق والمغرب وسائرِ البلاد الإسلامية.

ومِن كرامات سيدي الشيخ أحمد الصاوي: ما ذكره صديقي العلامة الأكمل الشيخ حسين ابن الولي الكبير العارف الشهير سيِّدي الشيخ محمد الجسر الطرابلسي أحدِ أكابر خلفاء الشيخ أحمد الصاوي المذكور، قال الشيخ حسين المذكور في كتابه «نُزهة الفكر» الذي ألَّفه في مَناقب والده الشيخ محمد الجسر: وقد بلغني من كرامات سيِّدي الشيخ أحمد الصاوي قدَّس الله سرَّه وبشاراتِه بوالدي: أنَّه قبل أن يَرد خبر وفاةِ جدِّي والد الشيخ إلى مصر، قال سيدُنا الصاوي في حضور والدي ومَحفلٍ من إخوانه: أسمِعونا «الفاتحةَ» لروح الحاج مصطفى الجسر؛ يعني جدِّي! فجعل والدي يَبكي، فأخذ سيدنا الشيخُ الصاوي يُعزِّيه، ثمَّ إنَّه جعل يضرب ظهرَه بِيَده الكريمة ويقول له: أنت جسرٌ بإذن الله، أنت جسرٌ بإذن الله، ثمَّ بعد مُدَّة من الزمان ورَد لوالدي الخبرُ بوفاة والده رحمهم الله تعالى، هذا ولا يخفى أنَّه في ذلك الزمان لم يكن تِلغراف ولا بريد مُنتظم بين مصر والشام، انتهى كلام الشيخ حسين الجسر حفظه الله.

ومثلُ الشيخ أحمد الصاوي المذكور لا يحتاج لِلدلالة على وِلايته وكثرةِ فَضله بِنَقل كثير من كراماته؛ فإنَّه كان بإجماع المسلِمين من أكابِر أئمَّة العلماء العاملِين الهادين المهدِيِّين، وأئمَّة الأولياء العارفين المرشدين الكاملين، والله يَنفعنا ببركاتهم آمين).

وقال العلامة محمد مخلوف المالكي التونسي في كتابه «شَجرة النور الزَّكية في طبقات المالكية»: (أبو العباس، أحمد الصاوي الخَلوتي، الإمام الفقيه، شيخُ الشيوخ، وعُمدة أهل التحقيق والرُّسوخ، العلامة المحقق، الحبر الفهامة المدقِّق، قُدوة السالكين، ومُرَبي المريدين).

مؤلفاته:

خلَّف الشيخ الإمام الصاوي كتباً مُتنوعةَ العلوم كما سترى، وأكثَرُها على طريقة التحشية والشرح، وهي بحمد الله تعالى نافعةٌ بديعة، تتجلَّى في ثناياها كلماتُ العرفان وأهل الخصوصية، في ربطٍ وَثيقٍ لا ترى فيه إغراباً، وقد ورَدت أسماء مُؤلَّفاته في «مناقب الصاوي» مع بيان دَواعيها وموضوعاتها:

- «الأسرار الرَّبانية والفُيوضات الرحمانية على الصلَوات الدرديرية».

- «الفرائد السنية على مَتن الهمزية»، شرَح فيها همزيةَ الإمام البوصيري رحمه الله تعالى.

- «شرح تُحفة الإخوان في عِلم البيان» والأصلُ لِشَيخه الدردير.

- «بُلغة السالك لأقرب المسالك»، وعُرف بـ«حاشية الصاوي على الشرح الصغير»، والشرح الصغير هو شرحُ شَيخه الدردير لِكتابه «أقرب المسالك لمذهَب الإمام مالك».

- «شرح مَنظومة أسماء الله الحسنى»، والأصل أيضاً لِشَيخه الدردير.

- «حاشية على شرح الخريدة البَهيَّة»، ومَنظومةُ «الخريدة البهية» وشرحُها كلاهما لشيخه الدردير.

- «شرح لمنظومة جوهرة التوحيد»، والأصلُ لِلعلامة إبراهيم اللَّقاني رحمه الله تعالى.

- «رسالة في الرد على مُنكري كرامات الأولياء»، ألَّفها في ليلة واحدة، وكان الداعي لتأليفها إنكارَ رجل للكرامات في حضرة الشيخ الدردير، وقد سَمعها الدردير وقال: كأنَّه كتَبها من صدري، وهذه الرسالة أوَّل ما ألَّفه رحمه الله تعالى.

- «رسالة في الجهاد».
- «شرح جليل على دعاءِ يس».
- «تقريرات على دَلائل الخيرات».
- «رسالة فيما للخَلوة من شُرُوط وآداب».
- «حاشية على مُختصر البخاري».
- «حاشية على قَصيدة بانَت سعاد».
- «حاشية على مَولد شيخه الدردير».
- «رسالة في شرح البَسملة».
- «حاشية على تفسير القاضي البَيضاوي».
- **«حاشية على الجلالَين»، وهي التي بين أيدِينا.**

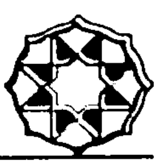
وفاته رضي الله عنه:

شدَّ الإمام رِحاله لِلحج في سنة (١٢٤٠هـ)، وكان معَه كَوكبة من تلاميذه ومُحِبِّيه، وكان في أيامِه هذه كثيراً ما يُردِّد: (الوقت قرُبَ وحبيبي دَعاني)، وكان هذا الكلام سببَ كرب أصحابه.

ثمَّ إنَّه أتمَّ مناسك الحج، وعجَّل بالزيارة للمَقام الأفخم، والقبرِ المعظَّم في المدينة المنورة، وما هي إلَّا أيَّام حتَّى تمرَّض هناك، وفي السابع من شهر الله المحرَّم في مُستهَلِّ سنة (١٢٤١هـ) لبَّى نداء حَبيبه الأوحَدِ سبحانه وتعالى، وكان هذا في رِياض المدينة المنورة على ساكِنِها أفضَلُ الصلوات الزاكِيات وأطيَبُ التَّسليمات.

رحمه الله تعالى، وأعاد علينا جميعاً من أحوالِه وبرَكاته ما تَبتَهِجُ بِه القُلوب آمين.

✿ ✿ ✿



منهج العمل بالكتاب

لا تخفى المكانةُ العِلمية التي عليها هذه الحاشية المباركة، نظراً لِمَكانة مؤلفها ومنهجه وطريقته، ولا سيَّما أنه كان في حِقبة زمنيَّة ظهَرت فيها النَّابتةُ خوارج هذا العصر، فتراه رحمه الله يُنبِّهُ عِند أدنى مُناسبة على عظيم خطَرِهم على أهل الحق، وجماعةِ المُسلمين.

ولِزَمنٍ ليس ببعيد عنَّا كان للطبعات القديمة لهذه الحاشية ـ وعلى رأسها المطبعة العامرة ـ الفضلُ في بيان هذه المواضع التي يُحذِّرُ فيها إمامُنا الصاوي رحمه الله من هذا الخَطَر الجسيم، **ولكنَّنا مع حُرقةٍ في الفؤاد لا نَجد لِهَذه المواضع أثراً في الطبَعات الحديثة على كثرَتِها!**

فكان من أوجَب الواجبات الرجوعُ إلى نُسَخٍ مَوثوق بها، وطبَعات قديمة سليمة من التحريف، ضِمنَ عمل تحقيقيٍّ رَصين، يَضعُ الأمانة العِلمية بين عينَيه؛ لِنَتعرَّفَ على أسباب هذا الغياب.

فكان من مَنهج العمل في هذه الحاشية المباركة:

ـ مُقابلةُ الحاشية على النُّسَخ الخطية المعتمَدة، ولا سيما تلك المواضعُ التي غابَت في الطبعات الحديثة.

ـ إثباتُ فُروق النسخ المُهمَّة، وهي قليلة.

ـ حصرُ الآيات القُرآنية بين قوسَين مُزهِرَين ﴿ ﴾، وجعلُها برَسم المُصحَف الشريف برواية حفصٍ عن عاصِم في جَميع المواضِع التي في الحاشية، متى أمكَنَ ذلك ولم يَفُتِ الاستشهادُ المقصودُ منها، وعلى هذا جَرَينا فِيما وافقَ روايةَ حفصٍ مِن «تَفسير الجلالَين»، وأمَّا ما خالَفَها ووجَب التعرُّضُ له ـ ممَّا جاء على قراءةِ أبي عمرٍو التي عليها نُسَخ «الجلالَين» غالباً، أو على قراءةِ غيرِه ـ فرَسمناهُ على ما اقتَضَته تلك القراءةُ مُوافقاً لِرَسم المُصحفِ في الغالب، وبِالخط العاديِّ قليلاً. هذا، ولم نَلتَفِت لِما لا تَدعُو إليه الحاجةُ، كياءات الإضافة، ومَواضِع الإمالةِ، وتسكين هاء ﴿وهو﴾، فليُعلَم!

ـ تخريجُ القراءات في الآيات الكريمة، وبيانُ أصحابِها بالرجوع إلى مَصادر المؤلف، ولا سيَّما «الدُّر المَصون»، و«السراج المُنير».

- تخريجُ جميع الأحاديث الشريفة، والأخبارِ والمَرويات، وعَزوُها إلى المصادر الحديثيَّة، مع التنبيه على الإسرائيليَّات منها، وبيانِ ما يُقبَل منها وما يُرَد.

- عزوُ النُّقول إلى مصادرها الأُم حسَبما بيَّنه المؤلف رحمه الله في مُقدمته.

- شرحُ الغريب، وضبطُ المشكِل وبَيانه.

- التَّعليق على المسائل العِلميَّة، ولا سيَّما اللغوية منها والنحوية؛ محاولةً لإغناء البحث، وزيادة في الاستشهاد.

- نِسبةُ الأبيات الشعرية إلى بُحورها مع تخريجها من كُتب الأدب واللغة.

- ترصيعُ الكتاب بعلامات الترقيم المناسبة وَفقَ المنهج المتَّبَع في الدار.

- وضعُ المُقدمات اللائقة بالحاشية؛ مِن بيان مصادر المؤلف، وتَرجمته رحمه الله تعالى، وبيانِ حكم الإسرائيليات في كتب التفسير، والقراءةِ المُعتمَدة عند الجلالَين.

تنبيهان:

الأول: قدَّمنا تفسيرَ الفاتحة وما يَتعلَّق به من الكلامِ إلى أوَّل الكتاب قبل (البقرة) مُوافقةً لترتيبِ المُصحَفِ الشريف، وإن كانَت في الأصل في آخرِ الكتاب بعد سُورة (الناس)؛ لِما تَقرَّرَ مِن أنها من تَفسيرِ الجلال المحلِّي لا من تَتِمَّة الجلالِ السُّيوطي.

الثاني: جعَلنا أرقام الآياتِ في التفسير في أوائلِها تسهيلاً على القارئ في الوُصول إليها؛ إذ تأخيرُها إلى نهاية الآيةِ ممَّا يَتعسَّر معه ذلك، ولا سيَّما مع طُول الآيةِ وإطالةِ المفسِّر للكلامِ فيها. ورُبما جمَعنا بين رقمَين لآيتَين؛ سواءٌ تَوالتَا أم لا، وهو كثيرٌ جدًّا في النصف الثاني من التفسير؛ لِقِصَر الآيات، أو تكرارِها وسُكوتِ المفسِّر عنها، بحيثُ إنَّ إثباتَها في سَطر مُستقِلٍّ وحدَها يُؤدِّي إلى زيادةٍ في حجم الكتاب، وإلى تَقطيعِ أوصال الآيات، من غير داعٍ إلى ذلك.

وختاماً:

أسألُكَ يا الله يا رحمنُ بِجَلالك ونُور وجهك؛ أن تُنوِّرَ بكتابك بصَري، وأن تُطلِقَ به لِساني، وأن تُفرِّج به عن قلبي، وأن تَشرحَ به صدري، وأن تَغسِلَ به بدَني؛ فإنه لا يُعينني على الحق غيرُك، ولا يُؤتيه إلا أنت، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتبه المفتَقر إلى رحمة مَولاه المجيد

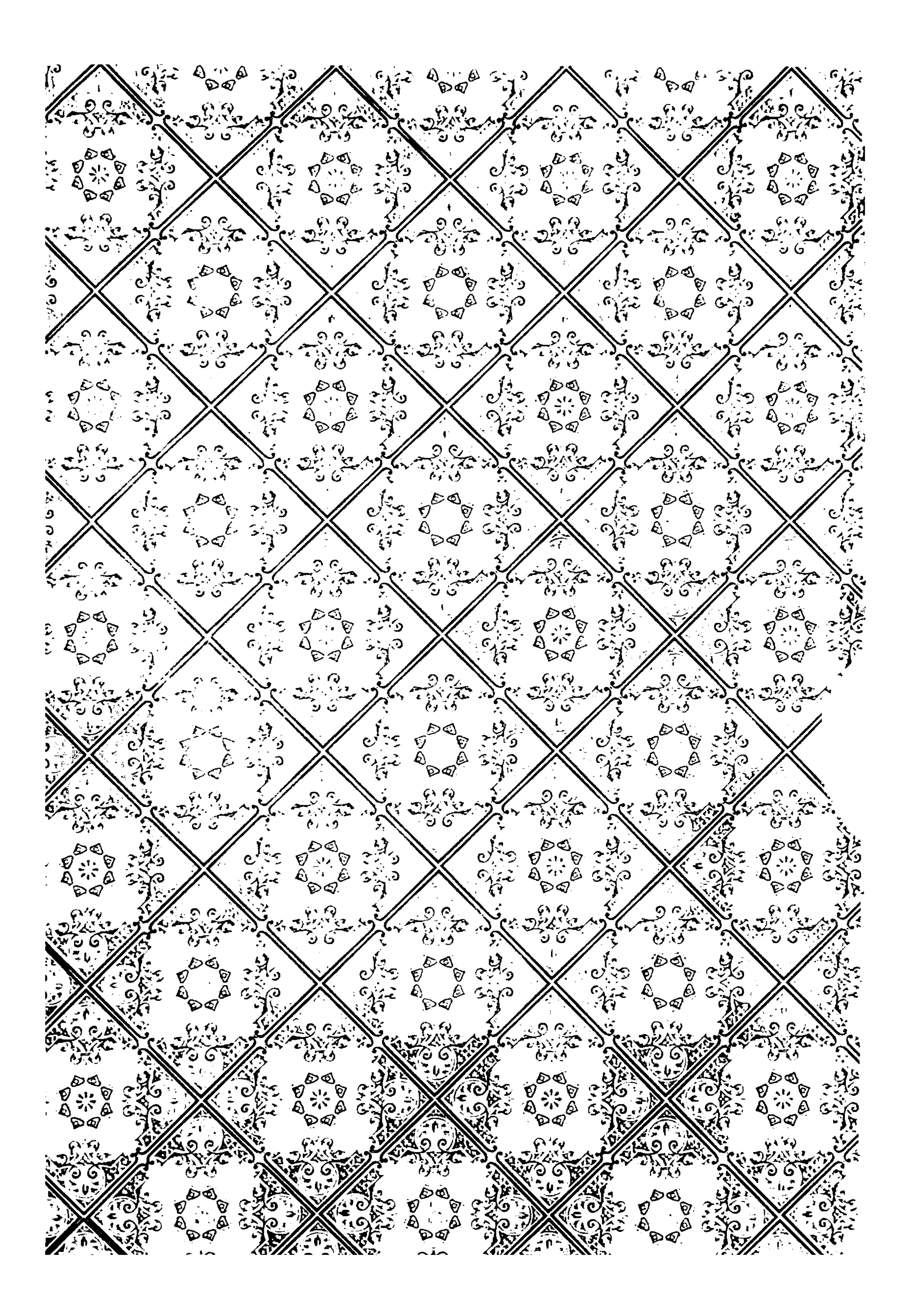
مرعي حسن الرشيد

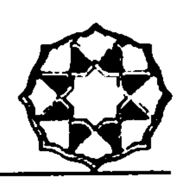
في دمشقَ المحروسة، الجمعةَ،

العاشر من شهر شعبان، ١٤٤٤هـ

الموافق ٣/ ٣/ ٢٠٢٣م

✿ ✿ ✿





وصف النُّسخ الخطية

تمَّ بفضل الله وتَوفيقه اعتمادُ نُسختين خطيَّتَين نَفيستين، ومطبوعةٍ قَديمة سليمة من التحريف والتبديل، وهذه النُّسَخ هي:

النُّسخة الأولى

نُسخة المكتبة الأزهرية بمصر، ذات الرقم (٦٨٧/ ٤٦)، وهي نسخةٌ تامَّة، كُتِبَتْ بخطِّ نسخيٍّ حسنٍ، ووَقعت في مجلدتين، حوَتِ المُجلدة الأولى (٦٤٤) ورقةً، والثانية (٥٩٤) ورقة، **وكُتِبَتْ** سنة (١٢٣٠هـ) أي: بعد الانتهاءِ من تأليف الحاشية بسنتَين.

وناسخُها: هو قاسم بن حميدة ابن السيد غازي الششتي المالكي، من أتباع المؤلف رحمه الله وتَلاميذه.

وتَميَّزت هذه النسخة بأنها نُقِلت من نسخة المؤلف رحمه الله، وعلى هامشِها تصحيحات وتَصويبات بخطِّه، وفي بعض المواضع منها عباراتٌ قد شُطب عليها بقلم المؤلف كذلك.

ورُمز لها بـ(أ).

النسخة الثانية

نُسخة المكتبة المركزية بجامعة محمَّد بن سعود الإسلامية بالرياض، ذات الرقم (٤٣٠)، وهي نُسخة للجزء الرابع من الحاشية.

وكُتِبت بخطِّ نسخي حسَن، ووَقعت في (٤١٦) ورقة، **وكُتبت سنةَ (١٢٧٦هـ)**، وحَظِيَت بعناية ناسخها الذي لم يَذكر اسمه.

وجاء على ورقة العنوان منها: «**حاشية الشيخ الصاوِي على تفسير الجلالَين**».

ورُمز لها بـ(ب).

المطبوعة القديمة

المطبوعة العامرة الشرفية، الطبعة الأُولى (١٢٩٥هـ)، وقد قُوبِلت على نُسَخ مُعتمَدة مَوثوق فيها، يَظهر ذلك بسلامتها من التحريف والتغيير الذي وَقع عند الحديث على خوارج العصر، وقد حُذفت هذه المواضع من النُّسَخ المطبوعة الحديثة، والله المُستعان.

وقد رُمز لهذه النسخة في الهوامش بـ(ط٢).

وكذلك كان لِلاستئناس أثناء العمل **نُسخة المطبعة الأزهرية بمصر، مصطفى البابي** الحلبي وأولاده، الطبعة الأُولى (١٣٤٥هـ)، وفي كِلتا المطبوعتَين كان «تفسيرُ الجلالين» على الهامش.

✿ ✿ ✿

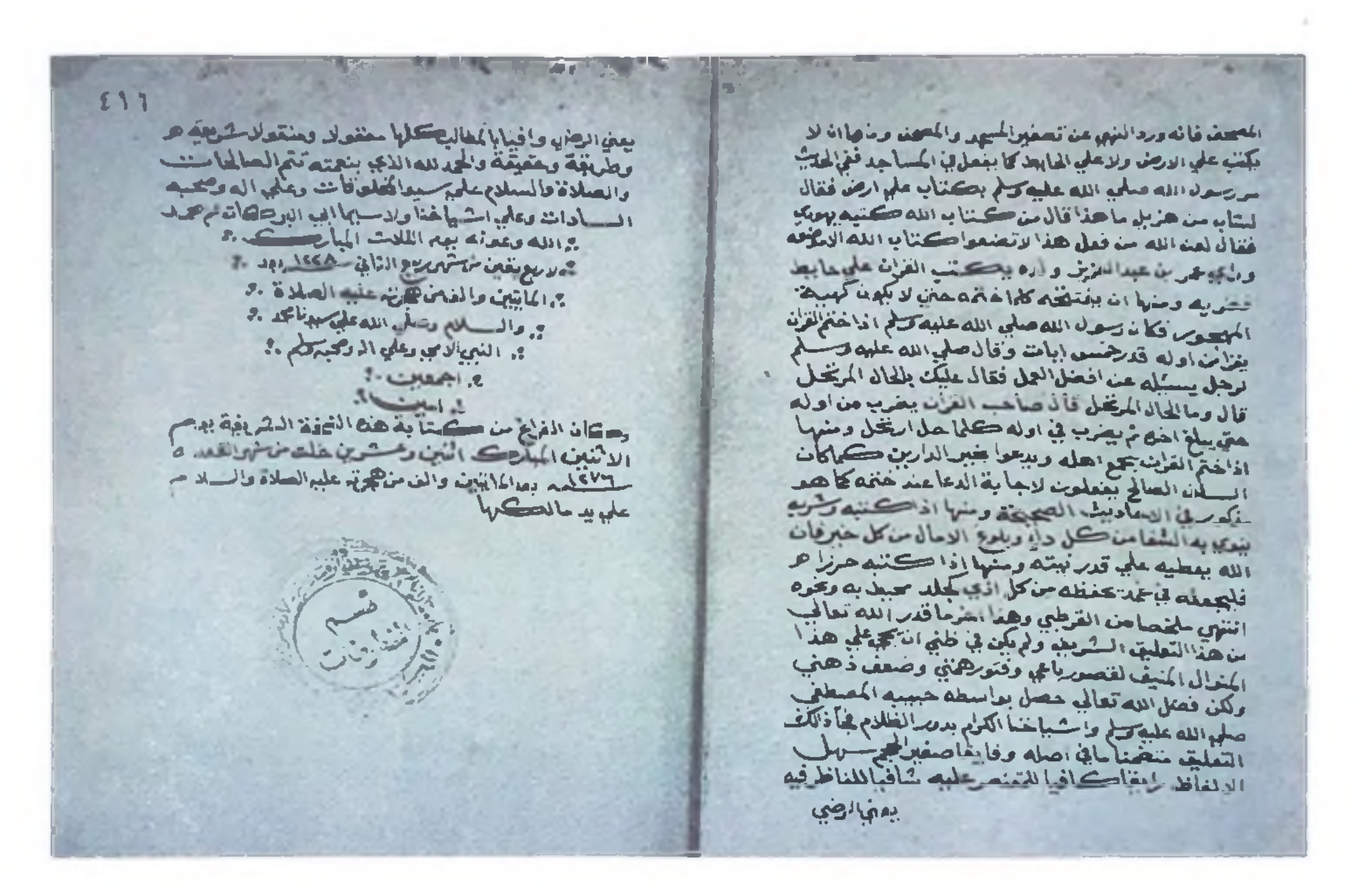


صور المخطوطات المستعان بها

راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)

راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)

راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



مقدمة العلامة الصاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي أنزلَ الفرقان مُصدِّقاً لما بين يدَيه هدًى وبُشرى لِلمتقين، قرآناً عربيًّا غيرَ ذي عِوَج موعظةً وذكرى لِلمؤمنين.

وأشهَد أنْ لا إله إلا الله وَحده لا شريكَ له، شهادةً نَدخل بها الفردوس آمنِين، وأشهَد أن سيدنا محمداً عبدُه ورَسوله الصادقُ الأمين، المنزَّلُ عليه الكتابُ منه آياتٌ محكماتٌ هنَّ أمُّ الكتاب وأُخَر متشابِهات، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آلِه وأصحابه الذين أُوتوا العِلم دَرجات.

وبعدُ: فيقول العبدُ الفقير الذَّليل، أحمدُ بن محمد الصاويُّ المالِكي الخَلوتي:

لمَّا كان عِلم التفسير أعظمَ العُلوم مقداراً، وأرفعَها شرفاً ومَناراً؛ إذ هو رئيسُ العُلوم الدينية ورأسُها، ومبنى قواعدِ الشرع وأساسُها، وكان كِتاب «الجلالَين» من أجلِّ كُتب التفسير، وأجمعَ على الاعتناء به الجَمُّ الغَفير من أهل البصائر والتَّنوير، وجاءني الداعي الإلهيُّ بِقراءته؛ فاشتغلتُ به على حسَب عَجزي، وَضعتُ عليه كتابةً مُلخَّصة من حاشِية شيخِنا المحقق المدقِّق الوَرِع الشيخ سُليمانَ الجملِ[1]، مع زوائدَ وفوائد فَتح بها مَولانا من نُور كتابه.

وإنما اقتَصرتُ على تلخيص تِلك الحاشية؛ لكوني وَجدتها ملخَّصة من جميع كُتب التفسير التي بأيدِينا، تُنسَبُ لِنحو عشرين كتاباً[2]؛ منها: «البيضاوي» وحَواشيه، وحَواشي هذا الكتاب، ومنها: «الخازِن»، و«الخطيب»، و«السَّمين»، و«أبو السعود»، و«الكَواشي»، و«البَحر» و«النهر» و«الساقِيَة»، و«القُرطبي»، و«الكشَّاف»، و«ابن عطيَّة»،

(١) انظر ترجمته في المقدمات (١/ ١٦).

(٢) انظر الحديث عن منهج المصنف في حاشيته، والتعريف بهذه الكتب في المقدمات (١/ ١٦-٢٤).

و«التحبير»، و«الإتقان»، ولم أَنسب العبارات لأصحابها غالباً اكتفاءً بِنِسبة الأصل، والله على ما أقولُ وَكيل[(١)].

قد تلقَّيتُ هذا الكتابَ من أوَّله إلى آخره[(٢)] عن العلامة الصوفي سيِّدي الشيخ سليمانَ الجملِ، وعن الإمام أبي البركات العارِف بالله تعالى أستاذِنا الشيخِ أحمدَ الدّردير، وعن أستاذنا العلامة الشيخ الأمير، وكلٌّ من هؤلاء الأئمةِ تلقَّاهُ عن تاج العارفين شَمس الدين سيدي محمد بن سالم الحفناوي، وعن الإمام أبي الحسن سيِّدي الشيخ علي الصّعيدي العَدَوي، والشيخ الحفناوي تلقَّاهُ عن العلامة سيدي محمد بن محمد البُدَيري الدمياطي الشهير بابنِ الميت، وهو عن نُور الدين سيدي علي الشَّبْرامَلِّسي، وهو عن الشيخ الحلبي صاحبِ «السِّيرة»، وهو عن خاتمة المحقِّقين سيدي علي الأُجْهُورِي، وهو عن البرهان العَلقَمي، وهو عن أخِيه شمس الدين محمد العَلقمي، عن الجَلال عبد الرحمن السُّيوطي.

وأما سَندُنا للجلال المحلِّي فهو بِعَينه إلى الإمام الحلبي، وهو عن الإمام الزيادي، عن الشيخ الرَّملي، وهو عن شيخ الإسلام زكريَّا الأنصاري، عن الجلال محمد بن أحمد المحلِّي، رضي الله عَنهم ونفَعنا بهم.

وُلد السيوطي سنةَ ثمانِ مئة وتِسعة وأربعين، وتُوفي سنة تسعِ مئة وثلاثةَ عشر، فعاشَ أربعاً وسِتين[(٣)].

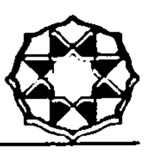
✿ ✿ ✿

---

(١) في (ط١) زيادة: (وهو حسبي وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى).

(٢) أراد كتاب «الجلالين».

(٣) تفرَّد المصنف رحمه الله برواية سنة وفاة الإمام السيوطي هذه، والصحيح كما سبق في المقدمة: أنه توفي سنة (٩١١هـ)، وعليه يكون قد عاش قرابة اثنتين وستين سنة.



مُقدمة

يَنبغي لكلِّ شارع في فنٍّ أن يَعرف مبادئَه العشرة؛ لِيَكونَ على بصيرة فيه، وهي: حَدُّه، وموضوعه، وواضِعه، واستِمداده، واسمه، وحُكمه، ومسائله، ونِسبته، وفائدته، وغايَته.

فحدُّ هذا الفن: علمٌ بأصولٍ يُعرف به مَعاني كلام الله على حسَب الطاقة البَشرية.

وأما معناه لغةً فمَأخوذ من: الفَسْر؛ وهو: الكَشف.

ومَوضوعُه: آيات القرآن من حيث فهمُ مَعانيها.

وواضعُه: الراسِخون في العلم من عَهد النبي إلى هنا على التحقيق؛ كما شَهد الله بذلك.

واستِمدادُه: من الكتاب والسنة والآثار، والفُصحاءِ من العرب العَرباء.

واسمُه: علمُ التفسير.

وحكمُه: الوجوبُ الكفائي.

ومَسائلُه: قضاياه من حيث الأمرُ والنهي والموعِظة . . . إلى غير ذلك.

ونِسبتُه: أنه أفضلُ العُلوم الشرعية وأصلُها.

وفائدتُه: المعرفةُ بمعاني كلام الله على الوَجه الأكمل.

وغايتُه: الفوزُ بِسعادة الدارَين؛ أما الدنيا فبِامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وأما الآخرة فبالجنة ونَعيمِها، ولذلك يُقال له: «اقرأْ وارقَ»[1].

واعلَم: أن القرآنَ نزل ليلةَ القدر جُملة واحدةً إلى سماء الدنيا، في مكان يُقال له: بيتُ العزَّة[2]، على هذا الترتيب الذي نَقرؤه؛ فإنه توقيفي، ثم نزلَ على النبي في ثلاث وعِشرين سنة على حسَب الوقائع؛ لِقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣][3]، لكن لا على هذا الترتيب؛ فإنه نَزل عليه ثلاثٌ وثمانون سورةً بمكةَ؛ أي: قبل الهجرة، وبالمدينة إحدى وثلاثون على التَّحقيق[4].

---

(١) رواه أبو داوود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤، ٢٩١٥) واللفظ له، والضمير عائد على صاحب القرآن.

(٢) كما روى ذلك النسائي في «السنن الكبرى» (٧٩٣٧) موقوفاً على ابن عباس ﵄.

(٣) كما روى ذلك أيضاً النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٠٨) موقوفاً على ابن عباس ﵄.

(٤) أوردها مرتبة صاحب الأصل العلامة الجمل في «حاشيته» (١/ ٣).

فأوَّلُ ما نزل بمكة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وآخرُ ما نزل بها قيل: (العنكبوت)، وقيل: (المؤمنون)، وقيل: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾.

وأوَّلُ سُورة نزلت بالمدينة (البقرةُ)، وآخرُ سُورة نزلت بها (المائدة).

وهناك بعضُ سُوَر اختُلفَ فيها؛ منها (الفاتحة)، ويمكن تكرارُ نزولها[1].

وأما أوَّلُ آية نزلت على الإطلاق: فـ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١][2]، وآخرُ آية على الإطلاق: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١].

واعلَم أيضاً أن القرآن يَنقسم أربعة أقسام:

قسمٌ فيه الناسخ والمنسوخ؛ وهو خمسةٌ وعشرون سُورة، وقِسم فيه المنسوخُ فقط؛ وهو أربعون سورة، وقسمٌ فيه الناسخ فقط؛ وهو ستُّ سُوَر، وقسم لا ناسخ فيه ولا منسوخَ؛ وهو ثلاثٌ وأربعون سورة، وأغلبُه من الربع الأخير.

وعِدَّةُ حروف القرآن: ألفُ ألفٍ وخمسةٌ وعشرون ألفاً، ودَرَجُ الجنة على قَدْر ذلك، وبين الدرجتَين خمسُ مئة عام.

وعِدَّةُ آياته: ستةُ آلافٍ وستُّ مئة وستةٌ وستون، ونصفُهُ بحسَب الآيات قولُه تعالى في سورة (الشعراء): ﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥]، ونصفُهُ بحسَب الحروف في قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٤]، فالنون من النصف الأول، والكافُ من النصف الثاني.

وعِدَّةُ كلماته: سبعةٌ وسبعون ألفاً وأربعُ مئة وخمسون كلمةً، كلُّ كلمة لها أربعة عُلوم: علمٌ بحسَب ظاهِرها، وعلمٌ بحسَب باطنها، وعلمٌ بحسَب حدِّها، وعلمٌ بحسَب مَقطعِها، وإن نظرتَ إلى تناسبها مع ما قبلها وما بعدها زادت كثيراً.

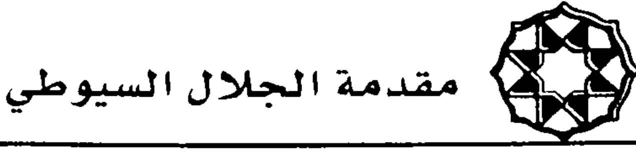
وترتيبُ السور هكذا تَوقيفيٌّ، وأما وَضْعُ أسمائها في المصاحف، وتَقسيمُه إلى أعشارٍ وأرباع وأثلاث، وأجزاء وأحزاب، فمِن الحجَّاج الثقفي بأخذٍ عن الصحابة في وَضع أسماء السُّور، وباجتهادٍ منه في تقسيمه إلى ما ذُكر؛ ولذلك تجد ابتداءَ الربعِ وَسَطَ قِصة.

✿ ✿ ✿

---

(١) على قول من قال: إنها نزلت مرتين؛ مرةً بمكة، ومرة بالمدينة، وذلك تعظيماً لها. انظر «تفسير الثعلبي» (١/ ٩٠).

(٢) كما رجح ذلك الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٩٩)، قال بعد سَوقه حديث بدء الوحي: (هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف، وقيل: أوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، وليس بشيء).



مقدمة الجلال السيوطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله حَمداً مُوافِياً لِنِعَمِه، مُكافِئاً لِمَزِيدِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمد

حاشية الصاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: (الحمدُ للهِ... إلخ)[1] افتتحَ رحمهُ الله كتابه بهذه الصيغةِ لأنها أفضَل المحامِد كما ورَد[2]، وهي مُقتبسةٌ من قوله ﷺ: «الحمدُ لله حمداً يُوافي نِعمَهُ ويكافئُ مَزيده»[3]، وقد غيَّرَ المصنف الحديثَ بعضَ تغيير، وهو مُغتفَرٌ في الاقتباس.

قوله: (موافياً لِنعمه) أي: مقابلاً لها؛ بحيث يكون بِقَدْرها، فلا تقع نعمةٌ إلا مقابَلَةً بهذا الحمد، وهذا على سَبيل المبالغة بحسَب ما تَرَجَّاه، وإلا فكلُّ نعمة تحتاج لِحَمد مستقلٍّ.

قوله: (مكافئاً لِمزيده) أي: مماثلاً ومساوياً له، والمزيد: مصدر مِيميٌّ من: زادَهُ الله النعمَ، والزيادة النُّمو، وبابه: باع، ويُستعمل متعدياً ولازماً؛ يُقال: زاده اللهُ خيراً، وزادَ الشيءُ، والمعنى: أنه ترجَّى أن يكون الحمد الذي أتى به مُوفياً بحق النِّعَم الحاصِلة بالفعل وما يزيدُ منها في المستقبل.

قوله: (على محمد) في نُسخة: (على سيِّدنا محمد)، وعليها: فعطف (وآله) وما بَعده على (سيدنا)، لا على (محمد)؛ لِما يلزمُ عليه من إبدال (محمد) وما عُطف عليه من (السيِّد)، وهو في نفس الأمر مُحمد فقط.

---

(١) هذه المقدمة للإمام السيوطي رحمه الله تعالى، فهو مفسِّر النصف الأول خَلا الفاتحة، فهي والنصف الثاني من تفسير المحلِّي رحمه الله تعالى، وسبق بيان ذلك في المقدمات (١/ ٨).

(٢) فيما لو نَذر أو حلف ليأتين بأفضل المحامد، فإن قال هذا فقد بَر، انظر «الفواكه الدواني» (١/ ١١)، و«نهاية المطلب» (١٨/ ٤١٥)، وهو موضع اجتهاد، ورجح ابن حجر الهيتمي أنه يبر بـ(يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سُلطانك)، قال: (بل ينبغي أن يتعين؛ لأنه أبلغ مَعنى، وصح به الخبر). انظر «تحفة المحتاج» (١٠/ ٥٢).

(٣) قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢٥٢٤): (قال ابن الصلاح في كلامه على الوسيط: ضعيف الإسناد منقطع، غير متصل)، وهو من كلام محمد بن النضر، قال: «قال آدم: يا رب شَغلتني بكسب يدي، فعلمني شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح، فأوحى الله إليه: يا آدم: إذا أصبحت فقل ثلاثاً، وإذا أمسيت فقُل ثلاثاً: الحمد لله رب العالمين حمداً يُوافي نعمه، ويكافئ مزيده، فذلك مجامع الحمد والتسبيح»، ثم قال: (وهذا مُعضل).

وآلِه وصحبِه وجُنودِه.

هذا ما اشتَدَّتْ إليه حاجة الرَّاغِبين في تكمِلَةِ تفسيرِ القُرآن الكريم ....

حاشية الصاوي

قوله: **(وجنوده)** جمع جُنْد، اسم جنس جمعي، يُفرَّقُ بينه وبين واحده بالياء على خِلاف الغالب، والياء في المفرَد[1]، والمراد بجنده: كلُّ مَن يُعين على الدين بالقتال في سَبيل الله، أو بتقرير العلم وضبطِه، أو بِتعمير المساجد، أو بغير ذلك، مِن عَصره ﷺ إلى آخرِ الزمان.

قوله: **(هذا)** هي بمنزلة (أما بَعد)، وبمنزلة (أيضاً) في أن كلًّا منهما اقتضابٌ مَشُوب بتخلُّص؛ لأن الكلام الثاني ـ وهو المقصود ـ مُقتَطَع عن الكلام الأول الذي هو الخطبة، لكِنْ فيه نوع مُناسبة من حيث إنه سببُ التأليف، والمقصود أمرٌ ذو بالٍ، وقد نَدب الشارع لِلابتداء فيه بالبسملة والحمدلة والصلاةِ على النبي، فحَصَلت المناسبة، ولكنها ليست كلية، وآثرَها على (أما بعد) ـ وإن كانت الواردةَ ـ لاختصارها. واسمُ الإشارة عائد إمّا على المعاني، أو الألفاظِ، أو النُّقوش، أو المعاني والألفاظ، أو النُّقوشِ والمعاني، أو النقوش والألفاظ، أو الثلاثةِ، احتِمالاتٌ سبعة، المختارُ منها: عَوْدُهُ على المعاني المستَحضرة ذهناً؛ سَواءٌ قلنا: إن الخطبة مُتقدمةٌ على التأليف أو متأخرة. وفي الكلام استعارة تصريحية أصلية؛ حيث شبَّهَ المعقولَ بالمحسوسِ، واستعارَ اسمَ المشبَّهِ به ـ وهو اسمُ الإشارة ـ لِلمشبَّه.

قوله: **(ما اشتدَّت)** (ما): واقعةٌ على المعاني الذهنية كما هو المختارُ من الاحتِمالاتِ المتقدمة، وعبَّرَ بـ(اشتدَّتْ) دُون (دَعَت) إشارةً إلى أن حاجتهم بلَغَتْ حدَّ الضرورة؛ لِمزيد احتياجهم إلى هذه التكملة، وذلك أن تفسيرَ النصفِ الثاني قد احتَوى على المعنى العزيز، وانطَوى على اللفظ الوجيز، فلم يَنسُجْ أحدٌ على مِنواله.

قوله: **(الراغبين)** أي: المحبِّين والمريدين لِتَكميل هذا الكتاب بالتأليف، وتُستعمل الرغبة مُتعدية بنفسها وبـ(في) في المحبة والمَيل، ومتعدية بـ(عن) لِلزهد في الشيء والكراهية له.

قوله: **(تفسير القرآن)** المرادُ منه: ما يعمُّ التأويل، والفَرْقُ بينهما: أن **التفسير** هو التَّوضيح لِكلام الله أو رَسوله أو الآثار أو القواعد الأدبية العقلية، وأما **التأويل** فهو أن يكون الكلام محتملاً لِمَعانٍ، فتَقتصرَه على بعضها، كما في ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

(١) فمفرد جند: جُندي، واسم الجنس الجمعي يفرَّق بينه وبين واحده بياء النسب كما مُثِّل، وبتاء الوحدة وهو الغالب؛ كتمر وتمرة.

الَّذي أَلَّفَهُ الإمام العلَّامة المحقِّق جلال الدين محمد بن أحمد المحلِّيّ الشَّافعيّ رحمه الله، وتتميم ما فاتَهُ، ....

حاشية الصاوي

والقرآنُ في اللغة: مأخوذ من القَرْءِ، وهو الجَمع، وفي الاصطلاح: اللفظُ المنزَّلُ على النبي، المتعبَّدُ بتلاوته، ووَصفه بالكريم؛ لأن نفعَه ليس قاصراً، بل عمَّ الخلقَ جميعاً في الدنيا والآخِرة.

واعلَمْ: أن المدرسين وإن تبايَنت مَراتبُهم في العلم ثلاثةُ أصناف:

الأول: مَنْ إذا درس آيةً اقتصرَ على ما فيها من المنقُول، وأقوالِ المفسِّرين، وأسباب النزول، والمناسَبة، وأوجهِ الإعراب، ومَعاني الحروف.

والثاني: مَنْ يأخذ في وُجوه الاستنباط منها، ويستعملُ فِكره بمقدار ما آتاه الله من الفهم، ولا يَشتغل بأقوال السابِقين؛ اعتماداً على كونها موجودةً في بُطونِ الأوراق لا معنى لِذِكرها.

والثالث: مَنْ يرى الجمعَ بين الأمرَين، والتحلِّيَ بالوصفين، ولا يخفى أنه أرفَعُ الأصناف، ومن هذا الصنف الجلالُ المحلِّي والجلالُ السيوطي رضيَ الله عنهما وعنَّا بِهما.

قوله: (الذي أَلَّفَه) صِفة للتفسير مخصِّصةٌ له.

قوله: (الإمام) هو لغةً: المقدَّم، واصطلاحاً: مَن بَلغ رتبةَ أهلِ الفضل.

قوله: (العلَّامة) مبالغةٌ في العِلم، ومعناه: الجامعُ بين المعقول والمنقُول بأبلغِ وجه.

قوله: (المحقِّق) أي: الآتي بالأدلَّة على الوجه الحَقّ.

قوله: (جلال الدين) لَقبٌ له، ومعناه: ذو جَلالة في الدين، أو مُجِلٌّ ومعظِّم له؛ لأنه شيَّدَهُ وأظهرَ قَواعده.

قوله: (محمد) هو اسمه، وقولُه: (ابن أحمد) اسمُ أبيه.

قوله: (المحلِّي) بفتح الحاء، نِسبة لِلمحلَّة الكبرى، مدينةٌ من مُدُن مصر مشهورة، وُلد سنة سبع مئة وإحدى وسبعين، وتوفي سنة ثمانِ مئة وأربعة وستين، فعُمره ثلاثٌ وسبعون، وقبرُه قُبالةَ باب النصر مشهورٌ.

قوله: (الشافعي) نِسبة للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس.

قوله: (وتتميم) بالرفع عطفٌ على (ما) في قوله: (ما اشتدَّت إليه حاجة الراغبِين)، أو بالجرِّ عطفٌ على قوله: (في تكمِلة تفسير القرآن)، وذكَره ـ وإن عُلم ممَّا قبلَهُ ـ تَوطئةً للأوصاف التي ذكَرها بقوله: (على نمطه... إلخ). وفي التعبير بالتَّتميم تسمُّحٌ؛ من حيث إنَّ ما أتى به السيوطي تتميمٌ لما أتى به المحلِّي، لا لِما فاته؛ إذ الذي فاته هو نفسُ ما أتى به السُّيوطي.

وهو من أوَّلِ «سُورة البقرة» إلى آخر «الإسراء»، بتتمةٍ على نَمطِه، من ذكرِ ما يُفهَم به كلام الله تعالى، والاعتمادِ على أرجحِ الأقوال، وإعرابِ ما يُحتاجُ إليه، وتنبيهٍ على القراءات المُختلِفة المشهورة، ....

حاشية الصاوي

وقوله: (**وهو من أوَّل... إلخ**) الضمير راجع لـ(ما فاته)، أو لِلتتميم؛ لما علمتَ أن ما فاته والتتميمَ مصدوقُهما واحدٌ، وهو تفسيرُ السيوطي.

وقوله: (**من أوَّل سُورة البقرة... إلخ**) أي: وأما (الفاتحة) ففسَّرها المحلِّي، فجعلها السيوطي في آخرِ تفسير المحلِّي؛ لِتكون مُنضمَّة لتفسيره، وابتدأ هو من أوَّل (البقرة).

قوله: (**بتتمة**) متعلِّق بِـ(تتميم)، والباء بمعنى (مع)، أي: هذا التتميمُ الذي أتى به السيوطي تفسيراً للنصف الأوَّل مُصاحب لتتمَّةٍ، والمرادُ بها ما ذكرَهُ بعد فَراغه من سورة (الإسراء) بقوله: (هذا آخرُ ما كمَّلْتُ به تفسيرَ القرآن الكريم... إلخ).

قوله: (**على نَمطه**) حالٌ من (التتميم)، أي: حالَ كونِ هذا التتميم كائناً على نمطِ تفسير المحلِّي[1]؛ أي: طريقته وأُسلوبه.

قوله: (**من ذكر ما يُفهم... إلخ**) بيانٌ للنمط.

قوله: (**والاعتماد**) بالجرِّ عطفٌ على (ذكر)، أي: والاقتصار على أرجَح الأقوال، وكذا قوله: (وإعراب وتنبيه... إلخ).

قوله: (**وتنبيه... إلخ**) نكَّرَ هذا المصدر دُون ما قبله؛ إشارةً إلى قلَّةِ التنبيه المذكور، وأنه لم ينبِّهْ على جميع القراءات المختَلفة.

قوله: (**المختلفة**) أي: المتنوعة، وتنوُّعُها من سَبعة أوجه؛ لأنه إما من حيث **الشكلُ** فقط؛ كالبُخْل والبَخَل، قُرئ بهما والمعنى واحد، وإما من حيث **المعنى** فقط؛ نحو: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ برفع (آدم) ونصبِ (كلمات) وعَكسِهِ، قُرئ بهما أيضاً، وإما من حيث **اللفظ والمعنى وصُورة الحرف واحدة**؛ نحو: ﴿تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ و﴿تَتْلُواْ﴾، قُرئ بهما، وصورة الباء والتاء واحِدة بقطع النظر عن النقط، وإما أن يكونَ الاختلاف في **صورة الحرف لا في المعنى**؛ كـ(سراط) و(صراط)،

(١) تبع المصنف رحمه الله تعالى صاحب «الفتوحات» (١/ ٧)، ولو قيل: صفة لـ(تتمة) لا يبعد أيضاً، ويعود الضمير في (على نمطه) على قوله: (تفسير القرآن الكريم الذي...).

على وجهٍ لطيف، وتعبيرٍ وجيز، وتركِ التَّطويلِ بذكر أقوالٍ غير مَرْضِيَّة، وأعاريبَ محلُّها كتب العربيَّة.

واللهَ أسأل النَّفعَ به في الدُّنيا، وأحسنَ الجزاء عليه في العُقبى، بمنِّه وكَرَمِه.

حاشية الصاوي

وإما من حيث **اللفظُ والمعنى وصُورة الحرف**؛ نحو: (فاسْعَوا) (وامضوا)، قرئ بهما، وإما من حيث **الزيادةُ والنقص**؛ كـ(أوصى) و(وصَّى)، وإما من حيث **التقديمُ والتأخير**؛ كـ(يَقتلون) و(يُقتلون) بتقديم المبني للفاعل على المبني للمفعول، وبِالعكس.

قوله: (**على وجه لطيف**) مُتعلق بالمصادر الأربعة قبلَهُ، والمراد باللطيف هنا: القصيرُ، فعطف قوله: (**وتعبير وجيز**) لِلتفسير.

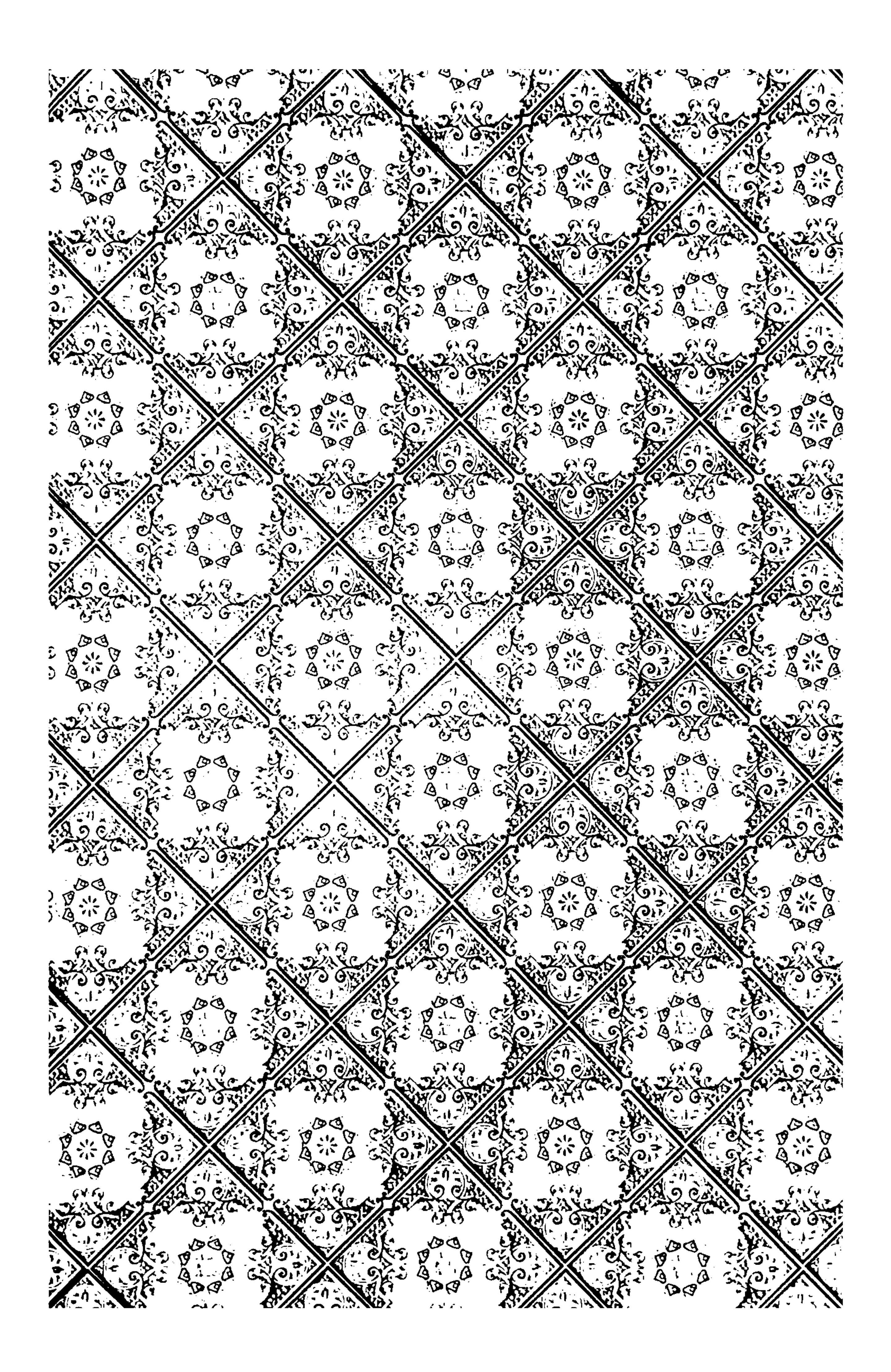
قوله: (**وترك التطويل**) معطوف على (وجه لطيف)، وهو تصريح بما عُلِم من قوله: (وتعبير وجيز)؛ إذ يَلزم من كونه وجيزاً ألَّا يكون طويلاً.

قوله: (**بذكر أقوال**) مُتعلق بـ(تطويل)، وقوله: (**غير مرضية**) أي: عندَ المفسِّرين، وقوله: (**وأعاريب**) معطوفٌ على (أقوالٍ).

قوله: (**واللهَ أسأل النفع به**) أي: بِالتتميم المذكور.

قوله: (**بمنِّه وكرَمه**) الباء: للتوسل؛ أي: أتوسل إليه بِصفتَيه العظيمتين؛ وهما منُّهُ الذي هو تفضُّلُهُ على عِباده بالعطايا، وكرمُهُ الذي هو إيصالُ فضله للبارِّ والفاجر.







مَكِّيَّة، سَبعُ آياتٍ بِالبَسمَلةِ ....

حاشية الصاوي

سُورَةُ الفَاتِحَةِ

(مكيَّة) هو قولُ الأكثر، وقيل: مدنيَّة، وجَمَعَ بعضُهم بين القولين فقال: نزَلت مرَّتين: مرَّة بمكَّة حين فُرِضَتِ الصَّلاة، ومرَّة بالمدينة حين حُوِّلَتِ القبلة؛ ولذلك سمِّيت: (مَثاني)، وقيل: نزل نصفها بمكَّة، ونصفها بالمدينة، والأوَّل هو الصحيح؛ لِقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، و(الحِجْرُ) مكيَّةٌ بإجماع، وأيضاً: فرض الصلاة كان بمكة، ولم يَثبت أنَّه وقع في الإسلام صلاةٌ بغيرها، يدلُّ على هذا قوله ﷺ: «لا صلاةَ إلَّا بفاتحة الكتاب»[1]، بل هي مِن أوائل القرآن نزولاً.

وسمِّيت فاتحةً؛ لأنَّها مِفتاح الكتاب العزيز، وهذا اسمٌ من جملةِ عشرين اسماً، ثانيها: فاتحة الكتاب، ثالثها: أمُّ القرآن؛ لأنَّه مفتَتَحٌ بها، فكأنَّها أصلُهُ وأساسُهُ، رابعها: سُورة الكنز؛ لأنَّها نزلت من كنزٍ تحت العرش، خامسها: الكافية، سادسها: الوافية؛ لأنَّها وافية كافيةٌ في صحَّة الصلاة عن غيرها عندَ القدرة عليها، سابعها: الشافية، ثامنها: الشفاء؛ لما وردَ: «هي شفاء من كل داء»[2]، تاسعها: السبع المَثاني؛ لأنَّها سبع آيات على الصحيح؛ سواءٌ قُلنا: إنَّ البسملة منها أو لا، عاشرها: النور، الحادي عشر: الرقية، الثاني عشر: سورة الحمد والشكر، الثالث عشر: الدعاء، الرابع عشر: تعليم المسألة؛ لاشتمالها على ذلك، الخامس عشر: سُورة المناجاة، السادس عشر: سورة التفويض، السابع عشر: سورة السؤال، الثامن عشر: سورة أم الكتاب، التاسع عشر: فاتحة القرآن، العشرون: الصلاة؛ لخبر: «قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفَين، فنصفُها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل؛ يقول العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يقول الله: (حمدني

---

(١) رواه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) عن سيِّدنا عُبادة بن الصامت ﷺ، وفيهما: «لِمَن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، وسياقُ المصنف رحمه الله تعالى رَواه ابن راهويه في «مسنده» (١٢٦) عن سيدنا أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه البيهقي في «شُعَب الإيمان» (٢١٥٤) عن عبد الملك بن عُمير مرسلاً.

إن كانَت مِنها، والسَّابِعةُ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلى آخِرِها، وإن لم تكُن مِنها ......

حاشية الصاوي

عبدي)، يقول العبد: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، يقول الرَّب: (أثنى علَيَّ عبدي)، يقول العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، يقول الله: (مجَّدني عبدي)، يقول العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، يقول الله عزَّ وجلَّ: (هذه الآية بيني وبين عَبدي، ولعبدي ما سأل)، يقول العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، يقول الله: (فهؤلاء لعبدي، ولعبدي ما سأل)»[١].

ووردَ في فضلِها أحاديثُ كثيرةٌ؛ منها: ما هو مُسلسلٌ بالحَلِف بالله العظيم، عن ابن العربي قال: (إذا قرأتَ «الفاتحة».. فصِلْ (بسم الله الرحمن الرحيم) بـ(الحمد لله) في نفَس واحد من غير قطعٍ؛ فإني أقول: بالله العظيم؛ لقد حدَّثني أبو الحسن علي أبو الفتح الطيب بمدينة المَوصل سنة إحدى وست مئة وقال: بالله العظيم؛ لقد سمعتُ من أبي بكر من فمه ولفظِه، وهو أبو الفضل بن محمد الكاتب الهروي وقال: بالله العظيم؛ لقد حدَّثنا أبو بكر الشاشي الشافعي من لفظه وقال: بالله العظيم؛ لقد حدَّثني عبد الله المعروف بأبي نصر السرخسي وقال: بالله العظيم؛ لقد حدَّثنا محمَّد بن الفضل وقال: بالله العظيم؛ لقد حدثنا محمَّد بن يحيى الورَّاق الفقيه وقال: بالله العظيم؛ لقد حدَّثني محمَّد بن الحسن العلوي الزاهد وقال: بالله العظيم؛ لقد حدَّثني موسى بن عيسى وقال: بالله العظيم؛ لقد حدثني أبو بكر الراجعي وقال: بالله العظيم؛ لقد حدثني أنس بن مالك وقال: بالله العظيم؛ لقد حدثني محمَّد المصطفى وقال: «بالله العظيم؛ لقد حدثني جبريل وقال: بالله العظيم؛ لقد حدثني إسرافيل وقال: قال تعالى: يا إسرافيل؛ بعزَّتي وجلالي، وجُودي وكرمي؛ مَنْ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم مرَّة بفاتحة الكتاب مرَّة واحدة.. اشهدوا أنِّي غفرت له، وقبلتُ منه الحسنات، وتجاوزتُ عنه السيئات، ولا أُحرق لسانه في النار، وأُجيره من عذاب القبر وعذابِ النَّار والفزعِ الأكبرِ، ويَلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمَعين». اهـ من «المناوي على الجامع الصغير»[٢].

قوله: (إن كانت منها... إلخ) هذا التَّعبير يُوهم في بادئ الرأي: أنَّها إن لم تكن منها.. فليست سبعاً، مع أنَّه يُخالف ما بعده، فالمناسبُ أن يقولَ: (سبع آيات؛ فإن كانت البسملة منها.. فالسابعة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلى آخرها، وإن لم تكن منها.. فالسابعةُ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ...﴾ إلى آخرها).

---

(١) رواه مسلم (٣٩٥) عن سيِّدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «فيض القدير» (٤/ ٤١٩) وعزاه لعبد بن حُميد في «تفسيره» عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

فالسَّابِعةُ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ . . .﴾ إلى آخِرِها، ....

حاشية الصاوي

وبعضُهم جعل البسملة منها، وجعل ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ. . .﴾ إلخ ثامنةً، وبعضُهم جعلها ستَّ آيات، والبسملة ليست منها، وهذا القولان مَرجوحان.

واعلم: أنَّه اختُلف في البسملة؛ فقيل ليست آية من (الفاتحة)، بل ولا من كلِّ سورةٍ سِوى سورة (النَّمل)، وإنما يُندب الابتداء بها كالاستعاذة، وعليه قُرَّاء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها، والأوزاعي ومالك؛ مُستدلِّين بما روي عن أبي بكرٍ وعمرَ وعثمان وعليٍّ: أنَّه كان يفتتح أحدهم بـ(الفاتحة) في صلاته إماماً من غير أن يقولَ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1]، وعملُ أهل المدينة حجة.

وقيل: آية من (الفاتحة) ومن كلِّ سورةٍ، وعليه قُرَّاء مكة والكوفة وفقهاؤها، وابن المبارك والشافعي؛ مستدلِّين بما رُوي: أنَّه ﷺ قال: «**إذا قرأتم الحمد لله.. فاقرؤوا ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ إنَّها أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والسبع المثاني، و﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ إحدى آياتها**»[2].

والحاصل: أنَّ البسملة من كلام الله قطعاً؛ فمَنْ أنكرها.. كفَر، وكونُها آيةً من كلِّ سورة أو لا.. خلافٌ بين الأئمَّة.

قوله: (فالسابعة: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾... إلخ) **إن قُلت**: إنَّ لفظ (غير) صفةٌ لما قبلها، والصفةُ مع الموصوف كالشيء الواحد؛ فكيف تكونُ آية مُستَقلة؟

أجيب: بأنَّ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ صِفتان لله مع أنَّه مُجمعٌ على أنَّهما آيتان، فكذلك يُقال هنا، **ونُوقش**: بأنَّ لفظ (غير) أشَدُّ افتقاراً إلى ما قبله من غيره؛ لأنَّه لا يَتِمُّ معناه إلَّا بما قبلَهُ، فكان معه كالشيء الواحد، وأمَّا (الرحمن الرحيم) ونحوه إذا أُعرب نعتاً.. فليس بهذه المثابة؛ بدليل القراءة الشاذة برفعهما، أو نَصبهما[3]؛ فإنَّهما يخرجان عن الارتباط.

---

(١) رواه البخاري (٧٣٤) وليس فيه ذكرُ سيدنا عثمان ولا سيدنا علي، ورواه الترمذي (٢٤٦) عن سيدنا أنسٍ بن مالك رضي الله عنه، وليس فيه ذكر سيدنا عليٍّ كرم الله وجهه.

(٢) رواه الدارقطني في «سننه» (١١٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر «التلخيص الحَبير» (١/ ٤٢١).

(٣) انظر «الدر المصُون» (١/ ٤٧).

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾ ....

ويُقدَّرُ في أوَّلها (قُولُوا)؛ لِيَكُونَ ما قَبلَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مُناسِباً لَهُ بِكَونِه مِن مَقُولِ العِبادِ.

① ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ....

حاشية الصاوي

أجيب: بأنَّ الآية لا يُشترَط فيها عدم ارتباطها بما قبلَها، وقد تخلَّص المفسِّر من هذا الإشكال بإعرابه بدلاً؛ كما يأتي.

قوله: (**ويقدَّر في أوَّلها**) أي: (الفاتحة) قبل البَسملة على القول بأنَّها منها، أو بعدها وقبل الحمدلة على القول بأنَّها ليست منها.

قوله: (**بكونها**) الباء: بمعنى (في)، أي: في كون (الفاتحة) كلِّها من مَقُول العباد، وفي نسخة: (بكونه)، وهي أوضَح، والضَّمير عائدٌ على ما قبل ﴿إِيَّاكَ﴾، ومحصَّله: أنَّ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لما كان من مَقول العباد.. احتِيج إلى تقدير (قولُوا) فيما قبله؛ ليكون ما قبله من مَقول العباد أيضاً، فتكون (الفاتحة) كلُّها من مَقول العباد، ولو ترك هذا التقدير.. لاحتمل أنَّ قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخرها[1] ثناءٌ من الله على نَفسِهِ، فيكون من مَقُوله هو، وذلك صحيحٌ في حدِّ ذاتِه، لكنَّ التَّناسُبَ أبلَغ.

قوله: (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾) لم يَتكلَّم الجلال المحليُّ ولا تِلميذه عليها، ولعلَّهما اتَّكلا على شُهرتِهِ، ونتكلَّم على شيءٍ منها فنقول: ابتدأ كتابه تعالى بالبسملة؛ تعليماً لِعباده الاقتداءَ بذلك، والإتيانَ بها في كلِّ أمرٍ ذي بالٍ؛ إشعاراً بأنَّها أمُّ (الفاتحة)؛ كما أنَّ (الفاتحة) أمُّ القرآن؛ كما أنَّ القرآن أمُّ الكتب السماويَّة.

و(الله): عَلَم على الذات الواجب الوجود، المستَحق لجميع المحامد.

و(الرحمن): المنعم بجلائل النِّعم كمًّا وكيفاً، دُنيا وأُخرى.

و(الرحيم): المُنعم بدقائقها كذلك.

فائدة: روى الشَّعبي والأعمش: أنَّ رسول الله ﷺ كان يَكتب: «**بِاسمك اللَّهم**» حتَّى نزل: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] كتَب: «**باسم الله**»، فلمَّا نزَلت: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾.. كتَب: «**بسم الله الرحمن**»، فلمَّا نزلت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.. كتَبها[2].

---

(١) في (ط٢): (إلى آخر الآيات الأربع).

(٢) رواه الثعلبي في «الكَشف والبيان» (١/ ١٠٢)، وانظر «كنز العُمال» (١٠/ ٣١١).

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ....

﴿٢﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: جُملَةٌ خَبَرِيَّة، قُصِدَ بِها الثَّناءُ على الله بِمَضمُونِها مِن أنَّه تَعالى مالِكٌ لِجَمِيعِ الحَمدِ مِن الخَلقِ، أو مُستَحِقٌّ لِأنْ يَحمَدُوهُ، و(الله): عَلَمٌ على المَعبُودِ بِحَقٍّ، ....

حاشية الصاوي

وعن عبد الله بن مسعود قال: (مَنْ أراد أن يُنجيَه الله من الزَّبانية التسعةَ عشر.. فليَقرأ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾؛ ليَجعل الله له بكلِّ حرفٍ منها جُنَّةً من كلِّ واحدٍ)[1].

وفسَّرها بعض العارفِين على مقتضى الحروف فقال: إنَّ كلَّ حرفٍ منها مفتاحُ كلِّ اسمٍ من أسمائه تعالى، مبدوءٍ بذلك الحرف؛ فالباء: مِفتاح اسمه تعالى (بصير، وباقي، وبَرّ) ونحو ذلك، والسين: مفتاح اسمه تعالى (سميع، سلام)، والميم: مفتاحُ اسمه (مَلِك) ونحوه، والألف: مفتاح اسمه (الله) ونحوه، واللام: مفتاح اسمه (لَطيف) ونحوه، والهاء: مفتاح اسمه (هادي) ونحوه، والرَّاء: مفتاح اسمه (رَزاق) ونحوه، والحاء: مفتاح اسمه (حليم) ونحوه، والنون: مفتاح اسمه (نافع) ونحوه، فكأنَّ المفتَتِحَ بها مفتتحٌ بجميع أسمائه تعالى.

قوله: (جملة) أي: مركَّبة من مبتدأ وخبر، وقوله: (خبر) أي: لفظاً، وهي إنشائيَّة معنًى؛ بدليل قوله: (قُصِدَ بها الثناء) أي: قُصِدَ بها إنشاءُ الثَّناء.

قوله: (مِن أنه تعالى... إلخ) بيانٌ لِلمضمون، وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ (أل) في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ جنسيَّة، وهو الأَولى من جعلها استغراقية أو عهديَّة؛ أمَّا الأوَّل.. فلأنَّه ليس في طاقةِ العبيد حصرُ أفراد الحمد[2]، وأمَّا الثاني.. فلِقُصُوره، كذا قال النحويون، واختار الصوفيَّة: أنَّها لِلعهد، قائلين: إنَّ الله تعالى لَما علم عجزَ خَلقه عن كُنه حمدِهِ.. حَمِدَ نفسَهُ بنفسِهِ، ووضَعه لهم يَحمدونه به، وهذا المعنى هو المناسب للحمد الواقِع في القرآن، فتدبَّر.

قوله: (أو: مُستحق... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ اللام في ﴿لِلَّهِ﴾ لِلملك، أو: للاستحقاق.

قوله: (و«الله»: علمٌ على المعبود بحقٍّ) أي: عَلَمُ شخص عربيٌّ مُرتجلٌ جامدٌ، وهو الصَّحيح،

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (١/ ٩٢).

(٢) اختار الأستاذ القشيري في «لطائفه» (١/ ٤٥) أنها لِلجنس فقال: (واللام ههنا للجنس، ومُقتضاها: الاستغراق، فجميع المحامدِ لله سبحانه إمَّا وصفاً وإمَّا خَلقاً، فلَه الحمد لظهور سُلطانه، وله الشكر لِوُفور إحسانِه).

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ....

﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: مالِكِ جَمِيعِ الخَلْقِ مِن الإنسِ والجِنِّ والمَلائِكةِ والدَّوابِّ وغَيرِهِم، وكُلٌّ مِنها يُطلَقُ عليه عالَم، يُقالُ: عالَم الإنسِ وعالَم الجِنِّ إلى غَيرِ ذلك، وغُلِّبَ في جَمعِه بِالياءِ والنُّون أُولُو العِلمِ على غَيرِهِم. وهو مِن العَلامةِ؛ لِأنَّه عَلامةٌ على مُوجِدِه.

حاشية الصاوي

ومعنى كونه عَلَمَ شخص: أنَّه علمٌ على ذات معيَّنةٍ مُستجمعةٍ لصفات الكمال، وقال الزمخشري: (إنَّه اسمُ جنس، صار عَلماً بالغلبة)[1]، مشتق من: (أَلَه) كـ(عَبَدَ) وزناً ومعنى، أو من: (أَلِه) بمعنى: سكَن، أو من: (وَلَه) بمعنى: تحيَّر ودهِش وطَرِب، أو من: (لاهَ) بمعنى: احتجب أو ارتَفع أو استَنار[2]، ومجموع الأقاويل: هو المعبود لِلخواصِّ والعوامِّ، المفزوعُ إليه في الأُمور العِظام، المرتفع عن الأوهام، المحتجِب عن الأفهام، الظَّاهر بصفاته الفِخام، الذي سكَنت إلى عبادته الأجسام، ووَلِعَت به نُفوس الأنام، وطَرِبَت إليه قُلوب الكرام.

قوله: (﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) الرَّب يُطلَق على: السيِّد، والمالك، والمعبود، والثابت، والمصلِح، اقتصر المفسِّر على (المالك)؛ لِكونه المناسبَ للمقام.

وجمع (العالمين) جمع قلَّة مع كثرتها جدًّا في الواقع؛ تنبيهاً على أنَّهم وإن كثرُوا فهم قليلون في جانب عظمتِهِ تعالى.

إن قلتَ: الجمع يقتضي اتِّفاقَ الأفراد في الحقيقة، وهي هنا مُختلف؟

أجيب: بأنَّها متَّفقةٌ من حيث إنَّ كلًّا منها علامةٌ على مُوجِدِها.

قوله: (**يقال: عالم الإنس... إلخ**) الإضافة بيانيَّة؛ أي: عالمٌ هو الإنسُ.

قوله: (**وغلِّب في جمعه... إلخ**) وقيل: لا تَغليب، بل هو اسمٌ وضع لِذَوي العلم من الملائكة والثَّقلَين، وتَنَاوُلُهُ لغيرِهِ بطريق التَّبع.

قوله: (**أولو العلم**) أي: لِشَرفهم.

قوله: (**وهو**) أي: العالَمُ ـ وهو: ما سوى الله تعالى ـ علامةٌ على مُوجِدِهِ؛ لأنَّه حادثٌ، وكلُّ حادثٍ يحتاج إلى مُحدِثٍ.

---

(١) «الكشاف» (١/ ٤٩).

(٢) وذكَر السيوطي في «نواهد الأبكار وشوارد الأفكار» (١/ ١٢٧) أربعة وعشرين قولاً في اشتِقاق اسم الجلالة.

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ....

﴿٣﴾ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: ذِي الرَّحمةِ، وهِيَ إرادةُ الخيرِ لأهلِهِ.

﴿٤﴾ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي: الجَزاءِ، وهو يَومُ القِيامة، وخُصَّ بِالذِّكرِ لِأنَّه لا مُلكَ ظاهِراً فِيهِ لِأحَدٍ إلَّا لِلَّهِ تَعالى، بِدَلِيلِ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ﴾ [غافر: ١٦]، ومَن قَرأ: ﴿مَٰلِكِ﴾ فمَعناهُ مالِكُ الأمر كُلِّه في يَوم القِيامةِ، أي: هو مَوصُوفٌ بِذَلك دائِماً، كـ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: ٣]، فصَحَّ وُقُوعُه صِفةً لِلمَعرِفَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ذي الرَّحمة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بُنِيا للمبالغة من: (رَحُمَ)، والرَّحمة في الأصل: رأفةٌ في القلب تقتضي التَّفضل والإحسانَ، وهي بهذا المعنى مُستحيلةٌ في حقِّه تعالى، فتُحْمَلُ على غايتها؛ لأنَّ ما استحال على الله باعتبار مَبدئِهِ ووَرَدَ. . يُطْلَقُ ويراد منه لازمُهُ وغايتُهُ.

قوله: (وهي إرادة الخير. . . إلخ) أشار بذلك إلى أنَّهما صِفتا ذاتٍ، ويصح أن يكونا صِفَتي فعلٍ؛ أي: المتفضل المحسِن، وفي الإتيان بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ عَقب اتِّصافِهِ بـ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ترغيبٌ بعد ترهيبٍ، فيكون أعوَنَ للعبد على الطاعة، وأمنَعَ من المعصية.

قوله: (﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾) من: المُلْكِ ـ بضمِّ الميم ـ وهو: عبارةٌ عن السلطان القاهر، والاستيلاء الباهِر، والغلبة التَّامة، والقُدرة على التصرُّف الكلي بالأمر والنَّهي.

قوله: (أي: الجزاء) أي: بالثَّواب لِلمؤمنين، والعقاب للكافرين.

قوله: (لا ملكَ ظاهراً فيه لأحدٍ) أي: وأمَّا الدنيا. . ففِيها الملك ظاهراً لكثيرٍ من النَّاس، فتحصَّل: أنَّ الوصف بالملكيَّة ثابتٌ أزلاً، وظُهُوره يكون يوم القيامة لإقرارِ جميع الخَلق به.

قوله: (﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾) الجارُّ والمجرور خبرٌ مُقدَّم، و﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، و﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: ظرف لِلمبتدأ، وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾: جوابٌ منه تَعالى عن السؤال.

قوله: (ومَن قرأ ﴿مَٰلِكِ﴾ . . . إلخ) اعلَم: أنَّ في لفظ (ملك) قراءَتين سبعيَّتين: الأُولى بحذف الألف، والوصفُ بها ظاهر، والثَّانية بإثباتها، وفيها إشكالٌ وهو أنَّ (مالك) اسم فاعل، وإضافتُه لفظيَّة لا تُفيده التَّعريفَ؛ فكيف تُوصَف المعرفة بالنكرة؟

وأجاب المفسِّر: بأنَّ محَلَّ كونِ إضافةِ اسم الفاعل لفظيَّةً: إن لم يكن بمَعنى الزَّمان المُستمرِّ، وإلَّا. . كانت إضافتُهُ حقيقيَّةً.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ ....

(٥) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ ....

حاشية الصاوي

والحاصلُ: أنَّ اسم الفاعل؛ إن قُصد به الحال والاستقبال.. فإضافته لفظيَّة، وإن قُصد به المضي أو الدَّوام كما هو شأنُ أوصاف الله تعالى.. فإضافتُه حقيقية، والتَّعويلُ على القرائن.

واختُلِفَ في أيِّ القراءتَين أبلَغ؛ فقيل: (ملك) أعمُّ وأبلَغُ من (مالك)؛ إذ كلُّ مَلِكٍ مالكٌ، ولا عكسَ، ولأنَّ أمرَ الملك نافذٌ على المالِك في مُلكِهِ حتَّى لا يتصرَّف المالِك إلَّا عن تدبير المَلِك.

وقيل: (مالك) أبلَغ؛ لِما فيه من زيادة البناء، فتدُلُّ على كثرة الثَّواب.

قوله: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾) ﴿إِيَّاكَ﴾: مفعولٌ مقدَّمٌ لـ﴿نَعْبُدُ﴾، قُدِّم لإفادة الحصر والاختصاص، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: معطوفٌ على ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نَعبد إلَّا إيَّاك، ولا نستعين إلَّا بك؛ لأنَّك الحقيقُ بِتلك الصِّفات العظام. والمعنى: يا مَنْ هذا شأنُه نخصُّك بالعبادة والاستعانة، فهذا تَرَقٍّ من البرهان إلى العِيان، والغيبة إلى الحضور، فهو تعليمٌ من الله تعالى لِعباده كيفيَّةَ التَّرقي؛ فإنَّ العبد إذا ذكر الحقيقَ بالحمد وهو ربُّ الأرباب عن قَلبٍ حاضرٍ.. يجدُ ذلك العبد من نفسه مُحرِّكاً للإقبال عليه، وكلَّما أجرى على قلبه ولسانه صفةً من تلك الصِّفاتِ العظامِ.. قويَ ذلك المحرِّك إلى أن يَؤُول ذلك الأمرُ لخاتمة تلك الصِّفاتِ، فحينئذ: يُوجب ذلك المحرِّكُ لِتَناهيه في القوَّة إقبالَ ذلك العبدِ على ربِّه وخالقِهِ المتَّصفِ بتلك الصفات، فانتقَل من الغيبة لخطابه، والتَّلذُّذ بمناجاته، فأوَّل الكلام مبنيٌّ على ما هو مَبادئ حال العارف من الذِّكر والفكر والتأمُّل في أسمائه العظام، والنَّظرِ في آلائه، والاستدلالِ بِصُنعِهِ على عظيم شأنِهِ، وباهرِ سُلطانهِ، ثمَّ بعد ذلك أتى بِمُنتهاه، وهو الخطابُ والحضورُ المشعرُ بكونِهِ في حَضرةِ الشهود، وإلى هذا المعنى أشار بعض العارفين بقوله: [الخفيف]

هَذِهِ آثارُنا تَدُلُّ علَينا فانظُروا بَعْدَنا إلى الآثارِ

وهو مَقام الإحسان المشارُ له بقوله ﷺ: «**الإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه**»[1].

واعلم: أنَّ (إيَّاك) واجبُ الانفصال، واختُلف فيه هل هو من قَبِيل الاسم الظاهر وبه قال الزجَّاج[2]، أو هو ضميرٌ وعليه الجمهور، واختَلف القائلون بأنَّه ضميرٌ على أربعة أقوال:

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٤٨).

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ....

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نَخُصُّكَ بِالعِبادةِ من تَوحيدٍ وغَيرِه، ....

حاشية الصاوي

أحدُها: أنَّه كلَّه ضمير، الثاني: أنَّ (إيَّا) وحدَهُ ضميرٌ، وما بعدَه اسمٌ مضافٌ إليه يُفسِّر ما يُراد به من تكلُّم وغيبةٍ وخطاب، الثالث: أنَّ (إيَّا) وحده ضميرٌ، وما بعده حروفٌ تُفسِّرُ ما يراد منه، وهو المشهور، الرابع: أنَّ (إيَّا) عمادٌ وما بعده الضَّمير.

والضمير المستَكن في ﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ للقارئ ومَنْ مَعَهُ من الحفَظة وحاضرِي صلاة الجماعة، أو: له ولسائر الموحِّدين، أدرج عبادتَه في عباداتهم، وخلَط حاجته بحاجاتهم؛ لعلَّ عبادتَهُ تُقْبَلُ ببركَةِ عباداتهم، وحاجتَهُ يُجَابُ إليها ببركة حاجاتِهم، ومِنْ هنا شُرِعَت الجماعةُ في الصلوات، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، وقال ﷺ: «**يدُ الله مع الجماعة**»(١).

قوله: (﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾) كرَّر الضمير لِلدَّلالة على تخصيصهِ تعالى بكلٍّ من العبادة والاستِعانة، والتَّلذذِ بالمناجاة والخطاب، وقدَّم العبادةَ على الاستعانةِ؛ لأنَّها وُصلةٌ لطلب الحاجة، فإذا أفرَد العبد ربَّه بالعبادة.. أعانه، وحذفَ المعمول من كلٍّ؛ ليُؤذِنَ بالعموم، فيتناول كلَّ معبودٍ به وكلَّ مُستعانٍ عليه.

وأصل (نستعين): (نَستَعوِن) استثقلت الكسرة على الواو، فنُقلت إلى الساكن قبلها، فسَكنت الواو بعد النقل، وانكسر ما قبلها، فقُلبت ياء، والقراءة السبعيَّة بفتح النون، وقرئ شذوذاً: (نِسْتَعِين) بكسر حرف المضارعة، وهي لغةٌ مُطَّردة في حروف المضارعة؛ بشرط ألَّا يكون ما بعد حرف المضارعة مضموماً، فإن ضُمَّ كـ(تقُوم).. امتنع كسرُ حرف المضارعة؛ لثقل الانتقال من الكسرِ إلى الضم، وبشرط أن يكون المضارع من ماضٍ مَكسورِ العين نحو (عَلِم)، أو في أوَّله همزة وصلٍ نحو (استَعان)، أو تاء مطاوعة نحو (تَعلَّم)(٢).

قوله: (من توحيد.. الخ) بيان للعبادة، وهو إشارةٌ إلى العبادات الأصليَّة الاعتقادية، وقوله: (وغيره) إشارةٌ إلى العبادات العمليَّة؛ من صلاة وصومٍ وزكاة ونحو ذلك.

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٦) عن سيدنا ابنِ عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر «الدر المصون» (١/ ٦٠).

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ ....

ونَطلُبُ مِنكَ المَعُونةَ على العبادةِ وغَيرِها.

﴿٦﴾ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أي: أَرشِدنا إليهِ، ـ ويُبدَلُ مِنه: ـ

حاشية الصاوي

قوله: (وبطَلب المَعونة) بالباء عطف على (بالعبادة)، ولا يجوز أن يكون بالنون عطفاً على (نخصك)؛ لخروجه عن إفادة التَّخصيص.

قوله: (وغيرها) أي: مِن مُهمَّات الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿ٱهۡدِنَا﴾) أي: زِدنا هدايةً وأدِمنا عليها، والهداية تُطْلَقُ على الدَّلالة والتَّبيين وإن لم يَحصل وصولٌ؛ نحو: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ [فصلت: ١٧] أي: بيَّنَّا لهم، وتُطلق عليهما مع الوصول للخير، وهو المراد هنا، ومادَّة الهداية تتعدَّى لمفعولين: الأوَّل بنفسها، والثاني: إمَّا كذلك كما هنا، وإمَّا باللام، أو (إلى)، قال تعالى: ﴿يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

قوله: (﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾) هو في الأصل: الطَّريق الحِسيُّ، والمراد به هنا: دينُ الإسلام؛ ففيه استعارةٌ تصريحيَّةٌ أصليَّةٌ؛ حيث شبَّه دينَ الإسلامِ بالطريق الحسِّي؛ بجامع أنَّ كلًّا مُوصِل للمقصود، واستُعير اسم المشبَّه به لِلمشبَّه.

وأصل (صراط) بالصاد: (سِراط) بالسين، وبها قرأ قُنبل حيث ورَدَ، أُبدلت صاداً؛ لأجل حرف الاستعلاء، وقد تُشَمُّ الصاد زاياً، وبه قرأ خلفٌ، وكلُّها سبعيٌّ، لكن لم يُرسَم في المصحف إلَّا بالصاد[1].

والصراط: يذكَّر ويؤنَّث؛ فالتَّذكير لغةُ تميمٍ، والتَّأنيثُ لغةُ الحجازِ، وجمعه: (صُرُطٌ)؛ كـ(كِتَابٍ وكُتُبٍ).

قوله: (﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾) اسم فاعل من: (استَقام) أي: استَوى من غير اعوِجاج، وأصله: (مُسْتَقْوِمٌ) أُعلَّ كإعلال (نَستَعِين).

قوله: (ويُبدَل منه) أي: بدلَ كلٍّ من كلٍّ، أتى به زيادةً في مدح الصِّراط.

---

(١) انظر «الدر المصون» (١/ ٦٤).

صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ....

(٧) ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ بِالهِدايةِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾) الإنعام: إيصالُ الإحسان إلى الغير؛ بشرط أن يكون ذلك الغيرُ من العُقلاء؛ فلا يُقال: أنعَم فلانٌ على فرسِهِ، ولا على حمارِه.

قوله: (بِالهداية) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالمنعَم عليهم: المؤمنون، وهو أحدُ أقوالٍ للمفسِّرين، وقيل: هم المذكورُون في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء: ٦٩]، وقيل: هم الأنبياء خاصَّةً، وقيل: المراد بهم: أصحابُ موسى وعيسى قبل التَّحريف والنَّسخ.

وحذف متعلَّق ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾؛ لِيُؤْذِنَ بالعموم، فشَمِل كلَّ نعمةٍ.

ونِعَمُ الله تعالى لا تحصى باعتبار أفرادها، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وأمَّا باعتبار جُملتها.. فتحصى؛ لأنَّها قسمان: دنيويَّةٌ، وأخرويَّةٌ، والأوَّل: إمَّا وهبيٌّ، أو كسبيٌّ، والوهبيُّ: إمَّا روحانيٌّ كنَفخ الرُّوح، والتَّزيينِ بِالعقل والفهم والفكر والمنطق، أو جسمانيٌّ كتخلُّق البدن، والقوى الحالَّةِ فيه، والصِّحة، وكمال الأعضاء. والكسبيُّ: كتزكية النَّفس، وتَخْلِيَتِها عن الرَّذائل، وتحلِيَتِها بالأخلاق السَّنيَّة والفضائل.

والثاني، وهو الأُخرَويُّ: أنَّه يَغْفِرُ ما فرط منه، ويُنزله أعلى علِّيِّين، مع الملائكة المقرَّبين، أبدَ الآبِدِين، ودَهْرَ الدَّاهرين.

قوله: (﴿عَلَيۡهِمۡ﴾) لفظ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ الأوَّل في محلِّ نصبٍ على المفعوليَّة، والثَّاني: في محلِّ رفعِ نائب ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ﴾، وفيه عشرُ لغاتٍ: ستٌّ مرويَّاتٌ عن القراء؛ الثَّلاثة الأوَّلُ منها سبعيَّات، وهي: كسر الهاء وضمُّها مع إسكان الميم فيهما، وكسر الهاء وضمُّ الميم بواو بعد الضمة[1]، وكسر الهاء والميم بياء بعد الكسرة للإشباع، وضمُّ الهاء والميم بواوٍ بعد الضمة وبدونها، وأربع لم يقرأ بها، وهي: ضم الهاء مع كسر الميم وإدخالِ ياء بعدها، وضم الهاء وكسر الميم من غير ياء، وكسرُ الهاء مع ضم الميم، وكسر الهاء والميم من غير ياء.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وقالُون بِخُلف عنه بضم ميم الجمع حالة الوصل مع وصلها بواو لفظاً، وقرأ ورشٌ بِصلة ميم الجمع، وقرأ حمزة ويعقوب بضم الهاء وصلاً ووقفاً، والباقون بكسرها كذلك. انظر «البُدور الزاهرة» (ص١٦).

غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ....

ـ ويُبدَلُ مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بِصِلتِه ـ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهُم اليَهُودُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويُبدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بصلتِهِ) أي: بدلَ كلٍّ من كلٍّ، ولا يضرُّ إبدال النَّكرة من المعرفة، وقيل: نعت لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، واستُشكل: بأنَّه يَلزم نعت المعرفة بالنَّكرة، وهو لا يصح؛ لأنَّ (غير) مُتوغِّلةٌ في الإبهام، لا تتعرَّف بالإضافة كـ(مِثْل، وشِبْه، وشَبيه).

وأجيب بجوابين: الأوَّل: أنَّ (غير) إنَّما تكون نكرةً إذا لم تقَع بين ضِدَّين، فأمَّا إذا وقعت بين ضدَّين.. فتَتعرَّف حينئذٍ بالإضافة، تقول: (عليك بالحركةِ غيرِ السُّكون)، والآيةُ من هذا القَبِيل.

والثَّاني: أنَّ الموصول أشبَه النَّكرات في الإبهام الذي فيه، فعُومل مُعاملةَ النَّكرات[1].

و(غير): من الألفاظ الملازمةِ للإضافةِ لفظاً أو تقديراً، فإدخالُ (أل) عليها خطأ، وقد يستثنى بها حملاً على (إلَّا)؛ كما يوصف بـ(إلَّا) حملاً عليها.

قوله: (﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾) بكسر الرَّاء، بدل كما قال المفسِّر، أو نعتٌ وتقدَّم ما فيه، وهذه قراءةُ العامَّة، وقُرئ شذوذاً: بالنَّصب على الحال، أو الاستثناء[2].

والغضبُ: ثورانُ دمِ القلب لإرادة الانتقام، ومنه: قوله ﷺ: «**اتَّقوا الغضب؛ فإنَّه جمرةٌ تَتوقَّدُ في قلب ابن آدم، ألم ترَوا إلى انتفاخ أوداجه وحُمرةِ عينَيه؟**»[3]، فإذا وُصِفَ به الله تعالى.. فالمرادُ به: الانتقامُ، أو إرادةُ الانتقام، فهو صفةُ فعل، أو صفة ذات.

وبنَى الغضب لِلمجهول، ولم يَقُل: (غير الذين غضبتُ عليهم)؛ تعليماً لعباده الأدبَ؛ حيث أسند الخيرَ لنفسِهِ، وأبهَم في الشَّر؛ نظير قوله تعالى: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

قوله: (وهم اليهود) أي: لِقوله تعالى فِيهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ...﴾ [المائدة: ٦٠] الآية، ولحديث: «**إنَّ ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هُم اليهود، وإنَّ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ النَّصارى**»[4].

---

(١) أي: فـ(الذين) قريب من النكرة؛ لأنَّه لم يُرَدْ به قومٌ بأعيانهم، و(غير المغضوب عليهم) قريبٌ من المعرفة؛ للتَّخصيص الحاصل له بإضافته، فكلٌّ واحدٍ منهما فيه إبهامٌ من وجه، واختصاصٌ من وَجه، فاستَوَيا. انظر «تفسير النسفي» (١/ ٣٣).

(٢) انظر «الدر المصون» (١/ ٧٣).

(٣) رواه البغوي في «شرح السنة» (٤٠٣٩) عن سيدنا أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه الإمام أحمدُ في «المسند» (٣٢/ ١٢٤) عن سيدنا عَدي بن حاتم رضي الله عنه.

﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

﴿وَلَا﴾: وغيرِ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهُم النَّصارَى. ونُكتةُ البَدَل إفادةُ أنَّ المهتَدِين ليسُوا يهوداً ولا نَصارَى.

حاشية الصاوي

قوله: (وغير ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾) أشارَ بذلك إلى أنَّ (لا) بمعنى (غير)، فهي صفةٌ ظهرَ إعرابُها فيما بعدَها، ويُؤيِّده قراءةُ عمرَ بن الخطاب وأبيِّ بنِ كعب: (وغير الضالين) بدلَ (لا)[1]. وأتى بـ(لا) ثانياً لتأكيد معنَى النفي المفهوم من (غير)، ولئلَّا يُتوهَّم عطفُ ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ على ﴿غَيْرِ﴾؛ فيكون من وصف ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

والضَّلال يطلَقُ على الخفاءِ والغَيْبةِ، ومنه: قولهم: (ضلَّ الماء في اللبن)، والهلاكِ، ومنه قولُه تعالى: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]، والنسيانِ، ومنهُ قولُه تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، والعُدولِ عن الطريق المستقيم، وهو المراد هنا.

وفي ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ مَدَّان: مدٌّ لازمٌ على الألف بعد الضاد وقبل اللام المشدَّدة، وعارضٌ على الياء قبل النون للوقف.

قوله: (وهُم النَّصارى) أي: لِقوله تعالى: ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قوله: (إفادة أنَّ المُهتَدين) أي: المذكورِين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، فمَصدوق (الذين أنعمت عليهم) هو مَصدوق (غير المغضوب عليهم) و(غير الضالين)، فمَصدوق العبارات الثلاث: هم المؤمنون، لكن استُشكل: بأنَّ تفسير (الذين أنعمت عليهم) بالفِرَق الأربعة المذكورة في سورة (النساء).. لا يَشمل بقيَّةَ المؤمنين، وتفسير (المغضوب عليهم والضالين) باليهود والنصارى.. لا يشمل بقيَّة طوائف الكُفار، فمقتضى ذلك: أنَّ بقيَّة المؤمنين ليسُوا ممَّن أنعم الله عليهم، وسائر طوائف الكفَّار خارجون من وصف الغضَب والضلال، فالمبدَلُ منه يخرجهم، والبدَل يُدخلهم في المبدل منه.

والمُخلِّص من هذا الإشكال: أن يُفسَّرَ المنعَم عليهم بجميع المؤمنين؛ كما درَج عليه المفسِّر في قوله: (أنعمت عليهم بالهداية)، ويُرادَ من (المغضوب عليهم والضالين): عمومُ الكفَّار؛ اعتباراً بعُموم اللفظ، لا بخصوص السبب.

---

(١) انظر «الدر المصون» (١/ ٧٤).

. . . .

حاشية الصاوي

إن قلتَ: ما فائدة الإتيان بـ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ بعد قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾؟

أُجيب: بأنَّ الإيمان إنَّما يَكمُل بالرجاء والخوف، فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ يُوجب الرجاء الكامل، وقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ يُوجبُ الخوفَ الكامل، فيتقوَّى الإيمان بالرَّجاء والخوف.

فائدة: لفظُ (آمين) ليس من (الفاتحة)، بل ولا من القرآن قطعاً، بل يُسَنُّ الإتيان بها لقارئ (الفاتحة) مفصولةً منها بسَكتةٍ؛ لِيَتميَّز ما هو قرآنٌ عمَّا ليس بقرآن، ولكلِّ داعٍ. وهي اسم فعلٍ على الصَّحيح بمعنى: (استَجِب)، مبنيٌّ على الفتح، ويَجوز فيه مدُّ الهمزة وقصرُها.

وقيل: هي اسمٌ من أسماء الله تعالى، والتقدير: (يا آمين)، ورُدَّ بوجهين: الأوَّل أنَّه لو كان كذلك.. لكان ينبغي أن يُبْنَى على الضَّم؛ لأنَّه منادى مُفرد معرفة. الثاني: أنَّ أسماء الله توقيفيَّة.

وهو من خُصوصيَّات هذه الأُمَّة، لم يُعطَ لأحدٍ قبلَهم إلَّا ما كان من موسى وهارون؛ لِما ورَدَ في الحديث: «إنَّ الله أعطى أمَّتي ثلاثاً لم تُعطَ أحداً قبلَهم: السَّلام وهو تحيَّة أهل الجنَّة، وصفوفُ الملائكة، و(آمين) إلَّا ما كان مِن موسى وهارون»[1]، ومعناه: أنَّ موسى دعا على فرعون، وأمَّن هارُون، فقال الله تعالى عندَما ذكر دعاء موسى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾، ولم يَذكر مَقالةَ هارون، فسمَّاه داعياً.

وقال عليٌّ (عنه): (آمين: خاتمُ ربِّ العالمين، ختَم بها دعاءَ عبادِهِ)[2]، وفي الخبر: «أنَّ آمين: كالطَّابع الذي يُطبَع به على الكتاب»[3]، وفي حديث آخَرَ: «آمين: درجَةٌ في الجنة»، قال أبو بكر: (إنَّه حرفٌ يُكتَبُ به لقائله درجةٌ في الجنَّة)، وقال وهبُ بن مُنبِّه: (آمين: أربعة أحرف، يَخلق الله من كلِّ حرفٍ ملَكاً يقول: اللهمَّ اغفِر لكلِّ مَنْ قال: آمِين)[4].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٥٥٢)، والحكيم الترمذي في «نَوادر الأصول» (١٩/٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «الدعاء» (٢١٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مَرفوعاً.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٤٢).

(٤) أورَد الأخبارَ الثلاثة القُرطبي في «تفسيره» (١٢٨/١).

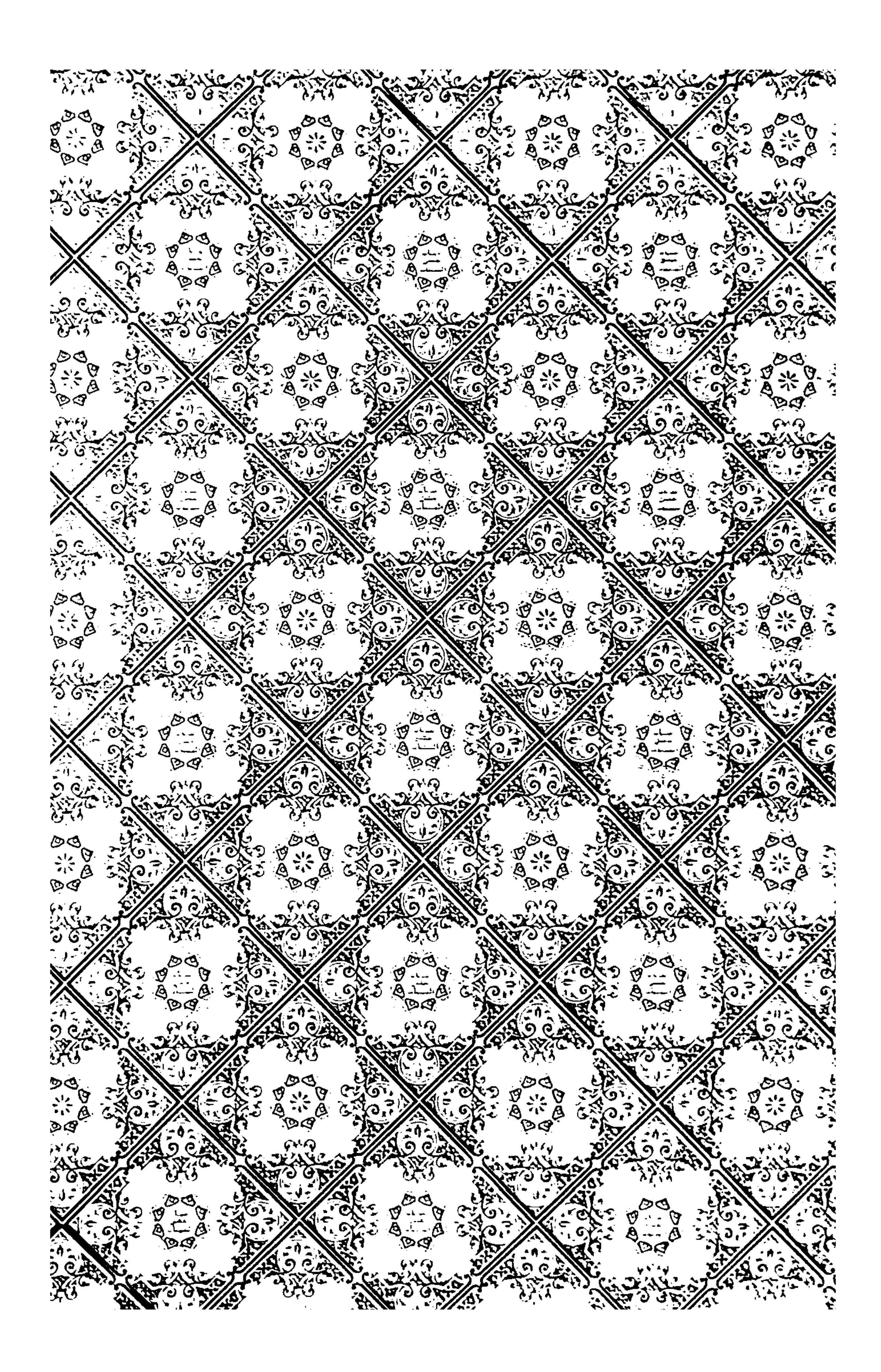
[والله أعلَم بِالصواب] .

حاشية الصاوي

قوله: (والله أعلَم بِالصواب. . . إلخ) هذه العبارة من وضع تلامِذة المحلي؛ لما عرفتَ أنَّه قد شرع في تفسير النِّصف الأوَّل، فكمَّل (الفاتحة)، وارتحل إلى رضوان الله، فيَبعدُ أن يأتي بعبارةٍ تشعرُ بالانتهاء.

والصَّواب: ضدُّ الخطأ، والمرجِع: الرجوع، والمآب: مُرادفٌ، وقوله: (وحسبُنا الله) أي: كافِينا، وقوله: (ونعم الوكيل) أي: المفوَّضُ إليه الأمرُ.







مَدَنِيَّة، مِئَتانِ وسِتٌّ ـ أو سَبعٌ ـ وثَمانون آيَةً.

حاشية الصاوي

سُورَةُ البَقَرَةِ

قوله: (سورة البقرة... إلخ) مبتدأ، و(مدنية) خبرٌ أول، و(مئتان... إلخ) خبر ثانٍ، ويُؤخذُ من هذا أن تسميتَها بما ذُكر غيرُ مَكروه، خلافاً لمن قال بذلك وادَّعى أنه إنما يُقال: السورةُ التي تُذكر فيها البقرةُ.

وأسماءُ السور تَوقيفيةٌ، وكذا ترتيبُها على التحقيق كما تقدَّم، والسورةُ: مأخوذةٌ من سُوْر البلد؛ لارتفاع رُتبَتها وإحاطتها، وهي طائفةٌ من القرآن لها أوَّل وآخِر، وترجمة باسمٍ خاصٍّ بها بِتوقيف كما سبق، والراجح: أن **المكِّيَّ**: ما نزلَ قبل الهجرة ولو في غير مَكة، **والمَدنيَّ**: ما نزلَ بعد الهجرة ولو في غير المدينة.

قوله: (وثمانون آية) قيل: أصلُها: أيِيَة، قُلبت عينُها ألفاً على غير قياس، وهي في العُرف: طائفةٌ من كلمات القرآن مُتميزةٌ بفصل، وقد تكون كلمةً؛ مثل: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، وكذا ﴿الٓمٓ﴾، و﴿طه﴾، و﴿يسٓ﴾ ونحوها عند الكوفِيين، وغيرُهم لا يُسمِّيها آيات، بل يقول: هي فواتحُ السُّور، وعن أبي عمرٍو الداني: (لا أعلم كلمةً هي وحدَها آيةٌ إلا قولَهُ تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾)(1).

فائِدة: قال ابن العربي: (سُورة البقرة فيها ألفُ أمْرٍ، وألفُ نَهْي، وألفُ حُكْم، وألفُ خبر، أَخْذُها بركة، وتركُها حَسْرةٌ، لا تستطيعها البَطَلَة وهم السحرة، إذا قُرِئت في بيت لم تدخل مرَدَة الشياطين ثلاثة أيام). اهـ(2)

---

(1) كذا تُنوقلت عبارة أبي عمرو الداني رحمه الله عند المفسرين، ولا يخفى على مثل أبي عمرو وجود آيات أُخريات من كلمة واحدة؛ كـ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، و﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾، و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، وأصل العبارة كما نبَّه عليه فضيلة الشيخ محمد عوامة في مقدمة «مصنف ابن أبي شيبة» (1/ 75) هو: (فأما في حَشوهن -يعني السور- فلا أعلَم كلمة هي وحدها آية في ذلك إلا قوله تعالى في «الرحمن»: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾)، وكذا هي في «البَيان» لأبي عمرو (ص126)، فقصد وَسط السور لا أوائلها.

(2) كذا نقَله صاحب «الفتوحات» (1/ 9) عن الدميري عنه، وبنحوه في «أحكام القرآن» (1/ 15).



﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

حاشية الصاوي

وروى مُسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**لا تجعَلوا بيوتَكم مقابرَ، إن الشيطان يَفِرُّ من البيت الذي تُقرأُ فيه سورة البقرة**»[١]، وعنه في رواية: «**لكلِّ شيء سَنامٌ، وسَنَامُ القرآن سورة البَقرة**»[٢]، وفي رواية: «**سيِّدةُ آيِ القرآن آيةُ الكُرسي**»[٣].

فائدة أخرى: في الكلام على الاستِعاذة: ولفظها المختارُ: (أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ) عند مالِك وأبي حنيفة والشافعي؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال أحمد: الأَولى أن يقول: (أعوذُ باللهِ السَّميعِ العليمِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ) جمعاً بين هذه الآية وآيةِ: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وقال الثَّوري والأوزاعي: الأَولى أن يقول: (أعوذُ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ إنَّهُ هوَ السميعُ العليمُ).

فاتَّفق الجمهورُ على أنه يُستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوَّذ، وحُكي عن عطاءٍ وجوبُها، وقال ابن سِيرين: (إذا تعوَّذ الرجل في عُمره مرةً واحدة كفى في إسقاطِ الوجوب).

ووَقتُ الاستعاذة: قبل القِراءة عند الجمهور، وحُكي عن النَّخعي أنه بعد القراءة، وهو قولُ داوود، وأحدُ الروايتَين عن ابن سيرين.

ومعنى (أعوذ بالله): ألتجئُ إليه وأتحصَّنُ به ممَّا أخشاه، و(الشيطانُ): أصله من: شَطَنَ؛ أي: بَعُدَ عن الرحمةِ، وقيل: من شاطَ؛ بمعنى: احترق، وهو اسمٌ لكل عاتٍ من الجن والإنس، و(الرَّجيم): فَعيل بمعنى فاعل؛ أي: راجِم بالوسوسة والشرِّ، وقيل: بمعنى مفعول؛ أي: مَرجوم بالشُّهُب عند استراق السمع، أو بالعذاب، أو مَطرود عن الرحمة والخيرات، فحِكمةُ الاستعاذة: تطهير القلب من كلِّ شيء يَشغَله عن الله تعالى؛ فإن في تَعوُّذِ العبد بالله إقرار بالعَجز والضعف، واعتراف بِقُدرة الباري[٤]، وأنه الغَني القادر على دَفع المضرَّات، وأن الشيطان عَدوٌّ مُبين، وقد دخلَ منه في الحِصن الحَصين.

قوله: (﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾) اختلَف الأئمةُ في كون البَسملة من (الفاتحة) وغيرها

---

(١) رواه مسلم (٧٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٧٨).

(٣) هذه الرواية تتمَّة رواية الترمذي المتقدمة.

(٤) كذا في الأصل، والصواب: (إقراراً واعترافاً) كما لا يخفى.

﴿الٓمٓ ۝١﴾ ....

 ﴿الٓمٓ﴾: اللهُ أعلَمُ بِمُرادِهِ بِذلكَ.

حاشية الصاوي

من السُّور سِوى سُورة (بَراءة)، فذهب الشافعي وجماعةٌ من العلماء إلى أنها آية من (الفاتحة) ومِن كلِّ سورة ذُكِرت في أولها سوى سُورة (براءة)، وقال به جماعةٌ من الصحابة، وذَهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن البَسملة ليست آيةً من (الفاتحة)، وزاد أبو داوُود: ولا مِن غيرها من السُّور، وإنما هي بعضُ آية في سورة (النمل)، وإنما كُتِبت للفصل والتبرُّك، قال مالك: ويُكرَه استفتاح صلاة الفرض بها، واختَلفت الرواية عن أحمد في كونها من (الفاتحة) أو لا؟

والأحسَنُ: أن يُقدَّر متعلَّقُ الجارِّ هنا (قولوا)؛ لأن هذا المقامَ مقامُ تعليم صادِر عن حَضرة الربِّ تعالى.

قوله: (﴿الٓمٓ﴾) اعلَم: أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعةَ عشرَ حرفاً، وهي نِصف حروف الهجاء، وقد تفرَّقت في تسعٍ وعشرين سورة، المبدوءُ بالألف واللام منها ثلاثةَ عشرَ، وبالحاء والميم سبعةٌ، وبالطاء أربعة، وبالكاف واحدة، وبالياء واحدة، وبالصاد واحدة، وبالقاف واحدة، وبالنون واحدة، وبعضُ هذه الحروف المبدوء بها أُحادي، وبعضُها ثنائي، وبعضها ثلاثي، وبعضها رُباعي، وبعضُها خماسي، ولا تزيدُ.

قوله: (**الله أعلم بمراده بذلك**) أشار بهذا إلى أرجَح الأقوال في هذه الأحرفِ التي ابتدئ بها تلك السُّور، وهو أنها من المتشابه، جرياً على مَذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بِعِلم المراد منه، وعلى هذا: **فلا محل لها من الإعراب**؛ لأنه فرعُ إدراك المعنى، فلا يُحكم عليها بإعراب ولا بناءٍ ولا بتركيب مع عاملٍ، ومُقابِلُ هذا أقوال؛ قيل: إنها أسماء للسور التي ابتُدئت بها، وقيل: أسماء للقرآن، وقيل: لله تعالى، وقيل: كلُّ حرف منها مفتاحُ اسم من أسمائه تعالى؛ أي: جزءٌ من اسم، فالألفُ: مفتاح لفظ الجلالة، واللامُ: مفتاح اسمِ (لطيف)، والميمُ: مفتاح اسم (مَجيد) . . . وهكذا، وقيل: كلُّ حرف منها يُشير إلى نِعمة من نِعَم الله، وقيل: إلى مَلَك، وقيل: إلى نبي، وقيل: الألف: تُشير إلى آلاء الله، واللام: إلى لُطف الله، والميم: إلى مُلْك الله، وعلى هذه الأقوال: فلها محلٌّ من الإعراب؛ فقيل: الرفع، وقيل: النصب، وقيل: الجر، **فالرفع** على أحد وجهَين؛ إما بكونها مبتدأً، وإما بكونها خبراً، **والنصب** على أحد وجهين أيضاً؛ إما بإضمار فعل لائق تقديرُهُ: (اقرؤوا) مثلاً، وإما بإسقاط حرفِ القَسم؛ كقول الشاعر: [الوافر]

ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ....

(٢) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذَا ﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ الَّذي يَقرَؤُهُ مُحَمَّد ﴿لَا رَيۡبَۛ﴾: لا شَكَّ ﴿فِيهِۛ﴾ ...

حاشية الصاوي

إذا مـا الـخُـبْـزُ تَـأْدِمُـهُ بِـلَـحْـمٍ فَـذاكَ أَمـانَـةَ اللهِ الـثَّـرِيـدُ[1]

يُريد: وأمانةِ الله، **والجرُّ** بوجهٍ واحد، وهو أنها مُقسمٌ بها حُذف حرفُ القسم وبقي عَمله، أجاز ذلك الزمخشريُّ وإن كان ضعيفاً؛ لأن ذلك من خَصائص الجلالة المعظَّمة، لا يُشاركُها فيه غيرُها[2].

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) اسم الإشارة مبتدأ، واللام: لِلبعد، والكاف: حرفُ خطاب، و﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾ نعت لاسم الإشارة، أو عطفُ بَيان، وجملة: ﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ خبرٌ كما قال المفسِّر.

قوله: (أي: هذا) أشار بذلك إلى أن حقَّ الإشارة أن يُؤتى بها لِلقريب، وسيأتي الجواب عنه.

قوله: (﴿ٱلۡكِتَٰبُ﴾) بمعنى المكتوب، وهو القُرآن.

إن قُلتَ: إن القرآن قريبٌ، فلا يُشار له بإشارة البَعيد؟

أجاب المفسِّر بقَوله: (والإشارة به للتعظيم) أي: فالقرآن وإن كان قريباً منَّا إلا أنه مَرفوع الرتبة وعظيم القَدْرِ، من حيث إنه مُنزَّه عن كلام الحوادث، وذلك كمُناداة المولى سبحانه وتعالى بـ(يا) التي يُنادى بها البعيد مع كونه أقرَبَ إلينا من حبلِ الوَريد؛ لكونه سبحانه منزَّهاً عن صفات الحوادث، فنُزِّلَ تنزُّهُهُ عن الحوادث منزلةَ بُعدِنا عنه. والكتاب في الأصل: مصدرٌ يُطلق بمعنى: الجمع.

قوله: (**الذي يقرؤه محمد**) أي: وهو القرآن، احترزَ بذلك عن باقي الكُتب السماوية.

قوله: (لا شك) هذا أحدُ معانٍ ثلاثة، والثاني: التُّهَمَة، والثالث: القَلقُ والاضطراب، وكلُّها منزَّهٌ عنها القرآن؛ لخروجه عن طاقةِ البشر، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ...﴾ الآية [الإسراء: ٨٨].

---

(١) البيت من شواهد سيبويه في «كتابه» (٣/ ٦١) وشكَّك فيه، والشاهد فيه: (أمانة الله) بنصب (أمانة) بفعل مقدر، تقديره: أقسم بأمانة الله؛ فإذا حذفوا الجار نصبوا، والجر بحرف القسَم ضعيف كما سيأتي، وانظر «الدُّر المصون» (١/ ٨٠).

(٢) «تفسير الزمخشري» (١/ ٢٤) وما بعدها، والجر مع حذف الجار كما ذكر من خَصائص لفظ الجلالة (الله)، وقيل غير ذلك.

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ....

أَنَّهُ مِن عِند اللهِ، ـ وجُملة النَّفي خَبَرٌ مُبتَدَؤُهُ ﴿ذَٰلِكَ﴾، والإشارةُ بِه لِلتَّعظِيمِ ـ. ﴿هُدًى﴾ ـ خَبَرٌ ثانٍ ـ أي: هادٍ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: إن قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبر، وهو لا يتخلَّفُ، مع أن بعضَ الكفار ارتاب فيه؛ حيث قالوا: سِحرٌ وكَهانة وأساطيرُ الأولين إلى غير ذلك.

أُجيب بأجوبة؛ أحسَنُها: أن قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لِمن أذعَن وأقام البرهان وتأمَّل، فلا ريب فيه للعارفِين المنصِفين، وأما مَنْ عاندَ فلا يعتدُّ به، ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤].

ومنها: أن معنى قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لا يَنبغي أن يُرتاب فيه؛ لِقيام الأدلة الواضحة على كونه من عند الله.

ومنها: أن مَعنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي: لِلمؤمنين، وأما الكافرون فلا يُعتدُّ بهم.

فالجوابُ الأول عامٌّ، فمَن تأمَّل لا يَحصل له ريبٌ مسلماً أو كافراً، وجَحْدُه بعد ذلك عِناد، والجواب الثاني أنه نفيٌ بمعنى النهي، والثالثُ خاصٌّ بالمسلِم.

قوله: **(أنه من عند الله)** بِفتح الهمزة بدلٌ من الضمير في قوله: ﴿فِيهِ﴾، ويدلُّ عليه قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ٢].

قوله: **(والإشارة به للتعظيم)** تقدَّم أن هذا جوابٌ عن سؤال مُقدَّر.

إن قلتَ: إنه لا يشارُ إلا لمحسوس، والقرآنُ ألفاظٌ تَنقضي بمجرَّد النُّطق بها.

أجيبَ: بأنه نزَّلَ المعقول منزلةَ المحسوس، أو الإشارةُ لما في المصاحف، أو اللَّوحِ المحفوظ.

قوله: **(﴿هُدًى﴾)** أي: رشادٌ وبيان، وهو مَصدر؛ إما بمعنى اسم الفاعل، وهو الذي اقتَصر عليه المفسِّر، أي: مرشِدٌ ومُبيِّن، والإسنادُ له مجازٌ عقلي من الإسناد لِلسبب، أو ذُو هدًى، أو بُولغ فيه حتى جُعِلَ نفسَ الهدى؛ على حَدِّ: زيدٌ عَدْلٌ.

قوله: **(﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾) إن قُلت**: إن القرآن هدًى بمعنى مُبيِّنٌ طريقَ الحق من الباطِل للناس مؤمنِهم وكافرِهم، فلِمَ خَصَّ المتقين؟

الصَّائِرِينَ إلى التَّقْوَى بِامتِثالِ الأوامِرِ واجتِنابِ النَّواهِي؛ لِاتِّقائِهِم بِذَلك النَّارَ.

حاشية الصاوي

أُجيب: بأنه خصَّهُم بالذكرِ لِكَونهم انتفعوا بِثَمرته عاجلاً وآجلاً، وهذا إن أُريد به البَيانُ؛ حَصل وصولٌ للمقصود أم لا، وأما إن أُريد به الوصولُ لِلمقصود فالتَّخصيص ظاهرٌ. وأصل (مُتَّقين): مُتَّقِيِيْن، استُثقلت الكسرةُ على الياء الأولى، فحُذفت، فالتقى ساكنان، وحُذفت الياءُ لالتقاءِ الساكنين.

قوله: (الصائرين للتقوى) أشار بذلك إلى أنَّ في الكلام مجازَ الأَوْلِ[1]؛ أي: المتقين في عِلم الله، أو مَنْ يؤُول إلى كونهم مُتقين، فهو جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ حاصلُهُ: أنهم إذا كانوا مُتقين فهم مُهتَدون فلا حاجة له[2].

قوله: (بِامتثال الأوامر) يصحُّ أن تكون الباء سببيةً، أو للتصوير، وقوله: (واجتنابِ النواهي) عطفٌ عليه، والمعنى: أن امتثالَ الأوامر على حسَبِ الطاقة واجتنابَ النواهي جَميعِها سببٌ لِلتقوى، أو هي مُصوَّرةٌ بذلك.

قوله: (لاتقائهم) علَّةٌ لِتسميتِهِم مُتقين، وقوله: (بذلك) أي: المذكور، وهو امتثالُ الأوامر واجتنابُ النواهي، وهذا إشارة إلى تقوى الخواصِّ، وتحتها تقوى العوامِّ؛ وهي تقوى الشِّرك، وفوقَها تقوى خواصِّ الخواصِّ؛ وهي تقوى ما يشغلُ عن الله، قال العارف[3]: [الطويل]

وَلَوْ خَطَرَتْ لِي فِي سِواكَ إرادَةٌ ... عَلَى خاطِرِي يَوْماً حَكَمْتُ بِرِدَّتِي

والآية في حدِّ ذاتِها شاملةٌ لِلمَراتب الثلاث.

(١) تسمية الشيء بما يؤول إليه؛ كقولهم: عصَرت خمراً، وهنا سمَّى غير المتقين بالمتقين لأنهم صائرون للتقوى، ويُسمى مجاز الصيرورة، ومجاز المشارفة إن كان المآل على الفَور؛ نحو: «مَن قتل قتيلاً». انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١/ ٢٠٤).

(٢) وقع في حاشية (أ) زيادة واستدراك للمؤلف، وهي: (قوله: «أي: المتقين في علم الله» هذا جوابٌ ثانٍ عن السؤال المقدَّر، فكان المناسب تأخيره عن قوله: «أو من يؤول. . . إلخ»، وإنما مَنعني من إصلاحِها انتشارُ النسخ). اهـ مؤلفه

(٣) عمر بن الفارض رحمه الله تعالى، ت (٦٣٢هـ) من تائيته المشهورة، ويُروى عجزه: (على خاطري سهواً قضيت بردتي).

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ....

﴿٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقُونَ ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: بِما غابَ عَنهُم مِن البَعثِ والجَنَّةِ والنَّار، ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾) هذا تفصيلٌ لِبعض صفات المتقين، وخصَّها لأنها أعلى الأوصاف، وهو في محلِّ جر صفة لـ(المتقين)، أو رفع خبر لمحذوف، أو نَصب مفعول لمحذوف، ويَصح أن يكون مستأنفاً مبتدأً خبرُهُ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾، وعلى هذا: فالوَقف على ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ تامٌّ؛ لعدم ارتباطه بما بعده، وعلى الإعراب الأول: فهو حسَن؛ لأنه رأسُ آية وإن كان له ارتباطٌ بما بعده.

قوله: (بما غاب) أشار بذلك إلى إطلاقِ المصدر وإرادةِ اسم الفاعل، **وما غاب عنَّا قِسمان:**

ما دلَّ عليه دليلٌ عقلي أو سَمعي؛ كالجنَّة والنار والملائكة والعرشِ والكُرسي واللوح والقَلَم، والمولى سُبحانه وتعالى وصفاتِه، **وما لم يدلَّ عليه دليل**، كالساعة ووَقت نُزول المطر وما في الأرحام، وباقي الخَمسة المذكورِين في الآية[1].

وأما الشَّهادةُ فهي ما ظهرَ لنا حسًّا أو عقلاً بِبَداهة العقل؛ كالواحد نِصف الاثنين، وأنّ الجِرم مُتحيِّز.

قوله: (من البعث... إلخ) بيانٌ لـ(ما)، وقوله: (والجنة والنار) عطفٌ عليه؛ أي: ونحو ذلك ممَّا قام لنا الدليل عليه، ويحتمل أن يبقَى الغَيْبُ على مَصدريته[2]، والباء متعلقةٌ بمحذوف حال؛ أي: إيماناً ملتبساً بحالة الغَيبة، ففيها بيانٌ لحال المؤمنين الخالِصين، وتعريضٌ لحال المنافقين؛ فإنهم كانوا يؤمنون ظاهراً فقط، فمَدحَ الله مَنْ يؤمن في حال غَيبته عن كلِّ أحد كما يؤمن ظاهراً، ويحتمل أن المراد بالغَيب القلبُ، سُمِّيَ بذلك لخفائه؛ أي: يؤمنون بحالة السرِّ، وهو الإيمان القلبي، فالمصدَر باقٍ على حاله، وفيه ردٌّ على المنافقين أيضاً؛ حيث قالوا بألسنتِهم ما ليس في قُلوبهم.

قوله: (﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) إما مأخوذةٌ من الصلاة اللغوية بمعنى: الدعاء؛ لأنها مُشتَملة عليه في الركوع والسجود، وعليه: فأصلُها: صَلَوَة، تحركت الواوُ وانفتحَ ما قبلَها قُلبتْ ألفاً، وقيل:

---

(١) أي: في الآية الرابعة والثلاثين من سورة (لقمان).

(٢) فلا يكون بمعنى الغائب، وعليه فلا تتعلق الباء بالفعل، والمعنى حينئذٍ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾.

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ....

أي: يَأتُونَ بها بِحُقُوقِها، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعةِ اللهِ.

۝٤ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ....

حاشية الصاوي

من الوُصْلَة؛ لأنها وُصْلَةٌ بين العبد وربه، وعليه: فأصلُها: وَصَلَةٌ، قُلبتْ قَلْباً مكانيًّا، فصار صَلَوَة، تحركت الواو وانفتحَ ما قبلها قلبت ألفاً.

وقوله: (يُقيمون) من: قَوَّمت العودَ: عدَّلتُه.

قوله: (أي: يأتون بها بِحقوقها) أي: الظاهرية؛ كالشروط والآداب والأركانِ، والباطنيَّة؛ كالخشوع والخُضوع والإخلاص.

قوله: (﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾) فيه حذفُ نون (مِن) التبعيضيَّة لفظاً وخطًّا؛ لإدغامها في (ما) الموصولة، و(رزقنا): صلة الموصول، و(نا): فاعل، والهاء: مفعول أول، وحذَفَ المفعولَ الثاني، فيصحُّ تقديره متصلاً؛ أي: رَزقناهموه، أو منفصلاً؛ أي: رَزقناهم إياه؛ على حدِّ قول ابن مالك:

[الرجز]

وَصِلْ أَوِ افْصِلْ هاءَ سَلْنِيهِ ....[1]

قوله: (أعطيناهم) أشار بذلك إلى أن الرّزق معناه: المِلْك، وليس المراد به الرزقَ الحقيقي؛ إذ لا يتأتَّى تعدِّيه لغيره[2]، وقدَّم الجارَّ والمجرور للاهتِمام.

قوله: (﴿يُنفِقُونَ﴾) أي: إنفاقاً واجباً؛ كالزكاة والنَّفقة على الوالدَين والعيال، أو مَندوباً؛ كالتَّوسعة على العِيال ومُواساة الأقارب والفقراء.

قوله: (في طاعة الله) (في): تعليليةٌ؛ أي: مِن أجل طاعة الله، لا رِياء ولا سمعة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾) معطوفٌ على الموصول الأول، وهو نوعٌ آخرُ لِلمتقين؛ فإنها نزلت

---

(١) تمامه: (وما أشبهه في كنته الخلف انتمى)، في «الخلاصة» (باب النكرة والمعرفة).

(٢) لأن الرزق الحقيقي عند أهل السنة ما ينتفع به المرء كما اختار المصنف في «حاشيته على الجوهرة» (ص٤٠٩)، ولو عُدِّي للغير فلا يُتصور الانتفاع به، فلا يكون حقيقيًّا، والرزق عند المعتزلة الذي يَملكه المرء وإن لم ينتفع به، وفي الآية شُبهة دليل لهم.

بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ....

﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القُرآنِ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: التَّوراةِ والإنجيلِ وغَيرِهِما، ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: يَعلَمُون.

﴿٥﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المَوصُوفُونَ بِما ذُكِرَ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائِزُونَ بِالجَنَّةِ النَّاجُونَ مِن النارِ.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبِي جَهلٍ وأبِي لَهَبٍ ....

حاشية الصاوي

فِيمن كان آمن بِعيسى وأدرك النبي ﷺ؛ كعَبدِ الله بن سلام وعَمار بن ياسر وسَلمانَ والنجاشيِّ وغيرِهم، وأما النوع الأول فهم مُشركُو العرب الذين لم يُرسل لهم غيره ﷺ، فنَزلت فيهم الآية الأولى.

قوله: (﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾) نزّلَ المستقبلَ منزلةَ الماضي لِتحقُّقِ الوقوع؛ لأنه لم يكن تمَّ نزولُه.

قوله: (﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾) أي: فلم يُفرِّقوا بين الأنبياء؛ بحيث يُؤمنون ببعضٍ ويَكفرون ببعض.

قوله: (﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾) قدّم الجارَّ والمجرور لإفادة الحصر، وأتى بالجملة اسميةً لأنه أعلَى من الإنفاق.

قوله: (يعلمون) أي: عِلماً لا شكَّ معه ولا رَيب، ولذا اتَّصف مَولانا بالعلم ولم يَتصف باليقين، وفيه ردٌّ على من أنكَر الآخرة ممَّنْ لم يُؤمِنْ بمحمد.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر) إن قُلنا: إن قولَه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ وصفٌ لِلمتقين، كان ما هنا مبتدأً وخبراً بيانٌ لعاقبة المتقين، وإن قُلنا: إنه مستأنفٌ مبتدأٌ كان ما هنا خَبره.

قوله: (﴿عَلَىٰ هُدًى﴾) عبَّر بـ(على) إشارةً إلى تمكُّنِهم من الهدى كتمكُّنِ الراكِب من المركوب.

قوله: (الناجون من النار) أي: ابتداءً وانتهاءً، وعَطف الجملتين إشارة إلى تغايرهما، وأن كلًّا غاية في الشرف، وأنَّ الثانية مُسبَّبةٌ عن الأولى.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) جرَت عادةُ الله سبحانه وتعالى في كِتابه أنه إذا ذكرَ بشرى

ونَحوِهِما ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ ـ بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ، وإبدالِ الثَّانِيَة أَلِفاً وتَسهِيلِها، وإدخالِ أَلِفٍ بَين المُسَهَّلَة والأُخرَى وتَركِه ـ ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾؛ لِعِلمِ الله مِنهُم

حاشية الصاوي

المؤمنين يذكرُ بِلَصقها وعيدَ الكافرين، فذكر حالَ الكافرين ظاهراً وباطناً، ثم ذَكر حال الكافرين باطناً، وهم المنافقون، وأنهم أسوءُ حالاً من الكافرين ظاهراً وباطناً.

و﴿إِنَّ﴾: حرف توكيد ونصب، و﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: اسمها، وجملةُ ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: خبرها، وجملة ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾: مُعترِضة بين اسم (إنَّ) وخبرها، وإعرابُها أن تقول على المشهور: ﴿سَوَآءٌ﴾: اسم مصدر مبتدأ بمعنى مُستوٍ، وسوَّغ الابتداءَ به تعلُّقُ الجار والمجرور به، و﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ مؤوَّل بمفرَد خبر، تقديره: مُستَوٍ عليهم إنذارُك وعدَمُه، وهو فعل مَسبُوك بلا سابِك.

إن قُلتَ: إن خبر المبتدإِ إذا وقع جملةً لا بدَّ له من رابِط.

أجيب: بأن الخبر عينُ المبتدإِ في المعنى، وهو يَكفي في الربط، وأُجيب أيضاً: بأن محلَّ الاحتياج لِلرابط ما لم يُؤول الخبر بمفرد، وإلا فلا يَحتاج للرابط، وقولهم: لا بدَّ للفعل من سابكٍ أغلبيٌّ. ويَصحُّ العكس، وهو أن الجملة مبتدأٌ مؤخَّر، و﴿سَوَآءٌ﴾: خبرٌ مقدَّم.

قوله: (ونحوهما) أي: مِن كفار مَكة الذين سَبق علمُ الله بعدم إيمانهم، والحكمةُ في إخبار الله نبيَّهُ بذلك لِيُريحَ قلبه من تعلُّقِه بإيمانهم، فلا يَشتَغل بهدايتهم ولا تأليفهم، ويحتملِ أن ذلك إعلامٌ من الله لِنبيِّهِ بمَنْ كفر من أوَّلِ الزمان إلى آخِره؛ لأنه أطلَعه على النار وعلى مَن أعدَّ لها من الكفار، والحكمةُ في عدمِ الدعاء منه عليهم مع عِلمه بأنه يَستحيل إيمانُهم: أنه يَرجو الإيمان من ذُرِّيَّتِهم.

قوله: (**بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً**) أي: مدًّا لازماً، وقَدْرُه ستُّ حركات، وقولُه: (**وتسهيلها**) أي: بأن تكونَ بين الهمزة والهاء، وقوله: (**وإدخال ألف**) الواو: بمعنى مَع.

فحاصله: أن القراءاتِ خمسٌ؛ قراءتان مع التحقيق، وقِراءتان مع التسهيل، وقراءة مع الإبدال، وكلُّها سَبعيَّة على التحقيق، خلافاً للبيضاوي؛ حيث قال: (إن قراءة الإبدال لَحْنٌ لوجهين: الأول: أن الهمزة المتحركة لا تُبدل ألفاً، والثاني: أن فيه التقاءَ الساكنين على غير حدِّه)[١]، رَدَّ عليه مُلَّا علي قاري بأن القراءة مُتَواترة عن رسول الله، ومَن أنكرها كَفر، فيُستَدلُّ بها لا لها[٢]، وأما قولُه:

(١) «تفسير البيضاوي» (١/ ٤١).

(٢) «حاشية ملا علي على البيضاوي».

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ....

ذلك، فلا تَطمَعْ في إيمانِهم. والإنذارُ: إعلامٌ مع تَخويفٍ.

(٧) ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: طَبَعَ عليها واستَوثَقَ، فلا يَدخُلُها خَيرٌ، ﴿وعلى سَمعهمْ﴾ أي: مَواضِعِه، فلا يَنتَفِعُونَ بِما يَسمَعُونَهُ مِن الحَقِّ، ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾: غِطاءٌ،

حاشية الصاوي

(إن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفاً) محلُّهُ في القياسي، وأما السَّماعي فلا لحنَ فيه؛ لأنه يُقتصر فيه على السماع.

وقوله: (فيه التقاء الساكنين على غير حَدِّه) نقول: سهَّلَه طولُ المدِّ والسماع، وأمَّا قولهم: (كل ما وافق وجه النحو... إلخ) محلُّه في قراءة الآحادِ لا في المتواتِرة، وإلَّا فالمتواتر نَفسُه حُجة على غيره لا يحتجُّ له.

قوله: (إعلام مع تخويف) أي: في وقت يَسَع التحرُّز من الأمر المَخُوف، وإلا فيسمَّى إخباراً بالعذاب.

قوله: (﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾) هذا وما بعدَه كالعِلة والدليل لما قبله، والمرادُ بالقُلوب: العقولُ؛ وهي اللطيفةُ الربانيةُ القائمة بالشكل الصَّنوبري قيامَ العَرض بالجوهر، أو قيامَ حَرارة النار بِالفحم.

قوله: (طبع عليها) هذا إشارةٌ إلى المعنى الأصلي، فأطلقه وأراد لازمَه، وهو عدم تغيير ما في قلوبهم؛ بدليل قوله: (فلا يَدخلها خير)، وفي القلوب استِعارة بالكناية؛ حيث شبَّه قلوبَ الكفار بمحلٍّ فيه شيء مختوم عليه، وطوى ذكر المشبَّه به ورَمز له بشيء من لوازمه، وهو الختم، فإثباتُه تخييل.

قوله: (أي: مواضعه) إنما قدَّر ذلك المضاف لأن السمع معنى من المعاني لا يصحُّ إسناد الخَتم لها، وإفرادُهُ إما لأنه مصدر لا يثنى ولا يجمع[1]، أو لِكون المسموع واحداً، وتمَّ الوقف على قَوله: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، وقولُه: ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ خبر مُقدم، و﴿غِشَٰوَةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، جُملة مستأنفة، نظير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ...﴾ الآية[2]. والمرادُ من الغِشاوة: عَدمُ وصول النُّور المعنوي لهم، فأطلق اللازم وأراد الملزُوم، وخصَّ الثلاثة لأنها طُرُق العِلم بالله.

---

(١) وما قرئ شاذًّا: ﴿وعلى أسماعهم﴾ فالجمع هنا للسمع اسماً لا مصدراً؛ كلفظ وألفاظ، فعاد المعنى للمواضع.

(٢) تمامها: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ....

فلا يُبصِرُونَ الحَقَّ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: قَويٌّ دائِمٌ.

﴿٨﴾ ونَزَلَ في المُنافِقِين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) العذاب: هو إيصال الآلام لِلحيَوان على وَجه الهوان.

قوله: (قوي دائم) إنما فسَّرَه بذلك لأنَّ الأصل في العِظَم أن يكون وصفاً للأجسام، فلِذلك حوَّل العبارة.

قوله: (ونزل في المنافقين) أي: في أحوالهم وهَوانهم، واستهزاءِ الله بهم، وضرب الأمثال فيهم، وعاقِبة أمرهم، وجملةُ ذلك ثلاثَ عشرةَ آيةً، آخرُها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وأخَّرَهم عن المؤمنين والكافرين ظاهراً وباطناً؛ إشارةً إلى أنهم أسوَءُ حالاً من الكفار.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾) يحتمل أن الجار والمجرور خبرٌ مُقدَّم، و﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرةٌ موصوفة مبتدأ مؤخَّرٌ، وجملة ﴿يَقُولُ﴾ إما صلة أو صفة، والمعنى: الذي يقول، أو فريقٌ يقول ما ذُكر كائنٌ من الناس، ورُدَّ ذلك: بأنه لا فائدةَ في ذلك الإخبار، والحقُّ أن يُقال: إن (مِن) اسم بمعنى بعض مبتدأٌ، وجُرَّ بها لأنها على صُورةِ الحرف، أو صفةٌ لمحذوف مبتدإٍ، تقديرُه: فريقٌ من الناس، وخبرُهُ قولُه: ﴿مَن يَقُولُ...﴾ إلخ، وعُهِدَ جَعْلُ الظرف مبتدأً حيث كان تمامُ الفائدة بما بعده؛ كقَوله تعالى: ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الجن: ١١]، وقولِه تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١].

وأصل (ناس): أُناس، أُتي بـ(أل) بدلَ الهمزة، مشتقٌّ من التأنس؛ لتأنُّسِ بعضِهم ببَعض، وتسميةُ الإنْس به حقيقةٌ، والجنِّ مجازٌ، وقيل: مُشتق مِن (ناسَ): إذا تحرَّك، وعليه: تَسميةُ الجنِّ به حقيقةٌ أيضاً، والحقُّ الأول؛ ولِذا قيل: لم يُوجد مُنافق أو مشرك إلا في بني آدم فقَط، وكُفْرُ الجن بِغير الإشراك والنفاق، وهو جمعُ إنسان أو إنسي، والمراد من المنافقِين هنا: بعضُ سكان البَوادي، وبعضُ أهل المدينة في زمنِه ﷺ، [الرجز]

وخَيرُ ما فَسَّرتَه بِالوارِدِ[1]

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ...﴾ [التوبة: ١٠١] الآية.

---

(١) وتمامه كما في «ألفية العراقي» (ص١٦١):

كَالدُّخِّ بِالدُّخَانِ لِابْنِ صَائِدِ

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ

﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يَوم القِيامَة لِأنَّهُ آخِرُ الأيَّام، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ ـ رُوعِيَ فِيهِ مَعنَى ﴿مَن﴾، وفي ضَمِير ﴿يَقُولُ﴾ لَفظُها ـ.

﴿٩﴾ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِإظهارِ خِلافِ ما أبطَنُوهُ مِن الكُفر؛ لِيَدفَعُوا عَنهُم أحكامَه الدُّنيَوِيَّةَ، ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لِأنَّ وَبالَ خِداعِهِم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) أعاد الجارَّ لإفادة تأكُّدِ دَعواهم الإيمان بكلِّ ما جاء به رسولُ الله، فردَّ عليهم بأبلغ ردٍّ بقَوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾؛ حيث أتى بالجملة اسميةً وزاد الجارَّ في الخبر.

قوله: (**لأنه آخر الأيام**) علَّةٌ لِتَسميته اليومَ الآخر، والمراد بالأيام: الأوقاتُ، وهل المراد الأوقاتُ المحدُودة وهو بناءً على أن أوَّلَه النَّفخةُ وآخرَه الاستقرارُ في الدارَين، أو الأوقات الغيرُ المحدودةِ بناءً على أنه لا نهايةَ له[1]؟

قوله: (﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾) جملة اسمية تُفيد الدوامَ والاستِمرار؛ أي: لم يَتصفوا بالإيمان في حال من الأحوال، لا في الماضي ولا في الحالِ ولا في الاستقبال.

قوله: (﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾) هذا جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ، تقديرُه: ما الحامِلُ لهم على إظهار الإيمان وإخفاءِ الكُفر؟

وحقيقةُ المخادَعة: أنْ يظهرَ لصاحبه أنه مُوافق ومساعدٌ له على مُراده، والواقعُ أنه ساعٍ في إبطال مراده، فإظهارُ خلافُ ما يُبطن إن كان في الدين سُمِّي نفاقاً وخديعةً ومَكراً، وإن كان في الدنيا ـ بأن يصانعَ أهلَ الدنيا لأجل حِماية الدين ووقايته ـ سُمِّي مُداراةً، وهي ممدوحة.

قوله: (**من الكفر**) بيانٌ لما أبطَنُوه، وقوله: (**ليدفعوا**) علَّةٌ للإظهار.

قوله: (**أحكامه**) أي: الكفرِ، وقوله: (**الدنيوية**) أي: الكائنة في الدنيا، وذلك كالقتلِ والسَّبي والجِزية والذُّل، ولو قصدوا دَفْعَ أحكامه الأُخروية من الخُلود في النار وغضب الجبار لأخلصوا في إيمانهم.

قوله: (**لأن وبال خِداعهم**) أي: عذابَهُ وعاقبةَ أمره.

---

(١) قولان، والمشهور الثاني، وهو اختيار النسفي في تفسير الآية، وإليه يَميل ظاهر كلام البيضاوي، وعلى الأول تكون دعوى الإيمان باليوم الآخر وبما بعده كما أفاده أبو السعود في «تفسيره» (١/ ٤٠).

وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ....

راجِعٌ إلَيهِم، فيَفتَضِحُونَ في الدُّنيا بإطلاع الله نَبِيَّه على ما أبطَنُوهُ، ويُعاقَبُونَ في الآخِرَة، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: يَعلَمُونَ أنَّ خِداعَهُم لِأنفُسِهِم. والمُخادَعَة هُنا مِن واحِدٍ، كـ«عاقَبتُ اللِّصَّ»، وذِكرُ الله فِيها تَحسِينٌ. ـ وفي قِراءَةٍ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ ـ.

﴿١٠﴾ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شَكٌّ ونِفاقٌ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (راجع إليهم) قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

قوله: (فيفتضحون) تفريعٌ على قوله: (لأن وبال خِداعهم... إلخ).

قوله: (بإطلاع الله نبيَّه) أي: وأمرِهِ بإخراجهم من المسجد، ونَزل فيهم: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم...﴾ [التوبة: ٨٤] الآيات.

قوله: (ويعاقبون في الآخرة) أي: بالعذاب الدائمِ المؤبَّد في الدَّرك الأسفل.

قوله: (يعلمون) سُمِّي العلم شُعوراً؛ لأنه يكون بأحد المشاعِر الخمس؛ وهي الشمُّ والذوق واللَّمس والسمع والبصر.

قوله: (والمخادعة هنا من واحد) أي: فليسَت على بابها، وهو جوابٌ عن سؤال تقديرُهُ: أن المفاعلة تكونُ من الجانبَين، وفِعل الله لا يُقال فيه: مُخادعة، فأجاب بما ذُكر. وقد وَرد سؤالٌ آخرُ، حاصله: أن الخداع لا يكون إلا لِمَن تخفى عليه الأمور، فما مَعنى إسناد المخادعة إلى الله؟

أجيب: بأن في الكلام استعارةً تمثيلية؛ حيث شبَّهَ حالهم مع ربهم في إيمانهم ظاهراً لا باطناً بحال رَعيَّة تخادعُ سُلطانَها، واستُعير اسم المشبَّه به للمشبَّه، أو مجازٌ عقلي[1]؛ أي: يُخادعون رسولَ الله، من إسناد الشيء إلى غير مَن هو لَه، أو مجازٌ بالحذف، أو في الكلام تَوريةٌ؛ وهي أن يكون للكلام معنًى قريبٌ وبعيدٌ، فيُطلق القريبُ ويُراد البعيد، وهو مُطلَق الخروج عن الطاعة باطناً، وإن كان المقابل لا تخفى عليه خافيةٌ، وأشار المفسِّر لِذلك كلِّه بقوله: (وذكرُ الله فيها تحسينٌ) أي: بِذكر المجاز؛ لأنه أبلَغ من الحقيقة.

قوله: (﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾) يُطلق على الحِسي وهي الحُرقة، وعلى المعنوي وهو الشكُّ والنفاق، ولا شكَّ أن في قلوبهم المرضَين، والمعنويُّ سببٌ في الحسيِّ، فقوله: (شكٌّ ونفاق) إشارةٌ

---

(١) كذا بالرفع في النسخ على القطع.

فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ....

فهُوَ يُمرِض قُلُوبَهم أي: يُضعِفُها، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾ بما أنزلَهُ مِن القُرآن لِكُفرِهِم بِهِ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾: مُؤلِمٌ ﴿بِمَا كَانُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ ـ بِالتَّشدِيدِ ـ أي: نَبِيَّ الله، ـ وبِالتَّخفِيفِ ـ أي: في قَولِهِم: آمَنَّا.

﴿١١﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لِهَؤلاءِ: ﴿لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ....

حاشية الصاوي

للمَرض المعنوي، وقوله: (فهو يُمرض قلوبَهم) بيانٌ لما يتسبَّبُ عنه، وهو إشارةٌ للحسيِّ، وهي في محلِّ التعليل لما قبلها.

قوله: (بما أنزله من القرآن) أشار بذلك إلى أن نزولَ القرآن يزيدُ الكافر والمنافقَ مرضاً بمعنى: كفراً وشكًّا، فينشأُ عنه المرضُ الحسيُّ، كما يزيد المؤمنَ إيماناً، فينشأُ عنه البهجةُ والسُّرور، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا...﴾ [التوبة: ١٢٤] الآيات، ويحتمل أن المراد بما أنزلَه أي: في حقِّهم من فَضيحتِهِم، خصوصاً سورةَ (التوبة)؛ فإنها تُسمَّى الفاضحةَ.

قوله: (مُؤْلَم) يُقرأ اسمَ مفعول؛ أي: العذاب يُتألَّمُ من شدَّته، فكأنَّه لِشدته كأنَّ الألمَ قام به، وهو أبلَغ، ويَصح قراءته اسمَ فاعل، ولا بلاغةَ فيه[1].

قوله: (أي: نبي الله) إشارةٌ إلى المفعول، وقولُه: (أي: في قولهم) إشارةٌ إلى المتعلَّق على القراءة الثانية.

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾) شروعٌ في ذكر قبائِحهم وأحوالهم الشَّنيعة، وفي الحقيقة هو تفصيلٌ للمخادعة الحاصِلة منهم، وهذه الجملةُ يحتمل أنها استئنافية، ويحتمل أنها معطوفة على ﴿يَكْذِبُونَ﴾، أو على صلة (مَنْ) وهي ﴿يَقُولُ﴾، التقدير: من صفاتهم أنهم يقولون: آمنا... إلخ، ومِن صِفاتهم أنهم إذا قيل لهم: لا تُفسدوا في الأرض... إلخ. وأصل (قِيل): قُوِلَ، استثقلت الكسرة على الواو، فنُقلت إلى ما قبلها بعد سَلْب حركتها، ثم وَقعت الواو ساكنة بعد كسرة قُلبت

(١) لأن الإسناد حينئذ حقيقي، والبلاغة في الإسناد المجازي، وهو حاصِل بقراءته اسمَ مفعول، كما أفاده في «الفتوحات» (١/ ١٧).

قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ....

بِالكُفرِ والتَّعويق عَن الإيمانِ، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ وليسَ ما نَحنُ فِيهِ بِفَسادٍ، قالَ الله تَعالى رَدًّا عليهِم:

﴿١٢﴾ ﴿أَلَآ﴾ - لِلتَّنبِيهِ - ﴿إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ بِذَلكَ.

﴿١٣﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: أَصحابُ النَّبِيِّ ﷺ، ....

حاشية الصاوي

ياء، وفاعلُ القولِ قيل: اللهُ سبحانه وتعالى، وقيل: النبيُّ والصحابة، ومَقولُ القول جملةُ ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في محل نَصب، وهي نائبُ الفاعل باعتبار لَفظها.

قوله: **(بالكفر)** الباءُ: سَببية، بيانٌ لسبب الإفساد، وقوله: **(والتعويقِ عن الإيمان)** معطوف عليه، أي: تَعويق الغير عن الإيمان وصَدِّهم عنه.

قوله: (﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾) أي: ليس شأنُنا الإفساد أبداً، بل نحن محصورُون في الإصلاح، ولا نَخرج عنه إلى غيره، فهو من حَصْرِ المبتدإِ في الخبر، وأكَّدوا ذلك بـ(إنما) المفيدةِ الحصرَ، وبالجملة الاسمية المفيدةِ الدوامَ والاستِمرار، فردَّ عليهم سبحانه وتعالى بجملة مُؤكَّدة بأربع تأكيدات: (ألا) التي للتنبيه، و(إنَّ)، وضميرِ الفصل، وتعريفِ الخبر.

قوله: **(للتنبيه)** وتأتي أيضاً للاستفتاح، وللعَرْض، والتَّحضيض، وفي الحقيقة الاستفتاحُ والتنبيهُ شيءٌ واحد، وتدخل إذا كانت لهما على الجملة الاسمية والفعلية، وأما إذا كانت لِلعرض أو التحضيض فإنها تختصُّ بالأفعال؛ وهي بسيطةٌ على التحقيق، لا مركبةٌ من همزة الاستفهام و(لا) النافِية.

قوله: (﴿وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ **بذلك**) أي: ليس عندهم شُعور بالإفساد؛ لِطَمس بصيرتهم، وعبَّرَ بالشعور دون العلم؛ إشارةً إلى أنهم لم يَصلُوا إلى رتبة البهائم؛ فإن البهائمَ تمتنع من المضارِّ فلا تقربُها؛ لشعورِها، بخلاف هؤلاء.

قوله: (﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾) مقولُ القَول، قوله: (﴿ءَامِنُواْ﴾) وهو نائب الفاعل، وفاعل القول قيل: الله، وقيل: النبي وأصحابُه؛ كما تقدَّم.

قوله: **(أصحاب النبي)** أشار بذلك إلى أنَّ (أل) في ﴿ٱلنَّاسُ﴾ للعهد العِلمي الخارجي، ويحتملُ أن تكون (أل) لِلكمال؛ أي: الناسُ الكاملون.

قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ ....

﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾: الجُهَّالُ، أي: لا نَفعَلُ كفِعلِهِم، قالَ تَعالى رَدًّا عليهِم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلكَ.

﴿١٤﴾ ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ ـ أصلُه: لَقِيُوا، حُذِفَتِ الضَّمَّة لِلاستِثقالِ، ثُمَّ الياءُ لِالتِقائِها ساكِنَةً مع الواو ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ مِنهُم ورَجَعُوا ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُوٓاْ﴾) أي: فيما بينهم، وإلاَّ فلو قالوا ذلك جِهاراً لظهر كفرُهُم وقُتلوا.

قوله: (الجهال) أي: بناءً على أن السَّفَه ما قابل العِلم، ويصحُّ أن المراد به نقصُ العقل؛ بناءً على أنه ما قابل الحِلْم؛ فإن الصحابة أنفقُوا أموالهم في سبيل الله حتى افتقروا وتحمَّلوا المشاقَّ، فسمَّوهم سُفهاء لذلك.

قوله: (ردًّا عليهم) أي: بجملة مؤكَّدةٍ بأربع تأكيدات كالأُولى.

قوله: (﴿وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك) أي: السَّفهَ، أو عِلْمَ النبي بِسفهِهم، وعبَّرَ هنا بالعلم إشارة إلى أن السَّفه معقول، بخلاف الفساد، فإنه مشاهَد؛ فلِذلك عبَّر هنا بالعلم وهُناك بالشعور.

قوله: (﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾) سببُ نزول هذه الآية: أن أبا بكر وعمرَ وعليًّا توجَّهوا لعبد الله ابن سَلول لعنه الله، فقال له أبو بكر: هلمَّ أنت وأصحابك وأخلِصْ معنا، فقال له: مرحباً بالشيخ والصِّدِّيق، ولعمر: مرحباً بالفاروق القوي في دِينه، ولعلي: مرحباً بابن عمِّ النبي، فقال له عليٌّ: اتقِ الله ولا تنافِقْ، فقال: ما قلتُ ذلك إلا لِكون إيماني كإيمانكم، فلمَّا توجَّهوا قال لجَماعته: إذا لقوكم فقولوا مثلَ ما قُلتُ، فقالوا: لم نزلْ بخير ما عِشتَ فينا[1]. و(إذا): ظرف منصوب بـ﴿قَالُوٓاْ﴾.

قوله: (وأصله: لَقِيُوا) أي: على وزن شَرِبوا.

قوله: (حذفت الضمة) لمْ يُكمِل التصريفَ، وتمامُه: ثم ضُمَّت القاف لِلمناسبة.

قوله: (منهم) أشار بذلك إلى أن متعلِّق (خلا) محذوفٌ، وقوله: ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف أيضاً، قدَّره المفسِّر بقوله: (ورَجعوا)، ويحتمل ـ كما قال البيضاوي ـ أن (خلا) بمعنى:

---

(١) رواه بنحوه الواحدي في «أسباب النزول» (٢٤)، ونعت السيوطي إسناده في «لباب النقول» (ص٨) بأنه واهٍ جدًّا.

قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ . . .

رُؤَسائِهِم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدِّينِ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بِهِم بِإظهارِ الإيمانِ.

﴿١٥﴾ ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: يُجازِيهِم بِاستِهزائِهِم، ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾: يُمهِلُهُم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ بِتَجاوُزِهِم الحَدَّ في الكُفرِ، ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يَتَرَدَّدُونَ تَحَيُّراً، ـ حالٌ ـ.

حاشية الصاوي

انفرَد[1]، و(إلى) بمعنى (مع) أي: انفردُوا مع شياطِينهم، ولا حذف فيه، وأصل (خلَوا): خَلَوُوا بواوَين، الأولى لامُ الكلمة، والثانية علامةُ الإعراب، قُلبت لام الكلمة ألفاً؛ لتحركها وانفتاحِ ما قبلها، فبَقِيت ساكنةً وبعدها واو الضمير ساكنة، فحُذفت وبقيت الفتحة دالَّةً عليها.

قوله: (رؤسائهم) إنما سُمُّوا شياطينَ؛ لأن كل رئيسٍ منهم معه شيطانٌ يُوسوس له ويعلِّمُه المكر، وقيل: لأنهم كالشياطين في الإغواء، ورُؤساؤهم في ذلك الوقتِ خمسةٌ: كعب بن الأشرَف في المدينة، وعبد الدار في جُهينة، وأبو بُردة في بني أسلَم، وعوف بن عامر في بني أسَد، وعبد الله بن الأسود في الشام[2].

قوله: (يجازيهم باستِهزائهم) إنما سمَّى المجازاةَ استهزاءً من بابِ المشاكَلة، والاستهزاء: الاستِخفافُ بالشيء.

قوله: (يمهلُهم) أتى بذلك دفعاً لما يُتوهَّم من أن المجازاة واقعةٌ حالاً، وحكمةُ الإمهال مذكورةٌ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، إلى غير ذلكَ من الآيات.

قوله: (بالكفر) الباء: سببيَّة؛ أي: تجاوُزهم الغاية بسبب الكفر.

قوله: (حالٌ) أي: جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾، وهي إما حال من الهاء في (يَمُدُّهُم)، أو من الهاء في ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾، والمراد بالعَمَهِ: عدمُ معرفة الحقِّ من الباطل، فمِنهم مَنْ يَظهر له وجه الحق ويكفرُ عِناداً، ومنهم من يشكُّ في الحق، ويُقال له: عَمًى أيضاً، فبَين العمَه والعمى عموم وخصوصٌ مطلق؛ يجتمعان في طَمس القلب، ويَنفرد العمى بفقد البصر، وقوله: (تحيراً) إما مفعول لأجله، أو تَمييز.

---

(١) «تفسير البيضاوي» (١/ ٤٧).

(٢) في «المحبر» (ص٣٩٠): (ابن السوداء ـ لا الأسود ـ من بني الحارث بن سعد هذيم بالشام، وهو جد هدبة بن خشرم الشاعر).

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ

﴿١٦﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: استبدَلُوها بِهِ، ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي: ما رَبِحُوا فِيها بَل خَسِرُوا لِمَصِيرِهِم إلى النَّارِ المُؤَبَّدَة علَيهِم، ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ فِيما فَعَلُوا.

﴿١٧﴾ ﴿مَثَلُهُمۡ﴾: صِفَتُهُم في نِفاقِهِم ....

حاشية الصاوي

قوله: (استبدلوها به) أشار بذلك إلى أن المرادَ بالشراء: مُطلق الاستبدال، والباء داخلةٌ على الثمن، والمراد بالضَّلالة: الكفرُ، وبالهدى: الإيمان، وكلامُه يقتضي أن الهدَى كان موجوداً عندهم، ثم دَفعُوه وأخذوا الضلالة، وهو كذلك؛ لِقوله ﷺ: «كلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرةِ حتَّى يُهوِّدانِهِ أبواهُ...»[1] الحديثَ، ولأنهم في العهد يومَ ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أجابوا بالإيمان جميعاً.

قوله: (أي: ما ربحوا فيها) أشار بِذلك إلى أن إسنادَ الربح للتجارة مجازٌ عقلي، وحقُّه أن يُسنَد للتاجر.

قوله: (بل خسروا) أي: الربحَ ورأسَ المال جميعاً خُسراناً دائماً، فقوله: (لمصيرهم) علةٌ له، فمثلُهم كمَثل من عنده كنزٌ عظيم يَنفع في الدنيا والآخرة استَبدله بالنار؛ لأن الضلالةَ سبب للنار.

قوله: (﴿مَثَلُهُمۡ﴾) لما بيَّنَ قبائحَهم وعاقبةَ أمرهم، شرعَ يَضرب أمثالَهم، ويُبيِّن فيه وصفَهم وما هُم عليه.

قوله: (صفتهم) أشار بِذلك إلى أن المثَلَ ـ بالتحريك ـ هنا معناه: الصفةُ، وليس المراد به المثَلَ السائر؛ وهو كلامٌ شُبِّهَ مضربُه بمورِده لِغرابته؛ كقولهم: الصيفَ ضيَّعتِ اللبنَ[2]، وقولِه تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا...﴾ [النحل: ٧٥] الآية، وإنما فسَّرَه بالصفة ولم يُفسِّره بالمثَل بمعنى

---

(١) كذا في النسخ على لغة، وبِنحوه رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، والرواية هنا تشبه رواية ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣١٣١) مرفوعاً: «إنه ليس مولود يُولد إلا على الفطرة، حتى يبلغ فيُعبر عن نفسه، أو يهوده أبواه أو يُنصرانه».

(٢) «مجمع الأمثال» (٢/ ٦٨)، والتاء فيه مكسورة على حكاية المثل وإن تنوع المخاطب، ونصب (الصيف) على حذف الجار سماعيٌّ، والمضرِب في تعريف المثل السائر: الحالة التي تشبَّه، والمورد: الحالةُ المشبَّهُ بها، وهو من قَبيل الاستعارة التمثيلية.

كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ....

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾: أَوقَدَ ﴿نَارًا﴾ في ظُلمَةٍ، ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾: أنارَت ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ فأَبصَرَ واستَدفَأَ وأَمِنَ مِمَّن يَخافُهُ، ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أطفَأَهُ، ـ وجُمِعَ الضَّمِير مُراعاةً

حاشية الصاوي

الشبه؛ لِئلا يلزمَ عليه زيادة الكاف، والأصلُ عدم الزيادة. والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر (مثَل)، التقدير: صفتُهم كائنة مثل صفة الذي استَوقد ناراً، ويصحُّ في هذه الكاف أن تكون اسماً وهي نفسُها هي الخبر، وإنما جُرَّ بها لأنها على صورة الحرف، وأن تكون حرفاً مُتعلقة بمحذوف، وعلى كلٍّ معناها: مِثل.

قوله: (﴿ٱسْتَوْقَدَ﴾) راعى في الإفراد لفظَ ﴿ٱلَّذِى﴾، وفي قوله: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ معناه.

قوله: (أوقد) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائِدتانِ، لا للطلب؛ لأنه لا يَلزم من الطلب الإيقادُ بالفعل.

قوله: (في ظلمة) أي: شديدةٍ، وهي ظلمةُ الليل والسَّحاب والريح مع المطر.

قوله: (﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾) الإضاءة: النورُ القوي، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]، فقوله: (أنارت) أي: نوراً قويًّا، والفاء لِلترتيب والتعقيب؛ لأن الإضاءةَ تعقُبُ الإيقاد.

قوله: (﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾) يحتمل أن ﴿مَا﴾ نكرةٌ موصوفة، و﴿حَوْلَهُۥ﴾ صفة، والضمير عائد على المُوقِدِ للنار، وفاعل ﴿أَضَآءَتْ﴾ ضمير يَعود على النار، ويحتمل أن ﴿مَا﴾ اسم موصول، و﴿حَوْلَهُۥ﴾ صِلته، وهو صفة لموصوف محذوف، تَقديره: المكان الذي حَوله.

قوله: (واستدفأ) أي: امتنعَ عنه ألمُ البرد.

قوله: (وأمن ما يخافه) أي: من عدوٍّ وسِباع وحيَّات وغير ذلك ممَّا يضرُّ، وحينئذٍ فقد تمَّ له النفع بالنار.

قوله: (﴿بِنُورِهِمْ﴾) الضمير عائد على متقدِّم ضِمناً في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾؛ إذ المعنى: أنارت؛ على حدِّ: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨][1]، ولم يَقل: بضوئهم؛ إشارةً إلى انعِدام النُّور بالكلية، بخلاف ما لو عبَّرَ بالضوء؛ لأنه لا يلزم من نفي الأخصِّ نفيُ الأعمِّ.

---

(١) فالضمير ﴿هُوَ﴾ عائد على المصدر المفهوم من الفعل ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ أي: العدل أقرَب للتقوى.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨﴾ ....

لِمَعنَى ﴿ٱلَّذِي﴾ ـ، ﴿وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾ ما حَولَهُم مُتَحَيِّرِينَ عَنِ الطَّرِيقِ خائِفِينَ، فكذلِكَ هَؤُلاءِ؛ أَمِنُوا بِإظهارِ كلِمَةِ الإيمانِ، فإذَا ماتُوا جاءَهُم الخَوفُ والعَذابُ.

(١٨) هُم ﴿صُمُّۢ﴾ عَنِ الحَقِّ فلا يَسمَعُونَهُ سَماعَ قَبُولٍ، ﴿بُكۡمٌ﴾: خُرْسٌ عَنِ الخَيرِ فلا يَقُولُونَهُ، ﴿عُمۡيٞ﴾ عَن طَرِيقِ الهُدَى فلا يَرَونَهُ، ﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ عَنِ الضَّلالَةِ.

حاشية الصاوي

والباءُ: للتعدية كالهمزة؛ فلذلك دخلت على المفعول، ولا تستلزم الباء المصاحبةَ كالهمزة[1]، فـ(ذهبتُ بزيد) مثلُ: (أذهبتُ زيداً)؛ خلافاً للمبرِّد، حيث جعَلها تُفيد المصاحبة، ورُدَّ عليه بهذه الآية؛ لاستِحالة المصاحبةِ فيها.

قوله: (﴿وَتَرَكَهُمۡ﴾) عطف على ﴿ذَهَبَ﴾.

قوله: (﴿فِي ظُلُمَٰتٖ﴾) أي: ثلاثٍ؛ ظُلمةِ الليل، والسحاب، والريح مع المطر[2].

قوله: (ما حولهم) هذا هو مفعول ﴿يُبۡصِرُونَ﴾، وقوله: (متحيرين) حالٌ من الضمير في (تركهم).

قوله: (فكذلك) أشار بذلك إلى حال المشبَّهِ وهم المنافقون، وقوله: (أَمِنُوا) بالقصر ضد الخَوف؛ أي: حيث أسلمُوا بألسنَتِهم ولم تؤمن قلوبهم فقد أَمِنُوا من القتل والسبي، وانتَفعوا بأخذِ الغنائم والزكاة، فإذا ماتُوا فقد ذهب الله بِنُورهم فلم يَأْمَنوا من النار، ولم يَنتفعوا بالجنة، وتركهم في ظلمات ثلاثٍ: ظلمة الكفر والنِّفاق والقبر، والجامع بينهما: أن الانتِفاع ودفعَ المضارِّ في كل شيء قليلٌ، ثم يَذهب.

قوله: (﴿صُمُّۢ﴾) خبر لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (هم).

قوله: (﴿فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾) أي: لِفقد هذه الإدراكات الثلاثة مِن قلوبهم.

---

(١) أي: كما أن همزة التعدية لا تُفيد المصاحبة فالباء هنا كذلك، وكونهما سواء أو التعدية بالباء أبلغ؟ خلاف، انظر بحثه عند الإمام السيوطي في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (١/ ٤٢٤).

(٢) وعدَّ في «الفتوحات» (١/ ٢٢) الثالثة ظلمة انطفاء النار، والجمهور على عدم الجزم بالتعيين، وذكر تفصيلها للتصوير.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ ....

(١٩) ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحابِ مَطَر، ـ وأصلُه: صَيوِب، مِن (صابَ يَصُوبُ) أي: يَنزِل ـ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: السَّحابِ، ﴿فِيهِ﴾ أي: السَّحابِ ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ مُتَكاثِفَةٌ، ﴿وَرَعْدٌ﴾ هو المَلَكُ المُوَكَّل بِهِ، وقِيلَ: صَوتُه، ﴿وَبَرْقٌ﴾: لَمَعانُ صَوتِه الذي يَزجُرُهُ بِهِ، ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحابُ الصَّيب ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي: أنامِلَها ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو مثلهم) يصحُّ أن تكون (أو) للتنويع، أو للإبهام، أو الشك، أو الإباحةِ، أو التخيير، أو الإضراب، أو بمعنى الواو، وأحسَنُها الأوَّل.

قوله: (أي: كأصحاب مطر) أشار بِذلك إلى أن الكلامَ على حذفِ مضاف، والمثلُ هنا بمعنى الصفة كما تَقدَّم[١].

قوله: (وأصله: صَيْوِب) أي: اجتَمعت الواو والياء، وسَبقت إحداهما بالسكون، قُلبت الواو ياء وأُدغمت في الياء.

قوله: (السحاب) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالسماء: السماء اللُّغوية، وهي كلُّ ما ارتَفع، وأصل سماء: سَماوٌ، وقعت الواو متطرفةً قُلبت همزة.

قوله: (أي: السحاب) المناسب عَوْدُ الضمير على الصيِّب.

قوله: (﴿ظُلُمَٰتٌ﴾) أي: ظلمةُ الريح والسحاب والليل.

قوله: (هو المَلَك) أي: وعليه قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣].

قوله: (وقيل: صوته) أي: فقوله تعالى: (يُسبِّح الرَّعدُ) أي: ذُو الرعد[٢].

قوله: (لَمَعان سَوطه) أي: الآلةِ التي يَسُوقه بها، وهي من نار.

قوله: (أي: أصحاب الصيب) أي: فهو بيانٌ للواو في ﴿يَجْعَلُونَ﴾.

قوله: (أي: أناملها) أشار بذلك إلى أنَّ في الأصابع مجازاً، من باب: تَسمية الجزء باسم الكل، مبالغةً في شِدَّة الحِرص في إدخال رأس الإصبع، فكأنه مُدخلٌ لها كلِّها.

---

(١) تقدم (١/ ٩٧).

(٢) ولا يعارض هذا ما هو معروف في علم الأرصاد الجوية من اصطِدام الشحنات الكهربائية السالبة بالموجبة؛ لأن الملك هو الذي يُحرك هذه الشحنات بأمر الله تعالى. (ع).

فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا ....

﴿فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أجلِ ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾: شِدَّةِ صَوتِ الرَّعدِ؛ لِئَلَّا يَسمَعُوها؛ ﴿حَذَرَ﴾: خَوفَ ﴿ٱلْمَوْتِۚ﴾ مِن سَماعِها، كذَلك هَؤُلاءِ؛ إذا نَزَلَ القُرآنُ وفيهِ ذِكرُ الكُفر المُشَبَّهِ بِالظُّلُماتِ، والوَعِيدِ علَيه المُشَبَّهِ بِالرَّعدِ، والحُجَج البَيِّنَة المُشَبَّهَة بِالبَرقِ، يَسُدُّونَ آذانَهُم لِئَلَّا يَسمَعُوهُ فيَمِيلُوا إلى الإيمانِ وتَركِ دِينِهِم، وهو عِندَهم مَوت، ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عِلماً وقُدرَةً، فلا يَفُوتُونَهُ.

﴿٢٠﴾ ﴿يَكَادُ﴾: يَقرُبُ ﴿ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْۖ﴾: يَأخُذُها بِسُرعَةٍ، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا

حاشية الصاوي

قوله: (شدة صوت الرعد) الإضافة بيانيةٌ إن كان المراد بالرعد صوتَ الملك، وحقيقيةٌ إن كان المراد به ذاتَه.

قوله: (كذلك هؤلاء) أي: المنافقون.

قوله: (علماً وقُدرة) تمييزان محوَّلانِ عن الفاعل، والإحاطةُ: الاحتِواء على الشيء، كاحتِواء الظرف على المظروف، وهي محالةٌ في حقِّه تعالى، فأشار المفسِّر إلى دَفعِ ذلك بقوله: (علماً وقدرةً) أي: فالمرادُ الإحاطة المعنوية، وهي كونهم مَقهورين، فلا يتأتى منهم فواتٌ ولا إفلات، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

قوله: (﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾) هذا من تمام المثَل، أما قولُه: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فجملةٌ مُعترضة بين أجزاء المشبَّه به، جيء بها تَسليةً للنبي ﷺ.

وأصل (يكاد): يَكْوَد بفتح الواو، نُقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وأصل ماضيها: كَوِدَ بكسر الواو، تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، وهذا التصريف في الناقصة، وأما التامة ففِعلُها يائي، وهي بمعنَى المَكر، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥]، وأصل مضارعها: يَكْيِد بسكون الكاف وكسر الياء، نُقلت كسرة الياء إلى الكاف فصَحَّت الياء.

قوله: (﴿يَخْطَفُ﴾) بفتح الطاء، مضارع (خَطِف) بفتحِ الطاء وكسرها.

قوله: (﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم﴾) (كل): بحسَب ما تضاف إليه، و(ما): نَكرة بمعنى وقت، فـ(كل):

فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

﴿فِيهِ﴾ أي: في ضَوئِه، ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾: وقَفُوا، تَمثِيلٌ لإزعاجِ ما في القُرآنِ مِن الحُجَجِ قُلُوبَهم، وتَصدِيقِهم لِما سَمِعُوا فِيه مِمَّا يُحِبُّونَ، ووُقُوفِهم عَمَّا يَكرَهُونَ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بِمَعنَى أسماعِهِم، ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ الظَّاهِرَة كما ذَهَبَ بِالباطِنَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ....

حاشية الصاوي

ظرفية، والعامل فيها: ﴿مَّشَوْاْ﴾، وفاعل ﴿أَضَآءَ﴾ يعود على البرق، و﴿أَضَآءَ﴾: يحتمل أن يكون متعدياً والمفعول محذوف، التقدير: كلَّ وقتٍ أضاء لهم البرق طريقاً مشَوا فيه، فالضمير في ﴿فِيهِ﴾ عائدٌ على الطريق، ويحتمل أن يكون لازماً، والضمير عائدٌ على الضوء.

قوله: (**تمثيل**) أي: من باب تمثيل الجزئيات بالجزئيات، فقَوله: (**من الحجج**) أي: المشبَّهةِ بالرعد والبرق الخاطِف، وقوله: (**وتَصديقهم بما سمعُوا فيه ممَّا يحبون**) أي: من الآيات الموافقة لِطَبعهم؛ كالقَسْم لهم من الغنائم، وعدمِ التعرُّض لهم وأموالهم، وأشار لذلك بقوله: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ﴾ فكذلك هؤلاء، وقولُه: (**ووقوفهم عما يكرهون**) أي: من التكاليف كالصلاة والصوم والحج والحكم عليهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٨-٤٩]، وأشار إلى ذلك بِقوله: ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾.

قوله: (﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾) يحتملُ أن هذا من تعلُّقات المشبَّه به الذي هو أصحاب الصيِّب، التقدير: لولا مَشيئةُ الله سبَقت لخطَف البرقُ أبصارَهم، ولأذهبَ الرعد أسماعَهم، فإن ما ذُكر سببٌ عادي لإذهاب السمع والبصر، ولكنْ قد يُوجد السبب ولا يُوجد المسبب؛ لِتخلُّف المشيئة، والمقصود من ذلك زيادةُ القُوة في المشبَّه به، ويَلزم منه القُوة في المشبَّه، وهذا ما عليه أبو حيان والبَيضاوي[1]، ويحتمل أنه من تعلُّقات المشبَّه، وهم المنافقون، وعليه المفسِّر، حيث أشارَ لِذلك بقوله: (كما ذهب بالباطنة).

قوله: (**بمعنى أسماعهم**) أشار بذلك إلى أن السمع بمعنى: الأسماع.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾) هذا دليلٌ لما قبله[2].

---

(١) «البحر المحيط» (١/ ٢٣٠)، و«تفسير البيضاوي» (١/ ٥٣).

(٢) أي: لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ...﴾ الآية.

قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ....

شاءَهُ ﴿قَدِيرٌ﴾، ومِنه إذهابُ ما ذُكِر.

﴿٢١﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (شاءه) دفع بذلك ما يُقال: إن الشيء هو الموجُود، ومِن ذلك ذاتُ الله وصفاته، و(كل): للاستغراق، فيَقتضي أن القدرة تتعلَّق بالواجبات، فدَفع ذلك بقوله: (شاءَه) أي: أراده، والإرادة لا تتعلَّقُ إلا بالمُمكن، فكذا القدرة، فخرجت ذاتُ الله وصفاتُه، فلا تتعلَّقُ بهما القُدرة، وإلاَّ لزم إما تحصيلُ الحاصل، أو قَلْبُ الحقائق.

قوله: (﴿قَدِيرٌ﴾) من القُدرة، وهي: صِفة أزلية قائمةٌ بذاته تعالى، تتعلَّق بالممكنات إيجاداً وإعداماً على وَفْقِ الإرادة والعِلم.

قوله: (ومنه: إذهاب ما ذكر) أي: من جُملة الشيء الذي شاءَه، وقوله: (ما ذكر) أي: السمع والبصر.

قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) لمْ يُنادَ في القرآن إلا بـ(يا)[1]؛ سواء كان النداءُ من الله لِعباده، أو منهم لله، وهي لِنداء البعيد، ولما كان الله لا يشبهُ شيئاً من الحوادث ـ وهو منزَّهٌ عنهم ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً ـ نُودي بـ(يا) تنزيلاً للبُعْدِ المعنوي منزلةَ البُعْدِ الحسِّيِّ، ولما كان البُعْدُ قائماً بالحوادث ـ لِلحُجُبِ الموجودة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ـ ناداهم بـ(يا) أيضاً.

و (يا): حرفُ نداء، و(أيُّ): منادى مبني على الضم، و﴿ٱلنَّاسُ﴾: نعتٌ لـ(أي) باعتِبار اللفظ، وهو مرفوع بضمة ظاهِرة[2]، واستُشكل ذلك بأن العامل إنما طلب النصبَ لا البناءَ على الضم، وإنما هو اصطلاحٌ لِلنحاة، فما وَجهُ رفعِ (الناس) مع أن القاعدة: أن النعت تابعٌ لِلمَنعوت في الإعراب؟ وهذا الإشكالُ قديم لا جوابَ له.

واعلَم: أن النداءَ على سبعة أقسام: نداءُ تنبيهٍ مع مدحٍ كـ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أو مع ذمٍّ كـ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟﴾ [الجمعة: ٦]، أو تنبيهٍ محض كـ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [الانفطار: ٦]، أو إضافة

---

(١) «الدر المصون» (١/ ١٨٥).

(٢) فالضمة فيه حركة إعراب لا بناء كما أفاده في «الفتوحات» (١/ ٢٥)، ولا يجوز النصب على المحل إلا عند المازني، وهو ضعيف، فهي صفة يَلزم رفعها، وهذا هو سبب الإشكال الآتي.

﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ ....

أي: أهلَ مَكَّة ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾: وَحِّدُوا ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾: أنشأكُم ولم تَكُونُوا شَيئاً، ﴿وَ﴾ خَلَقَ ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بِعِبادَتِه عِقابَه، ـ و(لَعَلَّ) في الأصل لِلتَّرَجِّي،

حاشية الصاوي

كـ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، أو نِسبة كـ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٣٠]، أو تسمية كـ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ [ص: ٢٦]، أو تخصيص كـ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤][(١)].

قوله: (أي: أهل مكة) يصحُّ رفع (أهل) نظراً للفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾، ونصبُه نظراً لمحل (أيّ)؛ لأن لما بعد (أي) في الإعراب حُكْمَ ما فسَّرته.

قوله: (وحِّدوا) هذا تفسير للعبادة، والمفسِّر قد تَبع في تفسير (الناس) بأهل مكة والعبادةِ بالتوحيد ابنَ عباس[(٢)]، وقال جمهور المفسِّرين: إن المراد بالناس: جميعُ المكلَّفين، وبالعبادة: جميعُ أنواعها أصولاً وفروعاً، وهو أشمَلُ، واستَدل المفسِّر بقاعدة: إن ما قيل في القرآن بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ كان خطاباً لأهل مكة، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كان خطاباً لأهل المدينة[(٣)]، وهي قاعدةٌ أغلَبيَّة؛ فإن السورةَ مَدنية.

قوله: (﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾) صفةٌ لـ(رب)، وتعليقُ الحكم بمشتَق يُؤذن بالعليَّة؛ أي: اعبدوه لخلْقِه إياكم؛ فإنه هو الذي يُعبَد لا غيرُه.

قوله: (عقابه) إشارةٌ إلى مفعول ﴿تَتَّقُونَ﴾.

قوله: (ولعل في الأصل للترجِّي) أي: أصل اللغة، والترجي هو: توقُّعُ الأمر المحبوبِ على سبيل الظَّن.

---

(١) «الفتوحات الإلهية» (١/ ٢٦) نقلاً عن «حاشية الكرخي على الجلالين».

(٢) أما تفسير العبادة بالتوحيد فقد رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٦)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٣٦٣)، وجاء تفسير الناس عنه بالفريقين من الكفار والمنافقين ـ لا جميع المكلفين ـ عند الطبري في الخبر نَفسه، وعند ابن أبي حاتم (٢١٥).

(٣) كما روى الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٨) عن ابن مسعود ﷺ قال: (ما كان «يا أيها الذين آمنوا» أنزل بالمدينة، وما كان «يا أيها الناس» فبِمكة)، وانظر: «الدر المنثور» (١/ ٨٤).

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ....

وفي كَلامِه تَعالى لِلتَّحقِيقِ ـ.

﴿٢٢﴾ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾: خَلَقَ ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ ـ حالٌ ـ: بِساطاً يُفتَرَش، لا غايَةً في الصَّلابَةِ أو اللُّيُونَة فلا يُمكِن الِاستِقرارُ عليها، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سَقفاً، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ﴾ أنواعِ ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تَأكُلُونَه وتَعلِفُون بِه دَوابَّكُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي كلامه تعالى لِلتحقيق) أي: ومثلُها (عسى) كما قال سيبويه[1]، ودفعَ بذلك ما يُتوهَّم من مَعنى (لعل) كون المولى سُبحانه وتعالى جاهلاً بالأمور المستقبَلة، وأتى به على صورة الترجِّي بالنسبة لِحال المخاطَبِين، لا لخبر الله؛ فإنه من قَبِيل الوعد، وهو لا يتخلَّف.

قوله: (خلق) أي: فتنصبُ مفعولاً واحداً وهو الأرض، وقوله: (﴿فِرَٰشًا﴾) حال كما قال المفسِّر، ويحتمل أنها على بابها بمعنى: صيَّر، فيكون ﴿فِرَٰشًا﴾ مفعولاً ثانياً، والمراد على الثاني التصييرُ من عَدَم.

قوله: (فلا يمكن الاستقرار عليها) مُفرَّع على المنفي بِشِقَّيه.

قوله: (سقفاً) أي: وقد صرَّح به في آيةِ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

قوله: (﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: اللغوية، وهي ما علا وارتَفع، والمرادُ: السحاب.

قوله: (﴿مَآءً﴾) هو من الجَنة، فيَنزل بمقدار على السحاب، وهو كالغِرْبال، ثم يُساق حيث شاء الله على مختار أهل السنة، وقالَت المعتزلة: إن السحاب له خَراطيم كالإبل، فينزل يَشرب من البحر المِلْح بمقدار، ويَرتفع في الجو، فتَنسفه الرياح فيَحلُو، ثم يُساق حيث شاء الله[2].

قوله: (﴿ٱلثَّمَرَٰتِ﴾) أي: المأكُولات لجميع الحيوانات؛ بِدليل قول المفسِّر: (وتَعلفون به دوابكم)، والمراد بها: ما دبَّ على وجه الأرض غيرَ الآدمي.

---

(١) كذا في «الفتوحات» (١/ ٢٦) نقلاً عن الكرخي، وكون (عسى) للتحقيق في كلامه سبحانه نقَله أبو حيان في «البحر» (٢/ ١٥٣)، والسمين في «الدر المصون» (٢/ ٣٨٨)، وسيأتي تمام الحديث عن ذلك (١/ ٥٤٦).

(٢) هذه التفسيرات بناء على النظريات الشائعة في أيامهم، وليس في القرآن أو السنة الصحيحة شيء من ذلك، والله أعلم. (ع).

فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ....

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شُرَكاءَ في العِبادَة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ الخالِقُ ولا يَخلُقُونَ، ولا يَكُونُ إلهاً إلَّا مَن يَخلُقُ.

﴿٢٣﴾ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾) (لا): ناهية، والفعل مجزومٌ بحذف النون، والواو: فاعل، و﴿أَندَادًا﴾: مفعول أول مؤخَّر، و﴿لِلَّهِ﴾: جارٌّ ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثانٍ مُقدَّم واجبِ التقديم؛ لأن المفعول الأول في الأصل نَكرة، ولم يُوجد له مُسوِّغٌ إلا تقديم الجار والمجرور. ومعنى ﴿تَجْعَلُواْ﴾: تُصَيِّروا أو تُسَمُّوا، وعلى كلٍّ فهي متعدية لمفعولَين، والفاء: سببية. و(الأنداد): جمع نِدٍّ، معناه: المقاومُ المضاهي؛ سواء كان مِثلاً أو ضدًّا أو خِلافاً.

قوله: (﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) جملةٌ من مبتدأ وخبر في محل نَصب على الحال، وقوله: (**أنه الخالق**) بفتح الهمزة في تأويل مَصدر سدَّتْ مسدَّ مفعولي ﴿تَعْلَمُونَ﴾ أي: تَعلمونه خالقاً.

قوله: (**ولا يكون إلهاً إلا من يخلق**) هذا هو تمام الدَّليل، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

قوله: (﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾) استُشكلَتْ هذه الآية بِوُجوه ثلاثة:

الأول: أنَّ (إنْ) تقلِبُ المضِيَّ إلى الاستقبال، ولو كان الفعلُ (كان)، خِلافاً للمبرد القائل بأنها لا تقلبه إذا كان الفعل (كان)[1]، واحتَجَّ بهذه الآية، فيَقتضي أن الريب مستقبلٌ وليس حاصلاً الآن مع أنه حاصِل. أُجيب عنه: بأن الاستقبالَ بالنسبة لِلدوام، والمعنى: إن دُمتُم على الرَّيب.

الوجه الثاني: أنَّ (إن) للشكِّ، فيُفيد أن ريبَهم مشكوكٌ فيه مع أنه مُحقَّقٌ. أُجيب: بأنه أتى بـ(إن) إشارةً للَّائق؛ أي: اللائقُ والمناسب ألا يكونَ عندكم رَيب.

الوجه الثالث: أنَّ قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ أي: شكٌّ في أنه مِن عند الله أو مِن عند محمَّد[2]، فليس عندهم جزمٌ بأنه مِن عند محمد، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يفيدُ أن عِندهم جزماً

---

(١) «الدر المصون» (١/ ١٩٧).

(٢) وخبر (أنَّ) عند العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٢٧) هو: (يقتضي أنهم شاكُّون)، أو حذفه اعتماداً على اللحاق أو السياق.

﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ ....

شَكٍّ ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ مُحَمَّدٍ مِنَ القُرآنِ أَنَّهُ مِن عِندِ اللهِ، ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: المُنَزَّلِ، و﴿مِّن﴾ لِلبَيانِ أي: هِيَ مِثْلُه ....

حاشية الصاوي

بأنه مِن عند محمد، فبَين أوَّلِ الآية وآخرِها تَنافٍ؟ أجيب: بأنه أشار في أول الآية إلى عقيدتهم الباطنيَّة، وفي آخِرها إلى عِنادهم لإظهار الإغاظة له ﷺ، فلا يخلُو حالُهم الباطن إما أن يكونَ عندهم شكٌّ في أنه مِن عند الله، أو تحقيقٌ بأنه مِن عند الله، وإنما إظهارُهم الجزمَ بأنه ليس من عِند الله عنادٌ.

قوله: (شك) جعل الشكَّ ظرفاً لهم؛ إشارةً إلى أنه تمكَّنَ منهم تمكُّنَ الظرفِ من المظروف.

قوله: (﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾) (مِن): حرف جر، و(ما): اسم موصول أو نَكرة موصوفة، والعائد محذوف، والجملة صِلة أو صفة، والجار والمجرور صفة لـ﴿رَيْبٍ﴾، التقدير: في ريبٍ كائنٍ مِن الذي نزَّلناه، أو في ريب كائنٍ من كلامٍ نزَّلناه.

قوله: (﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾) الإضافة للتشريف، وقُرِئَ: (على عِبادنا)[1]، فعلى هذه القراءة المراد بالجمع: محمدٌ وأُمَّته؛ لأن المكذِّب لمحمد مكذِّبٌ لأُمَّته.

قوله: (من القرآن) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (أنه من عند الله) الكلامُ على حذف الجار؛ أي: بأنه.

قوله: (﴿فَأْتُوا۟﴾) أصله: ائْتِيُوا بهمزتين، الأُولى للوصل، والثانية فاءُ الكلمة، وَقعت الثانية ساكنةً بعد كسرة قُلبت ياءً، استُثقِلت الضمة على الياء التي هي لامُ الكلمة، فحُذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضُمَّت التاء لِلتجانس، وفي الدَّرْج تُحذفُ همزة الوصل، وتَعود الهمزة التي قُلبت ياءً كما هنا، ﴿فَأْتُوا۟﴾ على وزن (فافْعُوا).

قوله: (أي: المنزَّل) أي: وهو القرآن، ويَشهد لهذا التفسير ما في سورة (يونس): ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، ويحتمل أن الضمير عائدٌ على (عبدنا) الذي هو محمد؛ أي: فأتوا بِسورة من رجل مثل محمد في كونه أمِّيًّا بشراً عربيًّا؛ فإنكم مِثله، وحيث كان كذلك فلا بُعْدَ في مناظرته.

قوله: (و ﴿مِّن﴾: للبيان) ويحتمل أن تكونَ لِلتبعيض، والأوَّلُ أقرب.

(١) «الكشاف» (١/١٢٧).

وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ ....

في البَلاغَة وحُسنِ النَّظم والإخبارِ عَن الغَيب، والسُّورَة: قِطعَةٌ لَها أوَّل وآخِرٌ، أقَلُّها ثَلاثُ آيات، ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾: آلِهتَكُم الَّتي تَعبُدُونَها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه لِتُعِينَكُم، ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّ مُحَمَّداً قالَهُ مِن عِندِ نَفسه فافعَلُوا ذلكَ؛ فإنَّكُم عَرَبِيُّونَ فُصَحاءُ مِثلُه. ولَمَّا عَجَزُوا عَن ذلك قالَ تَعالى:

﴿٢٤﴾ ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ ما ذُكِر لِعَجزِكُم، ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ ذلك أبَداً لِظُهُورِ إعجازِه،

حاشية الصاوي

قوله: (في البلاغة) هذا بيان لوَجْهِ المماثلة.

قوله: (أقلها ثلاث آيات) ليس من تمام التعريف، بل هو بيانٌ للواقع؛ فإنَّ أقصرَ سُورة ثلاث آيات، ولو فُرِض أنها آيتان لعجزُوا أيضاً.

قوله: (أي: آلهتكم) إنما سُمُّوا شهداءَ؛ لِزعمهم أنهم يَشهدون لهم يوم القيامة.

قوله: (أي: غيره) أشار بذلك إلى أن (دُون) بمعنى: غير، والمعنى: ادعوا شُهداءكم الذين اتخذتموهم مِن دون الله أولياءَ أو آلهة، وزعمتم أنها تَشهد لكم يوم القيامة، فقوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وصفٌ لشهداء أو حالٌ منه، وهو على زيادة (مِنْ) إذ تقديره: شُهداءكم التي هي غير الله، أو حال كونها مُغايرة لله، وقوله: (لِتعينكم) عِلة لقوله: (ادعوا).

قوله: (﴿فَٱفۡعَلُواْ﴾) إشارةٌ إلى جواب الشرط الثاني، وأما جواب الأول فهو مذكور بقوله: ﴿فَأۡتُواْ﴾، هكذا قال المفسِّر، لكنْ سيأتي له في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ...﴾ [البقرة: ٩٤] الآية، وللمحلِّيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ...﴾ [الجمعة: ٦] الآية: أنه إذا اجتمع شَرطان وتوسَّط بينهما جوابٌ كان للأخير، والأوَّلُ قيدٌ فيه، ولا يحتاج لجواب ثانٍ، والتقدير في الآية: إن كنتُم صادقين في دعواكم أنه مِن عند محمد ودُمتُم على الريب فأتوا بسورة من مِثله، وهو أولى؛ لعدم التقدير.

قوله: (فإنكم عربيون) عِلة لقوله: ﴿فَٱفۡعَلُواْ﴾.

قوله: (﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ﴾) (إنْ): حرفُ شرط، و﴿لَّمۡ﴾: حرفُ نفي وجزم وقَلب، و﴿تَفۡعَلُواْ﴾: مجزوم بـ﴿لَّمۡ﴾، وعلامة جزمه حذفُ النون، والجملةُ من الجازم والمجزوم في محل جزم فِعل الشرط، ....

فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ....

ـ اعتِراضٌ ـ، ﴿فَٱتَّقُواْ﴾ بِالإيمانِ بِاللهِ وأنَّهُ ليسَ مِن كَلام البَشَرِ ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُها ٱلنَّاسُ﴾: الكُفَّارُ ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامِهِم مِنها، يَعنِي أنَّها مُفرِطَةُ الحَرارَةِ تَتَّقِد بِما ذُكِرَ، لا كنارِ الدُّنيا

حاشية الصاوي

وقوله: (﴿فَٱتَّقُواْ﴾) جواب الشرط، وقُرن بالفاء لأنه فِعلٌ طلبي.

قوله: (أبداً) أخذ التأبيدَ من قرينة خارجية، لا مِن (لن)، خلافاً للزمخشرِي(١).

قوله: (اعتراض) أي: جملة مُعترضة بين فعل الشرط وجوابه، قُصد بها تأكيدُ العَجز، وليس معطوفاً على جملة ﴿لَمْ تَفْعَلُواْ﴾.

قوله: (وأنه) بفتح الهمزة على حذفِ الجار؛ أي: وبأنه.

قوله: (﴿ٱلَّتِي وَقُودُهَا﴾) بفتح الواو ما تُوقد به، وأما بالضم فهو الفعل، وقيل بالعكس، على حدِّ ما قيل في الوضوء والطَّهور والسحور.

قوله: (كأصنامهم منها) إنما خصَّ الأصنامَ بكونها من الحِجارة مُسايَرة للآية، وإلا فالأصنام مطلقاً تَدخل النار، قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، ويُستثنى من ذلك عيسى والعُزير وكلُّ معبود من الصالحين، وإنما دخَلت الأصنام النارَ وإن كانت غيرَ مكلَّفة؛ إهانةً لِعُبَّادها وليعذَّبوا بها، لا لِتَعذيبها.

قوله: (بما ذكر) أي: بالناس الكفَّارِ والحجارةِ.

قوله: (لا كنار الدنيا) أي: كما ورَد: «أن نارَ الدنيا قِطعة من جهنم غُمست في البحر سبعَ مرَّات(٢)، ثم بعد أخذها أُوقد على جَهنم ثلاثةَ آلاف سنة، ألفٌ حتى ابيضَّت، وألف حتى احمرَّت، وألف حتى اسوَدَّت، فهي الآن سَوداءُ مظلمة»(٣).

---

(١) ونص الزمخشري في «كشافه» (١/ ١٠١): («لا» و«لن» أختان في نفي المستقبل، إلا أن في «لن» توكيداً وتشديداً)، والعلامة ابن عاشور في كلامه ما يُشعر تفسيرَهُ التوكيدَ بالتأبيد، ثم قال في «التحرير والتنوير» (١/ ٣٤٢): (من قال من النحاة: إنها لا تفيد تأكيداً ولا تأبيداً فقد كابر) مُعتمداً رحمه الله على الاستقراء.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٧٤٦٣) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، ضُربت بماء البحر، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعةً لأحد».

(٣) رواه الترمذي (٢٥٩١).

أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ ....

تَتَّقِدُ بِالحَطَبِ ونَحوِه، ﴿أُعِدَّتْ﴾: هُيِّئَت ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يُعَذَّبُونَ بِها، - جُملَةٌ مُستَأنَفَةٌ أو حالٌ لازِمةٌ -.

﴿٢٥﴾ ﴿وَبَشِّرِ﴾: أَخبِرِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: صَدَّقُوا بِالله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مِنَ الفُرُوضِ والنَّوافِلِ ﴿أَنَّ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (جملة مستأنفة... إلخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة لا ارتباطَ لها بما قبلَها، وقعَت في جواب سؤال مقدَّر، تقديرُهُ: هذه النار التي وقودُها الناس والحجارة لِمَن؟

قوله: (أو حال لازمة) أي: والتقدير: فاتَّقوا النار حالَ كونها مُعَدَّة ومهيَّئةً للكافرين، ودفع بقوله: (لازمة) ما قيل: إنها معدَّةٌ للكافرين اتقَوا أم لم يتقوا[1].

قوله: (﴿وَبَشِّرِ﴾) جرَت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر ما يتعلَّق بالكافرين وأحوالهم وعاقبة أمرِهم يذكر بِلصقه ما يتعلق بالمؤمنين وأحوالهم وعاقبة أمرِهم؛ فإن القرآن نُزِّل لهذين الفريقين، والبشارة: هي الخبر السارُّ، سُمِّي الخبر بذلك لِطلاقة البَشرة والفرح والسرور عنده. والأمر لِرسول الله ﷺ، وهو للوجوب؛ لأن البشارةَ من جملة ما أُمر بِتَبليغه، ويحتمل أن الأمر عامٌّ له ولكلِّ مَنْ تحمَّلَ شرعه كالعلماء.

قوله: (أخبر) مشى المفسِّر على أن معنى البِشارة: الخبرُ مطلقاً، لكنْ غلَبَ في الخير، وضده على النِذارة، وأما قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فمن باب التشبيه بجامع أنَّ كلاًّ صادرٌ من المولى، وهو لا يَتخلَّف.

قوله: (صدقوا بالله) إنما اقتَصر على ذلك؛ لأنه يَلزم من التصديق بالله التصديقُ بما أخبرَ به على لسانِ رُسله.

قوله: (﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) وصفٌ جرى مَجرى الأسماء، فلِذلك صحَّ إسنادُ العوامل له، فلا يُقال: إنه صفة لموصوف محذوف؛ أي: الأعمال الصالحات.

قوله: (من الفروض) أي: كالصَّلوات الخمس، وصِيام رمضان، والحج في العمر مرةً، وزكاة الأموال، والجهادِ إذا فجَأ العدو، وقوله: (والنوافل) أي: كصلاة التطوع وصومِه، ومُواساة الفقراء،

---

(١) «البحر المحيط» (١/ ٢٥١).

لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ....

أي: بِأنَّ ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾: حَدائِقَ ذاتَ شَجَرٍ ومَساكِنَ، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ أي: مِن تَحتِ أشجارِها وقُصُورِها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ ....

حاشية الصاوي

وغيرِ ذلك من أنواع البرِّ، والمراد: عملوا الصالحاتِ على حسَبِ الطاقة، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

قوله: (أي: بأن) أشار بذلك إلى حذفِ الجار، وهو مطَّردٌ مع (أنَّ)، قال ابن مالك: [الرجز]

وَحَذْفُهُ مَعْ أَنْ وَأَنَّ يَطَّرِدُ ... مَعْ أَمْنِ لَبْسٍ كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُوا[1]

قوله: (﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾) جمع جنَّة، واختُلف في عَدِّها؛ فقيل: أربعٌ، وهو ما يُؤخَذ من سورة (الرحمن)[2]، وقيل: سبعٌ، وعليه ابنُ عباس: جنةُ عَدْن، وجنة المأوى، والفِردوسُ، ودارُ السلام، ودار الجَلال، وجَنَّة النعيم، وجنة الخُلد[3].

قوله: (حدائق) جمع حَديقة، وهي: الرَّوضةُ الحسنة.

قوله: (ذات أشجار ومساكن) أي: موجودات فيها الآن، ومع ذلك تقبل الزيادةَ، فالجنة تامَّةٌ فيها ما تَشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، ومع ذلك أرضُها واسعة طَيبة تقبل الزيادة.

قوله: (أي: تحت أشجارها) أي: على وجه الأرض بِقدرة الله، فلا تبلُّ فرشاً، ولا تهدِمُ بناءً، ولا تقطع شجراً.

قوله: (﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾) يحتمل أن تكون (أل) للعهد، والمراد بها ما ذكر في سورة (القتال) بقوله تعالى: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

---

(١) كذا في النسخ تصرَّفَ فيه المصنف رحمه الله تعالى، ونظْمُ ابن مالك مع البيت قبله في «الخلاصة» (تعدي الفعل ولزومه):

وعَدِّ لازماً بحرفِ جرِّ ... وإنْ حذفْ فالنصبُ للمنجرِّ

نقلاً وفي أنَّ وأنْ يطَّردُ ... مَعْ أمنِ لبسٍ كعَجِبتُ أنْ يَدُوا

(٢) لقوله تعالى فيها: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾، وقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

(٣) «تفسير القرطبي» (٨/ ٣٢٩).

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ

أي: المِياهُ فِيها، والنَّهرُ: المَوضِع الذي يَجرِي فِيهِ الماءُ؛ لِأنَّ الماءَ يَنهَرُهُ أي: يَحفِرُهُ. وإسنادُ الجَري إلَيهِ مَجازٌ، ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾: أُطعِمُوا مِن تِلكَ الجَنَّات ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي﴾ أي: مِثلُ ما ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبله في الجَنَّة؛ لِتَشابُهِ ثِمارِها بِقَرِينَةِ ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ أي: جِيئُوا بِالرِّزقِ ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يُشبِه بَعضُه بَعضاً لَوناً ويَختَلِف طَعماً، ﴿وَلَهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: المياه فيها) أي: الأنهار، وأشار بذلك إلى أن في الجنة حُفراً كأنهار الدنيا، وقيل: لم يوجَدْ في الجنة حفرٌ تجري فيها المياه، بل تجري على وجه الأرض.

قوله: (والنَّهر الموضع) أي: بحسَب الأصلِ اللغوي.

قوله: (وإسناد الجَرْي إليه مجاز) أي: عقليٌّ؛ أو الإسنادُ حقيقي[1]، وإنما التجوُّزُ في الكلمة من إطلاق المحلِّ وإرادة الحالِّ فيه[2].

قوله: (﴿كُلَّمَا رُزِقُوا﴾) ظرف لقوله: ﴿قَالُوا﴾.

قوله: (﴿مِن ثَمَرَةٍ﴾) أي: نَوعها.

قوله: (أي: مثل ما) الأَولى حذفُ (ما) وتقديم (مثل) على (الذي)، وأتى بمثل دفعاً لما يُتوهَّمُ من قولهم: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أنه عينُهُ، وذلك مُستحيل؛ لأنه قد أُكل، والمعنى: أن الله قادرٌ على صنع طعام مُتَّحد اللون مختلف الطعم واللَّذة، فإذا رأوه قالوا: ﴿هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ بحسَب ما رأوا من اتحاد اللون، فإذا أكلُوه علموا عدمَ الاتحاد.

قوله: (أي: قبله في الجنة) أشار بذلك إلى ردِّ ما قيل: إن المراد بقوله: (من قبله) في الدنيا، وقوله: ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أي: يشبه ثمرَ الدُّنيا في الصورة[3].

قوله: (جيؤوا بالرزق) أي: يأتي به الوِلْدانُ والملائكة، والمراد بالرِّزق المرزوق؛ أي: المأكول.

---

(١) في (أ): (فالإسناد حقيقي)، ولكن إسناد المجاز العقلي مجازي لا حقيقي، ومن قال: النهر اسم للماء حقيقة.. فلا مجاز عنده.

(٢) على سبيل المجاز المرسل المفرد.

(٣) وإنما وقع التشابه في المأتي به في الجَنة.

فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ ....

﴿فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ مِنَ الحُور وغَيرِها ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ مِن الحَيضِ وكُلِّ قَذَرٍ، ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ماكِثُونَ أَبداً لا يَفنَونَ ولا يَخرُجُونَ.

﴿٢٦﴾ ونَزَلَ رَدًّا لِقَولِ اليَهُود لَمَّا ضَرَبَ الله المَثَلَ بِالذُّبابِ في قَولِه: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٧٣] والعَنكَبُوتِ في قَولِه: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]: ما أرادَ الله بِذِكرِ هَذهِ الأشياءِ الخَسِيسَة؟ فأنزَلَ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرها) أي: نساءِ الدنيا، فقد ورد: «أن نساءَ الدنيا يكُنَّ أجملَ مِن الحور العين»[(١)]، وقد ورد: «أن كلَّ رجل يُزوَّجُ بأربعة آلاف بِكْر، وثمانيةِ آلاف أيم، ومِئةِ حوراء»[(٢)].

قوله: (وكل قذر) أي: كالنفاس والبُصاق والمخاط، وليس في الجنة إنزالٌ ولا حمل ولا وِلادة، وليس الأكلُ والشرب عن جُوع وظمأ.

قوله: (لا يفنون) أي: ولا يمرضون، ولا تَبلى ثيابُهم، ولا يفنى شبابُهم.

قوله: (ولا يخرجون) أي: لقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

قوله: (ونزل ردًّا) فاعلُ (نزلَ) جملةُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾، قُصِدَ لفظُها، و(ردًّا) بمعنى: جواباً مفعولٌ لأجله، أو حالٌ من فاعل (نزل)، وقوله: (لما ضرب الله المثل) ظرفٌ للقول، ومقولُ القولِ قوله: (ما أراد الله... إلخ)، وقوله: (بالذباب) الباءُ: للتصوير، وهو متعلق بـ(ضرب)، وجواب استفهامهم قولُه تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾.

قوله: (في قوله) أي: تعالى، وحَذفها للاختصار، وكذا بقية المثَلَين.

قوله: (بذكر هذه الأشياء الخَسيسة) أي: مع أنه عظيم، وقالوا أيضاً: إن الواحد منَّا يستحيي أن يضرب المثلَ بالشيء الخسيس، فاللهُ أولى، وجعلوا ذلك ذريعةً لإنكار كَونه من عند الله.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾) مضارعُ استَحيا، ومصدره استِحياء، وقُرِئَ بحذف إحدى

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٦٧) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً، وروى ابن المبارك في «الزهد» (٢٥٥) عن حيان بن أبي جبلة: (إن نساء أهل الدنيا مَن دخلت منهن الجنة فَضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا).

(٢) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٧٢، ٣٧٣)، مقطوعاً ومرفوعاً، وفيه: «خمس مئة» بدل «مئة»، ولفظ المصنف هنا أورده السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٩٩) وعزاه للبيهقي في «البعث والنشور».

أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ....

أَن يَضْرِبَ﴾: يَجعَلَ ﴿مَثَلًا﴾ ـ مَفعُولٌ أوَّل ـ ﴿مَّا﴾ ـ نَكِرَةٌ مَوصُوفَة بِما بَعدَها مَفعُولٌ ثانٍ، أي: أيَّ مَثَل كانَ، أو زائِدَةٌ لِتَأكِيدِ الخِسَّة، فما بَعدَها المَفعُولُ الثَّانِي ـ ﴿بَعُوضَةً﴾: مُفرَدُ البَعُوضِ وهو صِغارُ البَقِّ ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: أكبَرَ مِنها، ....

حاشية الصاوي

الياءين، فاختُلفَ هل المحذوف اللامُ أو العينُ؟ فعلى الأول: وزنه (يَسْتَفعِ)، وعلى الثاني: وزنه (يَسْتَفْلِ)، وعلى كلٍّ نُقلت حركةُ ما بعد الساكن إليه، فحذفت إما اللام أو العين.

والحياء في حقِّ الحوادث: تَغيير وانكسار يعتري الإنسان من فعل ما يُعاب، ولازمُهُ التركُ، فأُطلق في حقِّ الله وأُريد لازمُه وهو الترك، وإنما أتى به مُشاكلةً لقولهم: الله عظيم يستحي أنْ يضرب المثلَ بالشيء الحَقير.

قوله: (﴿أَن يَضْرِبَ﴾) فيه حذف الجار؛ أي: مِن أن يضرب، وقوله: (**يجعل**) أي: فينصب مفعولين.

قوله: (**أو زائدة**) أي: وهو الأقرب، والمعنى على الأول: إن الله لا يَستحيي أن يجعلَ مثلاً شيئاً موصوفاً بكونه بعوضةً فما فوقها؛ وعلى الثاني: إن الله لا يستحيي أن يجعلَ مثلاً بعوضةً فما فَوقها.

قوله: (**لتأكيد الخسة**) أي: فليست زيادةً محضة، وهكذا كلُّ زائدٍ في القرآن[١].

قوله: (**وهو صغار البقِّ**) يُطلق البَقُّ على الناموس، وعلى الأحمر المنتِن الرائحة، والأقرب الأوَّلُ؛ لأنه عجيب في الخِلْقة، فلَه ستة أرجلٍ، وأربعةُ أجنحة، وخرطومٌ طويل، وذنَب، ومع ضعفه وصغره يقتل الجملَ العظيم بِمنقاره، وهو القاتل لِلنمروذ.

قوله: (**أي: أكبر منها**) أي: في الجسم كالجَمل مثلاً، ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: في الخِسَّة كالذَّرَّة[٢].

---

(١) وقد قال القاضي البيضاوي في «تفسيره» (١/ ٦٢): (ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع؛ فإن القرآن كلَّه هدى وبيان، بل ما لم يوضع لمعنًى يراد منه، وإنما وضعت لأن تذكر مع غيرها فتفيد له وثاقة وقوة، وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه).

(٢) واحدة الذَّرِّ؛ صغار النَّمل.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ﴾ ....

أي: لا يَترُكُ بَيانَه لِما فِيهِ مِن الحِكَمِ؛ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المَثَلَ ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ الواقِعِ مَوقِعَه ﴿مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ ـ تَمييزٌ ـ أي: بِهذا المَثَل. ـ و(ما) استِفهامُ إنكار مُبتَدَأ، و(ذا) بِمَعنَى الذي بِصِلَتِه خَبَرُه ـ أي: أيُّ فائِدَة فِيهِ؟ قالَ تَعالى في جَوابِهم: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي: بِهذا المَثَل ﴿كَثِيرًا﴾ عَن الحَقِّ لِكُفرِهِم بِهِ، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ﴾ مِن المُؤمِنِينَ لِتَصدِيقِهِم بِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا يترك بيانه) هذا هو معنى الاستحياء في حقِّ الله، وتقدَّمَ أنه مجازٌ من إطلاق الملزوم وإرادةِ اللازم.

قوله: (لما فيه من الحكم) عِلةٌ لعدم الترك.

قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) شروعٌ في بيان الحكمة المترتبة على ضَرْبِ المثل.

قوله: (الواقع موقعه) صادِقٌ بالأفعال الصائبة، والذاتِ الثابتة، والأقوال الصادقة[1].

قوله: (تمييز) أي: محوَّل عن المفعول، على حدِّ: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢].

قوله: (استفهام إنكاري[2]) أي: بمعنى النفي.

قوله: (بمعنى الذي) أي: والعائد محذوف؛ أي: أرادَه.

قوله: (أي: أي فائدة) هذا زُبدة معنى التركيب، وقصدُهم بهذا الاستفهام نفيُ الفائدة، فيتوصَّلون بذلك إلى إنكارِ كونه من عند الله.

قوله: (به) الباء سَببية، وقوله: (لكفرهم به) عِلةٌ لإضلالهم.

قوله: (لتصديقهم به) عِلةٌ لهدايتهم.

---

(١) المعطوفات لبيان ما يصدق عليه الحق، وعبارة البيضاوي في «تفسيره»: (والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعمُّ الأعيان الثابتة، والأفعال الصائبة، والأقوال الصادقة، من قولهم: حق الأمر؛ إذا ثبت، ومنه: ثوب مُحقق؛ أي: محكَم النسج).

(٢) في (ط): (استفهام إنكار).

وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ....

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾: الخارِجينَ عنْ طاعَتِه.

﴿٢٧﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ - نَعتٌ - ﴿يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾: ما عَهِدَهُ إلَيهِم في الكُتُبِ مِن الإيمان بِمُحمَّدٍ ﷺ ﴿مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: تَوكِيدِه علَيهِم، ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ مِن الإيمان بِالنَّبيِّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾) يطلق لفظ الفاسِقين على مَنْ فعل الكبائر في بعض الأحيان، وعلى مَنْ فعَلها في كلِّ الأحيان غيرَ مستحلٍّ لها، وعلى مَن استحلَّها وهو المراد هنا، فقول المفسِّر: (الخارجين عن طاعته) أي: بالكليَّة، وهم الكُفار.

قوله: (نعت) أي: لِلفاسقين.

قوله: (ما عهده إليهم) إنما فسَّر المصدر باسم المفعول؛ لأن العهد الذي هو أمرُ الله بالإيمان بالنبي قد حصَل، فلا يُنقضُ، وإنما الذي يُنقضُ المأمور به، والمراد: العهدُ الواقع على ألسِنة أنبيائهم في كتبهم، فإن الله عاهدَ كلَّ نبي مع أُمته من آدم إلى عيسى أنه إذا ظَهر محمد لَيؤمنُنَّ به ولينصرُنَّه، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ...﴾ [آل عمران: ٨١] الآية، ومن جُملة العهد: أوصافُهُ المذكورةُ في كتبهم، فنَقضوا ذلك بتبديلهم إياها وإنكارِها وعدم الإيمان بها، وفي قوله تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ﴾ استعارةٌ بالكناية؛ حيث شُبِّهَ العهد بالحبل، وطُوي ذكر المشبَّه به، ورُمزَ له بشيء من لَوازمه وهو ﴿يَنقُضُونَ﴾، فإثباته تخييلٌ، والنقض في الأصل: فكُّ طاقاتِ الحبل، والمراد منه هنا الإبطالُ، ففيه استعارة ترشيحيةٌ تَبعيةٌ، حيث شُبِّهَ الإبطال بالنقض، واستُعير النقض للإبطال، واشتُقَّ من النقض ﴿يَنقُضُونَ﴾ بمعنى: يُبطلون.

والعهود للأمة: عهدٌ عام؛ وهو عهدُ الله في الأزل لجميع الخَلْقِ على التوحيد واتِّباع الرسل، وعهدٌ خاصٌّ بالأنبياء؛ وهو تبليغُ الشرائع والأحكام، وعهدٌ خاصٌّ بالعلماء؛ وهو تبليغُ ما تلقَّوه عن الأنبياء، والكفَّارُ قد نقَضوها.

قوله: (من الإيمان) بيان لـ(ما)، وقوله: (بالنبي) أي: من توقيرِهِ ونَصره والإيمان به ومتابعته،

وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ....

والرَّحِم وغَيرِ ذلكَ، ـ و﴿أَن﴾ بَدَلٌ مِن ضَمِير ﴿بِهِۦٓ﴾ ـ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ بِالمَعاصِي والتَّعوِيقِ عَنِ الإيمانِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المَوصُوفُونَ بِما ذُكِرَ ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ لِمَصِيرِهِم إلى النَّار المُؤَبَّدةِ علَيهِم.

﴿٢٨﴾ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهلَ مَكَّةَ ﴿بِٱللَّهِ وَ﴾ قَد ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾: نُطَفاً في الأصلابِ، ﴿فَأَحْيَٰكُمْۖ﴾ في الأرحامِ والدُّنيا ....

حاشية الصاوي

وقوله: (والرحم) أي: ومن وَصْلِ ذي الرحم؛ أي: القرابة؛ من الإحسان إليهم ومُواساتهم والبرِّ بهم.

قوله: (و﴿أَن﴾ بدلٌ من ضمير ﴿بِهِۦٓ﴾) أي: فـ(أنْ) والفعلُ بعدَها في تأويل مصدر في محلِّ جرٍّ على البدَلية للضمير في (به)، التقدير: ما أمر الله بوصله، ويصحُّ أن يكون ﴿أَن يُوصَلَ﴾ بدل من ﴿مَآ﴾، فهو في محل نصب، والأوَّلُ أقرَب.

قوله: (والتعويق عن الإيمان) عطفُ خاصٍّ على عامٍّ؛ فإن التعويق من أكبرِ المعاصي.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأ أوَّل، و﴿هُمُ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خبرُ الثاني، والثاني وخبرُه: خبرُ الأوَّل، ويحتمل أن ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل لا محل له من الإعراب، و﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

قوله: (لمصيرهم) عِلةٌ لكونهم خاسرين.

قوله: (يا أهل مكة) الأحسَنُ العموم؛ سواءٌ كان المخاطب جنًّا أو إنساً، من أهل مكة أو غيرها.

قوله: (﴿وَ﴾قد ﴿كُنتُمْ﴾) قدَّرَ المفسِّر لفظ (قد) إشارةً إلى أن الجملة حالية مع كونها ماضَوية، والجملة الماضوية إذا وقَعت حالاً وجب اقترانها بـ(قد) إمَّا لفظاً أو تقديراً.

قوله: (في الأصلاب) إنما قدَّره لأجل اقتصاره على النُّطَف، وإلاَّ ففي حالة كونهم في الرحم عَلقةً ومضغةً أمواتٌ أيضاً.

قوله: (﴿فَأَحْيَٰكُمْۖ﴾) مرتَّبٌ على محذوف تقديره: وكنتم علَقة فمُضغةً فأحياكم، وإنما قلنا ذلك؛ لأن الإحياءَ لا يكون عقبَ كونهم نطفاً بسرعة، بل بعد مضيِّ زمن كونهم علقةً وكَونهم مضغة، ولو قال المفسِّر: وقد كنتم أمواتاً نطفاً أو علقاً أو مضغاً فأحياكُم لحسُنَ الترتيب.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ ....

بِنَفخ الرُّوح فِيكُم؟ - والاستِفهامُ لِلتَّعجِيبِ مِن كُفرِهم مَع قِيامِ البُرهانِ، أو لِلتَّوبِيخِ - ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عِندَ انتِهاءِ آجالِكُم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بِالبَعثِ، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تُرَدُّونَ بعد البَعثِ فيُجازِيكُم بِأعمالِكُم. وقالَ دَليلاً على البَعثِ لَمَّا أنكَرُوهُ:

﴿٢٩﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الأرضَ وما فِيها ﴿جَمِيعًا﴾ لِتَنتَفِعُوا بِهِ وتَعتَبِرُوا، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ بعدَ خَلقِ الأرضِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بنفخ الروح) الباءُ: سببيةٌ.

قوله: (والاستفهام للتعجب) التعجُّبُ: استعظامُ أمر خفيَ سببُهُ، وهو بِالنسبة للخلق لا للخالق، فهو مُستحيل، والأحسن أن يكون الاستفهام للتعجب والتوبيخ معاً، وهو الردعُ والزجرُ.

قوله: (﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾) الترتيب في هذا وما بعده ظاهرٌ؛ فإن بين نَفخ الروح والموت زمناً طويلاً، وبين الموت والإحياء بالبعث زمنٌ طويل[1]، وبين الإحياء والمجازاة على الأعمالِ كذلك.

قوله: (لما أنكروه) أي: استغراباً واستبعاداً، قال تعالى: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣].

قوله: (أي: الأرض وما فيها) أي: فمُراده العالمُ السفلي بجميع أجزائه، و(أل) في الأرض للجنس، فيَشمل الأرضين السبع.

قوله: (وتعتبروا) أي: إذا تأمَّلتم الأرضَ وتغيُّرَ الأحوال فيها وما حوَته، عَلمتم أن ذلك صُنْعُ حكيم قادر، فينشأ عن ذلك الاعتبارِ كمالُ التوحيد، وقوله: (لتنتفعوا به) أي: ظاهراً وباطناً، وهو جميعُ المخلوقات ما عدَا المؤذياتِ، وأما المؤذياتُ كالحيَّات والعقارب والسباع وغيرِ ذلك فنَفعُها من حيث العبرةُ بها، فما من شيءٍ مخلوق إلا وفي خَلقه حكمةٌ تبهرُ العقول، سبحانَكَ ما خلقتَ هذا عبثاً، ولما سُئل الإمام الشافعيُّ ﵁ عن حِكمة خلْقِ الذباب أجابَ بقوله: (مَذلَّة للملوك)[2].

قوله: (﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾) الاستواءُ في الأصل: الاعتدال والاستقامة، وهذا المعنى مُستحيل

---

(١) سقطت هذه الجملة من (أ).

(٢) رواه البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ١٥٦).

إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾ . . . .

أي: قَصَدَ ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ الضَّمِيرُ يَرجِعُ إلى السَّماء لِأنَّها في مَعنَى الجَمعِ الآيِلَةِ إلَيهِ، أي: صَيَّرَها كما في آيةٍ أُخرَى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ﴾ . . . .

حاشية الصاوي

على الله تعالى، فالمراد منه هنا في حق الله: القصْدُ والإرادة، فقوله: (قصد)؛ أي: تعلَّقت إرادتُه التعلُّقَ التنجيزيَّ الحادث بِخلق السماوات، و(ثم): للترتيب مع الانفصال؛ لأنه خلقَ الأرض في يَومين[١]، وخلقَ الجبال والأقوات وما في الأرض في يومين، فتكون الجملة أربعةَ أيام، فالترتيب الرتبيُّ ظاهر[٢]، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ. . .﴾ [فصلت: ٩] الآيات، وعلى ذلك درَج المفسِّر حيث قال: (أي: الأرض وما فيها)، ويحتمل أن (ثم) للترتيب الذكري[٣]؛ بناءً على أن الأرض خُلِقت مكوَّرة، فبعد ذلك خُلقت السماء، ثم بعد خَلْقِ السماء دحا الأرض وخلقَ جميعَ ما فيها، ويَشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، ثم قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، وعلى ذلك درجَ القرطبي وغيره، وهو الحقُّ[٤].

قوله: (﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾) أي: جهةِ العُلو، و(أل) للجنس.

قوله: (﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾) بدل من (آية)، فـ(سوَّى) و(صيَّر) و(قضى) بمعنى واحد، وكلٌّ واحد ينصبُ مفعولين.

قوله: (﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾) أي: طِباقاً بالإجماع للآية، وبين كلِّ سماء خمسُ مئة عام، وسَمْكُها

---

(١) في (أ): (لأنَّ خلْق الأرض. . .).

(٢) الترتيب الرتبي لا زمن فيه، بل المهلة مُتوهمة، والترتيب الذكري يُراعى فيه الزمن كما سيُبين.

(٣) وهو كما أفاده نجم الأئمة الرضي: أن يحسن ذكرُ هذا بعد هذا، ومثَّلَ له بالفاء في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾، قال: مجيء البأس سبب الإهلاك، وذكر السبب يحسُنُ بعد ذكر المسبَّب. انظر «حاشية الأمير على شرح الجوهرة» (ص٧٨).

(٤) «تفسير القرطبي» (١/ ٢٥٦)، والذي اختاره العلامة الصاوي هنا من تقدُّم خَلْق الأرض على السماء، ثم خلق السماء، ثم دَحو الأرض. . هو قول جمهور المفسرين، وعليه قد يكون الترتيب رتبيًا وذكريًا معاً، وانظر «التحرير والتنوير» (١/ ٣٨٤).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ ....﴾

مُجمَلاً ومُفَصَّلاً، أفَلا تَعتَبِرُونَ أنَّ القادِرَ على خَلقِ ذلك ابتِداءً - وهو أعظَمُ مِنكُم - قادِرٌ على إعادَتِكُم؟

﴿٣٠﴾ ﴿و﴾ اذكُر يا مُحمَّدُ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ....

حاشية الصاوي

كذلك، والأولى من مَوجٍ مكفوف، والثانيةُ من مَرْمَرةٍ بيضاءَ، والثالثةُ من حديد، والرابعةُ من نحاس، والخامسةُ من فِضة، والسادسةُ من ذهب، والسابعةُ من زُمُرُّدَةٍ خضراءَ[1].

قوله: (مجملاً ومفصلاً) هذا هو مَذهب أهل السنة، خلافاً لمن يُنكر عِلْمَ الله بالأشياء تفصيلاً؛ فإنه كافر.

قوله: (على خلق ذلك) أي: الأرضِ وما فيها والسماوات وما فيها، وقوله: (وهو) الضمير عائدٌ على اسم الإشارة.

قوله: (وهو أعظم منكم) أي: لِقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧].

قوله: (قادر على إعادتكم) هذا هو رُوح الدليل.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾) (إِذْ): ظرفٌ في محل نصب معمولٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (اذكر) أي: اذكر يا محمدُ قصةَ قولِ ربك... إلخ، والأحسنُ أنه معمولٌ لقوله بعدُ: ﴿قَالُوٓاْ﴾، التقدير: قالوا: أتجعلُ فيها مَن يفسدُ فيها وقتَ قولِ ربك للملائكة... إلخ؛ لأن (إِذْ) إذا وقعَتْ ظرفاً لا تكون إلا للزمان.

قوله: (﴿لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾) جمعُ مَلَك مخفَّفُ مَلْأَك، وأصلُهُ: مَأْلَكٌ على وزن (مَفْعَل)، مشتقٌّ من الأَلُوكَة، وهي الإرسال، دخَله القلْبُ المكاني، فأُخِّرت الهمزة عن اللام، فنقلت حركةُ الهمزة للساكن قبلَها وهو اللام، فسَقطت الهمزة.

قوله: (﴿إِنِّى جَاعِلٌ﴾) يصحُّ أن يكون بمعنى مُصَيِّرٌ، فـ﴿خَلِيفَةً﴾ مفعولٌ أول، و﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

---

(١) روي هذا أثراً عن الربيع بن أنس وغيره، رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٠)، وخَلْقها من المذكورات لا يقتضي بقاءها على أصلها؛ كخَلق الإنسان من طين، والسَّمْك بفتح السين وسكون الميم، والزمردة بضمٍّ وتشديد الراء وفتح الذال المعجمة، وبالمهملة تَصحيف.

خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ....

﴿خَلِيفَةً﴾ يَخلُفنِي في تَنفِيذِ أحكامِي فِيها وهو آدمُ، ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بِالمَعاصِي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾: يُرِيقُها بِالقَتلِ، ....

حاشية الصاوي

مفعولٌ ثانٍ، قُدِّم لأنه المسوِّغ للابتداء بالنكرة في الأصل، ويصحُّ أن يكون بمعنى خالِق، فـ﴿خَلِيفَةً﴾ مفعولٌ، و﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلِّقٌ به.

قوله: (﴿خَلِيفَةً﴾) فَعِيلَة بمعنى مفعول؛ أي: مُخَلَّف، أو بمعنى فاعِل؛ أي: خالِف، بمعنى أنه قائمٌ بالخلافة، وحِكمةُ جعله خليفةً الرحمةُ بالعباد، لا لافتقار الله له، وذلك لأن العبادَ لا طاقةَ لهم على تَلقي الأوامر والنواهي من الله بلا واسِطة، بل ولا بواسطة مَلَك، فمِن رحمته ولُطفه وإحسانه إرسالُ الرسل إلى البشر.

قوله: (وهو آدم) أي: فهو أبو البشر، والخليفةُ الأوّلُ باعتبار عالم الأجساد، وأما باعتبار عالم الأرواح فهو سيدُنا محمد ﷺ، قال العارفُ[1]: [الطويل]

فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ آدَمَ صُورَةً ... فَلِي فِيهِ مَعْنًى شَاهِدٌ بِأُبُوَّتِي

وهو مأخوذٌ من أديم الأرض؛ لِخلقه من جميع أجزائها، وكانت ستين جزءاً، ولذلك كانت طِباع بنيه ستين طبعاً، وكفَّارةُ الظهار والصوم سِتين، وعاش من العمر تسعَ مئةٍ وستين، وما مات حتى رأى من أولاده مئةَ ألفٍ، عَمروا الأرضَ بأنواع الصنائع.

والملائكة المخاطبون يحتمل أنهم النوعُ المسمَّى بالجانِّ ورئيسُهم إبليسُ؛ فإن الله خلق خلْقاً وأسكنَهم الأرضَ يُسَمَّون بني الجانِّ، فأفسَدوا في الأرض، فسلَّط الله عليهم هؤلاء الملائكة، فطرَدوهم وسكنوا موضعَهم[2]، ويحتمل أن الخطابَ لِعموم الملائكة.

قوله: (﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾) أي: بمقتضى القوَّةِ الشَّهوية، وقوله: (﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾) أي: بمقتضى القوَّة الغضَبية، فإنَّ في الإنسان ثلاثةَ أشياءَ: قُوة شهوية، وقوة غضبية، وقوة عقليَّة، فبالأُولَيينِ يحصل النقص، وبالأخيرة يحصُل الكمال والفضل، وقد نظر الملائكةُ للأُولَيينِ، ولم يَنظروا للثالثة.

---

(١) لعمر بن الفارض رحمه الله تعالى في تائيته المشهورة، انظر «ديوانه» (ص١٠٥).

(٢) روى ذلك الحاكمُ في «المستدرك» (٢/ ٢٦٢) موقوفاً على ابن عباس ﵄.

﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ....

كما فعَلَ بَنُو الجانِّ وكانُوا فِيها، فلَمَّا أفسَدُوا أَرسَلَ اللهُ علَيهِم المَلائِكَةَ، فطَرَدُوهُم إلى الجَزائِرِ والجِبال، ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ مُتَلَبِّسِينَ ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نَقولُ: سُبحانَ الله وبِحَمدِه، ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾: نُنَزِّهك عَمَّا لا يَلِيقُ بِك؟ ـ فاللَّامُ زائِدةٌ والجُملةُ حالٌ ـ أي: فنَحنُ أَحَقُّ بالِاستِخلافِ، ﴿قَالَ﴾ تَعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن المَصلَحةِ في استِخلافِ آدَمَ، وأنَّ ذُرِّيَّتَه فِيهِم المُطِيعُ والعاصِي ....

حاشية الصاوي

قوله: (**كما فعل بنو الجان**) قيل: الجانُّ إبليسُ، وقيل: مخلوقٌ آخرُ، وإبليسُ أبو الشياطين.

قوله: (**أرسل إليهم الملائكة**) أي: المسمَّون بالجانِّ ورئيسُهم إبليسُ، وفي هذه الآية أمور:

منها: مشاوَرةُ العظيم للحقير، ولا بأس بها لتأليفِ الحقير، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومنها: إظهارُ عَجْزِ الملائكة عن عِلم الغيب.

ومنها: إظهارُ فضْل آدمَ للملائكة.

ومنها: أنه لا ينبغي ترك الخير الكثير من أجل شرٍّ قليل؛ فإن بني آدمَ خيرُهم غالبٌ على شرِّهم، فإن منهم الأنبياءَ والرسل والأولياء، وإن لم يكُن منهم إلا سيدُنا محمدٌ لَكفى.

قوله: (ملتبسين[١]) أشار بِذلك إلى أن الباء للملابسة، والجملة من قَبيل الحال المتداخلة.

قوله: (﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾) التقديس في اللغة يرجعُ لمعنى التسبيح، وهو التنزيهُ عمَّا لا يَليق، وأما هنا فالتسبيحُ يَرجع للعبادة الظاهرية، والتقديسُ يرجع للاعتقادات الباطِنية.

قوله: (**واللام زائدة**) أي: لِتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للتعدية والتعليل؛ أي: ننزِّهُك لك، لا طمعاً في عاجِل ولا آجل، ولا خوفاً من عاجِل ولا آجل، فتنزيهُنا لِذاتك فقط[٢].

قوله: (**أي: فنحن أحقُّ بالاستخلاف**) ليس المقصودُ من ذلك الاعتراضَ على الله، ولا احتقارَ آدم، وإنما ذلك لطلب جوابٍ يريحُهم من العناء؛ حيث وقَعت المشورةُ من الله لهم.

---

(١) كذا في النسخ، وفي «الفتوحات» (١/ ٣٨) حاشية ومَتناً و«الكوكبين النيرين»: (متلبسين)، وهو أوضَح.

(٢) في (أ): (لذلك) بدل (لذاتك).

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ....

فيَظهَر العَدل بَينَهم، فقالُوا: لن يَخلُق رَبُّنا خَلقاً أكرَمَ عليه مِنَّا ولا أعلَم لِسَبقِنا لَهُ ورُؤيَتِنا ما لم يَرَهُ، فخَلَقَ الله تَعالى آدَم مِن أَدِيم الأرضِ أي: وَجهِها، بِأن قَبَضَ مِنها قَبضةً مِن جَمِيع ألوانِها، وعُجِنَت بِالمِياهِ المُختَلِفةِ، وسَوَّاهُ ونَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، فصارَ حَيَواناً حَسَّاساً بعد أن كانَ جَماداً.

(٣١) ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ أي: أسماءَ المُسَمَّياتِ ﴿كُلَّهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيظهر العدل[١] بينهم) أي: فالطائعُ المؤمن له الجنة، والعاصي الكافرُ له النار.

قوله: (فقالوا) أي: سرًّا في أنفسهم.

قوله: (لسَبْقِنا له) أي: لِلخلق، وهو راجعٌ لقوله: (أكرمَ)، وقوله: (ورؤيتنا[٢]) راجعٌ لقوله: (ولا أعلمَ)، فهو لفٌّ ونَشْرٌ مرتَّب.

قوله: (جميع ألوانها) تقدَّم أنها سِتون، ووَرد: «أن الله لما أراد خَلْقَ آدمَ أوحى إلى الأرض أني خالق منك خلْقاً، مَن أطاعني أدخَلته الجنة، ومَن عصاني أدخَلته النار، فقالت: يا ربَّنا؛ أتخلقُ منِّي خلقاً يدخل النار؟! فقال: نَعم، فبَكت، فنبَعت العيونُ من بكائها، فهي تجرِي إلى يوم القيامة»[٣].

قوله: (بالمياه المختلفة) أي: على حسَبِ الألوان.

قوله: (﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ﴾) الحقُّ: أن آدمَ ممنوعٌ من الصرف؛ لِلعَلمية والعجمة، فليس منصرفاً ولا مشتقًّا على التحقيق.

قوله: (أسماء المسمَّيات) أشار بذلك إلى أن (أل) عِوَضٌ عن المضاف إليه، والمراد بالمسميات: مَدلولات الأسماء؛ سواءٌ كانت جواهرَ أو أعراضاً، أو معانيَ أو معنوية، **فالحاصلُ**: أن الله أَطلع آدم على المسمَّيات جميعِها، وعلَّمَه أسماءها، وأطلع الملائكة على المسمَّيات ولم يُعلِّمْهم أسماءها، فاشترك آدمُ مع الملائكة في معرفة المسمَّيات، واختصَّ آدم بمعرفة الأسماء بِجميع اللغات، وتلك اللغاتُ تفرَّقت في أولاده.

---

(١) بالبناء للفاعل كما قيَّده الشيخ عطية الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط.

(٢) أي: رؤيتهم ما لم يره آدم؛ كاللوح المحفوظ الذي هو سبب العلم، أفاده في «الكوكبين النيرين» و«الفتوحات» (١/ ٣٨).

(٣) أورَده الخازن في «تفسيره» (١/ ٣٥) عن وهب بن مُنبه، وهو من الروايات الإسرائيلية.

﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ٣١﴾ ....

حتَّى القَصْعةُ والقُصَيعةُ والفَسْوةُ والفُسَيَّة، بِأنْ ألقَى في قَلبه عِلمَها، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: المُسَمَّياتِ، ـ وفِيهِ تَغليبُ العُقَلاءِ ـ ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ لَهُم تَبكِيتاً: ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾: أَخبِرُونِي ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المُسَمَّياتِ ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنِّي لا أخلُقُ أعلَمَ مِنكُم أو أنَّكُم أحَقُّ بِالخِلافةِ. ....

حاشية الصاوي

قوله: (حتى القصعة) غاية في الخسَّة، إشارةً إلى كونه تعلَّم جميعَ الأسماء، شريفةً أو خسيسةً، وحكمتَها أيضاً كما يأتي، والقصعةُ هي: الإناء الكبير من الخشب، والقصيعةُ: الإناء الصغير منه المسمَّى بالزويلي.

قوله: (والفسوة) من باب: عتَا، والمصدر: فَسْواً، والاسم: الفُساء بالمد واوي، هو الريح الخارج من الدبر بلا صَوت، فإن كان شديداً سُمِّي فَسوة، وإن كان خفيفاً سمي فُسَيَّة، وإن كان بصوت سُمِّي ضُراطاً، وهو من باب: تَعِب وضرَب، والمصدر: ضَرطاً بفتح الراء وسكونها، فالمكبَّر للشديد، والمصغَّر للخفيف.

قوله: (بأن ألقى في قلبه علمها) أي: الأسماءِ وحِكمتها حين صوَّرَ الله المسمَّيات؛ كالذرِّ، وذلك قبل دخول الجنة، وهو ظاهرٌ في الأشياء المحسوسة، وأما المعقولة كالحياة والقُدرة والفرح وغير ذلك فبإلقاء الله الدالَّ والمدلولَ في قلبه.

قوله: (وفيه تغليب العقلاء) أي: في الإتيانِ بميم الجمع التي للعُقلاء الذكور، وإلا فلو لم يُغلب لقال: عرضَها أو عَرضَهُن، وبهما قُرِئَ شاذًّا.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾) يحتمل عموم الملائكة، ويحتمل خصوصَ الملائكة المسمَّون بالجانِّ الذين كانوا في الأرض.

قوله: (﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾) الإنباءُ هو: الإخبارُ بالشيء العظيم، فهو أخصُّ من الخبر.

قوله: (أخبروني) أي: أجِيبوني ليظهرَ علمُكم، وذلك تعجيزٌ لهم؛ لأنهم ليسوا بعالمينَ ذلك، لا لاستفادتِهِ العلمَ مِنهم.

قوله: (في أني لا أخلق أعلم منكم) متعلِّق بـ﴿صَٰدِقِينَ﴾.

قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ....

ـ وجَوابُ الشَّرط دَلَّ عليهِ ما قَبلَه ـ.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لَك عَن الاعتِراضِ عَلَيك، ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ﴾ إيَّاهُ، ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ ـ تأكِيد لِلكافِ ـ ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الَّذي لا يَخرُجُ شَيءٌ عَن عِلمِه وحِكمَتِه.

حاشية الصاوي

قوله: (دلَّ عليه ما قبله) أي: قوله: ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾، فهو دليلُ الجواب، والجواب محذوفٌ تقديره: إن كنتم صادقِين فأنبئوني.

قوله: (﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾) مصدر، وقيل: اسمُ مصدرٍ منصوب بعامل محذوف وجوباً؛ أي: أسبِّحُ، وهي كلمةٌ تُقال مقدمةً للأمر العظيم، كان تَوبةً واستغفاراً أم لا، والمقصودُ منها: توبتُهم واستغفارُهم؛ كقول موسى عليه السلام: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقول يونس: ﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، والغالب عليه الإضافة، وأمَّا:

سُبْحانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفاخِرِ[1]

فمؤوَّلٌ، أو شاذٌّ، أو من غير الغالب.

قوله: (إياه) أشار بذلك إلى أن المفعولَ الثاني محذوفٌ.

قوله: (﴿إِنَّكَ﴾) كالدليل لما قبله.

قوله: (تأكيد للكاف) أي: فهو ضميرُ فصل لا محلَّ له من الإعراب، أو في محل نَصب كالمؤكَّد، و﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ خبَران لـ(إنَّ)، أو ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ صفة للعليم، ويحتمل أن ﴿أَنتَ﴾ مبتدأٌ، و﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ خبره، والجملةُ خبرُ (إنَّ).

قوله: (﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾) قدَّم العلم على الحكمة؛ لِمُناسبة علمِ آدم و﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾، ولأن الحكمةَ تنشأُ عن العلم. والعِلم في حقِّ الله: صفةٌ أزَلية تتعلَّق بجميع أقسام الحكم العقلي؛ الواجبِ والمستحيلِ والجائزِ، تعلُّقَ إحاطةٍ وانكشاف.

قوله: (﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾) أي: ذو الحكمةِ؛ أي: الإتقان، فهو صفةُ فعلٍ، أو العلمِ، فيكون صفةَ ذاتٍ[2].

---

(١) عجز بيت من قصيدة للأعشى الكبير هجا بها عَلقمة بن علاثة الصحابي ﵁، صدرُه: (أقول لما جاءني فخره)، انظر خبرها في «خزانة الأدب» (٣/ ٣٩٨).

(٢) وعبارة العلامة السمين في «الدر المصون» (١/ ٢٦٧): (والحكيم صفةُ ذات إن فُسِّر بذي الحكمة، وصفةُ فعل إن فسر بأنه المحكم لصنعته).

قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ....

﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم﴾ أي: المَلائِكةَ ﴿بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾: المُسَمَّياتِ، فسَمَّى كُلَّ شَيء بِاسمِه وذَكَرَ حِكمَتَه التي خُلِقَ لَها، ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ﴾ تعالى لَهُم مُوَبِّخاً: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ما غابَ فِيهِما، ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ﴾: تُظهِرُونَ مِن قَولِكُم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا... إلخ﴾، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾: تُسِرُّونَ مِن قَولِكُم: لن يَخلُقَ أكرَمَ عليهِ مِنَّا ولا أعلَمَ.

حاشية الصاوي

قوله: (فسمَّى) أي: آدمُ.

قوله: (توبيخاً) أي: تقريعاً ولَوْماً لهم على ما مضى منهم، فالهمزةُ في ﴿أَلَمۡ أَقُل﴾ للاستفهامِ التوبيخي، فالقصدُ منه توبيخُهم على ما مضى منهم، وليسَتْ للإنكار ولا للتقرير.

قوله: (ما غاب فيهما) أي: عنَّا.

قوله: (﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا﴾ ... إلخ) أي: ﴿مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾. بقي شيءٌ آخرُ، وهو أن مقتضى الآية أنَّ آدمَ علم الأسماء والمسمَّياتِ، ومقتضى قول البُوصيري في «الهمزية»[1]:

لَـكَ ذاتُ العُـلُـومِ مِنْ عـالَـمِ الـغَـيْـ ... ـبِ ومِـنْـهـا لِآدَمَ الأَسْـمـاءُ

أنَّ آدمَ علمَ الأسماءَ دون المسمَّيات، فيكون بينه وبين الآية مخالَفةٌ، والحقُّ: أنه لا مخالفةَ؛ لأنه يلزمُ من عِلم الأسماء علمُ المسمَّيات؛ لعَرْضِ المسمَّيات عليه أوَّلاً، فمعنى قول البوصيري: (لك ذاتُ العلوم) أي: أصلُها، فعِلْمُ آدمَ مأخوذٌ من نبيِّنا؛ لأن رسولَ الله أُعطيَ أصلَ العُلوم، بل وأصلَ كل كمال، ويشهدُ لذلك قول ابن مشيش: (وتنزَّلتْ علومُ آدمَ)[2]؛ أي: صلِّ على مَنْ مِنه تنزَّلت علومُ آدم، فعلوم آدم كائنةٌ منه، فأعجزَ بها الملائكةَ خاصَّة، وأما علومُ رسول الله فأعجزَ بها الخلائقَ جميعاً، هذا هو الحقُّ، ولا تغترَّ بما قيل: إن آدمَ علم الأسماء فقط، ومحمد عَلِم الأسماءَ والمسميات.

---

(١) المسماة «أم القرى»، انظر شرح البيت في «المنح المكية» (ص٩٥).

(٢) في صلاته الذائعة الصيت والمعروفة بالصلاة المشيشية، اعتنى العلماء بشرحها، ومنهم المصنف رحمه الله تعالى، تُوفي العارف عبد السلام بن مشيش سنة (٦٢٢هـ)، وقوله الآتي: (فأعجز بها الخلائق) مفادٌ من هذه الصلاة.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ....

﴿٣٤﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سُجُودَ تَحِيَّة بِالانحِناءِ، ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا﴾) أشار المفسِّر بذلك إلى أن (إذ) ظرفٌ عاملُها محذوف، والتقدير: واذكر وقت قولنا... إلخ.

إن قلت: إن المقصود ذكرُ القصة لا ذكرُ الوقت.

أُجيبَ: بأن التقدير: اذكر القصَّةَ الواقعة في ذلك الوقت، **ومُحصَّل ذلك:** أنه بعد خَلْقِ آدمَ ونفخِ الروح فيه، وعرضِ المسمَّياتِ على الملائكة وإنباءِ آدم لهم بالأسماء، أمرَهم اللهُ بالسجود له؛ لأنه صار شيخَهم، ومن حقِّ الشيخ التعظيمُ والتوقير، وكان ذلك كلُّه خارجَ الجنة.

قوله: (**بالانحناء**) أشار بذلك إن أن المراد: السجودُ اللغوي، وهو الانحناء، كسُجود إخوة يوسفَ وأبوَيه له، وهو تحية الأمم الماضية، وأما تحيَّتُنا فهي السلام، وعليه: فلا إشكال.

وقال بعض المفسِّرين: إن السجود شَرعي بوضع الجبهة على الأرض، وآدمُ قبلةٌ كالكعبة، فالسجود لله، وإنما آدم قِبلة[1]، والآية محتملةٌ للمعنيَين، ولا نصَّ يعيِّنُ أحدَهما، وعلى الثاني: فاللام بمعنى إلى؛ أي: اسجدوا إلى جهة آدم فاجعلُوهُ قبلتَكم.

قوله: (﴿فَسَجَدُوٓا۟﴾) أي: الملائكةُ كلُّهم أجمعون؛ بدليل الآية الأخرى، فالخطاب بالسجود لجميع الملائكة على التَّحقيق، لا للملائكة الذي طَردوا بني الجانِّ.

قوله: (﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾) قيل: مشتقٌّ من أبلَس إبلاساً بمعنى: يَئِس[2]، وهذا هو اسمه في اللَّوح المحفوظ.

فائدة: قال كعب الأحبار: (إن إبليسَ اللعين كان خازنَ الجنة أربَعين ألفَ سنةٍ، ومع الملائكة ثمانين ألفَ سنة، ووَعظ الملائكةَ عشرين ألفَ سنة، وسيدَ الكَرُوبِيينَ ثلاثين ألفَ سنة، وسيدَ الروحانيين ألفَ سنة، وطاف حولَ العرش أربعةَ عشرَ ألفَ سنة، وكان اسمُهُ في سماء الدنيا العابدَ،

---

(١) وهو قول الشعبي كما نسَبه له أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٢٤٧)، ومنهم من قال: اللام بمعنى (مع)، أي: اسجدوا لي مع آدم مُؤتمين به، وكون صورة السجود لآدم على صورة السجود الشرعي هو قَول الجمهور.

(٢) ذكره السمين في «الدر المصون» (١/ ٢٧٥)، ولكنه صحَّح أنه اسم أعجمي منع من الصرف للعَلمية والعجمة.

أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ....

هو أبُو الجِنِّ كانَ بَين المَلائِكة ﴿أَبَىٰ﴾: امتَنَعَ مِن السُّجُود، ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾: تَكَبَّرَ عَنهُ وقالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ، ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

وفي الثانية الزاهدَ، وفي الثالثة العارفَ، وفي الرابعة الوليَّ، وفي الخامسة التقيَّ، وفي السادسة الخازنَ، وفي السابعة عزازيلَ، وفي اللوح المحفوظ إبليسَ، وهو غافلٌ عن عاقِبة أمره)[1].

قوله: (هو أبو الجن) هذا أحدُ قولين، والثاني: هو أبو الشياطين، فرقةٌ من الجنِّ لم يؤمِنْ منهم أحد.

قوله: (كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناءَ منقطعٌ، وأنه ليس من الملائكة، قال في «الكشاف»: (لما اتصف بصفات الملائكة جُمِع معهم في الآية واحتيج إلى استِثنائه)[2]، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]. وكُرِّرت قصَّةُ إبليس في سبعة مواضعَ: في البقرة، والأعراف، والحجر، والإسراء، والكهف، و﴿طه﴾، و﴿صٓ﴾؛ تسليةً له ﷺ، وعبرةً لبني آدمَ، فلا يغترُّ العابد ولا يقنطُ العاصي، ويحتمل أن الاستثناءَ متصلٌ[3]، وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: في الفعل، والأقرَبُ الأوَّل.

قوله: (﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾) من عطف العِلة على المعلول؛ أي: أبى وامتنع لكِبْره، والسين للتأكيد.

قوله: (وقال: أنا خير منه) هذا وجه تكبُّرِه، وبيَّنَ وجهَ الخيرية في الآية الأخرى، قال تعالى: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

---

(١) كذا نقله العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٤١) عن السمرقندي في «كشف البيان»، والكروبيون ـ بتخفيف الراء وبتشديدها ـ المقربون من الملائكة؛ كإسرافيل وجبريل وميكائيل عليهم السلام، وَرد ذكرهم في خبر رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) بمعناه، وعبارة الزمخشري في «كشافه» (١/ ١٥٦): (استثناءٌ متصل؛ لأنه كان جنيًّا واحداً بين أظهر الأُلوف من الملائكة مغموراً بهم، فغُلِّبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾، ثم استثني منهم استثناءَ واحد منهم، ويجوز أن يجعل منقطعاً)، فتبين أن الاستثناء عند الزمخشري سواء كان منقطعاً أو متصلاً على القول بالغلبة.. لا يَجعل إبليس من الملائكة، وهو اختيار الجلالَين والعلامة الصاوي.

(٣) عند من يقول بأنه من الملائكة لا من الجن؛ كالبغوي والواحدي والبيضاوي، كذا نقَله العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٤١) عن الكرخي في «حاشيته على الجلالين».

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا ....

في عِلمِ الله.

(٣٥) ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيدٌ لِلضَّميرِ المُستَتِرِ لِيُعطَفَ علَيهِ ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حَوَّاءُ بِالمَدِّ، وكانَ خَلَقَها مِن ضِلعِه الأيسَرِ ﴿ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أَكْلاً ....

حاشية الصاوي

قال بعض المفسِّرين: وذلك مردُود بأمور: منها: أن آدمَ مركبٌ من العناصر الأربع، بخلاف إبليسَ، فلا وجهَ للخيريَّة.

ومنها: أن الله هو الخالقُ لكلٍّ، ولا يَعلم الفضلَ إلا هو، فله أن يفضِّلَ مَنْ شاء على مَنْ شاء، ومنها غير ذلك[١].

قوله: (في علم الله) دَفع بذلك ما قيل: إنه لم يكُنْ كافراً بل كان عابداً، وإنما كفرَ الآن، ويجاب أيضاً: بأنَّ (كان) بمعنى: صار[٢].

قوله: (﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ﴾) هذه الجملة معطوفة على جملة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ من عطف قصَّة على قصَّة، وإنما عُطفت عليها لوقوعها بعدها، فإنه بعد أَمْرِ الملائكة بالسجود لآدمَ وامتناعِ إبليس منه أمرَ آدمَ بسكنى الجنة.

قوله: (ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾) إن قلتَ: إن فعلَ الأمر لا يعملُ في الظاهر، والمعطوف على الفاعل فاعلٌ، فيَقتضي عمله في الظاهر.

أجيب: بأنه يُغتفرُ في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، وفُصل بالضمير المنفصل لقول ابن مالك:

[الرجز]

وإنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْتَ فافْصِلْ بِالضَّمِيرِ المُنْفَصِلْ[٣]

قوله: (وكان خلقها) أي: اللهُ، وقوله: (من ضِلَعِه) أي: آدمَ، فلِذلك كان كلُّ ذكرٍ ناقصاً ضِلَعاً من الجانب الأيسر، فجِهة اليمين ثمانيةَ عشرَ، واليسارِ سبعةَ عشرَ، وقد خُلقَتْ بعد دخوله الجنة، نام فلمَّا استيقظ وجَدها، فأراد أن يمدَّ يده إليها، فقالت له الملائكة: مَهْ يا آدمُ حتى تؤدِّي مهرَها،

---

(١) انظر «السراج المنير» للخطيب (١/ ٤٦٤) وما بعدها.

(٢) كقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾.

(٣) في «الخلاصة» (باب عطف النسق).

رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ....

﴿رَغَدًا﴾: واسِعاً لا حَجْرَ فِيهِ ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بِالأكلِ مِنها، وهيَ الحِنطةُ أو الكَرْمُ أو غَيرُهما، ....

حاشية الصاوي

فقال: وما مهرُها؟ فقالوا: ثلاث صَلوات أو عشرون صلاةً على سيدنا محمد ﷺ[1]، ولا يُقال: إن شرطَ الصداق عَوْدُ مَنفعته للزوجة؛ لأننا نقول: ليس المقصودُ منه حقيقةَ المهر، وإنما هو لِيظهرَ قَدْرُ محمد لآدم من أوَّل قدم؛ إذ لولاه ما تمتَّعَ بزوجه، فهو الواسطةُ لكلِّ واسِطة حتى آدم.

وقوله: (من ضِلَعِه الأيسر) أي: وهو القصير، ووضع الله مكانَه لحماً من غير أن يحسَّ آدمُ بذلك، ولم يَجِدْ له ألماً، ولو وجدَ لما عطف رجلٌ على امرأة، والنون في ﴿قُلْنَا﴾: للعظمة.

وقوله: (﴿ٱسْكُنْ﴾) أي: دُمْ على السكنى؛ فإنه كان ساكناً فيها قبل خَلْقِ حواءَ.

واستشكل شيخُ الإسلام[2] هذه الآية بأنه أتى في هذه الآية بالواو في قوله: ﴿وَكُلَا﴾، وفي آية (الأعراف) بالفاء، هل لِذلك من حكمة؟ أجاب: بأن الأمر هنا في هذه كان داخلَ الجنة، فلا ترتيبَ بين السكنى والأكل، وفي آية (الأعراف) كان خارجَها، فحَسُنَ الترتيبُ بين السكنى والأكلِ.

والحقُّ أن يُقال: إن ذلك ظاهر إن دلَّ دليل على اختلاف القصة، ولم يوجَدْ، فالقصة واحدة، والأمرُ في الموضعين يحتمل أن يكون داخلَ الجنة أو خارجَها، فعلى الأوَّل: معنى ﴿ٱسْكُنْ﴾: دُمْ على السكنى، والفاء في آية (الأعراف) بمعنى الواو، وعلى الثاني: معناه: ادخُلْ على سَبيل السكنى، فتكون الواو بمعنى الفاء.

قوله: (﴿رَغَدًا﴾) يُقال: رَغُد بالضم رَغادة من باب: ظَرُف، ورَغِد رَغَداً من باب: تَعِب: اتَّسع عيشُهُ.

قوله: (﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾) أي: في أيِّ مكان أردتماه.

قوله: (أو غيرُهما) قيل: شجر التين أو البَلح أو الأترجّ[3]، والأقربُ: أنها الحِنطة، وفي الحقيقة: لا يَعلمُها إلا الله.

---

(١) أورده الحافظ القسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/ ٥٠)، ونحوه ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص٣٠٧).

(٢) زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) في «متشابهات القرآن» كما في «الفتوحات الإلهية» (١/ ٤١)، واستشكله أيضاً وأجاب عنه الإمام الرازي في «مفاتيح الغيب» (٣/ ٤٥٣).

(٣) وقد وَردت آثار بذلك، انظر «تفسير الطبري» (١/ ٥١٦).

فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ....

﴿فَتَكُونَا﴾: فتصِيرَا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: العاصِينَ.

﴿٣٦﴾ ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليسُ: أذهَبهُما، ـ وفي قِراءة: (فأزالهُما): نَحَّاهُما ـ ﴿عَنْهَا﴾ أي: الجَنَّةِ، بِأن قالَ لَهُما: هَل أَدُلُّكُما على شَجَرة الخُلدِ؟ وقاسَمَهُما بِالله إنَّهُ لَهُما لَمِن النَّاصِحِينَ، فأَكَلا مِنها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَتَكُونَا﴾) مُسبَّبٌ عن قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا﴾، وتعبيرُه بعدم القرب منها كناية عن عدم الأكل؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾، فالنهيُ عن القُرْبِ يستلزمُ النهيَ عن الفعل بالأولى.

قوله: (العاصين) أي: الذين تعَدَّوا حدودَ الله.

قوله: (﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾) أتى بالفاء إشارةً إلى أن ذلك عقبَ السكنى. والشيطانُ مأخوذٌ من: شاطَ بمعنى: احتَرق؛ لأنه محروق بالنار، أو من: شَطَنَ بمعنى بَعُدَ؛ لأنه بعيدٌ عن رحمة الله، والزللُ: الزَّلَقُ، وهو العَثْرَةُ في الطين مثلاً، فأُطلقَ وأُريد لازمُه، وهو الإذهاب.

قوله: (وفي قراءة) أي: سَبعيَّةٍ لحمزة.

قوله: (أي: الجنة) ويحتمل أن الضمير عائدٌ على الشجرة، و(عن) بمعنى الباء؛ أي: أوقعَها في الزلَّةِ بسبب أكْلِ الشجرة.

قوله: (بأن قال لهما) أي: وهو خارجَ الجنة وهما داخلَها، لكن أتَوا على بابها فقال لهما ذلك، ويحتمل أنه دَخل الجنة على صورة دابَّة من دوابِّها وخزنتُها غَفلوا عنه، ويحتمل أنه دخلَها في فم الحيَّةِ[1]، ويحتمل أنه وَسوس في الأرض فوصلت وسوستُهُ لهما.

إن قلتَ: إن ذلك ظاهر في حواءَ لعدم عِصمتها، وما الحكمُ في آدم؟

أجيب: بأنه اجتَهد فأخطأ، فسمَّى الله خطأه معصيةً، فلَمْ يقَعْ منه صغيرةٌ ولا كبيرة، وإنما هو من بابِ: (حَسَناتُ الأبرار سيِّئاتُ المقربين)، فلم يَتعمَّد المخالفةَ، ومن نسب التعمُّدَ والعصيان له بمعنى فِعل الكبيرة أو الصغيرة فقد كفرَ[2]، كما أن مَنْ نفى اسمَ العصيان عنه فقد كفرَ أيضاً؛ لِنصِّ الآية.

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٥٢٥).

(٢) أي: مع اعتقاد نُبوته المستلزمة للعصمة ساعة أكل، وهو القول الراجح، وعِلة الكفر جحد قوله سبحانه: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾؛ إذ فيه نصٌّ أنه لم يتعمد العصيان.

فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ....

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ مِن النَّعِيم، ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا﴾ إلى الأرضِ أي: أنتُما بِما اشتَمَلتُما عليه مِن ذُرِّيَّتكُما، ﴿بَعْضُكُمْ﴾: بَعضُ الذُّرِّيَّة ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظُلمِ بَعضِكُم بَعضاً، ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: مَوضِعُ قَرارٍ، ﴿وَمَتَاعٌ﴾: ما تَتَمَتَّعُونَ بِه مِن نَباتِها، ﴿إِلَى حِينٍ﴾: وقتِ انقِضاءِ آجالِكُم.

﴿٣٧﴾ ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ أَلهَمَهُ إيَّاها، ـ وفي قِراءة بِنَصبِ (آدَمَ) ورَفعِ (كلِماتٌ) ـ أي: جاءَهُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾) يحتمل أن (ما) اسمٌ موصول وما بعدَه صلتُه، أو نكرةٌ موصوفة وما بعدَها صفة، وقوله: (من النعيم) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (أي: أنتما... إلخ) أشار بذلك إلى حِكمة الإتيان بالواو في ﴿اهْبِطُوا﴾ أي: الجمع باعتبار ما اشتملَا عليه من الذُّرية، ويحتمل أن الأمرَ لآدم وحواء وإبليسَ والحيةِ؛ فهَبط آدمُ بالهند بمكان يُقال له: سرنديب، وحواءُ بجُدَّة، وإبليسُ بالأُبُلَّةِ، والحيَّةُ بأصبهان.

قوله: (بعض الذرية) أشار بذلك إلى أن العداوةَ في الذريَّةِ لا في الأصول، ويحتملُ أن يكون ذلك في بعض الأصول؛ كالحيَّة وإبليسَ، وأفردَ (عدوٌّ) إما مراعاةً للفظ (بعضٍ)، أو لأنه يستعملُ بلفظٍ واحدٍ للمثنَّى والجمع.

بقيَ شيءٌ آخرُ: وهو أنه تقدَّم لنا أن حواءَ خُلِقت داخلَ الجنة، حين أُلقيَ على آدم النوم، كيف ذلك مع أن الجنةَ لا نومَ فيها، ولا يخرجُ أهلُها منها، ولا تكليفَ فيها، والثلاثةُ قد حصَلت؟

أُجيبَ: بأن ذلك في الدخول يوم القيامة، وأما الدخول الأوَّليُّ فلا يمتنعُ فيه شيءٌ من ذلك.

قوله: (ألهَمه إياها) أي: فهم آدم من ربِّهِ تلك الكلماتِ.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعيَّةٍ لابن كثير.

قوله: (بنصب «آدم») أي: على المفعولِية، وقوله: (ورفع «كلمات») أي: على الفاعلية، فتحصَّلَ أن التلقيَ نسبةٌ تَصلح للجانبين، يُقال: تلقيت زيداً، وتلقَّاني زيدٌ، فالمعنى على القراءة الأولى: تعلَّم آدمُ الكلماتِ فحُفظَ بسببها من المهالِك، وعلى الثانية: الكلماتُ تلقَّتْ آدمَ من السقوط

فَتَابَ عَلَيْهِ ....

وهيَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا...﴾ [الأعراف: ٢٣] الآيةَ، فدَعا بِها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قَبِلَ تَوبَتَه،

حاشية الصاوي

في المهاوي؛ إذ لولاها لسَقَطَ، فهي الدواءُ له، وأما إبليسُ فلَمْ يجعل اللهُ له دواءً، فالكلماتُ جاءته بالإسعاف، وهو جاءها بالقَبول والتسليم، ومِن هنا أن الذاكرَ لا ينتفعُ بالذكر ولا يُنوَّرُ باطنُهُ إلا إذا كان الشيخُ عارفاً وأذنَهُ في ذلك، والذاكرُ مُشتاقاً؛ كتلقِّي آدم الكلمات.

قوله: (وهي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾... إلخ) مشى المفسِّر على أن المرادَ بالكلمات: المذكورةُ في سورة (الأعراف)، وهو أحدُ أقوال، ولا يُقال: إن التلقيَ كان لآدم فقط، والدعاء بها صدرَ منهما؛ لأنه يُقال: إن الخطابَ لآدم والمرادُ هو معها[1]، وكَم من خطابٍ في القرآن يُقصدُ به الرجالُ والمرادُ ما يَشمل الرجالَ والنساءَ، وقيل: إن المرادَ بالكلماتِ: سبحانَك اللهمَّ وبحمدِك، وتباركَ اسمُك، وتعالى جدُّكَ، لا إله إلا أنتَ، ظلمتُ نفسي، فاغفِرْ لي فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت.

وتقدَّم: أن معصيةَ آدم ليست كالمعاصي، بل من بابِ: (حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقربين)، والحقُّ أن يُقال: إن ذلك من سرِّ القدر، فهي منهيٌّ عنه ظاهراً لا باطناً، فإنه في الباطن مأمورٌ بالأولى من قصَّةِ الخَضِرِ مع موسى، وإخوةِ يوسفَ معه على أنهم أنبياءُ؛ فإن الله حين قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ كان قبل خَلْقِهِ، وهذا الأمر مبرمٌ يستحيلُ تخلُّفه، فلما خَلقه وأسكنه الجنة أعلمَه بالنهي عن الشجرة صورةً، فهذا النهيُ صوريٌّ، وأكلُه من الشجرة جبريٌّ؛ لِعلمه أن المصلحةَ مترتبةٌ على أكله، وإنما سُمِّيَ معصيةً نظراً للنهي الظاهري، فمِن حيث الحقيقةُ لم يقَعْ منه عصيان، ومن حيث الشريعةُ وقعت منه المخالفةُ، ومن ذلك: قول ابن العربي: (لو كنتُ مكانَ آدمَ لأكلتُ الشجرةَ بتمامِها)؛ لما ترتَّب على أكله من الخير العَظيم، وإن لم يكُنْ من ذلك إلا وجودُ سيِّدِنا محمد ﷺ لكفى، ومن هذا المقام قولُ الجيليِّ: [الطويل]

وَلِي نُكْتَةٌ غَرًّا هُنا سَأَقُولُها ... وَحُقَّ لَها أَنْ تَرْعَوِيها المَسامِعُ
هِيَ الفَرْقُ ما بَيْنَ الوَلِيِّ وَفاسِقٍ ... تَنَبَّهْ لَها فَالأَمْرُ فِيهِ بَدائِعُ
وَما هُوَ إِلَّا أَنَّهُ قَبْلَ وَقْعِهِ ... يُخَبِّرُ قَلْبِي بِالَّذِي هُوَ واقِعُ

---

(١) أي: مع السيدة حواء، اكتفى المصنف بالسياق عن ذِكرها.

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ....

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عِبادِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بِهِم.

﴿٣٨﴾ ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾: مِن الجَنَّةِ ﴿جَمِيعًا﴾ ....

حاشية الصاوي

فَأَجْنِي الَّذِي يَقْضِيهِ فِيَّ مُرادُهُ ... وَعَيْنِي لَها قَبْلَ الفِعالِ تُطالِعُ

فَكُنْتُ أَرَى مِنْها الإرادَةَ قَبْلَ ما ... أَرَى الفِعْلَ مِنِّي وَالأَسِيرُ مُطاوِعُ

إذا كُنْتُ فِي أَمْرِ الشَّرِيعَةِ عاصِياً ... فَإِنِّيَ فِي حُكْمِ الحَقِيقَةِ طائِعُ[1]

انتهى

قوله: (﴿ٱلتَّوَّابُ﴾) أي: كثير التوبة، بمعنى أن العبد كلَّما أذنبَ وتاب قَبِلَهُ، فهو كثيرُ القبول لتوبة من تاب، ويسمَّى العبد توَّاباً بمعنى أنه كلَّما أذنب ندمَ واستغفر، ولا يُصرُّ.

وشرطُ توبة العبد: الندمُ، والإقلاعُ، والعزمُ على ألا يعودَ، فإن كانت المعصية متعلقةً بمخلوق اشتُرِطَ إما ردُّ المظالم لأهلها أو مُسامحتُهم له، فكلٌّ من العبد والرب يسمَّى تواباً بالوجه المتقدِّم، لكن لا يُقال في الرب: تائبٌ؛ لأن أسماءه توقيفيةٌ، وقد قيل: إن آدم لما نزل الأرض مكثَ ثلاثَ مئةِ سنةٍ لا يرفع رأسَهُ إلى السماء حياءً من الله تعالى[2]، وقد قيل: لو أن دُموعَ أهل الأرض جُمعَتْ كانت دموعُ داوود أكثرَ، ولو أن دموع داوود مع أهل الأرض جُمعَتْ لكانت دموعُ آدم أكثرَ[3].

قوله: (﴿قُلْنَا﴾) أتى بنون العظمة؛ لأنها له حقيقةً، ومَن ادعاها غيرَ مولانا قُصِم.

قوله: (﴿ٱهْبِطُوا۟﴾) جمعَ باعتبار الذرية التي في صُلب آدم.

قوله: (﴿جَمِيعًا﴾) حال من فاعل ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ أي: مجتمعين، إمَّا في زمان واحد، أو في أزمنة متفرِّقة؛ لأن المرادَ الاشتراكُ في أصل الفعل، فإنَّ (جاؤوا جميعاً) لا تستلزمُ الصحبةَ، بخلاف (جاؤوا معاً).

---

(١) الأبيات من قصيدته المنعوتة بـ«النادرات العينية» (ص١٣٩)، توفي العارف عبد الكريم الجيلي سنة (٨٣٢هـ)، والأبيات هنا عن التفريق بين الأمر التكويني والتكليفي، وقد أوردها العلامة ابن عجيبة في «إيقاظ الهمم» وقال بعدها: (أشار إلى الفرق بين مَعصية الولي ومعصية الفاسق، وذلك من ثلاثة أوجه: الولي لا يَقصدها، ولا يفرح بها، ولا يُصرُّ عليها، والفاسِق بالعكس في الجميع).

(٢) رُوي عن شهر بن حوشب بلاغاً، انظر «تفسير البغوي» (١/ ٨٥).

(٣) انظر روايات الخبر في «الدر المنثور» (١/ ١٤٢).

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ....

ـ كرَّرَهُ لِيَعطِفَ عليهِ: ـ ﴿فَإِمَّا﴾ ـ فِيهِ إدغامُ نُونِ (إن) الشَّرطِيَّة في (ما) الزَّائِدة ـ ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾: كِتابٌ ورَسُولٌ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ فآمَنَ بِي وعَمِلَ بِطاعَتِي، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرَةِ، بِأن يَدخُلُوا الجَنَّة.

﴿٣٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: كُتُبِنا، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾: ماكِثُون أبَداً، لا يَفنَونَ ولا يَخرُجُون.

﴿٤٠﴾ ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: **(ليعطف عليه)** أي: فهذا حكمةُ التكرار، فالأول أفاد الأمرَ بالهبوط مع ثبوتِ العداوة، والثاني أفاد الأمرَ بالهبوط والتكاليف، وترتُّبُ السعادة والشقاوة على الامتِثال وعدمه، فالشيءُ مع غيره غيرُهُ في نفسه[1].

قوله: **(كتاب ورسول)** أي: أو رسول فقط، فالمرادُ بالهدى مطلقٌ دالٌّ على الله، والمرادُ: أيُّ رسولٍ وأيُّ كتابٍ من آدمَ إلى محمدٍ، والرسولُ صادقٌ بِكونه من الملك أو البشر[2]، فيشمل الأممَ والأنبياء، فتأمَّلْ.

قوله: **(إن الشرطية)** أي: وفعلها ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ مبنيٌّ على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وجوابُهُ جملةُ ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، وجملةُ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية؛ إذ التقديرُ: ومن لم يتبعْ هُداي فأولئك أصحاب النار.

قوله: (﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾) ذكرَ سبحانه وتعالى خطابَ المكلفين عموماً في أول السورة، ثم ثنّى بمبدأ خلق آدم وقِصته مع إبليس، وثلَّثَ بذكر بني إسرائيلَ سواءٌ كانوا في زمنه ﷺ أو قبلَه، وما يتعلَّقُ بهم من هنا إلى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾، فعدَّدَ عليهم نعماً عشرةً، وقبائحَ عشرة، وانتقاماتٍ عشرةً، والحكمةُ في ذكر بني إسرائيل الذين تقدَّموا قبلَ رسول الله مع أنهم لَمْ يُخاطبوا بالإيمان برسول الله: أنَّ مَنْ كان في زمنه ﷺ يدَّعي أنه على قدمهم، وأنه متَّبعٌ لهم، وأن أصولَهم كانوا على شيء،

(١) فالشيء المكرر هو الهبوط، ولكنه اختلف لاختلاف المعيَّتين؛ من العداوة والتكليف.

(٢) الجملة بيان لقوله: (أيُّ رسولٍ).

﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ ....

أولادَ يَعقُوب ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آبائِكُم مِن الإنجاءِ مِن فِرعَونَ وفَلقِ البَحر وتَظلِيلِ الغَمام ....

حاشية الصاوي

فلِذلك تبعوهم، فبيَّنَ سبحانه وتعالى النعمَ التي أنعم بها على أصولهم، وبيَّنَ لهم أنهم قابلوا تلك النعمَ بالقبائح، وبيَّنَ أنه أنزل عليهم العذاب ليعتبرَ مَن يأتي بعدَهم.

وحكمةُ تخصيصهم بالخطاب: أن السورةَ أوَّلُ ما نزلَ بالمدينة، وأهلُ المدينة كان غالبُهم يهوداً، وهم أصحابُ كتاب وشوكة، فإذا أسلَموا وانقادوا انقادَ جميعُ أتباعهم، فلذلك توجَّهَ الخطابُ لهم.

و﴿بَنِىٓ﴾ منادى مضاف منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم؛ لكونه ليس علماً ولا صفةً لمذكر عاقل، و﴿بَنِىٓ﴾: مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه اسم لا يَنصرف، والمانعُ له من الصرف العلَميةُ والعجمة، وبني: جمع ابْن، وأصله قيل: بَنَوٌ[1]، فهو واويٌّ، وقيل: بَنَيٌ، فهو يائيٌّ، فعلى الأول هو من البُنوَّة كالأبوة، وعلى الثاني هو من البِناء.

وإسرائيل قيل: معناه عبدُ الله، وقيل: القويُّ بالله؛ لأن (إسرا) قيل: معناه عبدٌ أو القويُّ، و(إيل) معناه اللهُ، وقيل: مأخوذٌ من الإسراء؛ لأنه أَسرى بالليل مهاجراً إلى الله تعالى. وإسرائيلُ فيه لغاتٌ سبعٌ: **الأولى**: بالألف ثم همزة ثم ياء ثم لام، وبها جاءت القراءاتُ السبع، **الثانية**: بقلب الهمزة ياءً بعد الألف، **الثالثة**: بإسقاط الياء مع بقاء الهمزة والألف، **الرابعة والخامسة**: بإسقاط الألف والياء مع بقاء الهمزة مفتوحةً أو مكسورةً، **السادسة**: بإسقاط الهمزة والياء مع بقاء الألف، **السابعة**: إبدال اللام الأخيرة بالنون مع بقاء الألف والهمزة والياء[2]، وجمعه: أساريل، وأسارلة، وأسارل.

قوله: **(أولاد يعقوب)** أي: ابنِ إسحاقَ بن إبراهيمَ الخليل.

قوله: (﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾) الذكر بكسر الذال وضمِّها بمعنى واحد، وهو: ما كان باللسان

---

(١) بفتحتين، أو بِنْوٌ بكسر الباء وسكون النون وزان حِمْل، بدليل قولهم: بِنْت. انظر «المصباح المنير» (ب ن و).

(٢) فتحصَّل: إسرائيل، وإسراييل، وإسرائِل، وإسْرَأَل، وإسْرَئِل، وإسْرال، وإسرائين، ولكن الثانية عند السمين في «الدر المصون» (١/ ٣١٠) بياء بعد الألف من غير همزة؛ إسرايل، وعزا كلَّ قراءة لمن قرأ بها.

وغَيرِ ذلك، ....

حاشية الصاوي

أو بالجَنان، وقال الكسائي: (ما كان باللسان فهو بالكسر، وما كان بالقلب فهو بالضم، وضدُّ الأول صَمتٌ، والثاني نسيانٌ)[١]، والنعمةُ: اسم لما يُنعم به، وهي شبيهة بفِعْل بمعنى مفعول[٢]، والمراد بها الجمع؛ لأنها اسم جِنس، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقوله: (﴿ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾) جملةُ الصلة والموصول صفةٌ للنعمة، والعائدُ محذوفٌ تقديرُه: أنعمتُها؛ بالنصب على نزع الخافض، ولا يقدَّرُ: أنعمت بها؛ لئلَّا يلزم حذفُ العائد من غير وجود شَرطه؛ لقول ابن مالك: [الرجز]

كَـذا الَّـذِي جُـرَّ بِـمـا الـمَـوْصُـولَ جَـرْ[٣]

وليس الموصول مجروراً، فتأمَّل.

قوله: (وغير ذلك) أي: من بَقية العشرة، وهي العفوُ عنهم، وغفرانُ خطاياهم، وإتيانُ موسى الكتاب، والحجر الذي تفجَّرت منه اثنتي عشرة عيناً، والبعثُ بعد الموت، وإنزالُ المنِّ والسلوى عليهم[٤].

تنبيه: بقيَ ذكْرُ قبائحهم العشرة، وهي: قولُهم: سمعنا وعصينا، واتخاذُهم العجل، وقولُهم: أرِنا الله جهرةً، وتبديلُ القول الذي أُمروا به، وقولُهم: لن نصبر على طعام واحد، وتحريفُ الكَلِمِ، وتولِّيهم عن الحق بعد ظهوره، وقَسوةُ قلوبهم، وكفرُهم بآيات الله، وقتلُهُم الأنبياءَ بغير حقٍّ.

وأما عقوباتهم العشرة فهي: ضربُ الذِّلةِ والمسكنة عليهم، والغضبُ من الله، وإعطاءُ الجزية، وأمرُهم بقتل أنفسهم، ومسخُهم قردةً وخنازير، وإنزالُ الرجز عليهم من السماء، وأخذُ الصاعقة لهم، وتحريمُ طيباتٍ أُحلَّتْ لهم[٥].

---

(١) «البحر المحيط» (١/ ٣٢٦).

(٢) مثل ذِبْح بمعنى مذبوح، انظر «الفتوحات» (١/ ٤٥).

(٣) في «الخلاصة» (باب الموصول)، وتمامه: (كمر بالذي مررت فهو بر).

(٤) ذكر السيوطي ثلاثاً، والمصنف ستًّا، وبقي قوله سبحانه: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، والنقل عن ابن جُزي في «التسهيل لعلوم التنزيل» (١/ ٨١)، وفيه ذكر العشرات الآتي إيرادها.

(٥) وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾، كما في المصدر السابق، وتمام العشرة بعَدِّ ضَربِ الذلة والمسكنة اثنتين.

وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ....

بِأن تَشكُرُوها بِطاعَتِي، ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ الَّذي عَهِدتُه إلَيكُم مِن الإيمانِ بِمُحمَّدٍ، ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الَّذي عَهِدتُهُ إلَيكُم مِن الثَّوابِ عليه بِدُخولِ الجنَّةِ، ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: خافُونِ في تَركِ الوَفاء بِه دُون غَيرِي.

﴿٤١﴾ ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ مِن القُرآنِ ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ مِن التَّوراة، ....

حاشية الصاوي

وهذه العشراتُ في أصولهم، وقد وبَّخَ اللهُ المعاصرين لمحمد ﷺ بِعشرة أخرى: كِتمانُهم أمرَ محمد، وتحريفُ الكلم، وقولُهم: هذا مِن عند الله، وقتلُهم أنفسَهم، وإخراجُهم فريقاً من دِيارهم، وحرصُهم على الحياة، وعداوتُهم لجبريل، واتباعُهم السحرَ، وقولُهم: نحن أبناء الله، وقولُهم: يَد الله مغلولة، قال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: ٦٤].

قوله: (بأن تشكروها) أي: تَصرفوها فيما يرضي ربَّكم.

قوله: (﴿وَأَوْفُواْ﴾) يُقال: أَوفى ووَفَّى مشدَّداً ومخفَّفاً.

قوله: (من الإيمان بمحمد) أي: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا...﴾ [المائدة: ١٢] الآيات.

قوله: (بدخول الجنة) أي: في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ...﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآيات، وقوله تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ...﴾ [آل عمران: ١٩٥] الآيات.

قوله: (دون غيري) أخذ الحَصر من تقديم المعمول، و(إياي): مفعولٌ لمحذوف يفسِّرُه قوله: ﴿فَٱرْهَبُونِ﴾، وهذا في الحصر أبلَغ من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1]؛ لأن ﴿إِيَّاكَ﴾ معمولٌ لـ﴿نَعْبُدُ﴾، وأما هنا فهو معمولٌ لمحذوف؛ لاستيفاء الفعل المذكورِ معمولَه، وهو الياءُ المذكورة أو المحذوفة تخفيفاً[2]، فهو في قوَّة تكرار الفعل مَرَّتين.

قوله: (﴿وَءَامِنُواْ﴾) من عطف المسبَّب على السبب.

قوله: (من القرآن) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿مُصَدِّقًا﴾) حال من الضمير المحذوف في ﴿أَنزَلْتُ﴾ أو مِن (ما).

(١) كما قال الزمخشري في «الكشاف» (١/ ١٣١).

(٢) حذفها قراءةُ الجمهور، وقرأ ابن أبي إسحاق بإثباتها، انظر «البحر المحيط» (١/ ٣٣١).

وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ

بِمُوافَقَتِه لَه في التَّوحِيدِ والنُّبُوَّةِ، ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ مِن أهلِ الكِتابِ؛ لِأنَّ خَلفَكُم تَبَعٌ لَكُم فإثمُهم عَلَيكُم، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾: تَستَبدِلُوا ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾ التي في كِتابِكُم مِن نَعتِ مُحمَّد ﷺ ﴿ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾: عِوَضاً يَسِيراً مِن الدُّنيا، أي: لا تكتُمُوها خَوفَ فَواتِ ما تَأخُذُونَهُ مِن سَفِلَتِكُم، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾: خافُونِ في ذلك دُون غَيرِي.

﴿٤٢﴾ ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ﴾: تَخلِطُوا ﴿ٱلۡحَقَّ﴾ الَّذي أنزَلْتُ علَيكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (بموافقته) الباء: سببيَّةٌ، ولا يلزمُ من مُوافقته للتوراة أنه لم يزِدْ عليها، بل القرآنُ جمعَ الكتبَ السماوية وزادَ عليها.

قوله: (من أهل الكتاب) هذا جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ، تقديرُه: إن أوَّلَ بعثة النبيِّ في مكةَ، وأوَّل كافر أهلُها، ولم يأتِ للمدينة إلا بعد ثلاثَ عشرةَ سنةً، فليس كفَّارُ أهل الكتاب أوَّلَ كافر.

أجاب المفسِّر: بأن المرادَ الذي في أيدِيهم الكتب بالنسبة لمن يأتي بعدَهم إلى يوم القيامة، فليس المرادُ الأوليَّةَ الحقيقية، بل النسبيَّةَ[1].

قوله: (فإثمهم عليكم) أي: لأنَّ مَنْ سنَّ سُنةً سيئة فعليه وزرُها ووزرُ مَن عملَها إلى يوم القيامة[2].

قوله: (تستبدلوا) حوَّل المفسِّر العبارة؛ لأن الشراءَ ليس حقيقيًّا، بل هو مُطلقُ استبدالٍ ومعاوَضة.

قوله: (من نعت محمد) أي: أوصافِهِ وأخلاقه التي ذُكرت في التوراة والإنجيل.

قوله: (من سَفِلَتِكم) أي: عامَّتِكم.

قوله: (﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾) يُقال فيه ما قيل في ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾.

قوله: (﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ﴾) من: لَبَسَ بالفتح من باب: ضرَب، وأما اللُّبسُ وهو سَلْكُ الثوبِ في العُنق فمن باب: تَعِب.

---

(١) وعبارة العلامة الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط، والعلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٤٦): (لا تكفروا به فتكونوا أولاً بالنسبة لمن بعدكم من ذُريتكم، فتبوؤوا بإثمكم وإثمهم، فهذا أبلَغ من قوله: لا تكفروا به؛ لأن فيه إثماً واحداً).

(٢) كما روي مرفوعاً عند مسلم (١٠١٧).

بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ ....

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي تَفترُونَهُ، ﴿وَ﴾ لا ﴿تَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾: نَعتَ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ الحَقُّ.

﴿٤٣﴾ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: صَلُّوا مع المُصَلِّينَ مُحمَّدٍ وأصحابِه.

﴿٤٤﴾ ونَزَلَ في عُلمائِهِم ـ وكانُوا يَقُولُونَ لِأقرِبائِهِم المُسلِمِينَ: اثبُتُوا على دِين مُحمَّد فإنَّهُ حقٌّ ـ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (الذي تفترونه) أي: من تغييرِ صفاتِ محمد.

قوله: (صلوا مع المصلين) أشار بذلك إلى أنه من باب: تسميةِ الكلِّ باسم جزئِه، وآثر الركوعَ على غيره؛ لأنه لم يكُن في شريعتهم، فكأنه قال: صلُّوا الصلاةَ ذات الركوع في جماعة.

قوله: (ونزل في علمائهم) فاعلُ نزلَ جملةُ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ﴾، والضمير في (علمائهم) عائدٌ على اليهود، ومثل ذلك يُقال في عُلماء المسلمين؛ لأن كلَّ آية وردت في الكفار تجرُّ ذيلَها على عُصاة المؤمنين، فالحاصلُ: أن العالمَ إن كان كافراً فهو معذَّبٌ من قبلِ عبَّادِ الوثن؛ لأن وزرَ مَن كفرَ في عُنقه، وأما إن كان مسلماً ولكنَّه فرَّط في العمل بالعِلم فهو أقبَحُ العصاة عذاباً، هذا هو الحقُّ، فقولُهم: [الرجز]

وَعالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنْ[١]

محمولٌ على العالم الكافر؛ كعُلماءِ اليهود والنصارى.

قوله: (لأقربائهم المسلمين) إنما نصحوا معهم ليأسِهم من دُنياهم[٢].

قوله: (﴿أَتَأْمُرُونَ﴾) سيأتي للمفسِّر أن الهمزة للاستفهام الإنكاري، ومَحطُّ الاستفهام قوله:

---

(١) من «زبد ابن رسلان» أرجوزة في الفقه الشافعي، ووقع في النسخ: (لن) بدل (لم)، والتصحيح من «غاية البيان» (ص٤).

(٢) في (ط): (فضحوا) بدل (نصحوا).

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ....

بِالإيمانِ بِمُحمَّدٍ ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تَترُكُونَها فلا تَأمُرُونَها بِه، ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾:

حاشية الصاوي

﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يليقُ منكم الأمرُ بالمعروف والبرُّ لِغيركم مع كونكم ناسِين أنفسكم، قال الشاعر[1]: [الكامل]

يـا أيُّـهـا الـرَّجُـلُ الـمُـعَـلِّـمُ غَـيْـرَهُ ... هَـلَّا لِـنَـفْـسِـكَ كـانَ ذا الـتَّـعْـلِـيـمُ

إلى أن قال:

لا تَـنْـهَ عَـنْ خُـلُـقٍ وتَـأْتِـيَ مِـثْـلَـهُ ... عـارٌ عَـلَـيْـكَ إذا فَـعَـلْـتَ عَـظِـيـمُ

وقال الشاعر أيضاً[2]: [المتقارب]

أَتَـنْـهَـى الـنَّـاسَ وَلا تَـنْـتَـهِـي ... مَـتَـى تَـلْـحَـقُ الـقَـوْمَ يـا لُـكَـعُ؟

وَيـا حَـجَـرَ الـسَّـنِّ أمـا تَـسْـتَـحِـي ... تَـسُـنُّ الـحَـدِيـدَ ولا تَـقْـطَـعُ

قوله: (بالإيمان بمحمد) الأخصَرُ حذفُ (بالإيمان)؛ فالبرُّ اسمٌ جامع لكلِّ خير، كما أن الإثمَ اسمٌ جامع لكل شرٍّ، ولما كان الإيمانُ بمحمد يستلزم كلَّ خير فسَّرَهُ به، وسيأتي تَفسيره في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ١٧٧] الآيةَ.

قوله: (تتركونها) أشار بذلك إلى أنه من باب: استعمالِ اللازم في الملزوم، أو السببِ في المسبَّبِ؛ لأنه يلزم من نِسيان الشيء تركُهُ، وسبب الترك النسيانُ، والحكمةُ في ارتكاب المجاز: الإشارةُ إلى أن الشأنَ أنَّ العالِمَ لا يقعُ منه ذلك إلا نسياناً[3].

---

(١) هو أبو الأسود الدؤلي على الذي رجَّحه البغدادي في «خزانة الأدب» (٨/٥٦٧) نقلاً عن اللخمي في «شرح أبيات الجمل».

(٢) حكاهما الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٦/١٢١) من شعر ابن تومرت، وحكاهما بنحوهما أيضاً الحافظ الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١/٨) لأحمد الغزالي في عِظة لأخيه حجة الإسلام صاحب «الإحياء»، واللكع: اللئيم ذليل النفس.

(٣) وعبارة العلامة الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط وعنه العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/٤٧): (وسر هذا التجوُّز الإشارةُ أن ترك ما ذكر لا ينبغي أن يَصدر عن العاقل إلا نسياناً).

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ....

التَّوراةَ وفِيها الوَعِيدُ على مُخالَفةِ القَول العَمَلَ، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءَ فِعلِكُم فتَرجِعُونَ؟ - فجُملةُ النِّسيان مَحلُّ الاستفهامِ الإنكارِيِّ -.

﴿٤٥﴾ ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾: اطلُبُوا المَعونةَ على أُمورِكُم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾: الحَبسِ لِلنَّفسِ على ما تكرَهُ، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أفرَدَها بِالذكرِ تَعظيماً لِشَأنِها، وفي الحَدِيث: كانَ ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ بادَرَ إلى الصَّلاة، وقِيل: الخِطابُ لِليَهودِ لَمَّا عاقَهُم عَن الإيمان ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) قال بعضُ المفسِّرين: (إن الفاء في مثل هذا الموضع مؤخَّرةٌ من تقديم، وجملة «تعقلون» معطوفة على جملة «تتلُون»، والمستفهم عنه ما بعد الفاء، التقديرُ: فأيّ شيء لا تعقلونه؟، وقال الزمخشري: إن الهمزة داخِلةٌ على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، التقدير: أتفعَلون ذلك فلا تعقلون)[1].

قوله: (﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾) قيل: إن هذا الخطابَ لِلمسلمين، وقيل: لليهود، فعلى الأوَّلِ تكون الجملةُ معترضةً بين أجزاء القِصة، وعلى الثاني: لا اعتراضَ.

قوله: (**الحبس للنفس على ما تكرَه**) أي: من المصائب والطاعات وتركِ المعاصي، فأقسامُ الصبر ثلاثةٌ: صبرٌ على المُصيبة، وصبرٌ على دوام الطاعة، وصبرٌ عن المعاصي فلا يَفعلُها، والكاملُ من تحقَّقَ بِجميعها.

قوله: (أفردها بالذكر) أي: مع أنها داخلةٌ في الصبر، فذِكْرُ الخاصِّ بعد العامِّ لا بدَّ له من نكتة، أجاب عن ذلك بقوله: (تعظيماً لشأنها).

قوله: (تعظيماً لشأنها) أي: مِن حيث إن الصلاةَ جامعةٌ لأنواع العبادة؛ من تسبيحٍ وتهليل وتكبير وذكر وصلاةٍ على النبي ﷺ ورُكوعٍ وسجود، وفي الحديث: «لمَّا أُسري به ورأى الملائكةَ منهم القائمُ لا غيرُ، والراكعُ لا غيرُ، وهكذا، تمنَّى عبادةً تجمعُ عباداتِ الملائكة، فأُعطيَ الصلاة».

قوله: (إذا حزبه) بالباء والنون، ومعناهما: همَّهُ وشقَّ عليه، وهذا يؤيِّدُ أن الخطاب لمحمد وأصحابه.

---

(١) النص للعلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (١/ ٣٢٨) بتصرف، وقوله: (مؤخرة من تقديم) أي: الأصل: فألا تعقلون، وعبارة السمين: (وهي - همزة الاستفهام الإنكاري - في نية التأخير عن الفاء؛ لأنها حرف عطف)، والذي في مطبوعة «الدر المصون» و«الفتوحات الإلهية» وغيرهما في تقدير الزمخشري للاستفهام: (أتغفلون فلا تعقلون).

وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ....

الشَّرَهُ وحُبُّ الرِّياسةِ، فأُمِرُوا بِالصَّبرِ - وهو الصَّوم - لِأَنَّهُ يَكسِرُ الشَّهوةَ، والصَّلاةِ لِأَنَّها تُورِثُ الخُشُوعَ وتَنفِي الكِبرَ، ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصَّلاةَ ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثَقِيلةٌ ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: السَّاكِنِينَ إلى الطَّاعة.

﴿٤٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقِنُون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ بِالبَعثِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (الشَّرَه[1]) أي: الشهوة، فالمانعُ لهم من الإيمان بمحمد الشهواتُ والكِبْرُ، ولكن قد يُقال: إن الكافر لا يصحُّ منه صومٌ ولا صلاة حتى يدخلَ في الإسلام، فما معنى أمرِهم بذلك؟

أجيب: بأن المراد: أمرُهم بعد الإسلام.

قوله: (لأنه يكسر الشهوة) أي: يُضعفُها.

قوله: (تورث الخشوع) هو خضوعُ النفس وسكونُها تحت المقادير.

قوله: (ثقيلة) قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ...﴾ [النساء: ١٤٢] الآية.

قوله: (﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾) استثناء مفرَّغٌ مضمَّنٌ معنى النفي؛ أي: لا تسهلُ إلا على الخاشعين.

قوله: (الساكنين) أي: المائلين المحبِّين للطاعة، الذين اطمأنَّتْ قلوبُهم بها، وفي الحديث: «**أقربُ ما يكونُ العبدُ منْ ربِّهِ وهوَ ساجدٌ**»[2]، وفي الحديث: «**وجُعلَتْ قرَّةُ عيني في الصلاةِ**»[3]، هكذا مشى المفسِّر على أن الضميرَ عائدٌ على الصلاة، ويُحتمل عَوْدُهُ على الاستعانة بالصبر والصلاة، ويحتمل عَوده على ما تقدَّمَ من قوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: وإنَّ ما أُمرَ به بنو إسرائيلَ لكبيرةٌ.

قوله: (يُوقِنون) أشار بذلك إلى أن الظنَّ يُستعملُ بمعنى اليقين، وقد يُستعملُ اليقينُ بمعنى الظنِّ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] أي: ظَنَنتموهُنَّ.

قوله: (﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾) أي: يَعتقدون أنهم يُبعثون ويرَون ربَّهُم، فقوله: (بالبعث) الباءُ سببيَّةٌ.

---

(١) في نسخة أشار إليها صاحب «الفتوحات» (١/٤٨): (الشهوة) بدل (الشره)، وفسَّر الشره بالحرص.

(٢) رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٣) رواه النسائي (٣٩٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾ ....

﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخِرةِ فيُجازِيهم.

۝٤٧ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشُّكرِ عليها بطاعَتِي، ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءَكُم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمِي زَمانِهم.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾) أي: صائرون، فيحاسبُهم على أعمالهم، فيدخلُهم إما الجنةَ أو النارَ، وبهذا التفسير فلا تكرارَ بين قوله: ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ وبين قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

قوله: (﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾) كرَّرَ هذا النداءَ لطول الفصل؛ بناءً على أن الخطاب في ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ لغير بني إسرائيل، ولِتعداد النِّعمِ عليهم، وللتأكيد لبَلادتِهم؛ فإن الذكيَّ يفهمُ بالمثال الواحد ما لا يفهمُهُ الغبيُّ بألفِ شاهد.

قوله: (بالشكر عليها) أي: باتِّباع محمد والدخولِ في دِينه، ولا ينفعُهم الانتسابُ لغيره مع وجوده.

قوله: (﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾) في تأويل مصدرٍ معطوف على ﴿نِعْمَتِىَ﴾ أي: اذكروا نِعمتي وتفضيلي إيَّاكم.

قوله: (أي: آباءَكم) إشارة إلى أنه على حذف مضاف، فالفضلُ ثابتٌ لآبائِهم المتقدمين، لا لمن وُجدَ في زمنه ﷺ؛ فإن المُصِرَّ منهم على الكفر هَمَجُ الهمَجِ[1].

قوله: (عالمي زمانهم) دفع بذلك ما يُقال: إن المرادَ بالعالمين ما سوى الله، فيقتضي أن بني إسرائيل أفضلُ ممَّا سواهم من الأولين والآخرين، فأجابَ: بأن المرادَ بالعالمين عالمو زمانِهم[2]، وهذا هو المرتضى، وهناك أجوبة أُخَرُ؛ منها: أن المرادَ بآبائهم الأنبياءُ، وهو مخدوشٌ بأن إبراهيمَ أفضلُ من أنبياء بني إسرائيل، ومحمداً أفضلُ الخلق جميعاً، ومنها: أن المراد تفضيلُ أمم بني إسرائيل على جميع الأمم، وهو مخدوشٌ أيضاً بأن أمَّةَ محمد أفضلُ الأمم جميعاً باتِّفاق؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ولِذلك طلبَ موسى أن يكونَ منهم، فلم يتمَّ إلا الأوَّلُ.

---

(١) الهمج: ذباب صغير يقع على وجوه الدواب، وعلى التشبيه به يقال للرَّعاع من الناس ولِلحمقى منهم.

(٢) في النسخ: (عالمي زمانهم).

وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ....

(٤٨) ﴿وَاتَّقُوا۟﴾: خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ هو يوم القيامة، ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ - بالتاء والياء - ﴿مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتقبل، ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]، ....

حاشية الصاوي

قوله (﴿وَاتَّقُوا۟﴾) أصله: اوْتَقُوا، قلبت الواو تاءً وأدغمت في التاء، وقوله: (﴿يَوْمًا﴾) مفعولٌ به وليس ظرفاً[(١)]؛ لأن الخوفَ واقعٌ على اليوم، لا في اليَوم.

قوله: (﴿لَّا تَجْزِى﴾ فيه) صفةٌ لـ﴿يَوْمًا﴾، وقدَّرَ المفسِّر قوله: (فيه) إشارةً للرابط، وحُذفَ لأنه يُتوسَّعُ في الظروف ما لا يُتوسَّعُ في غيرها.

قوله: (﴿عَن نَّفْسٍ﴾) متعلق بـ﴿تَجْزِى﴾، و﴿نَفْسٌ﴾: فاعل ﴿تَجْزِى﴾، وهو بمعنى: تُغني؛ أي: لا تغني نفسٌ مؤمنةٌ عن نفسٍ كافرةٍ شيئاً من عذابِ الله، وأما قولهم: (يُحشرُ المرءُ مع من أحبَّ)[(٢)] أي: إذا كان المُحبُّ مُؤمناً، والأصولُ لا تنفعُ الفروعَ إلا إذا كان مع الفروع إيمانٌ، قال تعالى: ﴿بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١][(٣)].

قوله: (بالتاء والياء) قراءتانِ سبعيَّتان[(٤)]، فعلى التاء الأمرُ ظاهرٌ، وعلى الياء لأنه مجازيُّ التأنيثِ، فيصحُّ تذكيرُ الفعل وتأنيثُهُ.

قوله: (﴿مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾) أي: النفسُ المؤمنة لا تُقبلُ شفاعتُها في النفسِ الكافرة.

قوله: (وليس لها شفاعة فتقبل) أي: لم يُؤذَنْ لها في أصل الشفاعة حتى يتسبَّبَ عنها القبول، وليس المرادُ: أنها تشفَع ولكنْ لا يُقبلُ منها تلك الشفاعةُ؛ لِقوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]، وخيرُ ما فسَّرته بالوارد؛ كما أشار لذلك المفسِّر.

---

(١) وجوَّز السمين في «الدر المصون» (١/ ٣٣٥) كونه ظرفاً والمفعول محذوف، والمعنى عليه: واتقوا العذابَ في يومٍ صفتُه كيت وكيت.

(٢) وأصله ما رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤١) عنه ﷺ أنه قال: «المرءُ مع من أحبَّ»، وما رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٨١) مرفوعاً: «من أحب قوماً حُشر في زمرتهم».

(٣) والآية بتمامها: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

(٤) ابن كثير وأبو عمرو قرآ بالتاء، انظر «البحر المحيط» (١/ ٣٤٨).

وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ....

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فِداءٌ، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُونَ مِن عذابِ اللهِ.

﴿٤٩﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرُوا ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ أي: آباءَكُم، والخِطابُ بِه وبِما بَعدَه لِلمَوجُودِينَ في زَمَن نَبِيِّنا بِما أنعَمَ الله على آبائِهِم؛ تَذكِيراً لَهُم بِنِعمةِ الله تَعالى لِيُؤمِنُوا، ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾) الضمير عائدٌ على النفس الكافرة، والعَدْلُ بالفتح: الفداءُ، ويطلقُ على المماثِل في القَدْرِ لا في الجنس، وأما المماثلُ في الجنس فبالكَسْر.

قوله: (﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾) جمعَ باعتبار أفرادِ النفس؛ لأن (أل) فيها جنسيةٌ[1]، وأتى بالجملة اسميةً للتأكيد، والمعنى: ليس لهم مانعٌ يمنعُهم من عذاب الله.

قوله: (﴿إِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾) معطوفٌ على ﴿نِعْمَتِيَ﴾، مسلَّطٌ عليه (اذكروا) الأوَّلُ؛ أي: اذكُروا نعمتي وتفضيلي إيَّاكم ووقتَ إنجائي لكم، والمقصودُ ذكرُ الإنجاء[2]، أو معطوفٌ على جملة (اذكروا)، فقولُ المفسِّر: (اذكروا) ليس تقديراً للعامل الأوَّلِ، بل هو عاملٌ مماثلُه، وهكذا يُقال فيما يأتي ممَّا فيه (إذْ) من جميع ما يتعلَّقُ ببني إسرائيل.

قوله: (أي: آباءَكم) ويصحُّ أن النجاةَ لهم؛ إذْ لو غَرقت أصولُهم ما وُجِدوا، والنجاةُ: مأخوذةٌ من النَّجْوة، وهي الأرضُ المرتفعة، والوَضْعُ عليها ليسلمَ من الآفات يُسمَّى إنجاءً، ثم أُطلقَ على كلِّ خُلُوصٍ من ضِيق إلى سَعَةٍ، فالمعنى: خلَّصناهم من المهلكات.

قوله: (بما أنعم على آبائهم) أي: وعدَّدَ عليهم نعماً عشرةً نهايتُها: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾[3].

قوله: (﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾) لا يردُ أن (الآلَ) لا يضافُ إلا لِذي شرف[4]؛ لأن فرعونَ ذو شرف دُنيوي، والمرادُ أعوانُه، وكانوا يومَ الغرقِ ألفَ ألفٍ وسبعَ مئةِ ألفٍ غيرَ المتخلِّفينَ بمصرَ، وكانت

---

(١) في (ط): (لأن المراد بها جنس الأنفس) بدل (لأن «أل» فيها جنسية)، والمؤدَّى واحد.

(٢) لا ذكر وقته كما تُفيده (إذ).

(٣) كما سبق ذكره (١/ ١٣٥)، وقوله: (نهايتها ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ﴾) تنبيه لمخالفة المصنف للعلامة السيوطي في تركه دَرْجَها في النعم، والمصنفُ تبع شيخه العلامة الجمل كما في «الفتوحات الإلهية» (١/ ٥٠)، وسيأتي الحديث عنها عند تفسير الآية.

(٤) كون الآل لا يُضاف إلا لذي شرف قاعدة أغلَبية كما يفهم من كلام العلامة الزبيدي في «تاج العروس» (أ و ل).

سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ....

يُذِيقُونَكُم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أَشَدَّه، ـ والجُملةُ حال مِن ضَمِير ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ ـ ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ ـ بَيَانٌ لِما قَبله ـ ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ المَولُودِينَ، ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يَستبقُونَ ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

الخيلُ الدُّهْمُ سبعينَ ألفاً، وبَنو إسرائيل كانوا ستَّ مئةِ ألفٍ وعشرينَ ألفاً، وعند دخول يعقوبَ مصرَ كانوا سبعينَ نفساً ذكوراً وإناثاً، وبين موسى ويعقوب أربعُ مئةِ سنةٍ، فكمل فيها ذلك العددُ مع كثرة قَتل الأطفال وموتِ الشيوخ[1]، فسُبحانَ الخلَّاقِ العظيم!

وفرعونُ: اسمه الوليدُ بن مُصعب بن الريان[2]، وفرعون لقبٌ له؛ من الفَرْعَنة، وهي العُتوُّ والتمرُّدُ، ومدَّةُ ادعائه الألوهية أربعُ مئة سنة، وكان يأكلُ كلَّ يوم فَصيلاً، وكان لا يتغوَّطُ إلا كلَّ أربعين يوماً مرَّةً، وفِرعونُ اسمٌ لكلِّ مَن مَلَكَ العَمالقة، كما أن قيصرَ اسمٌ لمن مَلَك الرومَ، وكسرى لمن مَلَك الفرسَ، والنجاشي لمن مَلَك الحبشةَ، وتُبَّعٌ لمن مَلَك اليمنَ[3]، وخاقان لمن مَلَك التركَ.

قوله: (يذيقونكم) أي: على سَبيل الدوام.

قوله: (﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾) اسمٌ جامع لكلِّ ما يغمُّ النفسَ؛ كالشر وهو ضِد الخير.

إن قلتَ: إن العذاب سيِّئٌ. **أجاب المفسِّر**: بأن المرادَ أشدُّهُ.

قوله: (بيان لما قبله) أي: لِبعض ما قبلَه، فإنهم كانوا يُعذَّبون بأنواع العذاب، فكانوا يُخدمون أقوياءَ بني إسرائيل في قَطْعِ الحجر والحديد، والبناء وضرب الطُّوب والنجارة وغير ذلك، وكان نساؤهم يَغزِلْنَ الكَتَّان لهم وينسُجْنَهُ، وضعفاؤهم يَضربون عليهم الجزية.

وإنما قُلنا: (لبعض ما قبله)؛ لأن ذَبْحَ الأولاد وما ذُكرَ معه ليس هو عينَ أشدِّ العذاب، بل بعضَهُ؛ بدليل سورة (إبراهيم) فإنها بالعطف[4]، وهو يَقتضي المغايرة.

قوله: (﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾) أصله: يَسْتَحْيِيُون بياءَين، الأولى عينُ الكلمة، والثانيةُ لامُها، استُثقلت

---

(١) «الفتوحات الإلهية» (١/ ٥٢)، وانظر «الدر المنثور» (٦/ ٢٩٥) عند تفسير قوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

(٢) كما روى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٨) عن ابن إسحاق بلاغاً، وهو ما عليه أكثرُ المفسرين كما ذكر في «الفتوحات» (١/ ٥٠).

(٣) كذا وقع (تبع) في النسخ على قطع العطف، بل وشكله بالضم في (أ)، وهو اسم عربي مصروف.

(٤) أي: بعطف (يذبحون) و(يستحيون) على (يسومونكم)، قال سبحانه: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾.

وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ

لِقَولِ بَعض الكَهَنة لَهُ: إنَّ مَولُوداً يُولَد في بَنِي إسرائِيلَ يَكُون سَبَباً لِذَهابِ مُلكِك، ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ العَذابِ أو الإنجاءِ ﴿بَلَآءٌ﴾: ابتِلاءٌ أو إنعامٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرُوا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾: فَلَقْنا ﴿بِكُمُ﴾: بِسَبَبِكُم ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ حَتَّى دَخَلتُمُوهُ هارِبِينَ مِن عَدُوِّكُم، ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ مِن الغَرَق ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: قَومَهُ مَعَهُ، ....

حاشية الصاوي

الكسرةُ على الياء الأولى، فحُذفت، فالتقى ساكنان، حُذفت الياء لالتقاء الساكنين، وقيل: حُذفت الياءُ الثانية تخفيفاً، وضُمَّت الأولى لِمناسبة الواو، فعلى الأول: وزنُه (يَسْتَفْلُون)، وعلى الثاني: وزنُه (يَسْتَفْعُون).

قوله: (لقول بعض الكهنة) أي: حينَ دعاهم لِيَقصَّ عليهم ما رآه في النوم، وهو أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بُيوت مصر، فأحرقت القِبْطَ وتركَتْ بني إسرائيل، فشَقَّ عليه ذلك، ودعا الكهنةَ وسألهم عن ذلك، فقالُوا له ما ذُكر[1].

قوله: (والإنجاء) أي: من حيث عدمُ الشكر عليه، فصار الإنجاءُ بلاءً، فالبلاءُ يُطلق على الخير والشرِّ، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قوله: (ابتلاء) راجعٌ للعذاب. وقوله: (أو إنعام) راجعٌ للإنجاء، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قوله: (﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾) هذا من جملة المعطوفِ على ﴿نِعْمَتِيَ﴾ أو على (اذكروا)، فالمقصودُ تعدادُ النعم عليهم، وفَرَقَ من باب: قَتَل: مَيَّزَ الشيءَ من الشيء، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي: ميَّزنا به الحقَّ من الباطل.

قوله: (فلقنا) الفَلْقُ والفَرْق بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

قوله: (﴿ٱلْبَحْرَ﴾) هو الماءُ الكثير عَذْباً أو مِلْحاً، لكن المراد هنا المِلْحُ، والمرادُ به: بحر القُلْزُم[2].

قوله: (﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾) يُطلقُ آلُ الرجل عليه وعلى آلِه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٣) عن السُّدِّي.

(٢) وهو البحر الأحمر، مشتق من القَلْزَمَة، وهي الابتلاع.

وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ....

﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى انطباقِ البَحرِ عليهم.

﴿٥١﴾ ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا﴾ - بِألِفٍ ودُونَها - ﴿مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نُعطِيهِ عِند انقِضائِها التَّوراةَ؛

حاشية الصاوي

عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] المراد: محمدٌ وآلُه، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] المراد: آدمُ وبَنوه.

قوله: (إلى انطباق البحر) إشارة إلى أن المتعلَّقَ محذوفٌ.

قوله: (بألف ودونها) أي: فهما قراءتانِ سبعيَّتان[1]، فعلى الألف المواعدةُ من الله بإعطاء التوراة، ومِن موسى برِياضته الأربعين يوماً وإتيانه جبلَ الطور لأخذ التوراة، وعلى عدمها فالأمرُ ظاهر.

قوله: (﴿مُوسَىٰ﴾) هو اسمٌ أعجمي غيرُ مُنصرف، وهو في الأصل مركَّبٌ، والأصل: مُوشَى بالشين؛ لأن الماءَ بالعبرانية يُقال له: مو، والشجرَ يُقال له: شَى، فغيَّرته العربُ، وقالوه بالسين، سُمِّيَ بذلك لأن فرعونَ أخذَه من بين الماءِ والشجر حين وضَعته أمُّهُ في الصندوق وألقَته في اليم كما سيأتي في سورة (القصص)، وهذا بخلاف مُوسى الحديدِ، فإنه عربي مشتقٌّ من: أوسَيتُ رأسَه: إذا حلقتَهُ، وعاشَ موسى مئةً وعشرينَ سنةً.

قوله: (﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾) إشارة إلى غاية المدَّة، وأمَّا في سورة (الأعراف) فبيَّنَ المبدأَ والمنتهى، قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وهي ذو القعدة وعشر ذي الحجة، واقتصرَ على ذِكر الليالي مع أن النهار تبعٌ لها؛ لأن الليلَ محلُّ الصفاءِ والأُنْسِ والعطايا الربَّانيةِ.

قوله: (عند انقضائها) أي: فراغِها، فبَعْدَ تمامِ الخدمة من العبد العطايا من الرب، قال عليه الصلاة والسلام: «**تمامُ الرِّباط أربعُون يوماً**»[2].

قوله: (التوراة) أي: في ألواحٍ من زَبَرْجَدٍ فيها الأحكامُ التكليفية، مَنْ خرجَ عنها فهو ضالٌّ

---

(١) (واعدنا) هي قراءة الجمهور، و(وعدنا) قرأ بها أبو عمرو، والمواعدة من سيدنا موسى بمعنى المعاهدة، انظر «البحر المحيط» (١/ ٣٥٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٣٣) من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعاً.

ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم ....

لِتعمَلُوا بِها، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ الَّذي صاغَهُ لَكُم السَّامِرِيُّ إلَهاً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعدَ ذَهابِه إلى مِيعادِنا، ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتِّخاذِه؛ لِوَضعِكُم العِبادةَ في غَيرِ مَحَلِّها.

﴿٥٢﴾ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾: مَحَوْنا ذُنُوبَكُم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الاتِّخاذِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعمَتَنا علَيكُم.

﴿٥٣﴾ ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ ـ عَطفُ تَفسِير ـ أي: الفارِقَ بَين الحَقِّ والباطِلِ والحَلالِ والحَرامِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بِه مِن الضَّلالِ.

﴿٥٤﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الَّذِينَ عَبَدُوا العِجلَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم

حاشية الصاوي

مضلٌّ؛ لقوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...﴾ [المائدة: ٤٤] الآية، وأعطاه أيضاً ألواحاً أُخرَ فيها مواعظُ وأسرارٌ ومَعارف، قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥] يخصُّ بها مَن شاء، فلمَّا رجع بها ووَجدهم قد عبدُوا العجل ألقى الألواح، فتكسَّرَ ما عدا التوراة، كذا قالُوا هنا، وسيأتي تحقيق ذلك في (الأعراف).

قوله: (السامِري) واسمه موسى، وكان ابنَ زناً، ولَدته أمُّهُ في الجبل، وتركته لخوفها من قومها، فربَّاه جبريلُ، وكان يَسقيه من إصبعه لبناً، فصار يعرفُ جبريلَ ويعرفُ أن أثرَ حافر فرس جبريلَ إذا وُضعَ على ميِّتٍ يحيَا، فاستعارَ حَلْياً منهم وصاغه عجلاً، ووَضع الترابَ في أنفه وفمِه فصارَ له خوارٌ، وكان السامريُّ منافقاً في بني إسرائيل، فعكفُوا على عبادته جميعاً إلا اثني عشر ألفاً، قال بعضهم: [الطويل]

إذا المَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ سَعِيداً مِنَ الأَزَلْ ... فَقَدْ خابَ مَنْ رَبَّى وَخابَ المُؤَمِّلُ
فَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ جِبْرِيلُ كافِرٌ ... وَمُوسَى الَّذِي رَبَّاهُ فِرْعَوْنُ مُرْسَلُ

قوله: (إلهاً) قدَّرَه إشارةً للمفعول الثاني لـ(اتَّخذ)، هذا إذا كانت بمعنى جعَلَ، وأما إن كانت بمعنى عملَ نَصبَتْ مفعولاً واحداً.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾) أي: تتدبَّرونَ في مَعانيه، فتعلَموا الحقَّ من الباطل.

بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ ....

بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلـهاً، ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: خالِقِكُم مِن عِبادَتِه، ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لِيقتُلِ البَرِيءُ مِنكُم المُجرِمَ، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القَتلُ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾، فوَفَّقَكُم لِفِعلِ ذلكَ، وأرسَلَ عَلَيكُم سَحابةً سَوداءَ لِئَلَّا يُبصِرَ بَعضُكُم بَعضاً فيَرحَمَهُ، حتَّى قُتِلَ مِنكُم نَحوُ سَبعِينَ ألفاً، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قَبِلَ تَوبَتَكُم؛ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خَرَجتُم مع مُوسَى لِتَعتَذِرُوا إلى الله مِن عِبادةِ العِجلِ وسَمِعتُم

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ﴾) من إضافة المصدر لفاعله، و﴿ٱلْعِجْلَ﴾ مفعولٌ أوَّل، و(إلهاً) مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾) البارئُ هو: الخالقُ للشيءِ على غير مِثال سابق.

قوله: (﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾) هذا بيانٌ لِتوبتهم.

قوله: (أي: ليقتل البريء... إلخ) ورَدَ: أنهم أمروا جميعاً بالاحتباء، فصار الواحد منهم يقتل أخاهُ أو ابنهُ، فشَقَّ عليهم ذلك، فشكَوا لموسى ذلك، فتضرَّع موسى لربِّه، فأرسل عليهم سحابةً سوداءَ مُظلمة كما قال المفسِّر[1].

قوله: (﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾) أي: لمَّا تضرَّعَ موسى وهارون وبكَيا، فأرسلَ الله جبريلَ يأمرُهم بالكفِّ عن الباقي، وأخبرَهم أن الله قَبِلَ توبةَ مَن قُتلَ ومَن لم يُقتل، وقوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ الفاء: سببيَّةٌ، مرتَّبٌ على محذوف قدَّرَه المفسِّر بقوله: (**فوفَّقكم لفعل ذلك... إلخ**).

وقوله: (**حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً**) أي: في يوم واحد.

قوله: (﴿ٱلتَّوَّابُ﴾) أي: الذي يَقبلُ التوبة كثيراً.

قوله: (﴿ٱلرَّحِيمُ﴾) أي: المنعمُ المحسِن.

قوله: (**وقد خرجتم... إلخ**) بيانٌ للسبب، وحاصلُ ذلك: أنه بعد قَبولِ توبتهم أوحى الله إلى موسى أن خُذْ من قومك سبعين رجلاً ممَّنْ لم يعبدوا العجل، ومُرْهم بِطهارة الثياب والأبدان، والذهابِ معك إلى جبل الطور؛ لِيَعتذروا عمَّنْ عبدوا العجلَ ويستغفروا ويَتوبوا، فاختارهم، وذهبُوا

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٧٤) عن ابن عباس ﵄.

يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ....

كَلامَه: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: عِياناً، ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: الصَّيحةُ، فمُتُّم، ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ما حَلَّ بِكُم.

﴿٥٦﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾: أحييناكُم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعمَتَنا بِذلك.

حاشية الصاوي

معه إلى جبلِ الطور، فسمعُوا كلامَ الله، ورَد: «أن اللهَ قال لهم: إني أنا الله لا إله إلا أنا، أخرجتكم من أرض مصر بيدٍ شديدة، فاعبدونِ ولا تعبدوا غيري، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ...﴾ الآية»[1].

قوله: (﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾) أي: لنْ نُصدقَكَ في أن المخاطِبَ لنا ربُّنا.

قوله: (الصَّيحةُ) قيل: صاحَ عليهم مَلك، وقيل: نزلت عليهم نارٌ فأحرقَتهم، وجُمع بأنه أصابَهم كلٌّ منها.

قوله: (﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾) أي: فماتوا مترتِّبينَ واحداً بعد واحد، ومكثوا ميِّتينَ يوماً وليلةً والحيُّ ينظرُ للميت.

قوله: (ما حلَّ بكم) إشارة إلى مفعول ﴿تَنظُرُونَ﴾.

قوله: (﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾) أي: واحداً بعد واحدٍ لِتَعتبروا، وهذا الموت حقيقيٌّ، وإنما أُحيُوا

---

(١) قال العلامة القرطبي في «تفسيره» (٢/ ٢): (فإن قيل: فقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أن قوم موسى سألوا موسى أن يسأل ربه أن يُسمعهم كلامه، فسمعوا صوتاً كصوت الشَّبُّور: إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، أخرجتكم من مِصر بيد رفيعة وذراع شديدة، قلتُ: هذا حديث باطل لا يصح، رواه ابن مروان عن الكلبي، وكلاهما ضعيف لا يحتج به).

وقال الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٢٤٤): (ومن الحديث الذي ينكره قلوب المحِقِّين: ما روي أن قوم موسى...، فهذا حديث من غرب فهمه، وإنما الكلام شيء خُصَّ به موسى عليه السلام من بين جميع ولد آدم عليه السلام، فإن كان كلَّمَ قومه أيضاً حتى أسمعهم كلامه فما فَضل موسى عليه السلام حيث سُمي كليمَ الله من بين رُسله عليهم السلام؟).

ويمكن حمل سماعهم لكلامه تعالى على الواسطة؛ أي: سَمعوه من سيدنا موسى عليه السلام؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾، أفاده القرطبي.

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ....

﴿٥٧﴾ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾: سَتَرناكُم بِالسَّحابِ الرَّقِيق مِن حَرِّ الشَّمس في التِّيهِ، ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فِيهِ ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ ....

حاشية الصاوي

بشفاعةِ موسى ليستوفوا آجالَهم المقدَّرةَ لهم، وما ذكرَهُ المفسِّر من أن السائلَ لرؤية الله جهرةً هم السبعون المختارون لِلمناجاة أحدُ طريقتين، والثانيةُ: أن السائلَ غيرُهم، وأما المختارون صُعقوا من هيبةِ الله ولم يَسألوا رؤيةً ولم يكُنْ منهم إنكارٌ، فتضرَّعَ موسى لِربه وقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، فأحياهم اللهُ بعد ذلك، ويشهدُ لذلك ما في آية (النساء) فإن ما فيها يدلُّ على أن طلبَ الرؤية كان قبلَ عِبادة العجل[١]، وأما السبعون المختارون لِلمناجاة فكانوا بعد عبادةِ العجل، قال تعالى في سورة (النساء): ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً...﴾ [النساء: ١٥٣] الآية، وأما ما هنا فالواوُ لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً؛ فإن ما هنا بصددِ تعدادِ ما قالوا، ويَشهد لذلك أيضاً أنه عبَّرَ في جانب مَنْ طلبَ الرؤيةَ بالصعقة، وهي أخذةُ غضبٍ، وفي جانب مَنْ يَسمع الكلام بالرَّجفة، وهي أخذةُ هيبةٍ ولا تقتضي الغضبَ، إذا عَلمتَ ذلك فما مشى عليه المفسِّر مُشكلٌ من وجوه، والأقربُ الطريقةُ الثانية.

قوله: (ستَرناكم بالسحاب) حاصلُه: أن الله أوحى إلى موسى أن في أريحَا قوماً جبَّارين، فتجهَّزْ لقتالهم، فخرج في ستِّ مئةِ ألفٍ، فلما وصلَ التِّيهَ ـ وادٍ بينَ الشام ومصرَ وقدرُه تِسعةُ فراسخَ ـ مكثوا فيه أربعينَ سنةً مُتحيِّرين، وكانوا يبتدئونَ السيرَ من أوَّلِ النهار فإذا جاء الليلُ وجدُوا أنفسهم في المبدإِ وهكذا، وسيَأتي بَسطُه في (المائدة).

ومات هارونُ قبل موسى بسنة وكان بالتِّيهِ، ولما توفي هارونُ وذهب موسى لِدَفنه أشاعوا أنه قتلَ أخاه، فذهب إلى قبره ودَعاهم، وسألَه عن سبب موته، فبرَّأَهُ، ولما حضَرت موسى الوفاةُ تمنَّى أن يُدفنَ بمحلٍّ قريب من الأرض المقدسة قَدْرَ رميةِ الحجر، فأجابه اللهُ، ثم لما ماتا وماتَ كِبارُهم نُبِّئَ يوشعُ بن نونٍ عليهم، فوُفقوا بعد تمام الأربعين سنةً لقتال الجبارين، فتوجَّهَ مع مَن بقيَ من بني إسرائيل، فكان النصرُ على يدَيه.

---

(١) وذلك لمعنى الترتيب في (ثم)، قال تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾.

﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٥٧ وَإِذْ قُلْنَا﴾ ....

هُما التُّرَنجبِينُ والطَّير السُّمانَى - بِتَخفِيفِ المِيم والقَصرِ -، وقُلنا: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ولا تَدَّخِرُوا، فكَفَرُوا النِّعمةَ وادَّخَرُوا فقُطِعَ عَنهُم، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بِذَلك، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لِأنَّ وَبالَه عليهِم.

۝٥٨ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لَهُم بعدَ خُرُوجِهم مِن التِّيهِ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (التُّرَنْجَبين) شيءٌ يشبه العسلَ الأبيض، وقيل: هو هو[1].

قوله: (والطير السُّمَانَى[2]) أي: بإرسال رِيحِ الجنوب به، قيل: كان يأتيهم مطبوخاً، وقيل: كانوا يَطبخونه بأيديهم، قيل: هو الطيرُ المعروف، وقيل: طيرٌ يُشبهُه.

قوله: (﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾) أي: مُستلذاتِ الذي رَزقناكموه، فـ(ما) اسمٌ موصول، وما بعدها صلة، والعائد محذوف، ويصح أن تكون نكرةً، والجملة بعدها صفةٌ، وأن تكون مصدريةً، والجملة صِلتها ولم تحتج إلى عائد، ويكون المصدر واقعاً موقع المفعول؛ أي: مِن طيبات مرزوقِنا.

قوله: (فقطع عنهم) هذا أحدُ تفسيرين أن القطع بِسبب الادخار، وقيل: إن القطعَ بسبب تمني غيره كما يأتي في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١].

قوله: (﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ﴾) جمعَ في هذه الآية وآيةِ (الأعراف) بين (لكنْ) و(كانوا)، واقتصرَ على (لكنْ) ولم يذكُرْ (كانوا) في (آل عمران)؛ لأن ما هنا و(الأعراف) حكايةٌ عن بني إسرائيل، وأما (آل عمران) فمَثلٌ ضربه الله، فهو مُستمرٌّ إلى الآن، فناسبَ عدمَ التعبير بـ(كان).

قوله: (﴿قُلْنَا﴾ لهم) القائل: اللهُ سبحانه وتعالى على لِسان موسى وهم في التِّيه بطريق الكشف، والمعنى: إذا خرجتُم من التيه بعد مضي الأربعين سنة فادخلُوا... إلخ، وأما إن كان بعد الخروج من التِّيه يكون ذلك على لِسان يُوشع، وهو المعتمَد[3].

---

(١) الترنجبين: بتشديد الراء وسكون النون كما ذكر القرطبي في «تفسيره» (١/ ٤٠٦)، ويقال: الطرنجبين أيضاً، وتفسيره بعسل الندى أو الأبيض هو قول عامة المفسرين، ومنهم من قال: المن: مَصدر يعم جميع ما مَنَّ الله به على عباده من غير تعب ولا زرع.

(٢) بوزان حُبارَى، الواحدة منه سُماناة. انظر «تاج العروس» (س م ن).

(٣) «تفسير القرطبي» (٦/ ١٣٠).

ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ ....

﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بَيتَ المَقدِسِ أو أَرِيحا، ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسِعاً لا حَجرَ فِيهِ، ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ أي: بابَها ﴿سُجَّدًا﴾: مُنحَنِينَ، ﴿وَقُولُواْ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾) هذه منصوبةٌ عند سيبويهِ على الظرف، وعند الأخفشِ على المفعولية، و﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: نعتٌ لـ﴿هَٰذِهِ﴾ أو عطفُ بيان، وهي مُشتقةٌ من: قَرَيت؛ أي: جمَعت؛ لجمعها لأهلها، وهي في الأصل: اسمٌ للمكان الذي يَجتمع فيه القوم، وقد تطلق عليهم مجازاً، وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يحتملُ الوجهَين.

قوله: (بيت المقدس) هو قولُ مجاهد، وقوله: (أو أَرِيحا) هو قول ابن عباس[١]، وهي بِفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة: قريةٌ بالغورِ بغين معجمة، مكانٌ منخفض بين بيتِ المقدس وحورانَ، وعبارةُ الخازن: (قال ابنُ عباس: القَرية هي أريحا، قرية الجبارين، قيل: كان فيها قومٌ من بَقيةِ عاد يُقال لهم: العَمالقة، ورأسُهم عُوْجُ بنُ عُنُق)[٢].

قوله: (﴿فَكُلُواْ﴾) أتى بالفاء لأن الأكلَ منها إنما يكون بعد الدخول، فحسُنَ الترتيبُ، ولم يأتِ بالفاء في (الأعراف) بل أتى بالواو؛ لِتَعبيره هناك بـ﴿ٱسْكُنُواْ﴾، وهو يُجامع الأكل، فلم يحصُل بينهما ترتيبٌ، فلذا أتى بالواو، بخلاف الدخول، فيَعقُبه الأكل عادةً، فلذلك أتى بالفاء[٣].

قوله: (أي: بابها) أي: أريحا، وهو المعتمَد[٤]، والمرادُ: أيُّ باب من أبوابها، وكان لها سبعةُ أبواب، أو بيت المقدس، ومَن قال بذلك فالمراد بابٌ من أبواب المسجد، يسمى الآن ببابِ حِطَّة.

قوله: (منحنين) أي: على صورة الراكع، وقيل: إن السجودَ حقيقة، وهو وضع الجبهة على الأرض، وقيل: المرادُ بالسجود التواضعُ والذلُّ لله، والأمرُ بالسجود قيل: لِصغر الباب، وقيل: تعبديٌّ.

---

(١) «السراج المنير» (١/ ٦٢)، وانظر «تفسير الطبري» (٢/ ١٠٣).

(٢) «تفسير الخازن» (١/ ٤٨)، وعُنُق أمُّ عُوْجٍ، وأبوه عُوق كما نقل الزبيدي عن ابن الطيب في «التاج» (ع و ق).

(٣) «البحر المحيط» (٤/ ٤٠٦).

(٤) وعامة المفسرين على التشكيك بين أريحا وبيت المقدس.

حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ....

مَسألَتُنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: أن تَحُطَّ عَنَّا خَطايانَا، ﴿نَّغْفِرْ﴾ - وفي قِراءة بِالياءِ، والتَّاء، مَبنِيًّا لِلمَفعُولِ فِيهِما - ﴿لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (مسألتُنا) إشارة إلى أن ﴿حِطَّةٌ﴾ خبرٌ لمحذوفٍ قدَّره المفسِّر، والجملةُ في محلِّ نصب مقول القول، وحِطَّة بوزن قِعْدَة أو جِلْسَة مَعناها حَطيطةُ الذنوبِ عنَّا[١].

قوله: (خَطايانَا) جمع خطيئة، وهي الذنوبُ التي ارتكبوها من عبادة العجل، وقولِهِم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ إلى غير ذلك، وفي قراءة شاذَّةٍ: بنصب (حِطَّة)؛ إما مفعولٌ مطلق؛ أي: حُطَّ عنَّا الذنوبَ حِطَّةً، أو مفعولٌ لمحذوف؛ أي: نسألُك حِطَّةً، ومعنى حِطَّتِها: إزالتُها ومَحوُها.

قوله: (﴿نَّغْفِرْ﴾) القراءةُ تناسبُ ما قبلها وما بعدها؛ لأنه تكلُّمٌ.

قوله: (وفي قراءة بالياء والتاء)[٢] أي: وهما مناسبان لمعنى الخطايا، والخطايا مجازيُّ التأنيثِ، فلِذلك جازَ تذكيرُ الفعل وتأنيثُه.

قوله: (﴿خَطَٰيَٰكُمْ﴾) جمع خطيئة، وأصلُه: خَطايِئ بياء قبل الهمزة، فقُلبت تلك الياءُ همزةً مكسورة، فاجتمعَ همزتان، فقُلبت الثانيةُ ياءً، وقُلبت كسرةُ الهمزة الأولى فتحةً، ثم يُقال: تحرَّكت الياءُ التي بعد الهمزة وانفتحَ ما قبلها فقُلبت ألفاً، فصار خطاءَا بألفينِ بينهما همزةٌ، فاستُثقلَ ذلك؛ لأن الهمزة تُشبه الألف، فكأنه اجتمع ثلاثُ ألفات مُتواليات، فقُلبت الهمزةُ ياءً للخفة هنا، ففيه خمس إعمالات: قلبُ الياء التي قبل الهمزة همزةً، ثم قلبُ الهمزة الثانية ياءً، ثم قلبُ كسرة الأولى فتحةً، ثم قلبُ الثانية ألفاً، ثم قلبُ الأولى ياءً، تأمَّل[٣].

و(خطايا) هنا باتفاق القرَّاء، وأما في (الأعراف) فيُقرأ (خطيئات)[٤]، وحِكمةُ ذلك: أنه هنا

---

(١) والحطيطة: اسم لما يحطُّ وينقص من الثمن، وهنا على المجاز، وحِطَّة اسم للهيئة، وقيل: لفظةٌ أمروا بها ولا يُدرى معناها، وقيل: هي التوبة. انظر «الفتوحات» (١/ ٥٦).

(٢) قراءة نافع وابن عامر، وقُرئ بالبناء للفاعل وبالبناء للمفعول. انظر «البحر المحيط» (١/ ٣٨٥).

(٣) وهذه الإعمالات الصرفية على قول سيبويه، ووزنها عنده فعائل، وهناك أقوال أخرى. انظر «الدر المصون» (١/ ٣٧٨).

(٤) في قوله سبحانه: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ....

﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطَّاعةِ ثَواباً.

﴿٥٩﴾ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ مِنهُم ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالُوا: حَبَّة في شَعرةٍ، ....

حاشية الصاوي

أسندَ القولَ لنفسه، فهو يَغفرُ الذنوبَ وإن عظُمت، فناسب التعبير بخطايا الذي هو جمعُ كثرة، وفي (الأعراف) بُني الفعلُ للمجهول، فعبَّرَ بجَمع القِلَّة[1].

وقوله: (﴿نَّغْفِرْ﴾) مجزومٌ في جواب قوله: (ادخلوا) المقيَّدِ بالسجود وبالقَول.

قوله: (﴿وَسَنَزِيدُ﴾) عبَّرَ بالسين والمضارع إشارةً إلى أن المحسنَ لا يَنقطعُ ثوابه، بل دائماً يتجدَّدَ شيئاً فشيئاً.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾) حكمةُ الإتيان بذلك: الزيادةُ في التقبيح عليهم.

قوله: (مِنهُم) قدَّرَها هنا؛ لأنه ذكرَها في (الأعراف)[2]، والقصةُ واحدة، فما تركَهُ هنا قدَّرَه هناك، وبالعَكس.

قوله: (﴿قَوْلًا﴾) أي: وفعلاً، ففيه اكتفاءٌ؛ على حدِّ: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبردَ، أو المراد بالقول الأمرُ الإلهي، وهو يَشمل القول والفعل، كأنه قال: فبدَّل الذين ظلموا أمراً غيرَ الذي أُمروا به.

قوله: (فقالوا حبَّة في شَعَرَةٍ ... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مُشوَّش؛ لأن هذا راجعٌ إلى ﴿حِطَّةٌ﴾، وقوله: (ودخلوا.. إلخ) راجعٌ لقوله: ﴿سُجَّدًا﴾، وما فسَّر به المفسِّر هو الصحيحُ؛ لأنه حديث البخاري[3]،

---

(١) فجمع الألف والتاء من جموع القلة، ولكن هذا على قراءة نافع ومحبوب عن أبي عمرو بالتاء: تُغفر لكم خطيئاتكم، بينما قرأ الكوفيون وابن كثير والحسن والأعمش: نغفر ـ بالنون ـ لكم خطيئاتكم، كما في «البحر المحيط» (٤/ ٤٠٧)، وقُرأ هنا أيضا بالبناء للمفعول كما سبق قُبيلاً، وقد استظهر العلامة الرازي حِكَماً للفُروق بين سياق القصة في البقرة والأعراف سيَنقلها المصنف، وقد قال في اختلاف الجمعين كثرةً وقلةً: (إشارة إلى أن هذه الذنوب سواء كانت قليلة أم كثيرة فهي مَغفورة عند الإتيان بهذا الدعاء والتضرع). انظر «تفسير الرازي» (١٥/ ٣٨٩).

(٢) في قوله سبحانه: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾.

(٣) رواه البخاري (٣٤٠٣)، ومسلم (٣٠١٥).

فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ....

ودَخَلُوا يَزحَفُونَ على أَستاهِهِم، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ - فِيهِ وضعُ الظَّاهِر مَوضِعَ المُضمَر مُبالَغةً في تَقبِيح شَأنِهم - ﴿رِجْزًا﴾: عَذاباً طاعُوناً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ بِسَبَبِ فِسقِهِم، أي: خُرُوجِهم عَن الطَّاعة، فهَلَكَ مِنهُم في ساعةٍ سَبعُونَ ألفاً أو أقَلُّ.

حاشية الصاوي

وقيل: قالوا: حنطةٌ في شَعَرَة أو شُعَيْرَة، أو حنطةٌ حمراءُ في شَعَرةٍ سوداءَ، أو حنطةٌ بيضاء في شَعَرة سوداءَ، ومعنى (حبةٌ في شَعَرة) جنسُ الحبِّ وجنسُ الشعر؛ أي: نسألُك حبًّا في زكائبَ من شَعَر[1].

قوله: (ودخلوا يزحفون) وقيل: إنهم دخلوا مستلقِين على ظهورهم.

قوله: (على أستاهِهِم) جمع سَتَه[2]، وهو الدُّبُر؛ أي: على أدبارهم.

قوله: (﴿رِجْزًا﴾) هو في الأصل: فناءٌ ينزلُ بالإبل، أُطلقَ وأُريدَ منه مطلقُ الفناء.

قوله: (بسبب فِسقهم) أشار بذلك إلى أن الباءَ سببية، و(ما): مصدريةٌ تُسبكُ مع ما بعدها بمصدر، ومشى المفسِّر على أن (كان) لا تتصرف، فسبكَهُ من الخبر، وقيل: إن (كان) مُتصرفة يأتي منها المصدر؛ لقول الشاعر: [الطويل]

بِبَذْلٍ وحِلْمٍ سادَ فِي قَوْمِهِ الفَتَى ... وكَوْنُكَ إِيَّاهُ عَلَيْكَ يَسِيرُ

فعليه: أن ما تسبكُ بها بمصدر؛ أي: بكونهم فاسقِين، وهو المعتمد[3].

قوله: (فهلك منهم... إلخ) أي: فالطاعون عذابٌ لهم بخلاف الأمَّة المحمَّدية، فإنه رحمةٌ لهم، من ماتَ به أو في زَمنه كان شهيداً[4].

وقد ذكروا أن في الآية سُؤالاتٍ:

الأول: قوله هنا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وفي (الأعراف): ﴿وَإِذْ قِيلَ﴾، وأجيبَ بأنه صرَّحَ هنا بالفاعل لإزالة الإبهام، وحذَفَه في (الأعراف) لِلعلم به ممَّا هنا.

---

(١) الزكائب: جمع زكيبة، وعاء كبير كالجوالق. انظر «تاج العروس» (ز ك ب).

(٢) بفتح السين والتاء؛ مثل سَبَب وأسباب.

(٣) كما صححه العلامة ابن عقيل في «شرح الخلاصة» (١/ ٢٧٠)، ولم ينسب البيت لقائل معين كما قال العيني.

(٤) روى البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٦) من حديث أنس ﷺ مرفوعاً: «الطاعونُ شهادةٌ لكل مسلم».

. . . .

حاشية الصاوي

الثاني: قال هنا: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ وهناك: ﴿ٱسۡكُنُواْ﴾، وأجيبَ بأن الدخولَ مقدَّمٌ على السكنى، فذكرَ الدخولَ في السُّورة المتقدِّمة والسكنى في المتأخرة على حسَبِ الترتيب الطبيعي.

الثالث: قال هنا: ﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ باتفاق السبعة[1]، وهناك: ﴿خَطِيٓـَٰٔتِكُمۡ﴾ في بعضها، وتقدَّمَ جوابه[2].

الرابع: ذكر هنا ﴿رَغَدٗا﴾ وحذفه من هناك، **والجوابُ**: أن القصةَ ذُكرت هنا مَبسوطةً وهناك مختصرة.

الخامس: قدَّمَ هنا دخولَ البابِ على ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ وعكسَ هناك، وأُجيب: بأن ما هنا هو الأصلُ في الترتيب، وعكسَ فيما يأتي اعتناءً بحطِّ الذنوب.

السادس: إثباتُ الواو في ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ هنا وحذفُها هناك، وأجيب: بأنه لما تقدَّمَ أمرانِ كان المجيءُ بالواو مؤذناً بأن مجموع الغفران والزيادة جزءٌ واحد بِمَجموع الأمرين، وحيث تُركت الواو أفادَ توزيعَ كلٍّ واحد على كلٍّ واحد من الأمرَين، فالغفرانُ في مُقابلة القول، والزيادةُ في مقابلة ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾.

السابع: لم يذكر هنا ﴿مِنۡهُمۡ﴾ وذكرها هناك، وأجيب: بأن أوَّلَ القصة في (الأعراف) مبنيٌّ على التخصيص بلفظِ (مِن)، حيث قال: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ﴾، فذكر لفظ (منهم) آخراً لِيُطابق الآخر الأول.

الثامن: ذكر هنا ﴿أَنزَلۡنَا﴾ وهناك ﴿أَرۡسَلۡنَا﴾، وأجيب: بأن الإنزال يُفيدُ حدوثَهُ في أوَّلِ الأمر، والإرسالُ يفيدُ تسلُّطَه عليهم واستئصالَهم بالكلية، وهذا إنما يحدُث في آخر الأمر.

التاسع: هنا ﴿يَفۡسُقُونَ﴾ وهناك ﴿يَظۡلِمُونَ﴾، وأجيب: بأنه لما بيَّنَ هنا كون ذلك الظلمِ فسقاً، اكتفى بذكر الظُّلم هناك لأجل ما تقدَّم من البيانِ هنا.

العاشر: قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا﴾ فيه إخبارٌ بالمجازاة عن المخالَفة في القول دون الفعل، وجوابُه ما تقدَّم، فلتُحفظ[3].

---

(١) فيه إشارة لقراءات غير ﴿خَطَٰيَٰكُمۡ﴾، منها ما وافق ما في (الأعراف). انظر «تفسير الرازي» (٣/ ٥٢٤).

(٢) تقدم (١/ ١٥٦).

(٣) تقدم (١/ ١٥٧)، والأسئلة وأجوبتها أورَد غالبَها الإمام الرازي في «تفسيره» (١٥/ ٣٨٩).

وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ....

﴿٦٠﴾ ﴿و﴾ اذكُر ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي: طَلَبَ السُّقيا ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وقد عَطِشُوا في التِّيه، ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ وهو الذي فرَّ بِثوبِه، خَفِيفٌ مُربَّع كرأسِ الرَّجُل

حاشية الصاوي

قوله: (واذكر) أي: يا محمد، والمناسب لما تقدم وما يأتي أن يقدَّرَ (اذكروا) ويكون خطاباً لبني إسرائيل بتَعداد النعمِ عليهم، والأوَّلُ وإن كان صحيحاً إلا أنه خلافُ النَّسق.

قوله: (أي: طلب السقيا) أشار بذلك إلى أن السينَ والتاءَ للطلب، والفعل إمَّا رباعيٌّ أو ثلاثيٌّ، يُقال: سقى وأسقى، قال تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، والمصدر: سَقْياً، والاسمُ: السُّقْيا.

قوله: (وقد عطشوا في التِّيه) أشار بذلك إلى أن المراد بقَومه: مَن كان معه في التِّيه لا جميعهم، وتقدَّم أنهم ستُّ مئة ألف غيرُ دوابِّهم، وقَدْرُ مسافة الأرض التي تكفيهم اثنا عشر ميلاً، وعطشَ من باب: ضرَبَ وعلِمَ.

قوله: (﴿فَقُلْنَا﴾) القائلُ اللهُ على لِسان جبريل أو غيرِهِ.

قوله: (﴿بِّعَصَاكَ﴾) كانَت من آسِ الجنة، طولُها عشرةُ أذرُع، وطولُ موسى كذلك، وكان لها شعبتانِ تضيئانِ له في الظلام، وتُظلَّانِهِ في الحرِّ، وكانت تَسوقُ له الغنمَ وتطردُ عنها الذئاب.

قوله: (وهو الذي فرَّ بثوبه) أي: حينَ رمَوهُ بالأُدْرَة، وهي: انتِفاخُ الخِصية، وكان بنو إسرائيلَ لا يُبالون بكشف العورة، فأراد موسى الغسلَ، فوضع ثوبَه على ذلك الحجر، ففرَّ بذلك الثوب، فخرجَ موسى من الماء وقال: ثوبي حجرُ، فنظرَ بنو إسرائيل لِعورته، فلم يرَوهُ كما ظنُّوا، قال تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وهذا الحجر قيل: أخذَه هو والعصا من شُعيب، وقيل: إن الحجر أخذه من وقت فِراره بثوبه[1]، وكان طوله ذراعاً، وعَرضُه كذلك، وله جهات أربع، في كلِّ جهة ثلاثةُ أعين، فكان يَضربه بالعصا عند طلب السُّقْيا، فتخرج منه اثنتا عشرة عيناً بعدد فِرَقِ بني إسرائيل، وتلك العصا كانت من الجنة، خرَجت مع آدم مع عِدة أشياء، نظمَها سيدي عليٌّ الأجْهُوريُّ بقوله: [الطويل]

وآدَمُ مَعْهُ أُنْزِلَ العُودُ وَالعَصا ... لِمُوسَى مِنَ الآسِ النَّباتِ المُكَرَّمِ

(١) روى الخبر البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٦٠﴾ ....

رُخامٌ أو كَذَّان، فضَرَبَهُ ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾: انشَقَّت وسالَتْ ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بِعَدَدِ الأسباطِ، ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سِبْطٍ مِنهُم ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: مَوضِعَ شُربِهِم، فلا يَشرَكُهُم فِيهِ غَيرُهُم، وقُلنا لَهُم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ـ حالٌ مُؤَكِّدة لِعامِلِها ....

حاشية الصاوي

وَأَوْراقُ تِينٍ وَاليَمِينُ بِمَكَّةٍ ... وَخَتْمُ سُلَيْمانَ النَّبِيِّ المُعَظَّمِ[(١)]

قوله: (أو كَذَّان) بفتح الكاف وتَشديد الذال المعجمة: الحجرُ اللَّيِّن[(٢)].

قوله: (فضربه) أشار بذلك إلى أن الفاءَ في قوله: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ عاطفةٌ على محذوف.

قوله: (﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾) عبَّرَ هنا بالانفجار، وفي (الأعراف) بالانبجاس؛ إشارةً إلى أن ما هنا بيانٌ للغاية، وما في (الأعراف) بيانٌ للمَبدأ؛ فإن مبدأَ خروج الماء الرَّشْحُ الذي هو الانبجاسُ، ثم إذا قويَ سُمِّيَ انفجاراً، وقيل: معناهما واحدٌ.

قوله: (﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾) أي: فكانت كلُّ عين تأتي لقبيلة، وأعظمُ من هذه المعجزة نَبْعُ الماء من أصابع رسول الله ﷺ[(٣)].

قوله: (من رزق الله) تنازعَهُ كلٌّ من (كلوا) و(اشربوا)، فأُعملَ الأخير، وأُضمرَ في الأول وحُذِف، والمراد بالرزق: المرزوقُ، وهو بالنسبة لِلأكل المنُّ والسلوى.

قوله: (مؤكدة لعاملها) وحكمةُ ذلك: عظَمُ بَلادتهم، فنُزِّلوا منزلةَ الساهي والغافل.

---

(١) حكاهما الشيخ عطية الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط، وفيه: (إنزال) بدل (أنزل)، والعود هو عود البخور، واليمين هو الحجر الأسود، وأوراق التين هي التي استتر بها سيدنا آدم وزوجه لما بدت لهما سوآتهما، وانظر «حاشية البجيرمي على الخطيب» (٢/ ٤٣٨).

(٢) كأنه المدر، وانظر «المصباح المنير» (ك ذ ذ).

(٣) كما روى ذلك البخاري (١٦٩)، ومسلم (٢٢٧٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾ ....

مِن (عثِيَ) بكسرِ المُثَلَّثة: أفسَدَ ـ.

(٦١) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَٰحِدٍ﴾ وهو المَنُّ والسَّلوَى، ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئاً ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾ ـ للبيانِ ـ ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾: حِنطَتِها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ﴾ لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾: أخسُّ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾: أشرَفُ، أي: أتأخُذونَهُ بدَلَه؟ ـ والهمزةُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من: عثى[1]) أي: والمصدرُ (عُثِيًّا) بضمِّ العين وكسرها.

قوله: (﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾) أي: واذكروا إذْ قالَت أصولُكم.

قوله: (أي: نوع منه) جواب عن سؤال: كيف يَقولون: واحدٌ مع أنهما اثنان؟ فأجابَ: بأن المرادَ: وَحدةُ النوعِ الذي هو الطعامُ المستَلذُّ.

قوله: (شيئاً) قدَّرَه؛ إشارةً إلى أن مفعولَ ﴿يُخْرِجْ﴾ محذوفٌ.

قوله: (﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾) بيانٌ لذلك الشيء.

قوله: (للبيان) أي: بيانِ ما تُنبتُهُ الأرضُ.

قوله: (﴿بَقْلِهَا﴾) هو ما لا ساقَ له؛ كالكرَّاثِ والفجْل والمُلُوخِيَّة وشبهِها.

قوله: (﴿وَقِثَّآئِهَا﴾) هي الخَضراواتُ؛ كالبِطيخ والخيار وغيرِ ذلك.

قوله: (حنطتِها) وقيل: هو الثومُ؛ لأن الثاء تُقلبُ فاءً في اللغة[2]، والأقربُ: ما قاله المفسِّر.

قوله: (﴿قَالَ﴾ لهم موسى) وقيل: القائلُ اللهُ على لسان موسى.

قوله: (﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾) الباءُ داخلةٌ على المترُوك.

---

(١) ك: رمى وسعى ورضي، عُثِيًّا ك: عُتِيّ وعِثِيًّا بالتشديد: أشدّ الفساد، قيل: مقلوب من: عاث يَعِيث. انظر «تاج العروس» (ع ث و).

(٢) والقلب سماعي؛ ومثله قولهم: جَدَث وجدَف.

﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ ....

لِلإنكارِ ـ، فأبَوا أن يَرجِعُوا، فدَعا الله تَعالى فقالَ تَعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾: انزِلُوا ﴿مِصۡرٗا﴾ مِن الأمصارِ؛ ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فِيهِ ﴿مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ مِن النَّباتِ، ﴿وَضُرِبَتۡ﴾: جُعِلَتْ ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: الذُّلُّ والهَوان ﴿وَٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ أي: أثَرُ الفَقر مِن السُّكُون والخِزيِ، فهِيَ لازِمةٌ لَهُم وإن كانُوا أغنِياءَ لُزُومَ الدِّرهَم المَضرُوب لِسِكَّتِهِ، ﴿وَبَآءُو﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ﴾ أي: الضَّربُ والغَضَب ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ أي: بِسَبَبِ أنَّهُم ﴿كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (للإنكار) أي: التوبيخيّ.

قوله: (فدعا الله) أشار بذلك إلى أن قولَه: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ مرتَّبٌ على محذوف.

قوله: (﴿ٱهۡبِطُواْ﴾) يُطلق الهبوط على النزول من أعلى لأسفلَ، وعلى الانتقال من مكان لمكان، وهو المرادُ.

إن قلتَ: ظاهرُ الآية أنهم مُتمكِّنون من الانتقال مع أن الأمرَ ليس كذلك.

أُجيب: بأن ذلك على سَبيل التوبيخ واللوم عليهم في ذلك، تقديرُ الكلام: إن مطلوبَكم يكون في الأمصار، فإن كُنتم متمكِّنين منها فلَكم ما سألتم، وإلا فاصبروا على حُكْمِ الله.

قوله: (﴿مِصۡرٗا﴾) بالتنوين لجمهور القرَّاء، ولم يقرأْ بعدمه إلا الحسنُ وأُبيٌّ[1]؛ للعلَمية والتأنيث، ونظيرُها يجوز فيه الصرفُ وعَدمه؛ لأنه اسم ثلاثيٌّ ساكن الوسط.

قوله: (عليهم) أي: على ذُرِّياتهم إلى يوم القيامة، وكلِّ مَنْ نحا نحوَهم.

قوله: (أي: أثر الفقر) أي: القلبيّ ولو كثُرت أمواله، قال عليه الصلاة والسلام: «الفقرُ سوادُ الوجه في الدارَين»[2].

قوله: (لزوم الدرهم... إلخ) الكلامُ على القلب؛ أي: لزوم السِّكَّة للدرهم، والمراد بالسِّكَّة

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١/ ٤٢٩).

(٢) نقل في «كشف الخفاء» (١٨٣٧) عن الصاغاني أنه موضوع، وهذا مصطلحٌ يُطلق على الفقر عما سوى الله والغنى بالله، لذا ألَّف العلامة الحنفي ابن كمال باشا رسالةً بعنوان: «الفقر سواد الوجه في الدارين»، مدللاً على هذا المعنى، فهو قول مشهور لا حديث.

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ....

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كزكريَّا ويحيى ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ﴾ أي: ظُلماً، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: يَتجاوَزُونَ الحَدَّ في المَعاصِي. ـ وكَرَّرَهُ لِلتَّأكِيدِ ـ.

حاشية الصاوي

أثرُها؛ لأن السِّكَّةَ اسمٌ للحديدة المنقوشة يُضرَبُ عليها الدرهمُ، فكذلك لا يخلُو يهوديٌّ من آثار الفقر، قال المفسِّرون: مَبدأُ زيادة الذلَّةِ والغضب من وقت إشاعتهم قَتْلَ عيسى.

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) أي: المعجزاتِ التي أتى بها موسى وعيسى ومُحمد صلواتُ الله وسلامُهُ عليهم.

قوله: (كزكريا) أي: بالنَّشْرِ حين أوى إلى شجرة الأَثْل، فانفتحَتْ له، فدخلَها، فنشروها معه.

قوله: (ويحيى) أي: قتَلوه على كلمة الحقِّ، وَرد: «أنهم قتلُوا في يوم واحد سبعينَ نبيًّا، وأقاموا سُوقَهم»[1].

قوله: (﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ﴾) من المعلوم أنَّ قتل الأنبياء لا يكونُ إلا بغير الحقِّ، وإنما ذكرَه إشارةً إلى أن اعتقادَهم مُوافقٌ للواقع، فهم يَعتقدون أنه بغير الحقِّ كما هو الواقع.

قوله: (﴿بِمَا عَصَوا۟﴾) أصلُه: عَصَيُوا، تحركَّت الياءُ وانفتحَ ما قبلها قُلبت ألفاً، ثم حُذفت لالتقاء الساكنين، وبَقيت الفتحةُ لتدلَّ عليها.

قوله: (وكرَّره) أي: اسمَ الإشارة وهو لفظ (ذلك)، قال بعضهم: وفي تَكرير الإشارة قولان: أحدُهما: أنه مشارٌ به إلى ما أُشير إليه بالأول على سَبيل التأكيد، والثاني: أنه مشارٌ به إلى الكفر وقتلِ الأنبياء، على معنى: أن ذلك سَببُ عصيانهم واعتدائهم؛ لأنهم انهمَكوا فيها، و(ما): مصدرية، والباءُ: للسببية، وأصل ﴿يَعْتَدُونَ﴾: يَعْتَدِيُون، استُثقلت الضمةُ على الياء فحُذفت، فالتقى ساكنانِ حُذفت الياءُ لالتقائهما، وضُمَّت الدالُ لمناسبة الواو.

---

(١) كذا أورد الخطيب في «السراج المنير» (١/ ٦٥)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٢)، وانظر «الدر المنثور» (١/ ١٧٨).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ....

﴿٦٢﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالأنبياءِ مِن قَبلُ، ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هُم اليَهُودُ ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾: طائِفةٌ مِن اليَهُود أو النَّصارَى، ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ مِنهُم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ في زَمَن

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) هذه الآيةُ مُعترضةٌ بين قصصِ بني إسرائيل[١].

قوله: (من قبل) أي: قبل بعثة محمد ﷺ؛ كبَحيرا الراهب، وأبي ذر الغفاري، وورقةَ بنِ نوفل، وسلمانَ الفارسي، وقُسِّ بنِ ساعدة وغيرِهم ممَّن آمن بعيسى ولم يُغيِّرْ ولم يبدِّلْ حتى أدركَ محمداً وآمن به، وأما مَنْ آمن بعيسى وأدركَ محمداً ولم يُؤمنْ به، فذلك مخلَّدٌ في النار؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]. و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسمُ ﴿إِنَّ﴾، و﴿ءَامَنُوا۟﴾: صلتُهُ، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: معطوفٌ عليه[٢]، و﴿هَادُوا۟﴾: صلتُهُ.

قوله: (هم اليهود) مِن: هاد: إذا رجع، سُمُّوا بذلك لرجوعهم من عِبادة العجل على أنه عربي، وأما على أنه عبراني فعُرِّبَ فأصله: يَهوذا، اسمُ أكبرِ أولاد يعقوبَ، فأُبدلت المعجمةُ مهملةً.

قوله: (﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾) جمع نَصْران، والياءُ للمبالغة كأحمريٍّ[٣]، سُمُّوا بذلك؛ لأنهم نصرُوا عيسى على كلمة الحقِّ؛ كما سُمِّيَ الأنصارُ أنصاراً؛ لِنصرته ﷺ، وقيل: نِسبة لناصرة، قرية بالشام.

قوله: (﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾) أي: المائلِين عن دينهم.

قوله: (أو النصارى) إشارة إلى تنويع الخلاف، أي: صَبؤوا عن دينهم وعبدوا النجوم أو الملائكة، وقيل: فِرقةٌ ادَّعوا أنهم على دين صابئِ بنِ شيثَ بنِ آدم، والأرجحُ: ما قاله المفسِّر.

قوله: (﴿مَنْ﴾) اسم موصول مبتدأٌ، و﴿ءَامَنَ﴾: صلتُهُ، والعائدُ محذوف قدَّره المفسِّر بقَوله:

---

(١) ومن حِكَمِ اعتراضها ما ذكره العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١/ ٥٣١) إذ قال: (وهي أن ما تقدم من حكاية سوء مقابلتهم لنعم الله تعالى قد جرَّتْ عليهم ضرب الذلة والمسكنة ورجوعهم بغضب من الله تعالى عليهم، ولما كان الإنحاء عليهم بذلك من شأنه أن يفزعهم إلى طلب الخلاص من غضب الله تعالى . .لم يترك الله تعالى عادتَهُ مع خلقه من الرحمة بهم وإرادته صلاح حالهم، فبيَّنَ لهم في هاته الآية أن باب الله مفتوح لهم، وأن اللَّجأ إليه أمر هَين عليهم، وذلك بأن يؤمنوا ويعملوا الصالحات).

(٢) أي: و(الذين) الثاني معطوف على (الذين) الأول.

(٣) أي: الياء في نصراني ـ وهو المستعمل في الإفراد ـ للمبالغة، وقيل: للنسب، وهو كنَدْمان ونَدامى، وفي «الصحاح» (ن ص ر) أن نَصران لم يستعمل إلا بياء النسب.

وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ ....

نَبِيِّنا، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بِشَرِيعَتِهِ، ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ أي: ثَوابُ أعمالِهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾، ـ رُوعِيَ في ضَمِير ﴿ءَامَنَ وَعَمِلَ﴾ لَفظُ ﴿مَنۡ﴾، وفِيما بعدَه مَعناها ـ.

﴿٦٣﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرُوا ﴿إِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾: عَهدَكُم بِالعَمَلِ بِما في التَّوراةِ، ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجَبَلَ، اقتَلَعناهُ مِن أصلِه عَلَيكُم لَمَّا أَبَيتُم قَبُولَها، وقُلْنا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾: بِجِدٍّ واجتِهادٍ، ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بِالعملِ بِهِ، ....

حاشية الصاوي

(مِنهم)، و﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلق بـ﴿ءَامَنَ﴾، وقوله: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ خبر المبتدإ، وقُرِنَ بالفاء لِما في المبتدإ من العموم، ويصحُّ أن يكون ﴿مَنۡ﴾ اسمَ شرط مبتدأً، و﴿ءَامَنَ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ جواب الشرط، وخبرُ المبتدإ فيه خلافٌ؛ قيل: فعل الشرط، وقيل: جوابه، وقيل: هما، والجملةُ خبر ﴿إِنَّ﴾، ويصحُّ أن يكون ﴿مَنۡ﴾ بدلاً مِن اسم ﴿إِنَّ﴾، وجملةُ ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾.

قوله: (﴿أَجۡرُهُمۡ﴾) في الأصل مصدرٌ بمعنى: الإيجار[1]، والمرادُ به هنا: الثواب، وهو مقدارٌ من الجزاء أعدَّهُ الله لِعباده في نظير أعمالهم الحسنةِ لمحضِ الفَضْل.

قوله: (﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾) أي: في الآخرة.

قوله: (﴿مِيثَٰقَكُمۡ﴾) الخطابُ لِبني إسرائيل.

قوله: (﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعۡنَا﴾) قدَّرَ المفسِّر لفظَ (قدْ)؛ إشارةً إلى أن الجملة حاليةٌ.

قوله: (﴿ٱلطُّورَ﴾) في الأصل: اسمٌ لكلِّ جبل، لكن المراد به هنا جبل مَعروفٌ بفلسطين.

قوله: (وقلنا: ﴿خُذُواْ﴾) قدَّرَه المفسِّر؛ إشارةً إلى أن ﴿خُذُواْ﴾ مقولٌ لقول محذوف، **وحاصلُ ذلك**: أن الله لما آتى موسى التوراةَ وأمرهم بالسجود شكراً لله، أبَوْا من قَبول التوراة ومن السجود، فرفعَ اللهُ جبلَ الطور فوقَ رُؤوسهم كأنه سحابةٌ قَدْرَ قامتِهم، وكان على قَدْرِهم، فسجدوا على نصف الجبهة الأيسر، فصار ذلك فيهم إلى الآن، ثم لمَّا رُفع عنهم أبَوا.

---

(١) «المصباح المنير» (أ ج ر).

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ....

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النَّارَ أو المَعاصِيَ.

﴿٦٤﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: أعرضتُم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الميثاقِ عَن الطَّاعةِ، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لَكُم بِالتَّوبةِ أو تَأخِيرِ العَذاب، ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: الهالِكِينَ.

﴿٦٥﴾ ﴿وَلَقَدْ﴾ ـ لامُ قَسَم ـ ﴿عَلِمْتُمُ﴾: عَرَفتُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾) الترجي بالنسبة لِلمخاطبين(١).

قوله: (الميثاق) أشار بذلك إلى مرجع اسم الإشارة، وقال البيضاوي: (إنه راجعٌ لرفع الجبل وإيتاء التوراة)(٢).

قوله: (﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾) (لولا): حرف امتناع لوجود؛ أي: امتنعَ خُسرانُكم لوجود فضل الله ورحمته، وجوابها يقترن باللام غالباً إن كان مُثبتاً، فإن كان منفيًّا بـ(ما) فالغالبُ الحذف، أو بغيرها فالواجبُ الحذف، وتَختصُّ بالجمل الاسمية، ومدخولها المبتدأ يجب حذفُ خبره؛ لإغناء جوابِها عنه، قال ابن مالك: [الرجز]

وبَعْدَ لَوْلَا غالِباً حَذْفُ الخَبَرْ   حَتْمٌ ....(٣)

قوله: (بالتوبة) هذا في حقِّ المؤمنين، وقوله: (أو تأخير العذاب) في حقِّ الكافرين.

قوله: (الهالكين) أي: في الدنيا والآخرة.

قوله: (عرفتم) أي: فتَنصب مفعولاً واحداً، والعلمُ والمعرفةُ قيل: مترادفان، ولكن يُقال في الله: عالم لا عارف؛ لأن أسماءَه توقيفيَّة، وقيل: العلم أوسعُ دائرةً من المعرفة؛ لِتعلُّقه

---

(١) فلا ينسب لله عز وجل كما قد يُتوهم، وكذا كلُّ (لعلَّ) في الكلام المسند لله تعالى، وقيل: الكلام فيه استعارة تمثيلية.

(٢) عبارة القاضي في «تفسيره» (١/ ٨٥): (ثم توليتم من بعد ذلك: أعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد أخذه)، ونقل صاحب «الفتوحات» (١/ ٦١) هذا القول من غير نِسبة، وحكاه القرطبي في «تفسيره» (١/ ٤٣٨)، ونقله الرازي في «تفسيره» (٣/ ٥٣٩) عن القفال.

(٣) «الخلاصة» (باب الابتداء).

﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ....

﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ﴾: تَجاوَزُوا الحدَّ ﴿مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بِصَيدِ السَّمَك وقد نَهَيناهُم عَنهُ، وهُم أهلُ أَيْلةَ، ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾: مُبعَدِينَ، فكانُوها، وهَلَكُوا بعد ثَلاثةِ أيَّام.

حاشية الصاوي

بالجزئيَّات والكليَّات، والبسائط والمركبات، بخلاف المعرفة، فلِذلك يُقال في الله: عالمٌ؛ لِعموم ما تعلَّق به عِلمه، لا عارفٌ؛ لأنه يُوهِم القصور، والمعتمَدُ الأول، وقوله: (لام قسم)؛ أي: محذوف، تقديرُهُ: والله لقد عرَفتم.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ﴾) مفعولُ ﴿عَلِمْتُمُ﴾، و﴿ٱعْتَدَوْاْ﴾: صلتُهُ، وأصله: اعْتَدَيُوا، تحركت الياءُ وانفتح ما قبلها قُلبت ألفاً، ثم حُذفت لالتقاء الساكنين.

قوله: (﴿مِنكُمْ﴾) جار ومجرور متعلِّقٌ بمحذوف حال من فاعل ﴿ٱعْتَدَوْاْ﴾.

قوله: (﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾) هو لغةً: القطعُ، وهو أصل وَضعه؛ لأنه ورد: أن الدنيا ابتُدِئت بالأحد وخُتمت بالجمعة، فكان يوم السبت يومَ انقطاع عَمل، خُصَّت اليهود به؛ لِقطعِهم عن رحمة الله، أو مأخوذٌ من: السُّبوت وهو السكون؛ لأن بانقطاع العمل السكونَ.

قوله: (وهم أهل أيلة) حاصِله: أن سبعين ألفاً من قوم داوودَ كانوا بقرية تُسمَّى أَيْلَةَ عند العقبة في أرغَد عيشٍ، فامتحنهم اللهُ بأن حرَّمَ عليهم اصطيادَ السمك يومَ السبت، وأحلَّ لهم باقي الجمعة، فإذا كان يومُ السبت وجدُوا السمك بكثرة على وجه الماء، وفي باقيها لم يجدوا شيئاً، ثمَّ إن إبليسَ علَّمَهم حِيلةً يصطادون بها، فقال لهم: اصنعوا جداولَ حول البحر، فإذا جاء السمكُ ونزلَ في الجداول فسدُّوا عليه وخُذوه في غير يوم السبت، فافترقوا ثلاثَ فرق؛ فاثنا عشرَ ألفاً فعلُوا ذلك واصطادوا وأكلوا، فمُسخوا قردةً، ومكثوا ثلاثةَ أيام لم يأكلوا ولم يَشربوا ثم ماتُوا، وأما ما وُجدَ من القِردة الآن فلم يكونوا من ذُريَّتِهم، بل خَلْقٌ آخر، وقيل: مُسخت شبابُهم قردةً، وشُيوخُهم خنازيرَ، وقيل: الذين مسخوا خنازيرَ أهلُ المائدة، وفرقةٌ نهَوهم وجعلوا بينهم سدًّا، وفرقةٌ أنكروا بقلوبهم ولم يتعرَّضوا لهم، فمن نهى نجا، وكذا مَن لم ينهَ على المعتمَد[١].

قوله: (﴿فَقُلْنَا﴾) المرادُ بالقول: تعلُّقُ الإرادة[٢].

قوله: (مُبعدين) أي: عن رحمةِ الله.

---

(١) سيأتي الحديث عن هذا الخبر في سورة (الأعراف).

(٢) فهو أمر تسخير وتكوين كما عبَّر العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٦٢).

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿٦٦﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: تِلكَ العُقُوبةَ ﴿نَكَالًا﴾: عِبرةً مانِعة مِن ارتِكاب مِثل ما عَمِلُوا ﴿لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: لِلأُمَمِ التي في زَمانِها وبَعدَها، ﴿وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ اللهَ، وخُصُّوا بِالذِّكرِ لِأَنَّهُم المُنتَفِعُونَ بِها بِخِلافِ غَيرِهِم.

﴿٦٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ وقد قُتِلَ لَهُم قَتِيلٌ لا يُدرَى قاتِلُه، وسَأَلُوهُ أن يَدعُوَ اللهَ أن يُبَيِّنَهُ لَهُم فدَعاهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: مَهزُوءاً بِنا حَيثُ تُجِيبُنا بِمِثلِ ذلك، ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾: أمتَنِعُ ﴿بِاللَّهِ﴾ مِن ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المستَهزِئِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿نَكَالًا﴾) هو في الأصل: القيدُ الحديدُ، أُطلقَ وأُريدَ لازمُه، وهو المنع؛ لأن المقيَّدَ ممنوعٌ، فكذا تِلك العقوبةُ مانعة.

قوله: (مثل ما عملوا) المماثلةُ في مُطلق المخالفة.

قوله: (واذكروا) أي: يا بني إسرائيل[١].

قوله: (قتيل) اسمُه عاميل.

قوله: (﴿بَقَرَةً﴾) واحدة البقر، يفرَّق بين مذكَّره ومؤنَّثه بالوصف، تقول: بقَرة أنثى وبقرة ذكر، فالتاءُ للوحدة، وقيل: للتأنيث، فالأنثى بقَرة، والذكر ثور، وسُمِّي البقر بقراً؛ لأنه يَبقر الأرض بحافره؛ أي: يشقُّها، وأوَّلُ القصة قَوله فيما يأتي: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا...﴾ الآية.

قوله: (مهزوءاً بنا) أشار بذلك إلى أنه مصدرٌ بمعنى اسمِ المفعول، ويصحُّ أن يبقى على مصدريَّته مبالغةً، أو على حذف مضاف؛ أي: ذوِي هُزْءٍ، على حدِّ ما قبله في: زيد عَدْلٌ، والهزُؤ: هو الكلامُ الساقط الذي لا معنى له[٢].

قوله: (﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾) أي: المبلِّغين عن الله الكذبَ.

---

(١) في نسخة «الجلالين»: (واذكر) بالإفراد.

(٢) الهزء والهزؤ بسكون الزاي وضمها قرأ بهما السبعة، ورسمت بالمخطوط (أ) بهما كما أثبت.

﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ ....

﴿٦٨﴾ فلمَّا عَلِمُوا أنَّهُ عَزْمٌ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أي: ما سِنُّها؟ ﴿قَالَ﴾ مُوسَى: ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾: مُسِنَّةٌ ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: صَغِيرةٌ، ﴿عَوَانٌۢ﴾: نَصَفٌ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور مِن السِّنِينَ، ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ بِه مِن ذَبحِها.

﴿٦٩﴾ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ

حاشية الصاوي

قوله: (أنه عزم) أي: مَفروضٌ وحقٌّ لا هزلَ فيه.

قوله: (أي: ما سِنُّها) أي: فـ(ما) واقعةٌ على الأوصاف، وقولُهم: إن (ما) يُسأل بها عن الماهية والحقيقةِ أغلبيٌّ[1].

قوله: (﴿لَّا فَارِضٌ﴾) من الفَرض، وهو القطعُ، سُمِّيت بذلك لِقَطعها عمرَها[2].

قوله: (نَصَف) بالتحريك، يُقال للمرأة والبَقرة، قال الشاعر: [البسيط]

وَإِنْ أَتَوْكَ وقالُوا: إِنَّها نَصَفٌ ... قُلْ: إِنَّ أَحْسَنَ نِصْفَيْها الَّذِي ذَهَبا[3]

وكرَّرَ (لا) لِوقوع النعت بعدها، وكذا إذا وقع بعدها الحالُ والخبر.

قوله: (به) هو عائدُ الموصولِ، وقوله: (من ذبحها) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿قَالَ﴾) أي: موسى، وقوله: (﴿إِنَّهُۥ﴾) أي: الله.

قوله: (﴿فَاقِعٌ﴾) صفةٌ لـ﴿صَفْرَآءُ﴾، وهو مبالغةٌ في الصُّفرة، يُقال: أحمرُ قاني[4]، وأسودُ حالكٌ، وأبيضُ ناصعٌ، وأصفرُ فاقعٌ.

---

(١) ويتعين معناها من السياق أو الحال، واستعمالها للسؤال عن الوصف حكاه السكاكي، وانظر «الدر المصون» (١/ ٤١٩).

(٢) يقال: فَرَضت ـ بفتح العين وضمها ـ: طعَنت في السن، فهي هرمة، والبكر شابة.

(٣) للحرمازي كما نسبه أبو هلال العسكري في «ديوان المعاني» (٢/ ٢٤٠) وقبله:

لا تنكحَنَّ عجوزاً إنْ دُعِيتَ لها ... واخلَعْ ثيابَك عنها ممعِناً هرَبا

(٤) كذا في النسخ، والأرجح حذف الياء وإبدالها بتنوين العوض (قانٍ)، وعلى المثبت قرأ ابن كثير: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادي﴾.

لَوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ۝٦٩ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ

لَوْنُهَا﴾: شَدِيدُ الصُّفرة، ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾ إلَيها بِحُسنِها، أي: تُعجِبُهُم.

۝٧٠ ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أسائِمةٌ أم عامِلةٌ؟ ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾ أي: جِنسَه المَنعُوت بِما ذُكِرَ ﴿تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ لِكَثرَتِهِ، فلَم نَهتدِ إلى المقصُودةِ، ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلَيها، وفي الحَديث: «**لَو لم يَستَثنُوا لَما بُيِّنَت لَهُم آخِرَ الأبَدِ**».

۝٧١ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾: غَيرُ مُذَلَّلةٍ بِالعَمَلِ ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: تُقلِّبُها لِلزِّراعةِ، ـ والجُملةُ صِفة ﴿ذَلُولٌ﴾ داخِلةٌ في النَّفي ـ ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾: الأرضَ المُهيَّأةَ لِلزِّراعةِ، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ مِن العُيُوب وآثارِ العملِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (**بحسنها**) أي: لجمال خِلقتها، وحيث شدَّدوا شُدِّدَ عليهم؛ إذ لو أتوا أوَّلاً بأيِّ بقرة لكفت، ثم لو أتَوا بما في السؤال الثاني لكفَت، ثم بما في الثالث لكفَت، ولكن شدَّدوا فشُدِّدَ عليهم(١).

قوله: (**أسائمة**) أي: متروكةٌ في الجبال تَرعى من كلئِها.

قوله: (**أم عاملة**) أي: يعلفُها ربُّها ويشغلُها.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾) تعليلٌ للأسئلة الثلاثة.

قوله: (**لو لم يستثنوا**) أي: بِالمشيئة.

قوله: (**آخر الأبد**) أي: إلى انقِضاء الدنيا.

قوله: (﴿لَّا ذَلُولٌ﴾) من الذِّلة، وهي السهولةُ، بل فيها الصُّعوبةُ.

قوله: (**داخلة في النفي**) أي: فالمعنى: ليست مُذلَّلةً بالعملِ ولا مثيرةً للأرض.

قوله: (**الأرض المهيأة... إلخ**) المناسبُ أن يقول: الحَرث؛ أي: الزرع؛ لأن الحَرْثَ يطلق على الزرع.

---

(١) روى البزار في «مسنده» (٩٥٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «إن بني إسرائيل لو أخذُوا أدنى بقرة لأجزأتهم، أو لأجزأت عَنهم»، كما سيورده السيوطي بعد يسير، وانظر «الدر المنثور» (١/ ١٨٦).

لَا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ ....

﴿لَّا شِيَةَ﴾: لَونَ ﴿فِيهَاۚ﴾ غيرُ لونها، ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾: نَطقتَ بِالبيانِ التَّامِّ، فطَلَبُوها فوَجَدُوها عِند الفَتَى البارِّ بِأُمِّهِ، فاشتَرَوها بِمِلءِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلۡـَٔـٰنَ﴾) ظرفُ زمان للوقت الحاضر.

قوله: (﴿جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾) أي: بصفاتِ البقرة التي لا تخفى ولا تلتبس، فلا تنافيَ بين الآية وقولِ المفسِّر: (فطلبوها).

قوله: (نطقت بالبيان التام) جوابٌ عن سؤالٍ وردَ على الآية، وهو أن ظاهرَ مفهوم الآية يَقتضي أنهم كُفار![1] فأجاب المفسِّر: بأن فيه حذفَ النعت مع بقاءِ المنعوت، وهو جائزٌ؛ لقول ابن مالك: [الرجز]

وَمـا مِـنَ الـمَـنْـعُـوتِ والـنَّـعْـتِ عُـقِـلْ يَـجُـوزُ حَـذْفُـهُ، وفِـي الـنَّـعْـتِ يَـقِـلْ[2]

قوله: (فطلبوها) أي: بحثوا عنها.

قوله: (عند الفتى البارِّ بأمِّه) وحاصِل ذلك: أن أبا الفتى المذكور كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل قد حضَرته الوفاة، وكانت عنده بَقرة قد ولَدت أنثى، فأخذ تلك الأنثى ووَضعها في غيضة، وأوصى أمَّ الغلام أن تُعطيَهُ تلك البقرة حين يَكبر، ومات، ثم إن الولد صار يحتطب ويَبيع الحطب ويقسم ثمنه أثلاثاً؛ يَصرفُ ثلثَه على نفسه، والثلثَ الآخر على أمه، والثلثَ الآخر يَتصدَّقُ به، ويَقسم ليله أثلاثاً؛ ينامُ ثلثَه، ويخدمُ أمه ثلثَه، ويَقومُ لطاعة الله ثلثَه، فلمَّا كَبِرَ الغلامُ قالت له أمُّهُ: اذهب إلى الغيضة الفُلانية؛ فإن فيها بقرةً تركها لك أبوك، وأوصاني إذا كَبِرت أن أُعطيَها لك، وأَقْسِمْ عليها بإبراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب فإنها تأتي لك طائعة، ففعَل كما أمرَته، فجاءت له طائعةً، وقالت له: اركَب على ظهري، فقال لها: إن أُمي لم تأمرني بالركوب، فقالت له: لو رَكبتَ على ظهري ما قَدرتني إلى الأبد، فأخذَها وذهب إلى أمِّه، فقالت له: اذهَب إلى السوق فبِعها بثلاثة دنانير على مَشورتي، فذهب فأتاه ملَك على صورة رجل وقال له: بكَم تبيعها؟ فقال: بثلاثة دنانير على مشورة أمِّي، فقال له: بِعها لي بستة دنانير من غير مَشورة، فقال: لا، ثم ذهب إلى أمِّه

---

(١) فكأنه كان يأتي بالباطل والآن جاء بالحق، وهم لم يكذبوا نَبيهم، فيحمل الحق على التمام في تصوير المطلوب.

(٢) «الخلاصة» (باب النعت).

فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ....

مَسْكِها ذَهَباً، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ لِغَلاءِ ثَمَنِها، وفي الحَدِيث: «**لَو ذَبَحُوا أيَّ بَقَرةٍ كانَت لَأجزَأتهُم، ولَكِن شَدَّدُوا على أنفُسِهم فشَدَّدَ الله عليهِم**».

﴿٧٢﴾ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾ - فِيهِ إدغام التَّاء في الأصلِ في الدَّال، أي: تَخاصَمتُم وتَدافَعتُم - ﴿فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾: مُظهِرٌ ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ مِن أمرِها، وهذا اعتِراضٌ، ......

حاشية الصاوي

وأخبرها بذلك، فقالت له: بِعها بستة على مشورتي، فذهب فأتاه ثانياً وأعطاه اثنا عشر على غير مَشورة، فأبى، فذهب إلى أُمِّه وأخبرها، فقالت له: إن هذا ملَك من عند الله فاذهب إليه وأقرِئه السلام وقُل له: أنَبيع البقرة أم لا؟ فذهب إليه وأخبره بذلك، فقال له: إن بني إسرائيل يُقتل لهم قتيل، ويَتوقَّف بيانُ قاتله على تلك البقرة، فلا تَبِعْها إلا بملْءِ مَسْكِها ذهباً، ففعَل ما أمر به. والفتى: هو الشابُّ السخيُّ، ولا شكَّ أنه كان كذلك[1].

قوله: (مَسْكها) بفتح الميم: الجِلد.

قوله: (﴿فَذَبَحُوهَا﴾) مرتَّبٌ على محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (فطلبوها... إلخ).

قوله: (﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾) أي: ما قاربوا الفعلَ.

قوله: (**لغلاء ثمنها**) أي: أو للتعنُّتِ في أوصافها.

قوله: (**فيه إدغام التاء في الأصل... إلخ**) أي: أصله: تَدارأ، ثم قُلبت التاء دالاً وأُدغمت فيها، وأُتيَ بهمزة الوصل توصُّلاً للنطق بالساكِن[2].

قوله: (**أي: تخاصمتم**) أي: اتَّهمَ بعضُكم بعضاً.

قوله: (**وهذا اعتراض**) أي: جملةٌ معترضة بين المعطوفِ وهو ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ... إلخ﴾ والمعطوفِ عليه وهو ﴿فَذَبَحُوهَا﴾.

---

(١) الخبر بطوله في «تفسير الخازن» (١/ ٥٢)، وروي أنه كان بارًّا بأبيه عند ابن أبي الدنيا في «مَن عاش بعد الموت» (٥٥).

(٢) ويكون وزن (ادَّارأتم) الصرفي هو تَفاعلتم؛ اعتباراً بالأصل.

فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ....

وهو أوَّلُ القِصَّة.

﴿٧٣﴾ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ أي: القَتِيلَ ﴿بِبَعْضِهَا﴾، فضُرِبَ بِلِسانِها أو عَجْبِ ذَنَبِها فحَيِيَ، وقالَ: (قَتَلَنِي فُلانٌ وفُلان) لِابنَي عَمِّه، وماتَ، فحُرِما المِيراثَ وقُتِلَا، قال تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياءِ ﴿يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: دَلائِلَ قُدرَتِه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تَتَدَبَّرُونَ، فتَعلَمُونَ أنَّ القادِرَ على إحياءِ نَفْسٍ واحِدةٍ قادِرٌ على إحياء نُفُوس كَثِيرةٍ، فتُؤمِنُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: (**وهو أول القصة**[1]) وإنما أخَّرَه لِيوصِّلَ قبائحَ بني إسرائيل بعضَها ببعض.

قوله: (**﴿فَقُلْنَا﴾**) معطوف على ﴿فَذَبَحُوهَا﴾، والقائلُ اللهُ على لِسان موسى.

قوله: (**بلسانها**) أي: لأنه محَلُّ الكلام.

قوله: (**أو عَجْبِ ذنبها**) إشارة لِتنويع الخلاف، والحكمةُ في ذلك: لأنه محَلُّ حياةِ ابن آدم، وقيل: ضرَبوه بفخذها اليمنى، وقيل: بقطعة لحمٍ منها.

قوله: (**فحيي**) ورَد: «أنه قام وأوداجُهُ تَشخَبُ دماً»[2].

قوله: (**ومات**) أي: سريعاً بلا مُهلة.

قوله: (**فحُرما الميراث**) أي: لأن القاتلَ لا يرثُ من تركةِ المقتول شيئاً حتى في شَرع موسى، وسببُ قتله إيَّاه: أن المقتولَ كان غنيًّا والقاتلَ كان فقيراً، فلمَّا طال عمرُ المقتول قتلَهُ لِيرثه، وقيل غيرُ ذلك.

قوله: (**﴿كَذَٰلِكَ﴾**) هذه الجملةُ مُعترضةٌ بين قصص بني إسرائيل ردًّا على مُنكري البعث؛ فإن بني إسرائيل لم يكونوا منكرين له، فالخطابُ لِمشركي العرب المنكرين للبعث.

---

(١) في «الفتوحات» (١/٦٦): (لكن في صنيعه تساهل؛ لأن هذا الضمير أي: قوله: «وهو أول القصة» لم يتقدَّمْ له مرجع في كلامه)، والحاصل: أن أول القصة هو قتل بعضهم لابن عَم رجاء إرثه، وقصة ذبح البقرة وقعت بعد ذلك، وهو ما مشى عليه صاحب «الكشاف» ومَدرسته، ويرى العلامة ابن عاشور ترتيب الأخبار كما وردت، إذ ظَهرت حكمةُ ذبح البقرة ـ بعد ادعائهم الهزء ـ بوقوع قتل فيهم بعد ذبحها بإحياء المقتول بِبعضها. انظر «التحرير والتنوير» (١/٥٤٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧٥٠).

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ....

(٧٤) ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ أيُّها اليَهُودُ: صَلُبَتْ عَن قَبُول الحَقِّ ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور مِن إحياءِ القَتِيل وما قَبلَه مِن الآياتِ، ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في القَسوةِ، ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ مِنها، ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ ـ فِيهِ إدغام التَّاء في الأصلِ في الشِّين ـ ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: يَنزِلُ مِن عُلوٍ إلى أسفَل ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وقُلُوبكُم لا تَتأثَّر ولا تَلِينُ ولا تَخشَعُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾) نزَّلَ استبعادَ قَسوة قلوبهم لظهور الخَوارق للعادات العظيمة منزلةَ التراخي، فأتى بـ(ثم) وأكَّدَهُ بالظرف بعدَه[١].

قوله: (أيها اليهود) دَفع بذلك ما يُقال: إنه خِطابٌ لغير بني إسرائيل كالذي قبلَهُ.

قوله: (صَلُبت عن قبول الحق) أشار بذلك إلى أن في ﴿قَسَتْ﴾ استعارةً تصريحيةً تبَعية؛ حيث شبَّهَ عدم الإذعان بالقَسوة بجامع عَدم قبول التأثير في كلٍّ، واستُعيرَ اسمُ المشبَّهِ به للمشبَّه، واشتُقَّ من القَساوة (قسَتْ) بمعنى: لم تُذعنْ فلم تَقبل المواعظ ولم تؤثِّرْ فيها.

قوله: (﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾) لم يُشبِهْهُم بالحديدِ لوجود اللين فيه في الجملة.

قوله: (﴿أَوْ أَشَدُّ﴾) هذا ترقٍّ في ذِكر قسوتهم، فـ(أو) بمعنى: بل.

قوله: (فيه إدغام التاء... إلخ) أي: فأصلُهُ: يَتشقَّقُ، أُبدلت التاءُ شيناً، ثم أُدغمت فيها.

قوله: (﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾) أي: أنهاراً[٢] أو غيرَها كالعيون، فهو من عَطف العامِّ على الخاصِّ.

قوله: (ينزل من عُلْو إلى سُفْل) أي: كجبَل الطور، وورَدَ: «ما من حَجرٍ يَسقطُ من عُلْوٍ إلى سُفْلٍ إلا من خَشية الله»[٣].

قوله: (﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾) أخذَ أهلُ السنة من ذلك ومِن قَوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾

---

(١) كما قال العلامة الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٢/ ١٨٥): (قوله: «من بعد ذلك» مؤكد للاستبعاد أشد تأكيد).

(٢) كذا في النسخ: (أنهاراً) بالنصب، وقوله قبل يسير: (ترقٍّ) وقع في (أ): (ترقي) على لغةٍ سبقت الإشارة إليها.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٢٤١) عن مجاهد وابن جريج بنحوه.

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٌ ....

﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾، وإنَّما يُؤَخِّركُم لِوَقتِكُم. ـ وفي قِراءة بِالتَّحتانِيَّة، وفِيه التِفاتٌ عن الخِطاب ـ.

﴿٧٥﴾ ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ﴾ أيُّها المؤمنُونَ ﴿أَن يُؤۡمِنُواْ﴾ أي: اليَهُودُ ﴿لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٌ﴾: طائِفةٌ

حاشية الصاوي

[الإسراء: ٤٤]، ومِن قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾ [النور: ٤١] الآية: أن كلَّ شيء يعرفُ اللهَ ويسبِّحُه ويَخشاه إلا الكافرَ من الإنس والجنِّ.

قوله: (﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ﴾) (ما): نافية، ولفظُ الجلالة: اسمُها، و﴿بِغَٰفِلٍ﴾: خبرُها، وقوله: (﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾) يحتمل أن (ما) اسمٌ موصول، و﴿تَعۡمَلُونَ﴾: صِلتُه، والعائدُ محذوف؛ أي: عن الذي تعمَلونه، ويحتملُ أنها مصدرية تسبكُ مع ما بعدَها بمصدر؛ أي: عن عَملِكم.

قوله: (﴿أَفَتَطۡمَعُونَ﴾) سيأتي للمُفسِّر أن الهمزة للإنكار، فيحتمل أنها مقدَّمة من تأخير، والأصلُ: فأتطعمون، قُدِّمت لأن لها الصَّدارة، وهو مذهبُ الجمهور، وقال الزمخشري: إن الهمزة داخلةٌ على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، التقديرُ: أتسمعون كلامَهم وتَعرفون أحوالَهم فتَطمعون... إلخ؛ أي: لا يكون مِنكم ذلك[1].

واعلم: أن الهمزة لا تدخلُ إلا على ثلاثةٍ من حروف العطف: الواو، والفاء، وثمَّ.

قوله: (﴿أَن يُؤۡمِنُواْ﴾) أي: يُستبعَدُ ذلك منهم؛ لافتراقِهم أربعَ فرق، في كلِّ فرقة صفةٌ مانعة له من الإيمان: الأول: كونُهم يحرِّفون كلامَ الله، الثاني: النفاقُ، الثالث: التوبيخُ من غير المنافِق للمنافق على ملاطَفة المسلمين، الرابع: كونُهم أُمِّيِّينَ لا يَعلمون الكتاب إلا أمانيَّ، فهذه يُستبعَدُ معها الإيمانُ؛ لرسوخ الكفر في قُلوبهم[2].

قوله: (﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٌ﴾) الجملةُ حالية، و(قد) قرَّبَت الماضي من الحال، والمرادُ مِنْ (كان) النسبةُ؛ لأن هذا الكلامَ فيمن كان موجوداً زمنَ النبي، لا فيمَن كان قبلَهم.

---

(١) تقدَّم مثله عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (١/ ١٤٢).

(٢) «الفتوحات» (١/ ٦٧)، وعبارة المصنف رحمه الله هنا بيانٌ لما عنده، والآية هنا بيان لِلفرقة الأولى، وسيأتي الحديث عن كلِّ فرقة.

مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ....

﴿مِّنْهُمْ﴾: أحبارُهُم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ في التَّوراةِ ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: يُغَيِّرُونَهُ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فَهِمُوهُ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُم مُفتَرُونَ؟ والهَمزة لِلإنكارِ، أي: لا تَطمَعُوا فلَهُم سابِقَةٌ في الكُفرِ.

حاشية الصاوي

قوله: (أحبارهم) عُلماؤهم، جمعُ حِبْر بالكسر، ويُقال بالفتح، وجمعه حُبُور؛ كفَلْس وفُلُوس[1].

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾) أي: من بعد نقلِهم إيَّاه وتحريفهم في الكلام؛ كأوصاف النبيِّ من كونه أكحلَ العينين جَعْدَ الشَّعَرِ، فغيَّروه إلى أزرق العينين سَبْط الشَّعَر، وآيةُ الرجم غيَّروها إلى الجلْدِ، وغير ذلك[2].

قوله: (﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) الجملة حاليةٌ من فاعل ﴿يُحَرِّفُونَ﴾.

قوله: (أنهم مُفترون) أشار بذلك إلى أن مفعولَ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ محذوفٌ، والافتراءُ هو: الكذبُ الذي لا شكَّ فيه.

قوله: (للإنكار) أي: الاستِبعادي.

قوله: (أي: لا تَطمعوا) عبَّرَ بالطمع دون الرجاء؛ إشارةً إلى فَقْدِ أسباب الإيمان منهم وعدمِ قابليَّتهم له.

قوله: (فلهم سابقة في الكفر) أي: كفرٌ سابق قبلَ دعوة النبي ﷺ إيَّاهم للإيمان[3]، وهذه الجملةُ علَّةٌ لقوله: (لا تطمعوا).

---

(١) لأن وزن فَعْل بفتح فسكون والعين صحيحة يجمعُ على فُعُول، وشذَّ حَمْل أحمال وفَرْخ أفراخ، وحُبُور جمعٌ لحبر بفتح العين وكسرها.

(٢) «السراج المنير» (١/ ٧٣).

(٣) وهو كفرهم بتحريف التوراة في وصفه الشريف وغيره، وقوله: (الاستبعادي) أي: على حدِّ قوله: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾؛ فاستبعد إيمانهم لفقد أسبابِه كما ذكر، وللإتيان بمعارضه من كُفر سابق، كذا في «الكوكبين النيرين» مخطوط، وعنه في «الفتوحات» (١/ ٦٧).

وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ ....

﴿٧٦﴾ ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي: مُنافِقُو اليهودِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا﴾ بأنَّ مُحمداً ﷺ نَبيٌّ، وهو المُبَشَّرُ بِه في كِتابِنا، ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رَجَعَ ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا﴾ أي: رُؤَساؤُهم الَّذِينَ لم يُنافِقُوا لِمَن نافَقَ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي: المُؤمِنِينَ ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عَرَّفَكُم في التَّوراة مِن نَعت مُحمَّدٍ ﷺ؛ ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾: لِيُخاصِمُوكم ـ واللَّامُ لِلصَّيرُورةِ ـ ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخِرةِ، ويُقِيمُوا عَلَيكُم الحُجَّة في تَركِ اتِّباعه مع عِلمِكُم بِصِدقِه؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنَّهُم يُحاجُّونكُم إذَا حَدَّثتُمُوهم فتَنتَهُوا؟

﴿٧٧﴾ قال تَعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ ـ الاستِفهامُ لِلتَّقرِيرِ، والواوُ الدَّاخِلُ عليها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذَا لَقُوا﴾) شروعٌ في ذكر الفرقة الثانية، وهم المنافِقون، ورئيسُهم عبدُ الله ابنُ سَلُول.

قوله: (﴿وَإِذَا خَلَا﴾) شروعٌ في الفرقة الثالثة، وهم الموبِّخون لِلمنافقين.

قوله: (﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾) (ما): اسمٌ موصول، وجملة ﴿فَتَحَ﴾ صلتُه، والعائدُ محذوفٌ، التقديرُ: بالذي فتَح الله عليكم به، و(ما): واقعةٌ على أوصاف محمد ﷺ.

قوله: (من نعت محمد) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (واللام لِلصيرورة) أي: عاقبةُ أمرهم أنهم يحاجُّونكم عند ربِّكم، والفعلُ منصوب بـ(أنْ) مضمَرة بعدَها.

قوله: (في الآخرة) إشارة إلى معنى العِندية، وهو متعلِّقٌ بـ(يحاجُّوكم).

قوله: (أنهم يحاجونكم) أشارَ بذلك إلى مفعولِ ﴿تَعْقِلُونَ﴾، وأنه من كلام الرؤساءِ الذين لم ينافقُوا.

قوله: (الاستفهام للتقرير) أي: على سَبيل التوبيخ؛ حيث اعتقدوا أن المنافقَ يُؤاخذُ، والكافرَ الأصليَّ لا حجَّةَ عليه وله عذرٌ قائم عند ربِّه، وهذه الجملةُ حاليَّةٌ.

قوله: (الداخلُ) نعتٌ سببيٌّ للواو، فكان عليه أن يظهرَ فاعلَهُ ويقولَ: والواوُ الداخلُ الاستفهامُ عليها للعطف؛ لِوجود اللبس.

أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ ....

لِلعَطفِ - ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾: ما يُخفُونَ وما يُظهِرُونَ مِن ذلك وغَيرِه، فيَرعَوُوا عن ذلكَ؟

﴿٧٨﴾ ﴿وَمِنۡهُمۡ﴾ أي: اليَهُودِ ﴿أُمِّيُّونَ﴾: عَوامٌّ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿إِلَّآ﴾: لَكِنْ ﴿أَمَانِيَّ﴾: أكاذِيبَ تَلَقَّوها مِن رُؤَسائِهِم فاعتَمَدُوها، ﴿وَإِنۡ﴾: ما ﴿هُمۡ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (للعطف) أي: على محذوفٍ، تقديرُهُ: أيَلومونهم ولا يعلمون؟! وتقدَّم أن هذا مذهبُ الزمخشري[1].

قوله: (﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾) هذه الجملةُ سدَّتْ مَسدَّ مفعولي ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ إن كانت على بابها، أو مفعولِها إن كانت بمعنى (يعرفون).

قوله: (فيرعووا) أي: فينكفُّوا ويَنزجروا، وهو مرتَّبٌ على قوله: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ﴾، كما أن قوله: (فتنتهوا) مرتَّبٌ على قوله: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾.

قوله: (﴿وَمِنۡهُمۡ﴾) شروعٌ في ذِكر الفرقة الرابعة.

قوله: (﴿أُمِّيُّونَ﴾) أي: مَنسوبون للأم؛ لعدم انتقالِهم عن حقيقتهم الأصليةِ التي وَلدتهم عليها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]، والأمِّيُّ هو: مَنْ لا يقرأُ ولا يكتبُ.

قوله: (﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾) أشار بذلك إلى أن الاستثناءَ منقطعٌ، والأمانيُّ: جمع أُمْنِيَّةٍ[2]، وهو ما يتمنَّاهُ الشخص، ويُطلقُ على القراءة، وعلى الأكاذيب، وهو المرادُ هنا.

قوله: (فاعتمدوها) أي: ثبتُوا عليها ورسخَتْ في قلوبِهم.

قوله: (ما ﴿هُمۡ﴾) أشار بذلك إلى أن (إنْ) نافيةٌ بمعنى (ما)، والغالبُ وقوعُها بعد (إلا)

---

(١) قبل يسير.

(٢) بتشديد الياء في المفرد والجمع، وبتخفيفها في الجمع وبه قُرِئ، ونقل في «الفتوحات» (١/ ٦٩) التخفيف في المفرد أيضاً.

إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ....

في جَحدِ نُبُوَّة النَّبيِّ وغَيره مِمَّا يَختَلِقُونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظَنًّا ولا عِلمَ لَهُم.

﴿٧٩﴾ ﴿فَوَيْلٌ﴾: شِدَّةُ عَذاب ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: مُختَلَقاً مِن عِندِهم، ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن الدُّنيا وهُم اليَهُود، غَيَّرُوا صِفةَ النَّبيِّ ﷺ في التَّوراة وآيَةَ الرَّجم ....

حاشية الصاوي

التي بمعنى (لكن)، وهل تَعمل عملَ الحجازيةِ فتنصبُ الاسمَ وترفعُ الخبر، أو لا عملَ لها فما بعدَها مبتدأٌ وخبر؟ خلافٌ بين الجمهور وسيبويهِ، فاختار سيبويهِ الأوَّلَ مستدلًّا بقول الشاعر: [المنسرح]

إنْ هُوَ مُسْتَوْلِياً عَلَى أَحَدٍ ... إلَّا عَلَى أَضْعَفِ المَجَانِينِ(١)

واختارَ الجمهورُ الثاني.

قوله: (ولا علم لهم) أي: ليس عندهم جزمٌ مطابقٌ للواقع، وإنما أُخِّرَ الأمِّيُّون لأنهم أقربُ للإيمان، بخلاف مَنْ قبلَهم؛ فإنهم ضلُّوا وأضلُّوا، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قوله: (﴿فَوَيْلٌ﴾) شروعٌ في ذكر ما يَستحقُّونَه.

قوله: (شدة عذاب) وقيل: وادٍ في جهنم لو سُيِّرَتْ فيه جبالُ الدنيا لانماعَتْ من حرِّه.

قوله: (﴿الْكِتَٰبَ﴾) أي: المكتوبَ.

قوله: (﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾) دفعَ بذلك ما يُتوهَّمُ أن المرادَ أملَوهُ لغيرهم.

قوله: (﴿لِيَشْتَرُوا﴾) علةٌ لقوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾.

قوله: (غيَّروا صفةَ النبي) أي: من كونه رَبْعَةً، جَعْدَ الشَّعَر، أكحلَ العينين، فغيَّروها وقالوا: طويلٌ، سَبْطُ الشَّعَر، أزرقُ العينين.

قوله: (وآيَةَ الرجم) أي: فغيَّروها إلى الجَلْد.

---

(١) لا يُعلم قائله على كثرة دَورانه في كتب النحو، انظر «خزانة الأدب» (٤/ ١٦٦)، و«شرح ابن عقيل» (الشاهد ٨١).

فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا ....

وغَيرَهُما، وكَتَبُوها على خِلاف ما أُنزِلَ، ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن المُختَلَق، ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ مِن الرِّشا.

﴿٨٠﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا وَعَدَهم النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾: تُصِيبَنا ﴿النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: قَلِيلةً، أربَعِينَ مُدَّةَ عِبادة آبائِهم العِجلَ، ثُمَّ تَزُولُ، ﴿قُلْ﴾ لَهُم يا مُحمَّدُ: ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ - حُذِفَت منه هَمزةُ الوَصل استِغناءً بِهَمزةِ الاستِفهام - ﴿عِندَ اللَّهِ عَهْدًا﴾: مِيثاقاً مِنه بِذلكَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وغيرَهما) أي: كقولهم: لنْ تمسَّنا النار إلا أياماً معدوداتٍ، وكدَعواهم أنَّهم من أهل الجنة.

قوله: (من الرِّشا) بكسر الراء وضمِّها، جمع رشوة بتثليث الراء، وهو من باب: تقديمِ السبب على المسبَّب[1]؛ لأن أخذَ الرشوة سببٌ للتبديل.

وقوله: (﴿مِّمَّا كَتَبَتْ﴾) يحتمل أن (ما) اسمٌ موصول، و﴿كَتَبَتْ﴾: صلتُها، والعائدُ محذوف. أي: كَتَبَتْهُ، ويحتمل أن (ما) مصدرية، التقدير: من كَتْبِهم، وكذا قوله: ﴿مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[2].

قوله: (أربعين يوماً) وقيل: سبعة أيام، وقوله: (قليلة) تفسير باللازم لـ(معدودة)؛ لأن معنى المعدودة التي يَسهل عدُّها، وشأنُ القليلة سهولةُ عدِّها.

قوله: (استغناءً بهمزة الاستفهام) أي: لأنه يحصلُ بها التوصُّلُ للنطق بالساكن مع إفادة المراد من الاستفهام، وفي ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ قراءتان سبعيَّتان؛ الأُولى بالفكِّ، والثانيةُ بالإدغام، وطريقتُهُ: أن تقلب الذالَ دالاً ثم تاءً وتدغمَها في التاء، وهذا الاستفهامُ يحتملُ أن يكونَ تقريريًّا، فتكون الجملة إنشائيةً، و(أمْ) متصلةً مُعادلة للهمزة التي لطلب التعيين، التقدير: أتخذتم عند الله عهداً أم لم تَتخذوا، ويحتملُ أن يكونَ إنكاريًّا بمعنى النفي، فتكون الجملة خبريةً و(أمْ) مُنقطعةً بمعنى (بلْ)،

---

(١) فالكَتْب سبب، والكسب مسبَّب، فجاء النظم على هذا الترتيب. «الفتوحات» (١/ ٧٠).

(٢) لكن المصدرية أرجح لفظاً ومعنًى كما لا يخفى، قاله الشيخ سعد الدين التفتازاني. «الفتوحات» (١/ ٧٠).

فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ ....

﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ به؟ لا ﴿أَمْ﴾: بَل ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿٨١﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ تَمَسُّكُم وتَخلُدُونَ فِيها، ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: شِركاً ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ ....

حاشية الصاوي

التقدير: لم تَتخذوا عند الله عهداً بل تقولون على الله ما لا تعلمون، وهذا هو الأقربُ، ولِذا اختاره المفسِّر.

قوله: (﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾) هذه الجملةُ في محلِّ جزم جواب الاستفهام، وقيل: إنها جواب شَرط مقدَّرٍ، تقديره: إن اتخذتم فلن يُخلف الله عهده، وقُرنَ بالفاء لوجود (لن) في حيِّزه.

قوله: (بل ﴿تَقُولُونَ﴾) أشار بذلك إلى أنها مُنقطعة، والإضراب انتِقالي[1].

قوله: (﴿بَلَىٰ﴾) هو حرفُ جواب للنفي، لكنَّه يصيرُ إثباتاً، وأما نعَمْ وجَيْرِ وأجَلْ وإيْ[2] فلتقرير ما قبلها إثباتاً أو نفياً.

قوله: (تمسُّكم) ردٌّ لقولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾، وقوله: (وتخلدون فيها) ردٌّ لقولهم: ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾.

قوله: (﴿مَن كَسَبَ﴾) يحتمل أن تكون ﴿مَن﴾ شَرطيةً، وكَسَبَ: فعْلَ الشرط، وجوابُهُ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾، وأن تكون موصولةً، و﴿كَسَبَ﴾: صلتها، وقُرِنَ خبرُها بالفاء لِما في الموصول من معنى العموم، ولم يُقرَنْ خبرُ التي بعدها بالفاء؛ إشارةً إلى أن خلودَ النار مسبَّبٌ عن الكفر، بخلاف خُلود الجنة، فلا يتسبَّبُ عن الإيمان، بل بِمحض فَضْلِ الله، كذا قاله بعضُ الأشياخ[3].

قوله: (﴿سَيِّئَةً﴾) أصلها: سَيْوِئَة، اجتمعت الواوُ والياء وسَبقت إحداهما بالسكون، قُلبت الواو ياءً وأُدغمت في الياء، على حدِّ ما قيل في: سَيِّد ومَيِّت.

(١) أي: من غرض إلى آخر دُون إبطال ما قبل (بل)، وقسيمه الإضراب الإبطالي الذي تُبطل فيه (بل) حكمَ ما قبلها.

(٢) جير بالبناء على الكسر كأمسِ، وعلى الفتح كأينَ للتخفيف، ومثل هذه الحروف في الجواب جلَلْ وبجَلْ وإنَّ، ويقع بعد إيِ قسم.

(٣) هو الشيخ عطية الأجهوري شيخ العلامة الجمَل كما نقل عنه في «فتوحاته» (١/ ٧٠).

فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ

- بالإفرادِ والجَمع - أي: استولَت عليه وأَحدَقَت به مِن كُلِّ جانِبٍ بِأن ماتَ مُشرِكاً، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ - رُوعِيَ فيه مَعنى ﴿مَن﴾ -.

﴿٨٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿٨٣﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في التَّوراةِ وقُلنا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياء - ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (بالإفراد) أي: باعتبار ذاتِ الشرك، وقوله: (والجمع) أي: بِاعتبار أنواعه.

قوله: (وأحدقت به من كلِّ جانب) أي: فلم يَجِدْ ملجأً للجنة لِكفره.

قوله: (﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) أي: وأما مَنْ آمنَ ولم يعمَلْ صالحاً غيرَ الإيمان فمخلَّدٌ في الجنة أيضاً، وتحت المشيئة في الابتداء، وقد جرَت عادةُ الله في كتابه أنه إذا ذكر آيةَ الكفَّار وعاقبةَ أمرهم يُتبعُها بذكر آيةِ المؤمنين وعاقبةِ أمرِهم.

قوله: (﴿و﴾ اذكر) أي: يا محمد، والمناسبُ للسياق: اذكروا، ويكون خطاباً لبني إسرائيل الفروعِ تذكيراً لهم بقبائح أصولِهم.

قوله: (وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾) قدَّرَ ذلك إشارةً إلى أن جملة ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ في محل نصب مقولٍ لقولٍ محذوف، وذلك القولُ في محل نصب على الحال من فاعل ﴿أَخَذْنَا﴾، التقدير: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل حال كوننا قائلين: لا تعبدون. . . إلخ، ويحتمل أن جملةَ ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ مُفسرةٌ للميثاق لا محلَّ لها من الإعراب، ولا حذفَ، وهو الأقرَبُ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، ولا التفاتَ في ذلك على ما قرَّره المفسِّر من تقدير القول، وعلى الاحتمال الثاني[2] ففيه التفاتٌ على قراءة التاء من الغيبة إلى الخطاب؛ فإن الاسمَ الظاهرَ من قَبيل الغيبة.

---

(١) قرأ بالمثناة التحتية (يعبدون) ابن كثير وحمزة والكسائي، وباقي السبعة بالتاء. انظر «البحر المحيط» (١/ ٤٥٠).

(٢) وهو تقدير القول الذي صاغه المفسِّر بـ(وقلنا)، وهو قول أبي البقاء كما أشار لذلك العلامة السمين في «الدر المصون» (١/ ٤٥٨).

وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ....

ـ خَبرٌ بِمعنَى النَّهي، وقُرِئَ: (لا تَعبُدوا) ـ ﴿وَ﴾ أحسِنُوا ﴿ بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: بِرًّا، ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَرابة، ـ عَطفٌ على (الوالِدَينِ) ـ ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ﴾ قَولاً ﴿حَسَنًا﴾ مِن الأمرِ بِالمَعرُوفِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (خبر بمعنى النهي) أي: فهي جملةٌ خبريةٌ لفظاً لعدم جزم الفعل، إنشائيةٌ معنًى لأن المقصد النهيُ عن عبادة غيرِ الله، لا الإخبارُ عنهم بأنهم لا يَعبدون غيرَ الله، والحكمةُ في التعبير عن الإنشاء بالخبر: استبعادُ ذلك منهم وتَقوية للإنشاء؛ كأنه قيل: لا ينبغي أن تعبُدوا غيرَ الله حتى ننهاكم عنه، بل أخبر عنهم بأنهم لا يَعبدون إلا الله، كأنه لم يقَعْ منهم عبادةٌ لغيره أبداً.

قوله: (وقُرِئَ) أي: قراءة شاذة[1]؛ لأن قاعدة المفسِّر يُشير للشاذةِ بـ(قُرِئ)، وللسبعيةِ بـ(في قراءة) غالباً.

قوله: (وأحسنوا) قدَّرَ ذلك؛ إشارةً إلى أنه من عَطف الجمل على جملة ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾، وأتى بحقِّ الوالدين عقب حقِّ الله؛ إشارةً إلى أنه آكَدُ الحقوق بعد عبادة الله، قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]؛ فإنهما السبب في وُجود الشخص، ويجب بِرُّهما ولو كافرين، **وبالجملة**: فلم يُشدِّد اللهُ على أمر كتشديده على بِرِّهما.

قوله: (عطف على «الوالدين») أي: من عطف المفردات، و(أحسنوا): مسلَّطٌ عليه، التقدير: وأحسِنوا بذي القربى؛ لأن حقَّ القرابة تابعٌ لحقِّ الوالدين، والإحسان إليهم إنما هو بِواسطتهما.

قوله: (﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾) جمع يَتيم، وهو من الآدميين: مَنْ فقدَ أباه، ومِن غيرهم: مَنْ فقدَ أُمَّه[2].

قوله: (﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾) المراد: ما يَشملُ الفقراءَ؛ فإن الفقير والمسكين متى اجتمعا افترقا، ومتى افترقا اجتمعا.

قوله: (﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ﴾) أي: عموماً، ومنه الحديث: «**وخالِق الناسَ بِخُلق حسَن**»[3].

قوله: (قولاً ﴿حَسَنًا﴾) أشار بذلك إلى أن (حَسَناً) بفتحتين صفةٌ مشبَّهةٌ لموصوف محذوف.

---

(١) وهي قراءة أُبي وعبد الله ﷺ. انظر «الدر المصون» (١/ ٤٦١).

(٢) ومن فقد أمَّه من الآدميِّين فهو العَجِيُّ، ومن فقدهما معاً فهو اللَّطِيم، وهذا في العُرف اللغوي.

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعاً.

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

والنَّهيِ عن المُنكَرِ والصِّدقِ في شَأنِ مُحمَّد والرِّفق بِهِم، ـ وفي قِراءة بِضَمِّ الحاء وسُكُونِ السِّين مَصدَر وُصِفَ بِه مُبالَغةً ـ، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فقَبِلتُم ذلك، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أَعرَضتُم عنِ الوَفاء به ـ فِيه التِفاتٌ عن الغَيبَةِ والمُراد آباؤُهم ـ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ عَنه كآبائِكُم.

حاشية الصاوي

قوله: (والنهي عن المنكر) أي: على حسَب مراتبه؛ من النهي باليد، ثم اللسان، ثم القلب.

قوله: (والرفق بهم) أي: بالناس؛ بأن يوقِّرَ كبيرَهم ويَرحمَ صغيرَهم.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعيَّة[1].

قوله: (مصدر) أي: على غير قياس إن كان فِعلُهُ أَحْسَن، وهو المتبادر، وقياسي إن كان فعلُهُ حَسُنَ كظرُفَ وكرُمَ.

قوله: (وُصِف به مبالغةً) أي: أو على حذف مضاف، على حدِّ ما قيل في: (زيدٌ عَدْلٌ).

قوله: (﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) أي: المفروضاتِ[2] عليهم في ملَّتِهم، وما نزلَ بقارونَ من الخَسْفِ به وبداره سببُهُ مَنْعُ الزكاة.

قوله: (فقبلتم ذلك) قدَّرَ ذلك لأجل العطف بـ(ثم) عليه.

قوله: (فيه التفاتٌ) وحكمتُهُ: الاستِلذاذُ للسامع وعدمُ الملَل منه؛ فإنَّ الالتفاتَ من المحسِّناتِ للكلام.

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾) أي: من أجدادِكم، وهو من أقامَ اليهوديَّةَ على وجهها قبل النسخ؛ أي: ومنكم أيضاً، وهو مَنْ آمن مِنهم كعبد الله بن سَلام وأضرابه.

قوله: (﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾) خطابٌ لِلفروع، ويلاحظُ قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هنا كما عَلمتَ، فتغاير معنى الجملتين، فلا تكرارَ.

---

(١) وهي قراءة الجمهور، وبفتحتين (حَسَناً) قراءة حمزة والكسائي ويعقوب. انظر «البحر المحيط» (١/ ٤٥٣).

(٢) في (أ): (المفروضان) بالتثنية والتذكير.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ ....

﴿٨٤﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وقُلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: تُريقُونَها بِقَتلِ بَعضكُم بَعضاً، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾: لا يُخرِج بَعضكُم بَعضاً مِن دارِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾) المقدَّر: اذكروا، فهو خطابٌ لبني إسرائيل، وهو معطوف على الجملة الأولى المتعلِّقة بحقوق الله، وهذه الجملةُ متعلِّقةٌ بحقوق العباد، فخانوا كلًّا من العهدَين، وهي متضمِّنة لأربعة عُهود:

الأول: لا يسفكُ بعضُهم دماءَ بعضٍ.

الثاني: لا يُخرجُ بعضُهم بعضاً من دِيارهم.

الثالث: لا يتظاهرُ بعضُهم على بعض بالإثمِ والعدوان.

الرابع: إن وجدَ بعضُهم بعضاً أسيراً فداهُ ولو بِجميع ما يملك.

قوله: (﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾) أي: ميثاقَ آبائكم في التوراة؛ فإن هذا خطابٌ لقريظةَ وبني النّضير الكائنين في زمن رسول الله ﷺ.

قوله: (وقلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾) قدَّرَ القول؛ إشارةً إلى أن الجملة في محلِّ نصب مقولٍ لقولٍ محذوف، والجملةُ حاليةٌ من فاعل ﴿أَخَذْنَا﴾، التقديرُ: أخذنا ميثاقَكم حالَ كونِنا قائلين، ويحتمل أن الجملةَ لا محلَّ لها من الإعراب تَفسيرٌ للميثاق، وتقدَّم ذلك في نَظيره[1].

قوله: (﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾) مضارعُ سفَكَ من باب: ضرَبَ وقتَلَ؛ أراقَ الدمَ والدمع.

قوله: (يقتل بعضكم بعضاً) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق الملزُوم وإرادة اللازم[2]؛ لأنه يلزم من القتل إراقةُ الدم غالباً، والإضافةُ في ﴿دِمَآءَكُمْ﴾ لأدنى مُلابسة؛ فإن دمَ الأخ كدم النفس، أو باعتبار أن من قتَل يُقتل؛ أي: فلا تسبَّبوا في قَتْلِ أنفسكم بقتلِكم غيرَكم، وهنا حذفٌ يُعلَم ممَّا يأتي؛ أي: ظلماً عدواناً.

قوله: (﴿مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾) أصلُهُ: دِوار، وَقعت الواوُ إثْرَ كسرة قُلبت ياءً، وأسندَ الإخراج لأنفسهم مع أنهم يُخرجون غيرَهم؛ لأن المكرَ السيِّئَ لا يَحيقُ إلا بأهله.

---

(١) تقدم نحوه (١/ ١٨٣).

(٢) ويقال: من إطلاق السبب على المسبب، فالسبب مَلزوم والمسبب لازم.

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝٨٤ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾ ....

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: قَبِلتُم ذلك المِيثاقَ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفُسِكُم.

۝٨٥ ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بِقَتلِ بَعضِكُم بَعضاً، ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ﴾ - فِيهِ إدغامُ التَّاء في الأصل في الظَّاء، وفي قِراءة بِالتَّخفِيفِ على حَذفها -: تَتعاوَنُونَ ﴿عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ﴾: بِالمَعصِيةِ ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾: الظُّلمِ، ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ﴾ - وفي قِراءة: ﴿أَسْرَىٰ﴾ - ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾) لم يذكُرْ هنا بقيةَ العهود؛ لأن عَهْدَ عدم التظاهر بالإثم والعدوان ملاحظٌ في العهدين الأولين، وأما الرابعُ فقد وفَّوا به، فلم يُعاتِبْهم الربُّ عليه.

قوله: (على أنفسكم) أشار بذلك إلى أن الجملةَ مؤكِّدةٌ لجملة ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾؛ لأن الشهادةَ على النفس هي الإقرارُ بِعينه، ويحتملُ أن قوله: ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ خطابٌ لبني إسرائيلَ الأصولِ، وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ خطابٌ لِلفروع، فتغايَر معنى الجملتين ولا تأكيدَ.

قوله: (﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ﴾) ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأٌ، وجملة ﴿تَقْتُلُونَ﴾ خبرُه، و﴿هَٰؤُلَاءِ﴾: منادى، وحرف النداء محذوف، والجملةُ مُعترضةٌ بين المبتدإ والخبر.

قوله: (﴿تَظَاهَرُونَ﴾) في محلِّ نصب على الحال من فاعل ﴿تُخْرِجون﴾، وهو من بابِ: الحذف من الأوائلِ لدلالةِ الأواخر، التقديرُ: تَقتلون أنفسَكم متظاهرين وتُخرجون فريقاً كذلك.

قوله: (في الأصل) أي: بعد قلبِها ظاءً.

قوله: (بالتخفيف[1]) أي: بحَذْفِ التاءِ الثانية التي ليسَت للمضارعة، ولم تحذف التي للمضارعة لأنه أتى بها لمعنًى.

قوله: (﴿بِالْإِثْمِ﴾) يجمع على آثام.

قوله: (وفي قراءة: ﴿أَسْرَىٰ﴾) أي: بالإمالة، وهي لحمزة[2]، وكلٌّ منهما جمعٌ لأسير.

---

(١) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بتشديد الظاء (تَظَّاهرون) كما سبق. انظر «البحر المحيط» (٤٥٩/١).

(٢) على وزن (فَعْلى)، وباقي السبعة قرؤوها على وزن (فُعالى). المصدر نفسُه.

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ ....

- وفي قراءةٍ: ﴿تُفَدُوهُمْ﴾ - تُنقِذُوهم مِن الأسرِ بِالمالِ أو غَيرِه، وهو مِمَّا عُهِدَ إليهم، ﴿وَهُوَ﴾ أي: الشَّأنُ ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ - مُتَّصِل بِقَولِه: ﴿وَتُخْرِجُونَ﴾، والجُملة بَينهما اعتِراض - أي: كما حُرِّمَ تَركُ الفِداءِ. وكانَت قُرَيظةُ حالَفُوا الأَوسَ والنَّضِيرُ الخَزرَجَ، فكان كُلُّ فَرِيق يُقاتِلُ مع حُلَفائِه ويُخَرِّبُ دِيارَهم ويُخرِجهُم، فإذا أُسِرُوا فَدَوهُم، وكانُوا إذا سُئِلُوا: لم تُقاتِلُونَهُم وتَفدُونَهُم؟ قالُوا: أُمِرنا بِالفِداءِ، فيُقال: فلِمَ تُقاتِلُونهم؟ فيَقُولون: حياءَ أن تُستَذَلَّ حُلَفاؤُنا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة ﴿تُفَدُوهُمْ﴾[1]) **الحاصل**: أن القراءاتِ خمسٌ: (أَسرى) بالإمالة مع (تفدوهم) فقط، (أُسارى) بالإمالة وعدمِها مع (تفدوهم) و(تفادوهم).

قوله: (أي: الشأن) ويُقال: ضميرُ القصة، يُفسِّرُه ما بعده، قال ابن هشام: (ويختص بخمسة أشياء: كونُه مفرداً ولو كان مَرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخيرُ مرجعِه، وكونُه جملةً، ولا يعملُ فيه إلا المبتدأ أو الناسخُ، ولا يُتبَع)[2].

قوله: (﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾) مبتدأٌ وخبرٌ، والجملةُ خبرُ ضميرِ الشأن، ولم تحتَجْ لرابط؛ لأنها عينُ المبتدإ في المعنى.

قوله: (والنضير) معطوف على (قُريظةَ)، والعامل فيه (كانت)، وقوله: (الخزرج) معطوفٌ على (الأوس)، والعاملُ فيه (حالفوا)، ففيه العطف على معمولَي عاملين مختلفين قصداً للاختصار، ويحتمل أن الخزرجَ معمولٌ لمحذوف، التقديرُ: حالفوا.

والحاصل: أن الأوس والخزرج فِرقتان في المدينة، وهم الأنصار، وكان بينهما عداوةٌ، ولم يرسَلْ لهم نبيٌّ غيرُ رسول الله، وأما قريظةُ وبنو النضير فكانوا مكلَّفين بشريعة موسى، وكانوا أذلاءَ، فاستعزَّ قريظةُ بالأوس، وبنو النضير بالخزرج، فكان إذا اقتَتل الأوسُ مع الخزرج قاتل مع كلٍّ حُلفاؤه، فإذا أسرَ حلفاءُ قريظةَ أسيراً من بني النضير افتدَوه قريظةَ وبالعكس، فإذا سُئلوا عن القتال أجابوا بأنهم قاتلُوا خشيةَ أن يستذلَّ من استَعزوا به، وعن الفداء أجابوا بأننا أُمرنا به.

---

(١) وهي قراءة نافع وعاصم والكسائي، من الفعل (فادَى)، والباقون من الفعل (فدَى). المصدر نفسه.

(٢) «مغني اللبيب» (ص٦٣٦) بتصرف، وقوله: (لا يتبع) أي: بتابع، فلا يؤكد ولا يُعطف عليه ولا يبدل منه.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ ....

قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو الفِداءُ ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو تَركُ القَتلِ والإخراجِ والمُظاهَرةِ؟ ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾: هَوانٌ وذُلٌّ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وقد خَزُوا بِقَتلِ قُرَيظةَ ونَفيِ النَّضِيرِ إلى الشَّام وضَربِ الجِزية، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ـ بالياء والتاءِ ـ.

﴿٨٦﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَتُؤْمِنُونَ﴾) أي: تصدِّقون بالعمل به.

قوله: (وقد خَزُوا) أصلُه: خَزِيُوا، استُثقلت الضمةُ على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان الياءُ والواوُ، حُذفت الياءُ لالتقاءِ الساكنين، وقُلبت كسرةُ الزاي ضمةً لمناسبة الواو.

قوله: (بقتل قريظة) أي: حين دخلَ النبي المدينة وأسلمَ الأوسُ والخزرجُ، وغزاهم النبيُّ وأصحابه، إلى أن نزلُوا على حكم سعد بن معاذ، فحكمَ فيهم بقتل شُجعانهم وسبيِ ذراريهم ونسائهم، فقُتل منهم سبعُ مئة، وكان ذلك في السنة الرابعة من الهجرة[١].

قوله: (ونفي النضير إلى الشام) أي: مع كلِّ واحد حِمْلُ بعيرٍ من طعام لا غير[٢].

قوله: (وضرب الجزية) أي: على مَنْ بقيَ من قريظة وسكنَ في خَيبر، وعلى بني النضير بعد ذهابِهم إلى الشام.

قوله: (﴿يُرَدُّونَ﴾) وقُرِئَ شاذًّا بالتاء[٣].

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٤].

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) وسيأتي خبرهم في صدر سورة الحشر (٧/ ٧-٩).

(٣) وهي قراءة الحسن وابن هرمز. انظر «البحر المحيط» (١/ ٤٦٢).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بالياء، والباقون بالتاء. المصدر نفسه.

فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ....

بِأن آثَرُوها عليها، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُونَ مِنه.

﴿٨٧﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: أتبَعناهُم رَسُولاً في إثرِ رَسُول، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأن آثروها) بالمدِّ، بمعنى قدَّموها.

قوله: (﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾) شروعٌ في ذكر نعمٍ أُخَرَ لبني إسرائيل قابلوها بقبائحَ عظيمة، وصدَّرَ الجملةَ بالقسَم زيادةً في الردِّ عليهم.

قوله: (﴿وَقَفَّيْنَا﴾) من التَّقفية، وهي المشيُ خلفَ القفا[1]، أُطلقَ وأُريدَ مُطلقُ الإتباع.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾) يحتملُ أن الضميرَ عائدٌ على موسى أو الكتاب.

قوله: (أي: أتبعناهم رسولاً في إثر رسول) ظاهِرُهُ: أنه لا يُجمع بين رسولَين في زمنٍ واحد، وليس كذلك؛ فإن زكريا ويحيى كانا في زمن واحد، وكذا داوودُ وسليمان، وورد: «أنهم قتلوا سبعين نبيًّا في يوم واحد وأقامُوا سُوقهم»[2].

وأُجيبَ: بأن المراد: التَّبَع في العمل بالتوراة، فكلُّ الأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة بِوحي من الله لا تقليداً لموسى، إذا علمتَ ذلك فالمناسب للمفسِّر أن يقول: أي: أتبعنا بعضَهم بعضاً في العمل بالتوراة، كانوا في زمنٍ واحد أو لا.

وقوله: (﴿بِٱلرُّسُلِ﴾) مرادُهُ: ما يَشمل الأنبياء، وعِدَّةُ الأنبياء والرسل الذين بين موسى وعيسى سبعونَ ألفاً، وقيل: أربعةُ آلاف[3].

قوله: (﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى﴾) معطوف على ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى﴾، وخصَّه بالذكر وإن كان داخلاً في قوله:

---

(١) تقول: قفوت فلاناً، إذا جئتَ في إثره؛ كأنك تقصد جِهة قفاه، وقَفَّيته بفلان، المفعول الثاني معدًّى بالباء لتمييزه عن الأول.

(٢) كذا أورد الخطيب في «السراج المنير» (١/ ٦٥)، وروى نحوَه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٢)، وانظر «الدر المنثور» (١/ ١٧٨).

(٣) «الفتوحات الإلهية» (١/ ٧٥).

ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ

﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزاتِ، كإحياءِ المَوتَى وإبراءِ الأكمَهِ والأبرَصِ، ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قَوَّيناهُ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ ـ مِن إضافةِ المَوصُوف إلى الصِّفة ـ أي: الرُّوحِ المُقَدَّسةِ جِبريل لِطَهارَتِه، يَسِيرُ مَعه حيثُ سارَ، فلم تَستَقِيمُوا، ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾: تُحِبُّ ﴿أَنفُسُكُمُ﴾ مِن الحَقِّ ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تَكَبَّرتُم عَن اتِّباعِه؟ ـ جَوابُ (كُلَّما)، وهو مَحَلُّ الاستِفهام

حاشية الصاوي

﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ لعظَمِ شرفه ومزيَّته، ولكونه رسولاً مستقلًا بشرع يخصُّه؛ لأنه نسخ بعضَ ما في التوراة، وللردِّ على اليهود حيث ادَّعوا أنَّهم قتلوه. وعيسى: لغةٌ عبرانية معناها: السبوح[1].

قوله: (﴿ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾) معنى مريمَ: خادمةُ الله، وفي اصطلاح العرب: المرأةُ التي تكرهُ مخالطةَ الرجال.

قوله: (﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾) (ألْ): للعهد؛ أي: المعجزات المعهودة له.

قوله: (وإبراء الأكمه) هو مَنْ وُلدَ أعمى.

قوله: (أي: الروح المقدسة) أي: المطهَّرة.

قوله: (جبريل) وجه تَسميته روحاً: أن الروحَ جسمٌ نوراني به حياةُ الأبدان، وجبريلُ جسمٌ نوراني به حياةُ القلوب.

قوله: (لطهارته) أي: من المعاصي والمخالَفات والأقذار، وقد مدحَهُ الله بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ...﴾ [الحاقة: ٤٠] الآية.

قوله: (يسير معه حيث سار) أي: ولم يزَلْ معه حتى رفعَهُ إلى السماء.

قوله: (فلم تستقيموا) قدَّره المفسِّر لعطفِ قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ﴾ عليه.

قوله: (﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾) ماضيه هَوِيَ من باب: تعِب وضرَب، سُمِّيَ بذلك لأنه يَهوي بصاحبه إلى النار، وهو تذكيرٌ للفروع بقبائحِ أصولهم.

قوله: (﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾) السين زائدةٌ، والتقديرُ: تكبَّرتم كلَّما جاءكم رسولٌ بالذي لا تحبُّهُ أنفسُكم.

---

(١) كذا في النسخ، ولعلها (الممسوح) فهو لقب له لأنه مُطهر من الذنب والدنس، وقيل غير ذلك. انظر «تاج العروس» (م س ح).

فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ....

والمُرادُ بِه التَّوبِيخ ـ ﴿فَفَرِيقًا﴾ مِنهُم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسَى، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ـ المُضارِعُ لِحِكايةِ الحال الماضِية ـ أي: قَتَلتُم، كزَكَرِيَّا ويَحيَى.

﴿٨٨﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ للنَّبِيّ اسْتِهْزَاء: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ جَمعُ (أغلَف)، أي: مُغَشَّاةٌ بِأغطِيَةٍ فلا تَعِي ما تَقُولُ، قال تعالى: ﴿بَل﴾ ـ لِلإضرابِ ـ ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعَدَهم عن رَحمَتِه وخَذَلَهُم عَن القَبُول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾، وليسَ عَدَمُ قَبُولهم لِخَلَلٍ في قُلُوبِهم، ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ـ ﴿مَّا﴾ زائِدةٌ لِتَأكِيدِ القِلَّة ـ أي: إيمانهم قَلِيلٌ جِدًّا.

حاشية الصاوي

قوله: (والمراد به التوبيخ) أي: اللومُ والتقريعُ عليهم.

قوله: (﴿فَفَرِيقًا﴾) معمولٌ لـ﴿كَذَّبْتُمْ﴾، وقُدِّمَ مراعاةً للفواصل، وقُدِّمَ التكذيبُ على القتل مع أن القتلَ أشنعُ؛ لأن التكذيبَ مَبدأُ القتل.

قوله: (كعيسى) أي: كذبوه ولم يتمكَّنوا من قتله، بل رفعَهُ اللهُ إلى السماء.

قوله: (المضارع لحكاية الحال الماضية) أي: فنزَّلَ وقوعَهُ منهم فيما مضى منزلةَ وقوعِهِ الآن استعظاماً له.

قوله: (كزكريا) أي: حيث نشَروهُ حين هربَ منهم وأوى إلى شجرة أَثْلٍ، فانفتحَتْ له ودخلَها.

قوله: (ويحيى) أي: قتلُوه من أجل امرأة فاجرةٍ أراد محرمُها التزوُّجَ بها، فمنعَهُ من ذلك[1].

قوله: (﴿وَقَالُوا﴾) أي: الموجودُون في زمن النبي ﷺ.

قوله: (أي: مغشاة بأغطية) أي: حِسيَّة.

قوله: (﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾) المراد بالقلَّةِ الاستبعادُ؛ أي: فإيمانهم مستبعدٌ؛ لطرد الله إيَّاهم عن رحمته وسَبْقِ شقاوتِهم، ويحتمل أن تبقى القلَّةُ على بابها؛ أي: فمن آمن منهم قليل؛ كعبد الله بن سلام وأضرابه، ويحتمل أن القلَّةَ باعتبار الزمن؛ أي: إن الزمنَ الذي يؤمنون فيه قليلٌ جدًّا، قال تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ﴾ [آل عمران: ٧٢].

---

(١) ومحرمها هو عمُّها وهي ابنة أخيه، والخبر رواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ ....

﴿٨٩﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ مِن التَّوراةِ، هو القُرآنُ، ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾: قبلَ مَجيئِه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾: يَستنصِرُونَ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يَقُولُون: اللَّهُمَّ انصُرنا عليهِم بِالنَّبِيِّ المَبعُوث آخِرَ الزَّمانِ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ مِن الحَقِّ ـ وهو بَعثةُ النَّبي ـ ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ حَسَداً وخَوفاً على الرِّياسةِ، ـ وجَوابُ (لَمَّا) الأُولى دَلَّ عليه جَوابُ الثَّانية ـ ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٩٠﴾ ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾: باعُوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: حَظَّها من الثَّواب، و(ما): نَكرةٌ بمعنَى (شيئاً) تمييزٌ لِفاعلِ (بِئسَ)، والمَخصوصُ بِالذَّم: ﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ أي: كُفرُهُم ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾) هذه الجملة من تعلُّقاتِ الجملة التي قبلها، وكلٌّ منهما حكايةٌ عن اليهود الذين كانوا في زَمنه ﷺ.

وقوله: (﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) صفةٌ أولى لـ﴿كِتَٰبٌ﴾، وقوله: (﴿مُصَدِّقٌ﴾) صفةٌ ثانية له، وجملة ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ حالٌ من الضَّمير في ﴿جَآءَهُمْ﴾.

قوله: (﴿مِن قَبْلُ﴾) مبنيٌّ على الضم لحذفِ المضاف إليه ونيَّةِ مَعناه.

قوله: (يستنصرون) السينُ والتاءُ: لِلطلب.

قوله: (وهو بعثةُ النبي) في الحقيقة بعثةُ النبيِّ والكتاب.

قوله: (دلَّ عليه جواب الثانية) أي: والأصلُ: ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم كفروا بذلك الكتابِ، وكانوا يَستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا وهو النبيُّ الكريم كفروا به، فبينَ الجملتين تغايرٌ لفظاً وإن كان بينهما تلازمٌ معنًى.

قوله: (﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟﴾ ... إلخ) ﴿بِئْسَ﴾: فعلٌ ماضٍ لإنشاء الذمِّ، وفاعلُها: مستترٌ فيه وجوباً تقديرُهُ: هو، يعودُ على الشيء، يفسِّرُه قوله: ﴿مَا ٱشْتَرَوْا۟﴾، فـ(ما) تمييزٌ لذلك الفاعل، وما بعدها صفةٌ لها، و﴿أَن يَكْفُرُوا۟﴾ في تأويل مصدر المخصوص بالذمِّ، وهو: يعربُ مبتدأً، والجملةُ التي قبله خبرٌ عنه، أو خبرٌ لمبتدإٍ محذوف، قال ابن مالك: [الرجز]

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ....

﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِن القُرآنِ؛ ﴿بَغْيًا﴾ ـ مَفعُولٌ لَه لِـ﴿يَكْفُرُواْ﴾ ـ أي: حَسَداً على ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ ـ بِالتَّخفيفِ والتَّشديدِ ـ ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الوَحيَ ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ لِلرِّسالةِ ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ مِن الله بِكُفرِهِم بِما أنزلَ ـ والتَّنكِيرُ لِلتَّعظيمِ ـ ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ استَحَقُّوهُ مِن قَبلُ بِتَضييعِ التَّوراةِ والكُفرِ بِعيسى، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ....

حاشية الصاوي

وَيُعْرَبُ الْمَخْصُوصُ بَعْدُ مُبْتَدَا أو خَبَرَ اسْمٍ لَيْسَ يَبْدُو أَبَدَا[١]

قوله: (من القرآن) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (مفعول له لـ﴿يَكْفُرُواْ﴾) أي: مفعولٌ لأجله، والعاملُ فيه ﴿يَكْفُرُواْ﴾.

قوله: (على ﴿أَن يُنَزِّلَ[٢] ٱللَّهُ﴾) المعنى: كفرُهم بما أنزل الله حسَداً على إنزالِ الله من فضله، وذلك بمعنى قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

قوله: (الوحي) قدَّره؛ إشارةً إلى أن مفعولَ (ينزلُ) محذوفٌ.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾) مفعولُ ﴿يَشَآءُ﴾ محذوفٌ، التقديرُ: يشاؤُهُ.

قوله: (بِكُفْرِهِمْ) الباءُ: يصحُّ أن تكون للتعدية والسببيَّة.

قوله: (والتنكير للتعظيم) أي: في قوله: (غضب) على حدِّ: شرٌّ أهرَّ ذا نابٍ[٣].

قوله: (والكفرِ بعيسى) أي: ثم الكفرِ بمحمد وما جاءَ به؛ فقد آمنوا بموسى ثم كفرُوا به وضيَّعوا التوراة، فلمَّا جاءهم عيسى آمنوا به ثم كفروا به، فلمَّا جاءهم محمدٌ كفروا به وازدادُوا كفراً.

قوله: (﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾) أصله: مُهْوِن، نُقلت كسرة الواو إلى الهاء، فوقعت الواوُ ساكنةً بعد كسرة، قُلبت ياءً.

---

(١) «الخلاصة» (باب نعم وبئس)، والرواية: (ويذكر) بدل (ويعرب)، وعليه (مبتدا) منصوب على الحالية.

(٢) أبو عمرو وابن كثير بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر «البحر المحيط» (١/ ٤٧٤).

(٣) أي: شرٌّ عظيم، وأهرَّه: حمله على الهرير، مثلٌ يضرب في ظهور أمارات الشر ومَخايله. انظر «مجمع الأمثال» (١/ ٣٧٠).

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ......

ذُو إهانةٍ.

﴿٩١﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: القُرآنِ وغَيرِه، ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي: التَّوراةِ، قال تَعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ ـ الواوُ لِلحالِ ـ ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: سِواهُ أو بَعدَه مِن القُرآن، ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ ـ حالٌ ـ ﴿مُصَدِّقًا﴾ ـ حالٌ ثانِيَةٌ مُؤَكِّدةٌ ـ ﴿لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ﴾ لَهُم: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي: قَتَلتُم ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بِالتَّوراةِ وقد نُهِيتُم فِيها

حاشية الصاوي

قوله: (ذو إهانة) أي: هوان وذلٍّ، ولا يوصف بذلك إلا عَذاب الكافرين، وأما ما يقعُ للعصاة في الدنيا من المصائبِ وفي الآخرة من دُخولِ النار فهو تطهيرٌ لهم.

قوله: (﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾) يُطلق بمعنى: سوى، وبمعنى: بَعد، وبمعنى: أمام، اقتصرَ المفسِّر على الأوَّلينِ.

قوله: (من القرآن) أي: والإنجيل.

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾) حالٌ من (ما).

قوله: (مؤكدة) أي: لمضمون الجملة قبلها، على حدِّ: (زيدٌ أبوك عَطوفاً)، وقوله: (ثانية) أي: في التأكيد، وإلا فهي ثالثةٌ.

قوله: (﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾) (ما): اسمُ استفهامٍ حُذفت ألفُها لجرِّها باللام، والفاءُ واقعةٌ في جواب شرط مقدَّرٍ، تقديرُهُ: إن كنتم صادقين في دَعواكم الإيمان بالتوراة فلأيِّ شيءٍ تقتلون أنبياءَ الله؟!

قوله: (أي: قتلتم) أشارَ بذلك إلى أنَّ المضارع بمعنى الماضي، وإنما عبَّرَ بالمضارع لِحكاية الحال الماضية.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) جوابُ (إنْ) محذوفٌ دلَّ عليه المذكور، فقد حذفَ من الجملة الأُولى أداة الشرط وفعلها، ومن الثانية الجواب، فهو احتباكٌ، وقيل: إن (إنْ) نافيةٌ بمعنى (ما) نتيجةَ الشرطِ المقدَّر[1].

---

(١) والمعنى: ما كنتُم مؤمنين؛ لمنافاة ما صدَر منكم للإيمان. «الفتوحات» (١/ ٧٨).

وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ....

عَن قَتلِهِم؟ والخِطابُ لِلمَوجُودِينَ في زَمَن نَبِيِّنا بِما فعَلَ آباؤُهُم؛ لِرِضاهُم بِه.

﴿٩٢﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ، كالعَصا واليَد وفَلْقِ البَحر، ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلَهاً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ مِن بَعدِ ذَهابِه إلى المِيقاتِ، ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتِّخاذِه.

﴿٩٣﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ على العَمَل بِما في التَّوراةِ، ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجَبَلَ، حِينَ امتنَعتُم مِن قَبُولها؛ لِيَسقُطَ عَليكُم، وقُلْنا: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ واجتِهادٍ، ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما تُؤمَرُونَ بِه سَماعَ قَبُولٍ، ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا﴾ قَولَك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرَكَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بما فعل آباؤهم) **الحاصل**: أنه أُقيمت الحجة عليهم مرتَين: الأولى دعواكم الإيمان بالتوراة كذبٌ؛ لِكفركم بالقرآن؛ فإن الكافر بأيِّ كتاب كافرٌ بالجميع، وعلى تَسليم هذه الدعوى؛ فهي كذبٌ من جهة أخرى، وهي قتل الأنبياء، فلو كنتم مُؤمنين بالتوراة لانتَهيتم عن ما نهاكم الله عنه، فإنه نهاكم فيها عن قتل الأنبياء.

قوله: (لرضاهم به) جوابٌ عما يُقال: إن ذلك فيمَن قتلَ الأنبياء، وأما هؤلاءِ فلم يقَعْ منهم ذلك! فأجاب بأن الرضا بالكفر كفرٌ، وقد يُقال: إنهم مُصرُّون على قتل رسول الله ﷺ، وقد تسبَّبوا في ذلك مراراً.

قوله: (﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ﴾) هذا أيضاً من جملةِ قبائحِ بني إسرائيل.

قوله: (كالعصا) دخلَ تحت الكاف باقي التسع؛ وهي الطُّوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والسنين، والطمس.

قوله: (إلهاً) قدَّره إشارةً إلى مفعول ﴿ٱتَّخَذْتُمُ﴾.

قوله: (﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾) أي: كافرون.

قوله: (ليسقط عليكم) علَّةٌ لقوله: (رفعنا) أي: رفعناه لأجل السقوط عليكم إن لم تمتثلُوا.

﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٩٣﴾ ....

﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي: خالَطَ حُبُّهُ قُلُوبَهم كما يُخالِطُ الشَّراب ﴿بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ﴾ لَهُم: ﴿بِئۡسَمَا﴾ شَيئاً ﴿يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ بِالتَّوراةِ عِبادةُ العِجلِ، ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بِها كما زَعَمتُم، المعنَى: لَستُم بِمُؤمِنينَ لِأنَّ الإيمان لم يَأمُرْ بِعبادةِ العِجل، والمُرادُ آباؤُهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾) الجملةُ حاليةٌ على حذف مضافَين؛ أي: حُبَّ عبادة العِجْل، وفي الكلام استعارةٌ بالكناية، وتقريرُها أن تقولَ: شُبِّهَ حبُّ عبادة العجل بمشروبٍ لذيذٍ سائغ بجامع الامتزاجِ في كلٍّ، وطُوي ذكرُ المشبَّه به، ورُمِز له بشيء من لوازمه وهو الإشراب، فإثباته تخييلٌ، ولم يُعبَّرْ بالأكل لأنه ليس فيه شِدة مخالطة.

قوله: (كما يخالطُ الشراب) أي: خلالَ القلوب والأبدان، فمفعولُ (يخالطُ) محذوفٌ.

قوله: (شيئاً) أشار بذلك إلى أن (ما) نكرةٌ بمعنى شيء مُفسِّرةٌ لفاعل (بئس).

وقوله: (﴿يَأۡمُرُكُم﴾) صفةٌ لـ(ما)، و﴿إِيمَٰنُكُمۡ﴾ فاعلُ (يأمرُ).

وقوله: (عبادة العجل) هو المخصوص بالذمِّ، قدَّره المفسِّر، وهذا من جملة التشنيعِ عليهم؛ أي: أنتم ادَّعيتم الإيمانَ بالتوراة، ثم رأيناكم قد عبَدتم العجلَ، فإن كان إيمانُكم بها أمرَكم وحملَكم على عبادته فبئس إيمانكم وما يَأمركم به؛ فإنه كفرٌ لا إيمانٌ.

وقوله: (بالتوراة) إن قُلت: إن عبادةَ العجل متقدِّمةٌ على التوراة.

أجيبَ: بأن موسى كان يأمرُهم بالتوحيد، وهو موافقٌ لما في التوراة.

قوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾) يحتمل أن ﴿إِن﴾ شرطيةٌ، و﴿كُنتُم﴾: فعلُ الشرط، وجوابه محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾، ويحتمل أنها نافيةٌ نتيجةَ قوله: ﴿بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾، وكلامُ المفسِّر يَحتملُهما.

قوله: (المعنى. . . إلخ) إشارة إلى قياسٍ حَمْليٍّ من الشكل الأول، وتقريرُهُ أن تقول: اعتقادكم يأمركم بعبادة العجل، وكلُّ اعتقادٍ يأمرُ بعبادة العجل فهو كفرٌ؛ يَنتجُ: اعتقادكم كفرٌ.

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾﴾ ....

أي: فكَذلكَ أنتُم لَستُم بِمُؤمِنينَ بِالتَّوراةِ وقد كَذَّبتُم مُحمَّداً، والإيمانُ بِها لا يَأمُرُ بِتكذِيبِه.

﴿٩٤﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الجَنَّةُ ﴿عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾: خاصَّةً ﴿مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ كما زَعَمتُم، ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ـ تَعَلَّقَ بِتَمَنِّيهِ الشَّرطانِ على أنَّ الأوَّل قَيدٌ في الثَّاني ـ أي: إن صَدَقتُم في زَعمِكم أنَّها لَكُم، ومَن كانَت لَه يُؤثِرها والمُوَصِّلُ إلَيها المَوتُ، فتَمَنَّوهُ.

﴿٩٥﴾ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ مِن كُفرِهم بِالنَّبِيِّ المُستَلزِم لِكَذِبِهم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الكافِرين فيُجازِيهم.

حاشية الصاوي

قوله: (**أي: فكذلك أنتم... إلخ**) أشار بذلك إلى قياس آخر، تقريرُهُ أن تقول: اعتقادكم يأمركم بتكذيب محمدٍ، وكلُّ اعتقاد يأمرُ بذلك فهو كفرٌ؛ ينتجُ: اعتقادكم كفرٌ.

قوله: (﴿**إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ**﴾... **إلخ**) في هذه الآية أعاريبُ: منها: أن ﴿الدَّارُ﴾: اسمُ ﴿كَانَتْ﴾، و﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور خبرُها، و﴿عِندَ اللَّهِ﴾: ظرفٌ، و﴿خَالِصَةً﴾: حالٌ، ومنها: أن الخبرَ قولُهُ: ﴿خَالِصَةً﴾، و﴿عِندَ اللَّهِ﴾: ظرف على كلِّ حال، ومنها: أن الخبرَ هو الظرفُ، و﴿خَالِصَةً﴾: حالٌ.

قوله: (**تعلَّقَ بتمنِّيهِ الشرطانِ**) في العبارة قلبٌ، والأصلُ: تعلَّق تمنِّيهِ بالشرطين؛ لأنَّ ﴿تَمَنَّوُا﴾ هو الجوابُ، وهو متعلِّقٌ بالشرطين.

قوله: (**قيد في الثاني**) **حاصِله**: أنه إذا اجتمع شرطانِ وتوسَّط بينهما جوابٌ، كان الأول قيداً في الثاني، بمعنى أنه من تمامِ معناه، ويكون الجوابُ لِذلك الثاني، فتقديرُ الآية: إن كنتم صادقينَ في زعمكم أنَّ الدارَ الآخرة لكم خاصةً فتمنَّوا الموت، وقيل: إن الجوابَ للأول، وجواب الثاني محذوفٌ دلَّ عليه جوابُ الأوَّل.

قوله: (**أي: إن صدقتم**) إشارةٌ إلى الشرط الثاني، وقوله: (**أنها لكم**) إشارةٌ للأوَّل.

قوله: (**يؤثرها**) أي: يقدِّمُها ويختارُها.

قوله: (﴿**بِمَا قَدَّمَتْ**﴾) الباءُ: سببيةٌ، و(ما) يحتملُ أنها اسمٌ موصول، و﴿قَدَّمَتْ﴾ صلتُه،

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ....

﴿٩٦﴾ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ ـ لامُ قَسَم ـ ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَ﴾ أحرَصَ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ المُنكِرينَ لِلبَعثِ عليها؛ لِعِلمِهم بِأنَّ مَصِيرهم النَّارُ دُون المُشركِينَ؛ لإنكارِهم له، ﴿يَوَدُّ﴾: يَتمنَّى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ـ ﴿لَوْ﴾ مَصدريَّة بِمعنَى (أنْ)، وهي بِصِلَتِها في تَأوِيل مَصدرٍ مَفعُول ﴿يَوَدُّ﴾ ـ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: أحَدُهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾: مُبعِده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: النَّارِ ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ ـ فاعِلُ (مُزَحزِحه) ـ أي: تَعمِيرُه، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾

حاشية الصاوي

والعائدُ محذوف؛ أي: قدَّمَته، ويحتمل أنها نكرةٌ موصوفة، والعائدُ محذوفٌ على كلِّ حال، والحِكمةُ في الإتيان هنا بـ(لن) وفي (الجمعة) بـ(لا): أن ادعاءَهم هنا أعظمُ من ادعائِهم هناك؛ فإنهم ادعوا هنا اختصاصَهم بالجنة، وهناك كونهم أولياءَ الله من دون الناس، فلا تفيدُ اختِصاصَهم بالجنة، فناسبَ هنا التأكيدُ بـ(لن)، وهناك بـ(لا).

قوله: (﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾) عطف على قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ﴾، من عطف اللازم على الملزوم.

قوله: (﴿أَحْرَصَ﴾) مفعولٌ ثانٍ لـ(تجدنَّهُم) حيث كانت بمعنى (عَلم)، وأما إنْ كانت بمعنى أصابَ أو صادفَ نصبت مفعولاً واحداً، فيكون ﴿أَحْرَصَ﴾ حالاً.

قوله: (﴿وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾) من عطف الخاصِّ على العامِّ، زيادةً في التقبيح عليهم، ودفعاً لتوهُّم أن المشركين أحرَصُ منهم.

قوله: (﴿لَوْ﴾ مصدريةٌ) أي: ولا تنصبُ الفعل، فهي سابكةٌ فقط.

قوله: (﴿وَمَا هُوَ﴾) يحتملُ أن (ما) حجازيةٌ، وهو: اسمُها، و﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾: خبرها، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: فاعلُ (مُزحزحه)، وأنها تميميةٌ، و﴿هُوَ﴾: مبتدأٌ، و﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾: خبرُهُ، و﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: فاعلُهُ على كلِّ حال.

قوله: (أي: أحدهم... إلخ) وقيل: إن ﴿هُوَ﴾ ضميرُ شأنٍ، ورُدَّ بأن ضميرَ الشأن يُفسَّرُ بجملة، وهنا ليس كذلك.

قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ....

ـ بالياء والتاء ـ فيُجازِيهم.

﴿٩٧﴾ وسَأل ابنُ صُورِيًّا النَّبِيَّ أو عُمَرَ عمَّن يَأتِي بِالوَحيِ مِن المَلائكة، فقال: جِبرِيلُ، فقال: هو عَدُوُّنا يَأتِي بِالعَذابِ، ولو كان مِيكائِيلَ لآمَنَّا؛ لِأَنَّهُ يَأتِي بِالخِصبِ والسِّلمِ، فنَزَل: ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ فلْيَمُت غَيظاً؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) ظاهره أنهما سبعيَّتان، وليس كذلك، بل التاءُ عَشْرية[1]، واختلفُ فيما زاد على السبعة، هل يُلحَقُ بها فتجوز القراءةُ والصلاة بها، أم بالشواذِّ فيَمتنعان؟ والمعتمدُ: الأوَّل.

قوله: (وسأل ابنُ صوريا ... إلخ) أشار بذلك إلى سببِ نزول الآية[2]، وابن صوريا: اسمه عبد الله، وكان من أحبارِ اليهود.

قوله: (أو عمر) أشار بذلك إلى تَنويع الخلاف؛ فإن عُمر كان له أرض بالعوالي، وكان يمرُّ على مَدارسهم ليختبر صفاتِ محمد من كتبهم، فقالوا: يا عمر؛ لقد أحبَبناك، فقال: واللهِ ما أحبُّكم، وإنما أدخل عليكم لأزدادَ بصيرةً في أمر محمد، فسألَهُ ابنُ صوريا عمَّنْ يأتي بالوحي لمحمد؟ فقال: جبريل، فقال: هو عَدونا... إلخ، فأخبرَ النبيَّ بذلك، فنَزلت الآية[3].

قوله: (فقال) أي: المسؤول، وهو النبيُّ أو عمر.

قوله: (يأتي بالعذاب) أي: كالصواعقِ والخَسْفِ والمسخ.

قوله: (بالخِصْب) بكسر الخاء؛ أي: الرخاء.

قوله: (والسلم) أي: الصُّلح.

قوله: (فليمت غيظاً) جوابٌ لاسم الشرط الذي هو ﴿مَن﴾، وهو مبتدأٌ، خبرُهُ قيل: فعلُ الشرط، وقيل: جوابُه، وقيل: هما، وأما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ فلا يصحُّ أن يكون جواباً للشرط لمانعَين: الأول: عدمُ الرابط، والثاني: عدمُ تسبُّبِ الجواب عن الشرط.

وقوله: (﴿لِّجِبْرِيلَ﴾) الصحيح أنه اسمٌ أعجمي، علَمٌ على رئيس الملائكة، فلا اشتِقاقَ فيه،

(١) قرأ الجمهور بالياء، وقرأ الحسن وقتادة والأعرج ويعقوب بالتاء. انظر «البحر المحيط» (١٤٨٣).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٧٧) بنحوه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٨١).

فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ ....

﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي: القُرآنَ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾: بأمرِ ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبله مِن الكُتُب، ﴿وَهُدًى﴾ مِن الضَّلالةِ، ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنَّةِ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿٩٨﴾ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ ـ بِكَسر الجيم ....

حاشية الصاوي

ولا تصرُّفَ، وقيل: مشتَقٌّ من الجبروت، وهو عالَمُ الأسرار، وقيل: مركَّبٌ إضافي، وقيل: مَزجي، والصحيحُ: الأوَّلُ، وورد عن ابن عباس: أنَّ (جبر) معناه: عَبد، و(إيل) معناه: الله، و(ميكا) معناه: عُبَيد، و(إيل) معناه: الله[1].

قوله: (﴿فَإِنَّهُۥ﴾) أي: جبريل.

قوله: (أي: القرآن) وقيل: الوَحْيُ أعمُّ من أن يكونَ قرآناً أو غيره.

قوله: (﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾) عبَّرَ بـ(على) إشارةً لتمكُّنه وانصبابه ورُسوخه؛ فإن الشيءَ إذا صُبَّ من أعلى لأسفلَ رسَخَ وثبَت.

قوله: (بأمر ﴿ٱللَّهِ﴾) أشار بذلك إلى أن المرادَ بالإذن: الأمرُ لا العِلمُ.

قوله: (﴿مُصَدِّقًا﴾) حال من الضمير في ﴿نَزَّلَهُۥ﴾، وكذلك قوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾.

قوله: (بالجنة) أي: وما فيها من النَّعيم، ورؤية وجه الله الكريم.

قوله: (﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾) أي: ونذيراً للكافرين بالنار، وهذا رَدٌّ أوَّل لكلام ابن صوريا، **حاصِله**: أن جبريلَ لا اختيارَ له في إنزال العذاب، ولا في إنزال القرآن.

قوله: (﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾) قُدِّم لأنه المنشئُ للأشياء جميعِها، وثُنِّيَ بالملائكة لأنهم المرسلون من حَضرته، وثُلِّث بالرسل لنزول الملائكة عليهم.

قوله: (﴿وَجِبْرِيلَ﴾) خُصَّ هو وميكائيل زيادةً في التشنيع عليهم، ولأن حياةَ الأرواح والأشباح بِواسطتهما، وتنبيهاً على أن عَداوتَهما خسرانٌ وضلال.

قوله: (بكسر الجيم) أي: على وزن: قِنْدِيل.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٣٩٠).

وَمِيكَـٰلَ ....

وفَتحِها بلا همزٍ، وبه بِياءٍ ودُونَها ـ ﴿وَمِيكَـٰلَ﴾ ـ عَطفٌ على (المَلائكة) من عطفِ الخاصِّ على العامِّ، وفي قِراءةٍ: (مِيكائِيل) بِهَمزةٍ وياء، وفي أُخرَى بِلا ياء ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفتحها) أي: على وزن: شَمْوِيل.

قوله: (وبه[1] بياء وبدونها) هذا في المفتوح، وهو على وزن: سَلْسَبِيل وجَحْمَرِش، فجملةُ القراءاتِ السبعيَّة أربَعةٌ[2]، وهي من جملة لغاتٍ أنهاها بعضُهم لثلاثةَ عشرَ، خامسُها: فتح الجيم مع الهمزة واللام مُشددة على أنها اسمٌ من أسماء الله، وفي بعض التفاسير: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا﴾ [التوبة: ١٠] أي: الله، سادسُها: فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة مكسورة بعدها، سابعُها: مثلُها إلا أنها بياءٍ بعد الهمزة، ثامنُها: فتح الجيم وياءانِ بعد الألف من غير همز، تاسعُها: فتح الجيم وألف بعد الراء ولام، عاشرُها: فتح الجيم وياء بعد الراء مكسورة ولام[3]، حادي عشرِها: فتح الجيم وياء بعد الراء ونون، ثاني عشرِها: كذلك إلا أنها بِكسر الجيم، ثالثَ عشرِها: فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة وياء ونُون، وأكثرُها قُرِئَ به شاذًّا.

قوله: (من عطف الخاصِّ على العامِّ) والنكتةُ شَرفُهما وعظمُهما، وكونُ النزاع فيهما.

قوله: (وفي الأخرى) بلا ياء، فتكون القراءاتُ السبعيَّة ثلاثةً؛ بالهمزة والياء معاً، وبإسقاط الياء فقط، وبِإسقاطهما[4]، وهي من جملة لغاتِهِ السبع، رابعُها: مثل مِيكَعِيل، خامسُها: كذلك إلا أنه

---

(١) أي: بالهمز، وقول المصنف الآتي: (في المفتوح) أي: مفتوح الجيم.

(٢) جِبْرِيل بكسر الجيم قرأ بها ابن عامر وأبو عمرو ونافع وحفص، وبكسر الجيم الحسن وابن كثير وابن محيصن، وجَبْرَئِيل قرأ بها الأعمش وحمزة والكسائي وحماد بن أبي زياد عن أبي بكر عن عاصم، ورواها الكسائي عن عاصِم، وجَبْرَئِل هي رواية يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عاصم، وتروى عن يحيى بن يعمر. انظر «البحر المحيط» (١/ ٤٨٥).

(٣) أي: بعد الراء والألف ياء مكسورة، وحاصل القراءات مع ما سيأتي: جِبْرِيل، وجَبْرِيل، وجَبْرَئِيل، وجَبْرَئِل، وجَبْرَئِلُّ، وجَبْرائِل، وجَبْرائِيل، وجَبْرايِيل، وجَبْرال، وجَبْرايِل، وجَبْرِين، وجِبْرِين، وجَبْرائِين. انظر «الدر المصون» (٢/ ١٨).

(٤) ميكال قرأ بها أبو عمرو وحفص عن عاصم، وميكائل قرأ بها نافع، وميكائيل قرأ بها الباقون. انظر «البحر المحيط» (١/ ٤٩٠).

فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا ....

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أوقعه مَوقِع (لَهُم) بَياناً لِحالِهِم.

﴿٩٩﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: واضِحاتٍ، ـ حالٌ ـ ردًّا لِقَول ابن صُورِيَّا لِلنَّبيِّ: ما جِئتَنا بِشَيءٍ، ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿١٠٠﴾ ﴿أَ﴾كَفرُوا بِها ﴿وَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟﴾ اللهَ ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمانِ بِالنَّبِيِّ إن خَرَجَ

حاشية الصاوي

لا ياء بعد الهمزة؛ مثل مِيكَعِل، سادسُها: بياءَين بعد الألف، سابعُها: بهمزة مفتوحة بعد الألف، وقُرِئَ بالجميع شاذًّا[١].

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾) هذا هو جوابُ الشرط، والرابط موجودٌ، وهو الاسمُ الظاهر؛ لِقِيامه مقامَ الضمير، وقيل: الرابطُ العمومُ.

قوله: (بياناً لحالهم) أي: ولِزيادة التقبيح عليهم، والمراد بعداوتهم لله: خُروجُهم عن طاعته، وعدمُ امتثالِهم أمرَهُ.

قوله: (حال) المناسبُ أن يقولَ: صفة؛ لأن الحال لا يكونُ من النكرة إلا إذا وُجِدَ لها مُسوِّغ.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾) أي: الكافِرون.

قوله: (﴿أَ﴾كفروا بها) أشار بذلك إلى أن الهمزةَ داخلةٌ على محذوف، والواوُ عاطفةٌ على ذلك المحذوف، وهو أحدُ احتِمالينِ تقدَّما[٢].

قوله: (﴿عَٰهَدُوا۟﴾ الله) قدَّرَ المفسِّر لفظَ الجلالة؛ إشارةً إلى أن ﴿عَٰهَدُوٓا۟﴾ بمعنى أعطَوا، فالله: مفعولٌ أوَّل، و﴿عَهْدًا﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (على الإيمان بالنبي) أي: فالعهدُ مَأخوذٌ عليهم قديماً في كُتبهم وعلى أنبِيائهم.

---

(١) وقع في النسخ: (بيكعيل، بيكعل) بدل (ميكعيل، ميكعل)، والمثبت من «البحر» و«الدر» و«الكشاف» و«الفتوحات» وغيرها، والعرب إذا نطقت بالأعجمي خَلطت فيه كما قال ابن جني، وأورد القراءات الشاذة أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٤٨٦).

(٢) تقدم (١/ ١٤٢).

نَبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ....

أو النَّبِيِّ أن لا يُعاوِنُوا عليه المُشرِكِينَ، ﴿نَّبَذَهُۥ﴾: طَرَحَهُ ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ﴾ بِنَقضِه؟ - جَوابُ (كُلَّما)، وهو مَحَلُّ الاستِفهام الإنكارِيِّ - ﴿بَلْ﴾ - لِلانتِقالِ - ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: مُحمَّدٌ ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: التَّوراةَ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لَم يَعمَلُوا بِما فِيها

حاشية الصاوي

قوله: (أو النبي) إشارة إلى تفسير ثانٍ، فقد كانوا يأتون النبيَّ ويقولُون له: إن كنت نبيًّا فائتِ لنا بكذا، فيُقيم عليهم الحجَّةَ، فيُعاهدونه ألا يعاونوا عليه المشركين، ثم يَنقضونه.

قوله: (بنقضه) الباء: سببيَّة.

قوله: (﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) دفعَ بذلك ما يُتوهَّم من قوله: ﴿فَرِيقٌ﴾ أن الفريق يَصدق بالقليل والكثير، فيُتوهَّمُ أن المرادَ القليل، فدفع ذلك بِقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ... إلخ﴾، وهو إما من عَطف الجملة أو المفردات، فعلى الأول جملةُ ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ﴾، وعلى الثاني ﴿أَكْثَرُهُمْ﴾ معطوف على ﴿فَرِيقٌ﴾؛ إشارةً إلى أن النابذَ للعهد أكثرُهم، وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إخبارٌ عنهم بعدم الإيمان؛ لرسوخ الشرك في قُلوبهم.

قوله: (﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾) هذا من جملة التشنيع على بني إسرائيل.

قوله: (﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾) أي: التوراة، والمعنى: أن رسول الله ﷺ جاءَ بإثباتِ التوراة، وأنها من عند الله، فكان مقتضى ذلك اتِّباعه والعمل بشريعته، ولكن الله طمسَ على قلوبهم وسمعِهم وأبصارهم.

قوله: (﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾) صفةٌ لـ﴿فَرِيقٌ﴾، و﴿أُوتُوا۟﴾: ينصب مفعولين؛ نائب الفاعل الذي هو الواو مفعول أول، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول ثانٍ، وقوله: (﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾) مفعول لـ﴿نَبَذَ﴾، وهو بمعنى: طرَح.

قوله: (أي: لم يَعملوا بما فيها) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ليسَ على حَقيقته، بل هو كناية عن عدم العمل بما في التوراة، وإلا فهُم يُعظِّمونها إلى الآن.

كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ....

مِن الإيمان بالرَّسُولِ وغَيره، ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها مِن أَنَّهُ نَبِيٌّ حَقٌّ، أو أنَّها كتابُ اللهِ.

﴿١٠٢﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ - عطفٌ على ﴿نَبَذَ﴾ - ﴿مَا تَتْلُوا﴾ أي: تَلَت ﴿الشَّيَاطِينُ عَلَى﴾ عَهدِ ﴿مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ مِن السِّحر، وكانَت دَفَنَتهُ تَحت كُرسِيِّه لَمَّا نُزِعَ مُلكه، أو كانَت تَستَرِق السَّمع وتَضُمُّ إليهِ أكاذِيب وتُلقِيه إلى الكَهَنة فيُدَوِّنُونَه، وفَشا ذلك وشاعَ أنَّ الجِنَّ تَعلَمُ الغَيب، فجَمع سُلَيمان الكُتُب ودَفَنها، ....

حاشية الصاوي

قوله: (من أنه نبي حقًّا) إشارة إلى مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾، والمعنى: أنهم أنكروا صفةَ رسول الله وبدَّلوها، ولم يُذعنوا للأحكام التي في التوراة، كأنهم جاهلُون بها مع أنهم عالمون بها.

قوله: (عطف على ﴿نَبَذَ﴾) استُشكل بأن المعطوف على الجواب جوابٌ، وقوله: (اتبعوا) لا يصلحُ أن يكون جواباً؛ لعدم ترتُّبِه على الشرط؛ لأنه سابِقٌ على بعثة رسول الله، فالأحسَنُ: عطفُه على جملة ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾، بيانٌ لسوءِ حالهم.

قوله: (أي: تلت) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي؛ لأن السماءَ محفوظةٌ من استراقهم السمعَ من بعثةِ رسول الله، و(تلَتْ) بمعنى: قرأت أو كذَبت.

قوله: (على عهد) (على) بمعنى (في)، وعهد بمعنى: زمن، التقدير: واتَّبعوا ما تلَت الشياطينُ في زمن مُلكِ سليمان، ويحتملُ أن ﴿تَتْلُوا﴾ بمعنى: تَتقوَّل، و(على) على بابها، ومتعلقها محذوفٌ تقديرُه: على الله، فيصيرُ المعنى: واتَّبعوا ما تتقوَّلُه الشياطينُ على الله زمنَ مُلكِ سليمان.

وقوله: (من السحر) بيانٌ لـ﴿مَا﴾، وعائدُ الموصول محذوفٌ، تقديرُه: تتلُوه.

قوله: (أو كانت تسترق السمع) (أو): لِتنويع الخلاف؛ لأنه اختُلفَ في الذي اتبَعته اليهود؛ فقيل: هو السحرُ الذي وضَعته الشياطين تحت كرسيِّهِ لما نُزعَ ملكُهُ، وسببُ ذلك: أن امرأةً من نساء سليمان سَجدت لصنمٍ أربعين يوماً، فعاتبه اللهُ بنزع مُلكه تلك المدة، وسببُ عزله: أنه كان خاتمُه الذي نزلَ به آدمُ من الجنة يضعُهُ إذا دَخل الخلاءَ عند امرأة من نسائه تُسمَّى الأمينة، وكان كلُّ مَنْ لَبسه يملك الدنيا بما فيها، فوَضعه عندها مرَّةً، فجاءَها شيطانٌ يُسمَّى صخراً الماردَ، وتشكَّلَ بشكْلِ سليمان، وطلب الخاتمَ، فأعطَته له، ثم أتى الكرسي وجلس عليه أربعين يوماً، فجمَعت الشياطينُ

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ ....

فلَما ماتَ دَلَّت الشَّياطِين عليها النَّاس فاستَخرَجُوها، فوَجَدُوا فِيها السِّحرَ، فقالُوا: إنَّما مَلَكَكُم بِهذا فتَعلَّمُوه، ورَفَضُوا كُتُب أنبِيائِهم، قال تَعالى تَبرِئةً لِسُليمانَ ورَدًّا على اليَهُود في قَولِهم: (انظُرُوا إلى مُحمَّد! يَذكُر سُلَيمانَ في الأنبِياء وما كانَ إلَّا ساحِراً): ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ أي: لم يَعمَل السِّحرَ لِأنَّهُ كُفرٌ، ﴿وَلَكِنَّ﴾ - بِالتَّشدِيدِ والتَّخفِيف -

حاشية الصاوي

كتبَ السحرِ ودفَنتها تحت كرسيِّهِ، ثم لما انقضت المدَّةُ وجاء الأمرُ بِتَولية سليمان ثانياً طارَ الشيطانُ، فوقع الخاتم في البحر، فحمَلته دابةٌ من دوابِّ الماء وأتَته به، فأمرَ سليمانُ الشياطين أن يأتُوا بصخر المارد، فأتوه به، فأمرَهم أن يفتحوا صخرةً، ففعلوا، ثم أمرَهم أن يَضعوه فيها ويسدُّوا عليه بالرصاص والنحاس ويرمُوه في قعرِ البحر المِلْحِ، ففعلوا، فلمَّا مات سليمان دلَّت الشياطينُ على تِلك الكتب المدفونة الناسَ[(١)].

وقيل: إنها استرقته الشياطينُ من السماء، فكان الشيطانُ يسمعُ الكلمةَ الصدقَ ويضعُ عليها تسعةً وتسعِين كذبةً ويُلقيها إلى الكهنة، إلى آخرِ ما قال المفسِّر[(٢)].

قوله: **(دلت الشياطين)** المراد الجنس؛ لأن الذي دلَّ شيطانٌ منهم.

قوله: **(لأنه كفر)** أي: في شَرعه، وأما في شرعنا ففيه تفصيلٌ؛ فإن اعتقدَ صحته وأنه يؤثِّرُ بنفسه فهو كفرٌ، وأما إن تَعلَّمه ليسحرَ به الناسَ فهو حرامٌ، وإن كانَ لا لشيءٍ فهو مكروهٌ، وإن كان ليبطلَ به السحرَ فجائزٌ[(٣)].

وعرَّفَه ابنُ العربي: بأنه كلامٌ مؤلَّفٌ يُعظَّمُ به غيرُ الله، وتُنسبُ له المقاديرُ[(٤)]، فعليه هو كفرٌ حتى في شَرعنا، وعبارةُ الغزاليِّ تفيدُ ما قاله ابنُ العربي[(٥)].

---

(١) الخبر بِطوله عند الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٢٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٨) عن وهب بن منبه، وهي قصة باطلة موضوعة، لا تناسب قدر الأنبياء وعَظمتهم. فتنبَّه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٨٧)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٠٥) بنحوه.

(٣) وزاد العلامة الرازي الوجوب إن توقَّف على تعلمه بيانُ الفرق بينه وبين المعجزة. انظر «تفسيره» (٣/ ٦٢٦).

(٤) «أحكام القرآن» (١/ ٤٨).

(٥) قال إمامنا الغزالي في «الإحياء» (١/ ١٦): (وتقرن به كلماتٌ يتلفظ بها من الكُفر والفحش المخالف للشرع، ويتوصَّل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى العادة أحوالٌ غريبة =

﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ﴾ ....

﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ - الجُملةُ حال مِن ضَمير ﴿كَفَرُواْ﴾ - ﴿وَ﴾ يُعَلِّمُونَهم ﴿مَا أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ أي: أُلهِماهُ مِن السِّحر، - وقُرِئ بِكَسرِ اللَّام - الكائِنَين ﴿بِبَابِلَ﴾: بَلَد في سَوادِ العِراقِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ﴾) إما بدلٌ من ﴿كَفَرُواْ﴾ بدلَ فعلٍ من فعل، على حدِّ: (إنْ تُصَلِّ تسجُدْ للهِ يرحمْك)، أو خبرٌ بعد خبر، أو جملةٌ مستأنفة، أو حالٌ من ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾، أو حالٌ من الواو في ﴿كَفَرُواْ﴾، فهذه خمسُ احتمالاتٍ[1]، اختار المفسِّر آخرَها.

قوله: (﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَا أُنزِلَ﴾) أشار بذلك إلى أن (ما) اسمٌ موصول معطوف على ﴿ٱلسِّحۡرَ﴾ من عطف الخاصِّ على العامِّ، والنكتةُ: قوةُ ما أُنزل على الملكين وصُعوبته، ويحتمل أنه مغايِر، وأن ما أُنزل على الملكين وإن كان سحراً إلا أنه نوعٌ آخرُ منه غيرُ متعارفٍ بين الناس.

قوله: (وقُرِئ) أي: قراءة شاذة[2]، وفيها دليلٌ لمن يقول: إنهما ليسا ملكين حقيقيَّين، وإنما هما رجلان صالحان، وسُمِّيا بذلك لِحسنهما وصلاحهما، على حدِّ ما قيل في يوسف: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ [يوسف: ٣١].

قوله: (الكائنين) قدَّره إشارةً إلى أن ﴿بِبَابِلَ﴾ جار ومجرور متعلِّق بمحذوف صفة لـ﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾.

قوله: (﴿بِبَابِلَ﴾) ممنوع من الصرف لِلعَلمية والتأنيث أو العُجمة، مأخوذة من البَلبلة[3]؛ لأن أهلها كانوا يتكلَّمون بِثمانين لغةً، وأوَّلُ من اختطَّها نوحٌ، وسمَّاها ثمانين.

= في الشخص المسحور)، وقال في «الوسيط» (٦/ ٤٠٨) عن تعلم السحر: (إن كان فيه مباشرة محظور من ذِكر سُخف أو ترك صلاة فذلك هو الحرام، فأما تعرُّفُ حقائق الأشياء على ما هي عليها فليس بِحرام، وإنما الحرامُ الإضرارُ بفعل السحر، لا بِتعلمه).

(١) «الدر المصون» (٢/ ٣٠)، وقوله: (تسجُدْ) بدل بعض من كل في الأفعال، وانظر «حاشية الصبان على الأشموني» (٣/ ١٩٤).

(٢) قرأ بها ابن عباس والحسن وأبو الأسود الدؤلي والضحاك وابن أبزى. انظر «البحر المحيط» (١/ ٤٩٧)، و«المحتسب» (١/ ١٠٠).

(٣) البلبلة: اختلاط الألسنة، والتفرقة، واختلاف الآراء.

هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ....

﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ ـ بدلٌ أو عَطفُ بَيان لِلمَلَكين ـ قال ابنُ عبَّاس: هُما ساحِرانِ كانا يُعَلِّمانِ السِّحرَ، وقِيل: مَلَكانِ أُنزلا لِتَعليمِه ابتِلاءً مِن الله لِلنَّاس، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ ـ زائِدةٌ ـ ﴿أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ لَه نُصحاً: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بَلِيَّةٌ مِن الله إلى النَّاس لِيَمتَحِنهُم بِتَعليمِه؛ .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾) هما ممنوعان من الصرف للعَلَمية والعجمة، ويُجمعان على: هواريت ومَواريت، أو على: هَوارية وموارية، مأخوذان من: الهَرْتِ والمَرْتِ، وهو الكسر، ولكن حيث قُلنا: إنهما أعجميان، فلا يُتصرَّفُ فيهما، ولا يُعلمُ لهما اشتقاق.

قوله: (هما ساحران) قدَّم هذا القولَ إشارةً لِقوَّته، وأنهما رجلانِ ساحِران وليسا ملَكَين[1].

قوله: (ابتلاء من الله) أي: اختباراً وامتحاناً، وقِصة هاروت وماروت على القول بثبوتها: أن الملائكةَ لمَّا رأوا أعمالَ بني آدم الخَبيثة في زمن إدريسَ تصعدُ إلى السماء قالُوا: سبحانك يا ربَّنا! خلقتَ خلقاً وأكرمتهم وهم يَعصونك؟! فقال الله تعالى لهم: لو ركَّبتُ فيكم ما ركَّبتُ فيهم لفَعلتم فعلَهم، فقالوا: سُبحانك! لا نعصيك أبداً، فقال: اختاروا لكم ملَكين، فاختاروا هاروتَ وماروتَ، وكانا من أصلَحِهم، فركَّب اللهُ فيهما الشهوةَ، وأمرَهما بالهبوط إلى الأرض والحُكم بين الناس بالحقِّ، ونهاهما عن الشركِ والقتل والزنا وشُرب الخمر، وعلَّمَهما الله الاسمَ الأعظم، فكان إذا أمسى الوقتُ صَعدا به إلى السماء، ثم إنه جاءت إليهما امرأةٌ تُسمَّى الزُّهَرَةَ[2]، وكانت جميلةً جدًّا، فلما وقعَ نظرُهما عليها أخذت بِقلوبهما، فراوَداها عن نفسها، فأبَتْ إلا أن يحكما لها على زوجها، ففَعلا، فراوداها، فأبَتْ إلا أن يَقتلاه، ففعلا، ثم راوداها، فأبَتْ إلا أن يشربا الخمرَ، ففَعلا، ثم راوداها، فأبت إلا أن يسجُدا للصنم، ففَعلا، ثم راوداها، فأبَت إلا أن يُعلِّماها الاسمَ الذي يصعدانِ به إلى السماء، ففَعلا، فتلَتْهُ، فصَعدت به إلى السماء، فمسَخَها الله كوكباً، فهي الزُّهَرَةُ

---

(١) يرى العلامة الرازي رحمه الله تعالى أن هاروت وماروت مَلَكان نزلَا إلى الأرض في أيامٍ فشا فيها السحر والشعبذة وادعاء النبوة، فالتبس على الناس أمر السحر وظنُّوه معجزة صاحبُها نبي، فأرسل الله تعالى هذين الملكين لِيُعلما الناس السحر وليبينا أن أمره لا يصلُ إلى رتبة المعجزة على الإطلاق، فإذا عُرف السحر عُرِفت المعجزة، وبطلت دعوى الأفاكين والكَذبة للنبوة، وقولهما: لا تكفر؛ أي: عرفتَ أن ذا ليس بمعجزة، بل هو سحر، فلا تكفر باتباع السحرة. انظر «الأربعين في أصول الدين» له (ص١٢٧).

(٢) بوزان تُؤَدَة، وتسكين الهاء إما لحن أو ضرورة. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٢/ ٢١٤).

فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ....

فمَن تعلَّمه كفَرَ، ومَن تركَه فهو مُؤمِنٌ، ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلُّمِه، فإن أبى إلَّا التَّعلِيم علَّماهُ، ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ بأن يُبغِض كُلًّا إلى الآخَرِ، ....

حاشية الصاوي

المعروفة، فلمَّا عَلما ذلك أرادا تلاوةَ الاسم الأعظم، فلم تُطاوِعْهما أجنحتُهما، فذهبا إلى إدريسَ وسَألاه أن يشفعَ لهما عند الله، ففعل ذلك، فخيَّرَهما اللهُ بين عذاب الدنيا والآخرة، فاختارا عذابَ الدنيا؛ لِعلمهما بانقطاعه، فهما ببابلَ معلَّقانِ بِشعورهما يُضربان بسياطٍ من حديد إلى يوم القيامة، مُزرقَّة أعينُهما، مُسودَّة جلودُهما، وما زالا يعلِّمان الناس السحر.

وقد اختُلف في صِحة هذه القصة وعدمها؛ فاختار الحافظُ ابنُ حجر الأولَ؛ لِورودها من عِدَّة طرق عن الإمام أحمدَ بنِ حنبل[(١)]، واختارَ البيضاويُّ ومَن تبعه الثانيَ؛ لأنه لم يثبُتْ روايتُها إلا عن اليهود[(٢)].

قوله: (فمَن تعلَّمه كفر) أي: إن اعتقدَ صحَّتَه وتأثيرَه.

قوله: (﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾) معطوف على ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾.

إن قلتَ: إن الأول منفيٌّ، والثاني مثبتٌ، وكيف يصحُّ عطف المثبت على المنفي؟

أجيبَ: بأنه في المعنى مُثبتٌ، التقديرُ: ويعلمون الناسَ السحرَ قائلين لهم: إنما نحنُ فتنةٌ فلا تكفُر.

---

(١) وعبارته في «فتح الباري» (١٠/ ٢٢٥): (وقصة هاروت وماروت جاءت بسند حسن من حديث ابن عمر في «مسند أحمد»، وأطنب الطبري في إيراد طرقها بحيث يُقضى بمجموعها على أن للقصة أصلاً، خلافاً لمن زعم بُطلانها كعياض ومَن تبعه)، وقال في «القول المسدد» (ص٣٩): (وله طرق كثيرة جمعتها في جزء مُفرد يكاد الواقف عليه أن يقطع بِوقوع هذه القصة؛ لكثرة الطرق الواردة فيها وقوة مخارج أكثرها، والله أعلم)، والإمام السيوطي ممن انتَصر لهذا الخبر في «الدر المنثور»، قال في «حاشيته على البيضاوي» (٢/ ٢٩٠): (ما ذكره من إنكار ذلك سبقَه إليه جماعة: منهم: القاضي عياض في «الشفا»، وليس كذلك، بل القصة ثابتة، وقد استَوعبتُ طرقها في التفسير المسند، والحاصل أنها وردت مرفوعة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما).

(٢) وعبارة القاضي البيضاوي في «تفسيره» (١/ ٩٨) بعد سوق الخبر: (محكي عن اليهود، ولعله من رُموز الأوائل، وحلُّه لا يخفى على ذوي البصائر)، فجعل الخبر من الإشارات، وأورد حلَّه الخطيب في «تفسيره» (١/ ٨٢) عن الشيخ زكريا الأنصاري، قال الخازن في «تفسيره» (١/ ٦٦) بعد إيراد القصة: (والأولى تنزيه الملائكة عن كل ما لا يَليق بمنصبهم)، والآحاد المحتملة لا تُعارض المتواترات القطعية.

وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ ....

﴿وَمَا هُم﴾ أي: السَّحَرة ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾: بِالسِّحرِ ﴿مِنْ﴾ - زائِدةٌ - ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾: بِإرادتِه، ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخِرةِ ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾ وهو السِّحرُ، ﴿وَلَقَدْ﴾ - لامُ قَسم - ﴿عَلِمُوا۟﴾ أي: اليَهودُ ﴿لَمَنِ﴾ - لامُ ابتِداء مُعلِّقة لِما قَبلها، و(مَن) مَوصُولةٌ - ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾: اختارَهُ أو استبدَله بِكِتابِ الله، ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ﴾: نَصِيبٍ في الجَنَّة، ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شَيئاً ﴿شَرَوْا۟﴾: باعُوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ﴾ أي: الشَّارِينَ أي: حَظَّها مِن الآخِرة أن تَعَلَّمُوهُ، حيثُ أوجَبَ لَهُم النَّار، ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ حَقِيقةَ ما يَصِيرُونَ إليهِ مِن العَذاب ما تَعَلَّمُوه.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: اليَهودَ ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بِالنَّبِيِّ والقُرآنِ ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ عِقابَ الله بِتَركِ مَعاصِيه كالسِّحرِ، وجَواب (لَو) مَحذُوفٌ، أي: لَأُثِيبُوا، دَلَّ عليه: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: ثَوابٌ - وهو مُبتَدأ واللَّام فِيهِ لِلقَسَمِ - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا هُم﴾ ... إلخ) يحتمل أن (ما) حجازيةٌ، و﴿هُم﴾: اسمُها، و﴿بِضَآرِّينَ﴾: خبرُها، والباء زائدةٌ في خبرها، ويحتمل أنها تَميميةٌ، وما بعدها مبتدأٌ وخبرٌ، والباءُ زائدةٌ في خبر المبتدإ.

قوله: (أي: اليهود) أي: جميعهم؛ لأنهم عَلِموا ذلك في التوراة.

قوله: (و(مَن) موصولة) أي: وهي مبتدأٌ، و﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ صلتُها، وجملةُ ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ... إلخ﴾ خبرُها، والجملةُ منها ومِن خبرها سادَّةٌ مسدَّ مفعولي (علمَ).

قوله: (باعوا) أشار بذلك إلى أنه يُطلَق الشراءُ على البيع، قال تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠].

قوله: (أن تعلموه) (أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدرٍ هو المخصوصُ بالذم، وقوله: (حيثُ أوجب لهم النار) (حيثُ): تعليليةٌ.

قوله: (﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾) لا مُنافاةَ بينه وبين قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟... إلخ﴾؛ لأنهم عَلموا أنهم ليس لهم نصيبٌ في الآخرة، ولكن لم يَعلموا أنهم لا يُفلتونَ من العذاب الدائم.

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ ....

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ ـ خَبَرُه ـ مِمَّا شَرَوا بِه أنفُسَهم، ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهُ خَير لَما آثَرُوه عليه.

﴿١٠٤﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟﴾ لِلنَّبِيِّ: ﴿رَٰعِنَا﴾ ـ أمرٌ مِن المُراعاةِ ـ، وكانُوا يَقولونَ لَه ذلك، وهي بِلُغةِ اليَهود سَبٌّ مِن الرُّعُونة، فسُرُّوا بِذلك وخاطَبُوا بِها النَّبِيَّ، فنُهِيَ المُؤمِنون عَنها، ﴿وَقُولُوا۟﴾ بَدَلها: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ أي: انظُر إلَينا، ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما تُؤمَرُونَ بِه سَماعَ قَبُولٍ، ﴿وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ هو النَّار.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عِندِ ٱللَّهِ﴾) صفة لـ(مَثوبة)، وأصلها: مَثْوُبَة بوزن مَفْعُلَة، نُقلت ضمةُ الواو إلى الثاء.

قوله: (لما آثرُوه عليه) أي: لما قدَّموا السحرَ على ما عند الله، وهو إشارةٌ إلى جواب (لو).

قوله: (﴿رَٰعِنَا﴾) أي: اشمَلْنا بنظرك ليفتحَ الله علينا؛ لأنهم كانوا يقولونها عند سماعهم الوحيَ منه.

قوله: (أمر من المراعاة) أي: وهي المبالغةُ في الرعي وحِفظ الغير.

قوله: (سبٌّ من الرعونة) أي: الحمقِ والجهل وقلَّة العقل، أو معناها: اسمَعْ لا سمعْتَ، وعليه فهي عبرانية أو سُرْيانية، وعلى ما قاله المفسِّر فهي عَربية.

رُوي: أن سعدَ بن معاذ رضي الله عنه سمع اليهود يقولونها لِرسول الله، فقال: يا أعداءَ الله؛ عليكم لَعنة الله، لئن سمعتُها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربنَّ عنقَه، قالوا: أوَلستم تقولونها؟ فنزلت الآيةُ(١)، ونُهيَ فيها المؤمنون عن ذلك؛ قطعاً لألسنة اليَهود عن التدليس، وأمروا بما في معناها، ولا يقبلُ التدليس الذي هو انظرْنا.

قوله: (أي: انظر إلينا) أشار بذلك إلى أنه من باب الحَذف والإيصال، حذفَ الجارَّ فاتصلَ الضمير.

قوله: (سماع قبول) أي: بحضور قَلب عند تلقي الأحكام، فإنه إذا وُجدت القابليةُ من الطالب مع نظرِ المعلِّم حصلَ الفتحُ العظيم.

---

(١) الخبر رواه أبو نعيم في «الدلائل» بِسند ضعيف جدًّا عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر «فتح الباري» (١/ ١٦٣).

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)﴾ ....

(١٠٥) ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ مِنَ العَرَبِ - عَطْفٌ على ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، و﴿مِنْ﴾ لِلبيانِ - ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿خَيْرٍ﴾: وَحيٍ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حَسَداً لَكُم، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾: نُبُوَّتِه ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

(١٠٦) ولَمَّا طَعَنَ الكُفَّارُ في النَّسخِ وقالُوا: (إنَّ مُحمَّداً يَأمُر أصحابَه اليَومَ بِأمرٍ، ويَنهَى

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا يَوَدُّ﴾) من المودَّة، وهي المحبة؛ أي: ما يحبُّ، وقوله: (﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾) فاعلُ ﴿يَوَدُّ﴾، و﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ... إلخ﴾ بيانٌ لـ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قوله: (﴿وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾) معطوفٌ على ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، و(لا) زائدةٌ لتوكيدِ النفي.

قوله: (﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾) في تأويل مصدر مفعول ﴿يَوَدُّ﴾، و﴿مِنْ﴾ زائدةٌ، و﴿خَيْرٍ﴾: نائبُ فاعلِ ﴿يُنَزَّلَ﴾، والتقدير: ما يحبُّ الذين كفروا وهم أهلُ الكتاب والمشركون إنزالَ خيرٍ من ربكم عليكم.

قوله: (حسداً لكم) تعليلٌ للنفي، وحسدُ اليهودِ بسبب زعمِهم أن النبوةَ لا تليقُ إلا بهم؛ لكونهم أبناءَ الأنبياء، وحَسدُ مشركي العربِ بسبب ما عِندهم من الرئاسة والفخر، فقالوا: لا تليقُ النبوةُ إلا بنا.

قوله: (﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ﴾) يُستعملُ متعدياً ولازماً، فعلى الأول: فاعلُه ضمير مستتر فيه، والموصولُ بصلته في محلِّ نصبٍ على المفعولية، والمعنى: واللهُ يخصُّ... إلخ، وعلى الثاني: الفاعلُ هو الموصول بصِلته، والمعنى: والله يتميَّزُ برحمته مَنْ يَشاؤه[1].

قوله: (﴿الْعَظِيمِ﴾) أي: الواسع.

قوله: (ولما طعن الكفار... إلخ) أشار بذلك إلى سَبب نزول الآية، والمقصودُ من ذلك بيانُ

---

(١) في (ط١): (يميز) بدل (يتميز)، ولعل الصواب ما أثبت، وهو موافق لما في «الفتوحات» (١/ ٩١)، ومعنى يتميز: ينفرد، ففاعل (يتميز) هو الاسم الموصول مع صِلته (من يشاؤه)، وانظر «البحر المحيط» (١/ ٥١٠).

مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ....

عنهُ غداً)، نزَل: ﴿مَا﴾ ـ شَرطِيَّة ـ ﴿نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي: نُزِلْ حُكمَها ....

حاشية الصاوي

حكمةِ النسخ، والردُّ على الكفار حيث قالوا: إن القرآن افتراءٌ من محمد، فلو كان من عند الله لما بُدِّلَ فيه وغُيِّرَ[1]، ورُدَّ عليهم أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ...﴾ [النحل: ١٠١] الآية، وقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ﴾ [يونس: ١٥].

قوله: (شرطية) أي: وهي نكرةٌ بمعنى شيء معمولةٌ لـ﴿نَنسَخْ﴾[2]، وقوله: ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾: بيان لـ(ما).

قوله: (﴿نَنسَخْ﴾) من النسخ، وهو **لغةً**: الإزالة والنقل، يُقال: نسَختِ الشمسُ الظلَّ، أزالته، ونسختُ الكتابَ: نقلتُ ما فيه، **واصطلاحاً**: بيانُ انتهاء حكم التعبُّد إما باللفظِ أو الحكمِ أو بهما، **فنسخُ اللفظِ والحكمِ**: كـ«عشرُ رضعاتٍ معلوماتٍ يُحرِّمْنَ»[3]، **ونسخُ اللفظ دون الحكم**: «الشيخُ والشيخةُ إذا زنَيا فارجموهما البتةَ»[4]، **ونسخُ الحكم دون اللفظِ**: كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ...﴾ [البقرة: ١٨٠] الآية، نُسخت بآية المواريث، وبقوله ﷺ: «لا وصيَّةَ لوارثٍ»[5]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ...﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية، فنُسخت بقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [٢٣٤] إلى غير ذلك.

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص٣٧).

(٢) في محل نصب مفعول مُقدم لـ(ننسخ) على الراجح، والتقدير: أيَّ شيء ننسخ. انظر «الدر المصون» (٢/ ٥٥)، وقال العلامة ابن عاشور في «تفسيره» (١/ ٦٥٥): (ما: شرطية، وأصلها الموصولة أُشربت معنى الشرط، فلذلك كانت اسماً للشرط يَستحق إعراب المفاعيل).

(٣) روى مسلم (١٤٥٢) عن عائشة ﵂ أنها قالت: (كان فيما أُنزل من القرآن: عشر رَضعات معلومات يحرمن، ثم نُسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ، وهُنَّ فيما يقرأ من القرآن) أي: لِقُرب النسخ من وفاته ﷺ.

(٤) كما روى مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٢٤)، ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧١٠٧)، وابن ماجه (٢٥٥٣)، وأصلُه في «الصحيحين» دُون التصريح بالمنسوخ لفظاً.

(٥) رواه أبو داوود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٤٣٥)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأصله في «الصحيحين».

أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ....

إمَّا مع لَفظِها أو لا، ـ وفي قِراءة بِضَمِّ النُّون مِن (أَنسَخ) ـ أي: نَأمُرك أو جِبرِيلَ بِنَسخِها، ﴿أَوْ نَنسَأْهَا﴾: نُؤَخِّرها فلا نُزِلْ حُكمَها ونَرفَعُ تِلاوَتها، أو نُؤَخِّرْها في اللَّوح المَحفُوظ، ـ وفي قِراءة بِلا هَمزٍ مِن النِّسيان ـ أي: نُنسِكَها، أي: نَمْحُها مِن قَلبِك، ـ وجَوابُ الشَّرط ـ: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾: أنفعَ لِلعِبادِ في السُّهُولة ....

حاشية الصاوي

قوله: (إما مع لفظها) أي: كـ«عشرُ رضعاتٍ... إلخ».

قوله: (أو لا) أي: بأن نزيلَ حكمَها فقط.

قوله: (أو جبريلَ) في الحقيقة بينهما تلازمٌ[1].

قوله: (فلا نزل[2] حكمها) أي: لا ننسخه بل نُبقيه، وقوله: (ونرفعُ تلاوتَها)[3] أي: ننسخُهُ، فعلى هذا التفسير دخلَ تحت قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ حكمانِ من أحكام النسخ، وهما نسخُ الحكم واللفظ، أو الحكم فقط، وتحت قوله: ﴿أَوْ نَنْسَأْها﴾[4] الحكمُ الثالث، وهو نسخُ اللفظ دون الحكم.

قوله: (أو نؤخرها في اللوح المحفوظ) أي: لا نُطلعكم عليها ولا نعلمكم بها، وعلى هذا التفسير فقد دخلَ تحت قوله: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ الأحكامُ الثلاثة.

قوله: (وفي قراءة بلا همز) المناسبُ أن يقول: وفي قراءةٍ بضمِّ النون من غير همز.

قوله: (من النسيان) الأَولى أن يقول: من الإنساء؛ لأنه مصدر الرباعي.

قوله: (أي: نمحُها من قلبك) أي: وقلبِ أمتك؛ بأن يبقى الحكمُ دون اللفظ، أو يُمحيان.

قوله: (في السهولة) أي: كقوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٦] الآية.

---

(١) والخلاف في التقدير بين ابن عطية والزمخشري، وهو راجع لقول المصنف هنا رحمه الله تعالى، وهذا على قراءة ابن عامر: (ما نُنْسِخ...) من أَنسَخ الرباعي. انظر «البحر المحيط» (١/ ٥١٢).

(٢) كذا في النسخ و«الفتوحات الإلهية» و«الكوكبين النيرين» مخطوطاً، على تقرير السياق.

(٣) في «الكوكبين النيرين» و«الفتوحات» (١/ ٩٢) نقلاً عنه: («ونرفع تلاوتها» مرفوع عطفاً على النفي لا المنفي، فهذا إشارةٌ إلى ثالث أقسام النسخ، وهو نسخُ التلاوة دون الحكم).

(٤) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ باقي السبعة: (نُنْسِها) كما سيأتي. انظر «البحر المحيط» (١/ ٥١٣).

أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ....

أو كَثرةِ الأجرِ، ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في التَّكليفِ والثَّواب، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النَّسخُ والتَّبديل؟ - والاستِفهامُ لِلتَّقرير -.

﴿١٠٧﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يَفعَلُ فيها ما يَشاءُ، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غَيرَه ﴿مِّن﴾ - زائِدةٌ - ﴿وَلِىٍّ﴾ يَحفَظُكُم، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمنَع عَنكُم عَذابَه إن أَتاكُم.

حاشية الصاوي

قوله: (أو كثرة الأجر) أي: كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٨٤]، فليس ثواب مَنْ خُيِّرَ بين الأمرين كثواب مَنْ تحتَّمَ عليه الصوم(١).

قوله: (﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾) أي: كنسخِ استقبال بيت المقدس باستِقبال الكعبة؛ فإنه لا مشقَّةَ في كلٍّ، وليس أحدُهما أكثرَ ثواباً من الآخر.

قوله: (والاستفهام للتقرير) أي: أقِرَّ واعتَرِفْ بكونِ الله قديراً على كلِّ شيء(٢).

قوله: (﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾) (ما): حجازيةٌ، و﴿لَكُم﴾: خبرُها مقدَّم، و﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: حالٌ من ﴿وَلِىٍّ﴾، و﴿مِن﴾: زائدةٌ، و﴿وَلِىٍّ﴾: اسمُها مؤخر، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾: معطوف على ﴿وَلِىٍّ﴾، و(لا) زائدةٌ لتأكيد النفي، ويحتمل أنها تميميةٌ، وما بعدُ مبتدأٌ وخبر، ويحتمل أن (مِن) في قوله: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ زائدةٌ، أو أصليةٌ متعلِّقة بما تعلَّقَ به الخبر.

قوله: (﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾) الفرقُ بين الولي والنصير: أن الولِّي قد يَضعف عن النصرة، والنصير قد يكون أجنبيًّا من المنصور، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ من وجه.

---

(١) وعبارة العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٩٢): («في السهولة» كنسخ وجوب مصابرة الواحد لعشرة بوجوب مصابرته لاثنين، وقوله: «أو كثرة الأجر» كنسخ التخيير بين الصوم والفدية بتعيين الصوم، فالأول في النسخ بالبدل الأخف، والثاني في النسخ بالبدل الأثقل، «أو مِثلها» كنسخ وجوب استقبال بيت المقدس بوجوب استقبال الكعبة، فهما متساويان في الأجر).

(٢) في (أ): (قر) بدل (أقر)، والمثبت من (ط١)، قال العلامة ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١/ ٦٦٥): (ولم يسمع في كلام العرب استِفهام دخل على النفي إلا وهو مراد به التقرير).

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ ....

﴿١٠٨﴾ ونزَلَ لَمَّا سَأَلَهُ أهلُ مَكَّةَ أن يُوسعَها ويَجعَلَ الصَّفا ذَهباً: ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ أي: سَألَهُ قَومُه ﴿مِن قَبْلُ﴾ مِن قَولِهِم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وغَيرِ ذَلك، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يَأخُذْهُ بَدَلَه، بِتَركِ النَّظَرِ في الآياتِ واقتِراحِ غَيرِها، ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطَأ الطَّرِيق الحَقَّ. والسَّواءُ في الأصلِ: الوَسَطُ.

حاشية الصاوي

قوله: (أن يوسعها) أي: بإزالة الجبَلين المحيطين بها.

قوله: (ويجعل الصفا ذهباً) أي: وغيرَ ذلك ممَّا ذكره الله في سورة (الإسراء) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا...﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية، هكذا ذكر المفسِّر[1]، واستُشكل ذلك: بأن هذه السورة مدنيَّة، والسؤال من أهل مكة كان قبل المهاجرة. **فالحقُّ أن يُقال**: إن سببَ نزولِها سؤالُ يهودِ المدينةِ إنزالَ كتاب من السماء؛ بدليل أن السورة مَدنيةٌ، وأن السياقَ في خطاب اليهود، ووجود (أم) التي بمعنى (بل) التي للإضراب الانتقاليِّ المفيدِ أنَّ له تعلُّقاً بما قبله.

قوله: (﴿رَسُولَكُمْ﴾) أي: محمداً ﷺ؛ لأنه رسولُ الخلقِ أجمَعين.

قوله: (﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾) بُنِيَ الفعلُ للمجهول للعلم بالفاعل.

قوله: (وغير ذلك) أي: من قولهم: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٦١]، ومن قولهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ونحو ذلك.

قوله: (﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ﴾) استئنافٌ لبيان حال مَنْ تعنَّتَ على نبيِّه.

قوله: (﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾) من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: السبيل السَّواء، بمعنى المستوي.

قوله: (أخطأ طريق الحقِّ) أي: فقد شبَّهَ الدينَ الحقَّ بالطريق المستوي؛ بجامع أن كلًّا يُوصلُ للمقصود.

---

(١) وأيَّد ذلك برواياته في «الدر المنثور» (١/ ٢٦١) حيث قال: (أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: سألَت قريش محمداً ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: نعم، وهو كالمائدة لبني إسرائيل إن كفرتم، فأبَوا ورجعوا، فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾).

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ....

﴿١٠٩﴾ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾ ـ مَصدريَّة ـ ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ ـ مَفعُولٌ له ـ كائِناً ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: حَمَلَتهُم علَيهِ أنفُسُهم الخَبيثة، ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التَّوراةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾) سببُ نزولها: أن عمارَ بنَ ياسر وحذيفةَ بنَ اليمان لما رجعا مع رسول الله ﷺ من غزوة أحدٍ، اجتمعا برهط من اليهود، فقالوا لهما: ألم نقُلْ لكما: إن دين اليهودية هو الحقُّ وغيرَهُ باطلٌ؟ فلو كان ما عليه محمدٌ حقًّا ما قُتلت أصحابُه مع دَعواه أنه يقاتلُ والله معه! فقال عمار بن ياسر: ما حكمُ نَقض العهد عندكم؟ فقالوا: فظيعٌ جدًّا، فقال: إني عاهدت محمداً على اتباعه إلى أن أموتَ، فلا أنقضُه أبداً، فقالوا: قد صبأ، فقال حذيفة: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام ديناً، والكعبة قبلةً، والقرآن إماماً، والمؤمنين إخواناً، فلمَّا رجَعا أخبرا رسولَ الله بذلك، فقال: «**أصبتُما الخيرَ وأفلَحتُما**»، فنزَلت[1].

قوله: (﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾) من المودَّة، وهي المحبَّة.

قوله: (﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: وهُم اليهود.

قوله: (﴿لَوْ﴾ مصدرية) أي: فتنسبكُ مع ما بعدَها بمصدر مفعول ﴿وَدَّ﴾، التقديرُ: ودَّ كثيرٌ ردَّكم... إلخ، و(ردَّ): تنصبُ مفعولين؛ لأنها بمعنى صيَّرَ، مفعولُها الأول الكافُ، والثاني ﴿كُفَّارًا﴾، ويصحُّ أن تكونَ ﴿لَوْ﴾ شرطيةً، وجوابُها محذوف تقديرُه: فيُسرُّون ويفرحون بذلك.

قوله: (كائناً) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ متعلِّقٌ بمحذوف صفة لـ﴿حَسَدًا﴾، و﴿مِّنْ﴾ ابتدائية[2].

قوله: (﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾) متعلق بـ﴿وَدَّ﴾، و﴿مَا﴾: مصدرية؛ أي: من بعد تبيُّنِ الحقِّ لهم، وهذا أبلغُ قبح منهم؛ لأنهم عرَفوا الحقَّ فلم يهتدوا، ومع ذلك وقعت المراودةُ لغيرهم على الضلال، فقد ضلُّوا وأضلُّوا.

---

(١) كذا في «تفسير الثعلبي» (١/ ٢٥٧)، و«تفسير البغوي» (١/ ١٣٥) من غير إسناد.

(٢) لابتداء الغاية؛ أي: إن وَدادتهم ذلك ابتدئت من حين وضوح الحقِّ وتبينه لهم، فكفرُهم عناد. «الفتوحات» (١/ ٩٤).

ٱلْحَقُّ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ....

﴿ٱلْحَقُّ﴾ في شَأنِ النَّبِيِّ، ﴿فَٱعْفُوا۟﴾ عَنهم أي: اتركُوهُم، ﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾: أعرِضُوا فلا تُجازُوهُم، ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فِيهِم مِن القِتالِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: طاعةٍ كصِلةٍ وصَدَقةٍ، ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابَه ﴿عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿١١١﴾ ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾: جَمعُ هائِد، ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾، قالَ ذلك يَهُودُ المَدِينةِ ونَصارَى نَجرانَ لَمَّا تَناظَرُوا بَين يَدَي النَّبيِّ ﷺ، أي: قال اليَهُود: لن يَدخُلَها إلَّا اليَهُودُ، وقال النَّصارَى: لن يَدخُلَها إلَّا النَّصارَى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱعْفُوا۟﴾) أي: لا تُؤاخذوهم بهذه المقالة، وقوله: (﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾) أي: لا تلُومُوهم، فبينهما مغايرةٌ، وقيل: متَّحدان، وعليه مشى المفسِّر، ومعناهما: عدمُ المؤاخَذة[1].

ولم يؤمر النبيُّ وأصحابه بِقتالهم مع أنهم ناقضون للعهد بتِلك المقالة؛ لأن الواقعةَ كانت بعد غزوة أُحُد، فكان الإذْنُ في القتال حاصلاً!

فالجواب: أن القتالَ المأذونَ فيه كان للمشركين، وأما أهلُ الكتاب فلم يُؤمروا بقتالهم إلا في غزوة الأحزاب، قيل: قبلها، وقيل: بعدها، فقتل قريظةَ، وأجلى بني النضير، وغزا خَيبر.

قوله: (من القتال) أي: الخاصّ بهم.

قوله: (﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾) العنديَّةُ معنويةٌ، على حدِّ: لي عند زيد يدٌ؛ أي: مَصونٌ ومحفوظٌ مدَّخر.

قوله: (قال ذلك يهود المدينة... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (لمَّا تناظروا) (لمَّا): حينيةٌ، ظرفٌ لـ(قالوا).

قوله: (لن يدخلها إلا اليهود) سُمِّيت اليهودُ بذلك لأنهم هادوا ـ بمعنى رجعوا ـ من عبادة العجل، وسُمِّيت النصارى بذلك لأنهم نَصروا عيسى، وهو جمع نَصْران أو نَصْرِي[2].

---

(١) فعلى هذا يكون العطفُ في الآية للتأكيد، وحسَّنَهُ تغايرُ اللفظَين. «الفتوحات» (١/ ٩٤).

(٢) تقدم كلام فيه، وذكر المفسّر أن هوداً جمع هائد؛ وهو كعُوذ وعائذ وبُور وبائر، ومؤنثه هائدة.

تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ....

﴿تِلْكَ﴾ القولةُ ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: شَهواتُهم الباطِلة، ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾: حُجَّتَكُم على ذلكَ ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيه.

﴿١١٢﴾ ﴿بَلَى﴾ يَدخُلُ الجَنَّة غَيرُهُم، ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي: انقادَ لِأمرِه، وخَصَّ الوَجه لِأَنَّهُ أشرَفُ الأعضاءِ فغَيرُه أولى، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوَحِّدٌ، ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ أي: ثَوابُ عَمَلِه الجَنَّة، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرةِ.

﴿١١٣﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾ مُعتَدٍّ بِه، وكَفَرَت بِعيسَى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾) مبتدأٌ وخبر، وجمعَ الخبرَ مع كون المبتدإ مفرداً؛ لأنه جمعٌ في المعنى؛ لأنه عائدٌ على القَولة، وهي بمعنى المقالات.

قوله: (﴿هَاتُوا﴾) قيل: اسمُ فعل أمر، وقيل: فعلُ أمر، وقيل: اسمُ صوت، والحقُّ الوسطُ؛ لِلُحوق العلامةِ لها، والمعنى: أحضِروا.

قوله: (﴿بُرْهَانَكُمْ﴾) قيل: مأخوذٌ من البُرْهة؛ أي: القطعة؛ لأن به قطعَ حجَّةِ الخَصم، وقيل: من البرهن؛ أي: البيان، فعلى الأول ممنوعٌ من الصرف، وعلى الثاني مصروف[1].

قوله: (﴿بَلَى﴾) أي: لا يدخلُها أحدٌ منكم.

قوله: (﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾) أي: دخل الإسلام بوجهه؛ أي: بِذاته، ومعناه: انقادَ بظاهره، وقوله: (موحد) أي: بِباطنه، لا منافق، بل مُنقادٌ بظاهره، مؤمنٌ مُوحدٌ بباطنه.

---

(١) ونَص العلامة السمين في «الدر المصون» (٢/ ٧٢) وفيه مزيد إيضاح: (واختلف فيه على قولين؛ أحدهما: أنه مُشتق من البَرَهِ، وهو القطع، وذلك أنه دليلٌ يفيد العِلم القطعي، ومنه: بُرهة الزمان؛ أي: القطعة منه، فوزنه فُعلان. والثاني: أن نونه أصلية؛ لثبوتها في بَرهَن يُبرهن بَرهَنة، والبرهنةُ البيان، فبرهنَ فعللَ لا فَعلنَ، لأن فعلنَ غير موجود في أبنيتهم، فوزنه فُعلال، وعلى هذين القولين يترتب الخلاف في صرف بُرهان وعدمه مسمًّى به)، وادعى الأزهري والزمخشري أن بَرهنَ مولد، وأن الصحيح: أبرَه الرجل إن جاء بالبرهان، ولهما مُخالف.

وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ ....

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ مُعتَدٍّ بِه، وكَفَرَت بِمُوسى، ﴿وَهُمۡ﴾ أي: الفَرِيقانِ ﴿يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾ المُنَزَّلَ عليهِم، وفي كِتاب اليَهُود تَصدِيقُ عيسَى، وفي كِتاب النَّصارَى تَصدِيقُ مُوسى، ـ والجُملةُ حالٌ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قالَ هَؤلاءِ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: المُشرِكُونَ مِن العَرَب وغَيرِهم ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾ بيانٌ لِمعنَى ذَلك، أي: قالُوا لِكُلِّ ذِي دِين: (لَيسُوا على شَيءٍ)، ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِ الدِّين، فيُدخِلُ المُحِقَّ الجَنَّة والمُبطِلَ النَّار.

﴿١١٤﴾ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ أي: لا أحَدَ أظلَمُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (معتَدٍّ به) أي: بل هم على باطل، وقدَّرَهُ المفسِّر إشارةً إلى أن صفةَ (شيءٍ) محذوفةٌ، وهذه أصدَقُ مقالةٍ قالتها اليهودُ والنصارى.

قوله: (وكفرت بعيسى) أي: وزعمت أنها قتلته.

قوله: (﴿يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾) المرادُ به بالنسبة لليهود التوراةُ، وبالنسبة للنصارى الإنجيلُ.

قوله: (المشركون من العرب... إلخ) أي: فالمرادُ من ذلك تَسليةُ رسول الله على ما وقع من المشركين؛ فإن اليهودَ والنصارى كفروا وضلُّوا مع عِلمهم بالحقِّ، فكيف بمن لا علمَ عنده؟ فلا يُستغربُ ذلك منهم.

قوله: (﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾) أي: الفِرَقِ المذكورة؛ اليهودِ والنصارى ومشركي العرب ومَنْ أسلَمَ وجهه لله وهو مُحسن.

قوله: (﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾) (مَنْ): اسمُ استفهام مبتدأٌ، و﴿أَظۡلَمُ﴾: خبرُه.

قوله: (أي: لا أحدَ أظلم) استُشكلَ بأنه يقتضي أن مَنْ منعَ مساجدَ الله من ذكر اسمه فيها لم يُساوه أحدٌ في الظلم، فكيف ذلك مع قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١]، ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ٥٧]، ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ...﴾ [الزمر: ٣٢] الآية، المقتضي كلُّ آية منها أنه لا أحدَ أظلمُ ممَّن ذُكر فيها؟!

مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ....

﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بِالصَّلاةِ والتَّسبِيح، ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ بِالهَدمِ أو التَّعطِيل، نَزَلَت إخباراً عَن الرُّوم الَّذين خَرَّبُوا بَيت المَقدِس، أو في المُشرِكِين لَمَّا

حاشية الصاوي

وأُجيب: أن هؤلاءِ الموجودين في الآيات ظُلمُهم زائدٌ عن غيرهم، وكونُ الظلم الواقع من بعضهم مساوياً للبعض الآخَر أم لا شيءٌ آخرُ، تأمَّل[١].

وأشار المفسِّر بقوله: (أي: لا أحدَ أظلم) إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (﴿مِمَّن مَّنَعَ﴾) يتعدى لمفعولين، الأول بنفسه وهو ﴿مَسَٰجِدَ﴾، والثاني قوله: ﴿أَن يُذْكَرَ﴾، فهو في تأويل مصدر مجرور بـ(مِن)، التقديرُ: لا أحدَ أظلمُ ممَّنْ منع مساجدَ الله من ذكر اسمه فيها، والمنعُ إما بِغلقها، أو تعطيل الناس عنها، أو تخريبها، أو أكل رَيعها، أو التفريط في حُقوقها، والعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصُوص السبب.

قوله: (﴿مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾) جمع مَسجد، سُمِّي باسم السجود؛ لأنه أشرف أركان الصلاة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّهِ وهوَ ساجدٌ»[٢]، ولأنه محلُّ غاية الذلِّ والخضوع لله عزَّ وجل، وإن كان القياسُ فتحَ عينه في المفرد، لكنه لم يُسمَعْ إلا الكسر، فالقراءةُ سُنةٌ متَّبعة.

قوله: (بالصلاة والتسبيح) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بذكر اسمِ الله فيها ما يعمُّ الصلاةَ وغيرَها.

قوله: (نزلت... إلخ) هذا إشارةٌ إلى بيان سببِ نزولها.

قوله: (إخباراً عن الروم... إلخ) قبلَ بعثة الرسول، حين توجَّهت جيوشُ بُخْتَ نَصَّرَ مع

---

(١) وأجيب بغير ذلك، وغالبها خارج عن قانون اللغة كما ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٥٢٧)، وأجاب عن هذا بقوله: (إنما هذا نفي لِلأظلمية، ونفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية، لأن نفي المقيَّد لا يدلُّ على نفي المطلق؛ لو قلتَ: ما في الدار رجل ظريف، لم يدل ذلك على نفي مُطلق رجل، وإذا لم يدل على نفي الظالمية لم يكن تناقضاً، لأن فيها إثباتَ التسوية في الأظلمية، وإذا ثبَتت التسوية في الأظلمية لم يكن أحدٌ ممن وصف بذلك يَزيد على الآخر، لأنهم يتساوون في الأظلمية، وصار المعنى: لا أحد أظلَم ممن منع، وممن افترى، وممن ذكر، ولا إشكالَ في تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدلُّ على أن أحد هؤلاء أظلَم من الآخر، كما أنك إذا قلتَ: لا أحد أفقَه من زيد وعمرو وخالد، لا يدلُّ على أن أحدهم أفقَه من الآخر، بل نفي أن يكون أحد أفقَه منهم).

(٢) رواه مسلم (٤٢) من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعاً.

أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ ....

صَدُّوا النَّبِيَّ ﷺ عامَ الحُدَيبِيَة عن البيتِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾ خَبَرٌ بِمعنَى الأمر، أي: أَخِيفُوهُم بِالجِهادِ ....

حاشية الصاوي

نصارى الروم لِتَخريب بيت المقدس[1]، وكان بُختَ نَصَّرُ مجوسيًّا من أهل بابل، وذلك حين قتلَ بنو إسرائيل يحيَى بن زكريا، ولم يزَلْ كذلك حتى بناهُ المسلمون في خِلافة عمر بن الخطاب.

قوله: (**عام الحديبية**) أي: عامَ ستٍّ من الهجرة، حينَ خرج رسولُ الله ﷺ في ألفٍ وأربع مئة من أصحابه بقَصد العمرة، قصَده المشركون وهو بالحديبِية، فتحلَّلَ ورجع[2].

قوله: (﴿أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾) المعنى: ليس لهم دخولُها ـ يعني: البيتَ أو بيت المقدس ـ في حال من الأحوال إلا في حالٍ كونهم خائفين.

قوله: (**خبرٌ بمعنى الأمر**) أي: فالجملةُ خبريةٌ لفظاً، إنشائيةٌ معنًى[3].

وقوله: (**أي: أخيفوهم بالجهاد**) أي: فالمرادُ من الآية: أن اللهَ كلَّفَنا بقتالهم ومَنعِهم عن المسجد الحرام وبيت المقدس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨]، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ عليًّا بعد الفتح يُنادي في الناس: «**أَلَّا يطوفَ بالبيت عُريانٌ، وأَلَّا يَحُجَّ بعد هذا العام مُشركٌ**»[4]، وفي خلافة عمرَ فتحَ الشام ومدينةَ بيت المقدس، ومنعَ المشركين من دخول بيت المقدس، ويحتملُ أنه خبرٌ لفظاً ومعنًى،

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٥٢٠) عن قتادة قال: (أولئك أعداء الله النصارى، حمَلهم بغض اليهود على أن أعانوا بخت نصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس)، والمعروف في كتب التاريخ أن الغزو البابليَّ كان قبل ميلاد المسيح عليه السلام بأكثرَ من خمس مئة عام؛ فكيف يعين النصارى المجوسَ على اليهود؟!
وبخت نصَّر البابلي: يجوز كتابة اسمه موصولاً ومفصولاً كما جرى عليه المخطوط، قيل: بخت بمعنى: ابن، ونصَّر: اسمُ صنم وجد مَطروحاً عنده، فنُسب إليه.

(٢) كما في «الصحيحين»، وسيأتي في سورة الفتح (٦/ ٣٢٩).

(٣) فيه بعد جدًّا، خُصوصاً مع التعبير بـ(كان)، وقد رأيتُ استبعاده منقولاً عن العصام. «الفتوحات» (١/ ٩٧) نقلاً عن «الكوكبين».

(٤) رواه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).

لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ....

فلا يَدخُلُها أحَد آمِناً، ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: هَوانٌ بِالقَتلِ والسَّبيِ والجِزيَة، ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النَّار.

﴿١١٥﴾ ونَزَلَ لَمَّا طَعَنَ اليَهُودُ في نَسخ القِبلَةِ، ....

حاشية الصاوي

فهو إخبارٌ من الله بما وقعَ للنبي ﷺ ومن عمر، وهو الأقربُ كما قال المفسِّرون[١]، ويَصحُّ أن يكون المعنى: ما كان يَنبغي لهم أن يَدخلوها إلا بخشيةٍ وخضوع فضلاً عن أن يجترئوا على تَخريبها، وقيل: غير ذلك.

قوله: (فلا يدخلها أحد آمناً من ذلك) اختلفت المذاهبُ في دخول الكافر المسجد؛ فمَنعه المالكية إلا لحاجة، وفصَّلَ الشافعيةُ فقالوا: إن أذنَ له مسلمٌ في غير المساجِد الثلاثة جاز[٢]، وإلَّا فلا، وجوَّزَه الحنفيةُ مطلقاً[٣].

قوله: (﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ﴾) هذا عامٌّ لكلِّ مَن منع مساجدَ الله من ذكرِ اسم الله فيها، كان مسلماً أو كافراً، فخِزيُ المسلم في الدنيا بالمصائب والفَقر والعمى والموت على غير حالة مرضيَّة، وذكر المفسِّر خزيَ الكافر.

قوله: (هو النار) أي: على سَبيلِ الخلود إن ماتَ كافراً، وعلى سبيل التطهيرِ إن ماتَ مسلماً؛ فإن العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، **وكلُّ آية ورَدت في الكفار فإنها تجرُّ ذيلَها على عُصاة المؤمنين**.

قوله: (لما طعن اليهود في نَسخ القبلة) أي: التي هي بيتُ المقدس؛ فإن النبيَّ ﷺ حينَ قَدم المدينةَ أمرَ بالصلاة لجهة بيت المقدس؛ تأليفاً لليهود، فأشاعُوا أن محمداً تابعٌ لهم في دينهم وشَريعتهم، ثم بعد مُدَّةٍ أمره اللهُ بالانتقال إلى الكعبة، فقالوا: إن محمداً يفعلُ على مُقتضى هواه، وليس مأموراً بشرع، فنزلَت الآية[٤].

---

(١) عامة المفسرين على الإخبارِ، وحملِ المساجد على العُموم، والخوفِ على الخضوع والخشوع.

(٢) «تحفة المحتاج» (٢/ ١٦٨) على تفصيل ينظر.

(٣) «حاشية ابن عابدين» (٤/ ٣٧٨)، (٦/ ٣٨٧) على تفصيل أيضاً.

(٤) روايات الخبر عند الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٣٨).

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ ....

أو في صَلاة النَّافِلةِ على الرَّاحِلة في السَّفَر حَيثُما تَوَجَّهَت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي: الأرضُ كُلُّها لِأَنَّهُما ناحِيَتاها، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾ وُجُوهَكُم في الصَّلاة بِأمرِه ﴿فَثَمَّ﴾: هُناكَ ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾: قِبلَتُه التي رَضِيَها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ يَسَعُ فَضلُه كُلَّ شَيء، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِتَدبيرِ خَلقِه.

حاشية الصاوي

قوله: (أو في الصلاة النافلة) أي: نزَلت في شأن اعتراضِ اليهود على النبيِّ حينَ شُرعت صلاةُ النافلة على الدابَّةِ في السفر حيثُما توجَّهت[١].

قوله: (﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾) أي: مكانُ الشروق والغروب، وهذا ظاهرٌ، وأما آيةُ ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] فباعتبار مَشرقي الصيف والشتاء ومغربَيهما، وأما آيةُ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] فباعتبار مشرق كلِّ يوم ومَغربه؛ لأن للشمسِ طُرُقاً في الشروق والغروب على قَدْرِ أيام السنة.

قوله: (أي: الأرضُ كلُّها) جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ، كأنه قيل: ما وجهُ الاقتصار على المشرق والمغرِب؟ ويحتملُ أن فيه حذفَ الواوِ مع ما عَطَفَت؛ أي: وما بينَهما.

قوله: (﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟﴾) (أينما): اسمُ شرطٍ جازم ظرفُ مكان، و﴿تُوَلُّوا۟﴾: فعلُ الشرط، وقولُه: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ جوابُ الشرط، و(ثَمَّ): إشارة للمكان خبرٌ مقدَّمٌ، و﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾: مبتدأٌ مؤخَّر.

قوله: (﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾) أي: جهتُهُ، يعني جهةَ رضائه، وليس المرادُ بوجهه ذاتَهُ، بل المرادُ: أينما تولُّوا وجوهَكم في جهةٍ أمرَكم اللهُ بها تَجدون جهةَ رضائه.

والصوفيةُ يُريدون بالوجه الذاتَ، وهو دليلٌ على تنزُّهِ الله عن التَّخصيص بالجهة، ومن هنا قال ابنُ العربي: (مقتضى التوحيد أن الصلاةَ لأيِّ جهة تَصحُّ، وإنما أُمرنا بجهة مخصوصة تعبُّداً، ولم نعقِلْ له معنًى)[٢].

قوله: (يسع فضله كلَّ شيء) أي: فصحَّةُ الصلاة ليست مُتوقِّفةً على جهة بيت المقدس فقط كما

(١) شروع صلاة النافلة على الدابة حيثما اتجهت رواه البخاري (١٠٩٨)، ومسلم (٧٠١)، ولم يَذكر العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٩٨) اعتراضَ اليهود على ذلك، بل جعل نزول الآية لِبيان تشريع ذلك فقط، وهو ما يذكره عامة المفسرين.

(٢) بنحوه في «الفتوحات المكية».

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ ......

﴿١١٦﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ - بِواوٍ ودُونَها - أي: اليَهُودُ والنَّصارَى ومَن زَعَمَ أنَّ المَلائِكَةَ بَناتُ الله: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تَعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تَنزِيهاً لَه عَنهُ، ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبِيداً، والمِلكِيَّة تُنافِي الوِلادة، وعَبَّرَ بِـ(ما) تَغلِيباً لِما لا يَعقِلُ، ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾: مُطِيعُونَ، كُلٌّ بِما يُراد مِنه. - وفِيه تَغلِيبُ العاقِل -.

حاشية الصاوي

زعَمت اليهودُ، بل خصَّنا اللهُ بمزايا على حسَبِ مَزيد فضله لم تكُنْ فيهم، فمنها أمرُ القِبلة، ومنها جعلُ الأرضِ كلِّها مسجداً وتُرْبتِها طهوراً، وغيرُ ذلك.

قوله: (﴿وَقَالُوا﴾) هذا من جملة قبائحِ اليهود والنصارى ومُشركي العرب، حيث قالت اليهودُ: عزيرٌ ابنُ الله، وقالت النصارى: المسيحُ ابنُ الله، وقال مشركُو العرب: الملائكةُ بناتُ الله.

قوله: (بواو ودونها) أي: فهما قِراءتان سبعيَّتان[1]، فعلى الواو هو معطوف على ﴿مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾، التقديرُ: ومن أظلم ممَّن قال: اتخذَ الله ولداً، وعلى عَدمها هو مستأنفٌ لبَيان حال الكفرة، وأما آية (يونس) فبِترك الواو لا غير[2]؛ لعدم ما يُناسبُ العطف.

قوله: (﴿سُبْحَانَهُ﴾) أي: تنزَّهَ عنه؛ لأن الولدية تقتضي النوعيةَ والجنسية، والافتقارَ والتشبيه والحُدوث، وهو سُبحانه منزَّهٌ عن ذلك كلِّه.

قوله: (لما لا يعقل) أي: غيرِ العاقل لِكثرته، وإنما غلَّبَه لأنه في سِياق القهر، وهو مناسب لغير العاقل، بِخلاف (قانتُون)، فإنه في سِياق الطاعة.

قوله: (مطيعون) أي: نافذٌ فيهم مرادُهُ، فالمرادُ بالطاعة هنا: الانقيادُ ونُفوذُ المراد.

قوله: (وفيه تغليب العاقل) أي: حيث جمَعه بالواو والنون، وإنما غلَّبَ العاقلَ هنا لِشرفه، ولأن شأنَ الطاعة أن تكون للعاقل، وفيه مُراعاةُ معنى (كلٌّ)، ولو راعى لفظَها لأفرَد.

---

(١) قرأ ابن عباس وابن عامر بغير واو، والجمهور على إثباتها. انظر «البحر المحيط» (١/ ٥٣٢).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾، وهو ابتداء كلام خُرِّج مخرج التعجب. «الفتوحات» (١/ ٩٨).

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ

﴿١١٧﴾ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: مُوجِدُهما لا على مِثالٍ سَبَقَ، ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾: أرادَ ﴿أَمۡرٗا﴾ أي: إيجادَه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يَكُون، ـ وفي قِراءة بِالنَّصبِ جَواباً لِلأمرِ ـ.

﴿١١٨﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: كُفَّارُ مَكَّة لِلنَّبي: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَدِيعُ﴾) خبرٌ لمبتدإٍ محذوف؛ أي: هو، وقُرِئَ بالجرِّ بدلٌ من الضمير في ﴿لَهُۥ﴾، وبالنصب على المدح؛ أي: أمدَحُ بديعَ[1].

قوله: (لا على مثال سبق) أي: فهما في غاية الإتقان، قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا...﴾ [ق: ٦] الآيات.

قوله: (﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾) يُطلق القضاء على الوفاء، يُقال: قضى دَينَه؛ بمعنى وَفَاهُ، ويطلقُ على الإرادة، وهو المرادُ هنا.

قوله: (أراد) أي: تعلَّقت إرادتُه به، وفسَّرَ القضاءَ بالإرادة للآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وخيرُ ما فسَّرته بالوارِد.

قوله: (﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾) ليس المرادُ أنه إذا تعلَّقت إرادته بإيجاد أمرٍ أتى بالكاف والنون، بل ذلك كنايةٌ عن سُرعة الإيجاد، فمراده نافذٌ ولا يتخلَّفُ، بل ما عَلمه أزلاً تعلَّقت به الإرادةُ تعلُّقاً تنجيزيًّا حادثاً، وأبرزَهُ بالقدرة سريعاً.

قوله: (أي: فهو يكون) أشارَ بذلك إلى أنه مُستأنفٌ مرفوعٌ، خبرٌ لمبتدإٍ محذوف.

قوله: (بالنصب) أي: بـ(أنْ) مُضمرة بعد فاء السببية؛ أي: يحصل ويوجد في الخارج[2].

قوله: (﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾) أي: الجاهلون الذين هم كالبهائم أو أضلُّ.

قوله: (أي: كفار مكة) تقدم الإشكالُ بأن السورة مدنيَّة، وأن السائلَ له يهودُ المدينة، ويمكن أن يجابَ هنا: بأن هذه الآيةَ بخصوصها مكيةٌ، وهو بعيدٌ، وأجاب أستاذُنا الشيخ الدرديرُ: بأنه لا مانعَ أن كفارَ مكة أرسلُوا ذلك السؤالَ له وهو بالمدينة.

---

(١) والقراءتان شاذَّتان أوردهما أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٥٣٤).

(٢) قراءة النصب لابن عامر، وباقي السبعة بالرفع؛ لانتهاء الكلام عند (كن)، أو عطفاً على (يقول). انظر «البحر المحيط» (١/ ٥٣٦).

لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ ....

﴿لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أنَّك رَسُولُه، ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ مِمَّا اقترَحناهُ على صِدقِك، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هَؤلاءِ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ مِن كُفَّارِ الأُمَم الماضِيَة لِأنبيائِهِم ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ مِن التَّعَنُّت وطَلَبِ الآيات، ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكُفر والعِناد، فِيه تَسلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: يَعلَمُونَ أنَّها آياتٌ فيُؤمِنونَ، فاقتِراحُ آية مَعها تَعنُّتٌ.

﴿١١٩﴾ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: بِالهُدَى، ﴿بَشِيرًا﴾ مَن أجابَ إلَيه بِالجنَّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَن لم يُجِب إليهِ بِالنَّارِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (هلا) أشار بذلك إلى أنها تحضيضيَّةٌ، وهي بذلك المعنى في غالب القرآن.

قوله: (﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾) أي: مُشافهةً، أو على لسان جبريلَ فينزلُ علينا كما ينزلُ عليك.

قوله: (ممَّا اقترحناه) أي: طلبناه، والمقترَح: هو الشيءُ الذي لم يُسبَقْ إليه.

قوله: (من التعنت... إلخ) هذا هو وجهُ المماثلة؛ لأن ما وقعَ من الأُمم الماضية ليس عينَ ما وقع من كفَّار مكة.

قوله: (فيه تسلية) أي: فلا تحزَنْ على مَنْ كفر، فإنا قد وضَّحنا آياتِنا لقوم يوقنون بك ولا يتعنَّتون عليك، قال تعالى تسليةً له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

قوله: (تعنُّت) أي: ممَّنْ كفر وعاند، فلا تحزَنْ عليه، ويكفيك مَنْ آمن.

قوله: (﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾) الخطابُ له ﷺ؛ أي: أرسلناك للناس كافَّةً.

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّ﴾) الباء لِلملابسة، أو المصاحبة، أو السببية، والأقربُ الأوَّلانِ.

قوله: (بالهدى) أي: دين الإسلام، أو القرآن.

قوله: (﴿بَشِيرًا﴾) هو و(نذيراً) حالان، إما من الكاف في ﴿أَرْسَلْنَٰكَ﴾، أو من (الحق).

قوله: (من) اسمٌ موصول معمول لـ﴿بَشِيرًا﴾، وقوله: (أجاب إليه) صلتُها، والمعنى: انقادَ له، وقوله: (من لم يجب إليه) أي: مَنْ لم يَنقد إليه ولم يختره ديناً.

وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ....

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾: النَّار أي: الكُفَّار: ما لَهُم لم يُؤمِنُوا؟ إنَّما عليك البَلاغُ. - وفي قِراءةٍ بِجزمِ (تَسأَلْ) نَهياً -.

﴿١٢٠﴾ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دِينَهم، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي: الإسلامَ ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عَداهُ ضَلالٌ، ﴿وَلَئِنِ﴾ - لامُ قَسَم - ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يَدعُونَك إلَيها ....

حاشية الصاوي

قوله: (النار) سُمِّيت النارُ جحيماً لجَحيمها؛ أي: اضطرابِها بأهلها من شدَّة لهيبها كاضطراب مَوج البحر.

قوله: (ما لهم لم يؤمنوا؟) هذا هو صورةُ السؤال؛ أي: حيثُ بلَّغت الرسالة، ونصحتَ الأمَّة، وكشفت الغمَّة، وجلَّيت الظلمة فلا تخَفْ من كفرهم، ولا يسألُك اللهُ عنه.

قوله: (إنما عليك البلاغ) علَّةٌ للنفي.

قوله: (بجزم تَسأل) أي: مع فتح التاء مبنيًّا للفاعل، وهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والمعنى على هذه القراءة: لا تسألنا يا محمدُ عن صفاتِهم وأحوالهم؛ فإنها شنيعةٌ فظيعة لا يَسعُك السؤالُ عنها لهولها، أو المعنى: لا تَسألنا الشفاعةَ فيهم؛ لأن كلمةَ العذاب حقَّت عليهم.

قوله: (﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾) هذه مقالةٌ قالها اللهُ له حين قالَت اليهود: لا نرضى عنك حتى تتَّبعَ ما نحن عليه، وكذلك قالت النصارى.

قوله: (وما عداه ضلال) أخذَ ذلك من الجملة المعرَّفة الطرفين؛ فإنها تفيدُ الحصر.

قوله: (لام قسم) أي: محذوف، تقديرُهُ: وعزَّتي أو واللهِ، وعلامةُ كونها لامَ قسم وقوعُها قبل (إن) الشرطيةِ[2].

---

(١) قرأ الجمهور بالرفع، وقرأ نافع ويعقوب بالجزم مبنيًّا للمعلوم. انظر «البحر المحيط» (١/٥٣٨).

(٢) وهذه اللام هي المسماة باللام الموطئة أو المؤذنة بالقسَم، وهي الداخلة على أداة شرط، وأكثر ما تَدخل كما قال المصنف على (إن) الشرطية. انظر «مغني اللبيب» (ص٣١٠).

بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ ....

فَرضاً ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: الوَحيِ مِن الله، ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يَحفَظُك، ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَمنَعُك مِنهُ.

﴿١٢١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ـ مُبتَدأٌ ـ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يَقرَؤُونَه كما أُنزِل، ـ والجُملةُ حالٌ، و﴿حَقَّ﴾ نَصبٌ على المَصدَرِ، والخَبَرُ: ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾. نَزَلَت

حاشية الصاوي

قوله: (فَرضاً) أي: على فَرض وقوعه، أو ذلك تخويفٌ لأمته، على حدِّ ما قيل في: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

قوله: (﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾) هذا جوابُ القسم، وجوابُ الشرط محذوفٌ دلَّ عليه المذكور؛ لتأخُّر الشرط عن القَسم، لقول ابن مالك: [الرجز]

واحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جَوابَ ما أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ[1]

ولو كان جواباً للشرط لاقترن بالفاء؛ لِكونه منفيًّا بـ(ما).

قوله: (﴿مِن وَلِىٍّ﴾) (مِن): زائدةٌ لتأكيد النفي.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾) أي: القرآنَ، و(آتينا): صلةُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، والهاءُ: مفعولٌ أول، و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (والجملة حالٌ) أي: إما مؤولةٌ باسم الفاعل أو المفعول، فعلى الأول: هي حالٌ من مفعولِ (آتينا) الأولِ الذي هو الضمير، وعلى الثاني هي حالٌ من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾.

قوله: (نصب على المصدر) في الحقيقة صفةٌ لمصدر محذوف، تقديرُهُ: تلاوةً حقَّ التلاوة، والمعنى: يَقرؤونه مجوَّداً مرتَّلاً بخشوع وخضوع كما نزلَ من جبريلَ، لا ينقصون عمَّا وردَ ولا يزيدون عليه، يأتمرون بأمره ويَنتهون بنهيه، ويُصدِّقون وعدَه ووعيدَه، ويتدبَّرون معانيَهُ، يعملون بمُحْكَمِه، ويُفوِّضون علمَ متشابهِهِ إلى الله.

قوله: (﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ﴾) مبتدأٌ وخبر، والجملةُ خبرٌ للمبتدأ.

---

(١) «الخلاصة» (باب عوامل الجزم).

وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى ....

في جَماعة قَدِمُوا مِن الحَبَشة وأسلَمُوا، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي: بِالكِتابِ المُؤتَى بِأن يُحَرِّفَهُ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ لِمَصِيرِهم إلى النَّار المُؤَبَّدةِ علَيهِم.

﴿١٢٢﴾ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تَقَدَّمَ مِثلُه.

﴿١٢٣﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: خافُوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (نزلت في جماعة) أي: أربعين؛ اثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانيةٌ من رُهبان الشام، منهم بحيرا الراهبُ، مقدَّمُهم جعفرُ بن أبي طالب ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ[1].

قوله: (وأسلموا) أي: وصاروا يتلُون القرآن حقَّ التلاوة، هكذا ذكر المفسِّر سببَ نزولها، وقيل: نزلت في كلِّ مَن اتصف بهذا الوصف، وقيل: في عبد الله بن سلام وأضرابِه.

قوله: (بأن يحرِّفَه) أي: متعمِّداً، بأن يتلاعبَ بمعانيه وألفاظه ويأخذَ بظاهره، والضمير عائدٌ على القرآن، وذلك كالخوارج الذين يَأخذون بظاهره ولا يعرفون معانيَهُ، فضلُّوا وأضلُّوا، فإنَّ من جملة أبواب الكفر الأخذَ بظواهر الكتاب والسنة.

قوله: (﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾) تقدَّمت هذه الآيةُ، وكرَّرَها لمزيد التقبيح عليهم.

قوله: (﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ﴾) أي: بالشكر عليها، والمرادُ بها الجنس.

قوله: (تقدَّمَ مثلُه) أي: من أن المرادَ عالمُو زمانهم[2]، أو أن المرادَ آباؤُهم الأنبياءُ، أو المراد بالتفضيل المزايا، ففيهم مزايا لم توجَدْ في غيرهم؛ كفَلْق البحر، وتفجير الماء من الحجر، والمنِّ والسلوى.

قوله: (﴿يَوْمًا﴾) أي: عذابَ يومٍ.

---

(١) كذا عند البغوي في «تفسيره» (١/ ١٦١) بروايته المثبتة أوله عن ابن عباس، وعن الضحاك أنها في مَن آمن مِن اليهود، وعن قتادة وعكرمة أنها في أصحاب النبي ﷺ، وقيل: في المؤمنين عامَّة، كما سيذكر المصنف.

(٢) في النسخ: (عالمي زمانهم) بدل (عالمو زمانهم).

نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ ....

تُغني ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فِداءٌ، ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنَعُونَ مِن عَذابِ الله.

﴿١٢٤﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾: اختبرَ ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ - وفي قِراءة: (إبراهامَ) - ﴿رَبُّهُۥ

حاشية الصاوي

قوله: (تغني ﴿نَفْسٌ﴾) أي: مؤمنةٌ، وقوله: (﴿عَن نَّفْسٍ﴾) أي: كافرةٍ، وهذه الجملةُ صفةٌ لـ﴿يَوْمًا﴾ وهو نكرةٌ، والجملةُ إذا وقعت صفةً لنكرةٍ فلا بدَّ لها من رابط، وقد قدَّرَه المفسِّر بقوله: (فيه).

قوله: (﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾) أي: لا شفاعةٌ لها حتى يترتَّبَ عليها النفعُ، قال تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١]، واتفقت القراءاتُ السبع على الياء في ﴿يُقْبَلُ﴾، ولم يَقرأْ أحدٌ بالتاء[١]، والقراءةُ سنةٌ متَّبعة.

قوله: (﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾) أشارَ بذلك إلى أن (إذْ) ظرفٌ لمحذوف، قدَّره بقوله: (اذكر)، والخطابُ لمحمد؛ أي: اذكر يا محمدُ لِقومك وقتَ ابتلاء إبراهيم، ويصحُّ تقديرُ (اذكروا)، ويكونُ خطاباً لبني إسرائيل، والمقصودُ من ذكر قصة إبراهيم إقامةُ الحجَّة على المخالف من اليهود والنصارى ومُشركي العرب؛ لأن الفِرَقَ جميعَها يعترفون بفضل إبراهيم، كان النبيُّ ﷺ يقول: «**انظروا التكاليفَ التي كُلِّفَ بها إبراهيم، هل هي موافقةٌ لما جئتُ به أو مخالفةٌ؟**».

قوله: (وفي قراءة: إبراهام) هما قراءتان سبعيَّتان[٢]، وهذان لُغتان من سبعٍ، والثالثةُ والرابعة والخامسة بغير ياء والهاء مُثلثة، والسادسةُ بغير ياء وألف مع فتح الهاء، والسابعةُ إبراهوم[٣]، وهو اسمٌ أعجمي، وتعريبُه: أبٌ رحيم، وهو ابن تارخَ بنِ آزرَ بن ناخورَ بن شاروخَ بن أرغوى بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح[٤].

---

(١) نبَّه عليه الخطيب في تفسيره «السراج المنير» (١/ ٩٠).

(٢) قرأ الجمهور: إبراهيم، وقرأ ابن عامر: إبراهام. انظر «البحر المحيط» (١/ ٥٤٥).

(٣) والسبعة على ترتيب المصنف: إبراهيم، وإبراهام، وإبراهَم، وإبراهِم، وإبراهُم، وإبرهَم، وإبراهوم. انظر «الدر المصون» (٢/ ٩٨).

(٤) خلاف عَريض في ضبط أسماء أجداده على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وأثبت ما في المخطوط، وأرغوى كتب =

بِكَلِمَٰتٍ ....

بِكَلِمَٰتٍ﴾: بِأوامِرَ ونَواهٍ كَلَّفَهُ بِها؛ قِيلَ: هيَ مَناسِكُ الحَجِّ، ....

حاشية الصاوي

و﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾: مفعولٌ مقدَّم، و﴿رَبُّهُۥ﴾: فاعل مؤخَّر، وتقديمُ المفعول هنا واجبٌ؛ لاتصال الفاعل بضميرٍ يعود على المفعول، فلو قُدِّم الفاعلُ لزم عَوْدُ الضمير على متأخِّر لفظاً ورتبةً، قال ابن مالك: [الرجز]

وشاعَ نَحْوُ: خافَ رَبَّهُ عُمَرْ وشَذَّ نَحْوُ: زانَ نَوْرُهُ الشَّجَرْ[1]

والاختبارُ في الأصل: الامتحانُ بالشيء لِيُعلَمَ صدقُ ذلك الشخصِ أو كذبه، وهو مستحيلٌ على الله؛ لأنه عالم بذلك قبل الاختبار، وإنما المرادُ: عاملَهُ معاملةَ المختبر؛ لِيظهرَ ذلك للخلق، فاختبرَ إبراهيمَ فظهرَ صدقُه، وإبليسَ فظهرَ كذبُه.

قوله: (﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾) قيل: ثلاثون من شريعتنا[2]؛ عشرةٌ في (براءة)، وهي ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ إلى ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وعشرةٌ في (الأحزاب)، وهي ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً...﴾ [الأحزاب: ٣٥] الآية، وتسعةٌ في (المؤمنون)، من أوَّلها إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠]، وواحدةٌ في (سأل)، وهي ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٣٣]، وقيل: هي التكاليفُ بِخدمة البيت، وقيل: ذبحُ ولده، والرميُ في النار، وهجرتُه من الشام إلى مكة، والنظرُ في الشمس والقمر والكواكب لإقامة الحُجة على قومه[3]، وبضميمة ما ذكره المفسِّر تكون أقوالاً خمسةً، ولا مانعَ من إرادة جميعِها[4].

قوله: (مناسك الحج) أي: واجباتُه وسننُه.

= بالممدودة، والقاعدة كتابة الألف في الأعجمي مُتطرفة بالمقصورة، وعامة المفسرين أن تارخ أو تارح هو آزر، وسيأتي (٢/ ٣٩٤).

(١) «الخلاصة» (باب الفاعل) وجعله من الشاذ، وجمهور النحاة على ما قاله المصنف من المنع. انظر «شرح ابن عقيل» (٢/ ١٠٥).

(٢) وهي المسمَّاة بسهام الإسلام، وهذا القول رَواه ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر «الدر المنثور» (١/ ٢٧٤).

(٣) روى ذلك ابن إسحق وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر «الدر المنثور» (١/ ٢٧٣).

(٤) قول من قال: إنها مناسك الحج، رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم عن ابن عباس، والأقوال الخمسة رُويت عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا يُؤيد احتمال إرادة الجميع. انظر «الدر المنثور» (١/ ٢٧٤).

﴿فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ ......

وقِيل: المَضمَضةُ والاِستِنشاق والسِّواك وقَصُّ الشَّارِب وفَرقُ الشَّعر وقَلْمُ الأظفارِ ونَتفُ الإبط وحَلقُ العانةِ والخِتانُ والاستِنجاءُ، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أدَّاهُنَّ تامَّاتٍ، ﴿قَالَ﴾ تَعالى لَهُ: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: قُدوَةً في الدِّين، ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾: أولادِي اجعَلْ أئِمَّةً، ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ بِالإمامةِ ﴿الظَّالِمِينَ﴾: الكافِرينَ مِنهُم، دَلَّ على أنَّهُ يَنالُ غَير الظَّالِم.

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: المضمضة . . . إلخ) هذه عشرةُ أشياءَ، الخمسةُ الأُوَل في الوجه والرأس، وما عداها في باقي الجسد[١].

قوله: (والختان) ورد: «أنه أوَّلُ مَن اختتن، وأوَّلُ من قصَّ الشارب، وأوَّلُ من قلَّمَ الأظفار، وأوَّلُ مَن رأى الشيبَ، فلمَّا رآه قال: يا ربِّ؛ ما هذا؟ قال: الوقار، قال: يا ربِّ؛ زِدني وقاراً»[٢].

وقوله: (والاستنجاء) أي: بالماء، وأما بالحجر فهو من خصائصِ هذه الأمَّة.

قوله: (﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾) أي: لم يُفرِّط في شيء منها.

قوله: (﴿قَالَ﴾ تعالى له) هذا كلامٌ مستأنف واقعٌ في جواب سؤال، كأنه قيل: ما فعلَ اللهُ به بعد ذلك؟ أجاب بقوله: قال له: إني جاعلُك للناس إماماً، ومن ذلك: أن العطايا الربانية تكون بعد التخلِّي عن الأغيارِ بالاختيار.

قوله: (﴿لِلنَّاسِ﴾) يحتمل أن يكون ظرفاً لغواً متعلِّقاً بـ﴿جَاعِلُكَ﴾، ويحتمل أنه حالٌ من ﴿إِمَامًا﴾؛ لأنه نعتُ نكرة تقدَّمَ عليها، و(جاعِل) بمعنى: مصيِّر، فتنصبُ مفعولين؛ الكاف: مفعولٌ أوَّل، و﴿إِمَامًا﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾) هذا كعطفِ التلقين؛ كما يُقال لك: سآمُرك، فتقول: وزيداً، و(مِنْ): للتبعيض، وتخصيصُ البعض بذلك لِبداهة استحالة إمامة الكلِّ وإن كانوا على الحقِّ.

قوله: (اجعل أئمة) أي: أنبياءَ أو ملوكاً عدولاً أو علماءَ، وقد اجتمع ذلك في ذريَّته.

قوله: (﴿عَهْدِي﴾) فاعل ﴿يَنَالُ﴾، فهو مرفوعٌ بضمة مقدَّرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة

---

(١) كون الكلمات خصالَ الفطرة العشرة رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصحَّحه والبيهقي في «سُننه» عن ابن عباس أيضاً. انظر «الدر المنثور» (١/ ٢٧٣).

(٢) انظر «الدر المنثور» (١/ ٢٨١).

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ....

(١٢٥) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾: الكَعبَةَ ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مَرجِعاً يَثُوبُونَ إِلَيهِ مِن كُلِّ جانِبٍ، ﴿وَأَمْنًا﴾: مَأمَناً لَهُم مِن الظُّلمِ والإغاراتِ الواقِعة في غَيرِه، كانَ الرَّجُلُ يَلقَى قاتِلَ أَبِيهِ فِيهِ

حاشية الصاوي

لالتقاء الساكنين، منعَ من ظهورها اشتغالُ المحلِّ بالحركة المناسبة، و﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: مفعولُه، والمعنى: إن عَهدي لا يدركُ الظالمين، وقُرِئَ بالعكس شذوذاً[١]؛ لأنه إذا دارَ الأمرُ بين الإسناد للمعنى والذات فالإسنادُ للمعنى أولى.

قوله: (﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾) معطوف على ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾، وما قُدِّر هناك يقدَّرُ هنا، و(جعلَ) إن كانت بمعنى (خلقَ) نصبت مفعولاً واحداً وهو ﴿ٱلْبَيْتَ﴾، و﴿مَثَابَةً﴾: حال منه، وإن كانت بمعنى (صيَّر) نصبت مفعولين؛ ﴿ٱلْبَيْتَ﴾: مفعولٌ أوَّل، و﴿مَثَابَةً﴾: مفعولٌ ثانٍ، و﴿لِّلنَّاسِ﴾ جار ومجرور متعلِّق بـ﴿جَعَلْنَا﴾، أو بمحذوف صفة لـ﴿مَثَابَةً﴾.

قوله: (الكعبة) أشار بذلك إلى أن (أل) في ﴿ٱلْبَيْتَ﴾ للعهد.

قوله: (﴿مَثَابَةً﴾) يحتمل أن يكون مصدراً ميميًّا، وهو الذي درجَ عليه المفسِّر بقوله: (مرجِعاً)، ويحتمل أن يكون ظرفَ مكان؛ أي: محلَّ رجوع يُرجع إليه المرة بعد المرة، أو المراد: محلَّ ثواب؛ أي: إن من لاذَ به حصلَ له من الثواب ما لا يحصلُ له في غيره؛ لما وردَ: «يَنزل من السماء مئة وعشرون رحمةً على البيت، سِتون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعِشرون للناظرين»[٢]، وأصلُ مثابة: مَثْوَبَة، تحركت الواو وانفتحَ ما قبلها قُلبت ألفاً[٣].

قوله: (﴿وَأَمْنًا﴾) إما مصدرٌ باقٍ على مصدريته، أو بمعنى اسم الفاعل، أو ظرفُ مكان؛ أي: محلَّ أمن، وعليه درجَ المفسِّر، وعلى كونه اسمَ فاعل فالإسنادُ مجازٌ؛ أي: آمنٌ مَن دخلَه، وخيرُ ما فسَّرته بالوارد، قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

---

(١) قرأ أبو رجاء وقتادة والأعمش شذوذاً: (الظالمون) بالرفع على الفاعلية لـ(ينال). انظر «البحر المحيط» (١/ ٥٤٨).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٩٥)، قال الحافظ العجلوني في «كشف الخفاء» (٣٢٣٥): (وحسَّنه المنذري والعراقي).

(٣) قوله: (تحركت الواو...) هو في فعلها ثاب وأصله ثَوَب، وأما مَثْوَبَة كمَكتبة فنُقلت حركة الواو لما قبلها، وتبعت الواو الحركةَ فقلبت ألفاً، وهو إعلال بإتباع باب فعلها. انظر «تاج العروس» (ث و ب).

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ ....

فلا يُهيِّجُه، ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ أيُّها الناسُ ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ هو الحَجَرُ الذي قامَ عليه عِند بِناء البَيتِ ﴿مُصَلًّىۖ﴾: مَكانَ صَلاةٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فلا يهيجه) أي: لا يزعجُه ولا يؤاخذُه بما فعل، وكان البيتُ معظَّماً في الجاهلية، ففي الإسلام أولى، وكذا قال ابن عباس: إن معصيتَه تضاعف[1]؛ لأنه يُشدَّد على مَن في الحضرة ما لا يُشدَّد على غيره، قال بعضهم: [البسيط]

لَقَدْ أَسَرَّكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ ... وَقَدْ أَبَرَّكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِرَا[2]

قوله: (﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾) أمرٌ، إما معطوف على ما تضمنه قوله: ﴿مَثَابَةً﴾، تقديرُهُ: فثُوبوا واتخذوا، أو مستأنفٌ مقولٌ لقول محذوف، تقديرُهُ: وقال الله لهم: اتخذُوا.

قوله: (أيها الناس) فيه حذفُ حرف النداء، وهذا على قِراءة الأمر[3].

قوله: (﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾) يحتمل أن (مِنْ) تبعيضيَّةٌ، أو زائدة في الإثبات على مذهب الأخفش، أو بمعنى (في)، وكلٌّ بعيدٌ، والأقربُ: أنها بمعنى (عند)، والسنةُ بيَّنَتْ أن الصلاةَ خلفَه؛ بأن يكون الحجرُ بين المصلِّي والكعبة.

قوله: (هو الحَجَرُ) وردَ: «أن طولَه ذراعٌ، وعرضَه كذلك، وقد نزل هو والحجرُ الأسود مع آدمَ من الجنة، وهما ياقوتتان من يَواقيتها، ولولا مسُّ الكفَّارِ لهما لأضاءَ ما بين المشرق والمغرب»[4].

قوله: (عند بناء البيت) أي: وبناؤه كان متأخِّراً عن بناء مكَّةَ، فجُرْهُم بنَوا مكةَ أوَّلاً، وإبراهيم بنى البيتَ ثانياً، وذلك أن إبراهيمَ لمَّا جاء بأمِّ إسماعيلَ وابنِها وهي ترضعُه وضعَهما عند

---

(١) كذا نَسَبه لابن عباس في «الفتوحات» (١/ ١٠٥)، وكان يخشى السكنى فيه تعظيماً لذلك كما أورده الحافظ ابن رَجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣١٨)، وروى الفاكهي في «أخبار مكة» (١٤٩٠) عن ابن عمر ﵄: (اتقوا الذنوبَ في الحرم؛ فإنها تُضاعف تضعيف الحسنات)، وفيه (١٤٩٧) عن مجاهد قال: (زلزلت مكة، فقال عمر ﵁: انظروا ماذا تعملون فإنها مكة، لأنْ أعملَ عَشر خطايا بركبةَ أحبُّ إليَّ من أن أعمل بمكةَ خطيئة واحدة)، وركبة: وادٍ من أودية الطائف.

(٢) تنوزع في نسبة هذا البيت، وهو بنحوه من أبيات ثلاثة للبحتري كما ذكر الأصفهاني في «الزهرة».

(٣) قرأ نافع وابن عامر: (اتخَذوا) فعلاً ماضياً، والباقون على لفظ الأمر. انظر «البحر المحيط» (١/ ٥٥٢).

(٤) كما روى الترمذي (٨٧٨) من حديث ابن عمرو ﵄.

وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ ....

بأن تُصلُّوا خلفَه رَكعتَي الطَّواف، ـ وفي قراءةٍ بفَتح الخاء، خبرٌ ـ ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾: أمَرناهُما ﴿أَن﴾ أي: بِأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ ....

حاشية الصاوي

مكان البيت، وليس هناك يومئذٍ بناءٌ ولا أحدٌ، فعطشت واشتدَّ عليها الأمر، فجاءَها جبريلُ، فبحث بعقبه أو بجناحه في موضع زمزمَ حتى ظهرَ الماءُ، فصارت تشربُ منه، فاستمرَّت كذلك هي وولدُها حتى مرَّت بهم طائفةٌ من جُرْهُم، فقالوا لها: أتأذنينَ أن ننزل عندك؟ قالت: نَعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء، قالوا: نعم، فنزلُوا عندها وبنَوا مكَّةَ، فلما شبَّ إسماعيلُ وأعجبَهم زوَّجوه امرأةً منهم[١].

قوله: (بأن تصلُّوا خلفَه) هذا تخصيصٌ لكون الصلاة عنده، ومعنى كونِ الصلاة خلفَهُ باعتبار مَقصورته، وإلا فهو مربَّعٌ لا خلفَ له ولا أمامَ، وهذا بحسَبِ ما سبقَ من الزمان، فإنه كان على الحجَرِ مقصورةٌ بابُها لجهة البيت، وأما الآن فقد حُوِّلَ البابُ، فالمصلِّي الآن يصلِّي لجهة الباب، فهو قُبالته لا خلفَه.

قوله: (وفي قراءة) هما سبعيَّتان[٢].

قوله: (خبرٌ) أي: جملةٌ خبرية معطوفةٌ على ﴿جَعَلْنَا﴾ مسلَّطٌ عليها (إذْ)، أي: اذكُر إذ جعلنا واذكر إذ اتخَذَ الناس من مقام إبراهيم مصلًّى.

قوله: (﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾) فيه لُغتان؛ باللام والنون[٣]، ويجمع على: سماعِلَ وسَماعلة وأسامع، قيل: سُمِّي بذلك لأنَّ إبراهيمَ لما دعا الله أن يرزقَهُ ولداً صارَ يقول: اسمَعْ إيل؛ أي: استجِبْ يا الله.

قوله: (﴿أَن﴾) يحتمل أنها تفسيرية، وهو الأقربُ؛ لوجود ضابطها، وهو أن تتقدَّمَها جملةٌ فيها معنى القول دون حروفه، وصحَّةُ حلول (أي) محلَّها، ويحتمل أنها مصدرية، وكلامُ المفسِّر يحتملُهما[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢٣٦٤).

(٢) تقدَّم بيانها قبل قليل.

(٣) إسماعيل وإسماعين، وقلب اللام نوناً لغة بني أسد. انظر «البحر المحيط» (١/ ٥٤٣٩)، وفيه أيضاً تعليلُ التسمية الآتي.

(٤) وكونها مصدرية تكون قد خرجت عن نظائرها في جواز وَصلها بالجملة الأمرية. «الفتوحات» (١/ ١٠٤).

لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ....

مِن الأوثانِ ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: المُقيمينَ فِيهِ، ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾: جَمع راكِع وساجِدٍ: المُصلِّين.

﴿١٢٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ المَكانَ ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾: ذا أَمنٍ، وقد أَجابَ الله دُعاءَهُ فجَعَلَهُ حَرَماً لا يُسفَكُ فِيه دَمُ إنسان، ولا يُظلَمُ فِيه أحَدٌ، ولا يُصادُ صَيدُه ولا يُختَلى خَلاهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (من الأوثان) إن قلتَ: إنه لم يكن حين بنى البيتَ أوثانٌ قلتُ: أُجيب: بأن المراد طهِّراهُ فيما يستقبلُ من الزمان؛ لِعلم الله أن المشركين ستتَّخذُ أوثاناً، وليس المرادُ أن الأوثانَ كانت موجودةً حينئذٍ وأُمرا بطهارته منها.

قوله: (﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾) جمعُ طائف، وهو الذي يطوفُ حولَه الأشواطَ.

قوله: (﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾) جمعُ عاكف، وهو عُرفاً: الملازمُ للمسجد لِلعبادة على وجه مخصوص، ولكن المرادُ به هنا المقيمُ فيه، يفسِّرُه قوله في الآية الأخرى: ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾، فالعاكفون والقائمون والمقيمون بمعنًى واحد.

قوله: (المصلين) أخذَ ذلك من عدم عطف السُّجود على الرُّكَّع، فالمرادُ جمعُهما في عبادة، لا أن الرُّكَّعَ قِسمٌ، والسُّجودَ قسمٌ آخر.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾) معطوف على ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾.

قوله: (﴿بَلَدًا﴾) نكَّرَه هنا وعرَّفَه بـ(أل) في سورة (إبراهيم)[1] لأنه قيل: إن ما هنا كانَ قبل بنائِها، وما هناك بعده.

قوله: (﴿ءَامِنًا﴾) إن قلتَ: إن الله قد امتنَّ به من غير سؤال إبراهيم.

أجيب: بأن المراد بالذي امتنَّ اللهُ به الأمنُ من إغارات الأعداء، وبالذي طلبَهُ إبراهيمُ الأمنُ من القحطِ والجوع.

قوله: (خَلاه) بالقصر؛ أي: حشيشُه[2].

(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

(٢) وقوله: (لا يختلى) أي: لا يُقطع ولا يؤخذ. «الفتوحات» (١/ ١٠٥).

وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ ....

﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقد فعلَ بنقلِ الطَّائف مِن الشَّام إليهِ، وكانَ أقفَرَ لا زرعَ فِيه ولا ماءَ، ﴿مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ ـ بَدَلٌ مِن ﴿أَهۡلَهُۥ﴾ ـ وخصَّهُم بالدُّعاءِ لَهُم مُوافَقةً لِقَولِهِ: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ﴿قَالَ﴾ تَعالى: ﴿وَ﴾ أرزُقُ ﴿مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ ـ بالتَّشديدِ والتَّخفيف ـ في الدُّنيا بِالرِّزقِ ﴿قَلِيلٗا﴾ مُدَّةَ حَياته، ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾: أُلجِئُهُ في الآخِرةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾ فلا يَجد عَنها مَحِيصاً، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي.

﴿١٢٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكُرْ ﴿إِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾) أي: بعضِها.

قوله: (إليه) أي: إلى قربِهِ بنحو مرحلتَين، وقد نُقلَ الموضعُ الذي كان بالحجاز موضعَ ما نُقلَ من الشام بمكان يُسمَّى الحرَّةَ، أقفر مشهورٌ بالشام، كذا قيل[1].

قوله: (﴿وَ﴾ أرزقُ ﴿مَن كَفَرَ﴾) هذا يُسمَّى عطفاً تلقينيًّا[2].

قوله: (﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾) جملةٌ استئنافية لإنشاء الذمِّ، وليست معطوفةً على ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ﴾.

قوله: (هي) هذا هو المخصوصُ بالذمِّ، والحاصلُ: أن إبراهيم لمَّا قال الله له: إني جاعلك للناس إماماً، طَلب أن يكون مِن ذريته مَنْ هو كذلك، فأجابه الله بأنه لا ينالُ عهدُهُ الظالمين، فلمَّا بنى البيت ودعَا لأهله بالرزق من الثمرات خصَّ دعوتَهُ بالمؤمن منهم؛ قياساً منه الرزقَ على الإمامة، وخوفاً من ردِّ دعوته إذا عمَّم، فلقَّنَه اللهُ قولَه: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: فالمؤمنُ والكافر سواءٌ في الرزق الدُّنيوي، وأما في الإمامة فليسوا سواءً.

قوله: (﴿وَ﴾ اذكر) أي: يا محمدُ وقتَ رفعِ إبراهيمَ القواعدَ.

قوله: (﴿ٱلۡقَوَاعِدَ﴾) جمعُ قاعدة، وهي حجارةٌ كِبار، كل حجر قدر البعير، والمرادُ برفع القواعد: بناءُ البيت ورفعُهُ عليها.

---

(١) «التفسير الوسيط» للواحدي (١/ ٢١٠)، وعبارته: (ذكر المفسرون: أن الله تعالى بعث جبريل إلى الشام حتى اقتلع الطائف من مَوضع الأردن، ثم طافَ بها حول الكعبة، فسُمِّيت الطائف، ثم أنزلها تهامةَ، ومنها يُجبى إلى مَكة الثمرات).

(٢) تقدم مثاله قريباً (١/ ٢٣٣).

مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ....

الأُسُس أو الجُدُر ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ : يبنيه، ـ متعلِّق بـ﴿يَرْفَعُ﴾ ـ ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ ـ عطفٌ على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (الأُسس) جمع أساس، وهي القواعدُ.

وقوله: (والجُدُر) جمع جدار، وهي الأُسُس، فالعطفُ مرادِف.

وقصة بناء البيت: أن الله لمَّا خلقَ الماءَ قبل الأرض بألفي عام، كان ذلك البيتُ زَبْدَةً بيضاءَ على وجه الماء، فدُحِيت الأرض وبُسطت وامتدَّت من تلك الزَّبْدة، فلمَّا أُهبط آدمُ إلى الأرض استوحشَ إلى ذكر الله، فأنزلَ الله البيتَ المعمُور، وهو من ياقوتةٍ حمراءَ له بابانِ من زُمُرُّذةٍ خضراءَ، بابٌ بالمشرق وبابٌ بالمغرب، ووضع موضعَ الزَّبْدة، فكان يأتيه ماشياً من الهند، ورد: «أنه حجَّهُ ماشياً أربعين عاماً، فلمَّا فرغَ قالت الملائكةُ: لقد برَّ حجُّك يا آدم»، فلمَّا جاء الطوفانُ أمرَ اللهُ برفعه إلى السماء السابعة، فكان موضعُ البيت خالياً إلى زمن إبراهيم، وبعثَ اللهُ جبريلَ حين رفعه فخبَأَ الحجرَ الأسود في جبل أبي قُبيس صيانةً له من الغرَق، هكذا قيل[١].

والمشهورُ: أن أوَّلَ من بناه الملائكةُ، ثم آدمُ، ثم شيثٌ، واستمرَّ حتى جاء طوفانُ نوحٍ، فأذهبَ رسومه الظاهرية لا قواعدَه؛ لأنها ثابتةٌ متصلة بالأرض السابعة، ثم أتى جبريلُ بالحجر الأسود وألقمَه لجبل أبي قُبيس، فلمَّا أتى إبراهيمُ وأراد بناءَه جاءه جبريلُ وحدَّدَه له وأعلمَه بالحجر الأسود، فبناهُ على طبق ما رأى من القواعد، ثم بناهُ بعده العمالقةُ، ثم جُرْهُم، ثم قصيٌّ، ثم قريشٌ وكان الواضعُ للحجر الأسود في محلِّه النبي ﷺ، وقَصَرَتْ بهم النفقةُ فلم يُتمِّموا بناءَه على قواعد إبراهيم، بل نقضوه وأخرجوا الحِجْرَ منه[٢]، ثم ابنُ الزبير وقد ردَّهُ لقواعد إبراهيم مستدلًّا بحديث عن عائشة: «لولا قومُكِ حديثو عهدٍ بكفرٍ لبَنيتُ البيتَ على قواعدِ إبراهيمَ»[٣]، فلما تولَّى الحجَّاجُ ـ عاملَهُ اللهُ بعدلِهِ ـ حاربَ ابنَ الزبير وقتلَه، وهدمَ البيتَ بالمِنْجَنيق، وبناهُ كما بنَتهُ قريشٌ، وهو الآنَ على بِنائه[٤].

---

(١) كذا عند البغوي في «تفسيره» (١/ ١٦٦)، ورَواه متفرقاً الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠)، والزَّبَدَة: طائفة من زبد الماء.

(٢) لعل العبارة: (بل نقصوه) بالصاد المهملة، ونَقص الثلاثي يتعدى بنفسه، قال تعالى: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

(٣) رواه البخاري (١٢٦)، ومسلم (١٣٣٣) من حديثها رضي الله عنها بنحوه.

(٤) ذكر ذلك الحافظُ القسطلاني في «إرشاد الساري» (٣/ ١٤٤)، قال في «الفتوحات» (١/ ١٠٧) بعد إيراده: (وهذا =

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ....

يَقُولانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بِناءَنا؛ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلقَولِ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِالفعلِ.

﴿١٢٨﴾ ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: مُنقادَينِ ﴿لَكَ وَ﴾ اجعَل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾: أولادِنا ﴿أُمَّةً﴾: جَماعةً ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، - و﴿مِن﴾ لِلتَّبعيضِ، وأتَى بِه لِتَقَدُّمِ قَولِه: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ - ﴿وَأَرِنَا﴾: عَلِّمْنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: شَرائِعَ عِبادَتِنا أو حَجِّنا، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ﴾ ....

حاشية الصاوي

ونظمَهم بعضُهم فقال: [الطويل]

بَنَى بَيْتَ رَبِّ العَرْشِ عَشْرٌ فَخُذْهُمُ ... مَلائِكَةُ اللهِ الكِرامُ وَآدَمُ
فَشِيثٌ فَإِبْراهِيمُ ثُمَّ عَمالِقٌ ... قُصَيٌّ قُرَيْشٌ قَبْلَ هَذَيْنِ جُرْهُمُ
وَعَبْدُ الإِلَهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بَنَى كَذا ... بِناءٌ لِحَجَّاجٍ وَهَذا مُتَمِّمُ

قوله: (يقولان) قدَّرَه المفسِّر لِيَصحَّ جعلُ الجملة حالاً من إبراهيم وإسماعيل؛ لأن الجملةَ الإنشائية لا تقعُ حالاً إلا بتقدير، وعبَّرَ بالمضارع في ﴿يَرْفَعُ﴾ استحضاراً للحال الماضية لِعظم شأنه، كأنه حاصلٌ الآن وهو يحدِّثُ عنه.

قوله: (للقول) أي: دعائِنا.

قوله: (بالفعل) أي: بنائِنا.

قوله: (منقادَينِ) أي: كاملَينِ في الانقياد؛ لأن الكاملَ يقبل الكمالَ، وليس المرادُ طلبَ أصل الإسلام؛ لأن الأنبياءَ معصومون مِن كلِّ معصية سيَّما الكفر.

قوله: (جماعة) أي: وهو الأصلُ الكثير، وتُطلق على المقتدى به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]، وتطلق على الملَّة، قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

قوله: (﴿وَأَرِنَا﴾) رأى عرفانيَّةٌ تنصب مفعولاً واحداً، ودخلت عليها الهمزةُ فتعدَّت لاثنين، فـ(نا) مفعولٌ أوَّل، و﴿مَنَاسِكَنَا﴾ مفعولٌ ثانٍ.

= بحسَب ما اطَّلع عليه، وإلا فقد بناهُ بعد ذلك بعض الملوك سنةَ ألف وتسع وثلاثين كما نقَله بعض المؤرخين)، ثم أورد الأبيات الآتية.

ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ ....

﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سَألاهُ التَّوبةَ مَع عِصمَتِهما تَواضُعاً وتَعليماً لِذُرِّيَّتِهما.

﴿١٢٩﴾ ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهلِ البَيت ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ مِن أنفُسِهم، وقد أجابَ الله دُعاءَهُ بِمُحمَّدٍ ﷺ، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾: القُرآنَ، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فِيهِ مِنَ الأحكامِ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهم مِن الشِّرك؛ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالِبُ، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

﴿١٣٠﴾ ﴿وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ فيترُكُها ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلتَّوَّابُ﴾) أي: كثيرُ القبول لتوبة مَنْ تاب، ويُوصفُ العبدُ بذلك الوصف بمعنى: كثير التوبة والرُّجوع عن القبائح والرذائل.

قوله: (﴿ٱلرَّحِيمُ﴾) أي: عظيمُ الرحمة، وهي الإنعامُ أو إرادتُه.

قوله: (تواضعاً) أي: أو طلباً للارتقاءِ مِن مقامٍ أعلى ممَّا هما فيه.

قوله: (أهلِ البيت) أي: بيتِ إبراهيم، وهم ذريَّتُه، ولم يأتِ نبيٌّ من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا نبيُّنا ﷺ، وأما غالبُ الأنبياء فمِن ذريةِ إسحاقَ.

قوله: (﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾) هي العلمُ النافع.

قوله: (الغالبُ) أي: الذي أمرُهُ نافذٌ.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾) هو الذي يضعُ الشيءَ في محلِّه.

قوله: (﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾) سببُ نزولها: أن عبدَ الله بنَ سلام أسلمَ وكان له ابنا أخٍ، أحدُهما اسمُه مهاجرٌ، والثاني اسمُه سَلمةُ، فدعاهما إلى الإسلام وقال لهما: قد عَلمتُما أن اللهَ قال في التوراة: إني باعثٌ مِن ولد إسماعيل نبيًّا اسمُه أحمدُ، مَن آمن به فقد اهتدى، ومَن لم يُؤمِنْ به فهو ملعونٌ، فأسلمَ سَلمةُ، وأبى مهاجرٌ، فنزلت الآيةُ[1]، والعِبرةُ بعموم اللفظِ لا بخصوصِ السبب.

قوله: (أي: لا ﴿يَرْغَبُ﴾) أشار بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي، والاستثناء المفرَّغ لا يكون إلا بعد النَّفي وما في معناه، والرغبةُ عن الشيء: الزهدُ فيه.

---

(١) كذا في «تفسير البغوي» (١/ ١٦٩)، قال الإمام السيوطي في «حاشيته على البيضاوي» (٢/ ٣١٥): (لم أقِف عليه في شيء من كتب الحديث ولا التَّفاسير المسنَدة).

إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ....

﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: جهِلَ أنَّها مَخلُوقةٌ لِلَّهِ يَجِب عليها عِبادَتُه، أو استَخَفَّ بِها وامتَهَنَها، ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: اختَرناهُ ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بِالرِّسالةِ والخُلَّة، ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الَّذِينَ لَهُم الدَّرجاتُ العُلى.

﴿١٣١﴾ واذكُر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾: انقَدْ لِلَّهِ وأَخلِص لَهُ دِينَك، ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾) أي: دينِه وشريعتِه، فالمِلَّةُ والدين والشريعة بمعنًى واحد، وهو الأحكامُ التي جعلَها اللهُ للتعبُّد بها، فمِن حيث إملاؤُها يُقال لها: ملَّة، ومن حيث شرعُها يُقال لها: شريعة، ومن حيث التديُّنُ بها يُقال لها: دِين.

قوله: (﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾) يحتملُ أن ﴿مَن﴾: اسمٌ موصول، والجملة بعدها صلة، أو نكرةٌ، والجملة بعدها صفة، وعلى كلٍّ: فهو بدلٌ من فاعل ﴿يَرْغَبُ﴾، التقديرُ: لا يرغبُ عن ملَّة إبراهيمَ أحدٌ إلا الذي أو شَخصٌ سفهَ نفسَهُ.

قوله: (جهِلَ أنها مخلوقةٌ) هذا بناءً على أنه لا يتعدَّى بنفسه إلا بتَضمينه معنى جهلَ، ومعنى جهلِهِ نفسَهُ: لم يتأمَّلْ ولم ينظُرْ فيها فيستدلَّ على أنَّ لها صانعاً أتقنَ صنعَها فيؤمنَ به.

قوله: (أو استخفَّ بها) هذا بناءً على أنه يتعدَّى بنفسه كالمشدَّدِ، ومعنى استخفافِهِ بها: تركه العبادة لله التي بها العزُّ الأبدي.

قوله: (﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾) هذا حجةٌ لقوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ﴾، وأُكِّدت هذه الجملةُ باللام فقط وما بعدها بـ(إنَّ) واللام؛ لأن هذه الجملةَ متعلِّقةٌ بأمر الدنيا، وهو فيها ظاهرُ الحال، بخلاف الجملة الثانية، فإنها متعلِّقةٌ بالآخرة، وهو أمرٌ مغيَّبٌ لا يؤمنُ به إلا من نوَّرَ الله بصيرتَه، فاحتاجَت لِزيادة التأكيد.

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ....

﴿١٣٢﴾ ﴿وَوَصَّىٰ﴾ - وفي قِراءة: ﴿أَوْصَى﴾ - ﴿بِهَآ﴾: بالمِلَّةِ ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بَنِيهِ، قالَ: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ دِينَ الإسلامِ، ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، نَهى عَن تَركِ الإسلام، وأَمَرَ بالثَّباتِ علَيه إلى مُصادَفةِ المَوت.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة: وأوصى) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[(١)]، فالهمزُ والتضعيف أخَوان.

قوله: (﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾) أي: وهم إسماعيلُ وهو مِن هاجرَ، وإسحاقُ وهو من سارةَ، وكان له ستةُ أولاد من امرأة تُسمَّى قنطوراءَ الكنعانيةَ، تزوَّجها بعد وفاة سارة، فجملةُ أولاده ثمانيةٌ، وقيل: أربعةَ عشر[(٢)].

قوله: (﴿وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه) أشار بذلك إلى أن (يعقوبُ) بالرفع معطوفٌ على ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ﴾، والمفعول محذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (بنيه)، وهم اثنَا عشر: رُوبيل بضمِّ الراء، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويشبوعون، وزبولون، ودون، وبقيون، وكودا، وأوشيز، وبنيامين، ويوسف، كذا في «البيضاوي»[(٣)].

قوله: (قال: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾) هذا هو صورةُ الوَصية.

قوله: (﴿فَلَا تَمُوتُنَّ﴾) أصله: تموتونَ، أُكِّدَ بالنون فصار تموتونَنَّ، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال فالتقا ساكنان الواوُ والنون، حُذفت الواو لالتقائهما.

قوله: (نهى عن ترك الإسلام... إلخ) دفع بذلك ما يُقال: إن الموتَ على الإسلام ليس في طاقة العبد، فما معنى التكليف به؟ فأجابَ: بأن المرادَ التكليفُ بالإسلام والنهيُ عن تَركه؛ كقوله لشخص: لا تصلِّ إلا وأنت خاشعٌ، فهو نهيٌ عن ترك الخشوع فيها.

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: (وأوصى)، وقرأ الباقون: (ووصَّى). انظر «البحر المحيط» (١/ ٥٧٠).

(٢) كذا في «تفسير البغوي» (١/ ١٧٠).

(٣) خلاف عريض في ضَبط أسمائهم، وفي مطبوعة «البيضاوي» (١/ ١٠٧): (روبيل، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويشسوخور، وزبولون، ونفتوني، ودون، وكوذا، وأوشير، وبنيامين، ويوسف)، وانظر «الفتوحات» (١/ ١٠٩).

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ....

﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا قالَ اليَهُود لِلنَّبِيِّ: أَلَستَ تعلَم أنَّ يعقُوبَ يومَ ماتَ أَوصَى بَنِيهِ بِاليَهُودِيَّةِ؟ نَزَلَ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حُضُوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ﴾ - بَدَلٌ مِن ﴿إِذْ﴾ قَبلَه - ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾: بعدَ مَوتِي؟ ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عَدُّ إسماعِيلَ مِن الآباء تَغلِيبٌ، ولِأنَّ العَمَّ بِمَنزِلةِ الأب، ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ - بَدَلٌ مِن ﴿إِلَٰهَكَ﴾ - ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾، - و﴿أَمْ﴾ بِمَعنَى هَمزةِ الإنكارِ - أي: لم تَحضُرُوهُ وقتَ مَوتِه، فكَيفَ تَنسُبُونَ إلَيهِ ما لا يَلِيقُ بِه؟!

حاشية الصاوي

قوله: (بدلٌ من ﴿إِذْ﴾ قبله) أي: بدلُ اشتمال.

قوله: (﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾) أتى بـ(ما) دون (مَنْ) امتحاناً لهم؛ لأنه في زمَنه كثرت عبادةُ غير الله، وإنما امتحنَهم لتظهرَ سرائرُهم.

قوله: (﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ ... إلخ) بدلٌ من ﴿ءَابَآئِكَ﴾، وكرَّرَ (إله) لأنه الفصيحُ مطلقاً، اسماً كما هنا أو حرفاً، كـ(مرَرت بك وبزيدٍ)، قال ابن مالك: [الرجز]

وعَوْدُ خافِضٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى ... ضَمِيرِ خَفْضٍ لازِماً قَدْ جُعِلَا[1]

قوله: (﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾) قدَّمَه على إسحاقَ وإن كان أبا يعقوب؛ لِمَزيَّتين: كونه أسنَّ منه، وكونه أباً للنبيِّ ﷺ.

قوله: (ولأن العم بمنزلة الأب) أي: لما في الحديث: «عمُّك صِنوُ أبيك»[2].

قوله: (﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾) كرَّرَه لدفع توهُّم التعدُّد مِن تعدُّدِ المضاف.

قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي: فتارةً تفسَّرُ بها وحدَها كما هنا، وتارةً تفسَّرُ بها وبـ(بل)، وتارةً تفسَّرُ بـ(بل) وحدَها.

---

(١) «الخلاصة» (باب حروف الجر).

(٢) رواه مُسلم (٩٨٣) بلفظ: «عم الرجل صِنوُ أبيه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أي: أن أصله وأصل أبيه واحد، أو المراد بالصِّنو: المثل؛ أي: مِثل أبيه.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ....

﴿١٣٤﴾ ﴿تِلْكَ﴾ ـ مُبتَدأٌ، والإشارةُ إلى إبراهِيمَ ويَعقُوب وبَنِيهِما، وأنَّثَ لِتَأنِيثِ خَبَره ـ ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: سَلَفَتْ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِن العَمَل أي: جَزاؤُهُ، ـ استِئنافٌ ـ ﴿وَلَكُم﴾ الخِطابُ لِليَهُودِ ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يُسألُونَ عَن عَمَلِكُم. والجُملةُ تَأكِيدٌ لِما قَبلَها.

﴿١٣٥﴾ ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ ـ (أو) لِلتَّفصِيلِ ـ وقائِلُ الأوَّل يَهُودُ المَدِينة، والثَّانِي نَصارَى نَجرانَ، ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿بَلْ﴾ نَتَّبعُ ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾) هذا ردٌّ على اليهود من حيث افتخارُهم بآبائِهم.

قوله: (من العمل) أي: فلا ينفعُ أحداً كسبُ غيره، بل كلُّ امرئٍ بما كسب رهينٌ، خيراً كان أو شرًّا.

قوله: (استئنافٌ) أي: فـ﴿لَهَا﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿مَا﴾: مبتدأٌ مؤخَّر، و﴿كَسَبَتْ﴾: صلتُها، والعائدُ محذوف؛ أي: كسبَته.

قوله: (والجملة تأكيدٌ لما قبلها) أي: لأنه إذا كان لها ما كسبت فلا يُسألون عن عملِكم، وإذا كان لكم ما كسَبتم فلا تُسألون عمَّا كانوا يَعملون، وقوله: (كما لا يسألون عن عملكم) إشارةٌ إلى أن في الكلام اكتفاءً.

قوله: (﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾) هذا في المعنى معطوف على قوله في: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾.

قوله: (﴿تَهْتَدُوا﴾) أي: تَصلوا للخير وتبلغوا السعادةَ.

قوله: (أو لِلتفصيل) أي: لا للجمع؛ فإن مقالةَ يهودِ المدينة: كونوا هوداً تهتدوا؛ لأنه لا يدخلُ الجنة إلا من كان هوداً، ومقالةَ نصارى نجران: كونوا نصارى تهتدوا؛ لأنه لا يدخلُ الجنة إلا من كان نصارى.

قوله: (نَتبعُ) قدَّرَه إشارةً إلى أن ﴿مِلَّةَ﴾ معمولٌ لمحذوف، والجملة مقولُ القول في محلِّ نصب.

وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ ....

ـ حالٌ مِن ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ ـ: مائِلاً عَن الأديان كُلِّها إلى الدِّينِ القَيِّم، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿١٣٦﴾ ﴿قُولُوٓاْ﴾ ـ خِطابٌ لِلمُؤمِنِينَ ـ: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ مِن القُرآنِ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ مِن الصُّحُفِ العَشر، ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولادِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (حالٌ من إبراهيم) أي: والشرطُ موجود، وهو كونُ المضاف كالجزء من المضاف إليه.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) تعريضٌ لهم بأنهم هم المشركون.

قوله: (خطابٌ للمؤمنين) أي: ويصحُّ أن يكون خطاباً لليهود والنصارى؛ أي: إذا أردتُم النجاةَ فلا تشركوا وقُولوا: آمنَّا.

قوله: (﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾) معطوفٌ على لفظ الجلالة، وقوله: (من القرآن) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (من الصحف العشر) قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

قوله: (﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ ... إلخ) إن قلتَ: إن إسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطَ لم ينزِلْ عليهم كتابٌ.

أجيب: بأنه أُوحيَ إليهم بصحف إبراهيم، فلم يكن مغايراً لما أنزلَ على إبراهيم(١).

قوله: (أولاده) أي: أولاد يعقوب، وهم أسباطٌ بالنسبة لإسحاق وإبراهيم، وأولادُهم أسباطٌ للجميع، ويُؤخذ من الآية: أن الأسباطَ أنبياء، وهو المعتمَدُ كما ذكره ابنُ حجر في «شرحه على الهمزية»(٢).

إن قلتَ: حيث كانوا أنبياء فهم معصومُون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها، فكيف ذلك مع ما يأتي في سورة (يوسف) من رَميه في الجبِّ، وإتيانهم على قَميصه بدم كذب، وغير ذلك من الأمور المنافِية للنبوة؟!

---

(١) وعبارة العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ١١١): (وذكر إسماعيل وما بعده لكونهم مُروِّجين ومقرِّرين لما أنزل على إبراهيم، وإلا فليسوا منزَّلاً عليهم في الحقيقة).

(٢) «المنح المكية» (ص٤١٢)، وللعلامة الصاوي شرح لها سمَّاه «الفرائد السنية».

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾

﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ مِن التَّوراةِ ﴿وَعِيسَىٰ﴾ مِن الإنجيل، ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ مِن الكُتُب والآياتِ، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ فنُؤمِنَ بِبَعضٍ ونَكفُرَ بِبَعضٍ، كاليَهُودِ والنَّصارَى، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

١٣٧ ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ﴾ أي: اليَهُودُ والنَّصارَى ﴿بِمِثۡلِ﴾ - (مِثل) زائِدٌ - ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ عَن الإيمانِ بِه، ﴿فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾: ....

حاشية الصاوي

أجيبَ: بأنهم غيرُ مشرِّعين، بل هم أنبياءُ، فالمدارُ على خُلوصِهم في الباطن، على حدِّ ما قيل في أفعال الخَضر مع موسى، وقد شهدَ اللهُ له بأنه ما فعَله عن أمره، فيكون ما جرى من الأسباط في حقِّ يوسفَ كما جرَى من الخضر أو أَولى، وسيأتي بَسْطُ ذلك في سورة (يوسف) إن شاء الله تعالى.

قوله: (﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾) عبَّر أوَّلاً بـ﴿أُنزِلَ﴾، وثانياً بـ﴿أُوتِيَ﴾ تفنُّناً ودفعاً للثقل.

قوله: (﴿وَعِيسَىٰ﴾) لم يكرِّرْ (ما أُوتي) لأن مُؤدَّى الإنجيل والتوراة واحدٌ، وإنما التغايرُ في شيء يسير، وهو تحليلُ بعض ما حُرِّم.

قوله: (﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ﴾) هذا من عطف العامِّ على الخاصِّ؛ إشارةً إلى أنه يجب علينا الإيمانُ بجميع أنبياء الله وما أُنزل عليهم.

قوله: (كاليهود) أي: فإنهم آمنوا بموسى وكفروا بمَن عدَاه، وقوله: (والنصارى) أي: فإنهم آمنوا بعيسى وكفروا بمَن عداه.

قوله: (مثل زائدة) أي: لأن المعنى على أصالتها فاسدٌ؛ لأنه يوهمُ أنهم مأمُورون بالإيمان بمثلِ الله، ومثلِ ما أُنزلَ على محمد... إلخ، وهذا باطل[1].

---

(١) وزيادة (مثل) يَعضدها كما قال أبو السعود في «تفسيره» (١/ ١٦٧) قراءةُ ابن مسعود: (بما آمنتم به)، وقراءة أُبي: (بالذي آمنتم به)، أو تكون الباء زائدة، ويكون التقدير: فإن آمنوا مثلَ إيمانكم، كما قال الواحدي في «الوسيط» (١/ ٢٢١).

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ ....

خِلافٍ مَعَكُم، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يا مُحَمَّدُ شِقاقَهم، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِأقوالِهِم، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِأحوالِهِم. وقد كَفاهُ إيَّاهُم بِقَتلِ قُرَيظةَ، ونَفيِ النَّضِير وضَربِ الجِزيَة عليهِم.

١٣٨ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ ـ مَصدرٌ مُؤكِّد لِـ﴿ءَامَنَّا﴾، ونَصبُهُ بِفِعلٍ مُقَدَّر ـ أي: صَبَغَنا اللهُ، والمُرادُ بِها دِينُه الذي فَطَرَ النَّاس عليه؛ لِظُهُورِ أثَرِه على صاحِبه كالصَّبغِ في الثَّوب، ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحَدَ ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ ـ تَمييزٌ ـ، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (خلافٍ) أي: مخالفةٍ للدين الحقِّ، ويطلقُ على الضلال وعلى العداوَة[1]، ويصحُّ إرادةُ كلٍّ منهما؛ لأن مَن تولَّى عن الإيمان فهو في ضلالٍ ومعاداةٍ لله.

قوله: (شقاقَهم) أي: ضررَ ضلالِهم ومخالفتهم ومعاداتهم.

قوله: (بقتل قريظة) أي: فقد قتلَ منهم في يوم واحد سبعَ مئةٍ من صناديدهم، ورُموا في الخندق[2].

قوله: (وضرب الجزية عليهم) أي: اليهودِ والنصارى.

قوله: (﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾) الصِّبْغُ بالكسر: أثرُ الصَّبْغ بالفتح الذي هو المصدر، وسببُ نزول الآية: أن النصارى كانوا يَغمسون أولادَهم في ماء أصفرَ يُسمَّى ماءَ المعمودية، ويقولون حينئذٍ: قد صارَ نصرانيًّا حقًّا، فنزلت ردًّا عليهم[3]، كأن اللهَ يقول لهم: صِبغتي لعبيدي لا أحسنَ منها صبغةً.

قوله: (أي: صبغَنا) من باب: نفع وضرب ونصر[4].

قوله: (كالصِّبْغ في الثوب) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارةً تصريحيةً أصلية؛ حيث شبَّهَ آثارَ الإيمان القائمِ بالشخص بالصِّبْغ القائم بالثوب بجامع المكثِ والظهور في كلٍّ، واستُعير اسمُ

---

(١) فحاصل معنى الشقاق: المخالَفة كما هنا، والضلال كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾، والعَداوة كقوله تعالى: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ﴾، وانظر «الفتوحات» (١/ ١١١).

(٢) سيأتي الحديث عن هذا في سورة الأحزاب (٥/ ٣١٨).

(٣) «تفسير البغوي» (١/ ١٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) «المصباح المنير» (ص ب غ).

قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ....

﴿١٣٩﴾ قالَ اليَهود لِلمُسلِمِينَ: نَحنُ أهل الكِتاب الأوَّلِ وقِبلَتُنا أقدَمُ، ولـم تَكُن الأنبِياءُ مِن العَرَب، ولَو كانَ مُحمَّد نَبِيًّا لَكانَ مِنَّا، فنزَل: ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾: تُخاصِمُونَنا ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ أنِ اصطَفَى نَبِيًّا مِن العَرَب، ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾، فلَهُ أن يَصطَفِيَ مَن يَشاءُ، ﴿وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا﴾ نُجازَى بِها، ﴿وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ تُجازَونَ بِها، فلا يَبعُدُ أن يَكُونَ في أعمالنا

حاشية الصاوي

المشبَّهِ به للمشبَّه. وفي هذه الآية بُشرى للمؤمنين عظيمةٌ، وهي أن الإيمانَ في القلب كالصبغ المتقَنِ في الثوب، فكما لا يزولُ الصبغ من الثوب كذلك الإيمانُ لا يَزول من القلب؛ لأن صبغةَ الله لا أحسنَ منها؛ ولذا قيل: إن موتَ المؤمن على غير الإيمان نادرٌ كالكبريتِ الأحمر.

والمرادُ من الصبغة: الأنوارُ الكائنة في القلب والأعضاء؛ لأن الإيمانَ لا يكملُ إلا إذا صُبِغَ به كصبغة الثوب، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ [التحريم: ٨]، وفي الحديث: «**لوْ كُشفَ عن نورِ المؤمنِ العاصي لأضاءَ ما بينَ المشرقِ والمغربِ**»[1]، وإنما انحجبَ عنه ليتِمَّ وعدُ الله ووعيده.

قوله: (قال اليهود) شروعٌ في ذكر سببِ نزول الآية.

قوله: (الأَوَّل) أي: السابقِ على الإنجيل والقرآن.

قوله: (من العرب) أي: بل كانت من بني إسرائيل.

قوله: (﴿قُلْ﴾) أي: يا محمدُ، والخطابُ لكلِّ عاقلٍ يريدُ إقامة الحجَّةِ عليهم.

قوله: (فله أن يصطفي من عباده من يشاء) أي: فلا حرجَ عليه في أفعاله.

قوله: (﴿وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا﴾) أي: فإن كانت النبوَّةُ من جهة اصطفاءِ الله واختياره فربُّكم هو ربُّنا، يختصُّ برحمته من يشاء، وإن كانت من جِهة العمل فكما لكم أعمالٌ تُجازونَ عليها لنا أعمالٌ نُجازى عليها، فنحن مُشتركون معكم في العبودية والأعمال.

---

(١) قول مشهور للعارف بالله أبي الحسن الشاذلي رحمه الله، أورَده الثعالبي في «تفسيره» (٤/ ٣٩٠)، ولكن روى البيهقي في «الشعب» (٣٦٩) عن يعلى بن منبه يرفعه: «إن النار تقولُ يوم القيامة: يا مؤمنُ؛ جُزْ فقد أطفأ نورُك لهبي»، وانظر «المقاصد الحسنة» (٣٤٤).

وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ ....

ما نَستَحِقُّ بِه الإكرامَ، ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ الدِّينَ والعَمَلَ دُونَكُم، فنَحنُ أَولى بِالِاصطِفاءِ. ـ والهَمزةُ لِلإنكارِ، والجُمَلُ الثلاثُ أحوالٌ ـ.

﴿١٤٠﴾ ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿يَقُولُونَ﴾ ـ بِالياءِ والتَّاء ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ﴾ لَهُم: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾ أي: الله أعلَمُ؟ وقد بَرَّأَ مِنهُما إبراهِيم بِقَولِه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧]، والمَذكُورُونَ معَهُ تَبَعٌ لَه،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾) أي: لم نشرِكْ به أحداً بخلافكم أنتم، فقد زِدنا عليكم وصفاً وهو الإخلاصُ، فكان الأَولى بذلك نحن لا أنتم.

قوله: (أحوال) أي: إما من الواو أو (نا)، لكن الأظهر في الأخيرة أنها حال من (نا)، وعامل الحال على كلٍّ هو الفعل الذي هو ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان(١).

قوله: (﴿أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾) (أو): للتقسيم والتوزيع، فاليهودُ نَسبوا لهم اليهوديةَ، والنصارى نسبوا لهم النصرانية.

قوله: (﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾) الهمزة للاستفهام، وما بعدها مبتدأٌ وخبر، والمستفهَم عنه يجوز توسُّطُهُ بين الهمزة و(أم) كما هنا، وهو الأحسَن، ويجوز في غير القرآن أن تقول: أأَعلم أنتم أم الله؟ أو: أأنتم أم اللهُ أعلَم؟

قوله: (﴿أَمِ ٱللَّهُ ۗ﴾) أم: معادلةٌ للهمزة التي هي لِطلب التعيين، واسمُ التفضيل ليس على بابه، بل للتهكُّم والاستهزاء.

قوله: (أي: الله أعلَم) أشار بذلك إلى أنه جوابُ الاستفهام، وأن خبرَ المبتدإِ محذوفٌ دلَّ عليه المذكور.

قوله: (تبعٌ له) جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ، تقديرُه: إن الله قد برَّأَ إبراهيمَ ولم يذكُرْ معه أولادَه،

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحَفص بالتاء، وقرأ الباقون بالياء. انظر «البحر المحيط» (١/ ٥٨٦).

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ....

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾: أخفى عن النَّاس ﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ﴾ كائنةً ﴿مِنَ ٱللَّهِۗ﴾؟ أي: لا أحدَ أظلَمُ مِنه، وهُم اليَهُودُ؛ كَتَمُوا شَهادةَ الله في التَّوراةِ لِإبراهِيمَ بِالحَنيفِيَّةِ، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ـ تَهدِيدٌ لَهُم ـ.

﴿١٤١﴾ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ تَقدَّم مِثلُه.

حاشية الصاوي

ومن جملة ما رُدَّ عليهم به قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ٦٥].

قوله: (كائنة ﴿مِنَ ٱللَّهِۗ﴾) أشار بذلك إلى أن قولَه: ﴿عِندَهُۥ﴾ صفةٌ أُولى لـ﴿شَهَٰدَةً﴾، وقوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِۗ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف صِفة ثانية لها.

قوله: (لإبراهيم بالحنيفية) أي: ولمحمدٍ بالرسالة، حيث ذكرَ اللهَ أوصافَه وأخلاقَه في كُتبهم، فغيَّروها وبدَّلوها.

قوله: (﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾) الغفلةُ: هي تركُ الشيء مع التمكُّن من العِلم به، وذلك مستحيلٌ على الله تعالى، فالمرادُ بها الإمهالُ ليوم القيامة، وممَّا يُفسرُ تلك الآيةَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقولُه: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ أبلَغ من التهديد من قوله: والله عليمٌ بما تَعملون مثلاً؛ لأن عدمَ الغفلة يستلزمُ العلمَ، بخلاف العِلم فلا يَستلزمُ عدمَ الغفلة.

قوله: (﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾) أي: أنبياءُ بني إسرائيل.

قوله: (﴿قَدْ خَلَتْۖ﴾) أي: سبقَتْ.

قوله: (﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾) أي: من خيرٍ أو شرٍّ.

قوله: (﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾) أي: ولا يُسألون عن عملِكم.

قوله: (تقدَّم مثله) أي: وإنما كرَّرَه الله لمزيد بَلادتهم؛ فإن السامعَ إذا كان بليداً فالأبلغ تكرار الكلام له؛ لإقامة الحجَّة عليه.

سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ....

﴿١٤٢﴾ ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الجُهَّالُ ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: اليَهُودِ والمُشرِكِينَ: ﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ﴾: أيُّ شَيءٍ صَرَفَ النَّبيَّ ﷺ والمُؤمِنِينَ ﴿عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾: على استِقبالها في الصَّلاةِ وهي بيتُ المقدِسِ؟ - والإتيانُ بِالسِّينِ الدَّالَّة على الِاستِقبال مِن الإخبارِ بِالغَيب - ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ أي: الجِهاتُ كُلُّها؛ فيَأمُر بِالتَّوَجُّهِ إلى أيِّ جِهةٍ شاءَ لا اعتِراضَ علَيه، ﴿يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾) سيأتي للمُفسِّر أن الآيةَ من الإخبار بالغيب، **وحاصلُ ذلك**: أن النبيَّ كان يستقبلُ الكعبة في صلاته وهو بمكَّةَ، فلمَّا هاجرَ إلى المدينة أُمرَ باستقبال بيت المقدس، فأنزلَ الله هذه الآيةَ لِيُعْلِمَه بأنه سيحوِّلُه للكعبة فيُعترضُ عليه، وليكون معجزةً له من حيث إخبارُهُ بالمغيَّبات، ثم نزلت آيةُ تحويلِ القبلة، فمُقتضاه: أن هذه الآيةَ متقدِّمةٌ في النزول والتلاوة، ودرجَ على ذلك جماعة من المفسِّرين، والذي وردَ عن ابن عباسٍ وغيرِه: أنها متقدِّمةٌ في التلاوة، متأخرةٌ في النزول عن آية التحويل[١].

وحكمةُ الإتيان بالسين: إفادةُ الاستِمرار على هذه المقالة منهم وممَّن يأتي بعدهم. والسفهاء: جمع سَفيه، وهو من يتجنَّبُ المنافع، ويتعلَّق بالمضارِّ دنيويةً أو دِينيةً، ولا شكَّ أن الكافرَ تعلَّقَ بالمضارِّ الدينية، فكلُّ كافر سَفيهٌ.

قوله: (﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾) بيانٌ للسفهاء، احترازاً عن البهائم؛ فإنها تُسمَّى سفهاءَ أيضاً.

قوله: (اليهود) أي: فإنهم اعترضوا على النبيِّ وأصحابه في تحوُّلِهم عن جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة، وقوله: (والمشركين) أي: فإنهم اعتَرضوا عليهم في تحوُّلِهم أوَّلاً ورجوعهم ثانياً.

قوله: (﴿مَا وَلَّىٰهُمۡ﴾) ﴿مَا﴾: استفهامية، والجملةُ بعدها خبرٌ عنها.

قوله: (إلى أيِّ جهة شاء) أي: فالأمرُ باستقبال جهة مخصوصة تعبديٌّ لا نعقلُ له معنًى.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾، قال العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ١١٤): (وقول الشيخ المصنف كالقاضي البَيضاوي تبعاً لما في «الكشاف»، والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بِالغيب هو ما عليه أكثر المفسرين).

إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ....

هِدايتَه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾: طَريقٍ ﴿مُّسۡتَقِيمٖ﴾: دِينِ الإسلام، أي: ومِنهُم أنتُم، دَلَّ على هذَا:

﴿١٤٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما هَدَيناكُم إلَيهِ ﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾ يا أُمَّةَ مُحَمَّد ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾: خِياراً عُدولاً؛ ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يومَ القِيامة أنَّ رُسُلَهم بَلَّغتهُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (هدايتَهُ) مفعولُ ﴿يَشَآءُ﴾.

قوله: (ومنهم أنتم) أي: من المهتدين أمةُ محمدٍ ﷺ.

قوله: (﴿وَكَذَٰلِكَ﴾) اسمُ الإشارة عائدٌ على الهداية.

قوله: (أي: كما هديناكم إليه ﴿جَعَلۡنَٰكُمۡ﴾) أي: فمنَّ اللهُ عليهم بمنَّتينِ: الأولى الهداية، الثانية جعلهم خياراً عدولاً، وجعلَ بمعنى صيَّرَ، فالكافُ: مفعولٌ أوَّل، و﴿أُمَّةٗ﴾: مفعولٌ ثاني[1].

قوله: (﴿وَسَطٗا﴾) هو في الأصل: المكانُ الذي استوت إليه الجهاتُ، ثم أُطلقَ وأُريدَ منه الخصالُ الحميدة، فالمعنى: أصحاب خصالٍ حَميدة، ولا شكَّ أن مَنْ كان كذلك فهم خِيارٌ عُدُول.

قوله: (خياراً عدولاً) أي: أصحابَ علمٍ وعمل، ولا يخلو زمانٌ منهم؛ لما في الحديث: **«لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم مَنْ خالفَهم، حتى يأتيَهم أمرُ الله وهم على ذلك»**[2]، وما دامَ القرآنُ موجوداً فهم موجُودون؛ لقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣]، فلولا أن أناساً موجودون بهذه المثابة ما بقيَ القرآن، ونزول البلايا ليس دليلاً على عدم وجود الخيار؛ فإن الأنبياءَ كانوا موجودِين مع حصول الخَسْفِ والمسْخِ بأُممهم، فليسوا أعظمَ من الأنبياء، ولما في الحديث: (أنهلِكُ وفينا الصالحون؟) قال: **«نعم إذا كثُرَ الخبَثُ»**[3].

قوله: (﴿لِّتَكُونُواْ﴾) اللام: للتعليل، وقيل: للصيرورة، وعلى كلٍّ فالفعل منصوب بـ(أنْ) مضمرة بعدها جوازاً، وعلامةُ نَصبه حذف النون، والواو: فاعل.

قوله: (أن رسلَهم بلَّغتهم) هذا بيانٌ للمشهودِ به.

---

(١) كذا في الأصل، وهو على حدِّ قراءة ابن كثير: (ولِكل قوم هادي)، ومرَّت الإشارة إليها سابقاً.

(٢) رواه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١)، ومسلم (١٥٦، ١٩٢٠).

(٣) رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠) من حديث زينب بنت جحش ﵂.

وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ ....

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ أَنَّهُ بَلَّغَكُم. ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾: صَيَّرْنا ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾ لَكَ الآنَ الجِهةَ ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أَوَّلاً وهِيَ الكَعبةُ، وكانَ ﷺ يُصَلِّي إلَيها، فلَمَّا هاجَرَ أُمِرَ بِاستِقبالِ بَيتِ المَقدِس تَأَلُّفاً لِليَهُودِ، فصَلَّى إلَيهِ سِتَّةَ أو سَبعَةَ عَشرَ شَهراً، ثُمَّ حُوِّلَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أنه بلَّغكم) هذا بيانٌ لشهادة الرسول، **وحاصل ذلك**: أنه يوم القيامة تُوقفُ كفَّارُ الأمم السابقة في صعيدٍ واحد، ويقول الله لهم: لِمَ لمْ تؤمنوا بي؟ ألمْ يأتِكم نذيرٌ؟ فيقولون: يا ربَّنا؛ ما جاءَنا نذير، فيُؤتى بأنبيائهم، فيقول الله لهم: ألمْ تبلِّغوا أممَكم الرسالةَ؟ فيقولون: يا ربَّنا؛ قد بلَّغنا ما أرسلتَنا به فلم يؤمنوا، فيقول الله لهم ـ وهو أعلَم بهم لإقامة الحجة عليهم ـ: ومَن يشهدُ لكم؟ فيقولون: أمَّةُ محمد، فيُؤتى بهم، فيقول الله لهم: أتشهَدون أن الرسلَ بلَّغَت الرسالةَ لأمَمِهم فكفروا بهم؟ فيقولون: نعم نشهدُ بذلك، فتقول الأمم: كيف يَشهدون علينا مع كونهم متأخِّرين عنَّا؟! فيقولون: يا ربَّنا؛ أخبرنا رسولُنا بذلك في كتابِنا عنك وهو صادقٌ في خبره، فيقولُ اللهُ لهم: ومَن يزكِّيكم؟ فيقولون: نبيُّنا، فيُؤتى به، فيقول: أشهدُ أن أُمَّتي عُدول[1].

وقوله: (﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾) إن كان المرادُ بهم أممَ الأنبياء السابقة فـ(على) على بابها، وإن كان المرادُ بهم الأنبياءَ فـ(على) بمعنى اللام، فهي مُستعملةٌ في حقيقتها ومجازها.

وقوله: (﴿عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾) أي: على كفَّارِكم، وسُمِّيت شهادةً وإن كانت في الواقع دَعوى؛ لعدم ردِّها، ويحتمل أن (على) بمعنى اللام، والضميرُ عائدٌ على العدول الشاهدين على الأُمم السابقة من حيث تزكيتُهُ لهم.

قوله: (﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾) اختُلفَ في إعراب هذه الآية، فدرجَ المفسِّر على أن قوله: ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾ مفعولٌ ثانٍ لـ﴿جَعَلْنَا﴾ مقدَّم، وقوله: ﴿ٱلَّتِي﴾: صفةٌ لموصوف محذوف مفعولٍ أول، ودرج غيره على العكس، وهو أن ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾ مفعولٌ أول، و﴿ٱلَّتِي﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول ثان، والأقرَبُ: الأول.

وحاصلُ ذلك: أن رسول الله وهو بمكة كانَ يصلي للكعبة، فلمَّا هاجرَ إلى المدينة أُمرَ باستقبال بيت المقدس تأليفاً لليهود، فصلَّى لها سبعةَ عشرَ أو ستةَ عشرَ شهراً، فكان رسولُ الله ﷺ يشَمُّ منهم

---

(١) انظر روايات الخبر عند الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٤٥) وما بعدها.

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ ....﴾

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ عِلمَ ظُهور ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيُصَدِّقهُ، ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ أي: يَرجِعُ إلى الكُفر شَكًّا في الدِّين وظَنًّا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ في حَيرةٍ مِن أمرِه، وقَد ارتَدَّ لِذَلِك جَماعةٌ، ﴿وَإِن﴾ ـ مُخَفَّفة مِن الثَّقِيلةِ، واسمُها مَحذُوفٌ ـ أي: وإنَّها ﴿كَانَتْ﴾ أي: التَّولِيَةُ إلَيها ﴿لَكَبِيرَةً﴾: شاقَّةً على النَّاس، ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ مِنهُم، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ

حاشية الصاوي

الكبرَ، فكانوا يَقولون: إن محمداً يفارقُ دينَنا ويصلي لِقبلتنا! وكان رسولُ الله يحبُّ أن يصليَ للكعبة، حتى نزلَ عليه جبريلُ يوماً، فقال له: «يا جبريلُ؛ أودُّ أن الله يحوِّلني لِقبلة أبي إبراهيمَ، فَسَلْ ربَّكَ ذلك»، فقال له: أنتَ أكرمُ عليه منِّي، ثم صعدَ إلى السماء، فصارَ رسولُ الله ينظرُ لجهتها مُنتظراً للإذن في ذلك، فنزلَ عليه جبريلُ بعد ركعتين من صلاة الظهر في رَجب بالأمر بالتحويل للكعبة، فتحوَّلَ وتحوَّلَ الناسُ معه، وكان يوماً مشهوداً، فافتُتِنَ اليهودُ وأهلُ النفاق[١].

قوله: (علمَ ظهور) جوابٌ عما يُقال: إن علمَ الله قديمٌ فلا يتجدَّد، والمعنى: ليظهرَ لكم متعلقُ عِلمنا بتمييزِ المؤمنِ من الكافر.

قوله: (فيصدقه) أي: يدومُ على صِدقه.

قوله: (أي: يرجع للكفر) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ ليس على حقيقته؛ لأن الانقلابَ على العَقب معناه: الرجوعُ لخلف، وليس مراداً، بل هو كنايةٌ عن الرجوع للكفر، نظيرُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ [محمد: ٢٥].

قوله: (وقد ارتدَّ لذلك) أي: التحويلِ، والمعنى: ظهرَ كفرُهم، وإلَّا فمتى صُبغَ القلبُ بالإيمان فلا يزولُ؛ لأن الكريمَ إذا مَنَّ تمَّم[٢].

قوله: (﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾) أي: فكان عيداً لهم، حتى صار فضلُ مَن صلَّى مع النبي للقبلتين أعظمَ ممَّن أتى بعد ذلك، قال صاحبُ «الجوهرة»: [الرجز]

---

(١) كذا عند البغوي في «تفسيره» (١/ ١٧٧) عن مجاهد، وأصلُه عند البخاري (٧٢٥٢)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) فقال عز شأنه في سِياق الآية: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾، وسواء فُسِّر الإيمان هنا بالصلاة أو بقيَ على حقيقته، فقبولُ الفرع مؤذنٌ بقبول الأصل، ولكن لا يَفترُ لسان المؤمن عن اللهج بقوله تعالى معلماً: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ ....

إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ أي: صَلاتَكُم إلى بَيت المَقدِس، بَل يُثيبُكُم عليه؛ لِأنَّ سَبَب نُزُولها السُّؤالُ عَمَّن ماتَ قَبل التَّحويلِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ المُؤمنِينَ ﴿لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ في عَدَمِ إضاعة أعمالِهم. والرَّأفةُ: شِدَّةُ الرَّحمة، وقَدَّمَ الأبلَغ لِلفاصِلةِ.

﴿١٤٤﴾ ﴿قَدۡ﴾ ـ لِلتَّحقِيقِ ـ ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾: تَصَرُّفَ ﴿وَجۡهِكَ فِي﴾ جِهةِ ﴿ٱلسَّمَآءِۖ﴾ مُتَطَلِّعاً إلى الوَحيِ ومُتَشَوِّفاً لِلأمرِ بِاستِقبالِ الكَعبةِ، وكانَ يَوَدُّ ذلك لِأنَّها قِبلةُ إبراهِيمَ، ولِأنَّهُ أدعَى

حاشية الصاوي

والسَّابِقُونَ فَضْلُهُمْ نَصّاً عُرِفْ[1]

قوله: (أي: صلاتكم) عبَّرَ بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظَمُ أركان الإسلام بعد الشهادتين.

قوله: (لأن سببَ نزولها... إلخ) وسببُ ذلك شُبهةٌ ألقاها حُيَيُّ بن أخطبَ للمسلمِين، وهي أن استقبالَكم لبيت المقدس لا يخلُو إما أن يكونَ هدًى فقد انتَقلتم الآنَ إلى ضلال، وإما أن يكون ضلالاً فلِمَ أقرَّكم عليه؟ وأيضاً: مَنْ مات قبل التحويل ماتَ على الضلال وضاعت أعمالُهُ! فشَقَّ ذلك على أقاربِ من مات قبل التحويل، فشكَوا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزَلت الآية[2].

وتحويلُ القبلة أوَّلُ نَسخٍ وردَ في الشرع[3].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾) هذا كالدليل لما قبله؛ أي: لم يُضيِّعْ صلاتَكم؛ لكونه رؤوفاً رحيماً.

قوله: (للفاصلة) أي: التي هي قوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، فهي على الميم فيها.

قوله: (﴿قَدۡ نَرَىٰ﴾) تقدَّمَ سببُ نزول هذه الآية[4].

قوله: (للتحقيق) وقيل: للتكثير، وهو بالنظر لفعل النبيِّ لا لِرؤية الله، وهو خطابُ تودُّد.

قوله: (متطلعاً) أي: متطلِّباً ومتشوِّقاً، وهو إشارةٌ لحال محذوفة.

قوله: (لأنها قبلة إبراهيم) أي: وقبلتُهُ من قبلُ.

(١) هذا ما رجَّحه المصنف في بَيان معنى السابقين في «شرحه للجوهرة» (ص٣٢٩).

(٢) «تفسير البغوي» (١/١٧٦).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٢٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/١٢).

(٤) تقدم (١/٢٥٤ - ٢٥٥).

فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ....

إلى إسلام العَرَب، ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: نُحوِّلَنَّك ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾: تُحِبُّها، ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: استَقبِلْ في الصَّلاة ﴿شَطْرَ﴾: نَحوَ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: الكَعبةِ، ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ ـ خِطابٌ لِلأُمَّةِ ـ ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصَّلاةِ ﴿شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (ولأنه أدعى إلى إسلام العرب) أي: فإنهم قالوا حين استقبلَ بيتَ المقدس: حيث عدلَ عن قِبلة أبيه إبراهيم، لا نتّبعُهُ أبداً.

قوله: (نحوِّلَنَّك) مقتضى هذا التفسير أن ﴿قِبْلَةً﴾ منصوبٌ بنزع الخافض، ولو أبقى (نُولِّي) على حالها لفسرها بـ(نُعطي)؛ لأنها تنصب مفعولين، فالكافُ: مفعولٌ أول، و﴿قِبْلَةً﴾: مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (تحبُّها) أي: بحسَب الطبع، وإلا فهو يحبُّ أوامرَ الله مطلقاً، لكن إذا كانت موافقةً للطبع كانت أحبَّ، وهذا وعدٌ من الله له بما يحبُّه، وفي قوله: ﴿فَوَلِّ﴾ إنجازٌ له.

قوله: (﴿شَطْرَ﴾) يطلق على الجهة، وهو المرادُ هنا، ويُطلق على النصْفِ، ويُطلق على البُعْد، يُقال: شطرَ فلانٌ؛ بمعنى: بَعُد.

قوله: (أي: الكعبةِ) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالمسجد الحرام: خصوصُ الكعبة، ولمَّا نزلت هذه الآية تحوَّلَ لجهة الميزاب[1]، وهكذا قِبلتُنا بمصرَ، فإنها لجهته.

قوله: (﴿وَحَيْثُ مَا﴾) شرطية؛ لاقترانها بـ﴿مَا﴾، و﴿كُنتُمْ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَوَلُّوا... إلخ﴾: جوابُه، وقُرن بالفاء؛ لأنه فعلٌ طلبي، وفي هذه الآية إشارةٌ أخرى لحكمة النَّسخ، وهي تطلُّعُه لجهة السماء ومحبَّتُه للكعبة، وتقدَّمت الحكمةُ الأولى كونُها فتنةً للناس؛ ليتميزَ المؤمنُ من غَيره.

قوله: (خطاب للأمة) ودَفع بذلك ما يُتوهَّم: أنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

قوله: (﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾) أي: في أيِّ مكانٍ، وفي أيِّ زمان.

قوله: (﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾) قيل: المرادُ بهم اليهود؛ لأنهم هم المعارِضون له في ذلك الوقت، والكتابُ هو التوراة، وقيل: اليهود والنصارى، والكتابُ هو التوراةُ والإنجيل.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٥٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ ....

أي: التَّوَلِّي إلى الكَعبة ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ ﴿مِن رَّبِّهِمْۗ﴾ لِما في كُتُبهم في نَعتِ النَّبِيِّ ﷺ مِن أنَّه يَتحَوَّلُ إلَيها، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ـ بِالتَّاءِ ـ أيُّها المُؤمِنُونَ مِن امتِثال أَمرِه، ـ وبِالياءِ ـ أي: اليَهُود مِن إنكار أَمرِ القِبلة.

﴿١٤٥﴾ ﴿وَلَئِنْ﴾ ـ لامُ قَسَم ـ ﴿أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ على صِدقِك في أمرِ القِبلة، ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ أي: لا يَتبعُونَ ﴿قِبْلَتَكَۚ﴾ عِناداً، ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ﴾ قَطعٌ لِطَمَعِه في إسلامِهم وطَمَعِهم في عَودِه إلَيها، ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (**أي: التولي إلى الكعبة**) ويصحُّ أنه عائدٌ على النبيِّ أو النسخ؛ لأن كلًّا مذكورٌ في الآية، والمآلُ واحد.

قوله: (**أيها المؤمنون**) أي: وفيه تَسليةٌ للنبي عليه الصلاة والسلام، ووعدٌ حسنٌ وبُشرى.

قوله: (**وبالياء**) أي: اليهود؛ أي: ففيه وعيدٌ وزجر وتهديد، وهما قراءتانِ سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ﴾) هذا أيضاً تسليةٌ للنبي وتيئيسٌ من إيمانهم؛ لأنهم ضلُّوا على عِلم، فلا تنفعُ فيهم موعظة. [الخفيف]

وإذا ضَلَّتِ العُقُولُ عَلَى عِلْـ ... ـمٍ فَماذا تَقُولُهُ النُّصَحاءُ؟[2]

قوله: (**لام قَسم**) أي: وإنْ: حرفُ شرط، وقوله: ﴿أَتَيْتَ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾: جواب القسم، وأما جوابُ الشرط فهو محذوفٌ؛ للقاعدة النحوية: أنه إذا اجتمعَ شرط وقسَم فإنه يحذف جوابُ المتأخِّر منهما، وأيضاً: قوله: ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ لا يصلحُ أن يكون جواباً للشرط؛ لأنه فعل منفي بـ(ما)، فحقُّه دخولُ الفاء فيه.

قوله: (**قطعٌ لطمعه في إسلامهم**) راجعٌ لقوله: ﴿مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَۚ﴾، وقوله: (**وطمعهم... إلخ**) راجعٌ لقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ﴾، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

---

(١) قراءة التاء لابن عامر وحمزة والكسائي. انظر «البحر المحيط» (١/ ٦٠٤).

(٢) للبوصيري في «همزيته»، و(على) في البيت بمعنى مع، وانظر «المنح المكية» (ص٤٠٢).

وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ....

أي: اليَهُود قِبلةَ النَّصارَى وبِالعَكسِ، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يَدعُونَك إلَيها ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: الوَحيِ، ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إنِ اتَّبَعتَهُم فَرضاً ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿١٤٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: مُحَمَّداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بِنَعتِهِ في كُتُبِهِم، قال ابنُ سَلام: (لَقد عَرَفتُه حِينَ رَأَيته كما أعرِفُ ابنِي، ومَعرِفتي لمحمَّدٍ أشَدُّ)، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: نَعتَه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

إن قلتَ: كيف يطمعون في عَوده لبيت المقدس مع أنه مذكور في كتبهم أنه لا يرجعُ عن الكعبة بعد أن تحوَّل إليها؟

قلتُ: إن ذلك الطَّمعَ واقعٌ من جَهلتهم الذين لا يعرفون في التوراة شيئاً.

قوله: (أي: اليهود قبلةَ النصارى) هذا ممَّا يؤيِّدُ أن المرادَ بـ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهودُ والنصارى، وقبلةُ اليهود بيتُ المقدس، وقبلةُ النصارى مَطْلِعُ الشمس، وكانت باختراع منهم؛ لِزعم بولسَ القسيسِ أنه بعد رفعِ عيسى قال: لقيتُ عيسى عليه السلام فقال لي: إن الشمسَ كوكبٌ أحبُّه، يبلِّغُ سلامي في كلِّ يوم، فمُرْ قومي ليتوجَّهوا إليها في صلاتهم، ففعلُوا ذلك[1].

قوله: (إن اتبعتهم فرضاً) أي: على سبيل الفرض والتقدير، على حدِّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقيل: الخطابُ له والمرادُ غيره؛ لمزيد الزَّجْر.

قوله: (﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾) (ما): مصدرية، تسبكُ مع ما بعدها بمصدر؛ أي: كمعرفتهم أبناءهم، والمشبَّه أقوى من المشبَّه به[2].

قوله: (ومَعرفتي بمحمد أشد) سُئل عن ذلك فقال: لأن معرفتي بابني ظنيَّة؛ لأنه يحتمل أن يكون مِن غيري، وأما معرفتي بمحمد فهي عن الله، وأيُّ خبرٍ أصدقُ من خبر الله؟![3]

---

(١) كما ذكر ذلك العلَّامة الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٢/ ٢٥٣).

(٢) فيكون من التشبيه المقلوب؛ لتأكيد معرفتهم، وجمهور البَلاغيين على عدم وُقوعه في كتاب الله تعالى.

(٣) «الدر المنثور» (١/ ٣٥٧) برواية الثعلبي وروايات أخرى.

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ....

﴿١٤٧﴾ هذا الذِي أنتَ علَيه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ كائناً ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فِيهِ، أي: مِن هذا النَّوع، فهُوَ أبلَغُ مِن (لا تَمترِ).

﴿١٤٨﴾ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِن الأُمَمِ ﴿وِجْهَةٌ﴾: قِبلةٌ ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وَجهَهُ في صَلاتِه، ـ وفي قِراءة: (مُوَلَّاها) ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (كائناً) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ متعلِّق بمحذوف حال من ﴿ٱلْحَقُّ﴾، وهو خبر لمبتدإٍ محذوف، والأظهرُ أنه مبتدأٌ خبرُهُ الجارُّ والمجرور بعده، أو مبتدأٌ والخبرُ محذوف تقديرُهُ: يعرفونه، و(أل) يحتمل أنها للعهد الذكري، أو الجنس، أو الاستغراق.

قوله: (الشاكِّين فيه) أي: في كونهم يَعرفون نعتَك، أو في الحق.

قوله: (فهو أبلغُ مِن لا تمترِ) أي: لكون النهي عامًّا، فيفيدُ أن الشكَّ يضرُّ كلَّ مَن قامَ به، ولكونه مؤكَّداً بالنون، ولأن الكنايةَ أبلغُ من الحقيقة، بخلاف: لا تمترِ، فربَّما يُتوهَّمُ أن الشكَّ لا يضرُّ إلا هو فقط، ولم يكُنْ مؤكداً.

قوله: (﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾) هذا كالنتيجة لما قبله، كأنه قال: فلما تفرَّقوا صارَ لكلٍّ وِجهة.

قوله: (قبلة) أشارَ بذلك إلى أن ﴿وِجْهَةٌ﴾: اسمٌ للمكان، فثبوتُ الواو قياسي، وأما إن أُريدَ بها المعنى المصدري فثبوتُ الواو غيرُ قياسي؛ على حدِّ: عِدَة وزِنَة، وإنما ثبتت الواوُ تنبيهاً على الأصل.

قوله: (﴿هُوَ﴾) أي: الفريق المفهوم من الأُمَم؛ لأن المرادَ بهم الفرقُ، ولو عبَّرَ به لكان أوضح.

قوله: (﴿مُوَلِّيهَا﴾) اسم فاعل، فاعلُه ضميرٌ يعود على الفريق، والهاءُ: مفعولٌ أول، وقول المفسِّر: (وَجهَه): مفعولٌ ثانٍ.

قوله: (وفي قراءة: «مُوَلَّاها») أي: بصيغة اسم المفعول، فنائبُ الفاعل مفعولٌ أول، والهاء: مفعول ثانٍ، والمعنى: موجَّهٌ إليها[1].

---

(١) قراءة (مُوَلَّاها) لابن عامر؛ أي: مَصروف إليها، والجمهور (مُولِّيها). انظر «البحر المحيط» (١/ ٦١١).

فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ ....

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾: بادِرُوا إلى الطَّاعات وقَبُولِها، ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾: يَجمَعْكُم يومَ القِيامة فيُجازِيَكُم بأعمالِكُم؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

﴿١٤٩﴾ ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ لِسَفَرٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾) جمعُ خيرٍ بالتخفيف والتشديد، أو جمع خَيرة[1]، معناه: الطاعة على كلٍّ.

قوله: (﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ﴾) ﴿أَيۡنَ﴾: اسمُ شرط جازم يجزم فعلين، ﴿تَكُونُواْ﴾: فعل الشرط مجزوم بحذف النون، والواو فاعل، و﴿يَأۡتِ﴾: جوابُ الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرةُ دليلٌ عليها، و﴿بِكُمُ﴾: متعلق بـ﴿يَأۡتِ﴾، و﴿ٱللَّهُ﴾: فاعلُ ﴿يَأۡتِ﴾، و﴿جَمِيعًاۚ﴾: حالٌ من الكاف في ﴿بِكُمُ﴾.

وقوله: (فيجازيكم) يصحُّ فيه الجزم والرفع والنصب، ولكن الرسم يأبى الأول، وإنما جازت الأوجه الثلاثة فيه؛ لِقول ابن مالك: [الرجز]

والفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الجَزا إنْ يَقْتَرِنْ بِالفا أَوِ الواوِ بِتَثْلِيثٍ قَمِنْ[2]

والمعنى: في أيِّ مكان تكونون فيه يجمعُكم اللهُ للحساب، فيترتَّبُ عليه الجزاء.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾) هذا كالدليل لما قبله؛ أي: إنما كان ذلك؛ لأنه قديرٌ على كلِّ شيء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ﴾ [الشورى: ٢٩].

قوله: (﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ﴾ ... إلخ) ﴿حَيۡثُ﴾ هنا: ظرفُ مكان، و(مِن): للابتداء، وجملة ﴿خَرَجۡتَ﴾: في محلِّ جرٍّ بإضافة ﴿حَيۡثُ﴾ إليها، وليست شرطية؛ لأنها لا تكون كذلك إلا إذا اقترنَت بـ(ما).

قوله: (لسفر) ظاهرُهُ فرضاً ونفلاً، ولكن السنة خصَّصَت ذلك بالفريضة، وأما النافلةُ فتجوز في السفر لغيرِ القِبلة بشروط مذكورةٍ في الفقه.

---

(١) بالتخفيف كجفنة، والتشديد كسينة، والتفضيل غير مُراد، و﴿ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ منصوب بنزع الخافض. انظر «الدر المصون» (١٧٦/٢).

(٢) «الخلاصة» (باب عوامل الجزم)، و(قَمِن): حَقيق.

فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ....

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياء - تَقدَّمَ مِثلُه، وكَرَّرَهُ لِبَيانِ تَساوِي حُكم السَّفر وغَيرِه.

﴿١٥٠﴾ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ كَرَّرَهُ لِلتَّأكِيدِ؛ ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: اليَهُودِ أو المُشرِكِينَ ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مُجادَلةٌ في التَّوَلِّي إلى غَيرِه؛ لِتَنتَفِيَ مُجادَلَتُهم لَكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) أي: جهةَ الكعبة.

قوله: (﴿وَإِنَّهُۥ﴾) أي: النسخَ، أو التوليَ للكعبة، أو النبيَّ.

قوله: (﴿لَلْحَقُّ﴾) أي: جنسُهُ، أو المعهودُ وهو نعتُ النبي، أو كلُّ فَرد من أفراده.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتانِ سبعيَّتان(١).

قوله: (لبيان تساوي حكم السفر... إلخ) أشار بذلك لدفعِ ما يُتوهَّمُ أنه تكرارٌ مَحض.

قوله: (كرَّره للتأكيد) أي: للتثبيت في عقولهم لِغرابة الحكم حينئذٍ؛ لأنه أولُ ما ورد من النسخ(٢).

قوله: (﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾) هذا هو حكمةُ التَّولية؛ أي: إنما أمرناكم بالتولية لأجل انتفاءِ حجة الناس عليكم، واللامُ هذه لام (كي)، و(إن): مصدرية، و(لا): نافية، و﴿يَكُونَ﴾: منصوب بـ(أن)، و﴿لِلنَّاسِ﴾: خبرُها مقدَّم، و﴿حُجَّةٌ﴾: اسمُها مؤخَّر، و﴿عَلَيْكُمْ﴾: حالٌ من ﴿حُجَّةٌ﴾؛ لأنه نعتُ نكرةٍ تقدَّمَ عليها.

قوله: (أي: لتنتفي... إلخ) هذا حلُّ معنًى لا حلُّ إعراب، ولو حلَّهُ حلَّ إعرابٍ لقال: لعدم كونه حجةً ثابتةً للناس عليكم.

قوله: (أي: مجادلة) أي: جدالٌ في الباطل واعتراض، وليس المرادُ بها المجادلةَ في الحقِّ وإظهارَ حجَّتِه.

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء، والباقي بالياء. انظر «البحر المحيط» (١/ ٦٠٤).

(٢) كما سبق بيانه (١/ ٢٥٦).

إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ . . .

مِن قَول اليَهُود: يَجحَدُ دِينَنا ويَتبَع قِبلَتَنا! وقَولِ المُشرِكِينَ: يَدَّعِي مِلَّةَ إبراهِيم ويُخالِفُ قِبلَتَه! ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بِالعِنادِ؛ فإنَّهُم يَقُولُونَ: (ما تَحَوَّلَ إلَيها إلَّا مَيلاً إلى دِينِ آبائِهِ)، - والِاستِثناءُ مُتَّصِل - والمَعنَى: لا يَكُون لِأحَدٍ عَلَيكُم كَلام إلَّا كَلامَ هَؤُلاءِ. ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: تَخافُوا جِدالَهم في التَّوَلِّي إلَيها، ﴿وَٱخْشَوْنِي﴾ بامتِثالِ أمرِي، ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ - عَطفٌ على ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾ - ﴿نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ بِالهِدايةِ إلى مَعالِم دِينكُم، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحَقِّ.

حاشية الصاوي

قوله: (**من قول اليهود**) هذا بيانٌ لِلمجادلة.

قوله: (**وقول المشركين**) أي: فقد زالَ ذلك، وأما قولهم: ما زال محمدٌ في حَيرة فباقيةٌ لم تزل.

قوله: (**فإنهم يقولون**) أي: اليهود، **والحاصل**: أن الحُججَ أربعٌ؛ لليهود حجّتان، وللمشركين كذلك، أما حجّة اليهود فهي: ما له يصلّي لِقبلتنا ولا يتبع ديننا؟! وأما حُجَّة المشركين فهي: يدَّعي ملَّةَ إبراهيم ويخالفُ قِبلته؟! وهاتان الحجّتان قد انقطعتا، وبقيَتْ حجَّةٌ لكلٍّ، أما حجَّةُ اليهود فقولهم: ما تحوَّل إليها إلا ميلاً لدين الجاهلية، وأما حجَّة المشركين فقولهم: لم يزَلْ محمدٌ في حيرة[1].

قوله: (**والاستثناء متصل**) أي: لأن ما قبله ظالمون أيضاً.

قوله: (**تخافوا جدالهم**) أي: لأنهم لا يقدرون على إيصالِ نفعٍ ولا دفعِ ضرٍّ.

قوله: (**عطف على** ﴿لِئَلَّا يَكُونَ﴾) أي: فتحويل القبلة لحِكم عظيمة: **الأولى**: تمييزُ المؤمن من غيره، **الثانية**: انقطاعُ الحُجج، **الثالثة**: إتمامُ النعمة، **الرابعة**: الاهتداءُ.

إن قلتَ: مقتضى هذه الآية أن النعمةَ تمَّت الآن، ومقتضى ما يأتي في سورة (المائدة) في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] أنها لم تتمَّ إلا حين نزولها، وهو يومُ عرفة في حجَّة الوداع!

---

(١) فإن قيل: كيف أطلق الحُجة على قول المعاندين؟ أجيب: بأن المراد بالحجة ما يُتمسك به حقًّا كان أو باطلاً؛ كما قال تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾. «السراج المنير» (١/ ١٠٤).

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ....

﴿١٥١﴾ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ مُتعلِّق بـ(أُتم)، أي: إتماماً كإتمامِها بإرسالِنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾: مُحمَّداً ﷺ، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾: القُرآنَ، ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يُطهِّركُم مِن الشِّركِ، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ما فِيهِ مِن الأحكامِ، ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

أجيبَ: بأن النعمة مَقولةٌ بالتشكيك، فالمرادُ بها هنا: استقبالُ الأشرَف الذي هو الكعبة، والمرادُ بها هناك الدين[١].

قوله: (﴿مِّنكُمْ﴾) هذه نعمة أخرى فوق أصلِ الإرسال؛ لأنه لو كان مَلَكاً لما استطاعوه؛ لأن علَّةَ الانضمام المجانسةُ.

قوله: (القرآن) خصَّهُ من دون المعجزات؛ لأنه باقٍ إلى الآنَ.

قوله: (يطهِّركم من الشرك) أي: حتى صِرتم عدولاً تشهدون على الناس يوم القيامة، ويصحُّ أن يُقال: معنى يزكِّيكم: يَشهدُ لكم بالعدالة يومَ القيامة.

قوله: (﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾) أي: حتى حَفظتم لفظَهُ عن ظهر قلب؛ لقوله في الحديث: «**وجعلتُ من أمَّتِك أقواماً قلوبُهم أناجيلُهم**»[٢].

قوله: (ما فيه من الأحكام) أي: المعاني التي لا تُحصى، قال علي بن أبي طالب: (لو أردتُ أن أوقر من «الفاتحة» حمْلَ سَبعين بعيراً لفعلتُ)[٣]، ومن معناه ما قال الخوَّاصُ: (ممَّا مَنَّ اللهُ به عليَّ أن أعطاني مئةَ ألفِ عِلم وتسعةً وتسعين ألفاً من علوم «الفاتحة»).

قوله: (﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾) عطفُ عامٍّ على خاصٍّ.

---

(١) وقال العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ١٢٢) نقلاً عن الكرخي: (تمام النعمة في كلِّ وقت بما يَليق به).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣١٨٤)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٣٦٩) ضمن حديث طَويل عن أبي هريرة ﷺ في الإسراء، ووَرد بلفظ: «أناجيلهم في صُدورهم».

(٣) «قوت القلوب» (١/ ٦٧).

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ....

﴿١٥٢﴾ ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بِالصَّلاةِ والتَّسبِيح ونَحوِه، ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قِيلَ: مَعناهُ أُجازِكُم، وفي الحَدِيث عَن الله: «مَن ذَكَرَنِي في نَفسِه ذَكَرتُه في نَفسِي، ومَن ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرتُه في مَلَإٍ خَيرٍ مِن مَلَئِهِ»، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونحوه) أي: كالتهليل والتحميد، وإنما قال: (بالصلاة)؛ لأن الذكرَ إما بِاللسان، أو بالجوارح، أو بالجَنان، ولا شكَّ أن الصلاةَ جامعةٌ لكلِّ ذكر، فالقرآنُ والتكبير والتسبيح والدعاء ذكرٌ لِساني، والركوعُ والسجود ذكرٌ بالجوارح، والخشوعُ والخُضوع والمراقبة ذكرٌ قلبي.

قوله: (أجازِكُم عليه) أي: أُثِبْكُم على ذكرِكم إيَّاي.

قوله: (عن الله) أي: فهو حديثٌ قدسي[1].

قوله: (في نفسه) أي: خالياً وبعيداً عن الخَلْق.

قوله: (ذكرته في نفسي) أي: أُعطيه عطايا لا يعلَمُها غيري.

قوله: (ومن ذكرني في ملإٍ) أي: بينَ الناس.

قوله: (ذكرته في ملإٍ) أي: أُعطيه عطايا ظاهرة لعبادي، وأظهرُ فضلَهُ لهم.

إن قلتَ: إن الإنسان قد يذكرُ اللهَ بحضرة النبيِّ ﷺ كالصحابة، فأيُّ ملإٍ خيرٌ من النبي؟

قلتُ: أجيب بأن الشيء يَشْرُفُ بما نُسب إليه؛ فإن المجلسَ يُنسب لِكبيره، وفرقٌ بين حضرةِ الله وملائكته وبين حضرةِ النبيِّ وأصحابه، وأيضاً: كونُ النبيِّ في حضرةِ الله أشرفُ من نَفسه في حضرة أصحابه، فمعنى قوله: «خيرٍ من مَلَئِهِ»: ذكرته في حضرةِ النبيِّ والملائكة المقربين في الملإِ الأعلى، ولا شكَّ أن تلك الحضرةَ لا يَعدلُها شيءٌ أبداً. والملأُ بالقصر: الجماعةُ الأشراف.

قوله: (خيرٍ) بالجرِّ صفةٌ لـ(ملإ)، وقيل: معنى «اذكروني»: تذلَّلُوا لجلالي، «أذكرْكم»: أكشفِ الحُجُبَ عنكم، وأُفِضْ عليكم رحمتي وإحساني، وأُحبَّكم، وأرفَعْ ذكرَكم في الملإِ الأعلى؛ لما في الحديث: «ومَنْ تقرَّبَ إليَّ شبراً تقرَّبتُ منه ذراعاً»[2]، وفي الحديث أيضاً: «إن اللهَ إذا أحبَّ عبداً نادى جبريلَ فقالَ له: يا جبريلُ؛ إنِّي أحبُّ فلاناً فأحبَّهُ، فيحبُّهُ جبريلُ، ثم يُنادي في السماءِ:

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو قطعة من الحديث نفسه «من ذكرني...» السابق تخريجه.

. . . .

حاشية الصاوي

إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأَحبُّوه، فيحبُّهُ أهلُ السماء، ثم يُوضَعُ له القبولُ في الأرض»[١]، وهذا من جُملة الثمراتِ المعجَّلة، وأما المؤجَّلة: فرؤيةُ الله الكريم، ورَفعُ الدرجات، وغيرُ ذلك.

ويَنبغي للإنسان أن يذكرَ اللهَ كثيراً؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولا يَلتفتَ لواشٍ ولا رقيب؛ لقول السيد الحفني خطاباً للعارف بالله تعالى أستاذِنا الشيخ الدردير:

يا مُبتغي طُرقَ أهلِ الله والتسليك دعْ عنك أهلَ الهوى تسلَمْ من التشكِيك

إن «اذكُروني» لردِّ المعترض يَكفيك فاجعَلْ سُلافَ الجلالة دائماً في فِيك

ولا تترك الذكرَ لعدم حُضورك مع الله فيه، فربما ذكرٌ مع غَفلة يجرُّ لذكرٍ مع حضور؛ لأنهم شبَّهوا الذكرَ بقدْحِ الزِّناد، فلا يتركُ الإنسانُ القدحَ؛ لِعدم إيقاده من أوَّل مرَّة مثلاً، بل يكرِّر حتى يُوقد، فإذا ولعَ القلبُ نارَت الأعضاء، فلا يقدرُ الشيطان على وَسوسته؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وخفَّت العبادةُ على الأعضاء، فلا يكونُ على الشخص كلفةٌ فيها، قال العارف: [الوافر]

إذا رُفِعَ الحِجابُ فَلا مَلالَهْ لِتَكْليفِ الإلَهِ وَلا مَشَقَّهْ

ويكفي الذاكرَ من الشرف قولُ الله في الحديث القدسي: **«أنا جليسُ مَن ذكرني»**[٢]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وهل الأفضلُ الذكرُ مع الناس أو الذكر في خلوة؟ والحقُّ: التفصيل: وهو إن كان الإنسان يَنشطُ وحدَه ولم يكن مدعوًّا من الله لهداية الناس فالخلوةُ في حَقِّه أفضل، وإلَّا فذكرُهُ مع الناس أفضَل، إما لِينشطَ، أو لتقتديَ الناسُ به، نسألُ اللهَ أن يجعلَنا من أهل ذِكره.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٦٧٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٤) عن كعب الأحبار مِن أخبار سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وانظر رواياته عند السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١٨٦) عن كعب الأحبار ومحمد بن النضر، ولِلبخاري في الحديث المتقدم (٧٤٠٥): «وأنا معه إذا ذكَرني».

وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ....

﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾ نِعمَتي بِالطَّاعةِ، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بِالمَعصيةِ.

﴿١٥٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ﴾ على الآخِرةِ ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطَّاعة والبَلاءِ، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، خَصَّها بِالذِّكرِ لِتَكرُّرِها وعِظَمِها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بِالعَونِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱشْكُرُواْ لِى﴾) الحقُّ: أنه يتعدَّى بنفسه وباللام، والمعنى واحدٌ، وهو من عَطف الخاصِّ على العام، والنكتةُ في ذلك: بيانُ أعلى المقاصد في الذكر؛ فإن المقاصدَ في الذكر مُختلفةٌ، فمن قصدَ بذكره الدنيا فقط فهو دنيءٌ، ومن قصدَ بذِكره دخولَ الجنة والنجاةَ من النار فهو أعلى من الأول، ومَن قصدَ بذكره شكرَ الله على خَلقه إيَّاه وإنعامه عليه ولم يَقصِدْ غيرَهُ فهو من المقرَّبين؛ لما في الحديث: «أفلا أكونُ عبداً شكوراً»[1].

قوله: (﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾) أي: إن حقيقةَ الشكر أن يُطاعَ فلا يُعصى، وأن يذكرَ فلا يُنسى، وأن يُشكرَ فلا يُكفر، فمعنى (لا تكفرون): لا تَصرفوا نِعمي في غير ما خلقتُها له.

قوله: (على الطاعة) أي: على دَوامها؛ سواءٌ كانت الطاعة فعلاً أو تركاً، وقوله: (والبلاء) أي: المصائب، فأقسام الصبر ثلاثة: صبرٌ على الطاعة بِدوام فعلِها، وصبرٌ عن المعصية بدوامِ تركها، وصبرٌ على البَلاء بحمدِ الله وشكرِه عليها، فيكون شاكراً على السرَّاء والضرَّاء، وأعظمُها الصبرُ عن المعاصي، وأقلُّ منه الصبر على الطاعة، وأقلُّ منهما الصبر على البلاء؛ لأنه وردَ: «أن الصابرَ على البلاء يرفعُهُ اللهُ ثلاثَ مئةِ درجةٍ، بين كلِّ درجتَين كما بين السماء والأرض، والصابرُ على دوام الطاعة يرفعُه الله ستَّ مئةِ درجة بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض مرتَين، والصابرُ عن المعصية يرفعُهُ الله تسعَ مئةِ درجة بين كلِّ درجتَين كما بين السماء والأرض ثلاثَ مرَّات»[2].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) خَصَّهم وإن كان اللهُ مع كلِّ أحد؛ لأن المرادَ معيَّةٌ مخصوصة، وهي العَونُ والإغاثة، وأما المعيَّةُ مع كلِّ أحد فمعيَّةُ عِلم وقُدرة يتصرَّفُ فيهم كيف يشاء، وأما

---

(١) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة ﷺ مرفوعاً.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب» (٢٤) من حديث علي ﷺ مرفوعاً.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ ....

(١٥٤) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هُم ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ﴾ هُم ﴿أَحْيَاءٌ﴾، ....

حاشية الصاوي

الصابرون فهم المحبُوبون لله؛ لقوله في الحديث: **«ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إلَّي بالنوافلِ حتى أحبَّهُ...»** الحديثَ[١].

قوله: (﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾) هذه الآيةُ نزلت في قتلى بَدر، وكان المقتولُ من المسلمين أربعةَ عشرَ؛ سِتة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، كما قال المشركون والمنافقون: هؤلاء ماتوا وقد ضيَّعوا على أنفسهم الحياةَ الدنيا ولذَّاتِها، وقد ادَّعَوا أنهم ماتُوا في مرضاة محمد، فنزَلت هذه الآية[٢].

قوله: (هم ﴿أَمْوَاتٌ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿أَمْوَاتٌ﴾ خبرٌ لمبتدإٍ محذوف، والجملةُ في محلِّ نصب مقول القول، والمعنى: يحرمُ قولُ ذلك لِلشهيد؛ لأنه ليس بموت حقيقةً، وإنما هو انتقالٌ من دار الكَدَر إلى دار الصفاء، ومن دار الحُزن إلى دار السُّرور.

قوله: (﴿لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾) أي: وهم الشهداءُ، وسُمُّوا بذلك لأن أرواحَهم شَهدت دارَ السلام عند خروجها عن البَدن، أو لأن الملائكةَ تشهدُ له بنَصرِهِ لدين الإسلام.

قوله: (﴿بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾) أي: حياةٌ أُخروية بالجسم والروح ليست كحياة أهل الدنيا، لا يشاهدُها إلا أهل الآخرة ومَنْ خصَّهُ الله بالاطِّلاع عليها، وهذا هو التحقيقُ، خلافاً لمن قال: إنهم أحياءٌ بالروح فقط؛ لأنه يَرد بأن كلَّ إنسان حيُّ الروح مسلماً كان أو كافراً؛ لعدم فناء الروح، ولا مزيَّةَ للشهيد على غيره! وهذه الحياةُ حقيقية، وإنما خروجُ روحه انتقالٌ من دار إلى أخرى، وهي مَزيةٌ من مزايا الأنبياء، فلا يُقال: إنهم ساوَوْهُم.

وحكمةُ عدم تغسيل الشهداء: بقاءُ دمهم يَشهدُ لهم يوم القيامة؛ لما في الحديث: **«زمِّلوهم بثيابهم، اللونُ لونُ الدم، والريحُ ريحُ المسك»**[٣]، وأما تغسيلُ الأنبياء فتَعبديٌّ، أو للتشريع، ولا تأكلُ الأرض أجسادَ الشهداء.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) كذا ذكر الواحدي سببَ نزولها في «الوسيط» (١/ ٢٣٦).

(٣) رواه النسائي (٢٠٠٢) من حديث عبد الله بن ثعلبة رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: (بدمائهم) بدل (بثيابهم).

﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ ....

أرواحُهم في حَواصِل طُيورٍ خُضْر تَسرَح في الجَنَّة حَيثُ شاءَت؛ لِحَديثٍ بِذَلك، ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: تَعلَمُونَ ما هُم فِيه.

۝١٥٥ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ لِلعَدُوِّ ﴿وَٱلْجُوعِ﴾: القَحْطِ، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بِالهَلاكِ ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بِالقَتلِ والمَوت والأمراض، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بِالجَوائِحِ، أي: لَنَختَبِرَنَّكُم فنَنظُر أتَصبِرُونَ أم لا؟ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البَلاء ....

حاشية الصاوي

قوله: (أرواحهم في حواصل طيور[1]... إلخ) أي: فهي كالهوادجِ لها، وأما أرواح المؤمنين المطيعين الغير الشهداء فتَتنعَّمُ خارج الجنة بريحها ومأواها البرزخ، وأما أرواح العُصاة والكفار فهي مسجونةٌ لا تصرُّفَ لها[2]، وأما أرواحُ الأنبياء فوردَ: «**أنها تأوي إلى قَناديلَ مُعلقةٍ بالعرش بالجنة، وأما أرواحُ صغار المؤمنين ففي الجنة في كَفالة إبراهيمَ وسارة**»[3].

قوله: (﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾) اللامُ: مُوطئة لقسم محذوف[4]؛ أي: واللهِ لنبلونَّكم، و(نبلوَنَّ): جوابُهُ، واقترن باللام والنون لكونه مضارعاً مثبتاً مستقبلاً، والمعنى: لنختبرنَّكم أيُّها المؤمنون؛ لما في الحديث: «**الدنيا سجنُ المؤمن وجنَّةُ الكافر**»[5]؛ أي: ولو كان المؤمنُ في غاية نَعيمها، والكافرُ في أشدِّ ضِيقها.

قوله: (القحط) هو في الأصل: تخلُّفُ المطر، وهو سببٌ في الجوع، فقد فسَّرَ الشيءَ بسببه.

قوله: (بالجوائح) أي: الآفاتِ المتلِفةِ للزرع ونحوه.

قوله: (أي: لَنختبرنكم) أي: لنُظهر ذلك للملائكة ولبعضكم بعضاً، فمَنْ صبرَ فله الرضا، ومَن جزعَ فله السخطُ.

---

(١) كما روى مسلم (١٨٨٧).

(٢) تسجن أرواح الكفار في بئر بَرَهوت كما روى عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ١١٥).

(٣) كما روى أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٦).

(٤) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، وانظر ما تقدم عن اللام الموطئة (١/ ٢٢٨).

(٥) رواه مسلم (٢٩٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ ....

بِالجَنَّةِ.

﴿١٥٦﴾ هُمُ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ﴾: بَلاءٌ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ﴾ مُلْكاً وعَبِيداً يَفعَل بِنا ما يَشاءُ، ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخِرَة فيُجازِينا، وفي الحَدِيث: «**مَن استَرجَعَ عِند المُصِيبةِ آجَرَهُ الله فِيها وأَخلَفَ علَيه خَيراً**»، وفِيهِ أنَّ مِصباحَ النَّبِيِّ ﷺ طَفِئَ فاستَرجَعَ،

حاشية الصاوي

قوله: (بالجنة) متعلِّقٌ بـ(بشِّرْ)، والمعنى: بشِّرْهم بالجنة من غير سابِقةِ عذاب.

قوله: (هم ﴿ٱلَّذِينَ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ خبرٌ لمبتدإٍ محذوف، واقع في جواب سؤال مقدَّر[1]، قيل: نعتٌ مقطوع، وقيل: إن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعتٌ لـ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وهو أحسنُها، وقيل: منصوبٌ على المدح بفعل محذوف تقديره: أمدَح، وقيل: مبتدأٌ خبرُه قولُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾.

قوله: (﴿مُّصِيبَةٞ﴾) أي: أيَّ مصيبةٍ كانت؛ سواء كانت فقدَ مال أو نفسٍ، أو جوعاً أو خوفاً أو غيرَ ذلك.

قوله: (﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾) أي: مملوكون ومخلوقُون له، يتصرَّفُ فينا على ما أراد، وهذه المقالةُ من خصائص هذه الأمَّة، ولو كانت لغيرهم لكانت لِيعقوبَ حين فقدَ يوسفَ فقال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ [يوسف: ٨٤].

قوله: (﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾) أي: صائرون.

قوله: (من استرجع) أي: قال: إنا لله وإنا إليه راجعُون.

قوله: (آجرَه الله فيها[2]) أي: بِسببها، وفي «المصباح»: (أجرَه الله أجراً من بابي: ضرَبَ وقتَلَ، وآجره بالمدِّ لغةٌ ثالثة؛ إذا أثابَه).

قوله: (وأخلف عليه خيراً) أي: منها، إما في الآخرة فقط، أو فيها وفي الدنيا، فمَنْ رضيَ بأحكام الله وصبرَ على ما أصابه فلَه الرضا من الله، ولكلِّ مصيبة دواءٌ إلا الموتَ على الكفر والعياذُ بالله تعالى، قال بعضُهم: [البسيط]

---

(١) تقديره: من هم الصابرون؟ والجواب: هم الذين...

(٢) بنحوه رواه مسلم (٩١٨) من حديث أم سلمة ﵄ مرفوعاً، وروى أبو داوود في «مراسيله» (٤١٢) عن عمران القصير قال: طُفئ مصباحُ النبي ﷺ، فاسترجعَ، قالت عائشة: إن هذا مصباح! قال: «كلُّ ما ساءَ المؤمنَ فهو مصيبة».

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ ٱلصَّفَا ....

فقالَت عائِشة: إنَّما هذا مِصباحٌ؟ فقالَ: «**كُلُّ ما ساءَ المُؤمِنَ فهُوَ مُصِيبَةٌ**». رَواهُ أبُو داوُدَ في «مَراسِيلِه».

﴿١٥٧﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ﴾: مَغفِرةٌ ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾: نِعمةٌ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ إلى الصَّواب.

﴿١٥٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا ....

حاشية الصاوي

لِكُلِّ شَيْءٍ إذا فارَقْتَهُ عِوَضٌ ... ولَيْسَ للهِ إنْ فارَقْتَ مِنْ عِوَضِ[1]

قوله: (إنما هذا مصباح) أي: شيءٌ قليل!

قوله: (﴿صَلَوَٰتٞ﴾) جمع صَلاة، وهي المغفرةُ كما فسَّرَها بذلك المفسِّر، وجمعها بذلك إشارةً إلى أنه لا يبقى عليهم ذنوبٌ أبداً، بل عليهم مغفرةٌ متكرِّرة.

قوله: (نعمة) دفعَ بذلك ما يُقال: إن الصلاة هي الرحمة، فعطفُ الرحمة عليها مرادفٌ، فما حكمةُ التكرار؟ فأجاب المفسِّر بمنع ذلك، وأن العطف مُغاير، فالصلاة محوُ الذنوب، والرحمةُ العطايا، فهو من باب: التَّحلية بعد التخلية، وقد وردَ إطلاق الصلاة على المغفرة، ففي الحديث: «**اللهم صلِّ على آل أبي أوفى**»[2]؛ أي: اغفِرْ لهم، وفي الحديث أيضاً: «**إن الملائكة لَتُصلِّي على أحدِكم ما دامَ في مصلَّاه، تقول: اللهمَّ اغفِرْ له**»[3]، وقيل: إن الصلاةَ بمعنى: الرحمة والعطفَ مُرادفٌ، وحكمةُ التكرار: إشارة لتوالي الرحمات والنِّعم، والرضا عليه حيث رضيَ بأحكام سيِّده، وحبسَ نفسَه على ما تكرهُ.

قوله: (﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾) أي: الكامِلون في الهدى؛ فإن الرضا عن الله في كل حالٍ من علامات الهدى الكامل.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلصَّفَا﴾) جمعُ صَفاة، اسمٌ للحجر الأملَس، والمرادُ هنا: الجبلُ المعروف الذي يُبتدأُ السعيُ منه.

---

(١) للشيخ الأكبر ابن عربي رضي الله عنه كما في «وصاياه» (ص٣١).

(٢) رواه البخاري (١٤٩٧)، ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٤٤٥)، ومسلم (٦٤٩) في كتاب المساجد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه زيادة: «اللهم ارحمه».

﴿وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ ....﴾

﴿وَٱلْمَرْوَةَ﴾: جَبَلانِ بِمَكَّة ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾: أعلام دِينِه، جَمعُ شَعِيرَة، ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾ أي: تَلَبَّسَ بِالحَجِّ أو العُمرَةِ - وأصلُهما القَصدُ والزِّيارةُ - ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: إثمَ ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾ - فِيهِ إدغامُ التَّاء في الأصلِ في الطَّاء - ﴿بِهِمَاۚ﴾ بِأن يَسعَى بَينَهما سَبعاً، نَزَلَت لَمَّا كَرِهَ المُسلِمُونَ ذلك لِأنَّ أهلَ الجاهِلِيَّة كانُوا يَطُوفُونَ بِهِما وعلَيهِما

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْمَرْوَةَ﴾) في الأصل: اسم للمكان الرِّخو، والمراد هنا: الجبل الذي ينتهي السعي إليه.

قوله: (جبَلان بمكة) أي: بجوار المسجد الحرام.

قوله: (﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾) أي: من أمورِ دين الله التي تعبَّدَنا بها، فمن أنكرَ كونَ السعي من أمور الدين فقد كفَر.

قوله: (﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾) الحجُّ في اللغة: القصدُ، واصطلاحاً: عبادةٌ يَلزمُها طوافٌ بالبيت سبعاً، وسعيٌ بين الصفا والمروة كذلك، ووقوفٌ بعرفة ليلةَ عاشرِ ذي الحجة، على وجهٍ مخصُوص.

قوله: (﴿أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾) العمرةُ في اللغة: الزيارة، واصطلاحاً: عبادةٌ يلزمُها طوافٌ وسعيٌ على وجه مخصوص.

قوله: (وأصلُهما القصدُ... إلخ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (فيه إدغامُ التاء في الأصل) أي: فأصلُه: يتَطوَّف، قُلبت التاءُ طاءً، ثم أدغمت في الطاء.

قوله: (لما كره المسلمون) أي: حين كَرهوا ذلك[1].

قوله: (وعليهما صنمان) أحدُهما: يُسمَّى إِسافاً، والثاني: يُسمَّى نائِلة، قيل: كانا على صورة رجل وامرأة، وذلك: أن رجلاً اسمُه إِسافٌ وامرأةً اسمُها نائِلةُ زنَيا في الكعبة، فمسخَهما اللهُ حجرَين على صورتهما الأصلية، فلمَّا تقادم الزمان عبَدتهما الجاهلية[2]، فلمَّا جاء الإسلامُ أبطلَ ذلك ونسَخه.

---

(١) قال العلامة ابن عاشور: (الجُناح المنفي في الآية جُناحٌ عرضَ للسعي بين الصفا والمروة في وقت نصب إساف ونائلة عليهما، وليس لذات السعي، فلما زال سببه زال الجناح). انظر «التحرير والتنوير» (٢/ ٦٣).

(٢) روى ذلك الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٣)، وورد ذكرهما عند مسلم (١٢٧٧)، وانظر «إكمال المعلم» (٤/ ١٨٤).

وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ....

صَنَمانِ يَمسَحُونَهما، وعنِ ابنِ عَبَّاس أنَّ السَّعيَ غَيرُ فَرضٍ؛ لِما أفادَهُ رَفعُ الإثمِ مِن التَّخيِيرِ، وقالَ الشَّافِعِيُّ وغَيره: رُكنٌ، وبَيَّنَ ﷺ فَرَضِيَّتَه بِقَولِه: «إنَّ الله كَتَبَ عَلَيكُم السَّعيَ»، رَواهُ البَيهقيُّ وغيرُه، وقال: «ابدَؤُوا بِما بَدَأَ الله بِهِ» يَعنِي الصَّفا، رَواهُ مُسلِم. ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ - وفي قِراءة بِالتَّحتِيَّةِ وتَشدِيدِ الطَّاء مَجزُوماً، وفِيهِ إدغامُ التَّاء فِيها - ﴿خَيْرًا﴾ أي: بِخَيرٍ أي: عَمِلَ ما لم يَجِبْ علَيهِ مِن طَوافٍ وغَيرِه، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لِعَمَلِهِ بِالإثابةِ علَيهِ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِه.

حاشية الصاوي

قوله: (غيرُ فرض) أي: ووافقه على ذلك ابنُ حَنبل[1].

قوله: (من التخيير) ليس المرادُ أنه مباحٌ، بل هو مطلوبٌ؛ بدليل ضمِّ أوَّل الآية لآخرِها.

قوله: (وغيره) أي: وهو مالك.

قوله: (إن الله كتب عليكم السعي) تمامه: «فاسعوا»، وأصل الحديث: «اسعَوا؛ فإنَّ اللهَ كتبَ عليكم السعيَ»[2]، فتحصَّلَ أن الآيةَ ليست صريحةً في الفَرضية ولا في الوجوب، وإنما أُخذَ ذلك من السنة.

قوله: (وفيه إدغام التاء) أي: بعد قلبِها طاءً[3].

قوله: (أي: بخير) أشار بذلك إلى أن ﴿خَيْرًا﴾ منصوبٌ بنزع الخافِض.

قوله: (من طواف وغيره) أي: كسعيٍ في حجٍّ أو عُمرة، أو طوافٍ مطلقاً؛ لأن عبادةَ الطوافِ لا تقيَّدُ بالنُّسُك، بخلاف السعي.

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ﴾) هذا دليلُ الجواب وليس هو الجوابَ، بل هو محذوفٌ تقديرُهُ: شكَرَهُ اللهُ لأن اللهَ شاكرٌ عليم، والشكرُ في الأصل: مجازاةُ أصحاب الحُقوق عليها، وليس ذلك مراداً في حقِّ مولانا، وإنما المرادُ: عامَلنا معاملةَ الشاكر؛ بأن ألزمَ نفسه الجزاءَ من فَضله؛ لأنه كريمٌ واسعُ العطاء.

---

(١) في رواية عنه، وفي أخرى أنه ركن، واختار ابن قدامة الحنبلي وجوبه دون الركنية والسنية، انظر «المغني» (٣/ ٣٥١).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٢٢٦).

(٣) أي: ومن يَطَّوَّعْ، وهي قراءة حمزة والكسائي. انظر «البحر المحيط» (١/ ٦٣٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ ....

﴿١٥٩﴾ ونَزَلَ في اليَهُودِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾ النَّاسَ ﴿مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ كآيةِ الرَّجمِ ونَعتِ مُحمَّدٍ ﷺ، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾: يُبعِدهُم مِن رَحمَتِه، ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ المَلائِكةُ والمُؤمِنُون، أو كُلُّ شَيء بِالدُّعاءِ علَيهِم بِاللَّعنةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في اليهود) أي: في أحبارهم؛ ككعبِ بن الأشرف ومالك بن الصَّيْف وعبد الله بن صُوريا[1].

قوله: (الناس) قدَّره المفسِّر؛ إشارة إلى أنه مفعولُ ﴿يَكۡتُمُونَ﴾ الثاني، والمعنى: يكتمون الحقَّ عن الناس؛ بحيث يظهرون الباطلَ، ويُخفون الحقَّ من نَعت محمد وغيره.

قوله: (﴿مَآ أَنزَلۡنَا﴾) أي: الشيء، أو الذي أنزلناه، وقوله: (﴿مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾) بيانٌ لـ﴿مَآ﴾، والمرادُ بالبينات: الآياتُ الواضحاتُ التي مَنْ أذعَن لها فقد اهتدى، وعطف (الهدى) عليها للتفسير.

قوله: (كآية الرجم) أي: الكائنةِ في التوراة، وهي أن مَن زنى يرجم، فمَحوها وقالوا: لم يكنْ ذلك عندنا، فحصلَ منهم التكذيبُ لنبيِّهم.

قوله: (ونعتِ محمد) أي: صفاتِهِ وأخلاقه مِن مَولده إلى انتهاءِ أجله، وهذانِ مثالانِ للبينات والهدى معاً؛ لأن بالآياتِ يحصلُ الهدى.

قوله: (﴿لِلنَّاسِ﴾) أي: عموماً.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأٌ، وجملة ﴿يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ خبرُهُ، وأتى بإشارة البعيدِ إشارةً لبعدِهم عن رحمة الله.

قوله: (والمؤمنون) أي: مِن غيرهم؛ كالإنس والجن.

قوله: (أو كلُّ شيء) حتى الجمادات والحِيتان في البحر، ويشهدُ له الحديثُ: «**العاصي يلعنُهُ كلُّ شيءٍ حتى الحيتان في البحر**»، و(أو) لِتنويع الخلاف، ثم إن العبرةَ بعموم اللفظ لا بخصوص

---

(١) كما روى الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٤٩).

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ....

﴿١٦٠﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: رَجَعُوا عَن ذلكَ، ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ عَمَلَهم، ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ ما كَتَمُوا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: أقبلُ توبتَهم، ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمُؤمِنِينَ.

﴿١٦١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ ـ حالٌ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ أي: هُم مُستَحِقُّونَ ذَلك في الدُّنيا والآخِرَة، و(النَّاسُ) ....

حاشية الصاوي

السبب، فهذا الوعيدُ وإن كان وارداً في شيء خاصٍّ إلا أنه لكلِّ مَن كتمَ علماً، ومنه شاهدُ الزور والمفتي بغير الحقِّ.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ﴾) استثناءٌ متصل أفادَ به أن اللعنةَ معلَّقة.

قوله: (رجعوا عن ذلك) أي: الكتمانِ؛ بأن أنصفوا من أنفسهم وأسلَموا، فهذا الوعيدُ خاصٌّ بمن مات كافراً، وأما مَن ماتَ مؤمناً ولو عاصياً فليس له هذا الوعيد، ولا يجوزُ الدعاءُ باللعنة على المعيَّن ولو كافراً، إلا أن يثبُتَ موتُه على الكفر، وأما غيرُ المعيَّن فيجوزُ على الكافر والعاصي.

قوله: (﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ عملهم) أي: في المستقبل؛ كعبدِ الله بن سلام وأضرابِه.

قوله: (ما كتموا) أي: من البينات والهدى، ويحتمل أن قوله تعالى: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾ أي: التوبة.

قوله: (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾) أتى بإشارة البعيد إشارةً لِرفعة رتبتِهم عن رتبة غيرِهم؛ على حدِّ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾.

قوله: (﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ﴾) أي: الكثيرُ القبول لِتوبة مَن تاب، والجملةُ حاليةٌ من فاعل ﴿أَتُوبُ﴾.

قوله: (بالمؤمنين) أي: ولو عُصاةً، وأرادَ مَن مات مسلماً.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) أي: أحباراً أو غيرَهم.

وقوله: (﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾) أي: استمرُّوا على الكفر حتى ماتُوا عليه.

قوله: (أي: هم مستحقون ذلك) أشارَ بذلك لدفع التكرار، كأنه قال: المرادُ باللعنة الأولى حصولُها بالفعل، وبالثانية استِحقاقُها، وفي الحقيقة لا تكرارَ؛ لأن ما تقدَّمَ في الكفَّار من أحبار اليهود، وهذا في الكفَّار عموماً.

خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ....

قِيلَ: عامٌّ، وقِيلَ: المُؤمِنُونَ.

﴿١٦٢﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللَّعنةِ أو النَّارِ المَدلُولِ بِها علَيها، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ طَرْفَةَ عَينٍ، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ لِتَوبةٍ أو مَعذِرَةٍ.

﴿١٦٣﴾ ونَزَلَ لَمَّا قالُوا: (صِف لَنا رَبَّك): ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ المُستَحِقُّ لِلعِبادةِ مِنكُم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا نَظِيرَ له في ذاتِه ولا في صِفاتِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: عام) أي: حتى الكفار؛ لأنه يلعنُ بعضُهم بعضاً.

قوله: (وقيل: المؤمنون) أي: من الإنسِ والجنِّ والملائكةِ.

قوله: (أي: اللعنة) أي: ويلزمُ من خلوده في اللعنة خلودُهُ في النار.

قوله: (المدلول بها) أي: باللعنة، وقوله: (عليها) أي: النار.

قوله: (طرفة) أي: مِقدارَ تغميضِ العين وفتحِها العادي.

قوله: (يُمهلون) أشار به إلى أنه من الإنظار، بمعنى: الإمهال والتأخير، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] أجارَنا اللهُ والمسلمِين من النار.

قوله: (ونزل) أي: بمكة؛ لأن هذه الآيةَ وما بعدها مكِّيةٌ وإن كانت السورةُ مدنيةً.

قوله: (لما قالوا) أي: مُشركو العرب، وكانوا إذ ذاك يَعبدون ثلاثَ مئةٍ وستين صنماً حول الكعبة، ونزلت سورةُ (الإخلاص) أي: ردًّا عليهم.

قوله: (﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾) مبتدأٌ، و﴿إِلَٰهٌ﴾: خبرٌ، و﴿وَٰحِدٌ﴾: صفتُه، وهو محطُّ الفائدة؛ على حدِّ: مرَرت بزيد رجلاً صالحاً، فهي كالحال الموطِّئة[1]، وقوله: (﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) خبرٌ ثانٍ مؤكِّدٌ لما قبله لِقصد الإيضاح.

قوله: (لا نظيرَ له) فيه نفي الكُموم الخمسة، وتوضيحُهُ: أن قوله: (لا نظيرَ له في ذاته) أي: أن ذاتَهُ ليست مركبةً من أجزاء، وليس لأحد ذاتٌ كذاته، (ولا في صفاته) أي: ليست صفاتُهُ متعددةً من جنس واحد؛ بمعنى أنه ليس له عِلمانِ ولا سمعانِ إلى آخرها، وليس لأحد صفةٌ كصفات مَولانا،

---

(١) فالفائدة في صفة الحال وهي صالحاً في المثال، وكذا الفائدة في صفة إله، وهي الخبر على الحقيقة.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ....

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وطَلَبُوا آيةً على ذلك فنزَلَ:

﴿١٦٤﴾ ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ....

حاشية الصاوي

فهذه أربعةُ كموم؛ متصلانِ في الذات والصفات، ومنفصلانِ فيهما، والخامسُ: المنفصلُ في الأفعال؛ بمعنى: أنه ليس لأحد فعل مع الله، وأما المتصلُ فهو ثابت لا ينفى؛ لأن أفعالَهُ على حسَبِ شؤونه في خَلقه[1].

قوله: (﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) أي: لا معبودَ بحقٍّ موجودٌ إلا هو؛ أي: إلٰهكم، وفي الكلام تغليظٌ لهم.

وإعرابه: ﴿لَآ﴾: نافيةٌ للجنس تعمل عملَ (إنَّ)، ﴿إِلَٰهَ﴾: اسمُها مبنيٌّ على الفتح في محلِّ نصب، والخبرُ محذوف تقديرُهُ: موجود، و﴿إِلَّا﴾: أداةُ حصر، و﴿هُوَ﴾: ضميرٌ منفصلٌ بَدلٌ من الضمير المستتر في الخبر، والتقديرُ: لا إلهَ موجودٌ هو إلا هو، وقوله: (﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾) خبرٌ ثالث، والمقصودُ من تَعدد الأخبار: إيضاح أمرِ الإله لهم، وتبكيتٌ لهم لإلزامهم الحُجة، وهذه طريقةٌ، ومشى المفسِّر على أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ خبرٌ لمبتدإٍ محذوف[2]، وكلٌّ صَحيح.

قوله: (وطلبوا آية) أي: دليلاً على ما تقدَّمَ من الدعاوى، فإن قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ دعوى أولى، وقولَه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ دَعوى ثانية، وقولَه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ دعوى ثالثة.

قوله: (فنزل: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾) أي: إلى قوله: ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾، وهي ثمانيةُ أشياءَ، في كلِّ شيء منها آياتٌ، فهو إجابةٌ بالمطلوب وزيادة. [المتقارب]

وفِـي كُـلِّ شَـيْءٍ لَـهُ آيَـةٌ تَـدُلُّ عَـلَـى أَنَّـهُ الـواحِـدُ[3]

و﴿إِنَّ﴾: حرفُ توكيد ونصب، و﴿فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جار ومجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿لَأٓيَٰتٖ﴾: اسمُها مؤخَّر، وحَذفه من الأول لدلالة الأخير عليه، كأنه قال: واختلافُ الليل والنهار لآيات، والفلكُ التي تجري في البحر لآيات، وهكذا.

---

(١) انظر «حاشية المصنف على جوهرة التوحيد» (ص١٥٧).

(٢) قدَّره المفسر بقوله: (هو).

(٣) البيت لأبي العتاهية. انظر «ديوانه» (ص٤٥).

وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ ....

وما فِيهِما مِن العَجائِبِ، ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بِالذَّهابِ والمَجيء والزِّيادةِ والنُّقصانِ، ﴿وَٱلۡفُلۡكِ﴾: السُّفُنِ ﴿ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ ....

حاشية الصاوي

وقوله: (﴿فِي خَلۡقِ﴾) أطلق المصدرَ وأراد اسمَ المفعول؛ أي: مَخلوقٍ هو السماوات والأرض، وقد جعل الخازنُ السماءَ مع الأرض شيئاً واحداً من ثمانيةِ أشياء[1]، وقوله: (﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾) شيءٌ مستقل.

قوله: (وما فيهما من العجائب) أي: فعَجائبُ السماوات: رفعُها بلا عمدٍ، وكونُ الشمس في السماء الرابعة مع إضاءتِها لأهل الأرض ونَفعِها لهم النفعَ التامَّ، وإضاءةُ النجوم لأهل الأرض واهتدائِهم بها مع كونها ثوابتَ في العرش، وهكذا، وعجائبُ الأرض: مدُّها وبَسطُها وتثبيتُها بالجبال الرَّواسي وهكذا، قال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ﴾ [ق: ٦-٧]، وأفرد الأرضَ ولم يجمَعْها كالسماوات؛ لاتِّحاد جنسها وهو الماء والتراب، واختلافِ جِنس السماوات.

قوله: (بالذهاب والمجيء) أشار بذلك إلى وجه اختلافِهما، ومن جملة عَجائب الليل: كونُهُ مقمراً أو مُظلماً، وكونه طويلاً على أناس دون غيرِهم، ومن جملة عجائب النهار: طولُهُ على أناس دون غيرهم، فقد يكون الفجرُ عند قَوم هو العصرَ عند آخرين، وغير ذلك، وقدَّمَ الليل على النهار؛ لأنه سابقُه على الأصحِّ؛ لأن الظُّلمة سابقةٌ على النور، وقيل: يَسبقُ النهارُ، وينبني على هذا الخلاف فائدة؛ وهي أن الليلة تابِعة لليوم قبلَها أو اليوم بعدَها، وعلى الصحيح: تكون الليلةُ لليوم بعدَها، وعلى مقابلِهِ تكون تابعةً لليوم قبلَها، فيومُ عرفةَ يُستثنى على القول الأول؛ لأنه تابعٌ لليلة بعدَه، ولا يردُ قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ [يس: ٤٠]؛ لأن المعنى ليس الليل يسبقُ النهارَ؛ بحيث يأتي قبل انقضاءِ النهار، بل كلٌّ يلزمُ الحدَّ الذي حَدَّهُ اللهُ له.

قوله: (﴿وَٱلۡفُلۡكِ﴾) يستعملُ مفرداً وجمعاً بوزن واحد، والتغايرُ بالوصف، يُقال: فُلكٌ مشحونة وفُلكٌ مشحوناتٌ.

قوله: (﴿ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾) أي: يُسيِّرُها الله بالريح مُقبِلةً ومُدبرة، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢].

---

(١) الخازن في تفسيره «لباب التأويل في معاني التنزيل» (١/ ٩٩).

بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ....

ولا تَرسُبُ مُوقَرَةً ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ مِن التِّجاراتِ والحَملِ، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾: مَطَرٍ ﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بِالنَّباتِ ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾: يُبْسِها، ﴿وَبَثَّ﴾: فرَّقَ ونَشَرَ بِه ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لِأَنَّهُم يَنمُونَ بِالخِصبِ الكائِنِ عَنهُ، ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تَقلِيبِها جَنُوباً وشَمالاً حارَّةً وبارِدَةً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ولا تَرْسُب) أي: لا تَسقطُ لأسفلَ.

قوله: (مُوقرةً) أي: حامِلةً للأثقال، وأشارَ به إلى أن قوله: ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف هو الشيءُ الرابع.

قوله: (﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾) أي: ومِن جملة منافعهم: اتصالُ الأقطار بعضِها ببَعض من حيث انتفاعُهم بما في القُطر الآخر من الزُّروع وغيرها، فلولا تسخيرُ السُّفن لاستَقلَّ كلُّ قُطر بما فيه، وضاقَ على الناس مَعاشُهم.

قوله: (﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾) ﴿مِنَ﴾ الأُولى: ابتدائية، والثانية: يَصح أن تكون بيانيَّةً أو للتَّبعيض.

قوله: (﴿فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾) أي: أظهرَ ما فيها من النَّضارة والبهجة، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

قوله: (لأنهم ينمون بالخِصْب) أي: فإذا كثُرت المرعى شبعت البهائمُ، فيأتي منها النَّسل، وإذا كثرت الأقواتُ شَبعت الناسُ، فتأتي مِنهم الذرية.

قوله: (شَمالاً) هي ما جاءَت من جِهة القطب، والجنوبُ: ما قابَلتها، والصَّبا: ما جاءَت من مطلع الشمس، والدَّبُور: ما قابَلتها.

قوله: (وحارة وبارِدة) أي: وتأتي بالخير والشر، ففي الحديث: «نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهلِكتْ عادٌ بالدَّبُور»[1].

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ....

﴿وَٱلسَّحَابِ﴾: الغَيْمِ ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المُذَلَّلِ بِأمرِ الله تَعالى يَسِيرُ إلى حَيثُ شاءَ الله، ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بِلا عِلاقَةٍ، ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ دالَّاتٍ على وَحدانِيَّتِه تَعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يَتَدَبَّرُونَ.

حاشية الصاوي

والحاصل: أن الريحَ تنقسم إلى قِسمين: رحمة وعذاب، ثم إن كلَّ قسم ينقسمُ إلى أربعة أقسام، ولكلِّ قسمٍ اسمٌ؛ **فأسماء أقسام الرحمة**: المُبَشِّرات، والنَّشْر، والمُرْسَلات، والرُّخاء، **وأسماء أقسام العذاب**: العاصِف والقاصف وهما في البحر، والعَقِيم والصَّرْصَر وهما في البرِّ، وقد جاء في القرآن بكلِّ هذه الأسماء، وقد نزَّلَ الأطباءُ كلَّ ريح على طَبيعة من الطبائع الأربع؛ فطبعُ **الصَّبا** الحرارةُ واليَبَس، وتسمِّيها أهلُ مصر الشرقيةَ؛ لأن مَهبَّها من المشرق، وتُسمى قَبُولاً لاستقبالها وجه الكعبة، وطبعُ **الدَّبُور** البردُ والرطوبة، وتُسمِّيها أهلُ مصر الغربيةَ؛ لأن مَهبَّها من المغرب، وهي تأتي من دُبر الكعبة، وطبعُ **الشَّمال** البردُ واليَبَس، وتُسمَّى البحريةَ؛ لأنه يُسارُ بها في البحر على كلِّ حال، وقيل: ما تهبُّ ليلاً، وطَبع **الجنوب** الحرارةُ، وتُسمَّى القبليةَ؛ لأن مهبَّها من مقابلة القطب، وهي عن يمين مستقبِلِ المشرق، وتُسمِّيها أهلُ مصر المَرِيسِيَّةَ، وهي من عُيوب مصر المعدودة؛ فإنها إذا هبَّتْ عليهم سبعَ ليالٍ استعدُّوا لِلأكفان[1].

قوله: (﴿وَٱلسَّحَابِ﴾) أصلُهُ: طِرْحُ شجرةٍ في الجنة[2]، جعلَه الله مَحمولاً للريح يسيرُ حيث شاءَ الله، فسَيرُهُ أعجبُ من سيرِ المركَب على ظهر البحر.

قوله: (بلا عِلاقة[3]) أي: بلا شيءٍ يتعلَّقُ به ويحفظُهُ من السُّقوط.

قوله: (يتدبَّرون) أي: يتفكَّرون ويتأمَّلون في عجائب قُدرته، فيعلمون أنه القادرُ على كلِّ شيء، فهذا الدليلُ مَنْ تمسَّكَ به وأتقنَه كَفاهُ في عقائدِ إيمانه، وأما المقلِّدُ فهو مَن لم يَحضر العلماءَ ولم يجلسْ بين أيديهم، ولا يَعرفُ الأرضَ من السماء كالبَهائم.

---

(١) المريسية نسبة إلى بلدة مريسة بالنوبة، وسياق المصنف بطوله عند القسطلاني في «إرشاد الساري» (٥/ ٢٦١).

(٢) أي: ثمرها، قال العلامة الأمير في «حاشيته على شرح الجوهرة» (ص٧٨): (وفي بعض الآثار ما يدلُّ على أنه من الجنة)، وقد روى ذلك ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٧٠٨) عن خالد بن معدان، والسحاب مشتق من السَّحْب؛ لجرِّ بعضه بعضاً.

(٣) بكسر العين في المحسوسات كما هنا، وبفتحها في المعنويات كعَلاقة الحب والخصومة. انظر «الفتوحات» (١/ ١٣٢).

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ

﴿١٦٥﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَندَادًا﴾: أصناماً، ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتَّعظيمِ والخُضوع، ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: كحُبِّهم لَهُ، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ مِن حُبِّهم لِلأندادِ؛ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾) هذه الآيةُ وردَتْ لاستعظام ما وقعَ من بعض بني آدمَ من الكُفر بعد ثبوتِ البراهين القطعيَّة، كأن اللهَ يقول: اعجَبوا لكفر بعض العَبيد مع ثبوت الأدلة على وَحدانيته تعالى، والجار والمجرور خبرٌ مقدَّم، و﴿مَن يَتَّخِذُ﴾: مبتدأٌ مؤخَّر، وهو اسمٌ موصول، وما بعده صِلته، أو نكرةٌ موصوفةٌ وما بعده صفة[1].

قوله: (﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) هي في الأصل: ظرفُ مكانٍ لِلمكان الأدنى، يُقال: جلسَ فلانٌ في مكانٍ دُون مكان زيد؛ يعني: أدنى منه، ثم أُطلِق الدون وأُريد الغيريَّة، من إطلاقِ الملزوم وإرادةِ اللازم، لكن صار حقيقةً عرفيَّةً في الغير.

قوله: (﴿أَندَادًا﴾) مفعولُ ﴿يَتَّخِذُ﴾، وقوله: (﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾) صفةٌ لـ﴿أَندَادًا﴾، وفاعلُ ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ عائدٌ على (مَنْ) باعتبار المعنى، وأُفرِدَ في ﴿يَتَّخِذُ﴾ مراعاةً للَّفظ.

قوله: (أي: كحبِّهم له) أي: كحبِّ المشركين لله، فقد سَوَّوا في المحبَّة بين الله والأنداد، ويحتملُ أن المعنى كحُبِّ المؤمنين لله، فحبُّ المشركين للأصنام كحُبِّ المؤمنين لله، وهو الأقربُ، واستُشكلَ الأوَّل: بأنه لا يأتي من عاقل التَّسويةُ في المحبة بين مَنْ يَخلُقُ وبين مَنْ لا يَخلقُ!

أجاب المفسِّر: بأن المرادَ بالحبِّ التعظيمُ والخُضوعُ، وليس المرادُ الحبَّ الحقيقي؛ فإن كلَّ إنسان جُبل على محبَّةِ خالِقه.

قوله: (﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾) أي: فقد انفردَ المؤمنون بمحبَّة الله، وأما محبَّةُ مثلِ الأنبياء والأولياء فمن المحبة لله.

إن قلتَ: إن الكفَّار كذلك يُحبُّون الأندادَ لِيقرِّبوهم إلى الله زلفى، فيقتضي أنها أيضاً من المحبة لله!

أجيبَ: بأنهم كفروا بِعبادتهم لهم، لا بمجرَّدِ المحبة، ففرقٌ بين المحبَّة والعبادة، فلا يُعبدُ

(١) أي: في محل رفع صفة، والتقدير: فريقٌ أو شخصٌ يتخذُ. انظر «الفتوحات» (١/ ١٣٢).

وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ....

لِأنَّهُم لا يَعدِلُونَ عَنهُ بِحالٍ ما، والكُفَّارُ يَعدِلُونَ في الشِّدَّة إلى الله، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾: تُبصِرُ يا مُحَمَّد ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ ....

حاشية الصاوي

إلا اللهُ لا غيرُه، بخلاف المحبَّة من أجلِ كون ذلك المحبوب مقرِّباً مثلاً من الله؛ كالأنبِياء والأولياء، ولِذلك مَنْ عبدَهم فقد كفر[1].

قوله: (**لأنهم لا يعدلون عنه بحال**) أي: فهذا وَجهُ الأشدِّيَّة، وحاصلُ ما قدَّره المفسِّر: أن المشركين سَوَّوا الأندادَ في المحبَّة بالله، والمؤمنين انفرَدوا بمحبَّة الله، ومع ذلك فهي أشدُّ من محبَّة المشركين للأنداد، وقرَّرَ غيرُه أن قولَه تعالى: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ أي: من جهة أن المحبَّة من الطرفين، فالمؤمنون يحبُّون اللهَ ويحبُّهم اللهُ، وأما المشركون فلا يخلُو: إما أن يكون مَعبودُهم عاقلاً أم لا، فالأوَّل يَلعنُهم ولا يحبُّهم، والثاني لا يُوصف بحبٍّ ولا بغضٍ، على أنه يصيرُ حصباً لهم في نار جهنم يُعذَّبون به، فمحبَّةُ الله للعبد سابقةٌ على محبَّة العبدِ لله؛ لأن اللهَ هو الخالقُ لِلخير والهدى في القلوب، فحيث خلقَ اللهُ في قَلب الشخص النورَ والهدى والمحبةَ، وَفَّقَ العبدَ لِلرضا عنه ومحبتِهِ له وامتثالِهِ أمرَه ونهيَه؛ ولِذا قال بعضُ العارفين: [مجزوء الرمل]

أَيُّهــا الـمُـعْـرِضُ عَـنَّـا ... إنَّ إعْــراضَــكَ مِــنَّـا
لَـوْ أَرَدْنــاكَ جَـعَـلْـنـا ... كُـلَّ مـا فِـيـكَ يُـرِدْنـا[2]

وإنما قال: ﴿أَشَدُّ حُبًّا﴾ ولم يقُل: أحبُّ؛ لأن اسمَ التفضيل لا يُصاغ من الفعل المبني للمجهول، وحيث اختلَّ منه شرطٌ تُوُصِّلَ له بـ(أشدَّ أو أشْدِدْ)[3].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾) أظهرَ في محلِّ الإضمار زِيادةً في التَّشنيع عليهم، والمرادُ بالظلم: الكفرُ.

---

(١) حاصل الجواب: إنما كفر المشركون بسبب عبادتهم للأصنام، لا بسبب حبِّهم لها لكونها مقرِّبةً منه تعالى، فقد اتفقَ أهل السنة على محبة غير الله تعالى لكونها مقرِّبةً منه سبحانه؛ كمحبة الأعمال الصالحات ومحبة الأنبياء والأولياء الموصلة لمرضاة المولى، وما عبدوا هذه المحبوبات، فوقع الفرق بين العبادة وبين التعظيم والمحبة.

(٢) أوردهما ابن الجزري في «الزهر الفائح» (ص٦٣) دون نسبة.

(٣) أما قولهم: (ما أحبَّهُ إليَّ) فشاذٌّ على خلاف في ذلك بين النحويين. «الدر المصون» (٢/ ٢١٢).

إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ....

بِاتِّخاذِ الأندادِ ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ - بِالبِناءِ لِلفاعِلِ والمَفعُول -: يُبصِرُونَ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ لَرَأيت أمراً عَظِيماً، و﴿إِذْ﴾ بِمَعنَى (إذَا)، ﴿أَنَّ﴾ أي: لِأَنَّ ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾: القُدْرةَ والغَلَبَةَ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ - حالٌ - ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ - وفي قِراءة: ﴿يَرَى﴾؛ والفاعِلُ قِيل: ضَمِير السَّامِع، وقِيلَ: الَّذِينَ ظَلَمُوا، فهيَ بِمَعنَى يَعلَم، و﴿أَنَّ﴾ وما بَعدها سَدَّت مَسَدَّ المَفعُولَينِ، وجَوابُ (لَو)

حاشية الصاوي

قوله: (باتخاذ الأنداد) الباء: للسببية، ومفعولُ ﴿ظَلَمُوٓاْ﴾ محذوفٌ، تقديرُهُ: أنفُسَهُم.

قوله: (يبصرون) على القراءة الأولى هو بضمِّ الياء مع سكون الباء وكسرِ الصاد، وعلى الثانية بضمِّ الياء وفتح الباء مع تشديد الصاد[1].

قوله: (العذاب) مفعولٌ لقوله: ﴿يَرَوْنَ﴾.

قوله: (لرأيت أمراً عظيماً) هذا هو جوابُ (لو) الشرطية.

قوله: (و﴿إِذْ﴾ بمعنى «إذا») جوابٌ عن سؤال، وهو أن (إذْ) ظرفٌ للماضي، ورؤية العذاب مُستقبلةٌ، فالمحلُّ لـ(إذا)! فأجاب بذلك، أو أنه أنزلَ المستقبلَ منزلةَ الماضي؛ لِتحقُّقِ الحصول.

قوله: (أي: لأن) أشار بذلك إلى أنه عِلة لجواب (لو) أي: رأيت أمراً عظيماً لكون القوَّةِ جميعِها لله، فلا تخشَ من إمهالِهم الفواتَ والهروب.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾) هذا لدفعِ توهُّمِ الكافر أنه وإن كانت له القوَّةُ جميعُها يمكن أن يسامَحَ في ذلك، فقال: إن اللهَ شديد العذاب.

قوله: (قيل: ضمير السامع) أي: والذين ظلموا مفعولٌ له، والجواب محذوفٌ تقديرُهُ: لرأى أمراً فظيعاً[2].

قوله: (فهي بمعنى يعلم) أي: فتنصبُ مفعولين.

قوله: (و﴿أَنَّ﴾) أي: الأولى.

قوله: (سدت مسدَّ المفعولين) أي: فهذا موجِبُ فتحها، ويوجبُ فتحَها أيضاً تأويلُها بمصدر.

---

(١) قرأ الجمهور: (يَرونَ) بفتح الياء مبنيًّا للفاعل، وقرأ ابن عامر: (يُرَونَ) مبنيًّا للمفعول، انظر «البحر المحيط» (١/ ٦٤٥).

(٢) قرأ الحسن وقتادة وشيبة وأبو جعفر ويعقوب: (ولو ترى)، وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير: (ولو يرى). المصدر السابق.

إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ ....

مَحذُوف -، والمَعنَى: لَو عَلِمُوا في الدُّنيا شِدَّةَ عَذاب الله وأنَّ القُدرَة لِلَّهِ وَحدَه وقتَ مُعايَنَتِهم لَهُ وهو يَومُ القِيامة، لَمَا اتَّخَذُوا مِن دُونِه أنداداً.

﴿١٦٦﴾ ﴿إِذْ﴾ - بَدَلٌ مِن ﴿إِذْ﴾ قَبلَه - ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ أي: الرُّؤَساءُ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: أنكَرُوا إضلالَهُم، ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ - عطفٌ على ﴿تَبَرَّأَ﴾ - ﴿بِهِمُ﴾: عَنهُم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾: الوُصَلُ التي كانَت بَينَهم في الدُّنيا مِن الأرحامِ والمَودَّة.

﴿١٦٧﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رَجعةً إلى الدُّنيا، ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: المَتبُوعِينَ ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ اليومَ، - و(لو) لِلتَّمني و(نتبرأَ) جوابُه - ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أَراهُم شِدَّةَ عَذابه وتَبَرَّأَ بَعضُهُم مِن بَعضٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (والمعنى) أي: على هذا الوجهِ الأخير.

قوله: (وقتَ معاينتهم) هذا تفسير لـ(إذ).

قوله: (لما اتخذوا) هذا جوابُ الشرط.

قوله: (أي: الرؤساء) أي: كفرعونَ والنمروذِ وعبدِ الله ابنِ سلولَ وحُيَيِّ بنِ أخطبَ وغيرِهم.

قوله: (أي: أنكروا إضْلالَهم) أي: قالوا: يا ربَّنا؛ لم نضلَّ هؤلاءِ، بل ضلُّوا في أنفسهم وكفروا بإرادتهم.

قوله: (عنهم) أشارَ بذلك إلى أن الباءَ بمعنى (عن) على حدِّ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

قوله: (من الأرحام) قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

قوله: (و(نتبرأ) جوابه) أي: فهو منصوبٌ بـ(أنْ) مُضمرة بعد فاء السببية.

قوله: (كذلك) أي: يتحاجُّون ولا تنفعُهم المحاجَجة.

يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ ....

﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ السَّيِّئَةَ ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ ـ حالٌ ـ: نداماتٍ ﴿عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بعد دُخُولِها.

﴿١٦٨﴾ ونَزَل فِيمَن حرَّم السوائبَ ونحوَها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وتبرَّأ بعضُهم) معطوف على (أراهم) أي: مثل ما أراهم شدَّةَ العذاب ومثلَ ما تبرَّأ بعضُهم يُريهم.

قوله: (﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾) أي: جزاءَها.

قوله: (حال) أي: من ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾[1].

قوله: (ندامات) جمع نَدامة.

قوله: (ونزل فيمن حرم السوائب) أي: وهم قبائلُ من العرب حرَّموا أموراً لم يَرِدْ تحريمُها من الشرع[2]، والسوائبُ: جمع سائبة، والمرادُ بها في عُرف الجاهلية: الناقةُ ـ أو البعيرُ ـ المنذورة لِلصنم؛ كأن يقول الواحد منهم: إن قَدِمتُ من سفري فناقتي أو بعيري سائبةٌ للأصنام، فتصيرُ لا مِلكَ لأحدٍ عليها ولا تؤكلُ وإن ذُكِّيَت.

قوله: (ونحوها) أي: كالبحيرةِ والوَصيلة والحامِ[3]، فالبحيرةُ: هي المنذورةُ اللبنِ للأصنام[4]، والوصيلةُ: هي التي تبكِّرُ بالأنثى ثم تُتبعها بأنثى، فإن الأمَّ صارت عتيقةَ الأصنام، لا يحملُ عليها ولا يؤكلُ لبنها ولا لحمها، والحام: فحلُ الإبل يضرب مُدة في الإبل معلومة، فإذا استوفاها صارَ عتيقاً للأصنام، وسيأتي إيضاح ذلك.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾) هذا خطابٌ لأهل مكة، ولا يُنافيه كونُ السورة مدنيَّةً؛ فإن ذلك من حيث النزول.

---

(١) على أن (رأى) بصرية، فإن قدرت قلبية فـ(حسرات) مفعولها الثالث. انظر «الدر المصون» (٢/ ٢٢١).

(٢) هذا هو المشهور، بخلاف ما جرى عليه القاضي من أنها نزلت في قوم حرَّموا على أنفسهم رفيعَ الأطعمة والملابس؛ فإنه مرجوح. «الفتوحات» (٢/ ١٣٤).

(٣) كذا في النسخ، والأصل: الحامي، اسم فاعل من: حمى يَحمي؛ لأنه حمى ظهره، وحذف ياء المنقوص مع (أل) لغة مشهورة فاشية.

(٤) روى تفسيرها بهذا البخاري (٣٥٢١) عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى.

مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ ....

﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ - حالٌ - ﴿طَيِّبًا﴾ - صِفةٌ مُؤَكِّدة -، أي: مُستلَذًّا، ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾: طُرُقَ ﴿ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ أي: تَزيينَه، ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ العَداوة.

﴿١٦٩﴾ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: الإثمِ ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: القَبِيحِ شَرعاً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾) (مِنْ): للتبعيض؛ لأن بعضَ ما في الأرض لا يجوزُ أكلُهُ؛ كالحجارة والخنزيرِ وما وردَ تحريمُه.

قوله: (صفةٌ مؤكِّدة) أي: فمعنى الطيب: الحلال، وقوله: (أي: مستلذًّا) أي: لنفس المؤمن، وهو ما عدَا الحرام، هكذا في نسخة، وفي نسخة أخرى: (أو مستلذًّا) وهي أولى، فعليها هو صفةٌ مخصِّصة؛ فإن الحلال بعضُه غيرُ مستلذٍّ؛ كالصَّبِرِ والمرِّ، وبعضُه مستلذٌّ؛ كالسَّمْنِ والعسل، والحاصل: أنه إن أُريد بالمستلذ الشرعيَّ وهو ما عدَا الحرام.. فالصفة مؤكِّدةٌ، ويُناسبها نسخة: (أي: مستلذًّا)، وإن أُريد به المستلذُّ الطبيعي؛ أي: الذي لا يمُجُّهُ الطبعُ.. فالصفةُ مخصِّصة، ويناسبها نسخة: (أو مستلذًّا).

قوله: (﴿خُطُوَٰتِ﴾) بسكون الطاء وضمِّها قراءتانِ سبعيَّتان، وقرأ أبو السَّمَّالِ بفتح الخاء والطاء[1].

قوله: (أي: تَزيينه) أي: فأطلقَ الخطواتِ التي هي ما بين القدمين وأرادَ التزيينَ، والجامعُ بينهما الاتباعُ في كلٍّ.

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾) هذا علَّةٌ للنهي عن اتباع تَزيينه.

قوله: (بين العداوة) أي: للصالحين، وأما غيرُهم فلا تظهرُ عداوتُهُ لمصاحبتِهم له، ويقرِّبُ ذلك البيتُ الذي فيه النور؛ فإنه يبينُ فيه كلُّ مُؤذٍ بخلافِ غيره.

قوله: (﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾) هذا كالعلة لِقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، والسوءُ: اسمٌ جامع

---

(١) قرأ ابن عامر والكسائي وقنبل وحفص وعباس عن أبي عمرو والبرجمي عن أبي بكر: بضم الخاء والطاء، وقرأ باقي السبعة: بضم الخاء وإسكان الطاء، وأبو السَّمَّال: هو قَعْنَب العدوي البصري، تُروى عنه كثيرٌ من القراءات الشاذة.

وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا

﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ مِن تَحريمِ ما لم يُحَرَّم وغَيرِه.

﴿١٧٠﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: الكُفَّارِ: ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ مِن التَّوحِيدِ وتَحلِيل الطَّيِّبات، ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا﴾: وَجَدْنا ....

حاشية الصاوي

لما يغضبُ اللهَ، كان فيه حدٌّ أو لا، يُسمَّى بذلك لأنه يَسوءُ صاحبَهُ، فعطفُ (الفحشاء) عليه من عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لأن المرادَ بها الكبائرُ، وكلامُ المفسِّر يفيدُ أن السوءَ والفحشاء مترادفان، وكلٌّ صحيح[١].

قوله: (﴿وَأَن تَقُولُوا﴾) معطوف على (السوء) أي: وقولِكم على الله.

قوله: (من تحريم ما لم يحرم) أي: كالبَحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

وقوله: (وغيره) كاتِّخاذ أنداد غير الله.

قوله: (من التوحيد) أي: فلا تعبدُوا إلا اللهَ ولا تشركوا به شيئاً.

قوله: (وتحليل الطيبات) أي: كالبحائر والسوائب والوصيلة والحام، وهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، فإن قولَهُ: (من التوحيد) راجعٌ لقولِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾، وقولَهُ: (وتحليل الطيبات) راجعٌ لقولِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾.

قوله: (﴿قَالُوا﴾ لا) أي: لا نتَّبعُ ما أنزلَ الله، وقوله: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ﴾ ﴿بَلۡ﴾: للإضراب الإبطالي، وهو معطوفٌ على جملة محذوفةٍ أشارَ لها المفسِّر بتقدير: (لا). قيل: كلُّ إضراب في القرآن انتقالي؛ أي: يفيدُ الانتقال من قِصة إلى قصة إلا هذه، وإلا (بلْ) في قوله تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فمحتمِل لِلأمرين؛ فإن اعتبرتَ قوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ كان انتقاليًا، وإن اعتبرتَ ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ وحدَهُ كان إبطاليًا[٢].

قوله: (وجدنا) إن كانت (وجدَ) بمعنى: أصاب.. نَصبت مفعولاً واحداً وهو ﴿ءَابَآءَنَا﴾،

---

(١) وقال القاضي البيضاوي في «تفسيره» (١/١١٨): (السوء والفحشاء: ما أنكره العقل واستقبحه الشرع، والعطف لاختلاف الوصفين؛ فإنه سوءٌ لاغتمام العاقل به، وفحشاء باستقباحه إياه، وقيل: السوء يعمُّ القبائح، والفحشاء ما يتجاوزُ الحدَّ في القبح من الكبائر، وقيل: الأول ما لا حدَّ فيه، والثاني ما شُرعَ فيه الحدُّ).

(٢) ذكر القاعدة باستثناءيها العلامةُ السمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/٢٢٦).

عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ ....

﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ﴾ مِن عِبادةِ الأصنام وتَحريمِ السَّوائِب والبَحائِرِ، قال تعالى: ﴿أ﴾ يَتَّبِعُونهم ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ مِن أمرِ الدِّينِ ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحقِّ؟ - والهمزةُ لِلإنكار -.

﴿١٧١﴾ ﴿وَمَثَلُ﴾: صِفَةُ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ومَن يَدعُوهُم إلى الهُدَى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾:

حاشية الصاوي

وقوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ ظرف لغو متعلِّقٌ بـ﴿أَلْفَيْنَا﴾، وإن كانت بمعنى: علمَ. . نَصبت مفعولين: ﴿عَلَيْهِ﴾ و﴿ءَابَآءَنَآۗ﴾.

قوله: (من عبادة الأصنام) راجعٌ لِلفريق الأول، وقوله: (وتحريم السوائب. . . إلخ) راجعٌ للفريق الثاني[1]، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (﴿أ﴾ يتبعونهم) أشار بذلك إلى أن الهمزةَ للإنكار داخلةٌ على محذوف، والواو عاطفةٌ على ذلك المحذوف، والجُملة حاليةٌ، فالواو للحال أيضاً[2].

قوله: (﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾) أي: فهم تابِعون لهم؛ سَواء ظهر لهم عقل آبائهم وهداهم أو شكُّوا في ذلك، بل ولو ظهرَ لهم عدمُ عَقلهم وعدمُ هُداهم!

قوله: (والهمزة للإنكار) أي: والتوبيخِ والتعجبِ، والمعنى: لا يَليقُ منكم ذلك.

قوله: (﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) أي: المدعوِّين، وقوله: (ومَن يدعوهم) أي: كالأنبياء، فقد حذف الداعي من هنا وذكر ما يدلُّ عليه بقوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾، والمعنى: إن مثلَ الكفَّارِ في عدم سماع المواعظ والآيات والبراهين القطعيَّة ومثلَ داعيهم وهو النبيُّ في تكرار المواعظ والآيات. . كمَثل راعٍ يُرشدُ البهائم الوحشيَّة بصوته إلى مصالحِها، فكما أن البهائمَ الوحشيَّةَ لا ينفعُ فيها الصوتُ ولا تفهمُهُ ولا تعقلُ معناه، بل لا يُرشدُها إلا الضربُ مثلاً. . كذلك الكفَّارُ لا تنفعُ فيهم المواعظُ والآيات، بل جزاؤُهم في الدنيا السيفُ، وفي الآخِرة النارُ وعذابُها.

---

(١) الفريقان اللذان ذكرهما المصنف المحشي في تفسير (وتحليل الطيبات) قبل يسير.

(٢) وكونها للحال هو اختيار الزمخشري، واختار أبو البقاء وابن عطية أنها للعطف، وجُمع بينهما من حيث عطفها جملة حالية على حال مقدرة. انظر «الدر المصون» (٢/ ٢٢٧).

بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ ....

يُصَوِّتُ ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ أي: صَوتاً ولا يَفهَم مَعناهُ، أي: هُم في سَماعِ المَوعِظة وعَدَم تَدَبُّرِها كالبَهائِمِ تَسمَعُ صَوتَ راعِيها ولا تَفهَمُهُ، هُم ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المَوعظةَ.

﴿١٧٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾: حَلالاتِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾) الباء بمعنى (على).

قوله: (﴿وَنِدَآءً﴾) عطفٌ مرادف.

قوله: (كالبهائم) أي: الوحشيَّة، وإلَّا.. فالإنسية ربما تَسمعُ صوت راعيها وتنزجرُ به.

قوله: (هم ﴿صُمٌّ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿صُمٌّ﴾ وما عطفَ عليه خبرٌ لمبتدإٍ محذوف، وقوله: (﴿صُمٌّ﴾) أي: لا يسمعون المواعظ ولا يَنزجرون بها، وقوله: (﴿بُكْمٌ﴾) أي: لا ينطقونَ بالحقِّ، وقوله: (﴿عُمْيٌ﴾) أي: لا ينظرون الهدى ولا يَتبعونه وإن كانت صورةُ الحواسِّ موجودةً.

قوله: (﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾) نتيجةُ ما قبله.

تنبيه: ما حلَّ به المفسِّر هذه الآيةَ هو أظهرُ التفاسير؛ لأنهم اختلفوا في ذلك؛ فمنهم من قال مثل ما قال المفسِّر، ومنهم مَن قال: إن المثلَ مضروبٌ لِتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالناعق على البهائم، ومنهم مَن قال غيرَ ذلك(١).

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) جرَت عادةُ الله في كتابه غالباً مناداةَ أهلِ مكةَ بـ(يا أيها الناس)، ومناداةَ أهل المدينة بـ(يا أيها الذين آمنوا).

قوله: (حلالات) أي: مُستلذَّةً كانت أو لا، أو المرادُ: المستلذَّات، وتقدَّمَ ذلك، ويطلقُ الطيِّبُ في غير المأكولات على الطاهر، قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: (مِن): تبعيضيةٌ في موضع المفعول، والأمرُ للوجوبِ بالنسبة لإقامة البِنْيَة، وللندبِ بالنسبة للاستِعانة على أمور مندوبة، وللإباحةِ إن كان تفكُّهاً أو تبسُّطاً.

---

(١) ذكر هذه التفسيرات الزمخشري في «تفسيره» (١/ ٢١٤)، ويرى العلامة ابن عاشور إمكان الجمع بينها؛ لأن الاستعارة التمثيلية لا ينظر في أجزائها، وقد يكون هذا من مراد الله تعالى، حيث أراد بيان إعراضهم عن دعوة الحق، وإقبالهم على عبادة أصنام آبائهم.

﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ ......

﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ على ما أحَلَّ لَكُم، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

۝١٧٣ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلَها؛ إذِ الكَلام فِيهِ، وكَذا ما بَعدَها، وهِيَ ما لم يُذكَّ شَرعاً، وأُلحِق به بِالسُّنَّةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾) يصحُّ أن تكون (ما) مصدرية؛ أي: مِن طيباتِ رزقنا إيَّاكم، أو اسمَ موصول والجملة صلة، أو نكرةً موصوفة والجملةُ صفة؛ أي: من طيباتِ الشيءِ الذي رَزقناكموه، أو شيءٍ رزقناكموه، ويؤخذُ من ذلك: أن الرزقَ بعضُه حلالٌ وبعضُه غيرُ حلال، وهو مَذهبُ أهل السنة، قال في «الجوهرة»: [الرجز]

وَيَــرْزُقُ اللهُ الــحَــلالَ فَــاعْــلَــمــا وَيَــرْزُقُ الــمَــكْــرُوهَ والــمُــحَــرَّمــا[1]

قوله: (﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾) أي: اعتقدوا أن النعمَ صادرةٌ لكم من الله، وهو بذلك المعنى واجبٌ وإنكارُهُ كفر، أو المعنى: راقِبوا في كلِّ لحظةٍ أن كلَّ نعمة من الله، وهو بهذا المعنى مندوبٌ؛ لأن هذا مقامُ الخواصِّ.

قوله: (﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾) ﴿إِن﴾: شرطية، و﴿كُنتُمْ﴾: فعلُ الشرط، والتاء: اسمُها، وجملة ﴿تَعْبُدُونَ﴾: خبرُها، و﴿إِيَّاهُ﴾ مفعولُ ﴿تَعْبُدُونَ﴾ قُدِّمَ رعايةً للفواصل وللحصر، وجوابُ الشرط محذوفٌ دلَّ عليه الأمرُ؛ أي: فكُلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله.

قوله: (﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾) المقصودُ من هذا الحصر: الردُّ على مَن حرَّمَ البحيرةَ والسائبة والوصيلة والحام، وعلى مَن أحلَّ بعضَ المحرَّمات، فالحصرُ إضافي[2].

قوله: (وهو ما لم يذكَّ شرعاً) أي: إما لكونها لا تعملُ فيها أصلاً كالبغال والحمير، أو تعملُ فيه ولكنْ لم يُذكَّ كالأنعامِ إجماعاً، والخيلِ على مذهب الشافعي[3].

---

(١) انظر «شرح المصنف على الجوهرة» (ص٤١٠).

(٢) لا حقيقي، إذ خُصَّ المقصور بالمقصور عليه بالنسبة لما ادَّعوه هم، فهو حصر قَلْبٍ إضافي.

(٣) حيث قال في «الأم»: (كل ما لزمه اسم الخيل من العراب والمقاريف والبراذين فأكلُها حلال) وكذا الحنابلة، والحنفية ذهبوا للكراهة التحريمية، وسكوت المصنف تمسك بالتحريم، وهو أحد القولين عند المالكية، حيث جَزم به العلامة خليل في «مختصره».

﴿وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ ....

ما أُبِينَ مِن حَيٍّ، وخُصَّ مِنها السَّمَكُ والجَرادُ، ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أي: المَسفُوحَ كما في (الأنعام)، ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ خَصَّ اللَّحم لِأَنَّهُ مُعظَمُ المَقصُود وغَيرُه تَبَعٌ لَه، ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: ذُبِحَ على اسم غَيره، والإهلالُ: رَفعُ الصَّوت، وكانُوا يَرفَعُونَهُ

حاشية الصاوي

قوله: (ما أبينَ من حي) أي: فهو ميتةٌ.

قوله: (وخصَّ منها السمكُ والجراد) أي: لما في الحديث: «**أُحلَّتْ لنا مَيتتانِ ودمانِ: السمك والجراد، والكبدِ والطِّحالُ**»[1]، وإنما أُحلَّ الكبدُ والطحالُ المنفصلان من الحيوان بعد ذكاته شرعاً؛ لِكونهما ليسا من الدم المسفوح.

قوله: (أي: المسفوح) أي: ولو من سمكٍ خلافاً لأبي حنيفة، ومن هنا اختُلف في الفسيخ؛ فقال الأئمةُ الثلاثةُ بحُرمة أكله وبيعه؛ لشربِ بعضِه من دم بعض حين تكديسه، وقال أبو حنيفةَ بطهارته؛ لأنه لا دمَ له أصلاً[2]، وإنما الذي ينزلُ منه دهنٌ لا دمٌ؛ بدليل أنه لو نَشِفَ لصار أبيضَ لا أحمرَ، وقال أستاذُنا العارفُ بالله تعالى شيخُنا الشيخُ الدرديرُ: (الذي أَدينُ اللهَ به أن الفسيخَ بجميع أجزائه طاهرٌ يجوزُ أكلُه)[3]، وأما لو نَشِفَ بحيث لم يسِلْ منه دمٌ كالسمك المالحِ.. فهو طاهرٌ حلالٌ بإجماع.

قوله: (كما في «الأنعام») أي: في سورة (الأنعام) في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا...﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، فما هنا يقيَّدُ بما هناك.

قوله: (﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾) أي: البري إنسيًّا أو وحشيًّا، وأما البحريُّ فهو حلالٌ وكلبُهُ كذلك.

قوله: (وغيره تبعٌ له) ظاهرُه حتى الشَّعَر، ولكنْ مذهبُ مالك حِلُّ لبسِهِ والانتفاعِ به.

قوله: (والإهلال رفع الصوت) أي: فقد سُمِّي الشيءُ باسم ما صاحبَهُ، ولذلك يُقال: استهلَّ المولودُ بمعنى: صاحَ عند الولادة، وسُمِّي الهلالُ بذلك لرفعِ الصوت عند رُؤيته[4].

---

(١) كذا موقوفاً على ابن عمر رضي الله عنهما رواه البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (١/ ٢٥٤) ونعت إسناده بالصحة، وعنه مرفوعاً ابنُ ماجه (٣٣١٤).

(٢) فلا نجاسة، ومن قال من الحنفية بحرمة أكله فلاعتبار النتن. انظر «حاشية الطحطاوي على المراقي» (ص٣٩).

(٣) نقله عنه أيضاً المصنف في حاشيته «بلغة السالك» (١/ ٥٣).

(٤) كذا نُقل عن المبرد. انظر «تاج العروس» (هـ ل ل).

فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ....

عِند الذَّبح لِآلِهَتِهِم، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: أَلجَأتهُ الضَّرُورةُ إلى أكلِ شَيء مِمَّا ذُكِرَ فأكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: خارجٍ على المُسلِمِينَ، ﴿وَلَا عَادٍ﴾: مُتَعَدٍّ علَيهِم بِقَطعِ الطَّرِيق، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكلِه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِأولِيائِه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِأهلِ طاعَتِه، حَيثُ وَسَّعَ لَهُم في ذَلك، وخَرَجَ الباغِي والعادِي ـ ويَلحَقُ بِهِما كُلُّ عاصٍ بِسَفَرِه كالآبِقِ والمَكَّاس ـ فلا يَحِلُّ لَهُم أكلُ شَيء مِن ذلكَ ما لم يَتُوبُوا، وعلَيه الشَّافِعِيُّ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾) هذا كالاستدراك على عموم قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾.

قوله: (﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾) حال من الضمير في ﴿ٱضْطُرَّ﴾.

قوله: (لأوليائه) أي: الذين أكلوا عن اضطرار.

قوله: (حيث وسع لهم في ذلك) أي: فأباحَ لهم أكلَها والشبعَ منها حيث كانت المخمصةُ دائمةً، واجتمعت الأئمةُ على ذلك، واختلفوا إذا لم تدم المخمصةُ؛ فرجَّحَ مالكٌ الشبعَ والتزوُّدَ، وذكرَ غيرُهُ قولَين، وعلى كلٍّ فإذا استغنى عنها طرحَها[1]، ويقدِّمُ الميتةَ وما أُهلَّ به لغير الله في الأكلِ على لحمِ الخنزير.

قوله: (وعليه الشافعي) أي: فمذهب الشافعيُّ أن العاصيَ بسفره لا يأكلُ من الميتة إلا إن تاب[2]، وأما مذهبُ مالك وأبي حنيفة: أن العاصيَ بسفره له الأكْلُ من الميتة وإن لم يتُبْ، وفسَّر قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: غيرَ طالب الميتة وما معها وهو يجدُ غيرَها، و﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: مُتعدٍّ ما أحلَّ الله، وقيل: غير مستحلٍّ لها.

---

(١) وعبارة الخازن في «تفسيره» (١/ ١٠٤): (أما المخمصة فلا يخلُو: إن كانت دائمة فلا خلاف في جواز الشبع منها، وإن كانت نادرة فاختلف العلماء فيه، وللشافعي قولان: أحدهما: أنه يأكل ما يسدُّ به الرمَق، وبه قال أبو حنيفة. والثاني: يأكل قدر الشبع، وبه قال مالك).

(٢) وعبارته في «الأم»: (ومن خرج عاصياً لم يحلَّ له شيء مما حرم الله عز وجل عليه بحال؛ لأن الله تبارك وتعالى إنما أحلَّ ما حرم بالضرورة على شرط أن يكون المضطر غيرَ باغٍ ولا عادٍ ولا مُتجانف لإثم)، والحكمُ في كتب المذهب على وجهين، قال العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ١٣): (فقوله: «وعليه الشافعي» لعله في مذهبه القديم).

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ ....

﴿١٧٤﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المُشتَمِل على نَعتِ مُحمَّد ﷺ وهُم اليَهُودُ، ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن الدُّنيا يَأخُذُونَهُ بَدَلَه مِن سَفَلَتِهم، فلا يُظهِرُونَهُ خَوفَ فَوتِه علَيهم، ﴿أُولَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لِأنَّها مَآلُه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) نزَلت هذه الآية في حقِّ علماء اليهود، وقد كانوا يأخذون من سَفِلَتِهم مالاً، وكانوا يودُّون أن نبيَّ آخر الزمان يكون منهم، فلمَّا بُعثَ رسولُ الله من غيرهم.. خافوا أن رئاستَهم تذهبُ بسبب ظُهوره واتباعِ سَفِلَتِهم له، فينقطعُ ما كان يصلُهم من سَفِلَتِهم، فغيَّروا صفتَه وصفةَ أصحابه وبلده حرصاً على الرئاسة وعلى ما كانوا يأخذونه من سَفِلَتهم، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

قوله: (المشتمِل على نعت محمد) أي: فالكتابُ مشتملٌ على أمور كثيرة منها: نعتُ محمد، ومنها غيره، فالمغيَّرُ إنما هو المشتمِلُ على نعت محمد، لا جميعُ ما في الكتاب.

قوله: (يأخذونه بدله) أي: يأخذون الثمنَ بدلَ الكتمان؛ بمعنى أن الحاملَ لهم على الكتمان إنما هو العوضُ الفاني الذي يأخذونه من سَفِلَتِهم، وليس المراد أنهم قالوا لهم: خذوا هذا المالَ واكتموا وصفَ محمد[١].

قوله: (خوف فوته) أي: الأمرِ الدنيوي عليهم.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾) أي: سببَها كما يشيرُ له قولُ المفسِّر: (لأنها مآلُه) أي: مَأواه وعاقبةُ أمره، ففيه مجازُ الأَوْلِ[٢].

(١) أي: كتموا وصفه عليه الصلاة والسلام لكيلا تنقطع عطايا سَفِلتهم لهم، لأنهم لو أظهروا وصفه لاتبعوه، فالثمن مقابَلٌ بالكتمان.

(٢) أي: الصيرورة، وانظر (١/ ٨٤).

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ....

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ غَضَباً عليهم، ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُم مِن دَنَسِ الذُّنُوب، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم هو النَّارُ.

﴿١٧٥﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: أخَذُوها بَدَلَه في الدُّنيا، ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ المُعَدَّةِ لَهُم في الآخِرة لَو لم يَكتُمُوا، ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾) أي: كلامَ رضاً، بل يكلِّمُهم كلامَ غضب[1].

قوله: (غضباً عليهم) أي: من أجلِ غضبه عليهم؛ أي: طردِهِ لهم وإبعادِهم عن رضاه.

قوله: (يطهرهم من دنس الذنوب) أو المعنى: لا يشهدُ لهم بالطهارة يومَ القيامة.

قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) هذا بيانُ حالهم في الآخرة، وهو عدمُ كلامِ الله لهم المترتِّبُ على كتمانهم، وعدمُ طهارةِ الله لهم المترتِّبُ على اشترائهم ثمناً قليلاً، والعذابُ الأليم المترتِّبُ على أكلِهم سببَ النار.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ﴾) هذا بيانٌ لحالهم في الدنيا.

قوله: (﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾) الباء داخلة على المتروك؛ أي: فقد تركوا الهدى وأخذُوا الضلالةَ بدلَهُ.

قوله: (لو لم يكتموا) (لو): شرطية، وجوابُها محذوف تقديرُهُ: ما اشتروا العذاب بالمغفِرة.

قوله: (﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾) الأحسن أن (ما) نكرةٌ تامَّةٌ مبتدأٌ، والجملةُ بعدها في محلِّ رفع خبر، والمعنى: شيءٌ صبَّرَهم على النار، فـ(أصبَر): فعلُ تعجب، والفاعلُ: مستترٌ وجوباً، والهاء: مفعول، وقيل: استفهاميةٌ فيها معنى التعجب، والإعرابُ واحدٌ، وقيل: اسم موصول، وما بعدها صلتُها، والخبرُ محذوف، وقيل: نكرةٌ موصوفةٌ، وما بعدها صفتُها، والخبرُ محذوف[2].

---

(١) لما ثبت بالنصوص أنه تعالى يسألهم والسؤالُ كلام، فحُملَ نفيُ الكلام على الغضب، فهو كناية، ويجوز بقاءُ الكلام على ظاهره وتحمل نصوصُ السؤال على أنه يقع بألسنة الملائكة. «السراج المنير» (١/ ١١٤).

(٢) والأول هو قول سيبويه والجمهور، وخامس الأقوال أنها نافية، قال العلامة السمين في «الدر المصون» (٢/ ٢٤٣): (وليس بشيء).

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ ....

أي: ما أَشَدَّ صَبرَهُم، وهو تَعجِيبٌ لِلمُؤمِنِينَ مِن ارتِكابهم مُوجِباتها مِن غَيرِ مُبالاةٍ، وإلَّا فأيُّ صَبر لَهُم؟

(١٧٦) ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ مِن أكلِهم النَّارَ وما بَعدَه ﴿بِأَنَّ﴾: بِسَبَبِ أنَّ ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ ـ مُتَعلِّق بـ﴿نَزَّلَ﴾ ـ فاختَلَفُوا فِيهِ، حَيثُ آمَنُوا بِبَعضِه وكَفَرُوا بِبَعضِه بِكَتمِهِ، ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ بِذَلك وهُم اليَهُودُ، وقِيلَ: المُشرِكُونَ في القُرآن؛ حَيثُ قالَ بَعضُهم: شِعرٌ، وبَعضُهم: سِحرٌ، وبَعضُهم: كَهانةٌ، ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: خِلافٍ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ما أشد صبرهم) هذا حلٌّ معنًى لا إعراب.

قوله: (وهو تعجُّب للمؤمنين) جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ حاصلُهُ: أن التعجبَ هو استعظامُ شيء خفيَ سببُهُ، وذلك مُستحيلٌ على الله تعالى؛ لأنه لا يخفى عليه خافيةٌ!

فأجاب: بأن التعجبَ واقعٌ من المؤمنين، فالمعنى: تعجَّبوا أيُّها المؤمنون من صبرِ هؤلاء على مُوجبات النار التي من جملتها الكتمانُ وأخذُهم الثمن القليل وغيرُ ذلك من غير مُبالاة.

قوله: (وإلَّا.. فأيُّ صبر لهم) أي: وإلا نقدِّرْ (موجباتٍ) بل أبقينا الكلامَ على ظاهره.. فلا يصحُّ ذلك؛ لأنه ليس لأحد صبرٌ على ذات النار.

قوله: (الذي ذُكر) أي: وهو أمور ستةٌ: أكلُهم سببَ النار، وعدمُ كلام الله لهم، وعدمُ تزكيته لهم، والعذابُ الأليم، واشتراؤُهم الضلالةَ بالهدى، والعذابَ بالمغفرة.

قوله: (﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾) المرادُ به التوراةُ باتفاق المفسِّرين، وإنما الخلافُ في الكتاب الثاني.

قوله: (واختلفوا فيه) قدَّرَهُ المفسِّرُ لتمام الفائدة، وإلَّا.. فالسببُ ليس نزولَ الكتاب بالحقِّ فقط.

قوله: (وكفروا ببعضه) أي: فما وافقَ هواهم آمنوا به، وما خالفَهُ كتموه وقالوا: لم يُنزِّلْه ربُّنا.

قوله: (وهم اليهود) أي: فالمرادُ بالكتاب التوراةُ، والآيةُ من تمام ما قبلَها.

قوله: (وقيل: المشركون) أي: فهو كلامٌ مستأنفٌ، والكتابُ هو القرآن.

قوله: (حيث قال بعضهم: شعر) هذا وجهُ الاختلاف.

بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ ....

﴿بَعِيدٍ﴾ عنِ الحقِّ.

﴿١٧٧﴾ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصَّلاةِ ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾، نَزَلَ رَدًّا على اليَهُود والنصارَى حينَ زَعَمُوا ذلكَ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ذا البِرِّ - وقُرِئَ: (البارَّ) - ...

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق) أي: فمن آمن بالبعض وكفرَ بالبعض.. لم يُصادف الحقَّ، بل هو بعيدٌ عنه، ومن قال من المشركين: إنه شعرٌ أو سحرٌ أو كهانةٌ أو غيرُ ذلك.. لم يصادف الحقَّ، بل هو في بعدٍ عنه، وبهذه الآيةِ تمَّ الردُّ على جميع من كفر، كان من اليهود أو المشركين.

قوله: (﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾) هذا ابتداءُ نصف السورة الثاني، وهو متعلِّقٌ بتعيين غالب أحكام الدين، وأما النصفُ الأوَّلُ فهو متعلِّقٌ بأصول الدين وقَبائح اليهود[١].

و﴿ٱلْبِرَّ﴾: بالنصب والرفع، قراءتان سبعيَّتان[٢]، فمن نصبَ جعله خبراً لـ﴿لَّيْسَ﴾ مقدَّماً، و﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾: في تأويل مصدر، اسمُها مؤخَّر، ومن رفع جعله اسمَها، و﴿أَن تُوَلُّوا۟﴾: خبرها. والبر: اسمٌ جامع لكلِّ خير؛ كما أن الإثمَ اسمٌ جامع لكلِّ شرٍّ.

قوله: (نزل ردًّا على اليهود والنصارى) أي: فقد زَعم النصارى أن البرَّ في استقبال جهة طلوع الشمس، وزعمَ اليهودُ أن البرَّ في استقبال بيتِ المقدس، فالمرادُ بالمغرب ما عدا المشرق، فيشملُ جهةَ الشمال[٣]، وقِبَل بكسر القاف وفتح الباء: ظرف مكان مَعناه: جهة، وقيل: نزلت ردًّا على المسلمين، وكانوا في صدر الإسلام أُمروا بالإيمان بالله والصلاة فقط لأيِّ جهةٍ كانت، فالمعنى: ليس البرَّ كما تعتقدون أنه مقصورٌ على الإيمان والصلاة فقط، بل هو مَن جمع هذه الخصال، والأظهَرُ: الأوَّل.

قوله: (أي: ذا البر) قدَّرَ (ذا) إشارةً إلى أن مَن اتَّصفَ بهذه الخصال يُسمَّى بارًّا لا بَرًّا،

(١) كذا ذكر العلامة الأجهوري في «الكوكبين النيرين» مخطوط، ونقله صاحب «الفتوحات» (١/ ١٤٠).

(٢) قرأ حمزة وحفص: بالنصب، وقرأ باقي السبعة بالرفع. انظر «البحر المحيط» (٢/ ٤).

(٣) احتراز عن ما قيل: بيت المقدس في جهة الشمال لا المغرب! وعامة المفسرين أن المشرق والمغرب بالنسبة لِبيت المقدس.

مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ ....

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: الكُتُب، ﴿وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ﴾: مَعَ ﴿حُبِّهِۦ﴾ لَهُ ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القَرابةِ، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾: المُسافِرَ، ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾: ....

حاشية الصاوي

وبالجملة: يُقال فيه كما قيل في: زيدٌ عَدْلٌ، وقيل: إن بَرًّا اسمُ فاعل أصله: بَرِر، نُقلت كسرةُ الراء إلى الباء ثم أدغمت إحدى الراءَين في الأخرى[1].

قوله: (﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾) أي: صدَّقَ بقلبه ونطقَ بلسانه أن اللهَ يجبُ له كلُّ كمال، ويستحيلُ عليه كلُّ نقص.

قوله: (﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾) أي: مع ما يتعلَّقُ به من الحشر والنشر، والصراط والميزان، والجنة والنار وما فيهما من الثواب والعقاب.

قوله: (﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾) أي: بأنهم عبادٌ مُكْرَمون، أجسامٌ نورانيةٌ، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لا يعصون اللهَ ما أمرَهم، ويفعلون ما يُؤمرون.

قوله: (أي: الكتب) المنزَّلة من عند الله على أنبيائه.

قوله: (﴿وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾) أي: إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، فيجبُ الإيمانُ بخمسة وعشرين منهم، وهم المذكورون في القرآن.

قوله: (مع ﴿حُبِّهِۦ﴾ له) أي: للمال؛ بأن يعطيَهُ مع كونه يحبُّه لنفسه، ويحتمل أن المعنى: مع حبِّهِ لله؛ أي: يعطي المالَ مع كونه يحبُّ اللهَ، وكلٌّ صحيحٌ.

قوله: (القرابة) أي: فإعطاءُ الأقارب مقدَّمٌ؛ لأن فيه قُربتين: الصدقةَ، وصلةَ الرحم.

قوله: (﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾) أي: الفقراء منهم، وهم: مَنْ مات أبوهم قبلَ بُلوغهم.

قوله: (﴿وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾) المرادُ: ما يشملُ الفقراءَ، وهم المحتاجون.

قوله: (المسافر) أي: الغريب ولو مليئاً بِبلده.

(١) «الدر المصون» (٢/ ٢٤٥).

﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ ....﴾

الطَّالِبِينَ، ﴿وَفِي﴾ فَكِّ ﴿ٱلرِّقَابِ﴾: المُكاتَبِينَ والأسرَى، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المَفرُوضَة وما قَبله في التَّطوُّع، ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ اللهَ أو النَّاسَ، ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ـ نُصِبَ على المَدح ـ ﴿فِى ٱلْبَأْسَآءِ﴾: شِدَّةِ الفَقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المَرَضِ، ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾: وقتَ شِدَّة القِتال في سَبِيل الله، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المَوصُوفُونَ بِما ذُكِرَ ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾

حاشية الصاوي

قوله: (الطالبين) أي: مطلقاً؛ لما في الحديث: «**أعطُوا السائلَ ولو جاءَ على فرسٍ**»[١].

قوله: (المكاتبين) أي: لِيستعينوا على فكِّ رقابِهم من الرقِّ.

قوله: (والأسرى) أي: ليستعينوا على خَلاص أنفسهم من الكفرة.

قوله: (المفروضة) أي: ومن المعلوم أن لها أصنافاً مذكورةً في الفقه تُصرفُ لها.

قوله: (﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ﴾) أي: وهم إذا وعدوا أنجزوا، وإذا نَذروا أوفوا، وإذا حلفوا لم يحنثوا في أيمانهم، وإذا قالوا صدقوا في أقوالهم، وإذا ائتُمنوا لم يخونوا. و(الموفون) معطوفٌ على ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾، التقديرُ: ولكن البرَّ المؤمنون والموفُون.

قوله: (نصب على المدح) أي: بفعل محذوف تقديرُهُ: وأمدح الصابرين، وخصَّهم بالذكر؛ لأن الصبرَ يَزينُ العبادة، وتركَهُ يشينُها.

قوله: (شدة الفقر) أي: فلا يشكون لأحدٍ غيرِ الله؛ لأنه يحبُّ الملحِّينَ في الدعاء[٢].

قوله: (وقت شدة القتال) أي: فلا يفرُّ من الأعداء.

قوله: (الموصوفون بما ذُكر) أي: بجميع هذه الخصال، قال بعضهم: لا تكونُ هذه الخصالُ جميعُها إلا في الأنبياء، وقال بعضهم: لا مانعَ أن تكون في غَيرهم[٣].

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٦) مرسلاً، وأبو داوود (١٦٦٥) مرفوعاً بنحوه.

(٢) كما روى الطبراني في «الدعاء» (٢٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٧٣)، وعند البخاري (٢٩١٥) قول الصِّدِّيق: (حسبُك يا رسول الله، فقد ألححت على ربِّك).

(٣) أورد القولين الرازي في «تفسيره» (٥/ ٢٢٠).

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ....

في إيمانِهم أو ادِّعاءِ البِرِّ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ الله.

﴿١٧٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾: المُماثَلةُ ﴿فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾ وصفاً ..

حاشية الصاوي

قوله: (أو ادعاء البر) أي: فمعنى الصدق هنا: الصدقُ في الأقوال، فإذا أخبرُوا بشيءٍ فهم صادقون فيه.

قوله: (﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾) أي: الكامِلون في التقوى.

قوله: (فرض ﴿عَلَيۡكُمُ﴾) إن قلتَ: مقتضى الفرضِ أنه محتَّمٌ لا يجوزُ العدول عنه، وهو مخالف لما يأتي!

أجيبَ: بأن الفرض بالنسبة لولاة الأمور إذا شحَّ الولي وأبى إلا القتل، فالمعنى: يجب عليهم فعل القتل إن شحَّ الوليُّ ولم يَعفُ، وسببُ نزول الآية: أن رسولَ الله لما دخلَ المدينة وجد الأوسَ والخزرج يتفاخرون على بعضهم، فصاروا يَقتلون الاثنين بالواحد، والحرَّ بالعبد منهم، فنزلت هذه الآيةُ[١]، فآمنوا وأسلَموا[٢].

قوله: (﴿ٱلۡقِصَاصُ﴾) نائب فاعل ﴿كُتِبَ﴾، وقوله: (﴿فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾) أي: بسببها، فـ(في) للسببية؛ على حدِّ: «دخلتِ امرأةٌ النارَ في هرَّةٍ حبسَتْها»[٣]، والقتلى: جمع قَتيل.

قوله: (المماثلة) أي: التماثل في الوصف والفعل، هذا هو المرادُ به هنا، وإلا.. فالقصاصُ في الأصل: القودُ، وهو قتلُ القاتل.

قوله: (وصفاً) أي: يشترطُ التماثل في الوصف؛ بأن يكونَ مماثلاً له في وصفه من حرية وإسلام، وبالجملة: فالمدارُ في القصاص على كون القاتل مثلَ المقتول أو أدنى، فإن كان أعلى منه إما بالدين أو الحرية.. فلا قَوَدَ[٤].

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٢٠٧)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٧٦)، كلاهما عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى.

(٢) في (أ): (فآمنوا وسلموا).

(٣) رواه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٢).

(٤) على خلاف بين الفقهاء، وكذا الخلاف فيما سيأتي من قتل الحر بالعبد والمسلم بالكافر غير الحربي.

ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ....

وفِعلاً؛ ﴿ٱلْحُرُّ﴾ يُقتَلُ ﴿بِٱلْحُرِّ﴾ ولا يُقتَل بِالعَبدِ، ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾، وبَيَّنَت السُّنَّة أنَّ الذَّكَرَ يُقتَل بِها، وأنَّهُ تُعتَبَر المُماثَلةُ في الدِّين، فلا يُقتَل مُسلِمٌ ولَو عَبداً بِكافِرٍ ولَو حُرًّا، ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾ مِن القاتِلِينَ ﴿مِنْ﴾ دَمِ ﴿أَخِيهِ﴾ المَقتُولِ ﴿شَىْءٌ﴾، بِأن تَرَكَ القِصاص مِنهُ، وتَنكِيرُ ﴿شَىْءٌ﴾ يُفِيدُ سُقُوطَ القِصاص بِالعَفوِ عَن بَعضِه ومِن بَعض الوَرَثة، وفي ذِكر أخِيهِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفعلاً) أي: فلو قتلَ بسيفٍ فإنه يقتلُ به، وبغيره فبغيره.

قوله: (ولا يقتل بالعبد) أي: يلزمه قيمتُهُ، ويضرب مئة، ويحبس سَنةً كما بيَّنته السُّنة.

قوله: (﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ﴾) أي: إن طلب سيِّدُ المقتول القصاص، وإلا.. فلَه إما قيمة القاتل، أو المقتول، أو ذات القاتل، والخيارُ في ذلك لسيِّدِ القاتل.

قوله: (أن الذكر يقتل بالأنثى) أي: وبالعكس.

قوله: (وأنه تعتبر المماثلة) معطوف على (أن الذكر)، مسلَّطٌ عليه قولُهُ: (وبيَّنَت السنة).

قوله: (فلا يقتل مسلم... إلخ) أي: فالإسلامُ أعلى من الحرية، وعكسُهُ يقتلُ به.

قوله: (﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾) هذا تقييدٌ لما قبله، وسيأتي للمفسِّر أن (من) يصحُّ أن تكون شرطيةً، أو موصولةً، فالمعنى على الثاني: فالشخص الذي تُرِكَ له شيءٌ من دم أخيه فاتباعٌ بالدية بالمعروف، وقرن بالفاء لما في المبتدإ من معنى الشرط، وعلى الأول: فأيُّ شخص تُرِكَ له... إلخ، وقد بطلَ القتلُ، فلا مطالبةَ به.

قوله: (من القاتلين) بيانٌ لـ(من).

قوله: (﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذفِ مضاف.

قوله: (المقتول) وصفٌ للأخ.

قوله: (عن بعضه) أي: القصاصِ ولو شيئاً يسيراً كعشرة، وذلك كما إذا كان الوليُّ واحداً وعفا عن بعض القصاص.

قوله: (ومن بعض الورثة) أي: ولو كان العافي واحداً من ألفٍ مثلاً، ولمن بقيَ نصيبُهُ من الدية.

﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ ....﴾

تَعَطُّفُ داعٍ إلى العَفو، وإيذانٌ بأنَّ القَتل لا يَقطَع أُخُوَّة الإيمانِ، - و(مَن) مُبتَدأ شَرطِيَّة أو مَوصُولَة، والخَبَر -: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ أي: فعَلى العافِي اتِّباع لِلقاتِلِ ﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ بأن يُطالِبَهُ بِالدِّيَةِ بِلا عُنفٍ، وتَرتِيبُ الاتِّباع على العَفو يُفِيد أنَّ الواجِبَ أحَدُهما، وهو أحَد قَولَي الشَّافِعِيِّ، والثَّانِي: الواجِب القِصاصُ والدِّيَة بَدَلٌ عَنهُ، فلَو عَفا ولم يُسَمِّها فلا شَيءَ ورُجِّحَ، ﴿وَ﴾ على القاتِل ﴿أَدَآءٌ﴾ لِلدِّيَة ﴿إِلَيۡهِ﴾ أي: العافِي وهو الوارِثُ ﴿بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾: بِلا مَطلٍ ولا بَخس، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحُكمُ المَذكُور مِن جَواز القِصاص والعَفوِ عَنهُ على الدِّيَة

حاشية الصاوي

قوله: (تعطُّف) أي: من الله.

قوله: (لا يقطع أخوة الإيمان) أي: خلافاً للخوارجِ القائلين بقطع الإيمان بالمعاصي.

قوله: (والخبر ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾) أي: جملتُهُ من المبتدإ والخبر الذي قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (فعلى العافي اتباعٌ).

قوله: (﴿بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾) الجار والمجرور متعلِّقٌ بمحذوف صفة لـ(اتباعٌ) أي: اتباعٌ ملتبس بالمعروف.

قوله: (وترتيب الاتباع على العفو) أي: بعد ذكرِ وجوبِ القصاص.

قوله: (أن الواجب أحدهما) أي: القصاصُ أو الدية، فالديةُ واجبٌ مستقلٌّ مقابلَ القصاص.

قوله: (وهو أحد قَولي الشافعي) أي: ومالك، فأحدُ قوليهما: إن الواجبَ أحدهما، فإذا كان عفَا على الدية[1]، وامتنعَ من إعطائها.. فلَه جبرُهُ على الديةِ ولا يقتلُ.

قوله: (والثاني: الواجب القصاص... إلخ) أي: فالخيارُ للأولياء في ثلاثة: إما القصاصُ، أو العفوُ على الدية، أو مجاناً، فلو عفَوا على الدية وامتنعَ القاتل عن دفعها.. فللأولياء إما قتلُهُ، أو العفو مجاناً، وهذا هو المرتضى في المذهبَين.

قوله: (فلا شيء) أي: على هذا القول، وأما على الأول فيَلزمُهُ الدية.

قوله: (والعفو عنه على الدية) أو مجاناً كما بيَّنته السنة.

---

(١) أي: عفا على أن يأخذ الدية.

تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ....

﴿تَخْفِيفٌ﴾: تَسهيلٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عَليكُم، ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بِكُم، حَيثُ وسَّعَ في ذلك ولم يُحتِّم واحِداً مِنهُما كما حتَّمَ على اليَهُود القِصاصَ وعَلى النَّصارَى الدِّيَةَ، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾: ظَلَمَ القاتِلَ بِأن قَتَلَهُ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: العَفوِ، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ في الآخِرَة بِالنَّارِ، أو في الدُّنيا بِالقَتلِ.

﴿١٧٩﴾ ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أي: بَقاءٌ عَظِيم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذَوِي العُقُول؛ لِأنَّ القاتِلَ إذا عَلِمَ أنَّهُ يُقتَل ارتَدَعَ فأَحيا نَفسَه ومَن أرادَ قَتلَه، فشُرِعَ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القَتلَ مَخافةَ القَوَدِ.

﴿١٨٠﴾ ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابُه ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالاً، ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ - مَرفُوع بِـ﴿كُتِبَ﴾، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾) أي: فحيث ترك حقَّهُ لا حقَّ له.

قوله: (﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ﴾) هذا هو حكمةُ القِصاص.

قوله: (بقاء عظيم) أي: لِلقاتل والمقتول.

قوله: (﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾) جمع لُبٍّ، وهو العقلُ الكامل.

قوله: (فشرع) تفريعٌ على بيان الحكمة، وأخَّرَه لتعلُّقِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ به.

قوله: (مخافة القود) أي: مخافةَ أن يُقتصَّ منكم.

قوله: (أي: أسبابُهُ) أشار بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف، والمرادُ بأسبابه علاماتُهُ؛ كالأمراضِ الشديدة والجراحاتِ التي يُظنُّ منها الموتُ عادةً.

قوله: (﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾) شرطٌ في الشرطِ الذي هو (إذا).

قوله: (مالاً) سمَّاه خيراً؛ إشارةً إلى أنه ينبغي أن يكونَ حلالاً طيباً.

قوله: (مرفوعٌ بـ﴿كُتِبَ﴾) أي: على أنه نائبُ الفاعل، ولم توجَدْ في الفعل علامةُ التأنيث لوجود الفاصل سيَّما مع كونه مجازيَّ التأنيث؛ كقولهم: طلعَ في النهارِ الشمسُ.

﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ ....

ومُتَعلِّقُ ﴿إِذَا﴾ إن كانَت ظَرفِيَّة، ودالٌّ على جَوابها إن كانَت شَرطِيَّةً، وجَوابُ ﴿إِن﴾ محذوفٌ أي: فليُوصِ ـ، ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بِالعَدلِ، بِأن لا يَزِيدَ على الثُّلُث ولا يُفَضِّلَ الغَنِيَّ، ﴿حَقًّا﴾ ـ مَصدَر مُؤَكِّد لِمَضمُونِ الجُملَة قَبلَه ـ ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الله، وهذا مَنسُوخٌ بِآيَةِ المِيراث وبِحَدِيثِ «لا وَصِيَّةَ لِوارِثٍ». رَواهُ التِّرمِذِيُّ.

حاشية الصاوي

قوله: (إن كانت ظرفية) أي: محضةً لم يكن فيها معنى الشرط، بل المرادُ منها: الوقتُ والزمن[١]، إن قلتَ: الوصيةُ إما مصدرٌ أو اسمُ مصدر، والمصدرُ أو اسمُه لا يتقدَّمُ معمولُهُ عليه!

أجيبَ: بأنه يُتوسَّعُ في الظروف ما لا يُتوسَّعُ في غيرِها.

قوله: (وجوابِ ﴿إِن﴾) بالجرِّ معطوف على (جوابها) أي: ودالَّةٌ على جواب (إن)، وقوله: (أي: فليوصِ) هذا هو جوابُ (إذا) و(إنْ).

قوله: (﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾) متعلِّقٌ بالوصية، وقوله: (﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾) عطفُ عامٍّ على خاصٍّ.

قوله: (مصدر مؤكِّد لمضمون الجملة قبله) أي: حيثُ صُدِّرَ بقوله: ﴿كُتِبَ﴾ على حدِّ: زيدٌ أبوك عطوفاً، واستُشكل: بأن المصدرَ المؤوَّلَ لا يعمل مع أنه عاملٌ في قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾، فالأحسنُ أن يُجعلَ مصدراً مبيِّناً للنوع، إلا أن يُقال: يُتوسَّعُ في الظروف والمجرورات ما لا يُتوسَّعُ في غيرها؛ لأنه يكتفى فيها بأي عامل ولو ضعيفاً.

قوله: (وهذا منسوخ) أي: الحكم لا التلاوة، فحكمُها حكمُ القرآن.

قوله: (بآية الميراث) أي: قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] الآيات.

قوله: (لا وصيةَ لوارث) صدرُهُ: «إنَّ اللهَ أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ، فلا وصيةَ... إلخ»[٢].

---

(١) أي: كتب عليكم أن يوصي أحدكم وقتَ حضور الموت له، وقوله: (إن كانت شرطية) أي: ظرفية مضمنة معنى الشرط، فيكون قد اجتمع شرطان، وجواب كلٍّ محذوف دلَّ عليه لفظ الوصية، وتقدير المحذوف فيهما مضارع مقرون بلام الأمر. «الفتوحات» (١/ ١٤٤).

(٢) رواه أبو داوود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٤٣٥)، وابن ماجه (٢٧١٣).

فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ ....

﴿١٨١﴾ ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُۥ﴾ أي: الإيصاءَ مِن شاهِد ووَصِيٍّ ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾: عَلِمه، ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي: الإيصاءِ المُبَدَّل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ ـ فِيهِ إقامَةُ الظَّاهِرِ مُقامَ المُضمَر ـ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَولِ المُوصِي، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِفِعلِ الوَصِيِّ فمُجازٍ علَيه.

﴿١٨٢﴾ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ ـ مُخَفَّفاً ومُثَقَّلاً ـ ﴿جَنَفًا﴾: مَيلاً عَن الحَقِّ خَطَأً، ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بِأن تَعَمَّدَ ذَلك بِالزِّيادَةِ على الثُّلُث أو تَخصِيصِ غَنيٍّ مثلاً، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين المُوصِي والمُوصَى لَهُ بِالأمرِ بِالعَدلِ، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذَلكَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الإيصاء) أي: أو المعروف، أو الوصية.

قوله: (من شاهد ووصي) بيانٌ لـ(من).

قوله: (علمَهُ) أي: ولو لم يَسمعه من الموصي.

قوله: (أي: الإيصاء المبدلِ) أو المعروف.

قوله: (فيه إقامة الظاهر... إلخ) أي: مع مراعاة معنى (مَن)، ولو راعى لفظَها لقال: على الذي بدَّلَه، ولو أضمَر لقال: عليه.

قوله: (﴿فَمَنْ خَافَ﴾) الأحسَن أن هذا الحكمَ عامٌّ، فهو غيرُ منسوخ، ويؤخذُ هذا من تقديم المفسِّرِ قوله: (وهذا منسوخ) عليه.

قوله: (مخففاً ومثقلاً) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، والمعنى واحدٌ.

قوله: (خطأً) حمله على ذلك عطف قوله: ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ عليه، وإلا.. فالجنفُ في الأصل: الميلُ عن الحقِّ مطلقاً.

قوله: (بين الموصي والموصى له) أي: إن أُدركَ وهو حيٌّ وحصلَ إصلاحٌ فالإثمُ مرتفعٌ، وإلا.. فعليه الإثمُ ويبطلُ ما زادَ على الثلث.

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: (مُوَصٍّ) من وصَّى، وقرأ الباقون: (مُوصٍ) من أوصى. انظر «البحر المحيط» (٢/ ٢٨).

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا ....

﴿١٨٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ﴾: فُـرِضَ ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ مِن الأُمَم، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ المَعاصِيَ؛ فإنَّهُ يَكسِرُ الشَّهوَة التي هي مَبدؤُها.

﴿١٨٤﴾ ﴿أَيَّامٗا﴾ ـ نُصِبَ بِـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾ أو بِـ(يَصُومُوا) مُقَدَّراً ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) خطابٌ لِلمؤمنين من أهلِ المدينة، لكن المرادُ العمومُ.

قوله: (﴿ٱلصِّيَامُ﴾) هو لغةً: الإمساكُ، ومنه: ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا﴾ [مريم: ٢٦] أي: إمساكاً عن الكلام، ومنه أيضاً: [البسيط]

خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غَيْرُ صائِمَةٍ[١]

أي: ممسكةٌ عن الجري، وغيرُ ممسكةٍ عنه، واصطلاحاً: الإمساكُ عن شهوَتي البطنِ والفرجِ يوماً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، بِنيَّةِ التقرُّبِ إلى اللهِ تعالى.

قوله: (مِن الأمم) أي: وأنبيائِهم من آدمَ إلى نبيِّنا، لكن لا كصومنا من كلِّ وجهٍ، فالتَّشبيهُ في الفريضةِ، لا الكيفيَّةِ والثواب، وحكمةُ ذكرِ التشبيه: التأكيدُ في الأمر، والتسلِّي بمَنْ قبلَنا؛ لأنَّ في الصوم نوعَ صعوبةٍ.

قوله: (فإنه يكسر الشهوة) أي: لما في الحديث: «**يا معشرَ الشبابِ؛ مَن استطاعَ منكم الباءَةَ فليتزوَّجْ؛ فإنه أغضُّ للبصر وأحفظُ للفرج، ومَنْ لمْ يستطِعْ فعليهِ بالصومِ؛ فإنَّهُ لهُ وجاءٌ**»[٢] أي: قاطعٌ لِشهوته كما تنقطعُ بالخصاء.

قوله: (نصب بـ﴿ٱلصِّيَامُ﴾) أي: على أنه ظرفٌ له؛ أي: الصيام في أيام، وقوله: (أو يصوموا مقدراً) أي: دلَّ عليه قوله: ﴿ٱلصِّيَامُ﴾، وهو الأحسَن.

---

(١) هو للنابغة الذبياني، وتمامه؛ كما في «ديوانه» (ص٢٤٠):

تَحْتَ العَجاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجُما

(٢) رواه البخاري (١٩٠٥)، ومسلم (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ ....

﴿مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ أي: قَلائِلَ أو مُؤَقَّتات بِعَدَدٍ مَعلُوم، وهِيَ رَمَضانُ كما سَيَأتِي، وقَلَّلَهُ تَسهِيلاً على المُكَلَّفِينَ، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ حِينَ شُهُودِه ﴿مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ أي: مُسافِراً سَفَرَ القَصر وأجهَدَهُ الصَّوم في الحالَينِ، فأفطَرَ، ﴿فَعِدَّةٞ﴾: فعليه عَدَدُ ما أفطَرَ ﴿مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ يَصُومُها بَدَلَه، ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ لِكِبَرٍ أو مَرَض لا يُرجَى بُرؤُهُ، ﴿فِدۡيَةٞ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾) أي: أقلَّ من أربعين؛ إذ العادةُ في لغة العرب متى ذُكرَ لفظُ العدد يكون المرادُ به ذلك[1].

قوله: (أو مؤقَّتات) هذا هو الأولى؛ ليُعلمَ منه تَعيينُها، وقيل: معنى معدوداتٍ: معداتٍ للعطايا الربانية، فالصالحون يتهيَّؤون لها؛ لما في الحديث: «**إنَّ للهِ في أيامِ دهرِكم نفحاتٍ فتعرَّضوا لها**»[2]، وأيضاً: فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهر، وغيرُ ذلك من فضائلِهِ المشهورة.

قوله: (تسهيلاً على المكلَّفين) أي: ليُقْدِموا عليها، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥] الآية.

قوله: (﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾) أي: مُلتبساً به.

قوله: (في الحالين) أي: المرضِ والسفرِ، وهذا ظاهرٌ بالنسبة للمرض لا للسفر؛ فإن المسافر يباحُ له الفعلُ وإن لم يجهدْهُ الصومُ، لكن الصومُ أفضلُ له في هذه الحالة، ولا فرقَ في السفرِ بين كونه برًّا أو بحراً.

قوله: (﴿أُخَرَۚ﴾) بالجمع صفة لـ﴿أَيَّامٍ﴾ ممنوعٌ من الصرف للوصفية والعدل، ولم يقُلْ: (أخرى) مع صحته؛ لتوهُّم كونه صفةً لـ(عِدَّةٌ) مع أنه ليس مراداً.

قوله: (لا يُرجى برؤُهُ) أي: كمَرض القصبة والجذام.

---

(١) «الفتوحات الإلهية» (١/ ١٤٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٢٣٣).

طَعَامُ مِسْكِينٍۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

هِيَ ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍۖ﴾ أي: قَدرُ ما يَأكُلهُ في يَومِه، وهو مُدٌّ مِن غالِب قُوت البَلَد لِكُلِّ يَوم، ـ وفي قِراءة بِإضافَةِ (فِديَةُ) وهِيَ لِلبَيانِ ـ وقِيلَ: (لا) غَير مُقَدَّرَة، وكانُوا مُخَيَّرِينَ في صَدر الإسلام بَين الصَّوم والفِديَة، ثُمَّ نُسِخَ بِتَعيِينِ الصَّوم بِقَولِهِ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ﴾، قال ابن عَبَّاس: إلَّا الحامِلَ والمُرضِع إذا أفطَرَتا خَوفاً على الوَلَد؛ فإنَّها باقِيَةٌ بِلا نَسخ في حَقِّهِما. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بِالزِّيادَةِ على القَدر المَذكُور في الفِديَة ﴿فَهُوَ﴾ أي: التَّطَوُّعُ ﴿خَيْرٌ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ ـ مُبتَدأٌ خَبَره ـ: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْۖ﴾ مِن الإفطارِ والفِديَة، ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنَّهُ خَير لَكُم فافعَلُوهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (هي ﴿طَعَامُ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿فِدْيَةٌ﴾ بالتنوين، و﴿طَعَامُ﴾: خبرٌ لمبتدإٍ محذوف بيانٌ لفدية. قوله: (وفي قراءة بإضافة «فدية») أي: مع جمع (مسكين)، وأما الأولى ففيها وجهان: الإفراد والجمع(١).

قوله: (وقيل: «لا» غيرُ مقدرة) هذا مقابلُ ما حلَّ به المفسِّرُ، فعلى الأوَّل: الآيةُ محكمةٌ، وعلى الثاني: منسوخةٌ.

قوله: (بتعيين الصوم) أي: ولا يقبلُ منه فديةٌ بعد ذلك، والتاركُ له جحداً كافرٌ، أو كسلاً يؤخَّرُ لمقدار النية قبلَ الفجر، فإن لم ينوِ قُتِلَ حدًّا.

قوله: (خوفاً على الولد) أي: فإنهما يَقضيان ويفتديان، وأما على أنفسِهما فقط أو والولدِ فإن عليهما القضاءَ لا غيرُ(٢).

قوله: (بالزيادة على القدرِ المذكور) أي: بأن زاد على المُدِّ أو في عدد المساكين.

قوله: (مبتدأ) أي: مؤوَّلٌ بمصدرٍ تقديره: صيامُكُم.

قوله: (فافعلوه) قدَّرَه؛ إشارةً إلى أن جوابَ الشرط محذوفٌ.

---

(١) قرأ الجمهور: ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ﴾ بتنوين الفدية ورفع طعام وإفراد مسكين، وهشام كذلك إلا أنه قرأ: مساكين بالجمع، وقرأ نافع وابن ذكوان بإضافة الفدية والجمع، ويجوز في (طعام) الإبدال من (فدية) للبيان. انظر «البحر المحيط» (٢/ ٤٤).

(٢) قوله: (أو والولد) أي: خافتا على أنفسهما والولد.

شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ....

﴿١٨٥﴾ تِلكَ الأَيَّامُ ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ مِنَ اللَّوحِ المَحفُوظ إلى السَّماء الدُّنيا في لَيلَةِ القَدرِ مِنه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾) خبرٌ لمبتدإٍ محذوف قدَّرَه المفسِّرُ بقوله: (تلك الأيام). واعلَمْ أن أسماءَ الشهور أعلامُ أجناسٍ، ورمضانُ ممنوعٌ من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون؛ لأنه من الرمض وهو الإحراق؛ لأنه يرمضُ الذنوب؛ أي: يحرقها، وسمِّي الشهرُ شهراً لاشتهارِهِ لمنافع الناس في دينِهم ودنياهم، وسيأتي إيضاحه في قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ [البقرة: ١٨٩].

قوله: (﴿ٱلۡقُرۡءَانُ﴾) هو لغةً: من القُرْءِ، وهو الجمع، واصطلاحاً: اللفظُ المنزَّلُ على النبيِّ ﷺ المتعبَّدُ بتلاوته للإعجازِ بأقصرِ سورة منه[(١)].

قوله: (في ليلة القدْرِ منه) أي: فقد حوى رمضانُ مزيَّتين: نزول القرآن فيه، ووجود ليلة القدر به، وليلةُ القَدْرِ هي المعنيَّةُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: ٣]، والحاصلُ: أن جبريلَ تلقَّاهُ من اللوح المحفوظ ونزلَ به إلى سماءِ الدنيا فأملاه للسَّفَرَةِ، فكَتبته في الصحف على هذا الترتيب، ومقرُّها بيتُ العزَّة في سماء الدنيا، ثم نزلَ به على النبيِّ في ثلاث وعشرين سنةً مفرَّقاً على حسَبِ الوقائع، فجبريلُ أملى السفرةَ ابتداءً وتلقَّى عنها انتهاءً، **والحكمةُ في نزوله مفرَّقاً**: تثبيتُهُ في قلبه، وتجديدُ الحُجَجِ على المعانِدين، وزيادةُ إيمانٍ للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢ - ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وتلك الليلة التي نزلَ فيها القرآن ليلةُ أربعٍ وعشرين[(٢)].

واعلم: أن ليلةَ القدر تكون في رمضان، وقد تنتقلُ عنه لغيره، لكن الغالبُ كونُها في رمضان، والغالبُ كونها في العشر الأواخر منه، والغالبُ كونها في الأوتارِ، وهذا مذهبُ مالك، وذهبَ

---

(١) قوله: (للإعجاز) متعلق بقوله: (المنزَّلُ) أي: المنزَّل للإعجاز، وليس تعليلاً للتعبُّد بتلاوته. انظر «مناهل العرفان» (١/ ٤٢٩).

(٢) لما رواه أحمد في «المسند» (٦/ ١٢) من حديث بلال ﷺ مرفوعاً: «ليلة القدر ليلة أربع وعشرين».

هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ....

﴿هُدًى﴾ - حالٌ -: هادياً مِن الضَّلالَة، ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾: آياتٍ واضِحاتٍ ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾: مِمَّا يَهدِي إلى الحَقِّ مِن الأحكام، ﴿وَ﴾ مِن ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾: مِمَّا يُفرِّق بَين الحَقِّ والباطِل؛ ﴿فَمَن شَهِدَ﴾: حَضَرَ ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

الشافعي إلى أنها لا تنتقلُ عن رمضان، بل هي ملازمةٌ له، والغالبُ كونها في العشر الأواخر منه، والغالبُ كونها في الأوتار خصوصاً إذا صادفَ الوترُ ليلةَ جمعة.

قوله: (هادياً) ويصحُّ أن يبقى على مصدريَّته والوصفُ به مبالغة، ويصحُّ أن يكونَ على حذف مضاف؛ أي: ذو هدًى؛ على حدِّ: زيدٌ عدْلٌ.

قوله: (من الضلالة) أي: الكفر.

قوله: (﴿وَبَيِّنَٰتٍ﴾) معطوفٌ على ﴿هُدًى﴾ من عطف الخاصِّ على العامِّ؛ لأن الهدى بعضُهُ ظاهرٌ واضح كآية الكرسي والإخلاص وغيرِ ذلك، وبعضُهُ غيرُ واضح، قال تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إلى أن قال: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فالإيمانُ بكلِّ آيةِ هدًى واضحةً أو لا.

قوله: (ممَّا يفرِّقُ بين الحقِّ والباطل) أي: فيه آياتٌ بيِّناتٌ مصحوبة بالأدلَّة القطعية التي تقمعُ الخصم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، وقوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ...﴾ [النمل: ٦٢] الآيات، وعطفُ (الفرقان) على (الهدى) من عطف الخاصِّ على العام، فكلٌّ أخصُّ ممَّا قبله؛ فالهدى صادقٌ بالواضح وغيره، كان معه دليلٌ أم لا، والبيناتُ من الهدى صادقةٌ بوجود الحجج معها أو لا، والفرقانُ هو الآياتُ البينات التي معها حُجج.

قوله: (﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾) إن كان المرادُ به الأيامَ.. فالمعنى: شهدَ بعضَهُ، وإن كان المرادُ به الهلالَ.. فالمعنى: علمَهُ؛ إما بأن يكونَ رآه أو ثبتَ عنده، وقوله: (﴿فَلْيَصُمْهُ﴾) أي: الشهرَ بمعنى: الأيام، وعلى كلٍّ ففيه استخدام على كلِّ حال؛ لأنه ذكرَ الاسمَ الظاهر بمعنى وأعادَ عليه الضميرَ بمعنًى آخرَ[1]، والخطابُ لِلمكلَّف القادرِ الغيرِ المعذور.

---

(١) والاستخدام: ذكر لفظٍ له معنيان، فيراد به أحدهما، ثم يراد بالضمير الراجع عليه معناه الآخر. «التعريفات» (ص٢٥).

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ....

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تَقَدَّمَ مِثلُه، وكُرِّرَ لِئَلَّا يُتَوَهَّم نَسخه بِتَعمِيمِ مَن شَهِدَ، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ولِذا أباحَ لَكُم الفِطرَ في المَرَض والسَّفَر؛ ـ ولِكَونِ ذلك في مَعنَى العِلَّة أيضاً لِلأمرِ بِالصَّومِ عُطِفَ عليه: ـ ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: عِدَّةَ صَوم رَمَضانَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَرِيضًا﴾) أي: مرضاً شديداً شَقَّ معه الصومُ.

قوله: (﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾) أي: سفرِ قصرٍ وتلبَّسَ به قبل الفجر، والمعنى: فأفطَروا فعليهم عدَّةٌ.

قوله: (بتعميم من شهد) أي: فإن لفظَ (مَنْ) يعمُّ المسافرَ وغيره والمريضَ وغيره.

قوله: (﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾) عطفُ لازمٍ على ملزوم.

قوله: (في المرض والسفر) أي: وما والاهما من الأعذار المبيحة لِلفطر التي نصَّ عليها الفقهاء.

قوله: (في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم) أي: فهو[1] علَّةٌ لأمرين: الأول: جواز الفطر للمريض والمسافر، الثاني: التوسعةُ في القضاء، فلم يَجِبْ زمنٌ معيَّن ولا تتابعٌ ولا مُبادرة.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (أي: عدة صوم رمضان) يحتمل أنَّ المعنى من جهة قضائه؛ أي: أردتُ بكم اليسرَ لتكملوا قضاءَهُ إذا فاتكم لعذرٍ، فإذا فاتكم شهرُ رمضانَ مثلاً فاقضوا شهراً، إن كاملاً فكاملاً، وإن ناقصاً فناقصاً، ويحتمل أن المعنى من جهة صوم رَمضان الحاضر؛ أي: أردتُ بكم اليسرَ لتكملوا عدَّةَ رمضانَ ولا تنقصوها إلا لعذر كمَرض وسفر فلا بأسَ بالفطر لذلك، وهذا مرتَّبٌ أيضاً على قوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾، فالمعنى أبحتُ لكم الفطرَ في السفر والمرض لإرادةِ اليسرِ بكم، وكلفتُكم بالصوم مع اليسر، وأبحتُ لكم الفطرَ في المرضِ والسفر لتكمُلَ منكم العدَّةُ، إما في رمضان أو في أيامٍ أُخَر.

---

(١) أي: قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

(٢) قرأ الجمهور بالتخفيف، وأبو بكر وأبو عمرو بالتشديد. انظر «البحر المحيط» (٢/ ٤٩).

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ ....

﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عِند إكمالِها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾: أرشَدكُم لِمَعالِم دِينِه، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ اللهَ على ذَلك.

﴿١٨٦﴾ وسَألَ جَماعةٌ النَّبيَّ ﷺ: (أقَرِيبٌ رَبُّنا فنُناجِيه، أم بَعِيدٌ فنُنادِيه؟) فنَزَلَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ مِنهم بِعِلمي فأَخبِرْهم بِذلك، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: يوم العيد، وهو يومُ إكمالِ العدَّةِ، وبيَّنت السنةُ كيفيةَ التكبير.

قوله: (على ذلك) أي: على التكليفِ مع اليسر.

قوله: (وسأل جماعة) هذا إشارة من المفسِّرِ لسببِ نزول الآية[١].

قوله: (فنناجيه) أي: نسارِرُهُ؛ أي: ندعوه سرًّا ولا نجهرُ بالدعاء.

قوله: (فنناديه) أي: ندعوه جهراً، والفعلان يصحُّ فيهما النصبُ بـ(أنْ) مضمرة بعد فاء السببية؛ لوقوعِهما في جواب الاستفهام، والرفعُ على الاستئناف؛ أي: فنحن نُناجيه ونحن نناديه، والأظهرُ: الثاني؛ لقول بعض شرَّاحِ الحديث: إنه الرواية[٢].

واعلم: أنَّ هذا السؤالَ الواقع عن الصحابة لا يقتضي جهلَهم بالتوحيد[٣]؛ لأنَّ اللهَ منزَّهٌ عن القرْبِ والبعد الحسِّيين؛ لأنهما من صفات الحوادث واللهُ منزَّهٌ عنها، فمن ذلك حارَتْ عقولُهُم في ذلك، فمقتضى إحاطته بجميعِ خَلقه وتصرُّفِه فيهم كيف يشاءُ يوصف بالقرب، ومقتضى تنزُّهِه عن صفات الحوادث جميعِها يوصفُ بالبعد؛ لأنَّ صفاتِهِ توقيفيَّةٌ، فالمسؤولُ عنه القربُ أو البعدُ المعنويان لا الحسِّيَّان، وإلَّا.. لذمَّهُم اللهُ على ذلك ولم يُضفْهُم له.

قوله: (فأخبرْهُم بذلك) أي: بأني قريبٌ، وقدَّرَ ذلك المفسِّر لعدم صحَّةِ ترتُّبِ قوله: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ على الشرط الذي هو (إذا)، فإن جوابَها لا بدَّ وأن يكون مستقبلاً، وكونُ اللهِ قريباً وصفٌ ذاتِّي له لا ينفكُّ عنه أزلاً ولا أبداً، وإنما المستقبلُ الإخبارُ بذلك.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٨٠).

(٢) كذا في «الفتوحات الإلهية» (١/ ١٤٨).

(٣) وقد روى البيهقي في «الشعب» (٦٧٠) عن كعب قال: (قال موسى عليه السلام: يا ربِّ؛ أقريبٌ أنت فأناجيك أم بعيدٌ فأناديك؟ فقال له: يا موسى؛ أنا جليس من ذكرني)، وقد تقدم.

أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي ....

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ بِإِنالَتِه ما سَأَلَ، ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾ دُعائِي بِالطّاعَةِ،

حاشية الصاوي

وقوله: (بعلمي) أي: وسمعي وبصري وقدرتي وإرادتي، ولم يقُلْ: (بذاته) وإن كانت الصفاتُ لا تفارقُ الذاتَ لأنه ربما يتوهَّمُ للقاصرِ الحلولُ، فيقعُ في الحيرة، وأمَّا مَنْ فنيَ عن وجوده فلم يشهَدْ إلا اللهَ فقد زالَ عنه الحجابُ، فلا حيرةَ عنده؛ إذْ لم يَشهدْ غيرَه، وإنما خصَّ المفسِّرُ العلمَ بذلك؛ لأنه من صفاتِ الإحاطة، ومن غلبةِ رحمتِهِ تعالى أنْ وصفَ نفسَهُ بالقرب، وإلا.. فمُقتضى التوحيد وصفُهُ بالبعد أيضاً باعتبار المتقدِّم؛ فلو قال: (فإني بعيد) لحصلَ اليأسُ من رَحمته.

قوله: (﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾) الياءان من قوله: ﴿ٱلدَّاعِ﴾ و﴿دَعَانِۖ﴾ من الزوائدِ عند القرَّاء[1]، ومعناه: أن الصحابةَ لم تُثبِتْ لها صورةً في المصحف؛ ولذلك اختلفت فيها القرَّاءُ، فمنهم مَنْ أسقطَها وصلاً ووقفاً تبعاً للرسم، ومنهم مَن يثبتُها في الحالين، ومنهم مَن يثبتُها وصلاً ويحذفها وقفاً[2].

قوله: (بإنالته ما سأل) أي: ما لم يسألْ بإثمٍ أو قطيعةِ رحم، وهذه الإجابةُ وعدٌ من الله وهو لا يتخلَّفُ، لكن على مرادِهِ تعالى لا على مرادِ الداعي، فالدعاءُ نافعٌ ولا يخيبُ فاعلُهُ، و(ما) يحتملُ أن تكون موصولةً، وسألَ: صلتُها والعائدُ محذوف، أو نكرةً موصوفةً، وسألَ: صفتُها، أو مصدريةً؛ أي: بإنالته سؤاله.

قوله: (﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي﴾) يحتملُ أن السين والتاء زائدتان، والمعنى: فليُجيبوني بالامتثال والطاعة كما أجبتُ دعاءَهم، هل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ؟ وهذا ما مشى عليه المفسِّرُ، ويحتملُ أنهما للطلب، والمعنى: فليطلبوا منِّي الإجابةَ عقبَ دعائهم، وفي الحديث: «**ادعوا اللهَ وأنتم مُوقنون بالإجابة**»[3]، فشرطُ الإجابة تيقُّنُها، وقد أشارَ لذلك السيدُ البكريُّ بقوله: (فلا تردَّنا، واستجِبْ لنا كما وَعدتنا)[4].

---

(١) في (أ): إثبات الياءات في الموضعين كتابةً، والمثبت هنا من (ط١).

(٢) «الدر المصون» (٢/ ٢٩٠)، قرأ ورش وأبو عمرو بإثبات الياء فيهما وصلاً لا وقفاً، واختلف عن قالون فيهما، والباقون بحذفها وصلاً ووقفاً. انظر «السراج المنير» (١/ ١٢٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٤) قطعة من وِرده المشهور بورد السَّحَر، توفي العارف بالله السيد مصطفى البكري سنة (١١٦٢هـ). انظر «سلك الدرر» (٤/ ١٩١).

وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ....

﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟﴾: يُداوِمُوا على الإيمانِ ﴿بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: يَهتَدُونَ.

﴿١٨٧﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ بِمَعنَى الإفضاءِ ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ بِالجِماعِ، نَزَلَ نَسخاً لِما كانَ في صَدرِ الإسلام مِن تَحرِيمه وتَحرِيمِ الأكل والشُّرب بعد العِشاء، ....

حاشية الصاوي

قوله: (يُديموا) فعله من: أدامَ رباعيًّا، وفي نسخةٍ: (يدوموا)، وفعلُهُ دامَ ثلاثيًّا، وهما لغتان فصيحتان.

قوله: (على الإيمان ﴿بي﴾) أي: فلا يرتدُّوا.

قوله: (﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾) هكذا قرأ الجمهور بفتح الياء وضمِّ الشين من باب: (قَتَل)، وقُرِئَ بكسر الشين وفتحها والياءُ مفتوحة على كلٍّ من بابي: (ضَرَبَ، وعَلِمَ)، وقُرِئَ بضمِّ الياء مبنيًّا للفاعل والمفعولُ محذوف؛ أي: غيرَهم؛ أي: يدلُّوهم على طريقةِ الرشاد؛ ولذا قيلَ: حالُ رجلٍ في ألفِ رجل أنفعُ من وعظِ ألفِ رجلٍ في رجل، أو مبنيًّا للمفعول، فقراءاتُ غيرِ الجمهور أربعةٌ[1].

قوله: (﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾) ﴿لَيْلَةَ﴾: ظرفٌ لـ﴿أُحِلَّ﴾، والمعنى: أُحلَّ لكم في ليلة الصيام، وفي الناصب له ثلاثةُ أقوال: قيل: أُحلَّ وهو المشهور عند المعربين وليس بشيء؛ لأن الإحلالَ ثابتٌ قبل ذلك الوقت، وقيل: مقدَّرٌ مدلولٌ عليه بلفظ الرفث، تقديرُهُ: أُحلَّ لكم أن ترفثوا ليلةَ الصيام، وقيل: متعلِّقٌ بالرفث؛ لأنه يُتوسَّع في الظروف ما لا يُتوسَّع في غيرها.

قوله: (﴿ٱلرَّفَثُ﴾) ضمَّنَهُ معنى الإفضاء فعدَّاه بـ﴿إِلَىٰ﴾، وإلَّا.. فهو يتعدَّى بالباء أو بـ(في). وهو في الأصل: الكلامُ الذي يُستقبحُ ذكرُهُ، الواقعُ عند الجماع، فأُطلقَ وأُريدَ منه الجماعُ على سَبيل الكناية؛ لاستقباحِ ذِكره.

قوله: (بمعنى الإفضاء) هو في الأصل: ألَّا يكونَ بينك وبين الشيء حائلٌ، وليس مراداً هنا، بل المرادُ به هنا إفضاءٌ خاصٌّ بالجماع؛ ولِذا قال المفسِّرُ: (بمعنى الإفضاء إلى نسائكم بالجماع).

قوله: (﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾) المرادُ: حلائلُكم مِن زوجةٍ وأمةٍ.

قوله: (من تحريمه) أي: الجماع.

قوله: (بعد العشاء) أي: دخولِ وقتها، أو بعد النوم ولو كان قبلَها.

---

(١) «الدر المصون» (٢/ ٢٩٢)، والحاصل: الجمهور: يَرشُدون، وغيرهم: يَرشِدون ويَرشَدون ويُرشِدون ويُرشَدون.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْـَٔنَ ....﴾

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ كِنايَة عَن تَعانُقِهما أو احتِياج كُلٍّ مِنهُما إلى صاحِبِه، ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾: تَخُونُونَ ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بِالجِماعِ لَيلَةَ الصِّيام، وَقَعَ ذلك لِعُمَرَ وغَيرِه واعتَذَرُوا إلى النَّبِيِّ ﷺ، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قَبِلَ تَوبَتَكُم، ﴿وَعَفَا عَنكُمْ فَالْـَٔنَ﴾ إذ أُحِلَّ لَكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (**كناية عن تعانقهما**) أي: فالتشبيهُ من حيث الاعتناقُ، فكما أن اللباسَ يسلكُ في العنقِ كذلك المرأةُ تسلكُ في عنقِ الرجلِ، والرجلُ يسلكُ في عُنقها، ويصحُّ أن التشبيهَ من حيث السترُ، فالمرأةُ تسترُ الرجلَ، والرجلُ يسترُها، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، وإليه الإشارةُ بقول المفسِّرِ: (أو احتياجِ كلٍّ منهما لصاحبه)، والحكمةُ في تقديم قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾: أنَّ طلبَ المواقعة غالباً تكون ابتداءً من الرجل، فحاجةُ الرجل إليها أكثرُ؛ لما في الحديث: «**لا خيرَ في النساء، ولا صبرَ عنهنَّ، يغلبنَ كريماً، ويغلبُهُنَّ لئيمٌ، فأحبُّ أن أكونَ كريماً مغلوباً، ولا أحبُّ أن أكونَ لئيماً غالباً**»[١].

قوله: (﴿تَخْتَانُونَ﴾) هو أبلغُ من (تَخونون)؛ لزيادةِ بنائه.

قوله: (**وقع ذلك لعمر**) وحاصلُهُ: أنه بعد أن صلَّى العشاءَ وجدَ بأهلِهِ رائحةً طيبةً، فواقعَ أهلَهُ حينئذٍ، ثم لمَّا أصبحَ جاءَ رسولَ الله وأخبره الخبر، فقال: يا رسولَ الله؛ إني أعتذرُ إلى الله وإليك ممَّا وقعَ مني، فقام جماعةٌ فقالوا مثلَ ما قال عمر، فنَزلت الآيةُ نسخاً للتحريم الواقعِ بالسنة[٢].

قوله: (﴿فَالْـَٔنَ﴾) إن قلتَ: إنه ظرفٌ للزمان الحاضر، وقوله: ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾ مستقبلٌ، فحينئذٍ لا يحسنُ ذلك! أشارَ المفسِّرُ لدفع ذلك حيث حوَّل العبارةَ بقوله: (إذ أحلَّ لكم)، فمتعلَّقُ الظرفِ الحلُّ لا المباشرة، فالمعنى: حصلَ لكم التحليلُ الآن، فحينئذٍ باشِروهن فيما يُستقبل.

---

(١) روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣١٢): «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم»، وإلى قوله: «لأهلي» رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧).

(٢) رواه بنحوه ضمن خبر طويل أبو داوود (٥٠٦).

﴿بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ ....

﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾: جامِعُوهُنَّ، ﴿وَٱبۡتَغُواْ﴾: اطلُبُوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ﴾ أي: أَباحَهُ مِن الجِماع أو قَدَّرَهُ مِن الوَلَد، ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ اللَّيلَ كُلَّه ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾: يَظهَرَ ﴿لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (جامعوهن) أي: فالمرادُ مباشرةٌ خاصَّة، فأطلقَ الملزوم وهو المباشرةُ، وأرادَ لازمَهُ وهو الجماع.

قوله: (أي: أباحه من الجماع) أي: في النساء الحلائل، وأشارَ بذلك إلى أنه ينبغي أن يقصدَ بجماعه العِفةَ بالحلال عن الحرام له ولها، أو رجاءَ النسل لتكثير الأمة؛ ففي الحديث: «**تناكحوا تناسَلوا، فإنِّي مُباهٍ بكم الأممَ يومَ القيامةِ**»[١].

قوله: (﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾) نزلت في صِرْمَةَ بنِ قيسٍ وكان عاملاً في أرض له وهو صائم، فحين جاءَ المساءُ رجعَ لأهله فلم يجِدْ طعاماً، فغلبته عيناه من التعب، فلمَّا حضرَ الطعام استيقظَ، فكرهَ أن يأكلَ خوفاً من الله، فبات طاوياً، فما انتصف النهارُ حتى غُشِيَ عليه، فلمَّا أفاق أخبرَ النبيَّ بذلك، فنزَلت الآية[٢].

قوله: (﴿مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾) قيل: قبل نزولِ قوله: ﴿مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾ وضع عديُّ بن حاتِمٍ عقالاً أبيضَ وعقالاً أسودَ وجعلَ يأكل ويشرب حتى تبيَّنَ كلٌّ منهما، فلمَّا أصبحَ أخبرَ النبيَّ بذلك، فقال له: «**إنَّما ذلكَ سوادُ الليل وبياضُ النهار**»[٣].

---

(١) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٦/ ١٧٣)، وقال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص٢٦٩): (جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج أبو داوود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعاً: «تزوجوا الولودَ الودودَ، فإني مكاثرٌ بكم الأمم».

(٢) رواه البخاري (١٩١٥)، وأبو داوود (٢٣١٤)، ولكن وقع اسم الصحابي عند البخاري (١٩١٥): قيس بن صرمة، ورجَّح الحافظ في «فتح الباري» (٤/ ١٣٠) أن اسمه صرمة بن أبي أنس قيس بن مالك، وقال: (فمن قال: قيس بن صرمة قلبَهُ كما جزم الداوودي والسهيلي وغيرهما).

(٣) رواه البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠) من حديثه رضي الله عنه.

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ﴾ ....

أي: الصَّادِق، بَيانٌ لِلخَيطِ الأبيَضِ، وبَيانُ الأَسوَد مَحذُوف أي: مِن اللَّيلِ، شَبَّه ما يَبدُو مِن البَياض وما يَمتَدُّ مَعَهُ مِن الغَبَش بِخَيطَينِ أَبيَضَ وأَسوَدَ في الامتِداد، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ﴾ مِن الفَجرِ ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: إلى دُخُوله بِغُرُوبِ الشَّمس، ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: نِساءَكُم ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾: مُقِيمُونَ بِنِيَّةِ الاعتكافِ ﴿فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ مُتعلِّق بـ﴿عَٰكِفُونَ﴾، نَهي لِمَن كانَ يَخرُج وهو مُعتَكِفٌ، فيُجامِع امرَأَته ويَعُودُ، ﴿تِلْكَ﴾ الأحكامُ المَذكُورَة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حَدَّها لِعِبادِه لِيَقِفُوا عِندَها، ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الصادق) احترزَ بذلك من الكاذب، وهو ما يظهرَ قبل الصادق كذنبِ السرحان، ثم تعقبُهُ ظلمةٌ، ثم يطلعُ الصادقُ وهو الضياءُ المنتشر.

قوله: (وبيان الأسود محذوف) أي: فلو بيَّنَهُ لقالَ: من الفجر والليل؛ ليكون لفًّا ونشراً مرتَّباً، ولم يذكره لِعدم تعلُّقِ حكمٍ به، فإن الصومَ متعلِّقٌ بظهور الأبيض.

قوله: (من الغبش) أي: ظلمةِ الليل.

قوله: (أبيض وأسود) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، والتشبيهُ هنا إنما هو في الصورة والهيئة، وليس هنا خيطٌ أبيضُ ولا أسودُ كما توهَّمَه بعضُ الصحابة.

قوله: (في الامتداد) هذا هو وجهُ الشَّبه.

قوله: (بغروب الشمس) أشارَ بذلك إلى أن الغايةَ غيرُ داخلة في المغيَّا، وإنما صيامُ جزءٍ من الليل من باب: ما لا يتمُّ الواجبُ إلا به فهو واجب.

قوله: (﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾) أي: مطلقاً، ليلاً كان أو نهاراً، وليس كالصيام.

قوله: (نهيٌ) خبرٌ لمبتدإٍ محذوف، تقديرُهُ: هذه الآيةُ نهيٌ.

قوله: (الأحكامُ المذكورة) أي: من أوَّلِ آية الصيام إلى هنا، واستُشكل ذلك: بأن الحدَّ هو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ...﴾ الآية، وأجيب: بأن اللهَ أمرنا بالصوم بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، والأمرُ بالشيء نهيٌ عن ضدِّه.

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ ....

أبلَغُ مِن (لا تَعتَدُوها) المُعبَّر بِه في آيةٍ أُخرَى، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّنَ لَكُم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ مَحارِمَه.

﴿١٨٨﴾ ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم﴾ أي: لا يَأكُلْ بَعضُكُم مالَ بَعض ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: الحَرام شَرعاً كالسَّرِقَةِ والغَصبِ، ﴿وَ﴾ لا ﴿تُدۡلُواْ﴾: تُلقُوا ﴿بِهَآ﴾ أي: بِحُكُومَتِها أو بِالأموالِ رِشوَةً ﴿إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ﴾ بِالتَّحاكُمِ ﴿فَرِيقٗا﴾: طائِفَةً ﴿مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ مُلْتَبِسِين ﴿بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنَّكُم مُبطِلُونَ.

﴿١٨٩﴾ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ﴾ جمع (هِلالٍ): لِمَ تَبدُو دَقِيقَة ثُمَّ تَزِيد .....

حاشية الصاوي

قوله: (أبلغ من لا تعتدوها) أي: لأن النهيَ عن المقاربة نهيٌ عن المجاوَزة وزيادة[1].

قوله: (أي: لا يأكل بعضُكم مالَ بعض) أي: لأنَّ اللهَ قدَّرَ لكلٍّ رزقَهُ، فلا يتَّسعُ بالباطل ولا يضيقُ بالحقِّ.

قوله: (كالسرقة والغصب) أي: والمكس والنهب من كلِّ ما لم يأذَنْ فيه الشرع.

قوله: (تلقوا) أي: تسرعوا وتُبادروا.

قوله: (﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾) جملةٌ حالية من فاعل ﴿تَأۡكُلُواْ﴾.

قوله: (أنكم مبطلون) بفتح الهمزة، أشار إلى أنه مفعولُ ﴿تَعۡلَمُونَ﴾.

قوله: (﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾) أي: أصحابُك.

قوله: (لِمَ تبدو دقيقةً) هذا هو صورةُ السؤال.

قوله: (ثم تزيد) أي: شيئاً فشيئاً.

---

(١) والقاعدة: أن الأحكام إذا كانت نواهيَ يقال فيها: لا تقربوها؛ على حدِّ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ﴾ وهكذا، وإن كانت أوامرَ يقال فيها: لا تعتدوها؛ أي: لا تتجاوزوها بألا تَفعلوها. «الفتوحات» (١/ ١٥١) نقلاً عن «الكوكبين النيرين».

قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ....

حَتَّى تَمتَلِئَ نُوراً، ثُمَّ تَعُودُ كما بَدَتْ، ولا تَكُون على حالَة واحِدَة كالشَّمسِ؟ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾: جَمع (مِيقاتٍ) ﴿لِلنَّاسِ﴾ يَعلَمُونَ بِها أوقاتَ زَرعِهم ومَتاجِرِهِم، وعِدَدِ نِسائِهِم وصِيامِهِم وإفطارِهِم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (حتى تمتلئ نوراً) أي: وذلك ليلةَ أربعةَ عشرَ.

قوله: (ثم تعود كما بدأت) أي: فالهلال إمَّا آخذٌ في الزيادة وذلك في النصف الأول من الشهر، وإمَّا آخذٌ في النقص وذلك في النصف الأخير منه.

قوله: (﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾) قيل: إن الجوابَ غيرُ مطابق للسؤال؛ لأنَّ سؤالَهم عن حكمة كونه يَبدو دقيقاً ثم إذا تمَّ عادَ كما كان، والجوابُ إنما هو عن حكمةِ الهلال الظاهرية وهي كونُهُ مواقيتَ للناس والحجِّ، وأما جوابُ سؤالهم فليسوا مكلَّفين به، ولا حاجةَ لهم بذلك؛ لأنه من المغيَّبات، وقيل: إن الجوابَ مطابقٌ للسؤال، فقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ أي: عن حِكمتها الظاهرة، وهذا هو الأنسبُ بمقامهم؛ لأن الأوَّلَ من بابِ: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، والضميرُ يعودُ على (الأهلَّة)، وتقدَّمَ أنه جمعُ هلال، سُمِّيَ بذلك لاستهلال الناس عند رؤيته بمعنى: رفعِ أصواتهم[1]، ويُسمَّى بالهلال ليلتينِ أو ثلاثاً، وبعد ذلك يُسمَّى قمراً[2].

قوله: (جمع ميقات) أصلُهُ: مِوْقات، وقعت الواوُ ساكنةً إثرَ كسرة قُلبت ياءً.

قوله: (أوقات زرعهم) أي: فكلُّ زرع له وقتٌ يطلع فيه، فزَرع هذا الشهر مثلاً لا يطلعُ في غيره وهكذا.

قوله: (وعِدَد نسائِهم) أي: من كونها أربعةَ أشهر وعشراً أو ثلاثةَ أشهرٍ مثلاً.

قوله: (وصيامهم) أي: في رمضان مثلاً.

قوله: (وإفطارهم) أي: في شوال.

---

(١) تقدم (١/ ٢٩١).

(٢) كل ما جاء من السؤال في القرآن أجيب عنه بـ(قل) بلا فاء، إلا في قوله في (طه): ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ﴾ فبالفاء؛ لأن الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال، وفي (طه) كان قبله، إذ تقديره: إن سُئلت عن الجبال فقُل. «الفتوحات» (١/ ١٥٢).

وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ....

﴿وَٱلْحَجِّۗ﴾ - عَطفٌ على (النَّاس) - أي: يُعلَمُ بِها وَقتُه، فلَو استَمرَّت على حالَة لم يُعرَفْ ذلكَ، ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام، بِأن تَنقُبُوا فِيها نَقباً تَدخُلُونَ مِنه وتَخرُجُونَ وتَترُكُوا البابَ، وكانُوا يَفعَلُونَ ذلك ويَزعُمُونَهُ بِرًّا، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ذا البِرِّ ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ الله بِتَركِ مُخالَفَتِه، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾ في الإحرامِ كغَيرِه، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (**عطف على الناس**) أي: مسلَّطٌ عليه ﴿مَوَٰقِيتُ﴾ واللامُ، وفي الحقيقة هو معطوفٌ على المضاف المحذوف؛ أي: لمصالح الناس والحجِّ.

قوله: (**يُعلم بها وقتُهُ**) أي: وهو شوال وذو القعدة وعَشْرُ ذي الحجة؛ فلو تقدَّمَ أو تأخَّرَ لم يصحَّ، وهذا هو حكمةُ تخصيصه من دون العبادات وإن كان من مَصالح الناس.

قوله: (﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾) الحكمةُ في ذكر هذه الآية بعد ما تقدَّمَ: أنهم سألوا عن ذلك أيضاً، وصورةُ سؤالهم: هل من البرِّ إتيانُ البيوت من ظهورها؟ فأجابهم اللهُ بأنه ليس من البرِّ، ويتعيَّنُ رفعُ البرِّ هنا؛ لأنَّ ما بعد الباء يتعيَّنُ جعلَهُ خبراً لـ(ليس)؛ فإن الباءَ إنما تدخُلُ على الخبر لا على الاسم.

قوله: (**بأن تنقُبوا فيها نقباً**) أي: من خوف الاستظلال بالسقف، وهذا في الحاضر[1]، وأما البادي فكان يشقُّ الخيمةَ، وذلك في الإحرام، زاعمين أن عدمَ تغطية الرأس بشيء أصلاً غير السماء برٌّ.

قوله: (**بترك مخالفته**) أي: مطلقاً، وامتثالِ المأمورات على حسَب الطاقة.

قوله: (﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾) حاصلُ ذلك: أن الله أخبرنا بجملتين وأمرنا بجملتَين مرتباً لهما على الأُولَيَيْن، فقوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ جملةٌ خبرية رُتِّبَ عليها قوله: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ جملةٌ خبرية أيضاً رُتِّبَ عليها قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

---

(١) عبارة العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ١٥٢): (فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر بيته يدخل منه، أو يتخذ سلماً...).

وَقَٰتِلُوا۟ فِى ....

تَفُوزُونَ.

﴿١٩٠﴾ ولَمَّا صُدَّ ﷺ عَن البَيت عامَ الحُدَيبِيَة، وصالَحَ الكُفَّار على أن يَعُودَ العامَ القابِلَ، ويُخْلُوا لَهُ مَكَّة ثَلاثَة أيَّامٍ، وتَجَهَّزَ لِعُمرَةِ القَضاءِ، وخافُوا أن لا تَفِيَ قُرَيشٌ ويُقاتِلُوهُم، وكَرِهَ المُسلِمُونَ قِتالَهم في الحَرَم والإحرامِ والشَّهرِ الحَرام، نَزَلَ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى

حاشية الصاوي

قوله: (تفوزون) أي: تَسعدون وتظفرون برضائه.

قوله: (ولما صُدَّ... إلخ) أي: صدَّهُ المشركون ومنعوه وصَرفوه، والمراد بالبيت: الكعبةُ، وحاصله: أن النبيَّ ﷺ سنةَ ستٍّ من الهجرة توجَّه مع ألف وأربعِ مئةٍ لفعل عُمرة؛ لأن الحجَّ إذ ذاك لم يكن فُرِضَ، فوصلوا الحديبيةَ بمكان قريب من مكة يُسمَّى وادي فاطمة، فخرجت عليهم سُفهاءُ مكةَ يقاتلونهم بالأحجار والسهام، فأرسل رسولُ الله عثمانَ يستأذنُ أهلَ مكة في أن يدخلَ هو وأصحابه ويطوفُوا ويكملوا عمرتَهم، فأشاعَ الكفارُ وإبليسُ أن عثمان قد مات، فبايَع النبيُّ أصحابَهُ تحت الشجرة على قتالهم، فحصلَ صلحٌ بينه وبينهم عشرَ سنين، وتبيَّنَ أن عثمان حيٌّ لم يمت، وأتى إليهم وقال: إن الكفارَ أوعَدونا إلى العام القابل، فتحلَّلَ المسلمون مكانَهم في الحديبية، ونحروا هديَهم وحَلقوا وانصرفوا راجعين، ثم في العام القابل - وهو سنةُ سبعٍ - تجهَّزَ رسولُ الله ﷺ لعمرة القضاء، وسُمِّيت قضاءً لأنها وقعَ فيها المقاضاةُ والصلحُ، لا أنه لَزمهم قضاءٌ للعمرة السابقة؛ لأنَّ من صُدَّ لا يلزمه قضاء، فخافت المسلمون أن قريشاً لا تَفي بالوعد ويحصلُ قتالٌ في الشهر الحرام والحرَم والإحرام، فنزلت الآية[1].

قوله: (وصالحَ الكفار) يصحُّ أن الكفار فاعل بـ(صالح)، والمفعولُ محذوفٌ تقديرُهُ: صالحه، ويصحُّ أن الفاعل مستترٌ تقديرُهُ: هو يعود على النبي، والكفار مفعول.

قوله: (على أن يعود العام القابل) تقدم أنه عامُ سبع.

قوله: (وخافوا ألا تفيَ قريش... إلخ) أي: فيَحصل المحذور الذي هو القتال في الحرم والإحرام والشهر الحرام.

قوله: (نزل) هذا جوابُ (لَمَّا) أي: سبب النزول.

قوله: (﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى ....

(١) كذا عند الثعلبي في «تفسيره» (٢/ ٨١)، وعند الواحدي في «أسباب النزول» (ص٥٧).

سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ ....

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لِإعلاءِ دِينِه ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ مِن الكُفَّار، ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ عليهم بالابتداءِ بالقِتالِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾: المُتَجاوِزِينَ ما حُدَّ لَهُم، وهذا مَنسُوخٌ بِآيةِ (بَراءة) أو بِقَولِه:

﴿١٩١﴾ ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾: وجَدتُمُوهُم، ﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾ أي: مِن مَكَّةَ، وقد فُعِلَ بِهِم ذلك عامَ الفَتحِ، ....

حاشية الصاوي

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) السبيلُ في الأصل: الطريقُ، فاستُعير لدين الله وشرائعه بجامع التوصُّل لِلمقصود في كلٍّ.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾) أي: لا تبتدؤوهم بالقتال.

قوله: (﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾) المرادُ بالاعتداء هنا: القتالُ ابتداءً، لا حقيقةُ الاعتداء الذي هو تجاوزُ الحدِّ.

قوله: (وهذا منسوخ بآية براءة) أي: بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، فأزال اللهُ الضيقَ عن المسلمين وأبدَله بالسعة، وفي الحقيقة هذه الآيةُ نَسخت نحو سبعين آيةً من القرآن حَصل فيها نهيٌ من القتال[(١)].

قوله: (أو بقوله... إلخ) أي: وهذا أبلغُ؛ لكونها بِلصقها.

قوله: (﴿وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ﴾) أي: من المكان الذي أخرجوكم منه، يعني: مكة، وهو أمرٌ بالإخراج، فكأنه وعدٌ من الله بالفتح لمكة، وقد أنجزَ الله ما وعدَ به عام ثمانٍ.

قوله: (وقد فعل) أي: رسول الله ﷺ لهم؛ أي: بالكفار منهم.

قوله: (عامَ الفتح) أي: وهو العام الثامن، إن قلتَ: إنَّ مدة الصلح باقيةٌ مع أن إخراجهم وقتالهم حصلَ قبل مُضي تلك المدة! أُجيب: بأنه حَصل منهم نقضٌ للعهد بعد عُمرة القضاء.

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٢٣٦)، وهذا الكلام ذكره كثير من المفسرين، وفيه مبالغة؛ لأن التحقيق: أن المنسوخ في القرآن أقل من ذلك بكثير؛ كما حقَّقه السيوطي في «الإتقان» (٣/ ٧١). (ع)

﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ......﴾

﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الشِّركُ مِنهم ﴿أَشَدُّ﴾: أعظَمُ ﴿مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ لَهُم في الحَرَمِ أو الإحرامِ الَّذي استعظَمتُمُوهُ، ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: في الحَرَمِ ﴿حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ فِيهِ ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ فِيهِ. ـ وفي قِراءة بِلا أَلِفٍ في الأفعال الثَّلاثَة ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القَتلِ والإخراجِ ﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿١٩٢﴾ ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ عَن الكُفرِ وأَسلَمُوا، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

﴿١٩٣﴾ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾: تُوجَدَ ﴿فِتْنَةٌ﴾: شِركٌ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ ... إلخ) هذا جوابٌ عن سؤال مقدَّر، تقديرُهُ: إن خِفتم أن تقاتلوهم في الشهر الحرام وراعيتُم حرمةَ الشهر والإحرامَ والحرمَ.. فالشركُ الذي حصل منهم الذي فيه تهاونٌ بربِّ الحرم أبلَغ.

قوله: (﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ﴾ ... إلخ) هذا توكيدٌ للمنسوخ، وهو تفسيرٌ لقوله: (ولا تعتدوا).

قوله: (أي: في الحرم) إنما فسَّرَ ﴿عِندَ﴾ بـ(في) لأنه ظرفٌ منصوب، وهو على تقديرِ (في)، وأطلقَ المسجد الحرام وأرادَ ما يعمُّ الحرم بتَمامه.

قوله: (وفي قراءة بلا ألف) والقراءتان سبعيَّتان[1]، والتلاوة على هذا: (ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم)، والمعنى: فخُذوا في أسباب قتلهم.

قوله: (﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: في الدنيا والآخرة العذابُ الأليم.

قوله: (﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾) أي: رجعوا عن الكفر، وأصلُه: انْتَهَيُوا بياء مضمومة بعد الهاء، استُثقلت الضمة على الياء فحذفت، وتحَّركت الياءُ بحسب الأصلي وانفتح ما قبلها بحسب الآن قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان حذفت الألف وبقيت الفتحةُ دليلاً عليها.

قوله: (﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾) هذه الآية ناسخةٌ أيضاً لما قبلها.

---

(١) قرأ الجمهور بالألف في الأفعال الثلاثة، وحمزة والكسائي بغير ألف كما سيبين المصنف. انظر «الدر المصون» (٢/٣٠٧).

وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ....

﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾: العِبادَةُ ﴿لِلَّهِ﴾ وَحدَه لا يُعبَدُ سِواهُ؛ ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عَن الشِّرك فلا تَعتَدُوا علَيهم، دَلَّ على هذا: ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾: اعتِداءَ بِقَتلٍ أو غَيرِه ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ومَن انتَهى فلَيسَ بِظالِمٍ، فلا عُدوانَ علَيه.

﴿١٩٤﴾ ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾: المُحَرَّمُ مُقابَلٌ ﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾؛ فكَما قاتَلُوكم فِيه فاقتُلُوهُم في مِثلِه، رَدٌّ لِاستِعظامِ المُسلِمِينَ ذلكَ، ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ﴾: جَمع (حُرْمَة): ما يَجِب احتِرامُه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي: يُقتَصُّ بِمِثلِها إذا انتُهِكَت، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾) أي: في مكة؛ لأن المرادَ تخليصُ الدين في مكةَ من الشرك فقط، لا كلِّ الجهات، وأما آية (الأنفال) في قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ﴾ [الأنفال: ٣٩] أي: في كلِّ الجهات.

قوله: (﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾) أي: رجعُوا عن الكفر وأسلموا.

قوله: (﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ ... إلخ) هذا خبرٌ في صورة الأمر مبالغةً؛ أي: فلا تنتقموا ولا تقتلُوا إلا الظالمين، والمعنى: لا يُجازى على عُدوانه إلا الظالمون؛ لأنَّ العدوان واقعٌ من الكفار بكفرهم وقتالِهم للمسلمين، لا من المسلمين بقتالهم لهم.

قوله: (﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ ... إلخ) هذا نزل أيضاً زيادةَ طُمَأْنِينةٍ للمسلمين؛ لأنه كان يَشُقُّ عليهم القتال فيها تعظيماً لها[1]، وقيل: إنها نزلت ردًّا على الكفَّار والمنافقين المعترضِين في قولهم: إن الأشهرَ الحُرُمَ والحَرَم معظمةٌ قديماً، ويزعمُ محمدٌ أنه يحكم بالعدل وهو يَنتهكُ حرمةَ الشهر الحرام والحَرَم، فردَّ اللهُ عليهم بقوله: الشهرُ الحرام الذي نقاتلكم فيه في مقابلة الشهرِ الحرام؛ أي: الذي صَددتمونا فيه عن العمرة والدخول وقاتلَنا سفهاؤكم، ولا يُسمَّى انتهاكاً ولا عدمَ تعظيمٍ للحرم؛ لأنه لما كان بأمر الله اندفعَ ذلك كلُّه.

قوله: (﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾) أي: متى حصلَ من أحد انتهاكٌ لحرمة آخرَ سَقطت حرمتُهُ، فيقتصُّ له منه، ومن هنا قولُ بعضهم ملغزاً فِيمَن قُطعت يدُهُ ظلماً، ومَنْ قُطِعت يدُهُ لأجل السرقة: [البسيط]

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٥)، وهو السبب السابق ذكره في خبر الحديبية.

فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ....

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بِالقِتالِ في الحَرَمِ أو الإحرامِ أو الشَّهرِ الحَرامِ، ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ سَمَّى مُقابَلَته اعتِداءً لِشَبَهِها بِالمُقابَلِ بِهِ في الصُّورَة، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الانتِصار وتَركِ الاعتِداءِ، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بِالعَونِ والنَّصرِ.

﴿١٩٥﴾ ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طاعَتِه: الجِهادِ وغَيرِه، ....

حاشية الصاوي

يَدٌ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ... ما بالُها قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِيْنارِ؟[1]

أجابَ عنه القاضي عبدُ الوهَّاب البغدادي[2] بقوله: [البسيط]

عِزُّ الأَمانَةِ أَغْلاها وأَرْخَصَها ... ذُلُّ الخِيانَةِ، فافْهَمْ حِكْمَةَ البارِي

قوله: (﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾) تسميتُهُ اعتداءً ظاهرٌ؛ لأنه تجاوزٌ للحدِّ، وقوله: (﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾) أي: انتَقموا منه وقاتلوه، فتسميتُهُ اعتداءً مشاكلةٌ لمقابِلِهِ، وقوله: (﴿بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾) توكيدٌ لقوله: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾، وكلُّ هذا منسوخٌ بقوله: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾.

قوله: (﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: ومن التقوى رحمةُ عِباده، سيَّما إذا لم يقاتلوكم، أو إذا قدَرْتم عليهم فالأولى العفو.

قوله: (﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾) أي: معيَّة خاصة، فيمدُّهم بالنصر والعَون، وإلا.. فهو مع كلِّ نفس بعلمه وتصرُّفه.

قوله: (﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: ابذلُوا أنفسَكم وأموالَكم في طاعته ومَراضيه، سواءٌ الجهادُ وغيرُه؛ كصلةِ الرحم ومراعاةِ الضعفاء والفقراء من عباد الله.

---

(١) البيت لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) في «ديوانه»، ومعه قوله:

تَناقُضٌ ما لَنا إلا السُّكُوتُ لَهُ ... وأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلانا مِنَ النَّارِ

(٢) المالكي، (ت ٤٢٢هـ)، وفي «وفيات الأعيان» (٣/ ٢٢٠): أن أبا العلاء المعري استضافه لما مرَّ بالمعرَّة، والبيت الآتي نُسب بنحوه للشيخ عَلم الدين السخاوي، وانظر «نكث الهميان» (ص٨٣) للصفدي.

وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ......

﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: أنفسِكُم ـ والباءُ زائِدَة ـ ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾: الهَلاكِ بِالإمساكِ عَن النَّفَقَة في الجِهاد أو تَركِه؛ لِأَنَّهُ يُقَوِّي العَدُوَّ عليكُم، ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ بِالنَّفَقةِ وغَيرِها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: يُثيبُهم.

﴿١٩٦﴾ ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: أدُّوهُما بِحُقُوقِهِما، ......

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾) عبَّرَ بالأيدي عن الأنفس اكتفاءً بالجزء الأهمِّ من النفس(١)؛ كقوله: في آية أخرى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] أي: أنفسكم.

قوله: (﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾) أي: إلى الهلاك؛ أي: إلى أسبابه، وأسبابُ الهلاك إمساكُ الأموال والأنفس عن الجهاد؛ لأنَّ به يقوى العدو وتكثرُ المصائبُ في الدين والذلُّ لأهله كما هو مشاهد، ومن أنفقَ أموالَه ونفسَه في سبيل الله فقد ألقى بنفسه إلى العزِّ الدائم في الدنيا والآخرة، أولئك عليهم صلواتٌ من ربِّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

قوله: (﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾) أي: افعلُوا الإحسانَ بالإنفاق في سبيل الله وغيره من أنواع العبادات والقُرُبات.

قوله: (أي: يُثيبهم) فسَّرَ المحبةَ في حق الله بالإثابة؛ لأنَّ حقيقتَها ـ وهي ميلُ القلب للمحبوب ـ مُستحيلةٌ في حقِّ الله تعالى، والإثابةُ لازمةٌ لذلك، **والقاعدةُ**: أن كلَّ ما استحالَ على الله باعتبار مَبدئه وورِدَ.. يطلقُ ويُرادُ لازمُهُ وغايتُه.

قوله: (﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾) المتبادرُ من الآية يشهدُ لقول الشافعي بوجوب العمرة عيناً في العمر مرَّةً كالحجِّ، وقال مالك: بسنِّيَّتِها في العمر مرة عيناً، وقُرِئَ: ﴿وأقيموا الحجَّ والعمرةَ﴾(٢)، وهي تؤيِّدُ مذهبَ الشافعي، سيَّما مع كون الأصل في الأمر الوجوب، وحجَّةُ مالك:

---

(١) لأن بها البطش والحركة، والباء في (بأيديكم) إما زائدة لتعدي الفعل بنفسه؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾، أو يضمن الفعل معنى أفضى؛ كأفضيت بجنبي إلى الأرض، بمعنى طرحته عليها. انظر «الفتوحات» (١/ ١٥٥).

(٢) قرأ بها علقمة وإبراهيم النخعي كما في «تفسير البغوي» (١/ ٢٤١)، وابن مسعود وابن عباس كما في «تفسير الطبري» (٣/ ٧).

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ ....

﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: مُنِعتُم عَن إتمامِهِما بِعَدُوٍّ ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾: تَيَسَّرَ ﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ عَلَيكُم وهو شاةٌ، ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: لا تَتَحَلَّلُوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ﴾ المَذكُورُ ﴿مَحِلَّهُۥ﴾: حَيثُ يَحِلُّ ذَبحُه، وهو مَكانُ الإحصار ....

حاشية الصاوي

أن المرادَ: تمِّمُوهما إذا شرعتم فيهما، ولا يلزمُ من وجوب الإتمام وجوبُ الابتداء، فالحاصلُ: أن العلماءَ اتفقوا على وجوب الحجِّ عيناً في العمر مرةً، وما عدا ذلك فهو فرضُ كفاية لإقامةِ الموسم[1]، واتفقوا على مَشروعية العُمَرِ، واختلفوا في حكمها؛ فقال الشافعي بوجوبها كالحجِّ، وحملَ الإتمامَ على الأداء، وقال مالك بسنِّيَّتِها، وحملَ الإتمامَ على حقيقته.

قوله: (﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾) أي: عن البيت ولم تتمكَّنوا من دُخوله؛ كما وقعَ للمصطفى ﷺ[2]، وهذا رفعٌ للحرج الواقع في الأمر من قوله: ﴿وَأَتِمُّوا۟﴾.

قوله: (تيسَّر) أشار بذلك إلى أن السين ليست لمعنًى زائدٍ، بل استيسر وتيسَّر بمعنًى واحد.

قوله: (وهو شاة) أي: ضأناً أو معزاً مجزئةً في الضَّحِيَّة.

قوله: (﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾) اعلَمْ: أنه إذا اجتمع هديٌ وحَلْقٌ.. فالهديُ مقدَّمٌ على الحلق، فإذا اجتمعَ معهما رميٌ وطوافٌ.. قُدِّم الرميُ ثم النحرُ ثم الحلقُ ثم الطوافُ، وضبطها بعضُهم بقوله: (رنحط).

قوله: (﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾) اعلمْ: أنه اختُلف في الهدي؛ فقيل: يُؤمر به، وهو قول الشافعي، وعليه فإن لم يَجِدْ هدياً قوَّمَه بطعام وأخرجه، فإن لم يجدْ صامَ بعدد الأمداد[3]، وقيل: لا يؤمرُ به، والآيةُ محمولةٌ على مَنْ كان معه هديٌ تطوُّعاً مثلاً، وهو قول مالك، وعليه: فإن لم يجِدْ هدياً فلا شيءَ عليه غير الحَلْق.

قوله: (﴿مَحِلَّهُۥ﴾) بالكسر يطلقُ على الزمان والمكان، وبالفتح على المكان فقط[4].

---

(١) انظر «شرح مختصر خليل» (٣/١٠٨) للخرشي.

(٢) في خبر الحديبية المتقدم قريباً.

(٣) «الأم» (٢/٢٠٧)، وانظر «تحفة المحتاج» (٤/١٧٥).

(٤) «المصباح المنير» (ح ل ل)، ومعنى اسمية الزمان: الأجل.

فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ ....

عِند الشَّافِعِيِّ، فيَذبَح فِيهِ بِنِيَّةِ التَّحلُّل ويُفَرِّق على مَساكِينِه ويَحلِق به، وبه يَحصُلُ التَّحلُّلُ، ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ كقُمَّلٍ وصُداعٍ فحَلَقَ في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ علَيه ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ لِثَلاثةِ أيَّامٍ، ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بِثَلاثةِ آصُعٍ مِن غالِب قُوت البَلَد على سِتَّة مَساكِينَ، ﴿أَوْ نُسُكٍۚ﴾ أي: ذَبحِ شاةٍ، و(أو) لِلتَّخيِيرِ، وأُلحِقَ بِه مَن حَلَقَ لِغَيرِ عُذر لِأنَّهُ أولى بِالكَفَّارةِ، وكَذا مَن استَمتَعَ بِغَيرِ الحَلق، كالطِّيبِ واللُّبس والدَّهن لِعُذرٍ أو غَيرِه، ......

حاشية الصاوي

قوله: (عند الشافعي[1]) أي: ومالك أيضاً، فالمدارُ عندهما على مكان الإحصار حلالاً أو حراماً، وقال أبو حنيفة: لا بدَّ أن يذبحَ بالحرَم[2].

قوله: (﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى﴾) متعلِّقٌ بمحذوف معطوفٍ على ﴿مَّرِيضًا﴾ الواقع خبراً لـ﴿كَانَ﴾، وقوله: ﴿أَذًى﴾ فاعلٌ بالجار والمجرور[3]، أو الجار والمجرور خبرٌ مقدَّمٌ، و﴿أَذًى﴾: مبتدأٌ مؤخَّر، والجملة معطوفة على ﴿مَّرِيضًا﴾[4].

قوله: (﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه) قدَّره إشارةً إلى أنه خبرُ المبتدإ، والجملةُ جواب (مَنْ).

واعلم: أن دماء الحجِّ ثلاثة: فديةٌ وهديٌ وقد ذكرهما هنا، وجزاءٌ وقد ذكره في (المائدة)[5]، فما كان عن إزالة أذًى أو ترفُّهٍ.. فهو فديةٌ، وما ترتَّبَ عن نقصٍ في حجٍّ أو عمرة بفعل اختياري أو لا.. فهديٌ، وما كان عن صيد.. فجَزاءٌ.

قوله: (على ستة مساكين) أي: لكلِّ مسكينٍ مدَّان.

قوله: (لغير عذر) أي: وإن كان حراماً.

قوله: (وكذا من استمتع بغير الحلق) أي: فهو مَقيسٌ عليه.

قوله: (بعذر أو غيره) راجعٌ للثلاثة، غيرَ أن الحرمةَ فيما كان لغير عذر، وألحق بذلك من قلم ظفره، وأما الوطءُ وتقبيلُ الزوجة.. فكذلك عند الشافعي، وعند مالك فيه هَدي.

---

(١) «الأم» (٢/ ١٧٣).

(٢) «الهداية» (١/ ١٧٦).

(٣) أي: فاعل لـ(كائناً) المقدَّر المعطوف على (مريضاً).

(٤) فهي وإن كانت جملة لفظاً فهي في محل مفرد؛ إذ المعطوف على المفرد مفرد. «الفتوحات» (١/ ١٥٦).

(٥) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾.

فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ

﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ العَدُوَّ بِأن ذَهَبَ أو لم يَكُن ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾: استمتَعَ ﴿بِٱلْعُمْرَةِ﴾ أي: بِسَبَبِ فَراغه مِنها بِمَحظُوراتِ الإحرام ﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ أي: إلى الإحرام بِه بِأن يَكُونَ أحرَمَ بِها في أشهُرِه، ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾: تَيَسَّرَ ﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ عليهِ، وهو شاةٌ يَذبَحها بعد الإحرامِ بِهِ، والأفضَلُ يَوم النَّحرِ، ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهَديَ لِفَقدِه أو فَقد ثَمَنه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعلَيه صِيامُ ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أي: في حالِ الإحرام بِه، فيَجِب حِينَئِذٍ أن يُحرِمَ قَبل السَّابِع مِن ذِي الحِجَّة، والأفضَلُ قَبل السَّادِس لِكَراهةِ صَوم يَوم عَرَفةَ، ولا يَجُوز صَومُها أيَّامَ التَّشرِيق على أصَحِّ قَولَي الشَّافِعِيِّ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾) أي: ابتداءً وانتهاءً.

قوله: (﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾) حاصلُ ما في المقام: أنَّ الشخصَ إذا كان مفرداً فإنَّه لا شيءَ عليه، وأمَّا إذا كان قارناً أو متمتعاً.. فعليه دَم.

قوله: (أي: بسبب فراغه منها) دفع بذلك ما يُقال: إن العمرة فيها مشقَّةٌ ولا تمتُّعَ فيها!

قوله: (﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾) أي: تمتَّعَ من فراغه من العمرة واستمرَّ على ذلك إلى الإحرام بالحج.

قوله: (تيسَّر ﴿مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾) وأفضلُ الهدايا الإبلُ ثم البقرُ ثم الغَنم.

قوله: (﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾) أي: فهو على الترتيب، وهذا الدمُ يلزمُ بشروطٍ أربعة: **الأول**: ألا يكونَ أهلُهُ بالمسجد الحرام، **الثاني**: أن يكون تحلُّلُه من العمرة في أشهر الحج، **الثالث**: أن يحجَّ في عامه، **الرابع**: ألا يرجعَ إلى بَلده أو مثلِها، وقال الشافعي: ألا يرجعَ إلى الميقات.

قوله: (﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾) محلُّ ذلك: إن كان النقص قبل الوقوف، وإلَّا.. صامَ العشرة متى شاء.

قوله: (قبل السابع) أي: ليصوم الثلاثة الأيام، وما مشى عليه المفسِّرُ قولٌ ضعيف في مذهب الشافعي، والمعتمدُ: أنه لا يجبُ عليه ذلك؛ لأنه لا يجبُ عليه تحصيل سبب الوجوب[1]، ووافقه مالك على ذلك.

قوله: (على أصحِّ قولي الشافعي) وقال مالكٌ بجواز صومها.

---

(١) انظر «المجموع» (٧/ ١٨١).

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾ ....

﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وَطَنِكُم مَكَّة أو غَيرِها، وقِيل: إذا فرَغتُم مِن أعمال الحَجِّ، وفِيهِ التِفاتٌ عَن الغَيبةِ، ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ ـ جُملَة تأكِيد لِما قَبلَها ـ.

﴿ذَلِكَ﴾ الحُكم المَذكُور مِن وُجُوب الهَدي أو الصِّيام على مَن تَمَتَّعَ ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، بِأن لم يَكُونُوا على دُون مَرحَلَتَينِ من الحرَم عِند الشَّافِعِيِّ، فإن كانَ فلا دَم عليه ولا صِيامَ وإن تَمَتَّعَ. وفي ذِكر الأهلِ إشعارٌ باشتِراطِ الاستِيطانِ، فلو أقامَ قبلَ أشهُر الحجِّ ولم يَستَوطِن وتمتَّعَ فعليه ذلك، وهو أحَدُ وجهَينِ عِند الشَّافِعِيِّ، والثَّانِي: لا، والأهل كنايةٌ عن النَّفس، وأُلحِق بِالتَّمتُّع فِيما ذُكِرَ بِالسُّنَّةِ القارِنُ، وهو مَن أحرَمَ بِالعُمرَةِ والحَجِّ مَعاً، أو يُدخِلُ الحَجَّ عليها قَبل الطَّوافِ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِيما يَأمُرُكُم بِه ويَنهاكُم عَنهُ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لِمَن خالَفَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفيه التفات عن الغيبة) أي: مع مراعاة معنى (مَنْ).

قوله: (تأكيدٌ لما قبلها) أي: لدفع توهُّم الكثرة في العدد، وقوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ أي: في الثواب كالهدي، وفيه تسليةٌ للفقير العاجز عن الهدي.

قوله: (عند الشافعي) أي: وعند مالك لا يَنتفي الهديُ إلا عمَّن كان متوطّناً بأرض الحرم، فيشملُ أهلَ منى ومزدلفة.

قوله: (وهو أحدُ وجهين عند الشافعي) أي: وهو مذهبُ مالك.

قوله: (والأهل) كنايةٌ عن النفس؛ أي: فعلى هذا يكون معنى الآية: ﴿ذَلِكَ لِمَن﴾ أي: لمُحْرِمٍ ﴿لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ﴾ أي: نفسُهُ ﴿حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وهذا معنًى بعيد، فالأولى ما قاله غيرُهُ من أن المرادَ بالأهل الزوجةُ والأولادُ الذين تحت حِجره دون الآباء والأخوة، ومعدومُ الأهلِ المتوطّنُ بنفسه كذلك، وإنما عبَّرَ بالأهل؛ لكون شأن المتوطّن يكون بذلك.

قوله: (القارنُ) أي: ويطوفُ لهما طوافاً واحداً وسعياً واحداً عند مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: لا بدَّ لهما من طَوافين وسعيين.

قوله: (فيما يأمركم به... إلخ) أي: وخصوصاً في الحجِّ والعمرة.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ....

﴿١٩٧﴾ ﴿ٱلْحَجُّ﴾ وَقتُه ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾ شَوَّال وذُو القَعدَة وعَشرُ لَيالٍ مِن ذِي الحِجَّة، وقِيل: كُلُّه، ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ على نَفسِه ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بِالإحرامِ بِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (وقتُهُ) إنما قدَّره؛ لأنَّ الحجَّ عملٌ والأشهرُ زمن، ولا يخبرُ عن العمل بالزمن.

قوله: (﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾) هذه الآيةُ مقيِّدةٌ لآية ﴿قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾؛ لأنَّ المتبادر منها أن الأهلةَ كلَّها مواقيتُ للحجِّ، فأفاد بهذه الآية: أن الحجَّ له زمنٌ معلوم يؤدَّى فيه، وأما العمرةُ فوقتُها السنةُ كلُّها ما لم يكنْ مُتلبِساً بالحجِّ، وإلَّا.. فلا يعتمرُ حتى يفرغَ منه.

قوله: (وعشرُ ليالٍ من ذي الحجة) أي: فالجمعُ في الآية لما فوقَ الواحدِ، أو باعتبار جبْرِ الكسر.

قوله: (وقيل: كله) أي: فالجمعُ على حقيقته، وبذلك قال مالك، والمعنى على ما قال مالك: أن له التَّحللَ في ذي الحجة بتمامه، ولا يلزمُهُ دمٌ إلا بدخول المُحرَّم؛ لا أنَّ المعنى أنه يُبتدأُ الإحرامُ به بعد فجر النحر، فإن ذلك لم يقُلْهُ مالكٌ ولا غيره ممَّن يعتدُّ به[١]، فالحاصلُ: أن الحجَّ له ميقاتان مكانيٌّ وزمانيٌّ، فالمكانيُّ ما أشارَ له بعضُهم بقوله: [الكامل]

عِـرْقُ الـعِـراقِ يَـلَـمْـلَـمُ الـيَـمَـنِ ... وَبِـذِي الـحُـلَـيْـفَـةِ يُـحْـرِمُ الـمَـدَنِـي
والـشَّـامُ جُـحْـفَـةُ إنْ مَـرَرْت بِـهَـا ... وَلِأَهْـلِ نَـجْـدٍ قَـرْنُ فَـاسْـتَـبِـنِ[٢]

والزمانيُّ لابتداء الإحرام به شوالُ وذو القعدة وعشرُ ليالٍ من ذي الحجة، وأما لانتهاء التحليل منه فبقيَّةُ ذي الحجة.

قوله: (﴿فَمَن فَرَضَ﴾ على نفسه) أي: ألزمَ نفسَهُ الدخول في أفعال الحجِّ؛ بأن أحرمَ به سواء كان فرضاً عليه قبلَ ذلك أو لا.

قوله: (﴿فِيهِنَّ﴾) أي: الشهرَين والعشر ليال، وأما في غير هذه الأشهر فقال مالك: ينعقدُ ويكره، وقال غيره: لا يَنعقد.

---

(١) فقد نقل العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ١٥٨) قولاً نعته بالشذوذ بجواز الإحرام ليلة النحر، بل في جميع شهر ذي الحجة!

(٢) كذا في «تهذيب الأسماء واللغات» (٣/ ١١٤) من غير نِسبة.

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ ....

﴿فَلَا رَفَثَ﴾: جِماعَ فِيهِ ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: مَعاصٍ ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: خِصامَ ﴿فِي ٱلْحَجِّۗ﴾، ـ وفي قِراءة بِفَتحِ الأوَّلَينِ ـ والمُرادُ في الثَّلاثة النَّهيُ، ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ كصَدَقةٍ ﴿يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ فيُجازِيكُم بِهِ. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَلَا رَفَثَ﴾) في الآية ثلاث قراءات غيرُ شاذَّة: الأولى: برفع الجميع مع التنوين، الثانية: برفع الأوَّلين وبناءِ الثالثِ على الفتح، الثالثة: بناء الثلاثة على الفتح، وقُرِئَ شذوذاً بنصب الثلاثة[1].

قوله: (معاصٍ) أي: بأيِّ وجهٍ من أوجه المعاصي، والنهيُ وإن كان عامًّا إلا أنه في الحجِّ أشدُّ.

قوله: (﴿وَلَا جِدَالَ﴾) هو مُقابلةُ الحجة بالحجة لِنصرة الباطل، وأما لنصرة الحقِّ فلا بأسَ بذلك.

قوله: (﴿فِي ٱلْحَجِّۗ﴾) أظهرَ في مقام الإضمار؛ اهتماماً بشأنه.

قوله: (بفتح الأولين) أي: مع الثالث.

قوله: (والمراد في الثلاثة النهي) أي: لا الإخبارُ، وإنما أتى بها على صورة الإخبار؛ إشارةً إلى أنه لا ينبغي أن يقعَ ذلك، والتعبير عن النهي بِصورة الخبر أبلغُ في الانزجار.

قوله: (﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾) **إن قلتَ**: إن الله كما يعلم الخيرَ من العبد يعلمُ الشرَّ منه! **أجيبَ**: بأنَّ شأنَ الله سترُ الشر عن العبيد فلا يظهرُهُ عليهم، بخلاف الخير فيظهرُهُ للخلائق؛ لما في الحديث: «**إذا تابَ العبدُ.. أنسى اللهُ الحفَظَةَ ذنوبَهُ، وأنسى ذلكَ جوارحَهُ ومعالمَهُ، حتى يأتيَ يومَ القيامةِ وليسَ عليه شاهدٌ بذنب**»[2]، وأيضاً: الآيةُ مَسوقةٌ في أفعال الحجِّ وكلُّها خير.

---

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير بتنوين (رفث وفسوق) ورفعهما وفتح (جدال)، والباقون بفتح الثلاثة، وأبو جعفر ـ ويروى عن عاصم ـ برفع الثلاثة والتنوين، وأبو رجاء العطاردي بنصب الثلاثة والتنوين. انظر «البحر المحيط» (٢/ ٩٦)، و«الدر المصون» (٢/ ٣٢٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٤٣) عن الخليل بن عبد الله بلاغاً، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤/ ١٧) عن أنس ﷺ مرفوعاً، والمعالم: جمع مَعلم، وهو الأثر من الأرض، يعني المواضع التي اقترف السيئات فيها، وانظر «فيض القدير» (١/ ٣١٣).

وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ....

ونَزَلَ في أهل اليَمَن ـ وكانُوا يَحُجُّونَ بِلا زادٍ، فيَكُونُونَ كَلًّا على النَّاسِ ـ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ ما يُبَلِّغكُم لِسَفَرِكُم؛ ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ما يُتَّقى بِه سُؤالُ النَّاس وغَيرُه، ﴿وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾: ذَوِي العُقُولِ.

﴿١٩٨﴾ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾: تَطلُبُوا ﴿فَضْلًا﴾: رِزقاً ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بِالتِّجارَةِ في الحَجِّ، نَزَلَ رَدًّا لِكَراهَتِهِم ذلك، ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾: دَفَعتُم ﴿مِّنْ عَرَفَـٰتٍ﴾ بعدَ الوُقُوف بِها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في أهل اليمن) أي: وكانوا حديثي عهد بإسلام ويزعمون أنَّهم متوكِّلون[١].

قوله: (كلًّا على الناس) عالة.

قوله: (وغيره) أي: كالغصب والسرقة.

قوله: (نزل ردًّا لكراهتهم ذلك) أي: فلا بأسَ بالتجارة في الحجِّ إذا كانت لا تشغلُهُ عن أفعاله، واختُلف هل التجارةُ تنقصُ ثوابَ الحجِّ أو لا؟ قال بعضهم: إن كانت التجارةُ أكبرَ همِّهِ ومبلغَ علمه سقطَ الفرض عنه، وليس ثوابه كمَن لا قصدَ له إلا الحج، وإن استوى الأمران فلا يذمُّ ولا يمدح، وإن كانت التجارةُ تبعاً للحجِّ فقد حاز خيرَ الدنيا والآخرة[٢].

قوله: (﴿مِّنْ عَرَفَـٰتٍ﴾) هو مصروفٌ، ويصحُّ منعه من الصرفِ للعلَمية والتأنيث؛ لأنه علمٌ على البقعة.

قوله: (بعد الوقوف بها) اعلَمْ: أن الركنَ عند مالك إدراكُ جزء من الليل، وأما النهارُ فهو واجبٌ يُجبرُ بالدم، وعند الشافعي أحدُهما كافٍ، فمن أدركَ جزءاً من الليل وجزءاً من النهار.. فقد تمَّ حجُّهُ باتفاق، والأفضلُ الوقوف عند الصخرات العظام هناك؛ لأنه موقفُ رسول الله عليه الصلاة والسلام[٣].

(١) الخبر رواه البخاري (١٥٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٨٥).

(٣) رواه مسلم (١٢١٨).

عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ....

بعدَ المَبيت بِمُزدَلِفةَ بالتَّلبيَةِ والتَّهليل والدُّعاءِ، ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو جَبَلٌ في آخِر المُزدَلِفَة يُقال لَهُ: قُزَحُ، وفي الحَدِيث أنَّهُ ﷺ وَقَفَ بِهِ يَذكُر الله ويَدعُو حَتَّى أَسفرَ جِدًّا، رَواهُ مُسلِمٌ. ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لِمَعالِم دِينِه ومَناسِك حَجِّه، ـ والكافُ لِلتَّعلِيلِ ـ ﴿وَإِن﴾ ـ مُخَفَّفَة ـ ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قَبلَ هُداهُ ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

﴿١٩٩﴾ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟﴾ يا قُرَيشُ ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: مِن عَرَفَة؛ بِأن تَقِفُوا

حاشية الصاوي

قوله: (بعد المبيت بمزدلفة) أي: ويجمعون بها المغرب والعشاء جمعَ تأخيرٍ ويقصرون العشاءَ إلا أهلَها، ويستمرُّون بها إلى صلاة الصبح، فيصلُّونها ثم يَتوجَّهون إلى المشعر الحرام فيقفون به إلى الإسفار.

قوله: (بالتلبية) هذا جريٌ على مذهب الشافعي، وأما عند مالكٍ فيقطعُ التلبيةَ من وصوله لعرفةَ وصَلاتِهِ الظهرَ والعصرَ بها.

قوله: (هو جبل في آخر المزدلفة) أي: من جِهة مِنى عند منارة بلا جامع.

قوله: (قزح) على وزن: عُمر[1].

قوله: (والكاف للتعليل) أي: فالمعنى: اذكروه لأجل هدايته إيَّاكم، ولأجل أنكم كنتم قبلَ ذلك من الضالين.

قوله: (﴿وَإِن﴾ مخففة) أي: مهملة لا عملَ لها.

قوله: (﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾) أي: التائهين عن الهدى، فهي نعمةٌ ثانية يجب الشكرُ عليها، قال تعالى في مقام تعداد النِّعم: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ...﴾ [الشورى: ٥٢] الآية.

قوله: (﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟﴾) أي: قِفوا بعرفة، وتقدَّمَ: أن معنى الإفاضة الدفعُ، فأطلقه وأرادَ لازمَهُ وهو الوقوف.

---

(١) وقُزَح ممنوع من الصرف للعلَمية والعدل. «الفتوحات» (١/ ١٥٩).

وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ ....

بِها مَعَهُم، وكانُوا يَقِفُونَ بِالمُزدَلِفةِ تَرَفُّعاً عَن الوُقُوف مَعَهُم. - و﴿ثُمَّ﴾ لِلتَّرتِيبِ في الذِّكر - ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾ مِن ذُنُوبِكُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

﴿٢٠٠﴾ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾: أَدَّيتُم ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾: عِباداتِ حَجِّكُم؛ بِأن رَمَيتُم جَمرَةَ العَقَبَة وطُفتُم واستَقرَرتُم بِمِنًى، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بِالتَّكبِيرِ والثَّناء ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ كما كُنتُم تَذكُرُونَهُم عِند فَراغ حَجِّكُم بِالمُفاخَرةِ، ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ﴾ مِن ذِكركُم إيَّاهُم،

حاشية الصاوي

قوله: (ترفعاً) أي: تكبُّراً.

قوله: (و(ثم) للترتيب في الذكر[1]) جوابٌ عن سؤال مقدَّر حاصله: أن الإتيان بـ(ثمَّ) يقتضي أن الأمر بالوقوف بعد رجوع الناس من عرَفة ووصولهم منى، مع أنَّ الأمرَ ليس كذلك! فأجابَ المفسِّر بذلك، وأجيبَ أيضاً: بأن (ثم) بمعنى الواو وهي لا تقتضي ترتيباً، وأجيبَ أيضاً: بأنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، فقوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ﴾ معطوف على قوله: ﴿فَٱتَّقُونِ﴾، وقوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ مرتَّب عليه، ويكون الخطاب لِعموم الناس.

قوله: (﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ﴾) أي: اطلبوا منه مغفرة ذُنوبكم بتلك المواضع المطهَّرة؛ فإنها مهبطُ تجلِّي الرحمات وإجابة الدعوات.

قوله: (﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾) جمع مَنْسَك، وهي العبادات التي عيَّنَ الشارع لها أماكنَ مخصوصة؛ كالطوافِ لا يكون إلا بالبيت، والسعيِ لا يكون إلا بين الصفا والمروة، والوقوفِ لا يكون إلا بعرفة، والرميِ لا يكون إلا بمنى، فالمعنى: أدَّيتم العباداتِ في أماكنها المعهودة.

قوله: (بالمفاخرة) كانت العرب في الجاهلية بعد فَراغ حجِّهم يذكرون آباءَهم بالخصال الحميدة نظماً ونثراً، فكان الواحد منهم يقول مثلاً: إن أبي كان كبيرَ الجَفنة؛ أي: القصعة، فتَّاكاً للشجعان وهكذا؛ لأنه يومُ اجتماعٍ للقبائل من العام إلى العام[2].

---

(١) في (أ): (للترتيب الذكري)، وهما بمعنى، وانظر ما تقدم (١/ ١١٩).

(٢) «الخازن» (١/ ١٣٣)، وذكر أن (أو) في ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ﴾ بمعنى بل أو بمعنى الواو.

فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً ....

ـ ونَصْبُ ﴿أَشَدَّ﴾ على الحال مِن ﴿ذِكْرًا﴾ المَنصُوبِ بِـ(اذكُرُوا)؛ إذ لو تأخَّرَ عَنهُ لَكانَ صِفةً لَه ـ. ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ نَصِيبَنا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فيُؤتاهُ فِيها، ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: نَصِيبٍ.

﴿٢٠١﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: نِعمَةً، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هِيَ الجَنَّةُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (مِن ﴿ذِكْرًا﴾ المنصوبِ بـ(اذكُرُوا)) أي: على المصدريَّة.

قوله: (إذ لو تأخَّرَ عنه لكان صفة له[1]) أي: لأنَّ القاعدةَ: أن نعتَ النكرة إذا تقدَّم عليها يعربُ حالاً، وتعربُ النكرةُ بحسب العوامل، فيكون التقدير: فاذكروا الله ذكراً كائناً كذكركم آباءكم أو أشدَّ.

قوله: (﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾) هذا بيانٌ لحال من يَقف بعرفة.

قوله: (﴿مِنْ خَلَٰقٍ﴾) (مِن): صِلة.

قوله: (نصيب) أي: حظٌّ، وهذا دعاءُ غيرِ المؤمنين بالآخرة، وقوله: (﴿وَمِنْهُم﴾) هذا هو دعاءُ المؤمنين بها.

قوله: (نعمة) أي: بركةً وخيراً، وذلك كالعافيةِ والزوجةِ الحسنة والدارِ الواسعة وغيرِ ذلك ممَّا يعينُ على الدار الآخرة، فكلُّ أمر في الدنيا يوافقُ الطبعَ ويعينُ على الدار الآخرة فهو من حسنات الدنيا[2].

قوله: (هي الجنة) أي: دُخولها بسلام بحيث يموتُ على الإسلام ولا يلحقُهُ حسابٌ ولا عذاب،

---

(١) أي: لو تأخر (أشد) على (ذكراً) لكان صفة له، والتقدير: أو ذكراً أشدَّ، وكذلك الجار والمجرور (كذكركم) له التقدير نفسه، ولكنهما تقدما على النكرة، فأعربا حالاً، فتقدير المصنف الآتي هو للوصفية لا للحالية.

(٢) في (أ): (حسنة الدنيا) بدل (حسنات الدنيا).

وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ....

﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بِعَدَمِ دُخُولها، وهذا بَيانٌ لِما كانَ عليه المُشرِكُونَ ولِحالِ المُؤمِنِينَ، والقَصدُ بِه الحَثُّ على طَلَب خَيرَيِ الدَّارَينِ، كما وَعَدَ بِالثَّوابِ عليه بِقَولِه:

﴿٢٠٢﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: ثَوابٌ ﴿مِّـ﴾ـن أجلِ ﴿مَا كَسَبُواْ﴾: عَمِلُوا من الحَجِّ والدُّعاءِ، ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يُحاسِبُ الخَلق كُلَّهم في قَدرِ نِصفِ نَهار مِن أيَّام الدُّنيا؛ لِحَديثٍ بِذلكَ.

حاشية الصاوي

ويرى وجهَ الله الكريم، وهذا أحسَنُ ما فسرَ به حسنة الدنيا والآخرة، وهو معنى قوله في الحديث لعائشة: «سَلي اللهَ العافيةَ في الدارَين»[1].

قوله: (﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾) من عطف اللازم على الملزوم، وأصلُ (قِنا): أوقِنا، حذفت الواو لوقوعها بين عدوَّتَيْها في المضارع[2]، ثم حذفت الهمزة للاستغناء عنها؛ لأنه أُتيَ بها توصُّلاً للنطق بالساكن وقد زال، وقد ورد: أن المؤمن الناجي يكون بينه وبين النار مسيرةُ خمسِ مئةِ عامٍ عرضاً وعمقاً.

قوله: (بعدم دخولها) أي: أصلاً، فلا ندخلُها ولا نراها.

قوله: (لما كان عليه المشركون) أي: وهو الأول، وقوله: (ولحال المؤمنين) أي: وهو الثاني.

قوله: (الحثُّ على طلب خير الدارين) أي: لا التخييرُ بين كونه يدعوه بشيء يُؤتاه في الدنيا فقط أو بحسنة الدنيا والآخرة، ولخسَّةِ الأوَّل في دعائهم لم يبين اللهُ ما طلبُوه في الدنيا.

قوله: (ثواب) أي: على الطلب، فيؤتون سُؤْلَهم ويزادون ثواباً على طلبهم ذلك؛ لأنَّ الدعاءَ مخُّ العبادة[3].

قوله: (في قدْرِ نصف نهار) بل قد وردَ: أنه في مقدار ساعة، بل وردَ أيضاً: أنه كلمح البصر، وذلك كنايةٌ عن عظيم قدرته، فمن كان هذا وضعه ينبغي أن يُتَّقى ويخشى، وما من أحد

(١) روى النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٤٨) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لو علمتُ أيُّ ليلة ليلةُ القدر لكان أكثر دعائي فيها أن أسألَ الله العفوَ والعافية».

(٢) وهما الياء والكسرة في قولنا: وقاه يَوْقِيه، ثم قيل: يَقيه، والأمر قِه.

(٣) كما روى ذلك الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس رضي الله عنه.

وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ ....

﴿٢٠٣﴾ ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بِالتَّكبيرِ عِند رَمي الجَمَراتِ ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: أيّامِ التَّشرِيق الثَّلاثةِ، ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استَعجَلَ بِالنَّفرِ مِن مِنًى ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيّام التَّشريق بعدَ رَمي جِمارِهِ، ....

حاشية الصاوي

من المحاسبين إلا ويرى أنه لا محاسبَ غيرُه، وذلك من انفضاض الموقف الذي تدنو الشمس فيه من الرؤوس، ويسيلُ العرقُ في الأرض سبعين ذراعاً، وتكونُ النار حولَ الخلائق، وتحيطُ الملائكةُ بالمخلوقات فيكونُون سبعَ صفوف يحولون بينهم وبين النار[1]، وهو يختلفُ باختلاف الناس، نسألُ اللهَ السلامةَ من أهواله.

قوله: (عند رمي الجمرات) أي: عند رمي كلِّ حصاة من حصَيات الجمار يقولُ: اللهُ أكبر، وكذلك عقب الصلوات، وعند الذبح بأن يقول: باسم الله والله أكبر، اللهمَّ إن هذا منك وإليك.

قوله: (أي: أيامِ التشريق الثلاث) أي: وهي ثاني يوم النحر وتالياه، وأما يومُ النحر فمَعلومٌ للذبح غيرُ معدود للرمي، واليومان بعده معلومان مَعدودان، والرابعُ معدودٌ غيرُ معلوم عند مالك وأبي حنيفة، وعند الشافعي معلومٌ أيضاً، وما ذكره المفسِّر من أن المرادَ بالأيام المعدودات: أيامُ التشريق الثلاث هو ما عليه مالكٌ والشافعي، وإطلاقُ التشريق على الثلاث اعتبارٌ بمذهب الشافعي، والحاصلُ: أن يوم النحر يفعلُ فيه رمي جمرة العقبة ثم النحر ثم الحَلق ثم طواف الإفاضة، وفي الثاني يرمي ثلاثَ جمرات يبدأُ بالتي تلي مسجد منى ثم الوسطى ثم يختم بالعقبة، وكذا في الثالث والرابع إن لم يتعجَّل.

قوله: (أي: في ثاني أيام التشريق) دفعَ بذلك ما يتوهم أنَّ له التعجُّلَ في كلٍّ من اليومين مع أنه لا معنى له.

قوله: (بعد رمي جِماره) أي: وهو بعد الزوال، ومحلُّ التخيير إن لم تغرُبْ عليه الشمس وهو بمنى، وإلا.. فيلزمه المبيتُ بها لرمي الثالث، وأصل مَشروعية الرمي عند أمر إبراهيم الخليل بذبح ولده، فلمَّا توجَّهَ به لمنى تعرَّضَ له الشيطان عند المسجد فرماه بسبع حصيات، ثم تعرَّضَ له عند

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٨) عن الضحاك بن مزاحم.

فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ....

﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾ بِالتَّعجيلِ، ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بِها حَتَّى باتَ لَيلةَ الثَّالِث ورَمَى جِمارَه ﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ﴾ بِذلك، أي: هُم مُخَيَّرُونَ في ذلك، ونَفيُ الإثم ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ اللهَ في حَجِّه؛ لِأَنَّهُ الحاجُّ في الحَقِيقَة، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ في الآخِرَة فيُجازِيكُم بِأعمالِكُم.

﴿٢٠٤﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ ولا يُعجِبُك في الآخِرةِ لِمُخالَفَتِه لِاعتِقادِه، ﴿وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ﴾ أنَّهُ مُوافِقٌ لِقَولِه، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾: شَدِيدُ الخُصُومَة لَك ولِأتباعِك لِعَداوَتِه لَك، ....

حاشية الصاوي

الوسطى فرماه أيضاً بسبع، ثم تعرَّضَ له عند العقبة فرماه أيضاً بسبع[1]، فهو ممَّا زال سببُهُ وبقيَ حكمُه.

قوله: (﴿فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ﴾) أي: لا حرجَ لأنه رخصة.

قوله: (أي: هم مخيرون) جوابٌ عن سؤال، وهو أن المتأخِّر أتى بالمطلوب فكيف ينفي عنه الإثم؟! وأجيبَ أيضاً: بأن ذكرَ الإثم في جانب المتأخِّر مشاكلةٌ، وأجيبَ أيضاً: بأنه ردٌّ على من زعمَ من الجاهلية أنَّ على المتعجِّل الإثمَ، وعلى من زعمَ منهم أن على المتأخِّر الإثمَ.

قوله: (ونفيُ الإثم ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ خبرٌ لمحذوف، قدَّره بقوله: (ونفيُ الإثم).

قوله: (لأنه الحاجُّ على الحقيقة) وفي نسخة: (في الحقيقة) أي: لاستكماله الشروط والآداب، وأما غيرُ المتقي فعليه الإثم مطلقاً، تعجَّلَ أو تأخَّرَ؛ كالحاجِّ بالمال الحرام ومرتكبِ المعاصي.

قوله: (فيجازيكم بأعمالكم) أي: إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾) معطوفٌ على قوله: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ...﴾ الآية، فقد

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/٣٠٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ ....

وهو الأخنَسُ بن شَرِيقٍ، كانَ مُنافِقاً حُلوَ الكَلام لِلنَّبِيِّ ﷺ، يَحلِف أَنَّهُ مُؤمِنٌ بِه ومُحِبٌّ لَهُ، فيُدنِي مَجلِسَه، فأكذَبَهُ الله في ذلك، ومَرَّ بِزَرعٍ وحُمُر لِبَعضِ المُسلِمِينَ، فأحرَقَهُ وعَقَرَها ليلاً، كما قال تَعالى:

﴿٢٠٥﴾ ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: انصَرَفَ عَنك ﴿سَعَىٰ﴾: مَشَى ﴿فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ مِن جُملَة الفَسادِ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أي: لا يَرضَى بِه.

﴿٢٠٦﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فِعلِك، ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾: حَمَلَتهُ الأنَفَةُ والحَمِيَّة

حاشية الصاوي

قسمَ اللهُ الناسَ على أربعة أقسام: الأول من يطلبُ الدنيا لا غير، ومنهم من يطلبُ الدنيا والآخرة، ومنهم من يظهرُ أنه من أهل الآخرة مع أنه في الواقع من أهل النار، ومنهم من هو مؤمنٌ ظاهراً وباطناً، وذكرهم على هذا الترتيب.

قوله: (الأخنس ابن شَرِيق) هذا لقبه، واسمه أُبَيٌّ، وكان يتبعه ثلاث مئة منافق من بني زهرة، وسبب تَلقيبه بالأخنس أنه اختفى يومَ بدر هو وجماعته، فقال لهم: إن انتصرَ محمدٌ فالعزة لكم لعدم ظهور العداوة منكم، وإن انتصرَ الكفارُ فقد كُفيتموه[1].

قوله: (حلو الكلام) أي: والمنظر.

قوله: (ليدني مجلسه) أي: فيقربه منه، وفي الحديث: «إنا لنبشُّ في وجوه قومٍ وقلوبُنا تَلعنُهم»[2]. قوله: (فأكذبه الله في ذلك) أي: في دَعواه وفي حلفه.

قوله: (وحُمُر) جمع حمار.

قوله: (وعقرها) أي: قطعَ أرجلها.

قوله: (﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾) علةٌ لقوله: ﴿سَعَىٰ﴾.

قوله: (﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾) تفصيلٌ للإفساد.

---

(١) وعدَّه الحافظ في «الإصابة» من الصحابة وأنه عاد بعد رِدته للإسلام، وكان من المؤلفة قلوبهم.

(٢) علَّقه البخاري (٨/ ٣١) من كلام أبي الدرداء ﷺ.

بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ....

على العَمَل ﴿بِٱلْإِثْمِۚ﴾ الذي أُمِرَ بِاتِّقائِه، ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾: كافِيهِ ﴿جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِراشُ هيَ.

﴿٢٠٧﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى﴾: يَبِيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: يَبذُلُها في طاعةِ الله ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ﴾: رِضاهُ، وهو صُهَيبٌ، لَمَّا آذاهُ المُشرِكُونَ هاجَرَ إلى المَدِينةِ وتَرَكَ لَهُم مالَه، ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ حَيثُ أرشَدَهم لِما فِيه رِضاهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِٱلْإِثْمِۚ﴾) الباء للملابسة، والإتيان بقوله: ﴿بِٱلْإِثْمِۚ﴾ يُسمَّى عند علماء البديع تتميماً؛ لأنه ربما يتوهم أن المرادَ عزَّةٌ ممدوحةٌ.

قوله: (﴿وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾) أي: إن الله جعلَ له جهنمَ غطاءً ووطاء، فأكرمه كما تكرم أمُّ الصبي ولدَها بالغطاء والوطاء اللينين، وذلك من باب التهكُّم.

قوله: (وهو صهيب) أي: ابنُ سنان الرومي، حين أسلم تعرَّضَ له المشركون وآذَوه، فقال: إني رجلٌ كبير مسكين ليس بنافعكم، وفراري ليس بضاركم، فإن كان من جهة المال فها هو، فتركه وهاجر لرسول الله، وقد مدحَهُ رسولُ الله بقوله: «**نِعم العبدُ صهيبٌ، لو لم يخفِ اللهَ لم يَعصه**»[1]؛ أي: لو انتفى عنه خوف الله لا يقعُ منه عصيانٌ؛ لأنَّ طاعته محبةٌ في الله، لا طمعاً في جنةٍ ولا خوفاً من نار.

قوله: (حيث أرشَدهم لما فيه رضاه) أي: فقد جعل النعيمَ الدائم في نظير العملِ القليل؛ فإن الخلود في الجنة جزاءُ كلمة الإخلاص، ومن جملة رَأفته مضاعفةُ الحسنات، وعدمُ مضاعفة السيئات، وعدمُ مؤاخذة من كفرَ خوفَ القتل، وقبولُ التائب وإن بالغَ في العصيان وطالَ زمانُه.

---

(١) أورده مع تفسيره الآتي أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/ ٣٩٤) من كلام عمر ﷺ، والمشهور بمدحه قوله عليه الصلاة والسلام كما روى الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٩٨) بعد هذه الحادثة: «يا أبا يحيى؛ ربح البيع» قالها ثلاثاً.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ ......

﴿٢٠٨﴾ ونَزَلَ في عَبد الله بن سَلام وأصحابِه لَمَّا عَظَّمُوا السَّبتَ، وكَرِهُوا الإبِلَ بعد الإسلام: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسَّلْمِ﴾ ـ بِفَتحِ السِّين وكَسرِها ـ: الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾ ـ حالٌ مِن ﴿ٱلسِّلْمِ﴾ ـ أي: في جَمِيع شَرائِعِه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ﴾: طُرُق ﴿ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ أي: تَزيِينه بِالتَّفرِيقِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في عبد الله بن سلام) أي: وكان من أحبارِ اليهود[١].

قوله: (وأصحابه) أي: الذين أسلمُوا معه من اليهود.

قوله: (لما عظموا السبت) أي: احترموه بتحريم الصيدِ فيه كما كانَ في شرعِ موسى.

قوله: (وكرهوا الإبل) أي: حيث حرَّموا أكلَ لحومها وشربَ ألبانها.

قوله: (بعد الإسلام) أي: بعد أن دخلوا في الإسلام لم يتمسَّكوا بجميع شرائعه، فوبَّخهم الله على ذلك.

قوله: (بفتح السين وكسرها) قراءتان سبعيَّتان هنا وفي (الأنفال) و(القتال)[٢]، لكن الأكثر هنا الكسر، وما هناك العكس، وقوله: (الإسلام) إشارة لمعناه هنا على القراءتين، وأما في (الأنفال) وفي (القتال) فمَعناه الصلح.

قوله: (حال من ﴿ٱلسِّلْمِ﴾) أي: وهو يذكر ويؤنث؛ فلذا أتى بالتاء في ﴿كَآفَّةً﴾، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾.

قوله: (أي: تزيينه) أي: تحسينه الأمورَ لكم، والمعنى: لا تتَّبعوا طرقَ الشيطان التي يزيِّنُها لكم بوَسوسته.

قوله: (بالتفريق) أي: بأن تتبعوا محمداً في أمورٍ وموسى في أمورٍ أُخَر.

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٣٥٥)، و«الوسيط» للواحدي (١/ ٣١٢).

(٢) قرأ نافع وابن كثير والكسائي بفتح السين في (السلم)، وقرأ الباقون بكسرها، وكذلك في «الأنفال»: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ﴾، وفي «القتال» أي: «سورة محمد»: ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾. انظر «البحر المحيط» (٢/ ١٣٠).

إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ ....

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: بَيِّنُ العَداوةِ.

﴿٢٠٩﴾ ﴿فَإِن زَلَلۡتُم﴾: مِلتُم عَن الدُّخول في جَميعِه، ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجَجُ الظَّاهِرةُ على أنه حَقٌّ، ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجِزهُ شَيءٌ عَن انتِقامِه مِنكُم، ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه.

﴿٢١٠﴾ ﴿هَلۡ﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: يَنتَظِر التَّارِكُونَ الدُّخُولَ فِيه ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أمرُه، كقَولِه: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ [النحل: ٣٣] أي: عَذابُه، ﴿فِي ظُلَلٖ﴾: جمع (ظُلَّةٍ)

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾) تعليلٌ لما قبله، والعدو: هو الذي يسرُّهُ ما يضرُّك، ويضرُّهُ ما يسرُّك.

قوله: (بيِّنُ العداوة) من: أبان اللازم، والمعنى: أن عداوته بيِّنةٌ وظاهرةٌ لمن نوَّرَ الله بصيرته وأراد به خيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

قوله: (عن الدخول في جميعه) أي: جميعِ أحكامه.

قوله: (﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾) إن قلتَ: إن الزلل لا يكون إلا بعد مجيئها! أجيبَ: بأن المرادَ بمجيئها ظهورُها ظهوراً بيِّناً.

قوله: (لا يُعجزه شيء) أي: فلا تُفلتون منه.

قوله: (﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه) أي: يصنعُ الأشياءَ في محلِّها، ومنه عذابُ المفرِّق.

قوله: (﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾) الاستفهامُ هنا إنكاريٌّ توبيخي.

قوله: (الدخول فيه) أي: في جميع أحكامه.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾) استثناءٌ مفرَّغ، والمعنى: لا ينتظرون شيئاً إلا إتيانَ الله في ظُلَل.

قوله: (أي: أمره) دفعَ بذلك ما يُقال: إن الإتيانَ بمعنى الانتقال من صفات الحوادث، وهي مستحيلةٌ على الله تعالى.

قوله: (﴿فِي ظُلَلٖ﴾) ظرفٌ للإتيان المذكور، والمعنى: أن اللهَ يُرسلُ عليهم العذابَ في صورة

مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم ....

﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾: السَّحابِ ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾: تَمَّ أمر هَلاكِهِم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ - بِالبِناءِ لِلمَفعُولِ والفاعِلِ - في الآخِرةِ، فيُجازِي كُلًّا بِعَمَلِه.

﴿٢١١﴾ ﴿سَلْ﴾ يا مُحَمَّدُ ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تَبكِيتاً: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ - ﴿كَمْ﴾ استِفهامِيَّة مُعَلِّقَةٌ ﴿سَلْ﴾ عَن المَفعُول الثَّاني، ....

حاشية الصاوي

الرحمة، وذلك لأنَّ شأنَ السحاب الرقيق أن تأتيَ بالأمطار التي يكون فيها منافعُ لهم، وذلك مكرٌ عظيم مِن الله بهم.

قوله: (﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) عطفٌ على لفظ الجلالة، والمعنى: أن إتيانَ الملائكة مصاحبٌ لعذاب الله المظروف في السحاب الرقيق، وقُرِئَ شاذًّا بجرِّ (الملائكة)، واختلفوا في عطفه؛ فقيل: معطوف على ﴿ظُلَلٍ﴾، وقيل: على ﴿ٱلْغَمَامِ﴾[1].

قوله: (﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾) عبَّر بالماضي؛ لِتحقق وقوعه، وإلا.. فالمقام للمضارع؛ لمناسبة ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ و﴿يَنظُرُونَ﴾، وهذا وعيدٌ عظيم لكلِّ من لم يستجمِعْ أحكامَ الإسلام، فالعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قوله: (فيجازي كلًّا بعمله) أي: فيحاسبكم على النَّقير والقطمير، ويؤولُ أمرُكم إلى جنة أو إلى نار.

قوله: (﴿سَلْ﴾) أصله: اسأل، نُقلت فتحةُ الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها، فسقطت تلك الهمزةُ تخفيفاً، ثم سقطت همزة الوصل لِلاستغناء عنها، فصار وزنه: فَلْ.

قوله: (تبكيتاً) أي: تقريعاً وتوبيخاً لا للاستفهام منهم، وهذا تسليةٌ لرسول الله ﷺ؛ أي: فلا غرابةَ في عدم إيمانهم بك؛ فإننا أتيناهم آياتٍ بيناتٍ على يد موسى فلم يُؤمنوا ولم ينقادوا.

قوله: (معلِّقةٌ ﴿سَلْ﴾ عن المفعول الثاني) التعليقُ هو: إبطالُ العملِ لفظاً لا محلًّا، والإلغاءُ: إبطالُهُ لفظاً ومحلًّا، فتكون جملة ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ في المعنى في محلِّ المفعول الثاني لـ﴿سَلْ﴾.

---

(١) قراءة الجر قرأ بها الحسن وأبو حيوة وأبو جعفر وهي شاذة، والجمهور بالرفع. انظر «البحر المحيط» (٢/ ١٣٤).

مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟

وهيَ ثانِي مَفعُولَي (آتينا)، ومُميِّزُها: - ﴿مِّنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍۗ﴾ ظاهِرَةٍ، كفَلَقِ البَحر وإنزالِ المَنِّ والسَّلوَى، فبَدَّلُوها كُفراً، ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أنعَمَ بِهِ عليه مِن الآياتِ لِأنَّها سَبَبُ الهِدايَة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ كُفراً، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لَهُ.

﴿٢١٢﴾ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: إن التعليق مختصٌّ بأفعال القلوب، و(سَلْ) ليست منها! أجيبَ: بأنها سببٌ للعلم والعِلم منها.

قوله: (وهو ثاني مفعول «آتينا») أي: (كم)، ومفعولُها الأول الهاء من (هم).

قوله: (ومميزُها) أي: مميزُ (كَمْ).

قوله: (كفلق البحر) أي: اثني عشرَ طريقاً.

قوله: (وإنزال المَنِّ والسلوى) أي: وهم في التِّيه حين أُمروا بقتال الجبَّارين.

قوله: (فبدَّلوها كفراً) هذا إشارةٌ للبدل، والمعنى: أن اللهَ يأتيهم بالآياتِ فيبدِّلونها بالكفر.

قوله: (﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾) (مَنْ): شرطيةٌ، و﴿يُبَدِّلْ﴾: فعلُ الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ جوابُهُ.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾) أي: اتَّضحَت وثبتت له.

قوله: (كفراً) هذا هو المفعول الثاني، وقد صرَّح به في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨].

قوله: (له) قدَّرَهُ المفسِّرُ لصحة جعل الجملة جوابَ الشرط.

قوله: (﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) ﴿زُيِّنَ﴾: فعلٌ ماضٍ مبني للمفعول، ونائبُ الفاعل قولُهُ: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾، و﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: متعلِّقٌ بـ﴿زُيِّنَ﴾، وفاعل الزينة حقيقةً هو الله، والشيطان مجازاً، وقُرِئَ ببناء الفعل للفاعل، و﴿ٱلْحَيَوٰةَ﴾: مفعول، والفاعل ضمير يَعود على الله أو الشيطان، وجُرِّدَ الفعل من العلامة لكون نائب الفاعل مجازيَّ التأنيث، سيَّما مع وجود الفاصل.

﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ ....

مِن أهلِ مَكَّةَ ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بِالتَّموِيهِ، فأحَبُّوها، ﴿وَ﴾ هُم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لِفَقرِهِم، كبِلالٍ وعَمَّارٍ وصُهَيب، أي: يَستهزِئُون بِهِم ويَتَعالَونَ علَيهم بِالمالِ، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشِّركَ وهُم هؤلاءِ ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رِزقاً واسِعاً في الآخِرَة ....

حاشية الصاوي

قوله: (من أهل مكة) تخصيص بحسَب السبب، وإلَّا.. فكلُّ كافرٍ كذلك.

قوله: (بالتمويه) أي: التحسينِ الظاهري الذي باطنُهُ قبيحٌ.

قوله: (﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾) قدَّره المفسِّرُ؛ إشارةً إلى أن الجملة حاليَّة، قال ابن مالك: [الرجز]

وذاتَ واوٍ بَعْدَها انْوِ مُبْتَدَا ... لَهُ المُضارِعَ اجْعَلَنَّ مُسْنَدَا[1]

قوله: (لفقرهم) أي: لتركِهم الدنيا وإقبالِهم على الآخرة.

قوله: (كعمار) أي: بنِ ياسر.

قوله: (وبلال) أي: الحبشي، لما أسلمَ عُذِّبَ في الله عذاباً شديداً[2]، وقوله: (وصُهيب) تقدَّمت قِصته[3].

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾) جملة حالية.

قوله: (﴿فَوْقَهُمْ﴾) أي: حسًّا؛ لكونهم في الجنة وهي عالِية وجهنمُ سافلة، ومعنًى؛ لكونهم مكرَّمين والكفارُ مُهانون.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ﴾) جملةٌ مستأنفة كالدليل لما قبلَها.

قوله: (أي: رزقاً واسعاً في الآخرة) أي: لما في الحديث: «**لَموضعُ سوطِ أحدِكم في الجنةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها**»[4].

---

(١) «الخلاصة» (باب الحال)، وهذا كقولهم: قمتُ وأصكُّ عينه، فهنا يجب تقدير مبتدإٍ بعد الواو؛ أي: وأنا أصكُّ.

(٢) رواه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٢٣٢)، وبعضه عند الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٨٤).

(٣) قريباً (١/ ٣٤٠).

(٤) رواه البخاري (٣٢٥٠) من حديث سهل الساعدي رضي الله عنه.

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ....

أو الدُّنيا، بِأن يُملِّكَ المَسخُورَ مِنهم أموالَ السَّاخِرِينَ ورِقابَهم.

﴿٢١٣﴾ ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الإيمانِ، فاختَلَفُوا بِأن آمَنَ بَعضٌ وكَفَرَ بَعض، ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إلَيهِم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَن آمَنَ بالجَنَّةِ، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَن كَفَرَ بِالنَّارِ، ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بِمَعنَى الكُتُب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ ـ مُتَعَلِّق بِـ(أنزَل) ـ؛ ﴿لِيَحْكُمَ﴾ بِه ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: **(أو في الدنيا)** هذا تفسير آخر، وقوله: **(بأن يملكَ المسخورُ منهم... إلخ)** أي: وقد حصل ذلك بعد الفتح وفي الغزوات؛ فإنه ما من غزوة إلا ويأخذُ منهم الأموال والرقاب في تلك الغزوة، بل زادهم اللهُ بأن ملَّكَهم رقابَ الملوك وأموالهم، والحاصلُ: أنَّ رزقَ المؤمن في الدنيا بغير حساب بخلاف الكافر، وفي الحديث: «**أبى اللهُ أنْ يَرزقَ عبدَهُ المؤمنَ إلا مِنْ حيثُ لا يحتسبُ**»[1]، وأما في الآخرة فالأمرُ ظاهر.

قوله: (﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾) أي: في مبدإِ الدنيا من آدم إلى إدريس، وقيل: من آدمَ إلى نوح، والمعنى: إنهم كانوا على الحقِّ ولا اختلافَ بينهم في تِلك المدة، وقيل: كانوا على باطلٍ في تلك المدة وهو ضعيف؛ ولِذا لم يعرِّجْ عليه المفسِّر.

قوله: **(بأن آمن بعض... إلخ)** أي: بعد ظهور نوحٍ أو إدريسَ.

قوله: **(من آمن)** هذا هو معمولُ ﴿مُبَشِّرِينَ﴾، وقوله: **(من كفر)** معمولٌ لـ﴿مُنذِرِينَ﴾.

قوله: (﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ﴾) أي: مع مجموعِهم، لا جميعِهم.

قوله: **(بمعنى الكتب)** أشار بذلك إلى أن (أل) جنسيَّة.

قوله: **(متعلِّق بـ«أنزل»)** أي: والباء لِلملابسة.

قوله: (﴿لِيَحْكُمَ﴾) يحتملُ عودُ الضمير على الله؛ لأنه الحاكم حقيقة، ويحتمل عَودُهُ على الأنبياء باعتبار كلِّ فردٍ من أفرادهم؛ أي: لِيحكم كلُّ نبيٍّ بين أُمته.

---

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٥٨٥)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١٧١٤)، وانظر «فيض القدير» (١/ ٧١).

وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ....

مِن الدِّين، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدِّينِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: الكِتابَ، فآمَنَ بَعض وكَفَرَ بَعضٌ، ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجَجُ الظَّاهِرَة على التَّوحِيد، ـ و﴿مِنۢ﴾ مُتعلِّقةٌ بـ﴿ٱخۡتَلَفَ﴾، وهيَ وما بَعدها مُقدَّم على الاستِثناء في المَعنَى ـ ﴿بَغۡيَۢا﴾ مِن الكافِرِينَ ﴿بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ﴾ ـ لِلبَيانِ ـ ﴿ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾: بإرادَتِه، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هِدايَتَه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾: طَريقِ الحَقِّ.

حاشية الصاوي

قوله: (من الدين) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾) استثناءٌ مفرَّغ، فالمستثنى منه محذوف؛ أي: وما اختلفَ فيه أحدٌ إلا الذين أُوتوه، والمعنى: لم يختلف في الدين أحدٌ إلا الذين أُوتوا الكتاب، فالاختلافُ في عهد إنزالِ الكتب، وذلك يؤيِّدُ القولَ بأن الاختلافَ من زمن إدريسَ.

قوله: (وهي وما بعدها مقدَّم على الاستثناء) أي: فيكون المعنى: وما اختَلف في الدين أحدٌ من بعد ظهور الحُجَج الواضحة حالَ كون الاختلاف بغياً إلا الذين أُوتوه، وإنما جُعلَ مقدَّماً على الاستثناء لئلا يكون الاستثناء المفرَّغُ متعدِّداً مع أنه لا يكون كذلك؛ لأنه يَصير المعنى حينئذٍ: إلا الذين أُوتوه إلا من بعد ما جاءتهم البينات إلا بغياً بينهم!

قوله: (﴿بَغۡيَۢا﴾) أي: ظلماً وتعدياً.

قوله: (للبيان) أي: بيانِ الأمر الذي اختَلفوا فيه.

قوله: (بإرادته) أي: سبقت إرادتُهُ بهداية الذين آمنوا للحقِّ الذي اختَلف فيه الكفار.

قوله: (هدايتَهُ) أشارَ بذلك إلى أنه مفعولُ ﴿يَشَآءُ﴾، وأشار بذلك إلى أنَّ الهدايةَ والإضلالَ ليسا من فعل الإنسان، بل بخلق الله، ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

قوله: (طريق الحق) أي: دينِ الإسلام، سُمِّيَ طريقاً لأنه يُوصل للمقصود، كما أن الطريقَ كذلك.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ ....

﴿٢١٤﴾ ونَزَلَ في جَهدٍ أصابَ المسلِمِينَ: ﴿أَمْ﴾ بَل أ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: لَم ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾: شَبهُ ما أتى ﴿الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم﴾ مِن المُؤمِنِينَ مِن المِحَن، فتَصبِرُوا كما صَبَرُوا؟ ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ - جُملَة مُستَأنَفةٌ مُبَيِّنَة ما قَبلها - ﴿الْبَأْسَاءُ﴾: شِدَّةُ الفَقر، ﴿وَالضَّرَّاءُ﴾: المَرَضُ، ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: أُزعِجُوا بِأنواعِ البَلاء، ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ - بِالنَّصبِ والرَّفع -

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل في جَهْد) هو بالفتح المشقَّةُ.

قوله: (أصابَ المسلمين) قيل: كان ذلك في غَزوة الأحزاب حين حاصرَ الكفَّارُ المدينةَ واحتاطوا بها، وقَطعوا عنها الوارد، ولم يكن بينهم وبين دخولها إلا الخندقُ، وكانوا إذ ذاك عشرةَ آلاف مقاتل، فاشتدَّ الكرب والخوف على المسلمين، سيَّما مع وجود ثلاث مئة منافق بين أظهرهم، فنزلت الآية[1].

قوله: (﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾) قدَّرَ المفسِّرُ (بل) إشارةً إلى أن (أم) منقطعة، والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والمقصود منه تقويتُهم على الصبر.

قوله: (لم) قدَّرها إشارةً إلى أن (لما) نافيةٌ بمعناها.

قوله: (ما أتى) قدَّرَ ذلك المضاف؛ إشارةً إلى أن الشبهَ في الأمر الذي أتاهم، لا في الذَّوات.

قوله: (﴿مِن قَبْلِكُم﴾) تأكيد لـ﴿خَلَوْا﴾.

قوله: (من المحن) بيانٌ لـ(ما أتى).

قوله: (بالنصب والرفع) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]، والنصبُ بـ(أن) مُضمرة، و(حتى) بمعنى إلى، وهي تنصبُ المضارع إذا كان مستقبلاً، ولا شكَّ أن القولَ مستقبلٌ بالنسبة لِلزلزال.

إن قلتَ: إن القول والزلزال قد مضى! **فالجواب**: أنه على حكاية الحال الماضية، وأما الرفعُ فهو بناءً على أن الفعل بعدها حالٌ مقارن لما قبلها، والحال لا ينصب بعد (حتى)، فتحصَّلَ أن لها

(١) وهو قول السدي وقتادة كما روى الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٨٩).

(٢) قرأ نافع بالرفع، والجمهور بالنصب. انظر «البحر المحيط» (٢/ ١٤٩).

﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾

أي: قالَ ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ استبطاءً لِلنَّصر لِتَّناهي الشدَّة عليهِم: ﴿مَتَىٰ﴾ يَأتِي ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ الذي وُعِدناهُ؟ فأُجِيبُوا مِن قِبَل الله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ إتيانُهُ.

٢١٥ ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يا مُحمَّدُ: ﴿مَاذَا﴾ أي: الَّذي ﴿يُنفِقُونَۖ﴾هُ، والسَّائِلُ عَمرُو بن

حاشية الصاوي

بعد حتى ثلاثة أحوال: إما أن يكون مستقبلاً أو ماضياً أو حالاً، فالأول ينصب، والأخيران يُرفعان[1].

قوله: (﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾) قدَّر المفسِّرُ (يأتي) إشارةً إلى أن ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾ فاعلٌ بفعل محذوف، ولكن الأحسن جعله مبتدأ مؤخَّراً، و﴿مَتَىٰ﴾ خبرٌ مقدَّم، وليس قولُ الرسول قلقاً وعدمَ صبرٍ، بل ذلك دعاءٌ وطلبٌ لِما وعده الله به.

قوله: (﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾) أُخذَ من ذلك أنه إذا اشتدَّ الكربُ.. كان الدعاءُ بالفرج مستجاباً، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقد حقَّقَ الله ذلك سريعاً كما قال في سورة (الأحزاب): ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ [الأحزاب: ٩].

قوله: (﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾) أي: أصحابُك المسلمُون.

قوله: (﴿مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾) (ما): اسم استفهام مبتدأ، و(ذا): اسم موصول بمعنى الذي خبرُه، وجملةُ ﴿يُنفِقُونَ﴾ صلتُه، والعائدُ محذوف؛ أي: يُنفقونه، والمعنى: أن أصحابَك يسألونك عن الشيء الذي ينفقونه؛ هل يُنفقون ممَّا تيسَّر ولو حراماً، أو يَتحرَّون الحلال؟ وفي الآية حذفُ سؤال آخر دلَّ عليه الجوابُ، والتقديرُ: وعلى مَن يُنفقون؟ والسؤالُ عن صدقة التطوع بدليل الجواب.

قوله: (السائل عمرو[2]) أي: وإنما جمع السائل في الآية؛ لأن التكليفَ لكلِّ مُسلم، فكان هذا السائلُ تُرجماناً عن كلِّ مسلم، وإنما اعتنى بذلك السؤالِ؛ لأن ٱلإنسانَ يومَ القيامة ورَدَ: أنه يُسألُ عن ماله من أين اكتَسبه؟ وفيمَ أنفقه؟[3]

---

(١) ولكن إن كان ماضياً فإن حكيته بحسب كونه حالاً فترفعه، أو بحسب كونه مستقبلاً فتنصبه. انظر «الفتوحات الإلهية» (١/ ١٧٠).

(٢) «الوسيط» للواحدي (١/ ٣١٨).

(٣) رواه الترمذي (٢٤١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾

الجَمُوحِ، وكانَ شَيخاً ذا مالٍ، فسَألَ النبيَّ ﷺ عَمَّا يُنفِقُ وعلى مَن يُنفِقُ، ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ بيان لِـ﴿مَآ﴾ شامِلٌ لِلقَلِيلِ والكَثِيرِ، وفِيه بَيانُ المُنفَقِ الذي هو أحَدُ شِقَّيِ السُّؤال، وأجابَ عَن المَصرِف الَّذي هو الشِّقُّ الآخَرُ بِقَولِه: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾ أي: هُم أولَى بِه، ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: إنفاقٍ وغَيرِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (فسأل النبي... إلخ) أي: وحينئذٍ ففي الآية اكتفاءٌ في السؤال، حيث حذفَ الشقَّ الثاني واكتفى بجوابه.

قوله: (﴿مِّنْ خَيْرٍ﴾) أي: حلال.

قوله: (الذي هو أحد شقي السؤال) أي: المذكور في الآية، وقوله: (وأجاب عن المَصْرِف... إلخ) أي: الذي سؤالُهُ مَطوي.

قوله: (﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾) أي: من أولاد وإخوة وأعمام وعمَّات، وهو من عطف العامِّ على الخاصِّ، وصرَّح بذكر الوالدين وإن دخلا في الأقربين اعتناءً بشأنهما.

قوله: (﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾) جمع يتيم، وهو من فقدَ أباه وهو دون البلوغ، وقدَّم اليتامى على المساكين لعجزهم عن التكسُّب.

قوله: (﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾) المرادُ بهم ما يشملُ الفقراء.

قوله: (﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ﴾) أي: الغريب المسافر.

قوله: (﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾) (ما): شرطية، و﴿تَفْعَلُوا۟﴾: فعلُ الشرط، وما بعد الفاء جوابه، وأتى بتلك الجملة طُمَأْنينةً للمؤمن في الاكتفاء بوعد الله في المجازاة؛ لأنه وعدَ بها، ووَعدُهُ لا يتخلَّفُ، ومع ذلك لا يغيبُ عن علمِهِ مثقالُ ذرَّة، فيلزمُ من علمه بالخير من العبد مجازاتُهُ عليه. والإسرارُ بنفقة التطوُّع أفضلُ؛ لأن صاحبَها من جملة مَن يظلُّهُ اللهُ في ظلِّ عرشه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه[1].

قوله: (وغيره) أي: كالكلام الليِّن الطيِّب.

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ ....

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمُجازٍ عليه.

﴿٢١٦﴾ ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ لِلكُفَّارِ ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾: مَكروهٌ ﴿لَّكُمْ﴾ طبعاً؛ لِمَشَقَّتِه، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لِمَيلِ النَّفس إلى الشَّهوات المُوجِبَة لِهَلاكِها، ونُفُورِها عَن التَّكليفات المُوجِبَة لِسَعادَتِها،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾) أي: وقد التزمَ جزاءَهُ، وحقيقٌ بأن ينجزَهُ.

قوله: (﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾) أي: وكان فرضُهُ بعد الهجرة، بعد أن نُهِيَ رسولُ الله عنه في نيفٍ وسبعين آية، وهو فرضُ عينٍ إن فجأ العدوُّ، وكفايةٍ إن لم يفجأْ بأن كان في بلده ونحن الطالبون له.

قوله: (للكفار الحربيِّين) وأما أهلُ الذمَّة فيحرمُ قتالُهم.

قوله: (طبعاً) أي: فهو مكروهٌ من جهة الطبع، ولا يلزمُ من كون الطبع يكرهُهُ أنه كارهٌ حكمَ الله به، بل هو من باب مخالفةِ النفس.

قوله: (﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾) الترجِّي في كلام الله ليس على بابه، بل هو للتحقيق؛ لأنه خبرُ مَنْ أحاطَ بكلِّ شيء علماً، و(عسى) هنا تامَّةٌ تكتفي بمرفوعها، قال ابنُ مالك: [الرجز]

بَعْدَ عَسَى اخْلَوْلَقَ أَوْشَكْ قَدْ يَرِدْ ... غِنًى بِأَنْ يَفْعَلَ عَنْ ثَانٍ فُقِدْ[1]

قوله: (﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) جملةٌ حالية من قوله: ﴿شَيْـًٔا﴾، أو صفةٌ له، واستُشكل كلٌّ منهما: بأن الحالَ لا يأتي من النكرة بدون مُسوِّغ، وبأن الصفةَ لا تقترنُ بالواو! وأجيبَ عن الأول: بأن إثبات الحال من النكرة بدون مسوِّغ قليلٌ، وعن الثاني: بأن الصفةَ أجريت مُجرى الحال في جواز اقترانها بالواو[2].

وقوله: (الموجبة لسعادتها) أي: فالسعادةُ في طاعة الله، والشقاوةُ في معاصيه.

---

(١) «الخلاصة» (باب أفعال المقاربة)، وفي (أ): (مثل عسى) بدل (بعد عسى)، والتصحيح من شروح «الخلاصة».

(٢) «الدر المصون» (٢/ ٣٨٨)، واستظهر النصب على الحالية.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ ....

فلعَلَّ لَكُم في القِتال وإن كَرِهتُمُوهُ خيراً؛ لِأنَّ فِيه إمَّا الظَّفَرَ والغَنِيمَة، أو الشَّهادَةَ والأجرَ، وفي تَركِه وإن أحبَبتُمُوهُ شَرًّا؛ لِأنَّ فِيه الذُّلَّ والفَقر وحِرمانَ الأجرِ، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ ما هو خَيرٌ لَكُم، ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك؛ فبادِرُوا إلى ما يَأمُرُكُم بِه.

﴿٢١٧﴾ وأرسَلَ النبيُّ ﷺ أوَّلَ سَراياهُ وعليها عَبدُ الله بن جَحْشٍ، فقاتَلُوا المشركينَ،

حاشية الصاوي

قوله: (إما الظفرَ والغنيمة) أي: لمن عاشَ، وقوله: (أو الشهادةَ والأجر) أي: لمن مات.

قوله: (لأن فيه الذلَّ) أي: بغلبة العدو علينا، وقوله: (والفقر) أي: لكونه يسلبُ مالَنا، وقوله: (وحرمان الأجر) أي: المترتِّب على الجهاد في سبيل الله، وهو مضاعفةُ الحسنات إلى سبع مئة ضعف، وغير ذلك ممَّا وعدَ اللهُ به المجاهدين.

قوله: (وأرسل النبي) هذا بيانٌ لسبب نزول هذه الآيات من هنا إلى آخرِ الرُّبْع.

قوله: (أوَّلَ سراياه) أي: وكانت تلك السريَّةُ إذ ذاك ثمانيةَ رجال، وقيل: اثني عشر، أرسلَهم النبيُّ لمحلٍّ يُقال له: نخلةُ جهةَ الطائف يتجسسون على الكفَّار ويأتون بأخبارهم، فبَينما هم في ذلك الموضع إذ مرَّت بهم عيرٌ لقريش من جهة الطائف ومعها أربعةُ رجال، فقتل أهلُ السرية أحدَ الأربعة، وأسرُوا اثنين، وهربَ واحد، وغنموا العيرَ وما عليها، وكان ذلك في آخر يوم من جُمادى الآخر قبل بدرٍ بشهرين[1].

واعلم: أن جملةَ سراياه وغزواتِهِ سبعون، والسريةُ: من خمسة رجال إلى أربع مئة، وما فوقَها يُقال له: جيشٌ، ثم صريحُ المفسِّر يقتضي أنه لم يكنْ قبلَها سرية، والذي ذكره في «المواهب»[2]: أن أوَّلَ سرية كانت في رمضان سابعَ شهرٍ من هجرته عليه الصلاة والسلام، والثانية في شوال، والثالثة في صفر، وهذه الرابعة، وغزا قبل تلك السرية ثلاثَ غزوات، إلا أن يُجاب عن المفسِّر بأن المرادَ بأول سراياه التي حصلَ منها القتلُ والغنيمةُ للكفار، وأما ما قبلها فلم يقَعْ فيها قتلٌ ولا غنيمة.

قوله: (وعليها عبد الله بن جحش) أي: أميراً، وهو ابنُ عمَّة رسول الله.

قوله: (فقاتلوا المشركين) أي: الذين كانوا مع العير.

---

(١) الخبر رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٥٢)، وانظر «تفسير الطبري» (٤/ ٣٠٥).

(٢) «المواهب اللدنية» (١/ ٢٠٠).

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ ....

وقَتَلُوا ابنَ الحضرَميِّ آخِرَ يوم مِن جُمادى الآخِرَةِ، والتَبَسَ عليهم بِرَجَب، فعَيَّرَهُم الكُفَّار باستِحلالِه، فنَزَلَ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾: المُحَرَّم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ ـ بَدَلُ اشتِمال ـ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عَظِيمٌ وِزراً ـ مُبتَدَأ وخَبَر ـ ﴿وَصَدٌّ﴾ ـ مُبتَدَأ ـ: مَنعٌ لِلنَّاسِ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينِه، ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ بالله، ﴿وَ﴾ صدٌّ عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: مَكَّةَ، ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ وهُم النَّبيُّ ﷺ والمُؤمِنُونَ، ـ وخَبَر المُبتَدَأ: ـ ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظَمُ وِزراً ..

حاشية الصاوي

قوله: (والتبس عليهم برجب) أي: حيث رأوا الهلالَ كبيراً، فالتبسَ عليهم هل هو ابنُ ليلة أو ليلتين؟

قوله: (فعيَّرهم الكفار باستحلاله) أي: حيث قال الكفار لِلمسلمين: أنتم قد استحللتم القتالَ في الأشهر الحُرُم.

قوله: (﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾) أي: سؤالَ اعتراض.

قوله: (بدل اشتمال) أي: من الشهر؛ إذ هو مشتملٌ على القتال لوقوعِهِ فيه.

قوله: (﴿كَبِيرٌ﴾) أي: إن كان عمداً.

قوله: (مبتدأٌ وخبر) أي: والمسوِّغُ وصفُهُ بالجار والمجرور.

قوله: (﴿وَ﴾ صدٌّ عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾) قدَّرَ ذلك المفسِّر؛ إشارةً إلى أنه معطوف على ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مسلَّطٌ عليه (صدٌّ)[1]، لكن يلزمُ عليه العطف على المبتدإِ قبل استكمالِ مسوِّغه![2] وأجيبَ: بأنه لا يلزمُ المحذور إلا إذا كان المعطوفُ أجنبيًّا من المعطوف عليه، وهنا ليس بأجنبي؛ لأنَّ الكفرَ والصدَّ عن سبيلِ الله والمسجدِ الحرام من وادٍ واحد.

قوله: (وخبر المبتدإِ) أي: وما عطف عليه، وإنما أفردَ الخبرَ؛ لأنه اسم تفضيل مجرَّدٌ، والقاعدةُ: أن اسمَ التفضيل إذا كان مجرَّداً أو مضافاً لنكرة فإنه يلزمُ أن يكون بلفظٍ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، قال ابن مالك: [الرجز]

---

(١) المعطوف المراد هنا هو قوله: (والمسجد الحرام) لا (وصدٌّ).

(٢) وعبارة العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ١٧٣): (وتعقب بأن عطف قوله: «وكفر به» على «صد» مانع؛ إذ لا يتقدم العطف على الصلة وهو «سبيل الله»، لوجود الفصل بأجنبي).

عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ....

﴿عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ مِن القِتال فِيه، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الشِّركُ مِنكُم ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ﴾ لَكُم فِيه، ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أيُّها المُؤمِنُونَ ﴿حَتَّىٰ﴾: كَي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ إلى الكُفرِ ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصَّالِحةُ ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ﴾، فلا اعتِدادَ بِها ولا ثَوابَ عليها، والتَّقييدُ بِالمَوتِ عليه يُفِيد أَنَّهُ لَو رَجَعَ إلى الإسلام لم يَبطُل عَمَلُه، فيُثابُ عليه، ولا يُعِيدهُ كالحَجِّ مَثَلاً، وعلَيهِ الشَّافِعِيُّ، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

حاشية الصاوي

وإنْ لِـمَـنْـكُـورٍ يُـضَـفْ أَوْ جُـرِّدا   أُلْـزِمَ تَـذْكِـيـراً وَأَنْ يُـوَحَّـدَا[1]

قوله: (﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾) المقصودُ من ذلك: تَحضيضُ المؤمنين على القتال.

قوله: (كي ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾) أشار بذلك إلى أن ﴿حَتَّىٰ﴾ للتعليل، والفعل منصوب بـ(أنْ) مُضمرة بعدها، و﴿عَن دِينِكُمْ﴾: متعلِّقٌ بـ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾.

قوله: (﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ۚ﴾) جملةٌ شرطية حذف جوابُها؛ لدلالة ما قبلَها عليه، ومفعولُها محذوف أيضاً؛ أي: إن استَطاعوا ذلك فلا يزالون يقاتلونكم.

قوله: (﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ﴾) هكذا القراءةُ هنا بالفكِّ لا غير، وأما في (المائدة) ففيها قراءتان؛ بالفكِّ والإدغام.

قوله: (أعمالهم الصالحة) أي: وأما السيئةُ فباقية يعذَّبون عليها.

قوله: (وعليه الشافعي) هذا ضعيفٌ، والمعتمَد عنده: أنه يرجعُ له عمله مجرَّداً عن الثواب[2]، وأما عند مالك وأبي حنيفة فهو كالكافر الأصلي إذا أسلَمَ، فلا يرجعُ شيءٌ من أعماله، ولا يؤمَرُ بالقضاء ترغيباً له في الإسلام، إلا ما أسلمَ في وقته فيفعلُهُ.

---

(١) «الخلاصة» (باب أفعل التفضيل).

(٢) كذا بيَّن العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ١٧٤).

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ....

﴿٢١٨﴾ ولَمَّا ظَنَّ السَّرِيَّة أنَّهُم إن سَلِمُوا مِن الإثم فلا يَحصُل لَهُم أجرٌ، نَزَلَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾: فارَقُوا أوطانَهم، ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاءِ دِينِه، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: ثَوابَه، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِلمُؤمِنِينَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

(﴿٢١٩﴾ - ﴿٢٢٠﴾) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾: ....

حاشية الصاوي

وثمرةُ الخلاف تظهرُ في صحابيٍّ ارتدَّ ثم عادَ للإسلام ولم تثبُتْ رؤيتُهُ للنبي بعد ذلك؛ هل ترجعُ له الصحبةُ مجرَّدةً عن الثواب؟ وعليه الشافعي، أو لا؟ وعليه مالك وأبي حنيفة، وأما زوجتُهُ فتبينُ منه وترجعُ له بالإسلام من غير عقد عند الشافعي، وعند مالك وأبي حنيفة: لا ترجعُ له إلا بالعقد، وحكمُ المرتدِّ عند مالك: أنه يُستتابُ ثلاثةَ أيام، فإن تابَ وإلَّا قُتل بعد غروب الثالث.

قوله: (ولما ظن السرية... إلخ) بل وردَ: أنهم سألوا النبيَّ عن ذلك[1].

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أي: وهُم عبد الله بن جحش ومَنْ معه.

قوله: (فارقوا أوطانهم) أشار بذلك إلى معنى الهجرة هنا.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾) أي: ومِن رحمته بهم غفرانُ خطاياهم، وقسمُ الغنيمة عليهم؛ فإنه نزل بعد هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ...﴾ [الأنفال: ٤١] الآية، فأخذَ رسولُ الله الخمسَ لبيت المال، وفرَّقَ عليهم الأربعةَ أخماس.

قوله: (﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾) السائلُ عمرُ بن الخطاب ومعاذُ بن جبل وجماعةٌ من الصحابة بقولهم: إن الخمرَ والميسر يُضيِّعان العقلَ والمال، فأفتِنا فيهما.

وحاصل ما وقعَ في الخمر في زمن رسول الله: أنه نزلَ فيه أربعُ آيات: الأُولى نزلت بمكة تدلُّ على حلِّهِ، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، ثم سأل عمرُ ومعاذٌ وجماعةٌ النبيَّ بالمدينة عن حكمه، فنزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ...﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية، فشربها قومٌ لقوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، وامتنعَ آخرون خوفاً من قوله: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٣١٩)، فسألوا أجر المجاهدين فأعطوه في هذه السرية.

القِمارِ: ما حُكمُهُما؟ ....

حاشية الصاوي

ثم إن عبدَ الرحمن بنَ عوف صنعَ طعاماً لبعض الصحابة، فأكلُوا وشربوا الخمر، فحضرت صلاةُ المغرب، فأمَّهُم واحدٌ منهم، فقرأ: (قل يا أيها الكافرون، أعبد ما تعبدون) بإسقاط (لا) إلى آخر السورة، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ...﴾ [النساء: ٤٣] الآية، فحُرِّمت في أوقات الصلاة دونَ غيرها.

ثم إن عتبانَ بن مالك صنعَ طعاماً لجماعة من الصحابة وفيهم سعدُ بن أبي وقاص، فأكلوا وشربُوا الخمرَ، فافتخروا وتناشَدوا الشعرَ، فأنشد سعدٌ قصيدةً يمدح فيها قومَهُ ويهجو الأنصار، فشجَّ رجلٌ منهم رأسَهُ، فرُفِعَ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال عمرُ: اللهمَّ بَيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً، فأنزل الله آية (المائدة) إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، فقال عمرُ: انتَهينا يا رب، فكان يومُ نزولها عيداً عظيماً[١].

والخمرُ: كلُّ مائع غيَّبَ العقلَ ولو من غير ماء العنب، وهو نجسٌ، وفيه الحدُّ قليلاً أو كثيراً، بل بالغ بعضُ المالكية في الحدِّ حيث أوجبه على من وَضعَ إبرةً فيه ومصَّها وبلعَ رِيقه[٢]، والحاصلُ: أن المتخذَ من ماء العنب نجسٌ يحرمُ قليلُه وكثيرُه، أسكرَ أم لا، ويُحدُّ شاربُه بإجماع، وأما المتخذُ من غيره من سائر المائعات التي دخَلتها الشدَّة المطربة.. فكذلك عند الأئمة الثلاثة وبعضِ الحنفية، وقال بعضُهم: لا يحرمُ منه إلا القَدر المسكر[٣]، وأما الجامدُ الذي يُغيِّبُ العقل كالحشيشة والأفيون والبنج والداتورة.. فطاهرٌ يحرمُ تعاطي القَدْر المغيِّب للعقل منه، وفيه الأدَب[٤].

قوله: (القمار) هو آلاتُ الملاهي التي يُلعبُ بها في نظير مال، فيشمل الطابَ والشطرنجَ والسيجة، وأما إن كان بغير مال ففيه خلافٌ، قيل: كبيرة، وقيل: صغيرة، وقيل: مكروه.

---

(١) رواه أبو داوود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٨/ ٢٨٦) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) والقول منقول عن الفاكهي في «شرح العمدة»، جاء في «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (٤/ ٣٥٢): (قال الشيخ إبراهيم اللقاني: إنه لا حدَّ في ذلك؛ لأن مثل هذا لا يسمَّى شرباً، والقول بحدِّه من التعمُّق في الدين).

(٣) وهو المعتمد عندهم، وانظر «الاختيار» (٤/ ٩٨) وما بعدها.

(٤) الداتورة: نبتة ثمرها مسكر، يقال لها: جوز ماثل، وانظر «تاج العروس» (ج و ز)، وقال الشيخ عليش في «منح الجليل» (١/ ٤٧٩): (استعمال قليلهما ـ البنج والداتورة ـ الذي لا يغيب العقل جائز، وكثيرهما الذي يُغيبه محرَّمٌ وموجبٌ للأدب بما يَردع المستعمل من ضرب أو غيره).

﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾﴾ ....

﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿فِيهِمَآ﴾ أي: في تَعاطِيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: عَظِيمٌ، ـ وفي قِراءة بِالمُثَلَّثَةِ ـ لِما يَحصُل بِسَبَبِهِما مِن المُخاصَمَة والمُشاتَمَة وقَولِ الفُحشِ، ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ بِاللَّذَّةِ والفَرَح في الخَمرِ، وإصابَة المال بِلا كَدٍّ في المَيسِر، ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ أي: ما يَنشَأُ عَنهما مِن المَفاسِد ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظَمُ ﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾. ولَمَّا نَزَلَت شَرِبَها قَومٌ وامتَنَعَ آخَرُونَ إلى أن حَرَّمَتها آيَة (المائِدة)، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: ما قَدرُه؟ ﴿قُلِ﴾: أنفِقُوا ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ أي: الفاضِلَ عَن الحاجَة، ولا تُنفِقُوا ما تَحتاجُونَ إلَيه وتُضَيِّعُوا أنفُسَكُم، ـ وفي قِراءة بِالرَّفعِ بِتَقدِيرِ: هو ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما بُيِّنَ لَكُم ما ذُكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: في تعاطيهما) لا حاجةَ له بعد تقدير: (ما حكمهما؟).

قوله: (بالمثلثة) أي: كثير[1].

قوله: (باللذة والفرح) أي: والقوّة على الجماع والشجاعة والكرم.

قوله: (إلى أن حرَّمتها آيةُ «المائدة») ظاهرُهُ أن آيةَ (المائدة) نزلت بعد هذه الآية، وليس كذلك، بل بينهما آيةُ (النساء).

قوله: (﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾) السائلُ عمرو بن الجموح المتقدِّمُ، فسأل أوّلاً عن جنس المال الذي ينفقُ منه وعلى مَنْ ينفقه، وسأل ثانياً عن القدر المنفَق، فلم يكن بين السؤالين تكرارٌ، وتقدَّم الجواب عن الجمع بأنه لما كان ذلك السؤالُ ينفعُ جميعَ الناس.. فكأنَّ السائلَ جميعُ الناس.

قوله: (وتضيِّعوا أنفسَكم) أي: فالإسرافُ مذموم، وكذا التقتير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ...﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

قوله: (قراءة بالرفع) أي: وهي لأبي عمرو من السبعة[2]، وسببُ القراءتين الاختلافُ في إعراب

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي، والباقون بالموحدة. انظر «الوسيط» للواحدي (١/ ٣٢٣).

(٢) انظر «البحر المحيط» (٢/ ١٦٨).

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ ....

﴿فِي﴾ أمرِ ﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾، فتأخذُونَ بالأصلَحِ لَكُم فِيهِما. ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾ وما يَلقَونَهُ مِنَ الحَرَجِ في شَأنِهم؛ فإن واكَلُوهُم يَأثَمُوا، وإن عَزَلُوا ما لَهُم مِن أموالِهم وصَنَعُوا لَهُم طَعاماً وَحدَهم ....

حاشية الصاوي

﴿مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾، فمن أعرب ﴿مَاذَا﴾ جميعها اسمَ استفهام معمولاً لـ﴿يُنفِقُونَ﴾.. فالجملةُ فعليةٌ، فيكون جوابها كذلك، فقوله: ﴿ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ بالنصب معمولٌ لمحذوف، والجملةُ في محلِّ نصب مقول القول؛ لأن القول لا ينصب إلا الجُمل وما قام مقامَها، ومن أعربَ (ما) وحدها اسمَ استفهام مبتدأ، و(ذا) اسمَ موصول خبره، وجملة ﴿يُنفِقُونَ﴾ صلته.. فالجملةُ اسميةٌ، فيكون جوابُها كذلك، فـ(العفوُ) بالرفع خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو العفوُ، والجملة على كلِّ حال مقول القول، وهذا هو المناسب، وإلا.. فيصحُّ جعلُ السؤالِ جملةً اسمية، والجوابِ جملةً فعلية وبالعكس.

قوله: (﴿فِي﴾ أمر ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾) أي: فتصلحوها، ولا تسرفوا ولا تقترُوا.

قوله: (﴿وَٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾) أي: فتصلحوها أيضاً بالأعمال الصالحة، فلا تشدَّدُوا حتى تملُّوا ولا تتركوا حتى تغفُلوا، بل التوسطُ مطلوبٌ في أمر الدنيا والآخرة.

قوله: (﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ﴾) سببُ نزولها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠] اشتدَّ الكرب على أولياء الأيتام، فشكَوا إلى رسول الله ذلك، فقالوا: يا رسول الله؛ إن خالَطناهم.. فبالضرورة لا بدَّ من أكل شيء من أموالهم، وإن عزلناهم.. فحرجٌ[1].

قوله: **(وما يَلقونه من الحرج)** هذا بيانٌ لوجه السؤال، كأنه قال: ويسألونك عمَّا يلقَون من الحرج الوارد في سورة (النساء).

قوله: **(فإن واكلوهم)** أي: خالَطوهم.

قوله: **(يأثموا)** أي: يقعوا في الإثم المترتِّب عليه الوعيد، وهذا بيانٌ لوجه الحرج.

قوله: **(وإن عزلوا مالَهم)** أي: مالَ اليتامى، وقوله: **(من أموالهم)** أي: الأولياءِ، ويصحُّ العكس.

---

(١) في (ط١): (وإن عزلناهم يلزم عليه المشقة على اليتامى وعلى أوليائهم، فنزلت الآية).

﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ ....

فحَرَجٌ، ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ في أموالِهم بِتنميَتِها ومُداخَلتِكُم ﴿خَيْرٌ﴾ مِن تَركِ ذلك، ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: تَخلِطُوا نَفَقتكُم بِنفَقتِهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهُم إخوانُكُم في الدِّين، ومِن شَأن الأخ أن يُخالِطَ أخاهُ، أي: فلَكُم ذَلك، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لِأموالِهم بِمُخالَطَتِه ﴿مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بِها، فيُجازِي كُلًّا مِنهُما، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لَضَيَّقَ عَلَيكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (فحرجٌ) أي: هو حرجٌ، فالجملةُ جوابُ الشرط.

قوله: (﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾) التنوينُ عوضٌ عن المضاف إليه؛ أي: إصلاحُكم لهم خير، والوعيدُ محمولٌ على الأكل بنيَّة الإفساد.

قوله: (بتنميتها) الباء: للسببية؛ أي: بسبب زيادتها بالاتِّجار فيها، وفي الحديث: «**اتَّجروا في أموال اليتامى لا تأكلُها الزكاة**»[1].

قوله: (ومداخلتِكم) أي: مخالطتكم لهم بأن تدخلوا أموالَهم في أموالكم.

قوله: (﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك) أي: العزلِ، واختُلف في تنمية مال اليتيم بالاتِّجار ونحوه، فقال مالكٌ: حفظُ ماله بأيِّ وجهٍ واجبٌ، والأولى أن يكونَ بالتنمية، فهي ليست واجبةً، وحمل حديثَ: «اتجروا» على الندب[2]، واسمُ التفضيل على بابه، فتركُ التنمية خيرٌ أيضاً، لكن الأولى التنمية، وقال الشافعي: تنميتُه والاتِّجارُ فيه على حسب الطاقة واجبٌ، وحمل الحديثَ على الوجوب، واسم التفضيل في الآية على غير بابه، فتركُ التنمية لا خيرَ فيه، بل هي المتعيِّنة.

قوله: (أي: فهم إخوانكم) أشارَ بذلك إلى أنه خبرٌ لمحذوف، والجملةُ جوابُ الشرط، وهذا من التعبير باللازم؛ ولذا أشار له المفسِّر بقوله: (أي: فلكم ذلك).

قوله: (﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾) أي: فيُدْخِل المفسدَ النارَ والمصلحَ الجنةَ، ودفع بذلك ما يُقال: ربما الأولياءُ يدَّعون الإصلاحَ بالخلطة والواقعُ غيرُ ذلك.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤١٥٢) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) والحديث عنده في «الموطأ» (١/ ٢٥١) بلاغاً عن عمر رضي الله عنه موقوفاً عليه.

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ . . . .

بِتَحريمِ المُخالَطة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالِبٌ على أمرِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه.

﴿٢٢١﴾ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾: تَتَزَوَّجُوا أيُّها المُسلِمُونَ ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ أي: الكافِراتِ، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (بتحريم المخالطة) أي: بأن يكلِّفَ الأولياءَ بعزل مال اليتيم وطعامه وشرابه، وإن تلفَ شيءٌ من ذلك فعلى الوَلي.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾) هذا كالتعليل لما قبله، فالمعنى: لو شاءَ الله عنتَكم لأعنتكم؛ لأنه غالبٌ على أمرِه.

قوله: (﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه) أي: يضع الشيءَ في محلِّه، فحيث أوجبَ اللهُ حفظَ مال اليتيم سوَّغَ المخالطة رفقاً بالأولياء، والحاصل: أنه يُخرج من تركة أبي الأيتام مؤنُ تجهيزه، وأما ما أوصى به من السبح والجُمَع.. فمِن ثلثه إن وسعه[1]، وأما إن لم يوصِ وقد جرت العادةُ بذلك والمالُ واسعٌ وفعل ذلك كبيرٌ رشيد.. فعند المالكية يلزم الأيتامَ ذلك، ولا يحرمُ الأكلُ منه حيث كان لا إسرافَ فيه، وعند الشافعي: لا يلزم الأيتامَ ذلك اتفاقاً، ويحرمُ الأكلُ منه إلا أن يُهديَ للأيتام ما يفي بما أكلَهُ.

قوله: (تتزوَّجوا) يشيرُ إلى أن المرادَ بالنكاح: العقدُ لا الوطءُ، ولم يردْ في القرآن بمعنى الوطء، وسببُ نزول الآية: أن رجلاً من الصحابة كان عاشقاً امرأةً في الجاهلية، فلما أسلمَ اجتمعَ بها في مكة بعد هجرة النبيِّ إلى المدينة، فراوَدته عن نفسه، فقال لها: قد حال بيني وبين ما تَطلبينه الإسلامُ، فقالت له: فهل لك في التزوُّج بي؟ فقال: حتى أستأذنَ رسولَ الله، فلمَّا أخبره نزَلت الآيةُ[2].

قوله: (أيُّها المسلمون) تفسيرٌ للواو في ﴿تَنكِحُوا۟﴾.

قوله: (الكافرات) أي: الغير الكتابيات، بدليل ما يأتي في المفسَّر.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾) فعلٌ مضارع مبنيٌّ على السكون لاتصاله بنون النسوة وهي فاعله، سُكنت وأدغمت في نون الفعل.

---

(١) السبح والجمع بعض ما اعتاده الناس من إطعام واجتماع لأهل الميت وغيرهم، وهو نافذ من الوصية.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٠٠)، والصحابي هو أبو مرثد الغنوي رضي الله عنه، والمرأة عناقٍ، وعند أبي داوود (٢٠٥١)، والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٦/ ٦٦) أن الخبر سبب نزول آية: ﴿وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.

خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ....

خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ حُرَّةٍ؛ لِأنَّ سَبَب نُزُولها العَيبُ على مَن تَزَوَّجَ أَمَةً وتَرغِيبُه في نِكاح حُرَّةٍ مُشرِكَة، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لِجَمالِها ومالِها، وهذا مَخصُوصٌ بِغَيرِ الكِتابِيَّات، بِآيَةِ ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥]، ﴿وَلَا تُنكِحُوا﴾: تُزَوِّجُوا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الكُفَّارَ المُؤمِناتِ، ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لِمالِه وجَمالِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾) اسمُ التفضيل ليس على بابِه، أو باعتبار أمر الدنيا.

قوله: (على من تزوج أمة) أي: وهو عبدُ الله بن رواحة[1]، أو حذيفةُ بن اليمان[2]، كان عند كلٍّ منهما أمةٌ فأعتقها وتزوَّج بها، فعُيِّرا بذلك، وفي الحقيقة لم يَتزوجا إلا بحرَّة، وأما التزوُّج بالأمة من غير عتق.. فيجوز بشرط ألا يجدَ لِلحرائر طَولاً، وأن يخشى العنت، أو تكون أمةَ كالجدِّ[3]، وهذا إن كان يُولدُ له منها، وإلا.. فيَجوز بغير شرط، وسيأتي التعرُّض له في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ [النساء: ٢٥] الآيات[4].

قوله: (بغير الكتابيات) أي: الحرائر، وأما الأمة الكتابية.. فلا تحلُّ إلا بالملك.

قوله: (﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾) القراءة بضم التاء بإجماع، وهو يَنصب مفعولين، ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ مفعول أول، وقدَّرَ المفسِّرُ المفعول الثاني، والمعنى: لا تُزوِّجوا الكفَّارَ ولو أهل كتاب المؤمناتِ.

قوله: (المؤمنات) قدَّره؛ إشارةً إلى مفعول ﴿تُنكِحُوا﴾ الثاني.

قوله: (﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾) أي: إلى أن يَدخلوا في الإيمان.

قوله: (﴿وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾) الواو: للحال، و(لو): شَرطية بمعنى (إن)، جوابها محذوف تقديرُهُ: فلا تزوِّجوه.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢١٠٢)، والطبري في «تفسيره» (٤/ ٣٦٨).

(٢) خبر حذيفة رضي الله عنه كونه تَزوج بيهودية أو نصرانية وقد غضب عليه عمر رضي الله عنه. انظر «الدر المنثور» (١/ ٦١٥).

(٣) أي كأمة الجدِّ، فولدُهُ منها حرٌّ بالضرورة، هذا إذا كان الجد حرًّا. انظر «الشرح الكبير» للدردير (٢/ ٢٦٢).

(٤) سيأتي (٢/ ٤٤).

أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ ....

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: أهلُ الشِّرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾ بِدُعائِهم إلى العَمَل المُوجِب لَها، فلا تَلِيقُ مُناكَحتُهم، ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ﴾ على لِسانِ رُسُله ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: العَمَل المُوجِب لَهُما ﴿بِإِذْنِهِۦۖ﴾: بِإرادَتِه، فتَجِبُ إجابَته بِتَزويجِ أولِيائِه، ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَّعِظُون.

﴿٢٢٢﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ﴾ أي: الحَيض أو مَكانِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾) قدَّم الجنةَ هنا لمناسبة النار، وإلا.. فالمغفرة سببٌ في دخول الجنة، والسببُ مقدَّم على المسبب، وقد قُدِّمت في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [الحديد: ٢١].

قوله: (بتزويج أوليائه) أي: وهم المسلمون.

قوله: (﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾) أي: يظهرُها ويوضِّحُها لهم، و﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلِّقٌ بـ(يُبيِّن).

قوله: (﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ﴾) السائل أبو الدَّحداح وجماعة من الصحابة[1]، وسببُ ذلك: أن اليهودَ كانوا يعتزلون النساء في المحيض بالمرَّة، حتى إنه لا يبيتُ في مكان فيه حائضٌ، ولا تصنعُ له حاجةً أبداً، ثم اقتَدت بهم الجاهليةُ، وأما النصارى.. فبِخلاف ذلك، فإنهم كانوا لا يفرِّقون بين كونها حائضاً أو لا، فبيَّنَ الله أن شَرعنا بين ذلك قواماً.

قوله: (أي: الحيض أو مكانه) اعلَم: أن المحيضَ مصدرٌ ميمي يصلح للزمان أو المكان، فقوله: (أو مكانه) أي: أو زمانه، والحيض لغةً: السيلان، يُقال: حاضَ الوادي: إذا سال، واصطلاحاً: دمٌ أو صُفرة أو كدرة خرجَ من قُبُل من تحملُ عادةً حالةَ الصحة والاعتياد، فخرج بقولنا: (دم... إلخ) القَصَّةُ البيضاء، فإنها علامةُ الطهر من الحيض لا نفسُ الحيض، وقولنا: (من قُبُل مَنْ تحمل عادة) أي: وهو ما بين الاثني عشر والخمسين سنة، وأما ما فوق الخمسين إلى الستين ومن التسعة إلى الاثني عشر يُسألُ النساءُ العارفات، فإن قلنَ: إنه حيضٌ كان حيضاً،

---

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٣٧٤)، وأبو الدحداح اسمه ثابت بن الدحداح رضي الله عنه.

قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ ....

ماذا يُفعَل بِالنِّساءِ فِيه؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: قَذَرٌ أو مَحَلُّه، ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾: اترُكُوا وَطأَهُنَّ

حاشية الصاوي

وإلا.. فلا، خرجَ به من لا تحملُ عادة لِصغر أو يأس؛ كبنتِ ستٍّ أو سبعين، فليس بحيض، وقولنا: (حالةَ الصحة والاعتياد) خرجَ بذلك ما نزلَ على وجه المرض؛ كالسَّلس، فليس بحيض إلا أن تُميِّزه بعد طهر تام.

وأكثره للمبتدأةِ نصفُ شهر، فإن زادَ كان استحاضة، وللمعتادة عادتُها، فإن زادَ استظهرت عليها بثلاثة أيام ما لم تُجاوز نصفَ شهر وتصير هي مع الاستظهار عادةً لها، وأحكامُ الحيض مفصَّلةٌ في الفروع.

قوله: (ماذا يفعل بالنساء) هذا هو صورة السؤال.

قوله: (﴿قُلْ هُوَ﴾) أي: المحيضُ بمعنى: الدم السائل، لا بالمعنى المصدري الذي هو السيلان، ففيه استخدامٌ.

قوله: (قذر أو محله) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب؛ فإن قوله: (قذر) راجعٌ لتفسيره بالمصدر، وقوله: (أو محله) راجع لتفسيره بالمكان.

قوله: (﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾) مفرَّعٌ على قوله: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾، ولما نزلت هذه الآية.. فَهم بعض الصحابة أن الاعتزال مطلقٌ حتى في المسكن، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله؛ البردُ شديد والثيابُ قليلة، فإن آثرناهن هلكَ سائر أهل البيت، وإن استأثرنا بها هلكت الحُيَّضُ! فقال: «**إنما أمرتكم أن تَعتزلوا مجامعتَهُن، ولم تؤمروا بإخراجهن من البُيوت كفعل الأعاجم**»[1].

ثم اعلَم: أنه يحرم وطء الحائض في الفرج بإجماع، وأما التلذُّذُ بما بين السرة والركبة؛ فإن كان من فوق الإزار.. ففيه خلاف، وما عدَا ذلك من سائر الجسد فهو جائز بإجماع؛ لما في الحديث: «**الحائضُ تشدُّ إزارها، شأنَكَ بأَعلاها**»[2].

---

(١) «تفسير الثعلبي» (٢/ ١٥٧) بغير سند.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» (١/ ٥٧) من حديث زيد بن أسلم مرسلاً، ومعنى: (شأنك) دونَك، والرواية: (ثم شأنك بأعلاها).

فِي ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ ....

﴿فِي ٱلْمَحِيضِ﴾ أي: وَقتِه أو مَكانِه، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بِالجِماعِ ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ ـ بِسُكُونِ الطَّاء، وتَشدِيدِها والهاءَ، وفِيهِ إدغام التَّاء في الأصل في الطَّاء ـ أي: يَغتَسِلنَ بعد انقِطاعِه، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ بِالجِماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بِتَجَنُّبِه في الحَيضِ وهو القُبُل، ولا تَعدُوهُ إلى غَيره، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾: يُثِيب ويُكرِمُ ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ مِن الذُّنُوب، ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ مِن الأقذارِ.

﴿٢٢٣﴾ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: مَحَلُّ زَرعِكُم الوَلَد، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: مَحَلَّه

حاشية الصاوي

قوله: (أي: وقته أو مكانه) تفسيرٌ له بالزمان أو المكانِ.

قوله: (بالجماع) أي: فالمرادُ: قربٌ خاص.

قوله: (وفيه إدغام التاء في الأصل) أي: فأصله: يَتطهَّرن، قلبت التاءُ طاءً ثم أدغمت في الطاء.

قوله: (أي: يغتسلن بعد انقطاعه) أي: بالماء إن كان موجوداً وقَدرت على استعماله، وإلَّا.. فالتيممُ يقوم مقامَهُ، ولا يجوزُ قربانها بعد الانقطاع وقبل الطُّهر عند الأئمة الثلاثة، وجوَّزه أبو حنيفة حيث انقطع بعد مضيِّ أكثره وهو عشرةُ أيام عنده، وأما إن انقَطع قبل مضي أكثره.. فلا يجوزُ قربانُها إلا بالغسل، أو بِمُضي وقت صلاة.

قوله: (﴿مِنْ حَيْثُ﴾) أي: في المكان الذي أمركم الله بتجنُّبه في زَمن الحيض.

قوله: (ولا تعْدُوه) بسكون العين وضم الدال، ويصحُّ فتحُ العين وتشديدُ الدال.

قوله: (إلى غيره) أي: وهو الدبر، فلا يجوزُ الإيلاجُ فيه مطلقاً، زمنَ الحيض أو لا.

قوله: (﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾) أي: وهم الذين كلَّما أذنبُوا تابوا.

قوله: (من الأقذار) أي: الحسية والمعنوية، وقدَّمَ التوابين لئلا يَقنطوا، وأخَّرَ المتطهِّرين؛ لئلا يعجبُوا وإن كانوا أعلى منهم.

قوله: (﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ﴾) أي: كأرض تحرثُ ليوضع فيها البذرُ، فشبَّهَ النساء بالأرض التي تُحرث، وشبَّهَ النطفةَ بالبذر الذي يوضع في تلك الأرض، وشبَّهَ الولد بالزرع الذي ينبتُ من الأرض، والمرادُ من تلك الآية: بيانُ الآية المتقدمة، وهي قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾، فبيَّنَ أن المرادَ به موضعُ الزرع، وهو القُبُل لا غير.

أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ....

وهو القُبُل ﴿أَنَّىٰ﴾: كَيفَ ﴿شِئۡتُمۡۖ﴾؛ مِن قِيامٍ وقُعُود واضطِجاعٍ، وإقبالٍ وإدبار، نَزَلَ رَدًّا لِقَولِ اليَهُود: مَن أتَى امرَأته في قُبُلها ـ مِن جِهَة دُبُرها ـ جاءَ الوَلَد أحوَل. ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾ العَمَل الصَّالِحَ كالتَّسمِيَةِ عِند الجِماع، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمرِه ونَهيِه ....

حاشية الصاوي

قوله: (وهو القُبل) أخذَ بعضهم من الآية: أنه يحرمُ وطءُ النساء في أدبارهن؛ لأنه ليس محلَّ الزرع، وحكمةُ النكاح: وجودُ النسل، وإنما جُعلت الشهوةُ وسيلةً لذلك، وجُعلت شهوةُ النساء أعظمَ لأن مشقَّةَ النسل عليهن أعظمُ من الرجل، فتتسلَّى النساءُ عن المشقَّة بِعِظَم الشهوة.

قوله: (﴿أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ﴾) ﴿أَنَّىٰ﴾: بمعنى (كيف)، فهي لِتَعميم الأحوال.

قوله: (وإدبار) أي: فيجامعها من جهة دُبرها لكن في الفرج، والواردُ في السنة عن رسول الله في صفة إتيانه لنسائه: أنه كان يجلسُ بين شُعَبِها الأربع وهي مُستلقيةٌ على ظهرها[1]، وقال الحكماء: إدامةُ الجماع وهو مُضطجعٌ على جنبه يورثُ وجعَ الجَنب.

قوله: (جاء الولد أحول) أي: بياضُ عينه مكانَ سوادِها.

قوله: (كالتسمية عند الجماع) أي: بأن يقول: «**بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ جَنِّبنا الشيطانَ وجنِّب الشيطانَ ما رزقتَنا**»[2]، فإنه إذا فعل ذلك.. حُفظَ الولدُ من الشيطان، وكُتب له بعدد أنفاسه وأنفاس أولاده حسَناتٌ إلى يوم القيامة.

قوله: (في أمره) أي: بالإتيان في القُبُل والتسمية، وقوله: (ونَهيه) أي: عن الإتيان في الدبر، وإنما طلبت التسميةُ في ذلك الموضع؛ لأنها ذكرٌ في وقت غَفلة، فيكتب من الذاكرين الله في الغافلين، وأهل الله في ذلك لهم تجليات ومشاهداتٌ تجلُّ عن الحصر والكيف، وإلى ذلك الإشارةُ بقوله عليه الصلاة والسلام: «**حُبِّبَ إليَّ من دنياكم النساءُ والطيبُ، وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة**»[3]، حيث قدَّمَ النساءَ، ولا يُقال: إن الاشتغالَ بمشاهدة المنعم تَحجبُ عن اللذة؛

---

(١) عند البخاري (٢٩١)، ومسلم (٣٤٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجبَ الغسل».

(٢) كذا ورد عند البخاري (١٠٩٢)، ومسلم (١٤٣٤) من غير زيادة لفظ: (الرحمن الرحيم).

(٣) رواه النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦١) من حديث أنس ﵁.

وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ ....

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾ بِالبَعثِ فيُجازِيكُم بِأعمالِكُم، ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الذِين اتَّقَوهُ بِالجَنَّة.

﴿٢٢٤﴾ ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: الحَلِفَ بِه ﴿عُرۡضَةٗ﴾: عِلَّةً مانِعَة ﴿لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ أي: نَصباً لَها بِأن تُكثِرُوا الحَلِف بِه، ....

حاشية الصاوي

لأنه يُقال: إنه مقامُ جمالٍ وبسط، لا جلالٍ وقبض، فعِند ذلك تزدادُ القوة؛ لما وردَ: أن رسول الله أعطي قوَّةَ أربعةِ آلاف رجل من أهل الدنيا في الجماع[١]، ويُقرِّبُ ذلك: إذا أضافك ملكٌ عظيم وصنعَ لك طعاماً عظيماً وجلس معك يباسطُكَ بأنواع المباسطات؛ فإن شُهودك له ومسامرته تزيدُ لذَّتَك في طعامه وشرابه أكثرَ من تمتُّعك بذلك في حال غيبتك عنه، فسُبحانَ المعطي المانع[٢].

قوله: (﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ﴾) أي: مُلاقو جزائه.

قوله: (﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ﴾) سببُ نزول هذه الآية: أن عبدَ الله بن رواحة كان بينه وبين ختَنه ـ أي: نسيبه، وهو النعمان بن بشير [٣]ـ شيءٌ، فحلف ألا يواصلَهُ أبداً، فنزَلت، وقيل: نزلت في حقِّ الصِّدِّيق حين حلفَ على مِسْطَحٍ لمَّا تكلَّم في الإفك أنه لا يَصِلُهُ[٤].

قوله: (﴿لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ﴾) أي: أفعالِ برِّكم، وسُميت أيماناً لتعلُّق الإيمان بها، وقوله: (﴿أَن تَبَرُّواْ﴾ ... إلخ) بدلٌ من ﴿أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾.

قوله: (أي: نصباً لها) أي: غرضاً مانعاً من فعل البرِّ.

قوله: (بأن تكثروا الحلف به) هذا تفسيرٌ آخر للآية، فكان المناسبُ للمفسِّر أن يأتي بـ(أو).

---

(١) روى البخاري (٢٦٨) عن أنس ﷺ في صفة طَوافه ﷺ على نسائه بغسل واحد: (كنا نتحدَّث أنه أعطي قوة ثلاثين)، وجاء في «فتح الباري» (١/ ٣٧٨): (ومن حديث عبد الله بن عمر ورفعه: «أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع»، وعند أحمد والنسائي وصححه الحاكم من حديث زيد بن أرقم رفعه: «إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الأكل والشرب والجماع والشهوة»، فعلى هذا يكون حساب قوة نبينا أربعة آلاف).

(٢) في (أ): (تزيد عن لذتك...)، ولعل الصواب ما أثبت من (ط١).

(٣) كذا في النسخ، وختن عبد الله بن رواحة ـ كما في «الإصابة» ـ هو بشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس الأنصاري، وهو والد النعمان، وزوجه ـ أم النعمان ـ هي عمرة بنت رَواحة أخت عبد الله رضي الله عنهم أجمعين.

(٤) ذكرهما البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٩٤).

﴿أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾ ....

﴿أَن﴾ لا ﴿تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، فتُكرَهُ اليَمِين على ذلك، ويُسَنُّ فِيه الحِنث ويُكفِّر، بِخِلافِها على فِعل البِرِّ ونَحوه فهيَ طاعَةٌ، المَعنَى: لا تَمتَنِعُوا مِن فِعل ما ذُكِرَ مِن البِرِّ ونَحوه إذا حَلَفتُم عليه، بَل ائتُوهُ وكَفِّرُوا؛ لِأنَّ سَبَب نُزُولها الامتِناعُ مِن ذلك، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأقوالِكُم، ﴿عَلِيمٞ﴾ بِأحوالِكُم.

٢٢٥ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ﴾ الكائِنِ ﴿فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ﴾ وهو ما يَسبِقُ إلَيه اللِّسانُ مِن غَير قَصد الحَلِف، نَحو: لا واللهِ، وبَلى واللهِ، فلا إثمَ فيهِ ولا كَفَّارةَ، ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾ أي: قَصَدَتهُ مِن الأيمانِ إذا حَنِثتُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَن تَبَرُّواْ﴾) أي: تَصلوا الرحم مثلاً، وقوله: (﴿وَتَتَّقُواْ﴾) أي: تصلُّوا وتصوموا مثلاً، وقوله: (﴿وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۗ﴾) من عطف الخاصِّ على العام، والمعنى: أن الفعلَ الذي يحصلُ لكم به خيرٌ فلا تحلفُوا على تركه، وهذا على التفسير الأول، وأما على الثاني فلا يحتاجُ لتقدير (لا)، وإنما يقدَّرُ لام التعليل؛ أي: لا تكثروا الحلف بالله لما فيه من ابتِذال اسمه تعالى في كلِّ شيءٍ قليلٍ أو كثير، عظيمٍ أو حقير؛ لأجل أن تكونُوا من أهل البرِّ والتقوى والصلاح بين الناس، فالنهيُ عن الكثرة على هذا، والأيمان على بابها بمعنى: الأقسام، و(عرضة) بمعنى: معروض، فهي اسمُ مفعول؛ أي: محلٌّ للحَلف كغرض الرماة، وعلى الأول فهي بمعنى عارضة؛ أي: لا تجعلوا الله مانعاً من برِّكم وتقواكم وإصلاحكم بواسطة القسَم به.

قوله: (فتكره اليمين على ذلك) أي: إن كان مندوباً[1]، وهو مفرَّعٌ على التفسير الأول.

قوله: (فهي طاعة) أي: مندوب، وتَعتريها الحرمة كما إذا حلفَ على ترك واجب.

قوله: (﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ﴾) اختلفَ العلماء في معنى اللغو؛ فقال الشافعي: هو ما سبق إليه اللسان من غير قصد عَقد اليمين، فلا إثمَ ولا كفارةَ له، وقال أبو حنيفة ومالك: هو أن يحلفَ على ما يعتقدُ فيتبيَّنَ خلافه، وفي الفروع تفاصيلُ موكولة لأربابها.

قوله: (﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ﴾) وقَعت هنا (لكن) بين نقيضين باعتبار وجود اليمين؛

(١) أي: إن كان المحلوف على تركه مندوباً فعلَه شرعاً.

وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ ....

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِما كانَ مِن اللَّغو، ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأخير العُقوبة عن مُستحِقِّها.

﴿٢٢٦﴾ ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ أي: يَحلِفُونَ أن لا يُجامِعُوهُنَّ ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتِظارُ .....

حاشية الصاوي

لأنها لا تخلو إما ألا يَقصدَها القلبُ بل جرَت على اللسان وهي اللغوُ عند الشافعي، وإما أن يقصدَها وهي المنعقدة، والمعنى: لا يؤاخذُكم الله بغير المقصودة لقلوبكم، وإنما يُؤاخذُكم بالمقصودة لها، وهذا التقريرُ على مذهب الشافعي، ويُقال على مذهب أبي حنيفة ومالك: لا يؤاخذُكم اللهُ باللغو؛ أي: بما حلفتم عليه مُعتقدين حقِّيَّته بحيث يكون اللسانُ موافقاً للجنان، ولكن يؤاخذُكم بما حلَفتم عليه غيرَ معتقدين حقِّيَّته وهي اليَمين الغموس، وقد نظمَ الأجهوري من المالكية صورَ كفارةِ اللغو والغموس بقوله: [البسيط]

كَفِّرْ غَمُوساً بِلا ماضٍ تَكُونُ كَذا ... لَغْوٌ بِمُسْتَقْبَلٍ لا غَيْرَ فَامْتَثِلَا[1]

قوله: (لما كان من اللغو) أي: والخطأ.

قوله: (بتأخير العقوبة عن مستحقها) أي: ومن ذلك اليمينُ الغموس، فكفَّارتُها الغمسُ في جهنم.

قوله: (﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾) حقيقةُ الإيلاء: الحلفُ بالله أو بغيره على ترك وطءِ الزوجة المدخولِ بها المطيقة لِلوطء أكثرَ من أربعة أشهر، إما صريحاً ك: لا أطؤكِ، أو ضمناً ك: لا أغتسلُ من جنابة منكِ، وحكمُهُ كما قال الله. و﴿لِّلَّذِينَ﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿تَرَبُّصُ﴾: مبتدأٌ مؤخَّر، والإضافةُ على معنى (في) أي: انتظارٌ في أربعة أشهر، ولها النفقةُ والكسوة في تلك المدَّة؛ لأن الامتناعَ من قِبَله، بخلاف الناشزِ فلا نفقةَ لها ولا كسوة؛ لأن الامتناعَ منها.

قوله: (أي: يحلفون ألا يجامعوهن) بيانٌ لحقيقة الإيلاء الشرعي، وإلَّا.. فمعناه لغةً مطلقُ الحلف.

---

(١) والحاصل: أن الغموس واللغو لا كفارةَ فيهما إن تعلقتا بماضٍ اتفاقاً، وفيهما الكفارةُ إن تعلقتا بمستقبل اتفاقاً، فإن تعلقتا بحال كُفِّرت الغموسُ دُون اللغو. «حاشية العدوي على كفاية الطالب» (٢/ ٢٤)، وفي النسخ: (يكون) بدل (تكون).

أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ....

﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو﴾: رَجعُوا فِيها أو بَعدها عَن اليَمِين إلى الوَطءِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُم ما أَتوهُ مِن ضَرَر المَرأة بِالحَلِفِ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

﴿٢٢٧﴾ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ أي: عليه بِأن لم يَفِيئُوا، فليُوقِعُوهُ؛ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَولِهِم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِعَزمِهِم، المَعنَى: ليسَ لَهُم بعد تَربُّص ما ذُكِرَ إلَّا الفَيئَةُ أو الطَّلاقُ.

﴿٢٢٨﴾ ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لِيَنتَظِرْنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عَن النِّكاح ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ .....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾) أي: وتُحسَبُ من يوم الحلف إن كانت صريحةً في ترك الوطءِ، ومن يوم الرفعِ للحاكم إن لم تكُنْ صريحة.

قوله: (رجعوا فيها) أي: في الأربعة أشهر، ويلزمُهُ ما يترتَّبُ على الحنث من كفارةٍ إن كانت اليمين بالله، أو العتقِ إن كان به.

قوله: (أي: عليه) أشارَ بذلك إلى أن ﴿ٱلطَّلَٰقَ﴾ منصوبٌ بنزع الخافض.

قوله: (فليُوقعوه) قدَّرَهُ المفسِّرُ؛ إشارةً لجواب الشرط، فإن امتنعوا من إيقاعه ومن الوطء فإن الحاكم يأمرُها بالطلاق ثم يحكمُ به، وقيل: ينشئُ الطلاقَ، وهو رجعيٌّ كالطلاق على المعسِر بالنفقة؛ لأن كلَّ طلاقٍ أوقعه الحاكمُ فهو بائنٌ إلا المُولي والمعسر بالنفقة.

قوله: (المعنى) أي: المرادُ من قوله تعالى: ﴿فَإِن فَآءُو...﴾ الآيتَين.

قوله: (تربُّصِ ما ذكر) أي: الأربعةِ أشهر.

قوله: (إلا الفيئة أو الطلاق) أي: ما لم ترضَ بالمقام معه بلا وطءٍ، فإن استمرَّت على ذلك فالأمرُ ظاهرٌ، وإن رفعت ثانياً وشكت للحاكم أَمَرَهُ بالفيئةِ أو الطلاق، فإن امتنعَ منهما طلَّقَ عليه الحاكمُ.

قوله: (﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾) أي: رجعيًّا أو بائناً.

قوله: (﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾) يحتملُ أن الباءَ زائدةٌ لتوكيد النون؛ أي: يتربَّصن أنفسَهن، ويحتملُ أنها للتعدية، والمعنى: أنهن لا يَحتجنَ لحكم.

قوله: (عن النكاح) أي: نكاحِ غيرِ المطلِّق.

وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ ....

تَمضِي مِن حِين الطَّلاق، جَمع (قَرء) بِفَتحِ القاف وهو الطُّهر أو الحَيض، قَولانِ، وهذا في المَدخُول بِهنَّ، أمَّا غَيرُهنَّ فلا عِدَّةَ عليهنَّ لِقَولِه: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، وفي غَير الآيِسَة والصَّغِيرَة فعِدَّتهنَّ ثَلاثَةُ أشهُر، والحَوامِل فعِدَّتُهنَّ أن يَضَعنَ حَملهنَّ كما في سُورَة (الطَّلاق)، والإماءِ فعِدَّتُهنَّ قَرءانِ بِالسُّنَّة. ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ مِن الوَلَد أو الحَيض، ....

حاشية الصاوي

قوله: (تمضي من حين الطلاق) أي: وتُصدَّقُ المرأةُ في ذلك؛ لأنها أمينةٌ على فرجها إن مضى زمنٌ تقضي العادةُ فيه بمضي الثلاثة الأقراء.

قوله: (بفتح القاف) أي: وأما الضمُّ فجمعه أقراء كـ: قُفل وأقفال، وإنما ضبطه المفسِّرُ بالفتح فقط لأجل جمعه في الآية على (قروء)، وإلا.. فهو في نفسه يصحُّ فيه الضمُّ والفتح.

قوله: (وهو الطهر) أي: وإليه ذهبَ مالكٌ والشافعي وأحمدُ في أوَّل أمره.

قوله: (أو الحيض) أي: وإليه ذهب أبو حنيفة وأحمدُ في آخر أمرِه.

قوله: (قولان) أي: للعلماء، وتظهرُ ثمرةُ الخلاف فيما إذا طُلِّقتْ في طهرٍ ثم حاضت ثم طهَرَت ثم حاضت ثم طهَرَت ثم حاضت، فعند مالك والشافعي وأحمد في أول أمره: إنما تحلُّ للأزواج بمجرَّد رؤية الدم؛ لأن الأقراء قد تمَّت، وعند أبي حنيفة وأحمدَ في آخر أمره: أنها لا تحلُّ حتى تطهُرَ، وأما إذا طلقها في الحيض فلا تحسِبُ ذلك الحيضَ من العِدَّة اتفاقاً، ويأتي الخلافُ في الحيضة الرابعة هل تحلُّ بأوَّلِها أو بانقضائها؟

قوله: (وفي غير الآيسة) وهي بنتٌ كسَبعين.

قوله: (والصغيرة) أي: المطيقة للوطء ولم تبلُغْ أوانَ الحمل.

قوله: (كما في سورة «الطلاق») راجعٌ للآيسة والصغيرة والحوامل، وحاصل ما في المقام: أن غيرَ المدخول بها لا عِدَّةَ عليها في الطلاق حرةً كانت أو أمة، وأما المدخولُ بها ففيها تفصيلٌ؛ فالآيسةُ والصغيرة عِدَّتُها ثلاثةُ أشهر، والحاملُ وضعُ حملِها كلِّه، لا فرقَ في ذلك كلِّه بين الحرَّة والأَمة، وأما من يأتيها الحيضُ فعدتُها ثلاثةُ أقراء إن كانت حرَّةً، وقرآنِ إن كانت أَمةً، وهذا في الطلاق، وأما في الوفاة فسيأتي أنها للحُرَّة أربعةُ أشهر وعشر، وللأمة نصفُها، وللحامل وضعُ الحمل.

إن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ....

﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجُهنَّ ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: بِمُراجعَتِهنَّ ولو أَبَينَ ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: في زَمَن التَّربُّص، ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ بَينهما لا إضرارَ المَرأةِ، وهو تَحرِيضٌ على قَصدِه لا شَرطٌ لِجَوازِ الرَّجعَة، وهذا في الطَّلاق الرَّجعِيِّ، و﴿أَحَقُّ﴾ لا تَفضِيل فِيه؛ إذ لا حَقَّ لِغَيرِهِم في نِكاحِهِنَّ في العِدَّة. ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواجِ ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى﴾ لَهُم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ مِن الحُقُوقِ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شَرعاً، مِن حُسنِ العِشرَة وتَركِ الإضرار ونَحوِ ذلك،

حاشية الصاوي

قوله: (من الولد أو الحيض) أي: أو عيوب الفرج كالرتْقِ والقَرْنِ والعَفَل والبَخَر والإفضاء.

قوله: (﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ﴾) هذا من باب الزجر والتشديد عليهن، وجوابُ الشرط محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿فلا يحل﴾.

قوله: (﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾) جمع بَعل، يطلق على الرجل والمرأة، لكن المرادُ به هنا الرجلُ، فالتاء لتأنيث الجمع؛ لأن كلَّ جمعٍ يجوز تأنيثُهُ.

قوله: (لا إضرار[1] المرأة) فتحرمُ الرجعة إذ ذاك، ويعتريها الوجوبُ إن خشيَ على نفسه الزنا ودُفِعَ الضرر، وتكرهُ إن أشغَلَته عن عبادة مندوبة، وتندبُ إن كانت تُعينه على تلك العبادة.

قوله: (لجواز الرجعة) أي: مضيِّها، فلا ينافي أنه شرطٌ في جواز القُدوم عليها.

قوله: (في نكاحهن في العدة) صوابُهُ أن يقول: فلا حقَّ لغيرهم في ردِّهن ورجعتهن كما عبَّرَ به غيرُهُ[2]، تأمَّلْ.

قوله: (﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾) حاصلُهُ: أن الرجلَ له حقوقٌ على المرأة من طبخ وعَجن وكنس وغيرِ ذلك من الخدمة الباطنية، وللمرأة حقوقٌ على الرجل من نفَقة وكسوة وإظهارِ محبةٍ وغيرِ ذلك، فالمماثلةُ في الآية في مطلقِ الوجوب لا في صفةِ الحقوق، وفي الآية احتباكٌ؛ حيث حذفَ من كلٍّ نظيرَ ما أثبتَه في الآخر، يشير لذلك تقديرُ المفسّر قوله: (على الأزواج)، وقوله: (لهم).

---

(١) في (أ): (ضرار) بدل (إضرار) والمعنى المراد واحد، وهو معطوف على (إصلاحاً).

(٢) كالقاضي البيضاوي في «تفسيره» (١/ ١٤١).

وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ ....

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: فضِيلَةٌ في الحَقِّ مِن وُجُوب طاعَتِهِنَّ لَهُم لِما ساقُوهُ مِن المَهرِ والإنفاقِ، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلكِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيما دَبَّرَهُ لِخَلقِه.

﴿٢٢٩﴾ ﴿الطَّلَاقُ﴾ أي: التَّطلِيقُ الذي يُراجِع بَعدَه ﴿مَرَّتَانِ﴾ أي: اثنَتانِ؛ ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ أي: فعَلَيكُم إمساكُهُنَّ بَعده بِأن تُراجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِن غَير ضِرارٍ، ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (فضيلة في الحق) أي: فحقُّ الرجل زائدٌ على حقِّها.

قوله: (لما ساقوه) علةٌ لوجوب طاعتهنَّ لهم، ومعناه: دفعُوه، وقوله: (من المهر والإنفاق) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾) سببُ نزول هذه الآية: أنه كان في صدر الإسلام إذا طلَّقَ الرجلُ امرأته طلاقاً رجعيًّا وراجعَها في العِدة كان له ذلك ولو طلَّقَ ألفَ مرَّة، فطلَّقَ رجلٌ امرأته طلقةً رجعية ثم راجعها قبل انقضاء عِدَّتِها بشيء يسير، فقال: واللهِ؛ لا آويكِ ولا تحلينَ لغيري أبداً، فنزلت الآيةُ، فاستأنفَ الناسُ الطلاقَ وألغوا ما مضى[1]، وقوله: (﴿مَرَّتَانِ﴾) أي: مرةً بعد أخرى، أو المرتان دفعةً، وهو تخصيصٌ لقوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾.

قوله: (أي: التطليق) إنما فسَّرَ اسمَ المصدر بالمصدر لأجل قوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾.

قوله: (أي: اثنتان) دفعَ بذلك ما يتوهَّمُ أنه لا بدَّ وأن يكون في مرتَين.

قوله: (أي: فعليكم) قدَّرَ ذلك؛ إشارةً إلى أن (إمساكٌ) مبتدأٌ خبرُهُ محذوف، وقدَّره مقدَّماً عليه ليكون مُسوغاً للابتداء بالنكرة.

قوله: (﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾) يحتملُ أن المرادَ بذلك إنشاءُ طلاق ثالث بعد المراجعة الثانية، ويحتملُ أن المرادَ عدمُ المراجعة إذا طلقها ثانياً، وأما الطلقةُ الثالثةُ فمأخوذةٌ من قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، وهو الأقربُ؛ لأنه المتبادر من المفسِّر، فالرجلُ مخيرٌ في عِدَّةِ الطلقة الأولى بين أن يراجعَها بالمعروف أو يُسرحَها من غير مراجعة، وكذا في عِدة الثانية.

---

(١) رواه الترمذي (١١٩٢) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ

أي: إرسالٌ لَهُنَّ ﴿بِإِحْسَٰنٍۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ﴾ أيُّها الأزواجُ ﴿أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ مِن المُهور ﴿شَيۡـًٔا﴾ إذا طَلَّقتُموهُنَّ، ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أي: الزَّوجانِ ﴿أَ﴾نْ ﴿لَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: لا يَأْتِيَا بِما حَدَّهُ لَهُما مِن الحُقُوق. ـ وفي قِراءةٍ: (يُخافا) بِالبِناءِ لِلمَفعُولِ، فـ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بَدَلُ اشتِمال مِن الضَّمِير فِيه، وقُرِئَ بالفَوقانية في الفِعلَين ـ. . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِإِحْسَٰنٍۗ﴾) أي: فيؤدي ما عليه لها من الحقوق ولا يذكرُها بسوء.

قوله: (﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا﴾) يوضحُ معنى الآية قولُهُ تعالى: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارًا. . .﴾ [النساء: ٢٠] الآيات.

قوله: (من المهور) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (إذا طلقتموهن) أي: وأما إن كانَت في عصمته ووَهبت له صداقَها أو بعضَهُ فلا بأسَ بذلك.

قوله: (﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾) (أنْ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مجرور بـ(من)، التقديرُ. من عدم إقامتها حدودَ الله، وسببُ نزولها: أن امرأة ـ واسمُها جميلةُ بنتُ عبد الله بن أبي بن سلول ـ كانت تبغضُ زوجَها ثابتَ بنَ قيس، فشكت للنبي ﷺ حيث قالت: يا رسول الله؛ إني لا أعيبه في دين ولا في خُلُق، غير أني وَجدته مقبلاً في جماعة فرأيته أشدَّهم سواداً وقِصَراً وأقبحَهم وجهاً، لا يجمعُ رأسي ورأسه شيءٌ، وإني لأكرَه الكفر في الإسلام، فلمَّا نزلت هذه الآيةُ. . أمرَها رسولُ الله ﷺ بالفداء، فأخذَ ما كان أعطاه لها وطلَّقَها، وكان قد أمهرَها حديقةً[1].

قوله: (وفي قراءة) أي: فهما سبعيَّتان[2].

قوله: (بالبناء للمفعول) أي: فالضمير نائب فاعل، والفاعل وُلاة الأمور؛ أي: فإن خاف ولاة الأمور الزوجين، و ﴿أَلَّا يُقِيمَا﴾ بدلُ اشتمال من نائب الفاعل.

قوله: (وقُرِئَ) أي: قراءة شاذة[3].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والكفر بمعنى الزنا، وانظر الروايات في «الدر المنثور» (١/ ٦٧١).

(٢) فقراءة البناء للمفعول (يُخافا) قرأ بها حمزة. انظر «الدر المصون» (٢/ ٤٤٨).

(٣) قرأ بها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. انظر «الدر المصون» (٢/ ٤٤٧).

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ ....

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ن ﴿لَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ﴾ نَفسَها مِن المال لِيُطَلِّقها، أي: لا حَرَجَ على الزَّوج في أَخذِه ولا الزَّوجَةِ في بَذلِه. ﴿تِلْكَ﴾ الأحكامُ المَذكُورةُ ﴿حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿٢٣٠﴾ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزَّوجُ بعد الثِّنتَينِ ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: بعدَ الطَّلقةِ الثَّالِثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾: تتزَوَّجَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾) خطابٌ لِولاة الأمور.

قوله: (﴿فِيمَا افْتَدَتْ بِهِۦ﴾) أي: كان بمهرها أو أقلَّ أو أكثر.

قوله: (أي: لا حرج على الزوج في أخذه) أي: لِعدم ظلمه لها، وقوله: (ولا على الزوجة في بذله) أي: لِدفعها الضررَ عن نفسها.

قوله: (﴿فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾) أي: تتجاوزوها بأن تُعينوا الظالمَ على المظلوم منهما.

قوله: (﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾) ذكرَ هذا الوعيدَ بعد النهي عن تعدِّيها للمبالغة في التهديد، وقوله: (﴿الظَّالِمُونَ﴾) أي: لأنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعِقابه.

قوله: (﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾) أي: طلقةً ثالثة، سواء وقع الاثنتان في مرة أو مرَّتين، والمعنى: فإن ثبت طلاقُها[1] ثلاثاً في مرَّة أو مرَّات فلا تحلُّ... إلخ؛ كما إذا قال لها: أنتِ طالقٌ ثلاثاً أو ألبتةَ، وهذا هو المجمعُ عليه، وأما القولُ بأن الطلاق الثلاث في مرَّة واحدة لا يقعُ إلا طلقةً.. فلم يُعرَفْ إلا لابن تيميةَ من الحنابلة، وقد ردَّ عليه أئمةُ مَذهبه، حتى قال العلماء: إنه الضالُّ المضِلُّ، ونسبتُها للإمام أشهَب من أئمة المالكية باطلة[2].

قوله: (﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾) المرادُ به هنا: العقدُ مع الوطء كما بُيِّنَ ذلك في الحديث والإجماع عليه، خلافاً لما نقل عن ابن المسيَّبِ: أن العقدَ كافٍ في التحليل.

---

(١) كذا في النسخ، ولعلها: (بتَّ طلاقها).

(٢) وللمصنف رحمه الله منظومة بعنوان: «السيف الصقيل في عُنق من يرد المطلقة ثلاثاً لزوجها من غير تحليل»، وللعلامة الشيخ سلامة القضاعي مؤلَّف بعنوان: «براهين الكتاب والسنة الناطقة على وقوع الطلقات المجموعة منجزة أو معلقة» ردًّا على هذا القول.

زَوْجًا غَيْرَهُۥ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ ....

﴿زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ ويَطَأَها كما في الحَدِيث، رَواهُ الشَّيخانِ، ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي: الزَّوجُ الثَّانِي ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي: الزَّوجَةِ والزَّوج الأوَّلِ ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ إلى النِّكاحِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿زَوْجًا﴾) أي: لا سيداً، فلا يقعُ به تحليلٌ، ولا بدَّ من كون الزوج بالغاً عند مالك؛ لقوله في الحديث: «**حتى يَذوقَ عسيلتَكِ وتذوقي عسيلتَهُ**»[1]، ولا عسيلةَ للصبي، وقال الشافعي بعدم اشتراط بُلوغه، ومن هنا المسألة الملفَّقة، وهي أن يقلِّدَ الشافعيَّ في صحة تحليل الصبي، ومالكاً في صحة طلاق وليِّهِ عنه لمصلحة، وفي عدم العدَّة عليها من وَطئه، وهذه المسألةُ قال العلماءُ فيها: الورعُ تركُها، ويشترط للتحليل عند مالك شروطٌ عشرةٌ تُعلمُ من الفروع.

قوله: (ويطؤها) أي: ولا يشترطُ الإنزال.

قوله: (كما في الحديث) وهو أنه جاءت امرأةٌ تسمَّى تميمةَ القرظية، وكانت متزوجةً بابن عمِّها رِفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ، فقالَت: يا رسول الله؛ إن رفاعةَ أبتَّ طلاقي، فتَزوجت بعبد الرحمن بن الزَّبير ـ بفتح الزاي ـ وإنما معه مثل هُدْبَةِ الثوب، فتبسَّمَ رسولُ الله وقال: «**أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوقَ عسيلتَكِ وتذوقي عسيلته**»، فمَكثت مدَّةً ثم جاءت ثانياً لرسول الله وقالت: إنه مسَّني وذُقتُ منه وذاقَ مني، فقال لها رسول الله: «**إن قولك الأول كذَّبَك الآن**»، فجاءت للصِّدِّيق في خلافته وقالت له مثلَ ما قالَت لرسول الله، فقال لها: إني شهدتُ مَجيئك لرسول الله ﷺ وكلامك له، لا تَرجعي، فجاءت لعمرَ في خلافته وقالت له كذلك، فقال لها: إن عُدتِ لرفاعةَ رجمتك[2].

قوله: (رواه الشيخان) أي: عن عائشة.

قوله: (﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ إلى النكاح) أي: بعقدٍ ومَهرٍ ووليٍّ وشهود.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣)، وهو حديث رفاعة القُرَظي الآتي قريباً.

(٢) كذا في «تفسير الزمخشري» (١/ ٢٧٥)، وأصل الحديث من غير زيادة رجوعها ثانية رواه الشيخان كما سبق من حديث عائشة رضي الله عنها، وروى عبد الرزاق في «المصنف» (٦/ ٣٤٧): (فقعدت ثم جاءته بعد، فأخبرته أن قد مسَّها، فمنعها أن ترجع إلى زوجها الأول، ثم قال: «اللهم؛ إن كان إنما بها ليحلها لرفاعة فلا يتمُّ له نكاحه مرة أخرى»، ثم أتت أبا بكر وعمر في خِلافتهما فمنعاه).

إن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا ....

بعد انقضاء العِدَّة، ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلْكَ﴾ المَذكُوراتُ ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبَّرونَ.

﴿٢٣١﴾ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قارَبنَ انقِضاء عِدَّتهنَّ، ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تُراجِعُوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ مِن غيرِ ضِرارٍ، ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اترُكُوهُنَّ حَتَّى تَنقَضِيَ عِدَّتُهنَّ، ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرَّجعَةِ ﴿ضِرَارًا﴾ ـ مَفعُول لِأجلِه ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بعد انقضاء العدة) أي: فلا بدَّ من عِدَّتين؛ عدَّة للزوج الأول وعِدَّة للثاني.

قوله: (﴿أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾) (أن) وما دَخلت عليه: في تأويلِ مصدر مفعول (ظنَّ) الثاني، ومعنى إقامةِ حدود الله: زوالُ ما في أنفسِهما من الكدر الذي كان سبباً في الطلاق.

قوله: (﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾) خصَّهم لأنهم المنتفعون بتلك الأحكام، وهم الذين يَعقلون الخطاب.

قوله: (أي: يتدبرون) أي: ينظرون في عَواقب أمورهم.

تنبيه: يقعُ الطلاقُ فيما ذكر ولو كان سَكراناً[1] بحرام؛ لعدم عُذره بذلك، أو في حماقة، وليست الحماقةُ من باب الإكراه الذي قال فيه رسول الله: «لا طلاقَ في إغلاق»[2]، خلافاً لمن يُفتي بذلك؛ فإنه ضالٌّ مضلٌّ، اللهمَّ إلا أن يطيشَ عقلُهُ فلا يعرفَ الأرضَ من السماء ويصيرَ كالمجنون، فلا شيءَ عليه.

قوله: (﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾) أي: طلاقاً رجعيًّا، وإنما كرَّره للإيضاح.

قوله: (قاربن انقضاء عدتهن) أي: أشرَفن عليها.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله.

قوله: (﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾) علةٌ لقوله: ﴿ضِرَارًا﴾.

---

(١) على لغة بني أسد؛ لأنهم يؤنثون باب (سكران) بالتاء، فيستغنون فيه بـ(فعلانة) عن (فعلى)، بخلاف غيرهم من العرب، ولما ألحقوا التاء.. فقد الشبه بـ(حمراء)، فلم يسعهم إلا أن يصرفوا فيقولون: رأيت رجلا سكراناً، وصبيًّا غضباناً، وغصناً رياناً، وإناء ملآناً، وأشباه ذلك. انظر «شرح الكافية الشافية» لابن مالك (٣/ ١٤٤١).

(٢) رواه أبو داوود (٢١٩٣)، وابن ماجه (٢٠٤٦) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، وفُسِّر الإغلاقُ بالإكراه والغضب.

لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ ....

﴿لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ عليهِنَّ بِالإلجاءِ إلى الافتِداء والتَّطليق وتَطويل الحَبس، ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾ بِتَعريضِها إلى عَذاب الله، ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾: مَهزوءاً بها بمخالفتِها، ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام، ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القُرآنِ ﴿وَٱلۡحِكۡمَةِ﴾: ما فِيه مِن الأحكامِ، ﴿يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ بِأن تَشكُرُوها بِالعَمَلِ بِه، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ لا يَخفَى عليه شَيءٌ.

﴿٢٣٢﴾ ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقَضَتْ عِدَّتُهنَّ، ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ ـ خِطابٌ لِلأولِياءِ ـ أي: تَمنَعُوهُنَّ مِن ﴿أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ المُطَلِّقِينَ لَهُنَّ؛ لِأنَّ سَبَب نُزُولها

حاشية الصاوي

قوله: (بالإلجاء) أي: الاضطرار.

قوله: (وتطويل الحبس) أي: العِدة.

قوله: (﴿فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ﴾) أي: لما في الحديث: «يغلبنَ كريماً ويغلبُهنَّ لئيمٌ، فأحبُّ أن أكونَ كريماً مغلوباً، ولا أحبُّ أن أكونَ لئيماً غالباً»[1].

قوله: (بمخالفتها) أي: فأطلقَ الاستهزاءَ وأرادَ المخالفة.

قوله: (ما فيه من الأحكام) أي: العلومِ النافعة.

قوله: (بالعمل به) أي: ولا تتخذوها هزؤاً.

قوله: (لا يخفى عليه شيء) أي: فيثيبُ المطيعَ، ويعذِّبُ العاصي.

قوله: (انقضت عدتهن) أي: فبلوغ الأجل في المحلَّين مختلفٌ.

قوله: (خطابٌ للأولياء) أي: وأما الخطابُ في ﴿طَلَّقۡتُمُ﴾ فهو خطابٌ للأزواج، ويصحُّ أن يكونَ خطاباً للأولياء أيضاً، والمعنى: إذا رفعنَ أمرهن إليكم أيُّها الأولياءُ وتسبَّبتم في طلاقهن

(١) روى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/٣١٢): «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرمَ النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم»، وإلى قوله: «لأهلي» رواه الترمذي (٣٨٩٥)، وابن ماجه (١٩٧٧).

إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ....

أنَّ أُخت مَعقِل بن يَسارٍ طَلَّقَها زَوجُها، فأرادَ أن يُراجِعَها فمَنَعَها مَعقِلٌ كما رَواهُ الحاكِم، ﴿إِذَا تَرَٰضَوْاْ﴾ أي: الأزواجُ والنِّساء ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ شَرعاً، ﴿ذَٰلِكَ﴾ النَّهيُ عَن العَضل ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِۗ﴾ لِأنَّهُ المُنتَفِعُ بِه، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: تَركُ العَضل ﴿أَزْكَىٰ﴾: خَيرٌ ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُۚ﴾ لَكُم ولَهُم؛ لِما يُخشَى على الزَّوجَينِ مِن الرِّيبَة بِسَبَبِ العَلاقَة بَينَهما، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فِيه المَصلَحَة، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فاتَّبِعوا أمْرَه.

﴿٢٣٣﴾ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي: لِيُرضِعنَ ....

حاشية الصاوي

من أزواجِهن، ثم زال ما في النفوس وأرادوا العقد على أزواجهم.. فلا يكنْ منكم عَضلٌ لهن من ذلك.

قوله: (أن أخت معقل) أي: واسمُها جميلة.

قوله: (طلقها زوجها) أي: واسمُه عاصمُ بن عدي[1].

قوله: (أي: **الأزواج والنساء**) وغلَّبَ الذكورَ لشرفهم، وهو جمعٌ باعتبار أفرادِ الرجال والنساء.

قوله: (لأنه المنتفعُ به) جوابٌ عمَّا يُقال: لم خصَّ المؤمنين؟

قوله: (بسبب العلاقة) أي: الارتباط.

قوله: (فاتبعوا أمره) أي: ولا تطيعوا أنفسَكم في العضل، فمتى كان لكلٍّ منهما رغبةٌ في الآخر فلا يكُنْ منكم منعٌ في ذلك؛ لأنه لا مصلحةَ فيه، وقد جرت عادةُ الله في كتابه أنه يتخلَّل الأحكام والقصص بالمواعظ الجليلة، وفي الحديث: (كانَ يتخوَّلُنا بالمواعظ مخافةَ السآمة علينا)[2].

قوله: (أي: ليرضعن) فسَّرَه بالأمر؛ إشارةً إلى أن الجملةَ خبريةٌ لفظاً إنشائيةٌ معنًى، فالمقصودُ منها الأمر، وهو لِلندبُ للأمِّ بشروط ثلاثة: إن كان للولد أبٌ موسرٌ أو مالٌ، ووجدَ مَن ترضعُهُ غيرَ أمِّه، وقَبِلَها، فإن فُقِدَ شرطٌ منها.. وجبَ عليها الرضاع.

---

(١) رواه أبو داوود (٢٠٨٧)، والترمذي (٢٩٨١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٧٤) عن معقل بن يَسار رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٨)، ومسلم (٢٨٢١) من كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ....

﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾: عامَينِ ﴿كَامِلَيْنِۖ﴾ - صِفةٌ مُؤَكِّدة -، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ ولا زِيادةَ عليهِ، ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي: الأبِ ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: إطعامُ الوالِدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاعِ إذا كُنَّ مُطَلَّقاتٍ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾: بِقَدرِ طاقَتِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْلَٰدَهُنَّ﴾) أي: ذكوراً أو إناثاً.

قوله: (﴿كَامِلَيْنِۖ﴾) هذا تقريبٌ عند مالك، فأُلحقَ الشهران بالحولَين، وتحديدٌ عند الشافعي.

قوله: (صفة مؤكدة) أي: لدفع توهُّم تسمية الأقلِّ منهما باسم الكامل تسمُّحاً، والمقصودُ من النصِّ على الحولين: قطعُ النزاع بين الزَّوجين حيث أرادَ أحدُهما أكثرَ من الحولين أو أقلَّ والآخرُ الحولين، فإنه يقضى لمن أرادَهما.

قوله: (﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾) الجار والمجرور خبرٌ لمبتدإٍ محذوف قدَّره المفسِّر بقوله: (ذلك)، وهو جوابٌ عن سؤال مقدَّر.

قوله: (ولا زيادةَ عليه) أي: خلافاً لمن قال: إذا شحَّت المرأة قضى لها بثلاثين شهراً، ولمن قال: بثلاثة أعوام.

قوله: (﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾) أي: المنسوبِ له الولد، احترازاً عن ابن الزنا ومَن نفاه أبوه بلعانٍ، فلا يلزمُ أباه شيءٌ من أجله؛ لِقطعِ نسبه.

قوله: (﴿رِزْقُهُنَّ﴾) أي: دفعُ الرزق، بمعنى الأجرة التي يَحصلُ بها الطعامُ والشرابُ والكسوة.

قوله: (إذا كنَّ مطلقات) أي: بائناً، وأما الرجعياتُ واللاتي في العصمة فلا يلزمُهُ أجرةٌ على الرضاع عند الشافعي، وكذا عند مالك في غير مَنْ شأنُها عدمُ الإرضاع بنفسها كنِساء الملوك، وأما هي فلها أن تأخذَ الأجرةَ على ذلك، هكذا حملَهُ المفسِّرُ على غير الزوجة، وبعضُهم حملَهُ على ما يعمُّ الزوجة، بمعنى أن الزوجةَ تأخذُ الأجرة على الرضاع ولو ناشزاً ولا يجري على حكم نفقةِ الزوجيَّة.

قوله: (بقدر طاقته) أي: أعسرَ أو أيسرَ[1].

---

(١) في (ط١): (عسراً ويسراً)، وسقط من (أ) قبلاً: (وبعضُهم حملَهُ على ما يعمُّ الزوجة، بمعنى أن الزوجةَ تأخذُ الأجرة).

لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ ....

﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها، ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾: بِسَبَبِه، بِأن تُكرَه على إرضاعِه إذا امتَنَعَت، ﴿وَلَا﴾ يُضارُّ ﴿مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾ أي: بِسَبَبِه بِأن يُكَلَّفَ فوق طاقَتِه، وإضافَة الوَلد إلى كُلٍّ مِنهما في المَوضِعَينِ لِلاستِعطافِ، ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أي: وارِثِ الأب وهو الصَّبِيُّ، أي: على وَلِيِّه في مالِه ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ الذي على الأبِ لِلوالِدةِ مِن الرِّزق والكِسوَة، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الوالِدانِ ﴿فِصَالًا﴾: فِطاماً لَهُ قَبل الحَولَينِ صادِراً ﴿عَن تَرَاضٍ﴾: اتِّفاقٍ ﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بَينهما؛ لِتَظهَر مَصلَحَةُ الصَّبِيِّ فِيه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ﴾) ببناء الفعل للمجهول، و﴿نَفْسٌ﴾: نائبُ الفاعل، وفي قراءة: (يكلِّفُ نفساً) ببناء الفعل للفاعل، والفاعل هو اللهُ سبحانه وتعالى[1].

قوله: (بأن تكره على إرضاعه) أي: بغير أُجرة، أو بأجرة دونَ أجرةِ المثل حيث طلَبَتْها.

قوله: (إذا امتنعت) أي: ووُجد غيرُها وقَبِلَها الولد وكان الأبُ موسراً أو للولد مالٌ، وإلا.. أكرهت الأمُّ على إرضاعه إما بنفسها أو تكري له مَنْ يرضعُهُ.

قوله: (في ماله) أي: وهو مقدَّمٌ ثم مالُ الأبِ ثم مالُ الأمِّ عند مالك[2].

قوله: (للوالدة) أي: المرضعة والدة كانت أو غيرها.

قوله: (﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا﴾) هذا تقييدٌ لما تقدَّمَ في قوله: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾.

قوله: (﴿عَن تَرَاضٍ﴾) الجار والمجرور متعلِّق بمحذوف صفة لـ﴿فِصَالًا﴾، قدَّرَه المفسِّر بقوله: (صادراً).

---

(١) الجمهور على البناء للمفعول، وقراءة البناء للفاعل قرأ بها أبو رجاء وهي شاذة. انظر «البحر المحيط» (٢/ ٢٢٥).

(٢) قال العلامة النفراوي في «الفواكه الدواني» (١/ ٣٠٩): (إذا استئجرت المرضع فإن الأجرة تكون من مال الولد حيث كان له مال؛ لأنها كالنفقة، والأب لا يلزمه الإنفاق عليه مع وجود مال له، وأما إن لم يكن له مالٌ فمن مالِ الأب، فإن لم يكن للأب مالٌ فمن مال الأم، هكذا اقتصر عليه ابن عرفة فيكون مقيداً لترجيح القول بتقديم مال الأب على مال الأم، والخلافُ في مال الأم التي يلزمُها الرضاع، وإلا اتفق على تقديم مال الأب على مال الأم).

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ....

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَاۗ﴾ في ذلك. ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ - خِطابٌ لِلآباءِ - ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مَراضِعَ غَيرَ الوالِدات، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فِيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إلَيهِنَّ ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي: أرَدتُّم إيتاءَهُ لَهُنَّ مِن الأُجرَة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾: بِالجَمِيلِ، كطِيبِ النَّفس، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يَخفَى عليه شَيءٌ مِنه.

حاشية الصاوي

قوله: (في فعل ذلك) أي: ولا في الزيادة على الحولَين عند الاتفاق، بل هو جائزٌ شرعاً، ومنعه الحكماءُ لما فيه من تَوريث البلادةِ للطفل.

قوله: (مراضع) مفعولٌ أول لـ﴿تَسْتَرْضِعُوٓاْ﴾ مؤخَّر، و﴿أَوْلَٰدَكُمْ﴾: مفعولٌ ثانٍ مقدَّم على حذف الجار؛ أي: إن أردتُم أن تطلبوا مراضعَ لأولادكم؛ لأن (أفعلَ) إذا كان متعدياً إلى مفعول واحد وزِيدت فيه السينُ للطلب أو النسبة يصيرُ متعدِّياً إلى مفعولَين كما قال الزمخشري[1]، وقال الجمهورُ: إنما يتعدَّى الثاني بحرف الجرِّ، فيكون ﴿أَوْلَٰدَكُمْ﴾ منصوباً بنزع الخافض، و(أنْ) وما دخلت عليه: في تأويلِ مصدر مفعول ﴿أَرَدتُّمْ﴾.

قوله: (غير الوالدات) أي: حيث كان أُجرة الغير أقلَّ من أجرة الأمِّ، أو كانت الغير ترضعُ مجاناً، أما إذا استوَيا فالأمُّ أولى.

قوله: (﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾) ليس شرطاً لِصحة الإجارة، بل هو بيانٌ للأكمل؛ لأن التعجيلَ أطيَبُ لنفوسهن.

قوله: (﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾) فيه ثلاثة أوجه: **أحدها**: أنها متعلِّقٌ بـ﴿سَلَّمْتُم﴾، **الثاني**: أنه متعلِّقٌ بـ﴿ءَاتَيْتُم﴾، **الثالث**: أنه حالٌ من فاعل ﴿سَلَّمْتُم﴾ أو ﴿ءَاتَيْتُم﴾، والعاملُ فيه حينئذٍ محذوف؛ أي: ملتبسينَ بالمعروف[2].

قوله: (﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾) مبالغةٌ في المحافظة على ما شرعَ في أمرِ الأطفال والمراضع.

---

(١) «تفسير الزمخشري» (١/ ٢٨١)، وانظر «الفتوحات الإلهية» (١/ ١٩٠).

(٢) «الدر المصون» (٢/ ٤٧٦).

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ....

﴿٢٣٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾: يَمُوتُونَ ﴿مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: يَتْرُكُونَ ﴿أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لِيَتَرَبَّصنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بَعدَهم عَن النِّكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ مِن اللَّيالي، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾) بضم الياء مبنيًّا للمفعول، وفي قراءة بفتحها مبنيًّا للفاعل[1]، والمعنى عليها: يَستَوفون آجالَهم.

قوله: (يموتون) المناسبُ: تقبضُ أرواحهم؛ لِيناسب الفعلَ المبنيَّ للمفعول.

قوله: (﴿أَزْوَٰجًا﴾) جمعُ زوج بمعنى زوجة؛ لأن الزوجَ يقعُ على الذكر والأنثى.

قوله: (أي: ليتربَّصن) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ من الآية الأمرُ وإن كان ظاهرُها الخبر.

قوله: (﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾) الباءُ: زائدة للتأكيد، والأصل: يَتربَّصن أنفسَهُن، يعني: لا بواسطة حُكْمِ حاكم؛ فإن العِدَّةَ لا تحتاجُ لذلك.

قوله: (بعدهم) الضمير عائدٌ على اسم الموصول الواقع على الرجال، وقدَّره المفسِّرُ ليصحَّ الإخبار بجملةِ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ عن الموصول، هكذا أعربَ المفسِّرُ، وبعضُهم قدَّرَ في المبتدإِ فقال: وأزواجُ الذين يتوفَّون، وبعضُهم قدَّر في الخبر حيث قال: والذين يتوفَّون منكم ويَذرون أزواجاً أزواجُهم يتربَّصن، فأزواجُهم: مبتدأ، وجملة ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾: خبره، والمبتدأُ وخبرُه خبرُ الأول، والرابطُ موجود.

قوله: (عن النكاح) أي: نكاحِ الغير لهنَّ.

قوله: (﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾) إما مفعولٌ لـ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ على حذفِ مضاف؛ أي: مُضي أربعة أشهر وعشراً، أو ظرفٌ له.

قوله: (من الليالي) أي: مع النهار، وخصَّ اللياليَ لسبقها على النهار.

---

(١) قرأ بها سيدنا علي رضي الله عنه، ورواها المفضل عن عاصم. انظر «الدر المصون» (٢/ ٤٧٨).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ ....

وهذا في غَير الحَوامِلِ، أمَّا الحَوامِلُ فعِدَّتُهنَّ أن يَضَعنَ حَملهُنَّ بآيَةِ الطَّلاق، والأَمةُ على النِّصف مِن ذلك بِالسُّنَّة، ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقَضَت مُدَّةُ تَربُّصِهنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيُّها الأولِياءُ ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ مِن التَّزَيُّن والتَّعرُّض لِلخُطَّابِ، ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۗ﴾ شَرعاً، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالِمٌ بِباطِنِه كظاهِرِه.

﴿٢٣٥﴾ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾: لَوَّحتُم ﴿بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المُتَوَفَّى عَنهُنَّ أزواجُهنَّ في العِدَّة، كقَولِ الإنسان مَثَلاً: إنَّك لَجَميلةٌ، ومَن يَجِدُ مِثلَك؟ ورُبَّ راغِب

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا في غير الحوامل) أي: ما تقدَّمَ من العموم لا يتناولُ الحواملَ والإماء.

قوله: (أن يضعنَ حملَهُن) أي: كلَّه ولو عَلقةً أو مضغة، فلا تحلُّ إلا بوَضعه ولو مكثَ الزمنَ الطويل في بَطنها.

قوله: (والأمة) بالجرِّ معطوفٌ على الحوامل.

قوله: (على النصف من ذلك) أي: فعِدَّتُها شهرانِ وخمسُ ليالٍ، وهو خبرٌ لمبتدإٍ محذوف تقديرُهُ: وهي على النصف من ذلك. واعلَمْ أن ذلك تعبُّدٌ أمرنا به الشارعُ ولم نعقِلْ له معنًى، ولذلك أُمرت بتلك العِدَّة الصغيرةُ وزوجةُ الصغير، وما قيل: إنه معلَّلٌ بوجود حركةِ الحمل بعد الأربعة أشهر.. فغيرُ مطَّرد في الأَمَة والصغيرة وزوجةِ الصغير.

قوله: (بالسنة) أي: الدليل السني.

قوله: (من التزيُّن) أي: الشرعي؛ بأن تفعلَ ذلك ببيتها.

قوله: (والتعرُّض للخطَّاب) معطوفٌ على التزيُّن، فلا يحرمُ كلٌّ من التزيُّن والتعرُّض للخطَّاب بعد العِدَّة، وأما فيها فيحرمُ على الأولياء وعليهنَّ إذا بلغْنَ، ويجبُ عليهم كفُّهُنَّ ولو بالشتم والضرب.

قوله: (﴿فِيمَا عَرَّضْتُم﴾) التعريضُ: هو الكلامُ الذي يُفهمُ منه المقصود بطَرْفٍ خفي.

قوله: (﴿مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾) بكسر الخاء: التماسُ النكاح.

قوله: (ورب راغب) (رُبَّ): للتكثير.

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ....

فِيكِ، ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾: أضمرتُم ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾ مِن قصدِ نكاحِهنَّ، ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبةِ ولا تصبرُونَ عنهُنَّ، فأباحَ لكُم التَّعريضَ، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نِكاحاً ﴿إِلَّآ﴾: لَكِن ﴿أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾ أي: ما عُرِفَ شَرعاً مِن التَّعريض فلَكُم ذلكَ، ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي: على عَقدِه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: المَكتُوبُ مِن العِدَّة ﴿أَجَلَهُۥۚ﴾ بِأن يَنتَهِيَ، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مِن العَزمِ وغَيرِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِيٓ أَنفُسِكُمْۚ﴾) أي: ولو أخبرتم بذلك غيرَ المجبرِ لها، فالحرمةُ في التصريحِ لها أو لوليِّها المجبِرِ.

قوله: (فأباحَ لكم التعريض) أي: والإضمارَ في أنفسِكم، وهو تفريعٌ على قوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ﴾ الواقعِ علَّةً لقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، والمعنى: إنما لم يحرِّمْ عليكم التعريضَ والإضمارَ في الأنفس لِعلمه أنه إن حرَّمَ عليكم ذلك لوقعتم فيما هو أعظَمُ الذي هو التصريحُ، فأباحَ لكم التعريضَ.

قوله: (﴿سِرًّا﴾) هو في الأصل: ضدُّ الجهر، أُطلقَ وأُريدَ منه الوطءُ؛ لأنه لا يكون إلا كذلك، ثم أُطلقَ وأُريدَ منه العقدُ؛ لأنه سببه، فهو مجازٌ على مجاز.

قوله: (أي: نكاحاً) أي: عقداً.

قوله: (﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ ... إلخ) جعلَ المفسِّرُ الاستثناءَ منقطعاً؛ لأن التعريضَ ليس من المواعدة، والمواعدةُ إنما تَحرمُ إذا كانت من الجانبين، وأما من جانبٍ فيكرهُ عند مالك.

قوله: (﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾) أي: فالعقدُ في العِدَّة فاسدٌ وينفسخ، فإن انضمَّ لذلك العقدِ مباشرةٌ ولو بعد العِدة.. تأبَّدَ تحريمُها عند مالك، وعند الشافعي: يفسخُ العقدُ فقط، وله العقدُ عليها ثانيةً بَعدها.

قوله: (من العزم) أي: التصميمِ على العقد، فالعزمُ يؤاخذُ الإنسانُ به خيراً كان أو شرًّا، وقد نظمَ بعضُهم الأمورَ التي تطرأُ على الشخص فقال: [البسيط]

فَٱحْذَرُوهُۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ

﴿فَٱحْذَرُوهُۚ﴾ أن يُعاقِبَكُم إذا عَزَمتُم، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمَن يَحذَرُهُ، ﴿حَلِيمٞ﴾ بِتَأخِيرِ العُقُوبَة عَن مُستَحِقِّها.

﴿٢٣٦﴾ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ ....

حاشية الصاوي

مَراتِبُ القَصْدِ خَمْسٌ هاجِسٌ ذَكَرُوا ... فَخاطِرٌ فَحَدِيثُ النَّفْسِ فَاسْتَمِعَا

يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزْمٌ كُلُّها رُفِعَتْ ... سِوَى الأَخِيرِ فَفِيهِ الأَخْذُ قَدْ وَقَعَا

قوله: (﴿فَٱحْذَرُوهُۚ﴾) أي: الله، بمعنى: احذروا عقابَهُ.

قوله: (لِمَن يحذره) أي: يخافُهُ، ففي الحديث: «**إذا أذنبَ العبدُ ذنباً وعلمَ أن اللهَ يغفرُهُ، غفرَ له بمجرد فعلِهِ الذنب**»(١).

قوله: (بتأخير العقوبة عن مُستحقها) أي: فلا يغترّ العاصي بذلك؛ فلربما يكونُ ذلك التأخيرُ استِدراجاً له.

قوله: (﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾) سببُ نزولها: أن رجلاً من الأنصار تزوَّجَ امرأةً تفويضاً ثم طلَّقها قبل الدخول، فرَفعته لرسول الله ﷺ، فنزَلت، فقال له رسولُ الله: «**أمتِعْها ولو بقَلَنْسُوَتِك**»(٢).

قوله: (﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾) فعلُهُ (مسَّ) مسندٌ للرجل؛ لأنه الأقوى في المسِّ، والأقربُ: أن (ما) شرطيةٌ بمعنى (إن)(٣)، وليست مصدريةً وظرفيةً كما قال المفسِّر؛ لأن محلَّ الظرفية فيما يَقتضي

(١) قد روى البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) واللفظ له من حديث أبي هريرة عنه ﷺ فيما يحكي عن ربِّه عزَّ وجل قال: «أذنب عبد ذنباً فقال: اللهم؛ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أيْ ربِّ؛ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال: أيْ ربِّ؛ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له ربًّا يَغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمَل ما شئت فقد غفرتُ لك».

(٢) كذا في «زاد المسير» (١/ ٢١١) عن مقاتل بن سليمان، وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٥٧) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما طلَّقَ حفص بن المغيرة امرأته فاطمة فأتت النبي ﷺ، فقال لزوجها: «متِّعْها»، قال: لا أجدُ ما أمتِّعها، قال: «فإنه لا بدَّ من المتاع، قال: متِّعْها ولو نصف صاع من تمر».

(٣) فهي من باب اعتراض الشرط على الشرط، والمعنى: إن طلقتموهن غيرَ ماسين لهن. انظر «الفتوحات الإلهية» (١/ ١٩٢).

أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ ......

ـ وفي قِراءة: ﴿تُماسُّوهُنَّ﴾ ـ أي: تُجامِعُوهُنَّ، ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مَهراً، و﴿مَا﴾ مصدَرِيَّة ظَرفِيَّة، أي: لا تَبِعةَ عَلَيكُم في الطَّلاق زَمَنَ عَدَم المَسِيس والفَرض بِإثم ولا مَهرٍ، فطَلِّقُوهنَّ ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطُوهُنَّ ما يَتمَتَّعنَ بِه ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: الغَنِيِّ مِنكُم ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾: الضَّيِّق الرِّزقِ ﴿قَدَرُهُۥ﴾، يُفِيد أنَّهُ لا نَظَرَ إلى قَدَرِ الزَّوجة، ﴿مَتَٰعًا﴾: تَمتِيعاً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شَرعاً، ـ صِفةُ ﴿مَتَٰعًا﴾ ـ ....

حاشية الصاوي

الامتدادَ؛ كقوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧]؛ لأن شأنَ الخُلود الامتداد.

قوله: (وفي قراءة: «تُماسُّوهن») أي: بضم التاء، وفعلُهُ: ماسَّ مماسَّةً، مُفاعلة من الجانبين[١]؛ لأنَّ كلًّا يمسُّ الآخر، واستُشكلَ مفهومُ الآية: بأن الطلاقَ بعدَ المسِّ لا إثمَ فيه، نَعم، فيه المهرُ! وأجيب: بأنه مظِنَّةُ الجُناح بدفع المهر، ووجودُ الإثم من حيث إنه قد يُوقعه زمنَ الحيض، وأما الطلاقُ قبل الدخول فلا جُناحَ فيه أصلاً[٢].

قوله: (فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ معطوفٌ على محذوف قدَّره بقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾.

قوله: (﴿قَدَرُهُۥ﴾) بفتح الدال وسكونها، قراءتان سبعيَّتان[٣].

قوله: (يفيد أنه لا نظرَ إلى قدر الزوجة) أي: وهو أحدُ الأقوال عند الشافعي، والمفتى به عند مالك، ولكن المعتمدُ عند الشافعي مراعاةُ حالِ الزوج والزوجة[٤].

قوله: (تمتيعاً) أشار بذلك إلى أن اسمَ المصدر بمعنى المصدر.

قوله: (شرعاً) أي: لا بشيءٍ حرامٍ.

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر «الدر المصون» (٢/ ٤٨٦).

(٢) سقط من (أ): (وأجيب بأنه مظِنَّةُ الجُناح بدفع المهر).

(٣) قرأ بفتح الدال حمزة والكسائي وابن ذكوان وحفص، والباقون بسكونها. انظر «الدر المصون» (٢/ ٤٨٨).

(٤) وعبارة «المحرر»: وينظر الحاكم باجتهاده إلى حالهما جميعاً، والثاني: أن الاعتبار بحاله، والثالث: بحالها. «الفتوحات» (١/ ١٩٣).

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ ....

﴿حَقًّا﴾ ـ صفةٌ ثانيةٌ أو مَصدرٌ مُؤكِّدٌ ـ ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المُطِيعِين.

﴿٢٣٧﴾ ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يَجِب لَهُنَّ ويَرجِع لَكُم النِّصفُ، ﴿إِلَّآ﴾: لَكِن ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ أي: الزَّوجاتُ فيَترُكنَهُ، ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ وهو الزَّوجُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أو مصدر مؤكد) أي: وعامله محذوف؛ أي: أحقُّهُ حقًّا.

واعلم: أنه اختُلف في المتعة؛ فقيل: واجبةٌ نظراً للأمر ولقوله: ﴿حَقًّا﴾ وبه أخذَ الشافعي، وقيل: مندوبةٌ نظراً لقوله: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ ولقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وبه أخذَ مالك[1].

قوله: (﴿مِن قَبْلِ﴾) متعلِّقٌ بـ﴿طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾، وقوله: (﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ﴾) الجملة حالية.

قوله: (﴿فَرِيضَةً﴾) بمعنى: مفروضة، مفعولٌ به، وقيل: مفعولٌ مطلق بمعنى: فرْضٍ[2]، لكن الأولُ أقربُ.

قوله: (﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾) مبتدأٌ خبره محذوف، قدَّره المفسِّر بقوله: (يجب لهن)، ويحتمل أنه خبرٌ لمبتدإٍ محذوف، تقديرُهُ: فاللازمُ لكم نِصف ما فرضتم، و﴿مَا﴾: اسم موصول، والعائد محذوف، وجملة ﴿فَرَضْتُمْ﴾: صِلته، و(نصفُ): يُقرأ بكسر النون وضمِّها، وهما لغتان، وفيه لغة ثالثةٌ وهي نَصِيف كـ(رغيف)[3].

قوله: (﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾) ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء، و﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب، و﴿يَعْفُونَ﴾: مبني على السكون لاتصاله بِنون النسوة وهي فاعل، والواو لامُ الكلمة لا واوُ الجماعة؛ لأن وزنها (يفعلن)، بخلاف: الرجال يَعفون؛ فإن وزنه (يَفعون)، وقدَّرَ المفسِّرُ (لكن)

---

(١) انظر «تحفة المحتاج» (٧/ ٤١٥)، و«المدونة» (٢/ ٢٣٢).

(٢) كذا في النسخ على الإضافة، ولو قال: (فرضاً) على الحكاية لكان أوضح.

(٣) قرأ بالضم زيد وعلي وأبو عمرو برواية الأصمعي، والجمهور بالكسر، والثالثة لم يقرأ بها، وسياق المصنف عند السمين في «الدر المصون» (٢/ ٤٩٢)، وفي (ط١): (ونصف: مثلث النون ونصيف كرغيف، ولا يقرأ في جميع مواضع القرآن إلا بكسر النون لا غير)، ويحمل على المتواترة دون الشاذة.

وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ....

فيَترُكَ لَها الكُلَّ، وعن ابنِ عبَّاس: الوَلِيُّ إذا كانَت مَحجُورَة، فلا حَرَجَ في ذلك، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ ـ مُبتدأٌ خبرُه: ـ ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ أي: أن يَتَفَضَّلَ بَعضكُم على بَعضٍ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿٢٣٨﴾ ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخَمسِ ....

حاشية الصاوي

إشارةً إلى أن الاستثناء منقطعٌ؛ لأن العفوَ ليس من جنس ما قبله؛ فإن ما قبله وجوبُ دفع نصف المهر.

قوله: (فيترك لها الكل) أي: وتسميتُهُ عفواً مشاكلةٌ لما قبله.

قوله: (الولي) أي: المجبِر، وقال به مالك.

قوله: (محجورة) أي: مجبورة.

قوله: (﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾) الضميرُ عائدٌ على مَن ذكر من الرجال والنساء، وإنما غلَّبَ الرجال لشرفهم، وأصله: تَعْفُوْوْنَ، دخل الناصبُ فحذف النون، ثم استثقلت الضمةُ على الواو فحذفت، فالتقى ساكنان حُذفتْ لامُ الكلمة لالتقائهما.

قوله: (﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾) استُشكل كلامُ ابن عباس: بأن عفوَ الولي لا تقوى فيه![1] أجيبَ: بأن المرادَ بالتقوى: الألفة؛ أي: فإذا عفا الوليُّ فربما تحصلُ الألفةُ من الزوج ثانياً.

قوله: (أي: أن يتفضل بعضكم على بعض) أي: يفعلُ بعضُكم مع بعض مكارمَ الأخلاق؛ بأن يحصلَ العفو عن جميع المَهر من الزوج، أو تعفوَ الزوجة عن النصف الذي يخصُّها.

قوله: (﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾) أتى بهذه الآية في خلال ما يتعلَّق بالأزواج والأولاد تنبيهاً على أنه لا ينبغي من العبد أن يشتغلَ عن حُقوق سيِّده بأمر الأزواج والأولاد، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [المنافقون: ٩].

---

(١) يعني: تفسيرُ ابن عباس الذي بيده عقدة النكاح أنه الولي يقتضي نفي وصفه بالتقوى؛ لأن ظاهر فعله يَعود بالضرر على من هو وليُّها.

وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ....

بِأدائِها في أوقاتِها، ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ هي العَصرُ أو الصُّبح أو الظُّهر أو غَيرُها،

حاشية الصاوي

قوله: (بأدائها في أوقاتها) أي: مع استكمال شُروطها وفرائضها وسننِها وآدابها، فإن فُقدَ شيءٌ من ذلك دخلَ في الوعيد، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وخصَّ الصلاةَ بالذكر؛ لأنها عِمادُ الدين(١)، ومعظمُ أركان الإسلام بعد الشهادتين(٢)، مَنْ أقامها فقد أقامَ الدين، ومَن هدَمَها فقد هدمَ الدين.

قوله: (﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾) فُعْلَى مؤنثُ الأوسط بمعنى: الأفضل والأَخْيَر، لا بمعنى: المتوسطة بين شيئين؛ فإنه ليس فيه مَزيد مزيَّة، وهو من عطف الخاصِّ على العام، والنكتةُ مزيدُ فضلها على غيرها؛ كليلة القدر، فهي أفضلُ الليالي.

قوله: (هي العصر) أي: لأنه وقتُ نزولِ ملائكة الليل وصعودِ ملائكة النهار، وبه قال الشافعي(٣).

قوله: (أو الصبح) لما ذُكِرَ(٤)، ولما في الحديث: «بُوركَ لأمتي في بُكُورها»(٥)، ولأنها تأتي الناسَ وهُم نيامٌ، وبه قال مالك.

قوله: (أو الظهر) أي: لأنها أوّلُ صلاة ظهَرت في الإسلام، وقوله: (أو غيرها) قيل: هي المغرب؛ لأنها وِتر صلاة النهار، وقيل: العشاء؛ لأنها تأتي الناس وهم كسالى، وقيل: هي الصلاةُ على النبي(٦)، وقيل: هي صلاةُ الجمعة، وقيل: الجنازة، ....

---

(١) روى البيهقي في «الشعب» (٢٥٥٠) عن عمر مرفوعاً: «الصلاةُ لوقتها، ومن ترك الصلاة فلا دينَ له، والصلاةُ عمادُ الدين».

(٢) كذا في النسخ: (معظم)، ولعلها: أعظم.

(٣) أي: المعتمد في مذهبه، وإلا فقد نقل الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ١٩٦) أن الشافعي في «الأم» نص أنها صلاة الصبح.

(٤) من نزول الملائكة، فقد روى البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».

(٥) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

(٦) قال العلامة الزرقاني في «شرح الموطأ» (١/ ٤٩٥): (وزاد بعض المتأخرين أنها الصلاة على النبي ﷺ).

وَقُومُوا لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ ....

أقوالٌ، وأفرَدَها بِالذِّكرِ لِفَضلِها، ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾ في الصَّلاةِ ﴿قَٰنِتِينَ﴾ قِيل: مُطِيعِين؛ لِقَولِه ﷺ: «كُلُّ قُنُوت في القُرآن فهو طاعَةٌ»، رَواهُ أحمدُ وغَيرُه، وقِيل: ساكِتِينَ؛ لِحَدِيثِ زَيد بن أرقَمَ: كُنَّا نَتكلَّم في الصَّلاة حتَّى نَزلَت فأُمِرنا بِالسُّكُوتِ، ونُهِينا عَن الكَلام. رَواهُ الشَّيخانِ.

﴿٢٣٩﴾ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ مِن عَدُوٍّ أو سَيلٍ أو سَبُعٍ، ....

حاشية الصاوي

وقيل: صلاةُ العيد(١).

وحكمةُ إخفائها: ليحافظ الإنسانُ على ذلك كلِّه؛ كما أخفى ليلةَ القدر في سائر الليالي، وساعةَ الإجابة في يوم الجمعة، والرجلَ الصالح في الخَلق، واختارَ ابنُ العربي وابنُ أبي جمرة: أن الصلاة الوسطى هي مجموعُ العصر والصبح، مستدلِّينَ بأدلة كثيرة تشهدُ بفضل هذَين الوقتين(٢).

قوله: (وأفردها بالذكر لفضلها) أشارَ بذلك لنُكتةِ عطفِها على الصلوات؛ لأنَّ عطفَ الخاصِّ على العامِّ يحتاجُ لنكتة.

قوله: (قيل: مطيعين(٣)) أي: لا مكرَهين ولا كسالى، بل ممتثِلين الأمرَ، مجتنبين النهيَ.

قوله: (وقيل: ساكتين(٤)) أي: إلا عن ذكر الله، ويلحقُ به مخاطبةُ النبي؛ فإنها لا تبطلُ الصلاة.

قوله: (من عدوٍّ) أي: مسلم أو كافر، وقوله: (أو سيلٍ أو سبع) أي: دافعَ كلٌّ منهما الناسَ، لو توانى واحدٌ منهم أخذَهُ ما ذكر.

---

(١) قال الحافظ في «فتح الباري» (٨/ ١٩٦): (وجمع الدمياطي في ذلك جزءاً مشهوراً سماه «كشف الغطا عن الصلاة الوسطى»، فبلغ تسعةَ عشر قولاً)، ثم أوردها كلها مدللاً لكل قول منها.

(٢) وصحَّح ابن العربي في «أحكام القرآن» (١/ ٣٠٠) عدم الترجيح، وأن الإبهام وَقع للحكمة التي ذكرها المصنف هنا، واختيار ابن أبي جمرة حكاه الحطاب في «مواهب الجليل» (١/ ٤٠٠).

(٣) حديث «كل قنوت...» رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٧٥) بلفظ: «كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة»، وبلفظه هنا رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٨٠٨)، ومعنى «كل قنوت» أي: سواء كان بصيغة الفعل أو الاسم المفرد أو الجمع، ومَعنى «فهو طاعة» أي: فمعناه الطاعة. «الفتوحات» (١/ ١٩٥).

(٤) رواه البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩).

﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً ....﴾

﴿فَرِجَالًا﴾ جمع (راجِلٍ)، أي: مُشاةً صَلُّوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ جمع (راكِبٍ) أي: كَيفَ أمكَنَ؛ مُستَقبِلِي القِبلةِ أو غَيرِها، ويُومِئ بِالرُّكُوعِ والسُّجُود، ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ مِن الخَوف ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: صَلُّوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ قَبل تَعلِيمِه مِن فَرائِضها وحُقُوقِها. ـ والكاف بِمَعنَى (مِثل)، و(ما) مصدرِيَّة أو مَوصُولة ـ.

﴿٢٤٠﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليُوصُوا ﴿وَصِيَّةً﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (جمع راجل) أي: ويجمع أيضاً على (رَجْل) بسكون الجيم، قال تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤][1]، ويجمعُ أيضاً على (رُجَّال) بتشديد الجيم المفتوحة.

قوله: (أي: مشاة) أي: مستقبلينَ القبلة.

قوله: (جمع راكب) هو في الأصل: راكبُ الإبل، لكن المرادُ به هنا: الراكبُ مطلقاً، إبلاً أو غيرَها، ولصلاة الخوف أقسامٌ تأتي في سورة (النساء).

قوله: (أي: صلُّوا) إنما سمَّى الصلاةَ ذكراً؛ لأنَّها جمَعت أنواعَ الذكر.

قوله: (﴿كَمَا عَلَّمَكُم﴾) أي: على الصفة التي علَّمَكم إيَّاها قبل حصول الخوف ولو ركعة، وحكمةُ الإتيان في جانب الخوف بـ(إن) التي تُفيدُ الشكَّ، وبـ(إذا) في جانب الأمن المفيدة لِلتحقيق: الإشارةُ إلى أن الأصلَ الأمن وهو محقَّقٌ، والخوفُ طارئٌ يزول.

قوله: (و(ما): موصولة) أي: والعائدُ محذوف، والتقديرُ: فاذكروا الله ذكراً مثلَ الذكر الذي علَّمَكموه ما لم تكونوا تَعلمون، و(ما) الثانية بدلٌ من (ما) الأولى أو من الضمير المحذوف، وقوله: (أو مصدرية) أي: تُسبكُ بمصدر، وظاهره: أن الكافَ أيضاً بمعنى مثل، ولكنه بعيدٌ، فالأظهر: أنها للتعليل، والتقدير: فاذكروا الله لأجل تَعليمه إيَّاكم ما لم تكونوا تعلمون، و(ما) معمولٌ لِـ(تعليم).

قوله: (﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾) حاصلُهُ: أنَّه كان في صدر الإسلام يجب على الرجل

---

(١) فقراءة الجمهور بسكون الجيم، وقرأ حفص بكسرها. انظر «الدر المصون» (٧/ ٣٨٢)، وهو كصاحب وصَحْب.

لِأَزْوَاجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ ....

ـ وفي قِراءةٍ بِالرَّفعِ أي: علَيهِم ـ ﴿لِأَزْوَاجِهِم﴾ ويُعطُوهُنَّ ﴿مَّتَٰعًا﴾: ما يَتمتَّعنَ بِه مِن النَّفَقة والكِسوَة، ﴿إِلَى﴾ تَمام ﴿ٱلْحَوْلِ﴾ من مَوتِهم الواجبِ عليهِنَّ تربُّصُه، ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ﴾: ـ حالٌ ـ أي: غَيرَ مُخرَجات مِن مَسكَنِهنَّ، ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بِأنفُسِهِنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولِياء المَيِّت ﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ﴾ شَرعاً، كالتَّزَيُّنِ وتَركِ الإحداد وقَطعِ النَّفَقة عَنها، ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في مُلكِه، ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعِه. والوَصِيَّةُ المَذكُورة مَنسُوخَة بِآيةِ المِيراث، وتَربُّصُ الحَول بِآيةِ ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ السَّابِقةِ المُتَأخِّرةِ في النُّزُول، والسُّكنَى ثابِتةٌ لَها عِند الشَّافِعِيِّ رحِمَهُ الله.

حاشية الصاوي

إذا حضَرته الوفاةُ أن يوصيَ بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجته سنةً؛ لأنها عِدَّتُها، ولا ينقطعُ عنها ذلك إلا بخروجها من نَفسها، ثم نُسخَ ذلك[1].

قوله: (وفي قراءة بالرفع) أي: وهي سبعيَّة[2].

قوله: (﴿مَّتَٰعًا﴾) مفعولٌ لمحذوف قدَّرَه المفسِّرُ بقوله: (ويعطوهن).

قوله: (حال) أي: من الزوجات.

قوله: (كالتزين وترك الإحداد) أي: فكان حلالاً في العِدَّة.

قوله: (وقطع النفقة عنها) أي: بخروجها من نفسها من غير إخراجِ أحدٍ لها.

قوله: (المتأخِّرة في النزول) جوابٌ عن سؤال، وهو أن المتقدِّمَ لا ينسخُ المتأخِّر! أجابَ: بأنه وإن تقدَّمَ تلاوةً إلا أنه متأخِّرٌ في النزول.

قوله: (والسكنى ثابتة لها عند الشافعي) أي: أربعة أشهر وعشراً، وأما عند مالك فهي ثابتةٌ لها إن كان السكن له أو نقدَ كِراءَهُ، وإلَّا.. نقدت هي كِراءَه ومكثت مكانَها حتى تخرجَ من العدة.

---

(١) انظر «البخاري» (٤٥٣١).

(٢) قرأ بالرفع ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٢/٥٠٢).

وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ ....

﴿٢٤١﴾ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ يُعطِيْنَهُ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾ بِقَدرِ الإمكان، ﴿حَقًّا﴾ - نُصِبَ بِفِعلِه المُقدَّر - ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الله تعالى، كَرَّرَهُ لِيَعُمَّ المَمسُوسَة أيضاً؛ إذ الآيةُ السَّابِقة في غيرِها.

﴿٢٤٢﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّنَ لَكُم ما ذُكِرَ، ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تَتدبَّرُون.

﴿٢٤٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ - استِفهامُ تَعجِيب ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ﴾) أي: مطلقاً، قبل الدخول أو بعده إلا مَنْ طُلِّقتْ قبل الدخول وأخذت نصفَ الصداق فلا مُتعةَ لها، وزاد مالكٌ المختلعةَ، فلا متعةَ لها أيضاً.

قوله: (﴿مَتَٰعٌۢ﴾) أي: متعة، وهي بقدر إمكان الزوج فقط عند مالك، وعند الشافعي بقَدرهما، ويسنُّ ألا تنقص عن ثلاثين درهماً.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾) إنما قال هنا ذلك، وقال فيما تقدم: ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأن بعضَ الأعرابِ حين نزلت الآيةُ الأولى طلَّقَ زوجته ولم يمتِّعْها، وقال: إن أردتُ أحسَنتُ، وإن أردتُ لم أحسِنْ، فنزلت: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

قوله: (بفعله المقدَّر) أي: تقديره: أحقُّهُ حقًّا.

قوله: (إذ الآيةُ السابقة في غيرها) أي: وأمَّا هذه فهي عامَّةٌ في كلِّ مطلَّقة ما عدا المطلقةَ قبل الدخول وأخَذت نصف المهر، والمختلعةَ والمخيَّرةَ والمُملَّكةَ عند مالك.

قوله: (كما بين لكم ما ذكر) هذا وعدٌ من الله ببيان كلِّ شيء في القرآن؛ ولذا قال الشافعي: (لو ضاعَ منِّي عقالُ بعير لَوجدته في القرآن)[2].

قوله: (استفهام تعجيب) أي: إيقاعٌ في العجب، والخطابُ قيل: للنبي، وقيل: لكلِّ من يصلحُ للخطاب، وهو أولى.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٤).

(٢) حكاه السيوطي في «الحاوي للفتاوي» (٢/ ١٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الشافعي رحمه الله تعالى في مقدمة «رسالته» (ص١٩): (ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلةٌ إلا وفي كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها).

إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْۚ

وتَشويقٍ إلى استِماع ما بَعدَه ـ أي: يَنتَهِ عِلمُك ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربَعةٌ أو ثَمانِيَة أو عَشَرة، أو ثَلاثُونَ أو أربَعُونَ أو سَبعُونَ ألفاً، ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ ـ مَفعُول لَهُ ـ وهُم قَوم مِن بَنِي إسرائِيلَ، وقَعَ الطَّاعُون بِبِلادِهِم ففَرُّوا، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتُوا، ﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْۚ﴾ بعدَ ثَمانِيةِ أيَّام أو أكثَرَ بِدُعاءِ نَبِيِّهم حِزقِيل ـ بِكَسرِ المُهمَلة والقاف وسُكُونِ الزَّاي ـ، . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (وتشويق) أي: إيقاعُهُ في الشوق؛ لأنَّ ما سيقَ بعد الطلب ألذُّ ممَّا سيقَ بلا تعبٍ، وعطفُ التشويق على التعجب من عطف المسبَّب على السبب.

قوله: (أي: ينتهِ علمك) أشارَ بذلك إلى أن (ترى) مضمنةٌ معنى (ينته)، والحاملُ له على ذلك تصريحُ الله بـ(إلى)، وإلَّا . . فـ(رأى) علميةٌ تتعدَّى للمفعولين بنفسها.

قوله: (ألفاً) تمييزٌ حذفه من الأول لِدلالة الأخير عليه، وقد ذكر المفسِّرُ ستةَ أقوال؛ أصحُّها الثلاثةُ الأخيرة؛ لأن (ألوفٌ) جمعُ كثرة، ومبدؤُه بعد العشرة.

قوله: (مفعول له) أي: لأجله، وقد استوفى شروطَه المذكورةَ في العربية.

قوله: (ففروا) أخذت الأئمةُ من الآية النهيَ عن الخروج من بَلد فيها الطاعون، فقال مالك بالكراهة، والشافعي بِالحرمة.

قوله: (فماتوا) قدَّره المفسِّرُ لعطف قوله: ﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْۚ﴾ عليه، وقوله: (﴿فَقَالَ لَهُمُ﴾) قيل: المراد: على لسان مَلك، وقيل: كناية عن سرعة الإيجاد.

قوله: (بعد ثمانية أيام) أي: حتى انتثرت عظامُهم، وذاب لحمُهم.

قوله: (حِزْقِيل) هو الخليفةُ الثالث في بني إسرائيل بعد موسى؛ لأنَّ موسى لما حضرته الوفاةُ خلَّفَ يوشعَ بن نون، فلمَّا حضَرته الوفاةُ خلَّفَ كالب، ثم عند موته خلَّفَ حِزْقِيل ويسمَّى ابنَ العجوز؛ لأنه جاءَها وهي عجوز، ويلقَّب بذي الكفل؛ لأنه كَفل ـ أي: وقى ـ سبعين نبيًّا من القتل، وردَ: أنه لما مرَّ عليهم وهم موتى قال: يا ربِّ؛ كنتُ في قوم يحمدونك ويهلِّلونك ويكبرونك، ىبقيتُ وحدي لا قومَ لي، فأوحى الله إليه أن قُلْ: أيُّها العظام؛ إن الله يأمرُكِ أن تجتمعي، فاجتَمعت العظام، فأوحى اللهُ إليه أن قلْ: أيُّها العظام؛ إن الله يأمرُكِ أن تكتَسي لحماً، فاكتست، ثم أمرَه الله

إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ ....

فعاشُوا دَهراً عليهِم أثَرُ المَوت، لا يَلبَسُونَ ثَوباً إلّا عادَ كالكَفَنِ، واستَمَرَّت في أسباطِهِم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومِنه إحياءُ هؤلاءِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُم الكُفَّار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾، والقَصدُ مِن ذِكر خَبرِ هؤلاءِ تَشجِيعُ المُؤمِنِينَ على القِتال، ولِذا عَطَفَ عليهِ:

﴿٢٤٤﴾ ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لِإعلاءِ دِينِه، ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِأقوالِكُم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأحوالِكُم ....

حاشية الصاوي

أن يقولَ لها: إن الله يأمرُكِ أن تقومي، فقاموا قائلين: سُبحانك اللهمَّ وبحمدك، لا إله إلا أنتَ[1].

إن قلتَ: كيف ماتَ هؤلاء مرَّتين مع قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]؟

قلت: إن الموتَ قبل استيفاء الأجلِ إما عقوبةٌ كموت الذين سَألوا الرؤيةَ قبلهم، أو عبرةٌ كموت العُزَير وحماره.

قوله: (فعاشوا دهراً) أي: مدَّةَ عمرهم.

قوله: (أثر الموت) أي: من الصفرة.

قوله: (واستمرَّت في أسباطهم) أي: أولادِهم كما هو مشاهدٌ في بعض اليَهود[2].

قوله: (ومنه إحياءُ هؤلاء) أي: لِيعتبروا ويظفروا بالسعادة.

قوله: (تشجيعُ المؤمنين) أي: حملُهُم على القتال.

قوله: (ولذا عطفَ عليه) أي: على الخبر المذكور، وقيل: معطوف على قوله: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ...﴾ الآية، وما بينهما اعتراضٌ.

قوله: (لإعلاء دينه) أي: لا لغنيمةٍ، ولا لإظهارِ شجاعة ونحو ذلك.

قوله: (﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ ... إلخ) فيه وعدٌ للمجاهدين، ووعيدٌ لمن تخلَّف عنهم.

---

(١) انظر روايات الخبر عند الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢٦٨).

(٢) قول السيوطي: (لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن) أي: في التغيُّر كتغير أكفان الموتى. «الفتوحات» (١/ ١٩٨).

مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ....

فمُجازِيكم.

﴿٢٤٥﴾ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاقِ مالِه في سَبِيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِأن يُنفِقَهُ لله عزَّ وجَلَّ عَن طِيب قَلبٍ، ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ - وفي قِراءة: (فيُضَعِّفُهُ) بِالتَّشدِيدِ - ﴿لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ مِن عَشرٍ إلى أكثَرَ مِن سَبعمِائةٍ كما سيأتِي، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيجازيكم) أي: على ما يعلمُ منكم، فالجزاءُ على حسَبِ البواطنِ لا الظواهر.

قوله: (﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى﴾) يحتملُ أن ﴿مَّن﴾ اسمُ استفهام مبتدأ، و﴿ذَا﴾: خبر، و﴿ٱلَّذِى﴾: بدلٌ منها، و﴿يُقْرِضُ﴾: صلة الموصول لا محلَّ لها من الإعراب، ويحتمل أن ﴿مَّن ذَا﴾ اسمُ استفهام مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى﴾: خبر، و﴿يُقْرِضُ﴾: صِلة الموصول.

قوله: (﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾) أي: يسلفُهُ، وهذا من تنزُّلات المولى لعباده، حيث خاطبَهم مخاطبةَ المحتاج المضطرِّ مع أنه غنيٌّ عنهم رحمةً بهم؛ على حدِّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وسمَّاه هنا قرضاً، وفي آية (براءة) بيعاً، وفي الحقيقة لا بيعَ ولا قرضَ؛ لأنَّ المُلْكَ كلَّهُ له، وحينئذٍ فليست مضاعفتُهُ على ذلك رباً؛ لأنه لا تجري أحكامُ الربا بين السيد وعَبده الحادثَينِ لملكِهِ له صورةً، فأولى بين السيدِ المالكِ القديمِ وعبدِهِ الذليلِ الضعيفِ الذي لا يملكُ شيئاً أصلاً، فمِنْ إحسانه عليه خلقَ ونسبَ إليه[1].

قوله: (﴿قَرْضًا﴾) مفعولٌ مطلق لقوله: ﴿يُقْرِضُ﴾.

قوله: (عن طيب قلب) أي: لا رياء ولا سمعة، بل يُنفقُهُ من حلال خالصاً لله.

قوله: (﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾) بالرفع والنصب، والتشديد والتخفيف، قراءاتٌ أربعٌ سبعيَّةٌ، فالرفعُ عطفٌ على ﴿يُقْرِضُ﴾، والنصبُ بـ(أنْ) مضمرة بعد فاء السببية في جواب الاستفهام[2].

قوله: (كما سيأتي) أي: في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾ الآية، وكثرةُ المضاعفة على حسَب الإخلاص، قال عليه الصلاة والسلام: «اللهَ اللهَ

---

(١) وفي «حكم ابن عطاء» (١٢٩): (إذا أراد أن يظهرَ فضله عليك.. خلقَ ونسبَ إليك).

(٢) قرأ عاصم وابن عامر هنا وفي «الحديد» بنصب الفاء، إلا أن ابن عامر يشدِّد العين من غير ألف، والباقون برفعها، إلا أن ابن كثير يشدِّد العينَ من غير ألف. «الدر المصون» (٢/ ٥٠٩).

وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ....

﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ﴾: يُمسِك الرِّزقَ عَمَّن يَشاءُ ابتِلاءً، ﴿وَيَبۡصُۜطُ﴾: يُوَسِّعهُ لِمَن يَشاء امتِحاناً، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ في الآخِرَة بِالبَعثِ، فيُجازِيكُم بِأعمالِكُم.

﴿٢٤٦﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ﴾: ....

حاشية الصاوي

في أصحابي، لا تتخذوهم غَرَضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيده؛ لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَهُ»[١].

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾) هذا كالدليل لما قبله؛ أي: إن الإنفاقَ لا يقبضُ الرزقَ، وعدمَهُ لا يَبسطُهُ، بل القابضُ الباسطُ هو الله.

قوله: (ابتلاء) أي: اختباراً، هل يصبرون ولا يشكون أم لا؟

قوله: (امتحاناً) أي: هل يشكرون أم لا؟ فالمطلوبُ من الإنسان أن يكونَ كما قال الشاعر: [الكامل]

اِسْتَغْنِ ما أَغْناكَ رَبُّكَ بِالغِنَى ... وإذا تُصِبْكَ خَصاصَةٌ فَتَجَمَّلِ[٢]

فلا يشكو ربَّهُ في حال فَقره، ولا يَطغى في حال غناه، قال أهلُ الإشارات: في الآية إشارةٌ خفيَّةٌ إلى أن القبضَ لا بدَّ وأن يَعقبَهُ بسطٌ، بخلاف العكس.

قوله: (فيجازيكم بأعمالكم) أي: يثيبُ المنفقَ ويعذِّبُ الممسِك.

قوله: (﴿أَلَمۡ تَرَ﴾) ضمِّنت معنى (يَنتهِ) فعدِّيت بـ(إلى) كما تقدَّمَ نظيره، والاستفهامُ هنا نظيرُ ما تقدَّمَ، فالمقصودُ من ذكر هذه القصة: العبرةُ؛ حيث كانوا كثيراً ولو لم يوجد الصدقُ في غالبهم، فالمعنى: لا تكونوا ـ يا أمةَ محمد ـ كمَن ذكروا في الجبنِ والمخالفة.

---

(١) جمع رحمه الله بين حديثين؛ فقد روى الترمذي (٣٨٦٢) عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضَهم فببغضي أبغضَهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى اللهَ فيوشكُ أن يأخذَهُ»، وروى البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفقَ مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

(٢) هو عبد القيس بن خفاف البرجمي، قاله في قصيدة ينصح بها ابنه. انظر «المفضليات» (ص٣٨٥)، و«الأصمعيات» (ص٢٣٠)، والبيت فيه شاهد لجزم (إذا) كما ترى، وانظر «خزانة الأدب» (الشاهد ٢٩٢)، والتجمُّل: تكلُّفُ الجميل وإظهار حسن الحال.

مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ ....

الجَماعةِ ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ﴾ مَوتِ ﴿مُوسَىٰٓ﴾ أي: إلى قِصَّتِهم وخَبرِهم، ﴿إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ﴾ هو شَمْويلُ: ﴿ٱبۡعَثۡ﴾: أَقِم ﴿لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ﴾ معَهُ ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ تنتَظِم بِه كلِمَتنا ونَرجِع إلَيه، ﴿قَالَ﴾ النَّبِيُّ لَهم: ﴿هَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ ـ بِالفَتحِ والكَسر ـ ﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَ﴾ن ﴿لَا تُقَٰتِلُواْۖ﴾ ـ خَبَر (عَسَى)، والاستِفهامُ لِتَقرِيرِ التَّوَقُّع بها ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (الجماعة) أي: الأشراف؛ لأنهم هم الذين يملؤون العينَ هيبة وأنساً.

قوله: (﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾) ﴿مِنۢ﴾: تَبعيضية، وحاصلُ مبدإِ تلك القصة: أنه عند وفاة موسى خلَّفَ الله على بني إسرائيل يوشعَ بنَ نون، فقامَ بالخلافة حقَّ القيام، ثم لمَّا مات تخلَّفَ عليهم كالبٌ، ثم حِزْقِيل، ثم إلياس، ثم اليسع، فقاموا جميعاً بالخلافة كمن قبلهم، ثم ظهرت لهم العمالقةُ وكانوا في بلد قريبة من بيت المقدس يُقال لها: فِلَسْطِين، وهم من أولاد عِمْلِيق بن عاد، فغلبوا على كثير من بلادِهم، وأسروا من أبناء مُلوكهم أربع مئة وزيادة، وضربوا عليهم الجزية، ولم يكن فيهم إذ ذاك نبيٌّ ولا ذريةُ نبيٍّ إلا امرأة حبلى من ذُرية لاوي من أولاد يعقوب، فولدت غلاماً فسمَّته شَمْوِيل، فلمَّا كَبِرَ نبَّأهُ اللهُ عليهم وأرسلَهُ إليهم، ثم إنهم طلبوا منه مَلِكاً يقيمُ أمرهم ويرشدُهم لما فيه صلاحُهم، فأقام لهم طالوتَ، إلى آخر ما قصَّ الله.

قوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ﴾) ﴿مِنۢ﴾: ابتدائيةٌ.

قوله: (إلى قصتهم وخبرهم) بيانٌ للمراد من الآية؛ لأنه لا معنى لرؤية ذواتهم.

قوله: (﴿نُّقَٰتِلۡ﴾) مجزومٌ في جواب الأمر.

قوله: (والاستفهام لتقرير التوقع) والمعنى: أترقَّب منكم عدمَ القيام بالقتال، وقوله: (خبر عسى) أي: واسمها التاء، وقوله: (﴿إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾) جملةٌ معترضة بين اسمها وخبرها، وجوابُ الشرط محذوفٌ تقديرُهُ: فلا تقاتلوا[1].

---

(١) وقول السيوطي: (عسيتم بالفتح والكسر) قرأ نافع بكسر السين، وهي لغة في (عسى) مع التاء ونون الإناث، وقرأ الباقون بالفتح. انظر «الدر المصون» (٢/ ٥١٥).

﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾ ....

﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَ﴾نْ ﴿لَا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ﴾ بِسَبيِهم وقَتلِهم، وقد فَعَلَ بِهِم ذلك قَومُ جالُوت، أي: لا مانِعَ لنا منه مع وُجودِ مُقتَضِيه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ﴾ عنهُ وجَبُنُوا ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾ وهُم الَّذينَ عَبَرُوا النَّهر مع طالُوتَ كما سيأتِي، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ﴾) (ما): استفهامية بمعنى شيء، مبتدأ، و﴿لَنَآ﴾: متعلِّقٌ بمحذوف خبر، و(أنْ): مقدَّرٌ قبلَها الجار، و﴿لَا﴾: بمعنى عدم، ويكون المعنى: أيُّ شيء ثبتَ لنا في عدم القتال؟

قوله: (﴿وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا﴾) جملةٌ حالية، والمعنى: أُخرجَ أصولُنا وأبناؤهم[1].

قوله: (فعل بهم ذلك قوم جالوت) أي: حين مات آخر نبيٍّ لهم وهو اليسعُ، وضربوا عليهم الجزيةَ، وأسرُوا من أبناء ملوكهم أربع مئة ألف وشيئاً فضلاً عن غيرهم.

قوله: (أي: لا مانعَ لنا منه) تفسيرٌ للمعنى المراد من الآية.

قوله: (﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ﴾) مرتَّبٌ على محذوف تقديرُهُ: فدعا شَمْوِيل ربَّه بذلك، فبعث لهم ملكاً، وكتبَ عليهم القتال، فلما كتب عليهم... إلخ.

قوله: (وجَبُنُوا) عطف تفسير، وهو تركُ القتال خوفَ الموت، وسيأتي بيانُ جُبْنِهم.

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾) منصوبٌ على الاستثناء من الواو في ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾، وهو استثناءٌ متصل، وكان عدَّتُهم ثلاثَ مئة وثلاثةَ عشرَ.

---

(١) قال العلامة السمين في «الدر المصون» (٢/ ٥١٨): («وأبنائنا» عطف على «ديارنا» أي: ومن أبنائنا، فلا بدَّ من حذف مضاف تقديره: «من بين أبنائنا»، كذا قدَّره أبو البقاء، وقيل: إن هذا على القلب، والأصل: وقد أُخرج أبناؤنا منَّا، ولا حاجة إلى هذا)، واختار الأجهوري في «الكوكبين» أن فعل (أخرجنا) ضُمِّن معنى أُبعدنا. انظر «الفتوحات» (١/ ٢٠٠).

لطيفة: قال الإمام القشيري في «لطائف الإشارات» (١/ ٢٣٦): (يقال: إنهم أظهروا التصلُّب والجدَّ في القتال ذبًّا عن أموالهم ومنازلهم، فلذلك لم يَتم قصدُهم؛ لأنه لم يخلُصْ لحقِّ الله عزمُهم، ولو أنهم قالوا: وما لنا ألا نقاتلَ في سبيل الله لأنه قد أمرنا وأوجب علينا؛ فإنه سيدُنا ومولانا، ويجب علينا أمره.. لعلهم وُفِّقوا لإتمام ما قَصدوه).

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ ....

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمُجازِيهم.

﴿٢٤٧﴾ وسَأَلَ النَّبيُّ ربَّه إرسالَ مَلِك، فأجابَهُ إلى إرسالِ طالُوتَ، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى﴾: كَيفَ ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لِأَنَّهُ ليسَ مِن سِبْطِ المَملَكة ولا النُّبُوَّة، وكانَ دَبَّاغاً أو راعِياً، ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يَستَعِينُ بِها على إقامَة المُلك، ﴿قَالَ﴾ النَّبيُّ لَهُم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾: اختارَهُ لِلمُلكِ ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: سَعةً ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، وكانَ أعلَمَ بَنِي إسرائِيل يَومئِذٍ وأجمَلَهم وأتَمَّهم خَلقاً، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾) أي: منهم، وهذا وعيدٌ عظيم لمن جَبُن عن القتال.

قوله: (كيف) تفسير لـ﴿أَنَّى﴾، والعاملُ فيه ﴿يَكُونُ﴾.

قوله: (لأنه ليس من سبط المملكة) أي: لكونه لم يكن من ذُرية يهوذا بن يعقوب، وقوله: (ولا النبوة) أي: لِكونه لم يكن من ذرية لاوي، بل هو من ذرية بنيامِين أصغر أولاد يعقوب، وكانت ذريتُهُ لا نبوةَ فيهم ولا مملكة، بل أُقيموا في الحِرَف الدنيئة من أجل مَعاصيهم[1].

قوله: (﴿سَعَةً﴾) أصله: وَسْع، حذفت فاء الكلمة وهي الواو وعُوِّضَ عنها تاءُ التأنيث كما في عِدَة وزِنَة، وحُذفت في مضارعه لوقوعها بين عدوَّتيها؛ لأن أصله: يَوْسِع.

قوله: (وكان أعلم بني إسرائيل) فكان يحفظ التوراة، وقوله: (وأتمَّهم خَلْقاً) أي: فكان يزيدُ على أهل زمانه بكتفيه ورأسه، قيل: ورد أنه لما دعا شَمْوِيلُ ربَّه أن يبعثَ لهم ملكاً أعطاه الله قرناً فيه طيباً ـ ويسمَّى طيبَ القدس ـ وعصاً، وأوحى إليه: إذا دخلَ عليك رجلٌ اسمه طالوت فانظُرْ في القرن، فإذا فارَ فادهَن رأسه به، وقِسْهُ بالعصا، فإذا جاءَ طولَها فهو الملكُ، فلمَّا دخل عليه فعلَ

(١) الخبر رواه الطبري في «تفسيره» (٣٠٦/٥) عن وهب بن مُنبه.

وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ....

﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ﴾ إيتاءَهُ لا اعتِراضَ عليه، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فَضلُه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَن هو أهلٌ له.

﴿٢٤٨﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لَمَّا طَلَبُوا مِنه آيَةً على مُلكِه: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾: الصُّندُوقُ كانَ فِيه صُوَر الأنبِياء، ....

حاشية الصاوي

به كما أُمرَ، فإذا هو طولُها، ثم دهنَ رأسه بذلك الدهن وقال له: إن اللهَ جعلكَ ملكاً على بني إسرائيل، فقال: كيف ذلك مع أني أدنى منهم؟ فقال له: اللهُ يؤتي ملكَهُ مَن يشاء[1].

قوله: (﴿عَلِيمٌ﴾ بمَن هو أهله) أي: فلا حرجَ عليه في فعلٍ ولا ترك.

قوله: (﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾) أي: حين استبعدُوا مجيءَ الملكِ له.

قوله: (لما طلبوا منه آية) (لما): بمعنى حين، ظرفٌ لقوله: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: وقع منهم القول وقتَ طلبهم منه آية.

قوله: (الصندوق) ويُقال: بالزاي والسين، وكلٌّ من الثلاثة إما مفتوح أو مضموم، أفصحُها بالصاد مع الضمِّ، وكان من خشب الشِّمْشار[2]، طولُهُ ثلاثةُ أذرع، وعرضُهُ ذراعان، مموَّهٌ بالذهب، وكان عند آدمَ، فيه صورُ الأنبياء جميعِهم، وفيه صورةُ محمد وبيته وأصحابه وقيامه يُصلي بينهم[3]، ثم توارثه ذريةُ آدم إلى أن وصل لموسى، فكان يضعُ فيه التوراة، ووضع بقيَّةَ الألواح التي تكسَّرت، ثم أخذه بنو إسرائيل بعد موسى، وكانوا إذا خرجوا لِلقتال يقدِّمونه بين أيديهم، وكانت الملائكةُ تحمله فوق رؤوس المقاتلين، ثم يشرعون في القتال، فإذا سمعوا صيحةً تيقَّنوا النصرَ، فلما انقرضت أنبياؤهم.. سلَّطَ اللهُ عليهم العمالقة بسبب فسادهم، فأخذوا منهم الصندوق وجَعلوه في موضع البول

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٣٣٣)، و«تفسير الخازن» (١/ ١٨٠).

(٢) في «الفتوحات» (١/ ٢٠١) بالذال بدل الراء، قال العلامة الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٢/ ٣٢٧): (وشمشاذ بالذال والدال: شجر السرو، وشمشار بالراء وشمشير: شجر الصمغ، وكله فارسية)، وانظر «تاج العروس» (ش م ش ذ).

(٣) كذا في «تفسير الثعالبي» (٢/ ٢١٢).

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ ....

أنزَلَهُ اللهُ على آدَمَ واستَمَرَّ إلَيهِم، فغَلَبَتْهُم العَمالِقةُ عليه وأخَذُوهُ، وكانُوا يَستَفتِحُونَ بِه على عَدُوِّهِم ويُقَدِّمُونَهُ في القِتال ويَسكُنُون إلَيهِ، كما قال تَعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: طُمَأنِينةٌ لِقُلُوبِكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي: تَرَكاهُ هُما، وهيَ نَعلَا مُوسَى وعَصاهُ، وعِمامَةُ هارُونَ، وقَفِيز مِن المَنِّ الذي كانَ يَنزِل عليهم، ورُضاضٌ مِن الألواح، ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ـ حالٌ مِن فاعِل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ﴾ على مُلكِه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فحَمَلَتهُ المَلائِكةُ بَين السَّماء والأرضِ

حاشية الصاوي

والغائط، فلما أرادَ الله إظهارَ مُلْكِ طالوت.. سلَّطَ الله عليهم البلاءَ، فكان كلُّ من بالَ عنده ابتلي بالبواسير، حتى خربت خمسُ بلاد من بلادهم، فلمَّا كثرَ خوفُهم منه.. أخرجوه لِلخلاء، ثم حملته الملائكةُ وأتَت به لطالوت[١].

قوله: (أنزله الله على آدم) أي: ثم توارثه ذريتُهُ من بعده.

قوله: (فغلبتهم العمالقة) أي: بعد موت أنبيائهم.

قوله: (وكانُوا يَستَفتِحُونَ به) أي: يطلبون الفتحَ والنصرَ به.

قوله: (ويَسكنون إليه) أي: ويطمئنونَ بقُدومه على العدو.

قوله: (طُمَأْنِينةٌ لقلوبكم) أي: فـ(في) للسببية، فالمعنى: أن السكينةَ تحصلُ بِسببه ومن أجله، وقيل: المرادُ بالسكينة: صورةٌ من زَبَرْجَدٍ على صورة الهرَّة غير أن لها جناحَين، فإذا صوَّتت في الصندوق استبشروا بالنصر، وقيل: المرادُ بالسكينة: صورُ الأنبياء، فالظرفية على بابها.

قوله: (أي: تركاه هما) بيانٌ للمراد من الآية، فأطلق الآل وأرادَ منه نفسَ موسى وهارون، وكثيراً ما يُطلق آلُ الرجل على الرجل نفسه.

قوله: (ورُضاضُ الألواح) أي: كِسَرُها.

قوله: (حال من فاعل ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾) أي: وهو التابوت.

قوله: (﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾) أي: إتيانِ التابوت على الوصف المذكور.

---

(١) الخبر بطوله عند البغوي في «تفسيره» (١/ ٣٣٥).

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ ....

وهُم يَنظُرُونَ إلَيه، حتَّى وضَعَتهُ عِند طالُوتَ، فأقَرُّوا بِمُلكِه وتَسارَعُوا إلى الجِهاد، فاختارَ مِن شُبَّانِهِم سَبعِينَ ألفاً.

(٢٤٩) ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾: خَرَجَ ﴿طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ مِن بَيتِ المَقدِس، وكانَ الحَرُّ شَدِيداً وطَلَبُوا مِنه الماءَ، ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مُختَبِرُكُم ﴿بِنَهَرٍ﴾ لِيَظهَرَ المُطِيعُ مِنكُم والعاصِي، وهو بَين الأُردُنِّ وفِلَسطِين، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: مِن مائِه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: مِن أتباعِي، ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: يَذُقْهُ ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غَرْفَةً﴾ - بالفَتحِ والضَّمِّ - ﴿بِيَدِهِۦ﴾ فاكتَفَى بِها ولم يَزِد علَيها، فإنَّهُ مِنِّي، ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾ لَمَّا وافَوْهُ بِكَثرَةٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (فاختار من شبابهم) أي: الذين لا شاغلَ لهم دُنيوي؛ لأنه كان لا يأخذُ من كان عنده بناءٌ لم يتمَّ، ومَن عقدَ على زوجة ولم يدخُلْ، ومن كان مشغولاً بتجارة.

قوله: (سبعين ألفاً) وقيل: ثمانون ألفاً، وقيل: مئةُ ألف وعشرون ألفاً.

قوله: (﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾) أي: انفصلَ، وهو مرتَّبٌ على محذوف تقديرُهُ: فجمعَهم.

قوله: (وهو بين الأَرْدُنِّ) بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال وتشديد النون[1]، موضعٌ قريب من بيت المقدس، وقوله: (وفلَسطين) بفتح الفاء وكسرها وفتح اللام لا غير، قال بعضهم: إنه قرية، وقال بعضهم: إنه عِدَّة قُرًى قربَ بيتِ المقدس.

قوله: (﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾) أي: بكثرة؛ بدليل ما بعده، وهذا النهرُ باقٍ يجري إلى الآن بين الخليلِ وغزَّة.

قوله: (يذقه) أشارَ بذلك إلى أن الطَّعْمَ بمعنى الذوقان يُطلق على المأكول والمشروب[2].

قوله: (بالفتح والضم) قراءتان سبعيَّتان بمعنى: الشيء المغروف، وقيل: بالفتح: اسمٌ

(١) كذا في النسخ، وضبَطه ياقوت في «معجم البلدان» (١/ ١٤٧) بضم أوله، وكذا في «الفتوحات» (١/ ٢٠٢)، ولعله الصواب.

(٢) الطعم بفتح الطاء وسكون العين بمعنى الذوق، ويجوز ضم الطاء ولكنه لا يختصُّ بالذوق.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ ....

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ﴾ فاقتَصرُوا على الغُرفَة، رُوِيَ أنَّها كَفتهُم لِشُربِهِم ودَوابِّهِم وكانُوا ثَلاثمِائةً وبِضعَة عَشرَ رَجُلاً، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ وهُم الَّذِينَ اقتَصرُوا علَى الغُرفَة، ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الذينَ شَربُوا: ﴿لَا طَاقَةَ﴾: قُوَّةَ ﴿لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي: بِقِتالِهِم، وجَبُنُوا ولم يُجاوِزُوهُ، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقِنُونَ ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ بِالبَعثِ، وهُم الَّذينَ جاوَزُوهُ: ﴿كَم﴾ - خَبَرِيَّة بِمَعنَى: كَثِير - ﴿مِّن فِئَةٍ﴾: جَماعةٍ ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِإرادَتِه، ....

حاشية الصاوي

للاغتراف، وبالضم: اسمٌ للشيء المغروف، وقيل: بالفتح والضم بمعنى: المصدر، أشهرُها: أوسطُها[1].

قوله: (﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ﴾) استثناءٌ من قوله: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾ المقيَّد بالكثرة، فالمعنى: إلا قليلاً شربوا منه بقلَّة، فيؤخذ منه أن الجميعَ شربوا لكن أكثرهم شربَ بكثرة، وأقلهم شربَ منه بقلَّة.

قوله: (وبضعة عشر) البضعة: من ثلاثةَ عشرَ إلى تسعةَ عشرَ، لكن المرادُ بها هنا ثلاثةَ عشرَ كما في أكثر الروايات، وهم عدَّة غزوةِ بدر[2].

قوله: (﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾) أي: تعدَّاه.

قوله: (﴿وَجُنُودِهِۦ﴾) قيل: عدَّتهم مئةُ ألف شاكي السلاح، وقيل: أكثر، وكان طولُ جالوت ميلاً، وخوذتُهُ التي على رأسه ثلاث مئة رِطْل.

قوله: (﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾) استُشكل: بأن من شرب كثيراً مُؤمنون![3]

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الغين، والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٢/ ٥٢٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٥١٠) عن سعيد بن جبير، والبضعة من الثلاثة إلى التسعة، فبيانها هنا لمراعاة السياق.

(٣) لظاهر قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾، والإمام السيوطي جرى أن الذين شربوا لم يجاوزوا النهر، بل قالوا هذا القول وهم على ساحِله معتذرين عن التخلف، وعامة المفسرين أنهم جاوزوه ثم رجعوا منهزمين. انظر «الفتوحات» (١/ ٢٠٣).

وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ ....

﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالعَونِ والنَّصرِ.

﴿٢٥٠﴾ ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي: ظَهَرُوا لِقِتالِهِم وتَصافُّوا، ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ﴾: اصبُبْ ﴿عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ بِتَقوِيَةِ قُلُوبِنا على الجِهاد، ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٢٥١﴾ ﴿فَهَزَمُوهُم﴾: كَسَرُوهُم ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بِإرادَتِه، ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾ وكانَ في عَسكَرِ طالُوتَ ....

حاشية الصاوي

وأجيبَ: بأنه سلب إيمانهم بكثرة الشرب، وأجيبَ أيضاً: بأن المراد: يَظنون أنهم ملاقو الله؛ أي: بالموت في تلك الواقعة، فلا أملَ لهم في الحياة.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) قيل: من كلامهم، وقيل: من كلام الله بشارةً لهم، والمرادُ معيَّةٌ معنوية خاصة.

قوله: (أي: ظهروا لِقتالهم) أي: فلم يَبقَ بينهم حجابٌ أبداً، بل خرجوا في البَرَازِ الذي هو صحراءُ الأرض.

قوله: (اُصبُبْ ﴿عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾) أي: كصبِّ الماء على الأرض الجُرُز.

قوله: (﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾) أي: ابن إيشى[1]، وكان إيشى من جملة عسكر طالوت، وكان أولادُهُ ثلاثةَ عشرَ معه أصغرُهم داوود، وكان يرعى الغنم، فلمَّا خرجوا للقتال.. مرَّ داوود بحجرٍ فناداه: يا داوود؛ احملني فإني حجرُ هارون، فحَمله، ثم مرَّ بآخر فقال له: احملني فإني حجرُ موسى، فحمله، ثم مرَّ بآخر فقال له: احملني فإني حجرُكَ الذي تقتلُ به جالوت، فحمَله، ووضع الثلاثة في مخلاته، فلمَّا تصافُّوا للقتال نادى طالوت: كلُّ مَن يقتلُ جالوت فإني أزوِّجه ابنتي وأُناصفُهُ

(١) بوزان كِسْرَى كما في «الفتوحات» (١/ ٢٠٤)، ورسمت في النسخ بالممدودة، والألف التي تكون آخر اللفظ الأعجمي تكون مقصورة.

جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ

﴿جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ﴾ أي: داوُدَ ﴿ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في بَني إسرائيلَ، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: النُّبُوَّةَ بعد مَوت شَمويل وطالُوتَ، ولم يَجتَمِعَا لِأحَدٍ قَبلَه، ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ كصَنعَةِ الدُّرُوع ومَنطِقِ الطَّير، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ ....

حاشية الصاوي

في ملكي، فلم يتقدَّمْ أحدٌ، فسأل طالوت شَمْوِيل، فدعا ربَّهُ فأتى بقرن فيه دهن، وقيل له: الذي يقتل جالوت هو الذي إذا وُضِعَ الدهنُ على رأسه لا يَسيلُ على وجهه، فدعا طالوت القومَ وصار يدهن رؤوسَهم، فلم تصادِفْ تلك الصفةُ أحداً، إلى أن وصلَ لداوود فصادف، فقال له: أنتَ تبرزُ له، فقال: نعم، فأتى بالمقلاع وأخرج حجراً من مخلاته وقال: باسمِ ربِّ إبراهيم، وأخرج حجراً آخرَ وقال: باسمِ ربِّ إسحاق، وأخرج آخرَ وقال: باسمِ ربِّ يعقوب، ثم وضعها في مِقلاعه فصارت الثلاثةُ حجراً واحداً، فرمى به جالوت فأصابه في خُوذته وخرج من دماغه فقتلَ ثلاثين رجلاً، فأخذَ داوود جالوتَ حتى ألقاه بين يدَي طالوت، ففرحَ هو ومن معه من بني إسرائيل، وزوَّجه ابنته وأعطاه نصفَ الملك، فمَكث كذلك أربعين سنةً، فلما مات طالوتُ وشَمْويلُ انفردَ بالملك، فعاش نبيًّا ملكاً سبعَ سنين، ثم خلَفه سليمانُ ولَدُهُ في النبوة والملك[1].

قوله: (﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾) أي: استقلالاً سبعَ سنين.

قوله: (كصنعة الدروع) أي: وكان يَلينُ في يده من غير نار، وينسجُهُ كالغزل.

قوله: (ومنطقِ الطير) أي: فَهْمِ أصواتها، بل وجميع الحيوانات.

قوله: (﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾) أي: لولا أن اللهَ يدفعُ الناسَ وهم أهل الكفر والمعاصي ببعض الناس وهم أهلُ الإيمان والطاعة.. لَغلبَ المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين، وخرَّبوا المساجدَ والبلاد، وقيل: معناه: لولا دفعُ الله بالمؤمنين والأبرار عن الكُفار والفجار.. لفسدت الأرض؛ أي: هلَكت ومن فيها، ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكفار وبالصالح عن الفاجر، وعن ابن عمرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن اللهَ ليدفعُ بالمسلمِ عن مئةٍ من أهلِ بيتٍ من جيرانِهِ البلاءَ، ثم قرأ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾ الآية**»[2].

---

(١) الخبر عن ابن إسحاق رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٥٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ٢١٥)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٧٤)، وعليه الباء في «ليدفعُ بالمسلم» للسببية.

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ....

بَعْضَهُم﴾ ـ بَدَلُ بَعض مِن ﴿النَّاسَ﴾ ـ ﴿بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بِغَلَبةِ المُشرِكِينَ وقَتلِ المُسلِمِينَ وتَخرِيب المَساجِد، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، فدَفَعَ بَعضَهُم بِبَعض.

﴿٢٥٢﴾ ﴿تِلْكَ﴾: هَذهِ الآياتُ ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾: نَقُصُّها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بِالصِّدقِ، ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ـ التَّأكِيدُ بِـ(إنَّ) وغَيرِها رَدٌّ لِقَولِ الكُفَّار له: (لَستَ مُرسَلاً) ـ.

﴿٢٥٣﴾ ﴿تِلْكَ﴾ ـ مُبتَدَأ ـ ﴿الرُّسُلُ﴾ ـ صِفَةٌ، والخَبَر ـ: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾) يعني: أن دفعَ الفساد على هذا الوجه بطريق إنعامِ الله وتَفضله، فعمَّ الناسَ كلَّهم، ومن المعلوم أن (لولا) حرفُ امتناع لوجود، فالمعنى: امتنعَ فسادُ الأرض لأجل وُجود دفعِ الله الناس بعضهم عن بعض، وهذه الآيةُ كالدليل لما ذُكرَ في القصة من مشروعيةِ القتال ونَصرِ داوود على جالوت.

قوله: (هذه الآيات) أي: فالإشارةُ عائدةٌ على ما تقدَّمَ من أول الربع إلى آخره؛ لما فيه من عظيم العجائب، والإشارةُ في الآية لِلبعيد نظراً لبُعْدِ زمن تلك القصة، وإنما فسَّرَه بالقريب نظراً للفظ الدالِّ عليها، فأفادَ المفسِّرُ أنه يصحُّ إرادةُ المعنيَين، فلا مخالفةَ بين إشارة الآية وإشارة المفسِّر.

قوله: (بالصدق) أي: الذي لا يحتملُ النَّقيض.

قوله: (وغيرها) أي: وهي اللامُ والجملةُ الاسمية.

قوله: (﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾) اسمُ الإشارة عائدٌ على الرسل المذكورين من أول السورة إلى هنا، أو على المذكورين بلصقها، وأتى بالإشارة البعيدة نظراً لِبُعد زمنهم، أو لبُعدِ رتبتهم وعلوِّها عند الله.

قوله: (صفة) أي: أو عطف بيان، أو بدل؛ لأن المحلَّى بـ(أل) بعد اسم الإشارة يجوزُ فيه الثلاثة.

﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ ....

بتخصيصه بمنقبةٍ ليست لغيره، ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ كموسى، ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي: محمداً ﷺ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ على غيره، بعموم الدعوة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بتخصيصه بمَنْقبة) أي: بصفة الكمال، وذلك بفضل الله لا بصفةٍ قائمة بذاته بحيث تقتضي التخصيصَ بالمناقب لذاته، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١].

قوله: (﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾) بيانٌ لِلتفضيل، وقوله: (﴿كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾) أي: كلَّمَهُ اللهُ بغير واسطة.

قوله: (كموسى) أي: في الطور ليلةَ الحَيْرة وغيرها[1]، والحقُّ: أن كلامَ الله لموسى لا يحصى بعدد، وأَدخلَت الكافُ محمداً ليلةَ الإسراء، وإنَّما لم يشتهِرْ بالكلام؛ لأنه حاز مَنصباً أشرفَ من المكالمة، وهي الرؤية.

قوله: (أي: محمداً) مثلُ هذا التفسير لا يُقال من قبل الرأي، بل هو الوارِد[2]، وقد أشارَ لذلك العارف بقوله: [الوافر]

وإنْ ذَكَرُوا نَجِيَّ الطُّورِ فَاذْكُرْ ... نَجِيَّ العَرْشِ مُفْتَقِراً لِتَغْنَى

فَإنَّ اللهَ كَلَّمَ ذاكَ وَحْياً ... وَكَلَّمَ ذَا مُشافَهَةً وَأَدْنَى

وإنْ قابَلْتَ لَفْظَةَ «لَنْ تَرانِي» ... بِـ«ما كَذَبَ الفُؤادُ» فَهِمْتَ مَعْنَى

فَمُوسَى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ... وأَحْمَدُ لَمْ يَكُنْ لِيَزِيغَ ذِهْنَا[3]

قوله: (بعموم الدعوى) أي: لجميع المخلوقات حتى الجمادات والملائكة والجن[4]، ولا يردُ حُكْمُ سليمانَ في الجن؛ فإنه حُكم سَلطنةٍ لا رسالة.

---

(١) سُميت بليلة الحيرة لتحيُّره في معرفة طريقه من مسيره من مَدين إلى مصر وفي الطور. انظر «السراج المنير» للخطيب (١/ ١٦٦).

(٢) نحو ما رواه مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «أنا سيِّدُ ولد آدم يومَ القيامة، وأولُ من ينشقُّ عنه القبر، وأولُ شافع، وأولُ مشفَّع».

(٣) الأبيات لعبد الرحيم البرعي رحمه الله تعالى ضِمن قصيدة له. انظر «ديوانه» (ص٢٤٤).

(٤) قال المحقق ابن حجر الهيتمي في «تحفته» (١/ ٢٥): (لكافة الثقلين الإنس والجن إجماعاً معلوماً من الدين بالضرورة، فيكفر منكره، وكذا الملائكة كما رجَّحه جمع محققون كالسبكي ومن تبعه)، ثم نقل عن البارزي أنه قال: =

وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم ....

وخَتمِ النُّبوَّة، وتَفضِيلِ أُمَّته على سائِر الأُمَم، والمُعجزاتِ المتَكاثِرةِ والخصائِص العَدِيدة، ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قَوَّيناهُ ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جِبريلَ يَسِير مَعَهُ حَيثُ سارَ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هُدَى النَّاسِ جَمِيعاً ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (وختم النبوَّة) أي: فلا نبيَّ بعده تُبتدأُ رسالتُهُ، ويلزمُ من ذلك نسخُهُ لشرع غيره، وعدمُ نسخِ شَرعه.

قوله: (وتفضيل أمته على سائر الأمم) قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأما قوله تعالى في حقِّ بني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].. فالمرادُ: عالمو زمانِهم.

قوله: (والمعجزات المتكاثرة) أي: الكثيرةِ التي لا تحصى بحدٍّ ولا عَدٍّ، قال العارفُ البوصيري: [الخفيف]

إِنَّمَا فَضْلُكَ الزَّمَانُ وَآيَا ... تُكَ فِيمَا نَعُدُّهُ الآنَاءُ[1]

قوله: (والخصائص العديدة) أي: كالحوضِ المورود، والمقام المحمُود، والوسيلة، وغيرِ ذلك.

قوله: (﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾) أي: كإحياءِ الموتى وإبراءِ الأكْمَهِ والأبرص.

قوله: (يسير معه حيث سار) أي: من مبدإِ خِلقته؛ لأنَّ خلقَهُ كان على يده.

قوله: (هدى الناس) مفعول لـ﴿شَآءَ﴾، وقوله: (﴿مَا ٱقْتَتَلَ﴾) جوابُ (لو)، وهو إشارةٌ لقياس

= (أرسل حتى للجمادات بعد جعلها مدركة، وفائدة الإرسال لِلمعصوم وغير المكلف: طلبُ إذعانهما لشرفه، ودخولهما تحت دعوته، واتباعه تشريفاً له على سائر المرسلين).

(١) من همزيته، والمعنى: فضلك كالزمان من حيث تكاثر أجزائه، وكذا معجزاتك كآنائه لا تحدُّ. انظر «المنح المكية» (ص٦٧٤)، ومنها:

فَانْقَضَتْ آيُ الأَنْبِيَاءِ وَآيَا ... تُكَ فِي النَّاسِ مَا لَهُنَّ انْقِضَاءُ

وَالكَرَامَاتُ مِنْهُمُ مُعْجِزَاتٌ ... حَازَهَا مِنْ نَوَالِكَ الأَوْلِيَاءُ

إِنَّ مِنْ مُعْجِزَاتِكَ العَجْزَ عَنْ وَصْـ ... ـفِكَ إِذْ لَا يَحُدُّهُ الإِحْصَاءُ

مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ....

بعدَ الرُّسُل أي: أُمَمُهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ لِاختِلافِهم وتَضليل بَعضِهم بَعضاً، ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ﴾ لِمَشيئَتِه ذلك، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ﴾: ثَبَتَ على إيمانِه، ﴿وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ﴾ كالنَّصارَى بعد المَسِيح، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ﴾ ـ تأكِيدٌ ـ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ مِن تَوفيقِ مَن شاء وخِذلانِ مَن شاءَ.

﴿٢٥٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ زَكاتَه ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ﴾: فِداءَ ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ﴾: صَداقَةَ تَنفَع ﴿وَلَا شَفَٰعَةٞ﴾ بِغَيرِ إذنِه، وهو يَومُ القِيامَة، ....

حاشية الصاوي

استثنائي، نَظْمُهُ أن تقول: لو شاءَ الله هدى الناس جميعاً ما اقتتل الذين من بعد الرسل، لكنهم اقتتلوا؛ فلَمْ يشأ اللهُ هداهم جميعاً.

قوله: (بعد الرسل) أي: بعد مَجيئهم.

قوله: (أي: أُممهم) تفسيرٌ للذين، وقوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾) متعلِّقٌ بـ﴿ٱقۡتَتَلَ﴾، و(ما): مصدرية؛ أي: مِن بعد مجيء البينات لهم.

قوله: (لاختلافهم) علَّةٌ للاقتتال.

قوله: (﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ﴾) هذا استثناءٌ لنقيض التالي، فينتجُ نقيضُ المقدَّم، وهو: لَمْ يشأ اللهُ هداهم، لكنه عبَّرَ بالسببِ وهو الاختلافُ عن المسبَّبِ وهو الاقتتال.

قوله: (لمشيئته ذلك) أي: فلو شاءَ هداهم لم يختلفوا ولم يَقتتلوا، فالحقُّ واضحٌ ظاهر، وإنما كفرَ مَنْ كفر بإرادة الله عدم إيمانه، فالعبدُ مجبورٌ في قالب مُختار.

قوله: (ثبت على إيمانه) أي: بإرادة الله.

قوله: (زكاته) قدَّرَه إشارةً إلى أن المرادَ الإنفاقُ الواجب؛ بدليل الوعيد العظيم، ونحو الزكاة كلُّ نفقةٍ واجبة.

قوله: (بغير إذنه) أشارَ بذلك إلى أن الآية مطلقة، فتحملُ على المقيدة، وهي قولُهُ تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ....

- وفي قِراءة بِرَفعِ الثَّلاثة - ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بِالله أو بِما فُرِضَ عليهم ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ لِوَضعِهِم أمرَ الله في غيرِ مَحَلِّه.

﴿٢٥٥﴾ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي: لا مَعبُودَ بِحَقٍّ في الوُجُود ﴿إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيّة[1].

قوله: (برفع الثلاثة) على أن (لا) نافية مهملة، أو عاملة عمل ليس؛ لأنها إذا تكررت جازَ إعمالُها وإلغاؤها، وأما على القراءة الأولى.. فهي عاملة عمل (إنَّ)، تنصبُ الاسمَ وترفع الخبر.

قوله: (بالله) أي: فهو كفرٌ حقيقي، وقوله: (أو بما فرض عليهم) أي: بالتفريط في الفرائض، وهو كفرٌ مجازي.

قوله: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾) هذه الآية تُسمَّى آية الكرسي، وهي أفضل آيِ القرآن[2]؛ لأن التوحيدَ الذي استُفيدَ منها لم يُستفَدْ من آية سواها؛ لأنَّ الشيءَ يشرُفُ بشرف مَوضوعه، فإنها اشتملت على أمَّهات المسائل الدالَّة على ثبوت الكمالات لله، ونفي النقائص عنه تعالى، ووردَ في فَضْلِها من الأحاديث الكثيرة ما يجلُّ عن الحصر:

منها: «**مَن قرأَها عند خروجه من بيته.. كان في ضمانِ الله حتى يَرجع**»، ومنها: «**من قرأها دبرَ كلِّ صلاة.. لم يَمنعه من دخول الجنة إلا الموت**»[3].

ومنها: «ما قُرئت في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يَدخلها ساحرٌ ولا ساحرةٌ أربعين ليلة، يا عليُّ؛ علِّمْها ولدَك وأهلَك وجيرانك، فما نزلت آيةٌ أعظم منها»[4].

ومنها: «**مَن قرأها إذا أخذَ مضجعَه.. آمَنه الله على نفسهِ وجاره وجارِ جاره والأبياتِ حولَه**»[5].

---

(١) قرأ نافع والكوفيون وابن عامر بالرفع، وبالفتح أبو عمرو وابن كثير. انظر «الدر المصون» (٢/ ٥٣٨).

(٢) ومعنى الفضل: أن الثواب على قراءتها أكثر منه على غيرها من الآيات، هذا هو التحقيق في تَفضيل القرآن بعضه على بعض. «الفتوحات» (١/ ٢٠٦) نقلاً عن العلامة الأجهوري في «الكوكبين النيرين».

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٤٨) من حديث أبي أُمامة ﷺ.

(٤) كذا في «تفسير الزمخشري» (١/ ٣٠٢)، وقال الحافظ الزيلعي: (لم أجده).

(٥) رواه البيهقي في «الشعب» (٢١٧٤) من حديث علي كرم الله وجهه.

ٱلْقَيُّومُۚ ....

الدَّائِمُ البَقاءِ، ﴿ٱلْقَيُّومُۚ﴾: المُبالِغُ في القِيام بِتَدبِيرِ خَلقِه، ....

حاشية الصاوي

ومنها: «سيِّدُ الكلام القرآن، وسيِّدُ القرآن البقرة، وسيِّدُ البقرة آيةُ الكرسي»[1].

ومنها: ما وردَ: «أنه نزلَ جبريلُ على موسى وقال له: ربُّك يقول لك: من قال عقبَ صلاته: اللهمَّ؛ إني أقدِّمُ إليك بين يدي كلِّ نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهلُ السماوات وأهلُ الأرض وكل شيء هو في علمك كائنٌ أو قد كان، أقدِّمُ إليك بين يدَي ذلك كلِّه: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. . إلى آخرها، فإن الليلَ والنهار أربعٌ وعشرون ساعةً، ليس منها ساعة إلا ويَصعدُ إلى الله منه فيها سبعونَ ألفِ ألفِ حسنة حتى ينفخَ في الصور وتَشتغل الملائكة»[2].

وأخذ العارفون منها فوائد جمَّة:

منها: من قرأها عقبَ كلِّ صلاة أربعةَ عشرَ عدَّةَ فصولها. . أحبَّهُ العالَمُ العلويُّ والسفلي، ومن قرأها عدَّةَ الرسل ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ. . فرَّجَ الله عنه، وأزال عنه ما يَكره.

ومنها: من قرأها عددَ حروفها وهي مئةٌ وسبعون حرفاً. . لا يطلبُ منزلةً إلا وجدها، ولا سعةً إلا نالها، ولا فرجاً من سائر الشدائد إلا حَصل.

ومنها: أنه إذا سُقيَ المبطونُ حروفَها مقطَّعةً. . شُفيَ بإذن الله.

ومنها: مَنْ كتَبها عددَ كلماتها وهي خمسون كلمةً وحملَها. . أدركَ غرضَهُ من عدوِّهِ وحاسده، وإن كان للمحبة والألفة. . نالَ مَقصودَهُ.

وتسميتُها آيةَ الكرسي من باب: تَسمية الشيء باسمِ جزئه؛ لِذِكره فيها.

قوله: (الدائم الباقي) أي: فحياتُهُ ذاتيَّة له.

قوله: (﴿ٱلْقَيُّومُۚ﴾) هو من صيغ المبالغة، وإن لم تكُنْ من الصيغ المشهورة.

قوله: (المبالغ في القيام بتدبير ملكه) أي: فلا يشغلُهُ شأنٌ عن شأن، ولا تخفى عليه خافيةٌ أبداً، ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠]، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، فقوَّمَ السماءَ وزيَّنَها، وبسطَ الأرضَ

(١) هو عند الديلمي في «مسند الفردوس» (٣٤٧١) من حديث علي رضي الله عنه.

(٢) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢٦٧).

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ....

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾: نُعاسٌ ﴿وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبيداً،

حاشية الصاوي

وجمَّلَها، وأرضى كلَّ إنسان بما قد قسمَ له من غير تعبٍ يحصلُ له من ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

قوله: (﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾) هذا من صفات السُّلوب، والسِّنَةُ: هي النومُ في العين، وهي نومُ الأنبياء.

قوله: (﴿وَلَا نَوْمٌ﴾) عُرِّفَ بأنه فترةٌ طبيعية تهجمُ على الشخص قهراً عليه تمنعُ حواسَّهُ الحركةَ، وعقلَهُ الإدراك.

إن قلت: حيث كان منزَّهاً عن السِّنة فهو مُنزَّه عن النوم بالأولى!

أجيبَ: بأنه زيادةٌ في الإيضاح، وأجيبَ أيضاً: بأنه ذَكرَ النوم لأنه ربما يُتوهَّمُ من كونه يهجمُ قهراً أنه يَغلبه، فلا يلزمُ من نفي السِّنة نفيُ النوم، وهذا هو الأتمُّ؛ لأنه لا يلزمُ من نفي الأخفِّ نفيُ الأثقل.

إن قلتَ: إن الملائكة أيضاً لا تأخذُهم سِنةٌ ولا نوم، فليس في ذكر هذه الصفة مزيدُ مَزية!

أجيبَ: بأن تنزُّهَ الملائكة عن النوم من إخبار الله فقط، وإلا.. فالعقلُ يجوِّزُه عليهم، بخلاف تنزُّهِ الله عنه، فالدليلُ العقلي قائمٌ على تنزُّهِهِ عنه.

قوله: (﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) كالدليل لما قبلَه، وأتى بـ(ما) تغليباً لغير العاقل لِكثرته.

قوله: (مُلكاً) بضم الميم معناه التصرُّف، وقوله: (وخلقاً) أي: إيجاداً، وقوله: (وعبيداً) أي: مملوكين له، ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ولا نزاعَ في كون السماوات والأرض مُلكاً لله، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وفي ذلك ردٌّ على الكفار حيث أثبتوا له شريكاً، فكأنَّ اللهَ يقول لهم: ما أشركتموه لا يخرجُ عن السماوات والأرض، وشأن الشريك أن يكون مستقلًّا خارجاً عن مَملكة الشريكِ الآخر.

مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ ....

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ أي: لا أحَدَ ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ لَهُ فيها، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخَلقِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: مِن أمرِ الدُّنيا والآخِرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي: لا يَعلَمُونَ شَيئاً مِن مَعلُوماتِه ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أن يُعلِمَهُم بِه مِنها بِإخبارِ الرُّسُلِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَن ذَا﴾) اسمُ استفهام مبتدأ، و﴿ٱلَّذِى﴾: خبره، وهو استفهامٌ إنكاري بمعنى النفي؛ أي: لا شفيعَ في أحدٍ يستحقُّ النار يشفعُ عنده بغير مُراده.

قوله: (أي: لا أحد) تفسيرٌ للاستفهام الإنكاري.

قوله: (﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾) أي: مرادِهِ.

قوله: (أي: من أمر الدنيا) راجعٌ لقوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾، وقوله: (والآخرة) راجعٌ لقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، ويصحُ العكس، فيكون لفًّا ونشراً مشوَّشاً، والأقربُ أن يُقال: المرادُ بـ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: ما يُستقبل من الدنيا والآخرة، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: ما انقضى من أمر الدنيا، فعِلْمُ أمرِ الدنيا والآخرة مُستوٍ عنده، بخلاف المخلوقات، قال الشاعر: [الطويل]

وَأَعْلَـمُ عِـلْـمَ الـيَـوْمِ وَالأَمْـسِ قَـبْـلَـهُ ... وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ ما فِي غَدٍ عَمِي[1]

قوله: (أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته) دفعَ بذلك ما يُتوهَّمُ: أن علمَ الله يتجزَّأُ مع أنه ليس كذلك، وما يُتوهَّمُ أيضاً: أنه يشاءُ إطلاعَ أحدٍ على علمه مع أنه مُستحيل؛ إذ ليسَ في طاقة الحادث اطِّلاعٌ على حقيقة القديم ولا صفاتِهِ سبحانه، مَنْ لا يعلمُ قدْرَهُ غيرُهُ، ولا يبلغُ الواصفون صفتَهُ.

قوله: (منها) أي: من مَعلوماته.

قوله: (بإخبار الرسل) أي: فلا يصلُ لأحد عِلمٌ إلا بواسطة الأنبياء، فالأنبياءُ وسائطُ لأممهم في كلِّ شيء، وواسطتُهم رسولُ الله، قال العارف: (اللهمَّ؛ صلِّ على من مِنه انشقَّت الأسرار، وانفلقَت الأنوار، وفيه ارتقَت الحقائق، وتنزَّلت علومُ آدمَ فأعجزَ الخلائق)[2].

---

(١) البيت من معلقة زهير بن أبي سُلمى. انظر «ديوانه» (ص١١٠).

(٢) مطلع الصلاة المشهورة بالصلاة المشيشية للعارف بالله تعالى عبد السلام بن مشيش، (ت ٦٢٢هـ).

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ....

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قِيل: أحاطَ عِلمُه بِهِما، وقِيل: مُلكُه، وقِيل: الكُرسِيُّ نَفسُه مُشتَمِل عليهِما لِعَظَمَتِه لِحَدِيثِ: «ما السَّماوات السَّبعُ في الكُرسِيِّ إلَّا كَدَراهِم سَبعَةٍ أُلقِيَت ....

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: أحاط علمه بهما) أي: فالكرسيُّ بضمِّ الكاف وكسرِها: يطلقُ على العِلم؛ كما يطلقُ على السَّرير الذي يجلسُ عليه[1].

قوله: (وقيل: الكرسي بعينه) أي: وهو مخلوقٌ عظيم فوق السماء السابعة، يحملُهُ أربعُ ملائكة، لكل ملك أربعةُ أوجه، أرجُلُهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السابعة، وتحت الأرض السفلى ملَكٌ على صورة آدمَ يسأل الرزق لابن آدم، وملَكٌ على صورة الثور يسألُ الرزق للبهائم، وملَكٌ على صورة السبع يسألُ الرزق للوحوش، وملَكٌ على صورة النسر يسألُ الرزق للطيور، بينهم وبين حملةِ العرش سبعون حجاباً من ظلمة، وسبعون حجاباً من نور، سَمْكُ كلِّ حجاب خمسُ مئة سنة، وذلك لئلا تحترقَ حملةُ الكرسي من نور حملة العرش، وخلق العرش والكرسي من حِكم الله لا لاحتياجٍ لهما، قال صاحب «الجوهرة»: [الرجز]

وَالعَرْشُ وَالكُرْسِيُّ ثُمَّ القَلَمُ ... وَالكَاتِبُونَ اللَّوحَ كُلٌّ حِكَمُ
لا لِاحْتِيَاجٍ وَبِهَا الإِيمَانُ ... يَجِبْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ[2]

(١) الكرسي بمعنى العلم رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٥٩٩)، والطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٩٧) عن ابن عباس، وقال الطبري: (وأصل الكرسي العِلم)، وعلَّقه البخاري في «صحيحه» (٦/ ٣١) عن سعيد بن جبير، وعند الواحدي في «التفسير الوسيط» (١/ ٣٦٨): (وقال أبو إسحاق الزجاج: الله أعلم بحقيقة الكرسي، إلا أن جملته أنه أمر عظيم من أمره).

واجتمعت كلمة المحققين أن الصحيح فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو أنه مَوضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره، فكما أن العرش في اللغة هو موضع الجلوس فالكرسي هو الذي يكون تحته وتضع الملوك عليه أقدامهم، وينبِّه أهلُ العلم أن يَسبق الوهم لتمثيل حقيقة المعنى المتبادر، قال المصنف العلامة السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ١٧): (هذا على سبيل الاستعارة، تعالى الله عن التشبيه، ويُوضحه ما أخرجه ابن جرير عن الضحاك في الآية قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي تجعل الملوك عليه أقدامَهم).

(٢) انظر شرح المصنف لها (ص٣٩٠).

وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ......

في تُرسٍ»، ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾: يُثقِلُه ﴿حِفۡظُهُمَاۚ﴾ أي: السماواتِ والأرضِ، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ فوق خَلقِه بالقَهرِ، ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾: الكبيرُ.

﴿٢٥٦﴾ ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ على الدُّخول فِيه، ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ أي: ظَهَرَ بِالآياتِ البيِّنات أنَّ الإيمان رُشدٌ والكُفرَ غَيٌّ، نَزَلَت فِيمَن كانَ لَهُ مِن الأنصار أولادٌ أرادَ أن يُكرِهَهُم على الإسلامِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (في ترس) هو ما يتترَّسُ به عند الحرب، وهو المسمَّى بالدَّرَقَة.

قوله: (﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾) أي: اللهَ وهو ظاهر، أو الكرسيَّ وهو أبلغُ؛ لأنه إذا لم تُثقل السماواتُ والأرض مع عِظمهما الكرسيَّ مع أنه مخلوق فكيف بخالقه؟!

قوله: (﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾) أي: المنزَّهُ عن صفاتِ الحوادث، فهو من صفات السُّلوب.

قوله: (﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾) أي: المتَّصفُ بالعظم، وقدَّمَ العلي عليه؛ لأنه من باب: تقديم التَّخلية على التحلية.

قوله: (﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾) قيل: إن مِن هنا إلى ﴿خَٰلِدُونَ﴾ من تمام آية الكرسي، وقيل: ليست منها وهو الحقُّ، وإنما ذكرت عقبَها كالنتيجة لما ذكر فيها من خالِص التوحيد، والمعنى: لا يكرهُ أحدٌ أحداً على الدخول في الإسلام؛ فإن الحقَّ والباطل ظاهران لكلِّ أحد، فلا ينفعُ الإكراه، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

قوله: (أي: ظهر بالآيات البينات) الدلائلِ الظاهرة على باهِرِ قدرته وعظيم حكمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ...﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية.

قوله: (فيمَن كان له من الأنصار أولاد) أي: وهو أبو الحصين، كان له ابنانِ تنصَّرا قبل بعثة النبي، ثم قَدِما المدينة بتجارة زيتٍ، فلقيهما أبوهما وأحبَّ أن يُكرِهَهما على الإسلام، فارتفع معهما إلى النبي ﷺ، فقال أبوهما: يا رسول الله؛ أيَدخل بعضي النارَ وأنا أنظرُ إليه؟! فنزلَت[1].

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٠٩)، واسم الصحابي المذكور الحصين ويكنى بأبي الحصين كما في «الإصابة».

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ....

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: الشَّيطانِ أو الأصنام، وهو يُطلَق على المُفرَد والجَمع، ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾: تَمَسَّكَ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: بِالعَقدِ المُحكَمِ، ﴿لَا انفِصَامَ﴾: انقِطاعَ ﴿لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

وهذه الآيةُ يحتملُ أنها منسوخة بآيات القتال، أو محكمةٌ وتحملُ على من ضُربَ عليهم الجزيةُ، ويؤيدُهُ سببُ نزولها.

قوله: (﴿بِالطَّاغُوتِ﴾) مبالغةٌ في الطغيان؛ كالجبروت والملكوت، والمرادُ به: ما يُعبدُ من دون الله، ومعنى الكفر به جحدُهُ والإعراضُ عنه.

قوله: (وهو يطلقُ على المفرد والجمع) أي: ويعودُ الضمير عليه مؤنثاً ومذكراً، وهو قيل: مصدرٌ، وقيل: اسمُ جنس.

قوله: (﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾) تقديمُ الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله من باب: تقديم التخلية على التحلية؛ لأنه لا يصحُّ إيمانٌ بالله مع إشراك غيرِه معه.

قوله: (﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾) هذه الجملةُ جوابُ الشرط الذي هو (مَن)، وقُرِنَ بالفاء لدخول (قد) عليها.

قوله: (تمسَّك) أشارَ بذلك إلى أن السينَ والتاءَ زائدتان لتقويةِ الاستمساك.

قوله: (﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾) فيه استعارةٌ تصريحية أصليَّة، حيث شُبِّهَ دينُ الإسلام بالعروة الوثقى - وهي موضوع المسْكِ من الحبل - بجامع أن كلًّا لا يُخشى منه الخلَل، واستُعير اسمُ المشبه به وهو العُروة الوثقى للمشبَّهِ وهو دين الإسلام، والاستمساكُ وعدمُ الانفصال تَرشيحانِ؛ لأنه من ملائمات المشبَّهِ به، أو فيه استعارةٌ تمثيليةٌ بأن يُقال: شُبِّهَ حالُ من تمسَّكَ بدين الإسلام وأحكامه بحال من تمسَّكَ بالعروة الوثقى بجامع أن كلًّا لا يَخشى الانفكاك ولا الخلل، واستُعيرَ اسمُ المشبَّه به لِلمشبه، والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان أيضاً.

قوله: (﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾) الانفصامُ: الانقطاعُ بغير بَينونة، والانقصام بالقاف: الانقطاعُ مع البَينونة، فالتعبيرُ بالانفصام أبلَغُ.

عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ ....

لِما يُقال، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُفعَلُ.

﴿٢٥٧﴾ ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ﴾: ناصِرُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكُفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمانِ، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، ذَكَرَ الإخراجَ إمَّا في مُقابَلةِ قَوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾، أو في كُلِّ مَن آمَنَ بِالنَّبِيِّ قَبل بَعثَتِه

حاشية الصاوي

قوله: (لما يُقال) أي: سرًّا وجهراً.

قوله: (بما يفعل) أي: خيراً أو شرًّا، سرًّا أو جهراً.

قوله: (﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) هذا كالدليل لما قبله، وولي: فعيل بمعنى فاعل؛ أي: متولِّي أمر عباده، وأما الوليُّ من العبيد: فبِمعنى فاعل؛ أي: موالي طاعة ربه، أو بمعنى مفعول؛ أي: تولَّاه الله فلم يَكِلْهُ لغيره.

قوله: (الكفر) شبه بالظلماتِ الحسية لِلحيرة وعدم الاهتداء في كلٍّ، ولأنه يكونُ كذلك يومَ القيامة، قال تعالى: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠]، وقوله: (الإيمان) شبه بالنور لأنه يُهتدى بكلٍّ، ولأنه يكون كذلك يوم القيامة، قال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾ [التحريم: ٨]، فالكفر ظلمةٌ مَعنويةٌ في الدنيا وحسيةٌ في الآخرة، والإيمان نورٌ مَعنوي في الدنيا وحسيٌّ في الآخرة.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾) إنما لم يقُلْ: والطاغوتُ أولياءُ الذين كفروا.. لأجل المقابلة؛ لئلا يكون الطاغوت مقابلاً لاسم الله وهو قبيحٌ، فبدأ بكفرهم تقبيحاً وتبكيتاً لهم.

قوله: (ذكر الإخراج... إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ حاصلُهُ: أن الكفارَ لم يكونوا في نور فأخرجوا منه إلى الظلمات، كيف ذلك؟ أجاب المفسِّرُ بجوابين:

الأول: أنه مشاكلةٌ لما قبله، والمرادُ مَنعُهم من أصل النور.

والثاني: أنه إخراجٌ حقيقي، وهو في كلِّ مَنْ آمن بالنبي قبلَ مبعثه ثم ارتدَّ بعد ذلك[1]، وفي هذه الآية وعدٌ من الله بالأمن لِلمؤمن من المخاوِف دنيا وأخرى.

---

(١) وعبارة الكرخي في «إثمد العينين» كما نقلها عنه العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٢١٠): (وحاصل الجواب مع الإيضاح: أنه إما للمقابلة، أو لأن إيمان أهل الكتاب بالنبي قبل أن يظهر كان نوراً لهم، وكفرهم به بعد ظُهوره =

أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ....

مِن اليَهود ثُمَّ كَفَرَ بِه، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿٢٥٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ﴾: جادَلَ ﴿إِبْرَٰهِۦمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ لِـ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي: حَمَلَهُ بَطَرُه بنِعمة الله على ذلك وهو نمروذُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) الاستفهامُ لِتَقرير النفي مع التعجب، والمعنى: ألم يَنته علمُكَ إلى هذا الذي قابله الله بالجود والإحسان وقابلَ مولاه بالكفر والطغيان؟ وهذا كالدليل لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ...﴾ الآية، فإن الشيطانَ طاغوتُ نمروذ، وهو طاغوتُ غيره ما عدَا إبراهيم ومَن تبعه.

قوله: (﴿إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ﴾) لم يُصرِّحْ باسمه تبكيتاً له وإظهاراً لقبحه.

قوله: (جادل) أي: مجادلةً باطلة، وهي مقابلةُ الحجة بالحجة، فإبراهيمُ يجادلُ بالحقِّ، ونمروذُ يجادلُ بالباطل.

قوله: (﴿فِي رَبِّهِۦٓ﴾) أي: إبراهيم فالإضافة للتشريف، أو نمروذ والإضافة لإقامة الحجَّة عليه حيث نازعَ خالِقه في وصفه.

قوله: (﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾) مفعولٌ لأجله، وهو مجرورٌ باللام لفقد أحد شروطه، وهو عدمُ اتحاد الفاعل؛ لأن فاعلَ المحاجَجة النمروذُ، وفاعلَ إيتاء الملك هو الله، قال ابن مالك: (وإنْ شَرْطٌ فُقِدْ فاجْرُرْهُ بِالحَرْفِ)[1]، وحذفَ الجارَّ؛ لأنَّ حذفَهُ مطردٌ مع (أَنَّ) و(أنْ).

قوله: (بطرُهُ) هو الاستخفافُ بآلاءِ الله.

قوله: (بنعم الله) أي: وهي الدنيا؛ لأنه لم يملك الدنيا إلا أربعةٌ: اثنان مُسلمان، واثنان كافران، سليمان وذو القرنين، والنمروذ وبختَ نَصَّر.

قوله: (وهو نمروذ) أي: ابن كنعان، حملت به أمه من زِناً؛ خوفاً على ملك أبيه من الضياع،

= خروج منه إلى ظلمات الكفر، على أن الخروج يستعمل بمعنى المنع من الدخول، فعصمة المؤمنين عن الدخول في الظلمات إخراج لهم منها).

(١) منتزع من بيتين من رجز «الخلاصة» (باب المفعول له).

إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ....

﴿إِذْ﴾ ـ بَدَلٌ مِن ﴿حَآجَّ﴾ ـ ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ لَمَّا قالَ لَه: مَن رَبُّك الذي تَدعُونا إلَيه؟: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي: يَخلُقُ الحَياة والمَوتَ في الأجساد، ﴿قَالَ﴾ هو: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ بِالقَتلِ والعَفو عَنهُ، ودَعا بِرَجُلَين فقَتَلَ أحَدَهما وتَرَكَ الآخَرَ، فلَمَّا رَآهُ غَبِيًّا ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ مُنتَقِلاً إلى حُجَّة أوضَحَ مِنها: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنتَ ﴿مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾: تَحَيَّرَ ودُهِشَ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ بِالكُفرِ إلى مَحَجَّة الاحتِجاجِ.

حاشية الصاوي

حيث كان أبُوه عقيماً، وهو أولُ من لبس التاج المكلَّل، وهذه الواقعةُ كانت بعد إلقاء إبراهيم في النار، وكان النمروذُ قد مَلك أقواتَ الأرض كلَّها، فكان لا يعطي القوتَ إلا لمن آمَن به، فذهبَ إبراهيمُ له وطلبَ منه شيئاً من القوت، فامتنعَ حتى يَتبعه، فذهبَ إبراهيمُ إلى كثيبٍ من رمل وملأَ وعاءَهُ، فلمَّا وصل منزلَهُ صار دقيقاً، فصار يأكلُ منه هو ومَن تَبعه[(١)].

قوله: (بدل من ﴿حَآجَّ﴾) أي: بدل اشتمال.

قوله: (لما قال له) ظرفٌ لقوله: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ أي: قال إبراهيم ذلك وقتَ قَوله له: من ربك؟

قوله: (﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ﴾) الضميرُ قيل: (أَنَ) وحدَها، والألفُ زائدةٌ لبيان الحركة في حالة الوقف، وقيل: بل كلُّها الضمير، والصحيحُ: أن فيه لُغتين؛ لغة تميم إثبات ألفه وصلاً ووقفاً، والثانية: إثباتها وقفاً وحذفها وصلاً.

قوله: (غبيًّا) أي: بليداً لا يفهمُ جواباً، ولا يُحسنُ خطاباً، وهو جوابٌ عن سؤال مقدَّر حاصلُهُ: أن ما وقعَ من إبراهيم ليس من صناعة المناظرة؛ لأنه كان الواجب إبطال حجَّةِ الإحياء والإماتة التي ادعاها اللَّعين أولاً، ثم ينتقلُ لحجَّة أخرى! أجابَ المفسِّر: بأنه لمَّا رآه غبيًّا لم يُدقِّقْ عليه في ذلك، وانتقلَ لحجَّة أخرى.

---

(١) رواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٣٣) عن زيد بن أسلَم.

أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ....

﴿٢٥٩﴾ ﴿أَوْ﴾ رأيتَ ﴿كَالَّذِى﴾ - الكافُ زائدة - ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هيَ بَيتُ المَقدِس، راكِباً على حِمار، ومعَهُ سَلَّةُ تِين وقَدَح عَصِيرٍ، وهو عُزَيرٌ، ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقِطةٌ ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سُقُوفِها لَمَّا خَرَّبَها بُختَنَصَّرُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْ كَالَّذِى﴾) هذا كالدليل لقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فهو من باب: اللفِّ والنشر المشوَّش، فمن أرادَ اللهُ هِدايته جعلَ له كلَّ شيء دليلاً يستدلُّ به على ذات صانِعه وصفاته، ومن أرادَ اللهُ خِذْلانه أضلَّه بكلِّ شيء، وأعمى قلبَهُ عن النظر في المصنوعات، وإنما قدَّمَ ما يتعلَّقُ بالكافر؛ لقصر الكلام عليه واتِّصاله بما قبله، بخلاف ما يتعلَّقُ بالمؤمن.

واعلم أنهم ذكروا أن في الكاف قولَين:

الأول: أنها بمعنى (مثل)، وعليه درجَ المفسِّرُ حيث قدَّرَ (رأيت)، فيكون المعنى: ألم يَنتهِ علمُكَ إلى مثل الذي مرَّ؛ أي: مثله وصفته، فقوله: (والكافُ زائدةٌ) غيرُ مناسب لحلِّه.

الثاني: أنها زائدة، والمعنى: ألم يَنتهِ علمُكَ إلى الشخص الذي مرَّ... إلخ[1].

قوله: (وهو عُزير) أي: ابن شرخيا كانَ من بني إسرائيل، قيل: كان نبيًّا، وقيل: وليًّا، وقيل: هو الخضر، وقيل: رجلٌ كان كافراً ينكرُ البعثَ، فأراد اللهُ له الهدى، والقريةُ هي: بيتُ المقدس كما قال المفسِّر، وقيل: هي القريةُ التي خرجَ منها الألوف حذرَ الموت.

قوله: (لما خربها بختَنَصَّر) بختَ: معناه: ابن، ونَصَّر: اسمُ للصنم[2]، سمِّي بذلك؛ لأن أمَّه لمَّا ولدته وضَعته عنده، فلمَّا وجدوه قالوا: بختَ نَصَّر؛ أي: ابن الصنم، وكان كافراً، ملكَ الأرضَ مشرقاً ومغرباً، وسببُ تخريبها: أن بني إسرائيل لما طغوا.. سلَّطَ الله عليهم بختَ نَصَّرَ، فتوجَّه إليهم في ستِّ مئة راية، فلمَّا ملكَهم قسمَهم ثلاثة أقسام: قسم قَتله، وقسم أقرَّهُ بالشام، وقسم استرقَّه، وكان ذلك مئةَ ألف، فقسمه بين الملوك الذين كانوا معه، فأصاب كلَّ واحد أربعةٌ، فكانوا خمسةً وعشرين ألفَ مَلِك، وكان من جملة من أُسر عُزير، وفُكَّ من الأسر، فلمَّا مرَّ عليها وهي بهذه الحالة قال ما ذكر.

---

(١) وقد لفَّقَ الإمام السيوطي بين القولين على وجهٍ أوجبَ صعوبةَ الفهم كما قال العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٢١١).

(٢) تقدم أنه يجوز أن يكتب هذا الاسم موصولاً ومفصولاً (١/ ٢٢٢)، ويجوز في لفظ عُزير الصرف ومنعه.

قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ

﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾: كَيفَ ﴿يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ﴾؟! استِعظاماً لِقُدرَتِه تَعالى، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ وأَلبَثَهُ ﴿مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ﴾: أحياهُ لِيُرِيَه كيفيَّةَ ذلك، ﴿قَالَ﴾ تَعالى لَهُ: ﴿كَمْ لَبِثْتَ ۖ﴾: مَكَثتَ هُنا؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾ لِأنَّهُ نامَ أوَّلَ النَّهار فقُبِضَ وأُحيِيَ عِندَ الغُروب، فظَنَّ أنَّهُ يَومُ النَّوم، ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التِّينِ ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العَصِير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ﴾: لم يَتغَيَّر مَعَ طُول الزَّمان، ـ والهاء قِيل: أصلٌ مِن (سانَهت)، . . .

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ﴾) يحتملُ أن المراد في الدنيا أو يوم القيامة، وليس ذلك شكاً واستغراباً لفعل الله، بل ذلك سؤالٌ عن تعلُّق قدرة الله، كأنه قال: هل تعلَّقت قدرةُ الله بإحيائها فيُحييها، أو بعدمه فيُبقيها على ما هي عليه؟

قوله: (كيف) وقيل: بمعنى (متى).

قوله: (استعظاماً لقدرته) أي: إنه لا يقدرُ على ذلك إلا صاحبُ القدرةِ العظيمة.

قوله: (وألبثه) قدَّره إشارةً إلى أن قوله: ﴿مِاْئَةَ عَامٍ﴾ متعلِّق بمحذوف، ولا يصحُّ تعلُّقه بـ﴿أَمَاتَهُ﴾؛ لأنه لا مَعنى له.

وسببُ ذلك: أنه لمَّا دخلَ بيتَ المقدس وربطَ حماره فلم يرَ أحداً بها، ثم رأى أشجارها قد أثمرت، فأكل منها ونام، فأماته الله في مَنامه، فلمَّا مضى من موته سبعون سنةً. . وجَّهَ الله مَلِكاً من ملوك فارس إلى بيت المقدس ليعمره، فعمرَهُ، وردَّ من بقي من بني إسرائيل، فلما تمَّت المئة أحياهُ الله[1].

قوله: (﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ﴾) (أو) للإضراب؛ لأنه نامَ ضحوةَ النهار، فأُحيِيَ آخرَ النهار، فظنَّ أنه يومُ النوم، فبِالضرورة ليس يوماً كاملاً.

قوله: (قيل: أصل) أي: فهي لامُ الكلمة، والفعلُ مجزوم بسكون الهاء، فأصلُ سَنَة: سَنَهَةٌ[2].

---

(١) الخبر بطوله عند البغوي في «تفسيره» (١/ ٣٥٢)، وفيه خبر عزير الآتي أيضاً.

(٢) يتسنه: مشتق من السنة؛ أي: لم تمر عليه السنون، والمعنى على التشبيه؛ أي: كأنه لم تَمر عليه المئة سنة. «الفتوحات» (١/ ٢١٣).

﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾ ....

وقِيل: لِلسَّكتِ مِن (سانَيْتُ)، وفي قِراءة بِحَذفِها ـ ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كَيفَ هو؟ فرآهُ مَيّتاً وعِظامُه بيض تَلُوح، فَعَلْنا ذلك لِتَعلَمَ، ﴿وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ﴾ على البَعثِ ﴿لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ﴾ مِن حِمارِكَ ﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾: نُحيِيها ـ بِضَمِّ النون، وقُرِئَ بفَتحِها من (أَنشَرَ) و(نَشَرَ) لُغَتانِ، وفي قِراءة بِضَمِّها والزَّاي: نُحَرِّكها ونَرفَعُها ـ ﴿ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾، فنَظَرَ إِلَيها وقد تَرَكَّبَت وكُسِيَت لَحماً ونُفِخَ فِيه الرُّوح ونَهَقَ، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ ذلك بِالمُشاهَدةِ ﴿قَالَ أَعۡلَمُ﴾ عِلمَ مُشاهَدةٍ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.
ـ وفي قِراءة: (اعلَم) أمرٌ مِن الله لَهُ ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: للسكت) أي: فهي زائدةٌ، وأصل سَنَة: سَنَوٌ.

قوله: (وفي قراءة بحذفها) أي: وصلاً[1].

قوله: (من أنشر ونشر) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (ونرفعها) أي: نرفعُ بعضَها إلى بعض[2].

قوله: (علم مشاهدة) جوابٌ عن سؤال مقدَّر.

قوله: (أمر مِن الله له) أي: وترقَّى من علم اليقين إلى عين اليقين.

روي: أن العزير لمَّا أُحييَ ورأسه ولحيته إذ ذاك سَوداوان وهو ابنُ أربعين سنة.. ركبَ حمارَهُ وأتى محلَّتَه، فأنكره الناسُ، وأنكرَ هو الناسَ والمنازل، فانطلقَ على وَهم منه حتى أتى منزله، فإذا بعجوز عمياءَ مقعدة قد أدركت زمن عُزير، فقال عزير: يا هذه؛ هذا منزلُ عزير؟ قالت: نعم، وأين عُزير؟ قد فقدناه منذ كذا وكذا، فبَكت بكاءً شديداً، قال: فإني عزير، قالت: سبحان الله! أنَّى يكون

(١) قرأ حمزة والكسائي بالهاء وقفاً وبحذفها وصلاً، والباقون بإثباتها في الحالين. انظر «الدر المصون» (٢/ ٥٦٣).

(٢) قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير: (نُنْشِرها) بضم النون وكسر الشين والراء المهملة، والباقون بالزاي: (نُنْشِزُها). المصدر السابق (٢/ ٥٦٦).

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ ....

(٢٦٠) ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ ....

حاشية الصاوي

ذلك؟! قال: قد أماتني الله مئة عام ثم بَعثني، قالت: إن عزيراً كان رجلاً مجابَ الدعوة، فادعُ اللهَ لي يردُّ عليَّ بَصري حتى أراك، فدعا ربَّه، فمسحَ بين عينَيها فصحَّتا، فأخذَ بيدها فقال لها: قُومي بإذن الله، فقامت صحيحةً كأنها نشَطَتْ من عقال، فنظرت إليه، فقالت: أشهدُ أنك عُزيرٌ، فانطلقت به إلى محلَّة بني إسرائيل وهم في أنديَتِهم، وكان في المجلس ابنٌ لعزير قد بلغَ مئةً وثماني عشرةَ سنة، وبنو بَنيه شيوخٌ، فنادت: هذا عزيرٌ قد جاءكم، فكذَّبوها، فقالت: انظُروا فإني بدعائه رجَعتُ إلى هذه الحالة، فنهضَ الناس، فأقبلوا إليه، فقال ابنه: كان لأبي شامةٌ سوداءُ بين كتفَيه مثل الهلال، فكشفَ فإذا هو كذلك.

وقد كان قبل بختَ نَصَّر ببيت المقدس من قرأ التوراة أربعون ألفاً، ولم يكن يومئذٍ بينهم نسخةٌ من التوراة، ولا أحدَ يَعرفُ التوراة، فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يُخلَّ منها بحرف، فقال رجل من أولاد المسْبِيِّينَ ممن وردَ بيت المقدس بعد هلاك بختَ نَصَّر: حدثني أبي عن جَدي أنه دفنَ التوراة يوم سَبينا في خابية في كرم، فإن أريتُموني كرمَ جدِّي أخرجتُها لكم، فذهبوا به إلى كَرْم جدِّه، ففتشوا فوجدوها، فعارَضوها بما أملى عليهم عزيرٌ عن ظهر القلب فما اختَلفا في حرف واحد، فعند ذلك قالوا: هو ابنُ الله، تعالى اللهُ عن ذلك علُوًّا كبيراً.

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ﴾) هذا دليلٌ آخر لقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وقصة إبراهيم أبلغُ من قصة العُزير؛ لعظيم مقام إبراهيم، وإنما غاير الأسلوبَ ولم يقل: أو كالذي قال: ربِّ! أرِني.... إلخ؛ لأن إبراهيمَ قد تقدَّم له ذكر، وأيضاً الأمرُ المعجز لم يقَعْ له في نفسه كالعزير، وإنما أراه اللهُ ذلك في غيره.

وسببُ سؤال إبراهيم: أنه مرَّ بساحل طَبَرِيَّةَ فوجدَ جيفةً، قيل: جيفة إنسان، وقيل: حمار، وقيل: حُوت، فلما رآها وجدَ السباع والطيور والسمك تأكلُ منها، فاشتاقت نَفسه إلى رؤية جمع الله لها، فقال: أعلم أن اللهَ قادرٌ على جمعها، لكنْ أُحبُّ أن أرى ذلك، وقيل: سببُ سؤاله: أنه لما حاججَ النمروذ حيث قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾، فقال النمروذ: أنا أُحيي وأُميت، ودعا برجلين، فقَتل أحدهما وعفا عن الآخر، فقال له إبراهيم: ليس هذا إحياء؛ فإن الإحياءَ إدخالُ الروح في الجسم وتَقويمه بها، فقال النمروذ: أَوَرَبُّك يفعل ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم، فقال له: هل عاينتَه؟

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ....

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ﴾ تعالى لَهُ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بِقُدرَتي على الإحياءِ؟ سَأَلَهُ مَعَ عِلمِه بإيمانِه بذلك لِيُجيبَهُ بما سَأَلَ، فيَعلَمَ السَّامِعُونَ غَرَضَه، ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنتُ، ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتُك ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾: يَسكُنَ ﴿قَلْبِي﴾ بالمُعايَنةِ المَضمُومةِ إلى الاستِدلالِ، ....

حاشية الصاوي

فانتقلَ لحجَّة أخرى وهي أن اللهَ يأتي بالشمس من المشرق... الآية، فعند ذلك تشوَّقَ لِلمعاينة لتقوى حجَّتُه على قومه إذا سألوه عن المعاينة، وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي...﴾ الآية[1].

قوله: (﴿أَرِنِي﴾) أصله: أَرْئِيني بوزن: أكرمني، حذفت الياء؛ لأن الأمر كالمضارع فصار أَرْئِني، ثم نُقلت حركةُ الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة، والرؤيةُ هنا بصرية تتعدَّى إلى مفعول واحد، فلمَّا دخلت همزةُ النقل تعدَّتْ إلى مفعول ثانٍ وهو جملةُ الاستفهام.

قوله: (سأله) أي: سألَ اللهُ إبراهيم، وقولك: (بذلك) أي: بقدرته على إحياء الموتى.

قوله: (ليجيب) علَّةٌ لـ(سألَ)، وفاعلُ الإجابة إبراهيم، وهو المسؤول، وقوله: (بما سأله) أي: الله، وقوله: (فيعلم السامعون غرضه) أي: لأن سؤالَهُ أولاً يُوهم عدمَ إيمانه، فترتَّبَ على سؤال الله له بقوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ من كشف إبراهيم عن مُراده بقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

قوله: (آمنت) قدَّرَه إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ مرتَّبٌ عليه، وهناك محذوف آخر تقديرُهُ: وليس سؤالي لِعدم إيمانٍ مني ولكِنْ... إلخ.

قوله: (يسكن ﴿قَلْبِي﴾) أي: من اضطرابه واشتِياقه إلى المعاينة، ولا يقدحُ ذلك في إيمان إبراهيم؛ فإن الإنسانَ مؤمنٌ برسول الله وببيت الله الحرام، ولَكن قلبه مشتاقٌ ومضطربٌ لمشاهدة رسول الله وبيته الحرام غايةَ الاشتياق، ومع ذلك لا يَقدحُ في إيمانه بما ذكر، وكسؤال موسى رؤيةَ الله مع كونه في أعلى مراتب الإيمان بالله.

قوله: (بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال) إن قلتَ: إن إيمانَ الأنبياء حقُّ يقينٍ لا علمُ يقين ولا عينُ يقين، فكيف يطلب إبراهيمُ الانتقال من عِلم اليقين إلى عين اليقين مع أن مَرتبته فوق ذلك؟

أجيبَ: بأن هذا الكلامَ بالنسبة لِلذات والصفات لوجودها بحيث لو كُشف عنَّا الحجابُ

---

(١) السببان رواهما الطبري في «تفسيره» (٥/ ٤٨٥) عن قتادة وابن جريج وعن ابن إسحاق.

قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ....

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ ـ بِكَسرِ الصَّاد وضَمِّها ـ: أَمِلهُنَّ إليكَ وقَطِّعهُنَّ واخلِطْ لَحمَهُنَّ وريشَهُنَّ، ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ مِن جِبالِ أرضِك ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ إلَيكَ ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ سَريعاً، ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجِزهُ شَيءٌ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه، فأخَذَ طاوُوساً ونَسْراً وغُراباً ودِيكاً، وفَعَلَ بِهِنَّ ما ذُكر، وأَمسَك رُؤوسَهنَّ عِنده، ودَعاهُنَّ فتَطايَرَت الأجزاءُ إلى بَعضها حتَّى تكامَلَت، ثم أقبَلَتْ إلى رُؤُوسِها.

حاشية الصاوي

لَرأيناها، وأما إيجادُ الله للأشياء فهو أمرٌ اعتباري يُطْلِعُ اللهُ على ذلك مَن خصَّهُ برحمته، فلا يُشاهده إلا من رآه بعينه.

وأجيب أيضاً: بأنه من أهل حقِّ اليقين في الجميع؛ لأن الله يمثِّلُ لأحبابه الأمورَ الاعتبارية التي ستحصلُ فتصيرُ كالمشاهدة الحاضِرة، فلا فرقَ في حق اليقين بين شُهود الذات والصفات والأفعال، وإنما طلب ذلك لأجل تمام الاستدلال والاحتجاج على قَومه، وهذا هو الأتمُّ[١].

قوله: (بكسر الصاد وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (أملْهُنَّ إليك) أي: أو قطِّعْهُنَّ، فهما مَعنيان لـ(صُرهُنَّ)، والمفسِّرُ جمعَ بينهما.

قوله: (من جبالِ أرضك) أي: من جبالِ حولَك، وكانت أربعاً، وقيل: سبعاً.

قوله: (فأخذ طاوُساً... إلخ) الحكمةُ في اختيار هذه الطيور الأربعة: شَبهُها بالإنسان؛ فإن في الطاوس الخُيَلاء والعُجْب، وفي النسر شهوةَ الأكل والشرب، وفي الغُراب الحرص، وفي الديك شهوةُ النكاح، وذلك كلُّه في الإنسان.

قوله: (ثم أقبلَتْ إلى رؤوسها) أي: بدعائها ثانياً، فالدعوةُ الأولى لالتئام أجزائها، والثانية:

---

(١) والجوابان على طريقة من يقول بأن إيمان الأنبياء كإيمان الملائكة لا يَزيد ولا ينقص، وهو ما ذهب إليه المصنف في «شرحه للجوهرة» (ص١٣٩)، وهي مسألة فيها خلاف، فذهب جمعٌ أن إيمان الأنبياء يزيد ولا ينقص، وجعلوا في هذه الآية إشارة لذلك، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾، وهو ما يُفيده كلام العلامة الأمير في «حاشيته على شرح الجوهرة» (ص٩٠).

(٢) قرأ حمزة بكسر الصاد، والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (٢/ ٥٧٥).

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ ....﴾

(٢٦١) ﴿مَثَلُ﴾: صِفَةُ نَفَقات ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعَتِه ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ فكَذلك نَفَقاتُهم تُضاعَف لِسَبعمائة ضِعفٍ، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثَر مِن ذلكَ ....

حاشية الصاوي

لإتيانها إليه لأخذِ رؤوسها، وإنما لم تكُنْ من جنس واحد ليظهرَ التمييز، وكانَت من الطيور لأن الطيرَ صفتُهُ الطيران في العُلو، وجهة إبراهيم إلى جِهة العلو، فمُعجزتُهُ مشاكلةٌ لهمَّته.

قوله: (﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾) ﴿مَّثَلُ﴾: مبتدأٌ مضاف للموصول، و﴿يُنفِقُونَ﴾: صلته، والخبرُ قولُهُ: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾، وقدَّرَ المفسِّر قوله: (نفقات) لِيَصحَّ التشبيه؛ لأن ذواتِ المنفقين لا يصحُّ تشبيهها بالحبَّة، والحاصلُ: أنه لا يصحُّ التشبيهُ إلا بتقديرٍ إما في الأول كما صنعَ المفسِّرُ، أو في الثاني؛ أي: مثلُ الذين ينفقون أموالهم كمثل باذرِ حبَّة.

قوله: (طاعته) أي: واجبةً أو مندوبة، فيشملُ الجهادَ وطلبَ العِلم والحجَّ والتوسعةَ على العيال وغيرَ ذلك، وكلَّما عظُمت القُرْبَةُ كانت الحسناتُ فيها أكثرَ.

قوله: (﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾) أي: في سبع شعبٍ، والأصلُ والساقُ واحد، وسنابل: جمع سُنْبُلَة، ويُقال أيضاً: سَبَل وسَبْلَة، وفعل الأول: سَنْبَل، والثاني: سَبَل، وغالباً يوجد ذلك في الذُّرَة والدَّخن والشعير.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثر من ذلك) أي: على حسَبِ الإخلاص وطيبِ المال، ويشهدُ لذلك قوله ﷺ: **«اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فوالذي نفسي بيدِهِ؛ لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفه»**[1].

---

(١) جمع رحمه الله بين حديثَين؛ فقد روى الترمذي (٣٨٦٢) عن عبد الله بن مغفل مرفوعاً: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضَهم فببغضي أبغضَهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى اللهَ فيوشكُ أن يأخذَهُ»، وروى البخاري (٣٦٧٣) عن أبي سعيد الخدري، ومسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تسبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفقَ مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه».

لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا ....

﴿لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فَضلُه، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَن يَستَحِقُّ المُضاعَفة.

﴿٢٦٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا﴾ على المُنفَقِ عليه بِقَولِهِم مَثَلاً: قد أحسَنتُ إليه وجَبَرتُ حالَه، ....

حاشية الصاوي

واعلم: أن أقلَّ المضاعفة عشرٌ، ثم سَبعون، ثم سبعُ مئة، ثم إلى غير نهاية، وظاهرُ المفسِّرِ: أن وعدَ الله الذي لا يتخلَّفُ هو المضاعفةُ بالسبع مئة، وأما ما زادَ فيختصُّ برحمته من يشاء، والحقُّ: أن وعدَ الله الذي لا يتخلَّفُ هو المضاعفةُ بالعشر، وما زادَ فيخُصُّ به من يشاء، فقولُه: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ صادقٌ بما فوقَ العشرة.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله) أي: فلا يستغربُ إعطاؤُهُ الشيءَ الكثير في نظير شيءٍ قليل، لا تخفى عليه خافيةٌ، وهذا كالدليل لما قبلَه.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾) نزلت هذه الآيةُ في حقِّ عثمانَ بنِ عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما في غزوة تَبوك، حيث جهَّزَ عثمانُ ألفَ بعير بأحلاسها وأقتابها[١]، ووضع بين يدَي رسولِ الله ألفَ دينار، فصار رسولُ الله يقلِّبُها ويقول: «**ما ضرَّ عثمانَ ما فعلَ بعدَ اليوم**»[٢]، وأتى عبدُ الرحمن النبيَّ عليه الصلاة والسلام بأربعةِ آلاف درهم، وأخبره أنه أبقى لأهله نظيرَها، فقال له: «**باركَ اللهُ لك فيما أمسكتَ وفيما أنفقتَ**»[٣]، فصارَ بعد ذلك مالُهُ كالتراب.

قوله: (﴿مَنًّا﴾) هو تعدادُ النِّعم، وأتى بـ(ثم) إشارةً إلى أن المَنَّ يقعُ بعد الإنفاق بمهلة، وهو حرامٌ محبطٌ للعمل، إلا مِن الوالد على ولده، والشيخِ على تلميذه، والسيد على عَبده، فليس بحرام.

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه، وفيه ذكر تسع مئة، ونقل المحبُّ الطبري في «الرياض النضرة» (٣/ ١٧) عن ابن شهاب الزهري قوله: (حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسع مئة وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتَمَّ بها الألف)، قال: (خرَّجه القزويني الحاكمي).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٠١) من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٨٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَلَآ أَذًىۙ لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذًىۗ ....

﴿وَلَآ أَذًىۙ﴾ لَهُ بِذِكرِ ذلك لِمَن لا يُحِبُّ وُقُوفَه عليه ونَحوه، ﴿لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ ثَوابُ إنفاقِهم ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخِرةِ.

﴿٢٦٣﴾ ﴿قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ﴾: كَلامٌ حَسَن ورَدٌّ على السَّائِل جميلٌ ﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾ لَهُ في إلحاحِه، ﴿خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذًىۗ﴾ بِالمَنِّ وتَعييرٌ لَه بِالسُّؤالِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَآ أَذًىۙ﴾) من عطف العامِّ على الخاص؛ لأن المنَّ من جملة الأذى.

قوله: (ونحوه) أي: كأن يعطيَهُ ويَسُبَّه.

قوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾) أي: مدَّخرٌ عنده، والعنديَّة عنديةُ مكانةٍ وشرفٍ لا مكان.

قوله: (﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾) أي: في الآخرة، والخوف: غمٌّ لما يستقبل، وقوله: (﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾) أي: فيها، والحزنُ: غمٌّ لما مضى، فقوله: (في الآخرة) راجعٌ لهما، وأما في الدنيا فلا مانعَ من حصول ذلك؛ لما في الحديث: «**أشدُّكم بلاءً الأنبياءُ، ثم الأولياءُ، ثم الأمثَلُ فالأمثل**»[1].

قوله: (﴿قَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌ﴾ . . . إلخ) ﴿قَوۡلٌ﴾: مبتدأ، و﴿مَّعۡرُوفٌ﴾: صفته، ﴿وَمَغۡفِرَةٌ﴾: معطوف عليه، و﴿خَيۡرٌ﴾: خبره، وسوَّغَ الابتداءَ بالنكرة الأولى وصفُها، وبالثانية عطفُها على ما له مسوِّغ.

قوله: (كلام حسن) أي: مِن المسؤول؛ كأن يقولَ له: اللهُ يرزقُكَ مثلاً.

قوله: (﴿خَيۡرٌ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذًىۗ﴾) اعلَمْ: أن أعلى المراتب الإحسانُ مع الكلامِ الحسن، ثم الكلامُ الحَسن من غير إعطاء، وأدناها الإعطاءُ مع الأذى، وهل له في هذه الحالة ثوابٌ لِقضاء حاجة السائل، وعقابٌ من جهة الأذية؟ أو لا ثوابَ ولا عقابَ؟ أو يُعاقبُ فقط ولا ثوابَ له؛ لِوجود الأذية؟ ويؤيِّدُه: ما يأتي في قوله: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ . . .﴾ الآية، وعلى ذلك: فيشكلُ الإتيانُ باسم التفضيل! وأجيبَ: بأن الخيريةَ بالنسبة لِلسائل لا للمسؤول.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٧٤٣٩)، وابن ماجه (٤٠٢٣) وليس فيه «ثم الأولياء»، بل تفهم من «الأمثل».

وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ ....

﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عَن صَدَقةِ العِباد، ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأخِيرِ العُقُوبة عَن المانِّ والمُؤذِي.

﴿٢٦٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم﴾ أي: أُجُورَها ﴿بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ إبطالاً ﴿كَٱلَّذِي﴾ أي: كَإبطالِ نَفَقةِ الَّذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مُرائِياً لَهُم، ﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ وهو المُنافِقُ، ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ﴾: حَجَرٍ أملَسَ ﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ﴾: مَطَرٌ شَدِيد، ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ﴾: صُلباً أملَسَ لا شَيءَ عليه، ﴿لَّا يَقۡدِرُونَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾) أي: فلا يُحوجُ عبادَهُ الفقراءَ إلى مَنِّ الأغنياء وأذاهم، ويرزقُهم من جهةٍ أخرى، إذا سُدَّ بابٌ يفتحُ اللهُ عشرة، وفي الحقيقة: الصدقةُ نفعٌ صِرْفٌ لصاحبها، ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾ [الإسراء: ٧]، وأما قِسمةُ الله للعبد فلا تُخطِئُهُ، بل إن لم تكنْ من هذا فمِن غيره.

قوله: (أي: أجورَها) يحتملُ أن المرادَ مضاعفتُها، أو ثوابُها من أصله.

قوله: (إبطالاً) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿كَٱلَّذِي﴾ صفةٌ لمصدر محذوف.

قوله: (أي: كإبطال نفقة الذي) الكلامُ على حذف مضاف؛ أي: كإبطال أَجْرِ نفقة الذي... إلخ.

قوله: (أي: مرائياً لهم) أشارَ بذلك إلى أن ﴿رِئَآءَ﴾ مصدرٌ بمعنى اسم الفاعل، حالٌ من فاعل ﴿يُنفِقُ﴾، والمراءاةُ: مُفاعلةٌ من الجانبين.

قوله: (وهو المنافق) أي: وهو قِسمان: نفاقٌ عملي، ونفاقٌ ديني، فالأول: أن يقصدَ بصدقاته وصَلاته وصومه غيرَ وجه الله لكنه مُسلم، والثاني: أن يظهرَ الإسلامَ ويُخفي الكفر، فمعنى قوله: (﴿وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾) أي: أصلاً؛ بأن يكون كافراً، أو إيماناً كاملاً؛ بأن يكون مسلماً عاصياً.

قوله: (﴿فَمَثَلُهُۥ﴾) أي: في الإنفاق.

قوله: (حجرٍ أملسَ) أي: وهو كبير.

قوله: (مطر شديد) وأوله رشٌّ، ثم طشٌّ، ثم طلٌّ، ثم نَضحٌ، ثم هَطلٌ ثم وَبْل.

عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ....

استِئنافٌ لِبَيانِ مَثَل المُنافِق المُنفِق رِئاءَ النَّاس، ـ وجَمع الضَّمِير بِاعتِبارِ مَعنَى (الذي) ـ ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: عَمِلُوا، أي: لا يَجِدُونَ لَهُ ثَواباً في الآخِرةِ كما لا يُوجَدُ على الصَّفوانِ شَيء مِن التُّراب الذي كانَ عليه لِإذهابِ المَطَر له، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿٢٦٥﴾ ﴿وَمَثَلُ﴾ نَفَقاتِ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تَحقِيقاً لِلثَّوابِ عليهِ بِخلافِ المُنافقينَ الذينَ لا يَرجُونَه لِإنكارِهِم لَه، ـ و﴿مِّنْ﴾ ابتِدائيَّة ـ ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ﴾: بُستانٍ ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ ـ بِضَمِّ الرَّاء وفَتحِها ـ: مَكانٌ مُرتَفِع مُستَوٍ، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ﴾: أعطَتْ ﴿أُكُلَهَا﴾ ـ بِضَمِّ الكاف وسُكُونِها ـ: ثَمَرَها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مِثلَي ما يُثمِرُ غَيرُها، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: مَطَرٌ خَفِيف يُصِيبُها ويَكفِيها لِارتِفاعِها، المَعنَى: تُثمِر وتَزكُو كَثُرَ المَطَرُ أم قلَّ، فكَذلكَ نَفَقاتُ مَن ذُكِرَ تَزكُو عِند الله ....

حاشية الصاوي

قوله: (وجمع الضمير باعتبار معنى الذي) أي: وأفردَ فيما قبلَه نظراً للفظه.

قوله: (﴿ٱبْتِغَآءَ﴾) مفعول لأجله.

قوله: (أي: تحقيقاً للثواب) أي: جازماً ومُصمماً أن اللهَ يُثيبُه[1].

قوله: (مكان مرتفع) أي: طيب، حَسن شَجره، تام ثمَره، وقوله: (مُستو) أي: لا مسنَّم؛ لعدم بقاء الماء عليه، وقوله: (بضم الراء وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2].

قوله: (لارتفاعها) أي: واستوائها.

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٣) عن الحسن: (كان الرجل إذا همّ بصدقة تثبَّت، فإن كان لله مضى، وإن خالطه شكٌّ أمسك).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم: (رَبوة) بفتح الراء، والباقون بالضم. انظر «الدر المصون» (٢/ ٥٩٢).

وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ....

كَثُرَتْ أم قَلَّتْ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكُم به.

﴿٢٦٦﴾ ﴿أَيَوَدُّ﴾: أيُحِبُّ ﴿أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بُستانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعۡنَابٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ ثمرٌ ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (كثرت أم قلَّت) أي: فحيث حسُنَ باطنه بالإخلاص فقليلُ عملِهِ ككثيره في رضا الله عنه، قال العارف: [الطويل]

وَبَعْدَ الفَنا فِي اللهِ كُنْ كَيْفَما تَشا ... فَعِلْمُكَ لا جَهْلٌ وَفِعْلُكَ لا وِزْرُ[1]

قوله: (فيجازيكم به) في ذلك وعدٌ لِلمخلصين برضا الله والفوزِ الأكبر، ووعيدٌ للمرائين بغضبِ الله وعدمِ الرضا عليهم.

قوله: (﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ﴾) شروعٌ في ذكر مثالٍ آخرَ لِلمرائي والمانِّ، والاستفهامُ إنكاريٌّ بمعنى النفي، ومَصبُّهُ قولُهُ: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡ﴾[2]، وقوله: (أيحبُّ) تفسيرٌ لـ(يودُّ)، فالمودةُ هي: المحبةُ لكن مع تمنِّي اللقاء.

قوله: (﴿جَنَّةٌ﴾) قيل: إن المراد بالجنة الأرضُ ذات الشجر، وقيل: الشجرُ نفسُهُ.

قوله: (﴿نَّخِيلٍ﴾) اسم جنس جمعي، واحده: نَخلة، ولا يكون إلا لشجر البَلَح، والأعنابُ: جمع عِنَبة، اسم للكرْمِ المعلوم، خصَّهما لعظم مَنافعهما ومزيد فضلهما على سائر الأشجار، وإلا.. فالمرادُ في الآية جميعُ الثمار؛ بدليل باقي الآية.

قوله: (﴿لَهُۥ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ جارٌّ ومجرور متعلِّقٌ بمحذوف صفة لموصوف محذوف على حدِّ: (منَّا ظعنَ ومنَّا أقام) أي: منا فريقٌ ظعنَ ومنَّا فريقٌ أقام، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ﴾؛ أي: ما منَّا أحدٌ، وقوله: ﴿لَهُۥ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف خبر لـ(ثمر) المقدَّر، وقوله: ﴿فِيهَا﴾ متعلِّقٌ بمحذوف حال من ضمير الخبر.

---

(١) البيت للعارف بالله محمد وفا ضمن قصيدة له. انظر «ديوانه» (ص١٢٠).

(٢) المنفي في الحقيقة هو قوله: ﴿فَأَصَابَهَآ...﴾ إلخ، فهو مصبُّ الإنكار والنفي، وعبارة أبي السعود في «تفسيره» (١/ ٢٦٠): والهمزة لإنكار الوقوع، على معنى أن مناط الإنكار ليس جميع ما تعلق به الود، بل إنما هو قوله: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٌ﴾. «الفتوحات» (١/ ٢٢٢).

﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ﴾ ....

و﴾ قَد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فضَعُفَ مِن الكِبَر عَن الكَسبِ، ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: أولادٌ صِغارٌ لا يَقدِرونَ علَيهِ، ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾: رِيحٌ شَديدةٌ ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ففَقَدَها أحوَجَ ما كانَ إلَيها، وبَقِيَ هو وأولادُه عَجزةً مُتحَيِّرينَ لا حِيلَةَ لَهُم، وهذا تَمثِيلٌ لِنَفَقةِ المُرائِي والمانِّ في ذَهابها وعَدَمِ نَفعها أحوَجَ ما يَكُونُ إلَيها في الآخِرَة، والاستِفهامُ بِمَعنَى النَّفي، وعن ابن عَبَّاس: هو الرَّجُل عَمِلَ بِالطَّاعاتِ، ثُمَّ بُعِثَ لَهُ الشَّيطانُ فعَمِلَ بِالمَعاصِي حتَّى أحرَقَ أعمالَه، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بُيِّنَ ما ذُكِرَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾) الجملة حاليَّة، و(قد) مقدَّرة كما ذكره المفسِّر؛ لأن الجملةَ الماضوية إذا وقعت حالاً.. فإن (قد) تَصحبها إما لفظاً أو تقديراً، وقوله: (﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾) جملةٌ حالية أيضاً.

قوله: (﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾) هذا هو مَصبُّ الاستفهام؛ لأن هذا هو موضعُ المُصيبة.

قوله: (ريح شديدة) هي المسماةُ بالزَّوْبَعة؛ لأنها تعصرُ الشجرَ كما يَعصرُ الإنسان الثوبَ، وتَقلعُهُ من أصله.

قوله: (﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾) معطوف على ﴿أَصَابَهَا﴾.

قوله: (أحوجَ ما كان إليها) حال من فاعل (فقدها)، أي: فقدَها هو حالَ كونه محتاجاً إليها.

قوله: (عَجَزَة) جمع عاجز؛ كـ(كَمَلَة وكامل).

قوله: (وهذا تمثيل لِنفقة المرائي والمانِّ) أي: لأنهما خصلتان من خصال المنافقين، وهو كافرٌ بهما إن استحلَّ ذلك.

قوله: (والاستفهام بمعنى النفي) أي: فهو إنكاريٌّ؛ يعني لا يحبُّ مسلمٌ ذلك.

قوله: (وعن ابن عباس) أي: فهو تفسيرٌ آخرُ لمعنى الآية[1].

قوله: (ما ذكر) أي: من نفقة المخلص بقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾ الآية، ونفقة المرائي والمانِّ بقوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ...﴾ الآية.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٥٤٤) بنحوه.

يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ ...

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبِرُون.

﴿٢٦٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ أي: زَكُّوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: جِيادِ ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ مِن المالِ، ﴿وَمِـ﴾ـن طَيِّباتِ ﴿مَا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مِن الحُبُوب والثِّمارِ، ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾: تَقصِدُوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الرَّدِيءَ ﴿مِنْهُ﴾ أي: مِن المذكورِ ﴿تُنفِقُونَ﴾ـهُ في الزَّكاة، ـ حالٌ مِن ضَمِير ﴿تَيَمَّمُوا۟﴾ ـ ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي: الخَبِيث لَو أُعطِيتُمُوه في حُقُوقِكم،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾) أي: فلم يُكلفْكم إلا بعد البيان.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾) هذا نتيجةُ ما قبله، فبيَّنَ أولاً الإخلاصَ في الإنفاق، وبيَّنَ هنا الإخلاصَ في الشيء المنفَق.

قوله: (زكُّوا) أي: أدُّوا الزكاةَ وما قاربها.

قوله: (من المال) أي: وهو النقدُ والمواشي وعروضُ التجارة.

قوله: (﴿ومِـ﴾ـن طيبات ﴿مَا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾) ظاهرُ الآية: أن جميعَ ما خرج من الأرض يجبُ فيه الزكاة، ولكن تفصيل ذلك موكولٌ للسنة، فأوجبَ الشافعي الزكاةَ فيما كان مُقتاتاً للآدمي حالةَ الاختيار إذا بَلغ ذلك خمسةَ أوسُق، ففيه إن سُقيَ بآلة نصفُ العُشر، وبغيرها العُشر، وأبقاها أبو حنيفة على ظاهرها، فأوجب الزكاةَ في جميع ما يخرجُ من الأرض من مأكولات الآدمي كالفَواكه والخضروات، وأوجبَ في ذلك العُشر قليلاً أو كثيراً، وعند مالك: تجبُ الزكاة في عشرين نوعاً: القمح والشعير والسُّلْت والدُّخن والذُّرَة والأرزُّ والعَلَس، والقَطاني السبع وهي الفولُ والحِمِّص والتُّرْمُس والبَسِيلَة والجُلْبان واللوبياء والعدس، وذوات الزيوت الأربع وهي الزيتونُ والقِرْطِم وحبُّ الفجل الأحمر والسِّمْسِم والتمر والزبيب، فيُخرِجُ من ذلك نصفَ العُشر إن سُقي بآلة، والعُشرَ كاملاً إن سُقي بغيرها، إن بلغَ حبُّ ذلك أو زيتُ ما له زيتٌ خمسةَ أوسُق.

قوله: (أي: من المذكور) أي: الخبيث، فقوله: ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ متعلِّق بـ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾.

قوله: (﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾) هذا احتجاجٌ على من أدَّى الزكاة من الرديء وامتنعَ من إعطائها من الطيِّبِ، وقد نزلت في الأنصار، عن البراء بن عازب قال: نزلَت فينا معشرَ الأنصار، كنَّا أصحابَ

﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ ....

﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ﴾ بِالتَّساهُلِ وغَضِّ البَصَر، فكيفَ تُؤَدُّونَ مِنه حَقَّ الله؟! ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عَن نَفَقاتِكُم، ﴿حَمِيدٌ﴾: مَحمُودٌ على كلِّ حالٍ.

﴿٢٦٨﴾ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾: يُخَوِّفكُم بِه إن تَصَدَّقتُم فتُمسِكُوا، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ﴾: البُخلِ ومَنعِ الزَّكاة، ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاقِ ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لِذُنُوبِكُم، ﴿وَفَضْلًاۗ﴾: رِزقاً خَلَفاً منه، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فَضلُه، ....

حاشية الصاوي

نخل، فكان الرجل يأتي بالقِنْوِ والقنوين فيعلِّقُه في المسجد، وكان أهلُ الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدُهم إذا جاعَ أتى القنوَ فضَربه بعصاه فسقط البُسْرُ أو التمر فيأكل، وكان فِينا من لا يرغبُ في الخير، فيأتي بالقنوِ فيه الشِّيصُ والحَشَفُ وبالقنوِ قد انكسرَ فيعلِّقُه، فأنزلَ الله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ...﴾ الآية[1].

قوله: (بالتساهل) أشارَ بذلك إلى أن قولَهُ: ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ﴾ كنايةٌ عن التساهل؛ لأن مَن تساهلَ في شيء فقد غضَّ بصرَهُ عنه.

قوله: (عن نفقاتكم) أي: فأمرَكم بها لانتفاعكم بها، لا لعجزِهِ عن نفقة الفقراء.

قوله: (﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ﴾) أي: يخبرُكم بأسباب الفقر ويجعلُهُ بين أعينكم.

قوله: (البخل) قال بعضُهم: (الفحشاءُ في القرآن جميعِهِ معناها الزنا، إلا هذه فمَعناها البخل)[2]، والمعنى: يُغويكم ويخبركم بأمور يتسبَّبُ عنها البخل، فيترتَّب على ذلك مطاوعتُكم له كمطاوعة المأمور للآمِر، وسُمِّيَ إخبارُ الشيطان بالفقر وعداً مع أنه وعيدٌ لأنه شرٌّ؛ مشاكلةً لقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ﴾.

قوله: (خلفاً منه) وردَ: أن الله بعثَ ملَكين أحدهما ينادي: «**اللهمَّ أَعطِ منفقاً خَلفاً، والآخر ينادي: اللهمَّ أعطِ ممسكاً تَلفاً**»[3]، وفي الحديث أيضاً: «**أن للشيطان لَمَّةً بابن آدم ولِلملك لَمَّةً،**

(١) رواه الترمذي (٢٩٨٧)، والقنو: العذق من النخل، والشيص والحشَف: أردأ التمر.

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٣٧٢) عن الكلبي، ونحوه في «تفسير الثعلبي» (٢/ ٢٧٠) عن مقاتل.

(٣) رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ ....

﴿عَلِيمٌ﴾ بِالمُنفِقِ.

﴿٢٦٩﴾ ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: العِلمَ النَّافِعَ المُؤَدِّيَ إلى العَمَل ....

حاشية الصاوي

فأما لَمَّةُ الشيطان.. فإيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحق، وأما لَمَّةُ المَلَكِ.. فإيعادٌ بالخير وتصديقٌ بالحق، فمن وجدَ ذلك فليعلَمْ أنه من الله فليَحمد الله، ومن وجدَ الأخرى فليتعوَّذْ من الشيطان، ثم قرأَ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾» أخرجه الترمذي[١].

قوله: (بالمنفق) يُقرأُ بصيغة اسم الفاعل؛ أي: بنيَّةِ الشخص المنفِق، وبصيغة اسم المفعول؛ أي: بالشيء المنفَق.

قوله: (العلم النافع... إلخ) هذا هو أصحُّ الأقوال وأَولاها بالصواب، وفي تفسيرها أقوالٌ كثيرة؛ قيل: النبوَّة، وقيل: المعرفة بأحكام القرآن، وقيل: الفهم فيه، وقيل: الإصابة في القول والفعل، وقيل: الفقه في الدين مطلقاً، وقيل: خشية الله، وقيل: القرآن؛ لِما ورد: «إذا أرادَ اللهُ إنزالَ العذابِ بقوم سمعَ تعليمَ صبيانِهم الحكمةَ رفعَهُ عنهم»[٢]، ويشهدُ لما قاله المفسِّر حديثُ: **«لا حسدَ إلا في اثنتَين: رجلٌ آتاه اللهُ مالاً فسلَّطَه على هَلَكَته في الخير، ورجلٌ آتاه اللهُ الحكمةَ فهو يقضي بها ويعلِّمُها الناس»**[٣].

قوله: (المؤدي إلى العمل) أي: وأمَّا شقشقةُ اللسان التي لم تُورث القلبَ خشيةً.. فلا تُسمَّى حكمةً، بل يعذَّبُ الإنسان على ذلك ويُبعث جاهلاً، قال الإمام الشافعي: [الطويل]

إذا لَمْ يَزِدْ عِلْمُ الفَتَى قَلْبَهُ هُدًى ... وَسِيرَتَهُ عَدْلاً وَأَخْلاقَهُ حُسْنَا
فَبَشِّرْهُ أَنَّ اللهَ أَوْلاهُ نِقْمَةً ... يُنَكِّلْ بِها مِنْ قَبْلِ مَنْ عَبَدَ الوَثْنا[٤]

نسألُ اللهَ السلامة.

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٨٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٣٣٨٨) عن ثابت بن عجلان رضي الله عنه موقوفاً عليه.

(٣) رواه البخاري (١٤٠٩)، ومسلم (٨١٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، والأقوال في «تفسير القرطبي» (٣/ ٣٣٠) منسوبة لأصحابها.

(٤) كذا في النسخ، وهما لأبي الفتح البستي كما في «ديوانه»، وبلفظ:

إذا لم يزدْ علمُ الفتى قلبَهُ هدًى ... وسيرتَهُ عدلاً وأخلاقَهُ حُسْنَا
فبشِّرْهُ أنَّ اللهَ أولاه فتنةً ... تُغشِّيهِ حرماناً وتُوسِعُهُ حُزْنَا

مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ ....

﴿مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ﴾ لِمَصِيرِه إلى السَّعادةِ الأبدِيَّة، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ - فِيه إدغامُ التَّاء في الأصل في الذَّال -: يَتَّعِظ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العُقُول.

﴿٢٧٠﴾ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: أَدَّيتُم مِن زَكاةٍ أو صَدَقة ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فوَفَيتُم به، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ﴾ فيُجازِيكُم عليهِ، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بِمَنعِ الزَّكاة والنَّذرِ أو بِوَضعِ الإنفاقِ في غَير مَحَلِّه مِن مَعاصِي الله ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ مانِعِينَ لَهُم مِن عَذابِه.

﴿٢٧١﴾ ﴿إِن تُبْدُواْ﴾: تُظهِرُوا ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: النَّوافِلَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (فيه إدغام التاء في الأصل... إلخ) فإن أصله: يتذكَّر، قلبت التاءُ دالاً ثم أُعجمَتْ وأُدغمَتْ في الذال.

قوله: (أصحاب العقول) أي: الكاملة السالِمة من شوائبِ النقص.

قوله: (فوفيتم به) أشارَ بذلك إلى أن في الآية حذفَ العاطف والمعطوف؛ لأن المجازاة لا تترتَّبُ إلا على الوفاء بالنذر، لا على نَفس النذر.

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥۗ﴾) دليلُ الجواب، وقدَّرَ المفسِّرُ الجواب بقوله: (فيُجازيكم عليه).

قوله: (﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾) (مِن) صلة، والأنصارُ الأعوان.

قوله: (﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾) لمَّا تقدَّمَ فضلُ الصدقة كأن قائلاً يقول: هل هذا الفضلُ مخصوصٌ بمن أسرَّها أو بمن أعلَنها؟ فأجاب بذلك، وحذفَ من هنا شيئاً أثبتَ نظيرَهُ في الآخر، تقديرُهُ: إن تُبدوا الصدقات وتعطوها الأغنياء فنِعما هي.

قوله: (أي: النوافل) أي: فالمرادُ بالصدقات: صدَقاتُ التطوع؛ لأنها هي التي يَصحُّ إعطاؤُها للأغنياء.

فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ....

﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ أي: نِعمَ شيئاً إبداؤُها، ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾: تُسِرُّوها ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مِن إبدائِها وإيتائِها الأغنياءَ؛ أمَّا صَدَقةُ الفَرض فالأفضلُ إظهارها لِيُقتَدَى به، ولِئَلَّا يُتَّهَمَ، وإيتاؤُها الفُقَراءَ مُتَعيِّنٌ، ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ ـ بالياءِ، والنُّون مَجزُوماً بِالعَطفِ على مَحَلِّ ﴿فَهُوَ﴾، ومَرفُوعاً على الِاستِئناف ـ ﴿عَنكُم مِّن﴾: بَعضَ ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالِم بِباطِنِه كَظاهِرِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَنِعِمَّا﴾) هي بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيَّتان[1]، والعينُ مكسورة على كلِّ حال، والقياسُ: فتح النون؛ لأنه على وزن عَلِمَ، وإنما كُسرت النون في القراءة الأخرى إتباعاً لكسرة العين، و(نعمَ): فعلٌ ماضٍ، و(ما): مميز، وقيل: فاعل، و(هي): هو المخصوصُ بالمدح.

قوله: (شيئاً) تفسير لـ(ما)، وقوله: (إبداؤها) بيانٌ لكونِ المخصوصِ على حذف مضاف.

قوله: (فالأفضل إظهارها) أي: حيث كان مشهوراً بالمال ولم يخشَ على نفسه تسلُّطَ الظَّلَمة على ماله.

قوله: (وإيتاؤُها الفقراءَ متعيِّن) التعيُّنُ بالنسبة للأغنياء، وإلا.. فالأصنافُ التي تُدفعُ لهم ثمانيةٌ مذكورةٌ في سورة (براءة).

قوله: (بالياء) أي: مع الرفع لا غير، وقوله: (والنون) أي: مع الجزم والرفع، فالقراءاتُ ثلاثٌ، فقولُ المفسِّر: (مجزوماً ومرفوعاً) راجعٌ لقوله: (والنون لا غير)[2].

قوله: (على محل ﴿فَهُوَ﴾) أي: مع خبره، ومحلُّهُ جزمٌ لوقوعه جوابَ الشرط.

قوله: (بعض ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾) أشارَ بذلك إلى أن (مِنْ) للتبعيض؛ لأن الصدقاتِ لا تكفِّرُ جميعَ السيئات، بخلاف التوبة فتكفِّرُ جميعَها.

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين، وابن كثير وورش وحفص بكسر النون والعين. انظر «الدر المصون» (٢/ ٦٠٨).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالنون ورفع الراء، وقرأ نافع وحمزة والكسائي بالنون وجزم الراء، وابن عامر وحفص عن عاصم: بالياء ورفع الراء. «الدر المصون» (٢/ ٦١١).

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ....

لا يَخفَى عليه شَيءٌ مِنه.

﴿٢٧٢﴾ ولَمَّا مَنَعَ ﷺ مِن التَّصَدُّق على المُشرِكِينَ لِيُسلِمُوا نَزَلَ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي: النَّاسِ إلى الدُّخُول في الإسلام، إنَّما عَلَيك البَلاغُ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا يخفى عليه شيء منه) أي: من العمل سرًّا أو جهراً، فإسرارُ العمل لا يدلُّ على الإخلاص، وإجهارُهُ لا يدلُّ على الرياء.

قوله: (ولما منع) أشارَ بذلك إلى سبب نزول الآية.

قوله: (من التصدُّق على المشركين) أي: الكفارِ الفُقراء، يهوداً أو غيرَهم.

قوله: (لِيسلموا) أي: ليضطروا، فربما يترتَّب على ذلك إسلامُهم[1].

قوله: (﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾) أي: لم يكلِّفْكَ يا محمدُ ربُّك بخلق الهدى فيهم، بل كلَّفَكَ بتبليغ شرعه ويُسمَّى هدًى أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] بمعنى: مبلِّغ ودالٌّ لهم على طريق الحق، فتحصَّلَ أن الهدى يطلقُ بمعنى: الدلالة، وهو مكلَّفٌ به الأنبياءُ والعلماء، وبمعنى: إيصالِ الخير للقلب، وهو لم يكلَّفْ به أحد، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، ومن هنا قولُ العارف: (مَنْ نظرَ لِلخلق بعين الحقيقة عذرَهم، ومَن نظرَ لهم بعين الشريعة مَقَتَهم)[2]، فعذرهم بالنظر لخلْقِ الله الضلال والهدى في قلوبهم، فالخالق لِلضلال والهدى والأفعال جميعِها هو اللهُ وحدَهُ، فمن نظرَ لِذلك لم يستقبِحْ فعلَ أحد؛ لأنه فعلُ الله في الحقيقة، قال العارف: [الطويل]

إذا ما رَأَيْتَ اللهَ فِي الكُلِّ فاعِلاً ... رَأَيْتَ جَمِيعَ الكائِناتِ مِلاحَا
وَإِنْ لَمْ تَرَى إِلَّا مَظاهِرَ صُنْعِهِ ... حُجِبْتَ فَصَيَّرْتَ الحِسانَ قِباحَا[3]

---

(١) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٣٩٨) عن سعيد بن جبير مرسلاً قال ﷺ: «لا تصدَّقوا إلا على أهل دينكم»، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ...﴾ الآية، قال: قال رسول الله ﷺ: «تصدقوا على أهل الأديان».

(٢) «إيقاظ الهمم» (ص٣٦) عن بعضهم، عند شرح قوله: (ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله فيه).

(٣) ومن مشكاته قول العارف بالله محمد وفا رحمه الله تعالى كما أورده العلامة الأمير في «حاشيته على شرح الجوهرة»:

سمعتُ اللهَ في سرِّي يقول: ... أنا في المُلكِ وَحدي لا أزولُ =

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ ....

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ هِدايَتَه إلى الدُّخول فِيه، ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾: مالٍ ﴿فَلِأَنفُسِكُمْۚ﴾ لِأَنَّ ثَوابَه لَها، ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: ثَوابِه لا غَيرِه مِن أعراضِ الدُّنيا، ـ خَبَرٌ بِمعنَى النَّهي ـ ....

حاشية الصاوي

ومَقتُهم بالنظر للتكليف الظاهري، فالعبدُ مجبورٌ في قالَب مختار[١].

قوله: (هدايته) قدَّره؛ إشارةً إلى مفعول ﴿يَشَآءُ﴾.

قوله: (لأن ثوابه لها) أي: فلا يضيعُ الثواب؛ سواءٌ تصدَّق على مؤمن أو مُشرك.

قوله: (لا غيره من أعراض الدنيا) أي: فلا تجعلوا نَفقاتِكم عليهم إلا لوجه الله، لا لشيء آخر؛ لأن من كان مقصدُهُ وجهَ الله فلا يخيبُ أبداً، كانت النفقةُ على مسلم أو كافر، بل وردَ: أن اللهَ غفرَ لإنسان بسبب سَقيه كلباً يلهثُ عطشاً[٢].

قوله: (خبر بمعنى النهي) راجعٌ للجملة الثانية؛ أي: فهي خبرية لفظاً إنشائية معنًى، والمعنى: لا تجعلوا إنفاقَكم إلا خالصاً لوجه الله لا لِغرضٍ آخرَ لا دُنيوي ولا أخروي، وهذا هو المقامُ الأعلى، أو: لا تقصدوا إلا وجهَ الله بمعنى ثوابه، وهذا أدنى منه، وارتكبَهُ المفسِّرُ وإن كانت الآية محتملةً لهما بالنظر لأخلاق العامَّة، ويصحُّ في هذه الجملة أن تكون خبريةً لفظاً ومعنًى، وتكون قيداً فيما قبلَها، فالمعنى: وما تنفقوا من خير فلِأنفسكم إن قصدتُم بها وجهَ الله.

= وحيثُ الكلُّ عني لا قبيحٌ ... وقبحُ القبحِ من حيثي جميلُ

أما من حيث نسبته للعبد فما وافقَ أمرَ الشارع فحسن، وما خالفَهُ فقبيح، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾.

(١) لأن فعلَ العبد من جملة أفعاله تعالى، والعبدُ يفعل ويريد، فهو مختار؛ إذ الجبرُ فعلٌ مخالف لإرادة الفاعل، فإن قيل: والإرادةُ من جملة خلقه تعالى! أجيب بأن ذلك لا يخرج العبد عن صُورة الاختيار الذي هو موافقة الفعل للإرادة وإن حصل الجبر في الباطن.

(٢) رواه البخاري (١٧٣)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة، بل روى البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) عنه مرفوعاً: «بينما كلب يطيف برَكِيَّة كاد يقتله العطش، إذ رأته بغيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقَها فسقته، فغُفر لها به»، والركية: البئر.

وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ ....

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤُه، ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: تُنقَصُونَ مِنه شَيئاً. ـ والجُملَتانِ تأكِيدٌ لِلأُولى ـ.

﴿٢٧٣﴾ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ ـ خَبَرُ مُبتَدأ مَحذُوف ـ أي: الصَّدَقاتُ، ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: حَبَسُوا أنفُسَهم على الجهاد، نَزَلَت في أهل الصُّفَّة، وهُم أربَعُمائةٍ مِن المُهاجِرِينَ أُرصِدُوا لِتَعَلُّمِ القُرآنِ والخُرُوج مع السَّرايَا، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾: سَفَراً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لِلتِّجارَةِ والمَعاش؛ لِشُغلِهِم عَنهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنْ خَيْرٍ﴾) أي: قليلاً أو كثيراً.

قوله: (تنقصون منه شيئاً) أي: سواء كان قليلاً أو كثيراً ولو خَرْدَلة.

قوله: (للأولى) أي: وهي قوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾.

قوله: (أي: الصدقات) أي: المتقدّم ذكرُها تُصرف وتعطى للفقراء الذين أحصروا... إلخ.

قوله: (في أهل الصُّفَّة) أي: وهي محلٌّ في مُؤخَّرِ المسجدِ النبوي[١]، والعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمرادُ: كلُّ من كان متصفاً بأوصافهم فالصدقاتُ تُعطى له.

قوله: (وهم أربع مئة) أي: ورئيسهم عبد الرحمن بن صخر المكنى بأبي هريرة[٢].

قوله: (من المهاجرين) أي: الذين هاجَروا مع رسول الله من مكة وما حولها وتركوا أموالَهم وديارهم، ولم يكنْ لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر، وكانوا غيرَ متزوجين، وكانوا يستغرقون أوقاتهم في الاشتغال بالقرآن والسنة، والعبادة ليلاً والجهاد نهاراً، وكانوا يقفون أوَّلَ صفٍّ في الصلاة والجهاد.

قوله: (أرصدوا لتعليم القرآن) أي: والصلاة خلفَ النبيِّ وقيام الليل.

---

(١) روى سبب نزولها ابنُ سعد في «طبقاته» (١/ ٢٥٥) عن محمد بن كعب القرظي.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٢٨٧): (وقد قال أبو نعيم: كان عدد أهل الصفة يختلف بحسب اختلاف الحال، فربما اجتمعوا فكثروا، وربما تفرَّقوا إما لغزو أو سفر أو استغناء فقلُّوا، ووقع في «عوارف السهروردي» أنهم كانوا أربع مئة).

يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ....

بِالجِهادِ، ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بحالِهِم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أي: لِتَعَفُّفِهِم عَن السُّؤال وتَركِه، ﴿تَعْرِفُهُم﴾ يا مُخاطَبُ ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: عَلامَتِهِم مِن التَّواضُع وأثَرِ الجَهد، ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾ شَيئاً فيُلحِفُونَ ﴿إِلْحَافًا﴾ أي: لا سُؤالَ لَهُم أصلاً، فلا يَقَعُ مِنهم إلحافٌ وهو الإلحاحُ، ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمُجازٍ عليهِ.

﴿٢٧٤﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بالجهاد) أي: في طاعة الله؛ إما بالغزو، أو بتعليمهم القرآن وغيرِ ذلك من أنواع الطاعات.

قوله: (وأثر الجهد) أي: من عظيم الخدمةِ مع الجوع.

قوله: (شيئاً) قدَّره إشارةً إلى مفعول ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾، وقوله: (فيلحفون) قدَّره إشارةً إلى أن ﴿إِلْحَافًا﴾ مفعول لمحذوف[1].

قوله: (أي: لا سؤال لهم أصلاً) أي: فالنفيُ منصبٌّ على القيدِ وهو ﴿إِلْحَافًا﴾ والمقيدِ وهو أصل السؤال، فالإلحافُ منفيٌّ قطعاً لانتفاء أصلِ السؤال.

قوله: (﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾) هذه الجملةُ تأكيدٌ لِلجملة المتقدِّمة.

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم﴾) قيل: نزلت في أبي بكر؛ حيث تصدَّق بأربعين ألفَ دينارٍ، عشرة آلاف بالليل ومثلها بالنهار، ومثلها سرًّا ومثلها عَلانية[2]، وقيل: في عليٍّ؛ كانت معه

---

(١) أي: مفعولاً مطلقاً، والتقدير: يلحفون إلحافاً، والجملة المقدرة حال من فاعل (يسألون)، ويجوز أن يكون مفعولاً من أجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال تقديره: لا يسألون مُلحفين. انظر: «الدر المصون» (٢/ ٦٢٢).

(٢) صرح الإمام السيوطي في «نواهد الأبكار» (٢/ ٤٦٩) أنه لم يقف عليه، وكونُ الصِّدِّيق تصدَّق بهذا أخرجه ابن عساكر في «تاريخه».

﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ ....

(٢٧٥) ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يَأخُذُونَهُ، وهو الزِّيادَة في المُعامَلةِ بِالنُّقُودِ والمَطعُومات في القَدْرِ أو الأجَلِ، ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ مِن قُبُورِهم ﴿إِلَّا﴾ قِياماً ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ﴾: يَصرَعُهُ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾: الجُنُونِ بِهِم، ـ مُتَعَلِّق بـ﴿يَقُومُونَ﴾ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نَزَلَ بِهِم ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾: بِسَبَبِ أنَّهُم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ في الجَوازِ، ....

حاشية الصاوي

أربعةُ دراهمَ لم يملكْ غيرها، فتصدَّقَ بدرهم ليلاً وبآخر نهاراً، وبآخر سرًّا وبآخر علانية[١]، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالمرادُ بيانُ أجر المنفِقِ على هذا الوجه، فلا خصوصيَّةَ لأبي بكر بذلك ولا لِعلي.

قوله: (أي: يأخذونه) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ ليس خصوصَ الأكل، بل التناول مطلقاً.

قوله: (في القَدْر) مرادُهُ به رِبا الفضل؛ أي: الزيادة، وهو حرام في متحدِ الجنس فقط، وقوله: (والأجل) مرادُهُ به ربا النَّساء، وهو حرام وإن تعدَّدَ الجنس، قال الأجهوري: [الطويل]

رِبا نَسا فِي النَّقْدِ حَرِّمْ وَمِثْلُهُ ... طَعامٌ وَإِنْ جِنْساهُما قَدْ تَعَدَّدَا

وَخُصَّ رِبَا فَضْلٍ بِنَقْدٍ وَمِثْلُهُ ... طَعامُ رِباً إنْ جِنْسُ كُلٍّ تَوَحَّدَا[٢]

واعلَم: أن الربا محرَّمٌ كتاباً وسنةً وإجماعاً، فمن استحلَّهُ فقد كفرَ، وقد وردَ في ذمِّ آكل الربا من الأحاديث ما لا يُحصى؛ فمنها: **«لعنَ اللهُ آكلَ الربا ومُؤكِلَهُ وكاتبَهُ وشاهدَهُ، كلُّهم في اللَّعنةِ سواءٌ»**[٣]، ومنها: **«أنه رأى ليلةَ الإسراءِ رجلاً يسبحُ في نهرٍ من دمٍ يُلقمُ الحجارةَ، فقال: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا مثلُ آكلِ الربا»**[٤].

قوله: (﴿ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾) أي: وهذه علامةٌ يُعرفون بها يومَ القيامة.

قوله: (بسَبب ﴿أَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ﴾ ... إلخ) أي: فقد فضَّلوا الربا قولاً وفعلاً واعتقاداً[٥].

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٩٧).

(٢) انظر «الشرح الكبير» للعلامة الدردير (٣/ ٢٩).

(٣) رواه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (١٣٨٦، ٢٠٨٥) من حديث سمرة بن جُندب رضي الله عنه.

(٥) وفي (ط): (فقد ضلُّوا بالربا قولاً وفعلاً واعتقاداً).

﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ....

ـ وهذا مِن عَكسِ التَّشبيه مُبالَغةً ـ، فقالَ تَعالى رَدًّا عليهِم: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ﴾: بَلَغَهُ ﴿مَوْعِظَةٌ﴾: وَعظٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عَن أكلِه، ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قَبلَ النَّهيِ أي: لا يُستَرَدُّ مِنه، ﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾ في العَفوِ عنهُ ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكلِه مُشَبِّهاً لَه بِالبَيعِ في الحِلِّ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿٢٧٦﴾ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يُنقِصهُ ويُذهِبُ بَرَكَتَه، ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾: يَزيدُها ويُنَمِّيها ويُضاعِفُ ثَوابَها، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بِتَحليلِ الرِّبا، ﴿أَثِيمٍ﴾: فاجِرٍ بِأَكلِه، أي: يُعاقِبُه.

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا من عكس التشبيه) أي: فقد جعلوا المشبَّهَ مشبَّهاً به، فجَعلوا الربا أصلاً في الحلِّ والبيعَ مقيساً عليه.

قوله: (﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾) أي: سبقَ قبلَ النهي عنه.

قوله: (في العفو عنه) أي: عن آكله، والمعنى: فأمرُهُ في الثواب لامتثالِ أمرِ الله موكولٌ له، يعني: أن مَن سمعَ النهيَ من رسول الله عنه وتاب فقد فاز بما أكلَهُ قبلَ النهي، وثوابُهُ موكولٌ لله، فهذه الآيةُ محمولة على الصحابة الذين سبقَ منهم الربا قبلَ تَحريمه.

قوله: (﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾) أي: لاستحلالهم ما حرَّمَ الله.

قوله: (﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾) أي: المالَ كلَّه.

قوله: (﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾) أي: لما في الحديث: «**إذا تصدَّقَ العبدُ بصدقة فإن الله يربِّيها له كما يربي أحدُكم فَلُوَّهُ حتى تكونَ في ميزانِهِ كأُحُد**»[١].

قوله: (أي: يعاقبه) تفسيرٌ لعدم مَحبة الله له.

---

(١) رواه البخاري (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والفلو: المهر إذا فُطم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ....

﴿٢٧٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

﴿٢٧٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟﴾: اترُكُوا ﴿مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صادِقِينَ في إيمانِكُم؛ فإنَّ مِن شَأن المُؤمِنِ امتِثالَ أمرِ الله تَعالى، نَزَلَت لَمَّا طالَبَ بعضُ الصَّحابةِ بعد النَّهي بِرِباً كانَ قبلُ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) أي: بما أنزل الله، ومن جملة ذلك تحريمُ الربا، وقوله: (﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾) أي: بتركهم الربا واتباعهم ما أحلَّ الله.

قوله: (﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) نصَّ عليهما وإن كانا داخلَين في قوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لعظيم شأنهما.

قوله: (﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾) أي: من مَكروه يوم القيامة، وقوله: (﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) أي: في يوم القيامة على ما فاتهم من الدنيا.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟﴾) أي: امتثلوا أوامرَ الله واجتنبوا نواهيَهُ.

قوله: (﴿وَذَرُوا۟﴾) أمرٌ من: وَذَرَ يَذَرُ، وأصله: اِوْذَرُوا، حذفت الواو حملاً على حذفها في المضارع.

قوله: (لمَّا طالب بعض الصحابة) قيل: هو عثمانُ بن عَفان والعباس، كانا أسْلَما رجلاً في قدْرٍ من التمر، فلمَّا حلَّ الأجلُ طالباه، فقال لهما: إن أعطيتُكما الحقَّ بتمامه لم يبقَ شيءٌ للعيال، وإنما أعطيكما الآن نصفَها، والنصف الآخر أخِّراني به وأزيدُكما مثلَهُ، فتراضيا معه على ذلك، ثم حلَّ الأجل، فطالباه بذلك فنزلت الآية[1].

إن قلتَ: كيف يطالبان بالربا مع علمِهما بالنهيِ السابق قبل التحريم؟

---

(١) «تفسير البغوي» (١/٣٨٦) عن عطاء وعكرمة.

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ ....

﴿٢٧٩﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ ما أُمِرتُم به، ﴿فَأْذَنُواْ﴾: اعلَمُوا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لَكُم، فِيه تَهديدٌ شَديدٌ لهم، ولَمَّا نَزَلَت قالُوا: لا يَدَ لَنا بِحَربِه، ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: رَجعتُم عنه، ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾: أُصُولُ ﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بِزيادَةٍ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بِنَقصٍ.

﴿٢٨٠﴾ ﴿وَإِن كَانَ﴾: وَقَعَ غَرِيمٌ ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

أجيبَ: بأنهما تأوَّلا ذلك؛ حيث ظنَّا أنه لا حرمةَ إلا على مَن جدَّدَ عقداً بعد التحريم.

قوله: (﴿فَأْذَنُواْ﴾) بالقصر والمد، قراءتان سبعيَّتان[١]، فعلى القصر معناها: أيقِنوا، وعلى المدِّ معناها أَعلموا غيرَكم بذلك، وكلامُ المفسِّر يحتملُهما.

قوله: (﴿بِحَرْبٍ﴾) أي: حرب الكفارِ إن استحلَّهُ، أو البغاةِ إن لم يستحلَّه.

قوله: (لا يدي لنا) هكذا بالتثنية، وكان مقتضى الفصيح: لا يدَين، إلا أن يُقال: حذفت النون تخفيفاً، أو يُلاحظ إضافته للضمير واللام مُقحمة[٢]، وفي نسخة: (لا يدَ لنا) بالإفراد وهي ظاهرة، ومعناهما: لا طاقةَ ولا قدرةَ لنا على مُحاربته، وهذا كنايةٌ عن كونهم امتثلوا ما أُمروا به؛ لورود هذا الوعيد العظيم فيه، ومن ذلك قول عمر وكان قد صعِدَ المنبر: (أيُّها الناس؛ إن آيةَ الربا آخرُ ما نزلَ على نبيِّكم، ولو عاشَ لبيَّنَ لكم وجوهاً كثيرةً لا تَعلمونها، فاتقوا الربا والريبة)[٣].

قوله: (﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة) ومن ذلك مهاداةُ المدين لربِّ الدين، فهو حرامٌ ورباً إن لم تكنْ عادته الهدية قبلَ شَغْل الذمة.

قوله: (وقع غريم) أشارَ بذلك إلى أن ﴿كَانَ﴾ تامَّة، و﴿ذُو﴾: فاعلُها، وهو الأقرب، ويصحُّ كونها ناقصة، و﴿ذُو﴾: اسمها، وخبرها محذوف تقديرُهُ: غريماً لكم.

قوله: (﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾) أي: حيث كان ثابتاً عسرُهُ بالبينة أو بإقرار صاحِب الدين، وأما مَن لم يكن عسرُهُ ثابتاً بأن كان ظاهرَ المَلاءِ فإنه يحبسُ حتى يؤدِّي أو يثبت عسرُهُ أو يَموت.

---

(١) قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم: (فآذنوا) بألف بعد الهمزة، والباقون: (فأْذنوا) بدون ألف ساكنَ الهمزة. انظر: «الدر المصون» (٢/ ٦٣٩).

(٢) «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٢/ ٣٤٧).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٧٦) بنحوه.

إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ .....

لَهُ أي: عَلَيكُم تَأخِيرُه ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ﴾ - بِفَتحِ السِّين وضَمِّها - أي: وقتِ يُسرٍ، ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ - بِالتَّشدِيدِ على إدغام التَّاء في الأصلِ في الصَّاد، وبِالتَّخفِيفِ على حَذفِها - أي: تَتَصَدَّقُوا على المُعسِرِ بِالإبراءِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُ خَير فافعَلُوهُ، في الحَدِيث: «مَن أنظَرَ مُعسِراً أو وضَعَ عَنهُ، أظَلَّهُ الله في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه». رَواهُ مُسلِم.

﴿٢٨١﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ - بِالبِناءِ لِلمَفعُولِ -: تُرَدُّونَ، - ولِلفاعِلِ -: تَصِيرُونَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: عليكم تأخيره) أي: وجوباً، وأشارَ بذلك إلى أن (نَظِرة) مبتدأٌ، خبرُهُ محذوف.

قوله: (في الأصل في الصاد) أي: فأصله: تتصدَّقوا، قلبت التاء الثانية صاداً ثم أُدغمت في الصاد.

قوله: (على حذفها) أي: التاء، قال ابن مالك: [الرجز]

وَما بِتاءَيْنِ ابْتُدِي قَدْ يُقْتَصَرْ فِيهِ عَلَى تَا كَـ(تَبَيَّنُ العِبَرْ)[1]

قوله: (بالإبراء) أي: وهو مندوب، وهو أفضلُ من الواجب الذي هو الإنظار؛ لأنه إنظارٌ وزيادة، وله نظائرُ نظمَها المفسِّرُ بقوله: [الكامل]

الفَرْضُ أَفْضَلُ ما أَتَى مُتَعَبِّدٌ حَتَّى وَلَوْ قَدْ جاءَ مِنْهُ بِأَكْثَرِ

إِلَّا التَّطَهُّرُ قَبْلَ وَقْتٍ وَابْتِدَا ءُ بِالسَّلامِ كَذاكَ إِبْرَا المُعْسِرِ[2]

قوله: (﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾) هذه الآيةُ آخرُ القرآن نزولاً كما قال ابن عباس[3]، أمرَ جبريلُ رسولَ الله بوضعها على رأسِ مِئتين وثمانين[4]، وتقدَّمَ لنا أن (البقرة) مئتان وستٌّ وثمانون آية، فيكونُ الباقي بعد خمس آيات: أوَّلُها: آية الدين، ثانيها: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾، ثالثُها: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ إلى ﴿قَدِيرٌ﴾، رابعُها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾، خامسُها: ﴿لَا

---

(١) «الخلاصة» (باب الإدغام).

(٢) «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص١٤٧) باختلاف يسير.

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٩١).

(٤) «الوسيط» للواحدي (١/ ٤٠٠) عن ابن عباس ﭭ.

فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ....

﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ هو يومُ القيامةِ، ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾ جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتۡ﴾: عَمِلَتْ مِن خَير وشرٍّ، ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بنقص حَسنة أو زِيادةِ سيئةٍ.

﴿٢٨٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾: تَعامَلتُم ﴿بِدَيۡنٍ﴾ كَسَلَمٍ وقَرضٍ، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: مَعلومٍ، ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ ....

حاشية الصاوي

﴿يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ إلى آخِرها، ونزلت قبلَ وفاةِ رسول الله بثلاث ساعات، وقيل: بسبعة أيام، وقيل: بأحد وعشرين، وقيل: بأحد وثمانين.

قوله: (جزاء ﴿مَّا كَسَبَتۡ﴾) أشارَ بذلك إلى أن الكلام على حَذف مضاف.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾) هذه الآيةُ من هنا إلى ﴿عَلِيمٞ﴾ أطوَلُ آيِ القرآن، وقد اشتملت على بَيان إرشادِ العباد لمصالح دنياهم؛ وذلك لأنَّ الدنيا مزرعةُ الآخرة، والدِّينُ المعاملةُ، فحينئذٍ لا يتمُّ إصلاح الآخرة إلا بِصلاح الدنيا، فبيَّنَ هنا ما به صلاحُ الدنيا.

قوله: (تَعاملتم) فسَّرَ المداينةَ بالمعاملة التي هي مفاعلةٌ من الجانبين؛ أي: سواء كانت آخذاً أو مأخوذاً منك.

قوله: (﴿بِدَيۡنٍ﴾) حكمةُ التصريح به وإن عُلِمَ من ﴿تَدَايَنتُم﴾؛ ليعودَ الضميرُ في قوله: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ عليه صراحة، وأيضاً: لدفع توهُّم أن المرادَ بالمداينة المجازاة، كقوله: كما يَدِينُ الفتى يُدان؛ أي: كما يجازي يُجازى، وأيضاً: صرَّحَ به إشارةً إلى عموم الدين قليلاً أو كثيراً جليلاً أو حقيراً، فالمعنى: لا تستَخفُّوا به.

قوله: (كسَلَم) أي: مُسْلَمٍ فيه؛ كما إذا دفعَ عشرةَ دراهمَ مثلاً ليأتي له بقنطار من سمنٍ عند أجلٍ معلوم بينهما، وقوله: (وقرض) المرادُ به: السلف.

قوله: (﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾) أي: وأما الحالُ فلا يحتاجُ لكتابة؛ لأنه ليس من المهمَّات، ولمزيد المشقَّة.

قوله: (معلوم) أي: فالجهلُ فيه مفسدٌ للعقد إن كان مُسْلماً، وأما السَّلَف فيجوزُ فيه التأجيلُ والحلول، فإن وقعَ على الحلول فلا بدَّ عند مالك من مضيِّ زمنٍ يمكنُ انتفاعه به عادةً، وإن وقعَ

وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ....

استيثاقاً ودَفعاً لِلنِّزاعِ، ﴿وَلْيَكْتُب﴾ كِتابَ الدَّين ﴿بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ بِالحَقِّ في كِتابَتِه، لا يَزِيدُ في المالِ والأجَلِ ولا يُنقِصُ، ﴿وَلَا يَأْبَ﴾: يَمتَنِعْ ﴿كَاتِبٌ﴾ مِن ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ إذا دُعِيَ إلَيها، ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: فضَّلَهُ بِالكتابة، فلا يَبخَل بها، ـ والكافُ مُتعلِّقة بـ﴿يَأْبَ﴾ ـ ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ ـ تأكِيدٌ ـ ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾: يُمِلَّ الكاتِبَ ....

حاشية الصاوي

على التأجيل فيلزمُ المقرضَ الصبرُ إلى الأجل عند مالك، وعند الشافعي: لا يلزمُ الصبر إليه، بل له أن يطلبَهُ قبلَه.

قوله: (استيثاقاً) أشارَ بذلك إلى أن الأمرَ في الآية للإرشاد، لا للوجوب كالأمر بالصلاة والصوم بحيث يعاقبُ على تركه.

قوله: (كتاب الدين) أشارَ بذلك إلى أن مفعولَ (يَكتب) محذوف.

قوله: (﴿بِٱلْعَدْلِ﴾) أي: ولا يكون إلا فقيهاً عدلاً، ويشترطُ أن يكتبَ كلاماً معروفاً لا موهماً.

قوله: (﴿وَلَا يَأْبَ﴾) (لا): ناهية، والفعل مجزوم بحذف الألف، والفتحة دليلٌ عليها، و﴿كَاتِبٌ﴾: فاعل ﴿يَأْبَ﴾، وقوله: (من ﴿أَن يَكْتُبَ﴾) قدَّرَ (مِن) إشارةً إلى أن الجار محذوف، وهو مطَّرد مع (أَنْ) و(أَنَّ) عِند أمن اللبس، فهو في محلِّ نصب مفعول لـ﴿يَأْبَ﴾.

قوله: (والكاف متعلقة بـ﴿يَأْبَ﴾) أي: تعليلية، و(ما): مصدرية، وعبارة غيره: والكاف متعلقة بـ(لا يأبَ)، وهي الأوضح؛ لأنَّ من لم يعرف الوضعَ والأحكام لا يتعلَّقُ به النهي، والمعنى: لا يمتنعُ كاتبٌ من الكتابة من أجل تَعليم الله له تلك الكتابة.

قوله: (تأكيد) أي: زيادة في الإيضاح.

قوله: (الكاتب) مفعول أوَّل لـ(يملِل)، ومفعوله الثاني قوله: (الدين)، وقوله: (يُملَّ) أشارَ بذلك إلى أن الإملاء والإملال لغتان، يُقال: أملَيته الحقَّ وأملَلْته بمعنى: ألقيت عليه ذلك شيئاً فشيئاً، ومن ذلك سُمِّيت المِلَّةُ ملَّةً؛ لإملائها وإلقائها على رسول الله شيئاً فشيئاً، والقراءة بالفكِّ، ويصحُّ في غير القرآن الإدغام لقول ابن مالك: [الرجز]

ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ

﴿ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾: الدَّينُ لِأنَّهُ المَشهُود عليه، فيُقِرُّ لِيُعلَمَ ما عليه، ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في إملائِه، ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾: يُنقِصْ ﴿مِنْهُ﴾ أي: الحَقِّ ﴿شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا﴾: مُبَذِّراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عَن الإملاء لِصِغَرٍ أو كِبَر، ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لِخَرَسٍ أو جَهلٍ بِاللُّغَةِ أو نَحوِ ذلكَ، ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾ مُتَوَلِّي أمرِه مِن والِدٍ ووَصِيٍّ وقَيِّم ومُتَرجِم، ﴿بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟﴾: أَشهِدُوا على الدَّينِ ﴿شَهِيدَيْنِ﴾: شاهِدَينِ ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أي: بالِغِي المُسلِمِينَ الأحرارِ، ....

حاشية الصاوي

.... وَفِـــي جَـزْمٍ وَشِـبْـهِ الـجَـزْمِ تَـخْـيِـيـرٌ قُـفِـي[1]

قوله: (لأنه المشهود عليه) أي: فلا يكتبُ الكاتب إلا بحضرتهما؛ لِقطع النزاع بينهما.

قوله: (﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾) أي: فلا يكتبُ كلاماً موهماً للزيادة أو النقص، فقوله: ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ تفسيرٌ للتقوى، وذلك كأنْ يكتبَ ألفاً ولم يبيِّنْ كونَهُ فضة أو محبوباً أو ريالاً أو غير ذلك، أو عشرين محبوباً مثلاً ولم يبيِّنْ كونَها معاملةً أو ذهباً أو غيرَ ذلك.

قوله: (﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾) أو الذي له الحقُّ.

قوله: (مبذِّراً) أي: في أُمور دنياه عند مالك، أو في أمور دُنياه ودينه عند الشافعي.

قوله: (أو كِبَرٍ) أي: مُفرِط بحيث لا يدري شيئاً، أو كان من عليه الحقُّ أنثى يُخشى منها الفتنة، فتوكِّلُ محرَمَها.

قوله: (ومترجم) أي: إن كان لا يعرف اللغةَ العربية مثلاً.

قوله: (﴿بِٱلْعَدْلِ﴾) متعلّقٌ بقوله: ﴿فَلْيُمْلِلْ﴾.

قوله: (أشهدوا على الدَّين) أشارَ بذلك إلى أن السين والتاء لتأكيدِ الطلب.

قوله: (﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾) متعلِّقٌ بمحذوف صفة لـ﴿شَهِيدَيْنِ﴾.

قوله: (أي: بالغي المسلمين الأحرار) أي: العقلاء العدول، فشهادة الصبيان لا تقبلُ

(١) «الخلاصة» (باب الإدغام).

فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ ....

﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي: الشَّهيدانِ ﴿رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ يَشهَدُونَ ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ لِدِينِه وعَدالَته، وتَعَدُّدُ النِّساء لِأجلِ ﴿أَن تَضِلَّ﴾: تَنسَى ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ الشَّهادَة لِنَقصِ عَقلِهِنَّ وضَبطِهِنَّ، ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ ﴿إِحْدَىٰهُمَا﴾ الذَّاكِرَةُ ﴿ٱلْأُخْرَىٰ﴾ النَّاسِيَةَ، وجُملَة الإذكار مَحَلُّ العِلَّة، أي: لِتُذكِرَ أن ضَلَّت، ودَخَلَت على الضَّلال لِأَنَّهُ سَبَبُه، ـ وفي قِراءة بِكَسرِ ﴿إِن﴾ شَرطِيَّة ....

حاشية الصاوي

في الأموال ولا فيما آلَ إليها، وعند مالك: تجوزُ شهادةُ الصبيان على بَعضهم في الجراح، وكذا لا تقبلُ شهادةُ العبيد ولا الكفار ولا المجانين ولا غير العدول، ولكن إذا لم يوجد العُدول فليستكثِرْ من الشهود.

قوله: (﴿فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾) أي: في الأموال وما آلَ إليها، فإذا لم يوجد الرجل كفى اليمينُ معهما وكفى اليمينُ معه، وهذا مذهبُ مالك والشافعي، وأما أبو حنيفةَ.. فلا يكتفي باليمين مع الشاهد.

قوله: (﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ﴾) متعلِّق بـ(استشهدوا)، فيُؤخذُ منه شرطُ العدالة في الجميع، وقد صرَّحَ بالعدالة في مواضعَ أُخَرَ.

قوله: (وعدالته) العَدْلُ: هو من لم يفعَلْ كبيرةً ولا صغيرةً خسَّةً؛ كتطفيفِ حبَّةٍ، ولا ما يخلُّ بالمروءة؛ كالأكل في الأسواق.

قوله: (وتعدد النساء... إلخ) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿أَن تَضِلَّ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف جواب عن سؤال مقدَّرٍ تقديرُهُ: لِمَ اشتُرِطَ تعدُّدُ النساء مع أنهن شَقائقُ الرجال؟ أجيبَ: بأنه لتُذكِّرَ إحداهما الأخرى، وإنما احتيج للتذكار؛ لأنَّ شأنَهنَّ النسيانُ؛ لنقص عقلِهنَّ وعدم ضَبطهنَّ.

قوله: (﴿فَتُذَكِّرَ﴾) معطوف على ﴿تَضِلَّ﴾ عطفَ مسبَّبٍ على سبب، أو معلولٍ على علَّة؛ لأنَّ التذكارَ علَّةُ التعداد، والإضلالَ علَّةٌ للتذكار، فهو علَّةٌ للعلَّة.

وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ....

ورَفع (تُذَكِّر) استِئنافٌ جَوابُه ـ. ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿دُعُواْ﴾ إلى تَحَمُّلِ الشَّهادَة وأدائِها، ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ﴾: تَملُّوا مِن ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي: ما شَهِدتُم علَيه مِن الحَقِّ؛ لِكَثْرَةِ وُقُوعِ ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كانَ ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾: قليلاً أو كَثيراً، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾: وقتِ حُلُولِه،

حاشية الصاوي

قوله: (ورفع «تُذَكِّر») أي: بالتشديد لا غير، فالقراءاتُ ثلاث، وكلُّها سبعيَّة، فعلى هذه القراءة: ﴿تَضِلَّ﴾: فعل الشرط، وهو مجزومٌ بسكون مقدَّرٍ على آخره منع من ظهوره اشتغالُ المحلِّ بحركة الإدغام[1].

قوله: (استئناف) أي: خبر لمبتدإٍ محذوف، والجملة في محلِّ جزم جواب الشرط؛ أي: فهي تذكِّرُ.

قوله: (﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ﴾) أي: لا يجوزُ للشهود الامتناعُ من أداء الشهادة وتحمُّلها؛ لأنه فرضُ كفاية إن وُجدَ من يثبتُ به الحق غيرُهم، وإن لم يُوجدْ غيرُهُ كان التحمُّلُ أو الأداء فرضَ عين، ومن تأخَّرَ عن ذلك كان عاصياً.

قوله: (من ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾) أشارَ بذلك إلى أن قوله: (﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾) في تأويل مصدر مجرور بـ(من) مقدَّرة معمول لـ﴿تَسْـَٔمُوٓاْ﴾، والمعنى: لا تَسأموا من كتابته، وظاهرُهُ لزومُ تقدير (مِنْ)، وليس كذلك؛ لأنَّ (سَئِمَ) يتعدَّى بنفسه وبحرف الجر، فعلى عدم التقدير: (أن) وما دخلَتْ عليه: في تأويلِ مصدر مفعول لـ﴿تَسْـَٔمُوٓاْ﴾.

قوله: (لِكثرة وقوع ذلك) عِلة للنهي؛ أي: لا يسأم من الكتابة من تكثُرُ منه الحقوق، فبالأولى من لم تكثُرْ منه، وظاهر قوله: (أي: ما شهدتم عليه) أن الضمير في ﴿تَكْتُبُوهُ﴾ عائدٌ على الشهود، وهو معنى صحيح، فبيَّنَ أولاً كتابةَ المتداينين، وثانياً كتابةَ الشاهدين لشهادتهما؛ لتكونَ تلك الكتابةُ مذكِّرةً لهما، ويصحُّ أن يكون خطاباً للمتداينَين، ويؤوَّلُ قولُ المفسِّر: (ما شهدتم) بـ(أشهدتم).

قوله: (﴿صَغِيرًا﴾ كان) قدَّرَ (كان) إشارةً إلى أن ﴿صَغِيرًا﴾ و﴿كَبِيرًا﴾ خبران لـ(كان) المحذوفة، قال ابن مالك: [الرجز]

---

(١) قرأ حمزة: إن تضلَّ فتذكر، بكسر (إن) وتشديد الكاف ورفع الراء، وخرَّجها المصنف، وقرأ أبو عمرو وابن كثير بفتح (أن) وتخفيف الكاف ونصب الراء، والباقون كذلك إلا أنهم يشدِّدون الكاف. انظر: «الدر المصون» (٢/ ٦٦٤).

﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ﴾ ....

ـ حالٌ مِن الهاء في ﴿تَكْتُبُوهُ﴾ ـ، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: الكَتبُ ﴿أَقْسَطُ﴾: أعدَلُ ﴿عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: أعونُ على إقامَتِها لِأنَّهُ يُذَكِّرها، ﴿وَأَدْنَىٰٓ﴾: أقربُ إلى ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾: تَشُكُّوا في قَدْرِ الحَقِّ والأجَلِ، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾: تَقَعَ ﴿تِجَٰرَةٌ حَاضِرَةٌ﴾، ـ وفي قِراءة بِالنَّصبِ، فـ﴿تَكُونَ﴾ ناقِصَة واسمُها ضَمِير التِّجارَة ـ ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تَقبِضُونَها ولا أجَل فِيها، ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا تَكْتُبُوهَاۗ﴾ والمرادُ بها المُتَّجَرُ فِيه،

حاشية الصاوي

وَيَحْذِفُونَها وَيُبْقُونَ الخَبَرْ ... وَبَعْدَ إِنْ وَلَوْ كَثِيراً ذا اشْتَهَرْ[1]

وليس بمتَعين، بل يصحُّ جعلُهما حالين من الهاء في ﴿تَكْتُبُوهُ﴾.

قوله: (أي: الكتب) أي: المفهوم من ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ على حدِّ: ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2].

قوله: (﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾) هذا يؤيِّدُ ما ذكره المفسِّرُ أولاً من أن الضميرَ في ﴿تَكْتُبُوهُ﴾ عائدٌ على الشهود.

قوله: (أي: تشكُّوا في قدْرِ الحق والأجل) أي: فيلزمُ على ذلك إما ضَررُ المدين أو مَنْ له الدين.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً﴾) إما بالرفع على أنَّ ﴿تَكُونَ﴾ تامةٌ، أو بالنصب على أنها ناقصة، واسمُها ضمير ﴿تَكُونَ﴾، قراءتان سبعيَّتان[3]، و﴿حَاضِرَةً﴾ و﴿تُدِيرُونَهَا﴾: صفتان لـ﴿تِجَٰرَةٌ﴾، وهو وصف بِالجملة بعد الوصف بالمفرد، عكس قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]، والاستثناءُ يحتملُ أن يكون مُتصلاً من عموم الأحوال، ويحتمل أن يكون مُنقطعاً وهو الأقرب؛ لأنَّ ما بِيعَ مناجزةً ليس داخلاً تحت قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى...﴾ الآية.

(أي: تقبضونها) راجعٌ لقوله: ﴿تُدِيرُونَهَا﴾، وقوله: (ولا أجلَ فيها) راجعٌ لقوله: ﴿حَاضِرَةً﴾، فهو لفٌّ ونَشرٌ مشوَّش.

---

(١) «الخلاصة» (باب كان وأخواتها).

(٢) فالضمير (هو) عائد على المصدر المفهوم من الفعل (اعدلوا)؛ أي: العدل أقرب للتقوى.

(٣) قرأ عاصم بنصب (تجارة حاضرة)، والباقون برفعهما. انظر «الدر المصون» (٢/ ٦٧٣).

وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ ....

﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ﴾ عليه فإنَّهُ أدفعُ لِلاختِلافِ، وهذا وما قَبله أمرُ نَدبٍ، ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ﴾ صاحِبَ الحَقِّ ومَن عليه بِتَحرِيفٍ أو امتِناعٍ مِن الشَّهادَة أو الكِتابَة، ولا يَضُرُّهُما صاحِب الحَقِّ بِتَكلِيفِهِما ما لا يَلِيقُ في الكِتابةِ والشَّهادة، ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ﴾ ما نُهِيتُم عَنهُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أمر ندب) أي: إرشاد لمصالح الدنيا؛ لِقطع النزاع، وهذا تقييدٌ للاستثناء؛ أي: إن الإشهاد المذكور يكون في العقارات والأمور التي تبقى، وأما الاستثناءُ فمَحلُّهُ الأمور التي لا تبقى[1].

قوله: (صاحب الحق) قدَّره إشارةً إلى أن ﴿يُضَآرَّ﴾ مبنيٌّ للفاعل، و﴿كَاتِبٌ﴾: فاعل[2]، وأصلُهُ: يضارِر، فـ(لا): ناهية، و﴿يُضَآرَّ﴾: مجزوم بسكون مقدَّر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحلِّ بحركة الإدغام.

قوله: (بتحريف) أي: في الكتابة؛ بأن يزيد أو ينقص فيَضر البائع أو المشتري، وقوله: (أو امتناع من الشهادة) أي: بتركها حتى يأخذَ عليها جُعْلاً مثلاً، وذلك إضرارٌ من الكاتب والشهيد لِصاحب الحق.

قوله: (أو لا يضرهما صاحب الحق) أي: فـ﴿يُضَآرَّ﴾ مَبني للمفعول، و﴿كَاتِبٌ﴾ و﴿شَهِيدٌ﴾: نائب فاعل، فأصلُهُ: يُضارَر.

قوله: (ما لا يليق في الكتابة) أي: بأن يُلزمَ بكتابة ما لم يطَّلعْ عليه[3]، أو يمتنعَ من إعطاء أُجرته له، وقوله: (والشهادة) أي: بأن يُستشهدَ على ما لم يرَهُ، أو يأخذَهُ على مسافة القصر قَصْراً من غير دفع شيء له يتموَّنُ به.

قوله: (ما نهيتم عنه) أي: من مضاررةِ الكاتب والشاهد.

---

(١) في (أ): (فمحطُّه) بدل (فمحلُّه).

(٢) في النسخ: (اسم فاعل) بدل (مبني للفاعل)، ولكن على هامش (أ) مصححاً: (لعله: مبني للفاعل)، ويشهد له اللحاق الآتي.

(٣) في (أ): (يأمره) بدل (يلزم).

﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٨٢ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ ....

﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾: خُرُوجٌ عَن الطاعةِ لاحِقٌ ﴿بِكُمْۗ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ في أمرِه ونَهيِه، ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ مَصالِحَ أُمورِكُم، ـ حالٌ مُقَدَّرَة أو مُستَأنَفٌ ـ، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

۝٢٨٣ ﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ أي: مُسافِرِينَ وتَدايَنتُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾) أي: يترتَّبُ عليه الفسوق آخراً؛ لأنَّ من لم يَدرِ العواقب فليسَ له في الدنيا صاحب.

قوله: (لاحقٌ ﴿بِكُمْ﴾) قدَّره؛ إشارةً إلى أن ﴿بِكُمْ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف.

قوله: (أو مستأنفة) الأولى الاقتصارُ عليه؛ لأنَّ جعلَهُ حالاً خلافُ القاعدة النحوية؛ فإن القاعدة: أن الجملةَ المضارعية المثبتةَ إذا وقعت حالاً فإن الضمير يلزمُها وتخلُو من الواو، ولا يصحُّ أيضاً عطفها على جملة ﴿وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾؛ لأنه يلزمُ عليه عطفُ الخبر على الإنشاء، وفيه خلاف، وقوله: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ أي: العلمَ النافع؛ لأن العلمَ نور، والنور لا يهدى لغير المتقي، قال الإمام الشافعي: [الوافر]

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وأَعْلَمَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونُورُ اللهِ لا يُهْدَى لِعَاصِي[1]

وقال الإمامُ مالك: (من عملَ بما علمَ ورَّثَه اللهُ علْمَ ما لم يكُن يَعلم)[2]، فالتقوى سببٌ لإعطاء العلمِ النافع.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾) أي: فيجازي كلًّا من الفاسق والتقي على ما صدرَ منه.

قوله: (﴿وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾) فيه استعارةٌ تبعيَّة، حيث شبَّهَ الظرفية المطلقة بالاستعلاء المطلق،

---

(١) انظر «ديوانه» (ص٨٨).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٦٣) عن عبد الواحد بن زيد، وحكاه الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢٣/ ٢٩١) عن الفضيل بن عياض.

وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ....

﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرُهُنٌ﴾ وفي قِراءةٍ: ﴿فَرِهَٰنٌ﴾ جمع رَهْنٍ ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تَستَوثِقُونَ بِها، وبَيَّنَتِ السُّنَّة جَوازَ الرَّهن في الحَضَر ووُجُودِ الكاتِب، فالتَّقيِيدُ بِما ذُكِرَ لِأنَّ التَّوثيقَ فيه أشَدُّ. وأفاد قَولُه: ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ اشتِراطَ القَبضِ في الرَّهنِ، والاكتِفاءَ بِه مِنَ المُرتَهِن ووَكِيلِه.

حاشية الصاوي

فسرى التَّشبيه من الكليات للجزئيات، فاستُعيرت (على) الموضوعة للاستعلاء الخاصِّ لمعنى (في) الموضوعة للظرفية الخاصَّة، عكس ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، والجامعُ بينهما: التمكُّنُ في كلٍّ، فكما أن المسافرَ متمكِّنٌ من السفر كذلك الراكبُ متمكِّنٌ من الركوب ومُستعلٍ على المركوب، وقد أشارَ للاستعارة المفسِّرُ بقوله: (أي: مسافرين).

قوله: (﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا﴾) يصحُّ عطفُهُ على فعل الشرط فهو في محلِّ جزم، أو على خبر (كان) فهو في محلِّ نصب، أو حالاً فهو في محلِّ نصب أيضاً، ولم يقل: ولا شهوداً؛ لأنَّ الشأنَ وجودُهم إذ ذاك بخلاف الكاتب.

قوله: (﴿فَرُهُنٌ﴾) مبتدأ، وقوله: (﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾) صفته، وخبره محذوف قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: تستوثقون بها، والجملةُ جوابُ الشرط في محلِّ جزم.

قوله: (جمع رَهْن) أي: كلٌّ من: رُهُن ورِهان: جمعٌ لـ(رَهْن)[1].

قوله: (وبينت السنة... إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدَّر وهو أن مفهومَ الآية أن الرهنَ في الحضر لا يسوغُ أخذه! أجابَ: بأن السنة بيَّنت الجوازَ في الحضر.

قوله: (لأن التوثُّق فيه أشد) أي: لأن الغالبَ في السفر عدمُ وجود الكاتب، ونسيانُ الدَّين، والتعرضُ لِلموت.

قوله: (اشتراط القبض في الرهن) أي: وهل يشترطُ من الراهن الإقباضُ بأن يسلِّمَهُ الرهنَ بيدِه؟ خلافٌ عند مالك والشافعي، والمعتمدُ: عدمُ اشتراطه، ولا بدَّ أن يكون القبضُ بِعلم الراهن أو وكيله ورِضاه، فلو سرقَهُ المرتهن مثلاً ومات الراهنُ أو فلَّس.. فلا يختصُّ المرتهن به، بل هو أُسوةُ الغرماء.

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (فرُهُن) بضم الراء والهاء، والباقون: (فرِهان) بكسر الراء وألف بعد الهاء. انظر «الدر المصون» (٢/ ٦٧٨).

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ ....

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: الدَّائِنُ المَدِينَ على حَقِّه فلم يَرتَهِن ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ أي: المَدِينُ ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾: دَينَه، ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أدائِه، ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دُعِيتُم لِإقامَتِها، ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ خُصَّ بِالذِّكرِ لِأنَّهُ مَحَلُّ الشَّهادة، ولِأَنَّهُ إذا أَثِمَ تَبِعَهُ غَيرُه فيُعاقَبُ عليه مُعاقَبةَ الآثِمِينَ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يَخفَى عليه شَيءٌ مِنه.

﴿٢٨٤﴾ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾) أي: رضيَ بعضُكم وهو صاحبُ الدين بأمانة بعضٍ وهو المدين.

قوله: (فلم يرتهنه) تفريعٌ على قوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ... إلخ﴾.

قوله: (﴿فَلْيُؤَدِّ﴾ ... إلخ) جوابُ الشرط، وقُرن بالفاء لأنَّ الجملةَ طلبية، وقد أكَّدَ ذلك بأمور، منها الأمرُ، ومنها تسميتُهُ أمانة، ومنها الأمرُ بتقوى الله في الأداء، ومنها التصريحُ بقول: ﴿ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾.

قوله: (دينه) إنَّما سمَّاه أمانة؛ لأنه صارَ لا يُعلمُ إلا منه.

قوله: (﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾) أي: ليخشَ عقابَ ربِّه في الأداء، ولا يُماطله به.

قوله: (ولا تكتموا الشهادةَ) أي: الإقرارَ بالدَّين، وسُمِّيَ شهادة؛ لأنه لا يعلمُ إلا من المَدين، فكأنه شاهدٌ بالدَّين، فحيث كتمه فقد كتمَ الشهادةَ بالدَّين.

قوله: (﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ﴾) جوابُ الشرط، و﴿قَلْبُهُۥ﴾: فاعل بـ﴿ءَاثِمٌ﴾.

قوله: (ولأنه إذا أثم تَبعه غيره) أي: في الإثم؛ لأنه سلطانُ الأعضاء، إذا صلحَ صلحَ الجسد كلُّه، وإذا فسدَ فسدَ الجسد كلُّه.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾) أي: فيُجازي الخلقَ على أعمالهم خيراً وشرًّا.

قوله: (﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) أي: ملكاً وخلقاً وعَبيداً، وهذا كالدليل لما قبلَه، وعبَّرَ بـ(ما) تغليباً لغير العاقل لِكثرته.

مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ....

تُظهِرُوا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ مِن السُّوءِ والعَزمِ علَيهِ ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تُسِرُّوهُ، ﴿يُحَاسِبْكُم﴾: يُخبِرْكُم ﴿بِهِ ٱللَّهُ﴾ يَومَ القِيامةِ، ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المَغفِرةَ لَه، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تَعذِيبَه، ـ والفِعلانِ بِالجَزمِ عَطفٌ على جَواب الشَّرط، والرَّفعِ أي: فهُوَ ـ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومِنه مُحاسَبَتُكُم وجَزاؤُكُم.

حاشية الصاوي

قوله: (تظهروا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾) أي: فتفعلوا بمقتضاه.

قوله: (والعزم عليه) عطف تفسير، وهذا هو محلُّ المؤاخذة، وهو إشارةٌ لجواب عن الآية، حيث عمَّمَ في المؤاخذة مع أنه لا يُؤاخذُ إلا بالفعل أو العزم عليه، ولكن يُنافيه ما يأتي من أن عمومَ الآية منسوخ بآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، إلا أن يُقال: إنه إشارةٌ لجواب آخَر، فما يأتي على هذا بيانٌ للمراد هنا، والحاصل: أنه إن أُبقيت الآيةُ على عمومها كانت منسوخة بما بعدها، وإن حُملت على العزم فلا نسخَ، وما يأتي توضيح لما أُجمل هنا، وقد تقدَّمت مَراتبُ القصد نظماً ونثراً[١].

قوله: (يخبركم) أي: يُعلمكم به.

قوله: (والفعلان بالجزم عطفاً على جواب الشرط) أي: الذي هو (يحاسب)، وقوله: (والرفع) أي: على الاستئناف خبر لمحذوف، قراءتان سبعيَّتان[٢]، ويصحُّ في غير القرآن النصب على إضمار (أن)[٣]، قال ابن مالك: [الرجز]

وَالفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الجَزا إنْ يَقْتَرِنْ بِالفَا أَوِ الواوِ بِتَثْلِيثٍ قَمِنْ[٤]

وهذه الآيةُ محمولةٌ على من مات مُسلماً عاصياً، لا من مات كافراً.

قوله: (ومنه محاسبتكم) ورَدَ: أنه يحاسبُ الخلق في نِصف يوم من أيام الدنيا[٥].

---

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ...﴾ الآية، انظرها (١/ ٣٨٤ - ٣٨٥).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم برفع (يغفر ويعذب)، والباقون من السبعة بجزمهما. «الدر المصون» (٢/ ٦٨٧).

(٣) أي: قراءة سبعية غير شاذة، وإلا فقد قرأ ابن عباس والأعرج وأبو حيوة: (فيغفرَ) بالنصب. المصدر السابق.

(٤) «الخلاصة» (باب عوامل الجزم).

(٥) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣١٤) عن إبراهيم النخعي.

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ ....

٢٨٥ ﴿ءَامَنَ﴾: صَدَّقَ ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ مِن القُرآنِ، ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ ـ عَطفٌ عليه ـ، ﴿كُلٌّ﴾ ـ تَنوِينُه عِوَض مِن المُضاف إلَيهِ ـ ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾) روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قرأَ هاتينِ الآيتينِ آخرَ سورةِ البقرةِ.. كفَتاهُ»**[1]، قيل: عن قيام الليل؛ كما رُوي عن ابن عمر قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: **«أنزلَ اللهُ عليَّ آيتينِ من كنوزِ الجنةِ، ختمَ بهما سورةَ البقرة، مَن قرأهما بعدَ العشاءِ مرَّتين.. أجزأتاهُ عن قيامِ الليلِ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى آخر السورة»**[2]، وقيل: كفَتاه من شرِّ الشيطان، فلا يكونُ له عليه سلطان.

وإنما ختمَ السورةَ بهاتين الآيتين؛ لأنها بيَّنت فرضَ الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد وقَصص الأنبياء، فناسبَ أن يُذكرَ تصديقُ النبيِّ والمؤمنين بجميع ذلك.

قوله: (﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾) أي: فاشتركَ الرسولُ والمؤمنون في أصل الإيمان، لكن افترَقا من جهة أخرى وهي أن إيمان الرسول من قَبيل حقِّ اليقين، وإيمان المؤمنين من قَبيل عِلم اليقين، أو عين اليقين، فالافتراقُ من حيث المراتب لا من حيث أصلُه.

قوله: (عطف عليه) أي: فهو مرفوع بالفاعلية، والوقفُ عليه، ويدلُّ على صحَّة هذا قراءةُ علي بن أبي طالب: ﴿وآمن المؤمنون﴾[3]، فأظهرَ الفعل، ويكون قولُهُ: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ﴾ جملةً من مبتدإٍ وخبر تدلُّ على أن جميع من تقدَّمَ ذكرُهُ آمنَ بما ذُكر.

قوله: (عوض عن المضاف إليه) أي: فيكون الضميرُ الذي نابَ عنه التنوينُ في﴿كُلٌّ﴾ راجعاً إلى الرسول والمؤمنين؛ أي: كلُّهم، وتوحيدُ الضمير في ﴿ءَامَنَ﴾ مع رجوعه إلى كلِّ المؤمنين؛ لكون المراد بيان كلِّ فرد منهم من غير اعتبارِ الاجتماع.

قوله: (﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾) ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأٌ أُخبرَ عنه بخبرين، راعى في أولهما لفظ ﴿كُلٌّ﴾ فأفرد، وفي ثانيهما معناها فجمعَ حيث قال: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا...إلخ﴾.

(١) رواه البخاري (٤٠٠٨)، ومسلم (٨٠٧) واللفظ له.

(٢) كذا عند القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٤٣٣)، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٣٦٩) عن أبي مسعود أيضاً بنحوه.

(٣) رواها ابن أبي داوود في «المصاحف» (ص١٦٤).

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ....

- بالجمعِ والإفرادِ - ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يَقُولُونَ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ فنُؤمِنَ بِبعضٍ ونكفُرَ بِبَعضٍ كما فعَلَ اليَهُودُ والنَّصارَى، ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا﴾ أي: ما أُمِرنا به سَماعَ قَبولٍ، ﴿وَأَطَعْنَا﴾، نَسأَلك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ....

حاشية الصاوي

قوله: (الجمع والإفراد) أي: في الكتب، قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (يقولون... إلخ) قدَّرَ الفعل لِيُفيد أن هذه الجملةَ منصوبةٌ بقول محذوف، وهذا القول المضمرُ في محلِّ نصب على الحال؛ أي: قائلين.

قوله: (﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾) أي: في الإيمان به، وأضيفَ ﴿بَيْنَ﴾ إلى ﴿أَحَدٍ﴾ وهو مفردٌ وإن كانت قاعدتهم أنه إنما يضاف إلى متعدِّد نحو: (بينَ زيدٍ وعمرو)؛ لأنَّ (أحداً) يستوي فيه الواحد والمتعدِّدُ[2].

قوله: (فنؤمنَ ببعضٍ... إلخ) بالنصب في حيز النفي، فالنفيُ مسلَّطٌ عليه، وسيأتي وصفُهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ...﴾ [النساء: ١٥٠] الآية.

قوله: (سماع قبول) فيه تعريضٌ بالردِّ على من قال: سمعنا وعصينا.

قوله: (﴿وَأَطَعْنَا﴾) أي: انقَدْنا للطاعة ولو بالعزمِ عليها.

قوله: (﴿غُفْرَانَكَ﴾) مفعولٌ لِمحذوف، قدَّره المفسِّرُ بقوله: نسألك، ومعنى الغفران: سترُ الذنوب كبيرها وصغيرها، جليِّها وخفيِّها، فالإنسانُ يطلبُ المغفرةَ ولو في حال الطاعة؛ بسبب ما يطرأُ عليها من العجب وحبِّ المحمدَةِ وغير ذلك من الآفات التي تُذهبُها، فالعارفُ لا يعتمدُ على أعماله أبداً، وعلامةُ ذلك كونُهُ يجدِّدُ التوبة والاستغفار ولو كان مُلتبساً بأكبر الطاعات.

قوله: (﴿رَبَّنَا﴾) منادى، وحرفُ النداء محذوف؛ أي: يا ربَّنا.

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (وكتابه) بالإفراد، وباقي السبعة: (وكتبه) بالجمع. انظر «الدر المصون» (٢/ ٦٩٢).

(٢) فهو اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الواحد والمثنى والمجموع، والمذكر والمؤنث، فحيث أضيف (بين) إليه، أو أعيد ضمير جمع إليه أو نحو ذلك.. فالمراد به كما قال الشيخ سعد الدين التفتازاني جمعٌ من الجنس الذي يدل الكلام عليه، فمعنى ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ﴾: لا نفرق بين جمع من الرسل. «الفتوحات» (١/ ٢٣٧).

وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ

﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المَرجِعُ بالبَعثِ. ولَمَّا نَزَلَتِ الآيَة قَبلها، شَكا المُؤمِنُونَ مِن الوَسوَسَةِ وشَقَّ عليهم المُحاسَبَةُ بِها، فنَزَلَ:

﴿٢٨٦﴾ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تَسَعُه قُدْرَتُها، ﴿لَها ما كَسَبَتْ﴾ مِن الخَير أي: ثَوابُه، ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ مِن الشَّرِّ أي: وِزرُه، ولا يُؤاخَذ أحَد بِذَنبِ أحَدٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾) قيل: معطوفٌ على محذوف تقديرُهُ: لك المبدأُ وإليك المصير.

قوله: (ولمَّا نزلت الآيةُ قبلَها) أي: قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾.

قوله: (من الوسوسة) أي: التي تطرأُ على القلب؛ كالهاجسِ وهو: ما لاحَ وذهبَ بسرعة، والخاطرِ وهو: ما لاحَ ومكثَ برهةً من الزمن، وحديثِ النفس وهو: تَزيينُها الأمور وتحسينها، وهذه لا تكتبُ خيراً كانت أو شرًّا، والهمِّ وهو: ترجيحُ الفعل، وهو يكتبُ إن كان خيراً لا شرًّا، وأما العزمُ.. فيكتبُ خيراً أو شرًّا.

قوله: (فنزلت: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ﴾) أي: فهذه الآيةُ إما ناسخةٌ لِلأولى أو مبيِّنةٌ لها، وتقدَّمت الإشارةُ لذلك.

قوله: (﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾) عبَّرَ في جانب الخير باللام، وفي جانب الشر بـ(على)؛ لأنَّ اللامَ للمسرَّة، و(على) للمضرَّة، وعبَّرَ في جانب الطاعة بـ﴿كَسَبَتْ﴾، وفي جانب المعصية بـ﴿ٱكْتَسَبَتْ﴾؛ لأنَّ شأنَ المعصية التَّعاني والشهوة، بخلاف الطاعة فشأنُها عدمُ الشهوة؛ لما في الحديث: «حُفَّت الجنَّةُ بالمكارِه، وحُفَّت النارُ بالشهوات»[1]، وأيضاً: لا يُؤاخذُ في المعصية بالهمِّ بل بالعزم أو الفعل، بخلاف الطاعة فيكتبُ له ثوابُ الهمِّ عليها، وأيضاً: يُؤجرُ المرءُ رغماً عن أنفه، بخلاف المعصية، وأيضاً: الطاعةُ تتعدَّى لغير فاعلها، بخلاف المعصية.

قوله: (ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد) هذا في جانب المعصية، وأما في جانب الطاعة.. فقد تنفعُ غيرَ فاعلها.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٨٧)، ومسلم (٢٨٢٢) والرواية له عن أنس رضي الله عنه.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ ....﴾

ولا بِما لَم يَكسِبهُ مِمَّا وَسوَسَت بِه نَفسُه، قُولُوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ بِالعِقابِ ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾: تَرَكْنا الصَّوابَ لا عَن عَمد، كما آخَذتَ بِه مَن قَبلنا، وقد رَفَعَ الله ذلك عَن هَذه الأُمَّة كما ورَدَ في الحَدِيث، فسُؤالُه اعتِرافٌ بِنعمةِ الله، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾: أمراً يَثقُل عَلَينا حَملُه ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ أي: بَني إسرائيلَ، مِن قَتلِ النَّفس في التَّوبَة، وإخراجِ رُبُع المال في الزَّكاة، وقَرضِ مَوضِع النَّجاسةِ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾: قُوَّةَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ولا بما لم يكسبه) المناسبُ: يكتسِبهُ.

قوله: (ممَّا وسوست به نفسه) أي: من هاجسٍ وخاطرٍ وحديثِ النفس وهمٍّ.

قوله: (﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾) أي: واستكرهنا عليه، وقد عُلِمَ ذلك من قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، ومن هنا إلى آخر السورة سبعُ دعواتٍ مُستجابة.

قوله: (تركنا الصواب لا عن عمد) تفسيرٌ لكلٍّ من الخطإِ والنسيان.

قوله: (كما ورد في الحديث) أي: «رُفِعَ عن أمَّتي الخطأُ والنسيانُ وما استُكرهوا عليه»[١].

قوله: (فسؤالُهُ اعترافٌ بنعمة الله) جوابٌ عما يُقال: حيث رفعه الله فما وجهُ سؤالنا لِرفعه؟ فأجاب بما ذكر.

قوله: (من قتل النفس في التوبة) أي: حين عبدوا العجل، فتوبتُهم قتلُ طائعِهم العاصيَ منهم، وأما توبتُنا فالندمُ.

قوله: (وإخراج ربع المال في الزكاة) أي: وأما نحن فربعُ العشر في النقدين، والعشرُ أو نصفُهُ في الحبوب.

قوله: (وقرض موضع النجاسة) أي: من الثوبِ أو البَدن[٢].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٩٩).

(٢) وعبارة «الكشاف» (١/ ٣٣٣): (وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك).

﴿لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾

﴿لَنَا بِهِۦۖ﴾ مِن التَّكالِيفِ والبَلاءِ، ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا﴾: امحُ ذُنوبَنا، ﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾ في الرَّحمَة زِيادةٌ على المَغفِرة، ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا﴾: سَيِّدُنا ومُتَوَلِّي أُمُورِنا، ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بإقامةِ الحُجَّة والغَلَبةِ في قِتالهم؛ فإنَّ مِن شَأنِ المَولى أن يَنصُرَ مَوالِيَه على الأعداءِ، وفي الحَدِيث: «لَمَّا نَزَلَت هذهِ الآيةُ فقَرَأها ﷺ، قِيل لَهُ عَقِب كُلِّ كَلِمَة: **قد فعَلتُ**».

حاشية الصاوي

قوله: (من التكاليف) أي: فلم يكلِّفْنا بالحجِّ من غير استطاعة مثلاً، ولا بالصلاة من قيام مع كونه مريضاً لا يقدرُ عليه، ولا باستعمال الماء مع عدمِ القدرة عليه.

قوله: (والبلاء) أي: فكان ينزل بمن قبلنا الطوفانُ والجرادُ والقُمَّلُ والضفادعُ والدمُ والصيحةُ والخسفُ والمسخُ وغيرُ ذلك من أنواع البلايا العامَّة التي لا تُبقي ولا تذر.

قوله: (امْحُ ذنوبَنا) أي: من الصحف.

قوله: (﴿وَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾) أي: استُرْها عن أعين المخلوقات.

قوله: (﴿وَٱرۡحَمۡنَآۚ﴾) أي: أنعِمْ علينا، وذلك في حقِّ من تابَ جزماً، وأما من لم يتُبْ وماتَ.. فأمرُهُ مفوَّضٌ لخالقه.

قوله: (سيدنا ومتولي أمورنا) هذا أحدُ معاني المولى، ويُطلق على الناصرِ، ولا شكَّ أن الله كذلك.

قوله: (أن ينصرَ مواليَهُ) أي: عَبيدَهُ، فإن المولى كما يطلقُ على العبد يطلقُ على السيِّد.

قوله: (عقيب) لغةٌ رديئة في (عقب)، وقوله: (كل كلمة) أي: وهي سبعٌ، وكلُّها مستجابة، وكرَّرَ لفظَ (ربَّنا) بين المتعاطفات زيادةً في التضرُّع.

قوله: (قد فعلت) أي: أجبتُ مطلوبَكم؛ لما في الحديث: «**إن اللهَ لأفرحُ بتوبةِ عبدِهِ ممَّنْ ضلَّتْ منه راحلتُهُ فوجدَها بعدَ طلبِها**»[1]، وفي رواية: (لمَّا قرأ النبيُّ قوله: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا﴾ قالَ الله: قد غفرتُ، وفي قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ قال: لا أؤاخذُكم، وفي قوله: ﴿وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ قال: لا أحملُ عليكم، وفي قوله: ﴿وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال: لا أحمِّلُكم،

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٦٧٥).

. . . .

حاشية الصاوي

وفي قوله: ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال: قد عفوتُ عنكم وغفرت لكم ورَحمتكم ونصرتُكم على القوم الكافرين)[1].

والحكمةُ في زيادة قوله: (القوم) ولم يقُل: الكافرين: أنه لا يلزمُ من النصرة على أفراد الكفار النصرةُ على الهيئة المجتمِعة.

وفي هذه الآية تعليمٌ لآداب الدعاء، وفي الحديث: «**إذا دعوتم فعمِّموا**»[2].

✿ ✿ ✿

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٣٠٨)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وذكر تعالى دعاء سيدنا نوح وهو يُفيد التعميم: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ....



مَدَنِيَّة، مِئَتانِ، أو إلَّا آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الٓمٓ﴾: الله أعلَمُ بِمرادِه بِذلك.

حاشية الصاوي

(سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ)

مبتدأٌ، و(مدنيةٌ) خبرُهُ، و(مئتان): خبرٌ ثانٍ، وقوله: (مدنيَّة) أي: نزَلت بعد الهجرة وإن بغير أرض المدينة، وتسميتُها بذلك الاسم من باب: تسمية الشيء باسم جُزئه.

واختُلفَ في عمران الذي سُمِّيت به؛ فقيل: المرادُ به أبو موسى وهارون، فآلُهُ موسى وهارون، وقيل: المرادُ به أبو مريم، والمرادُ بآلِهِ مريمُ وابنُها عيسى، ويقرِّبُ ذلك ذكرُ قصَّتِهما إثرَ ذكره، وبين عمرانَ أبي موسى وعمرانَ أبي مريم ألفٌ وثمان مئةِ عام.

قوله: (أو إلا آية) (أو): لحكاية الخلاف، وسببُهُ: الاختلافُ في عدِّ البَسملة من السورة، فمَنْ عدَّها قال: مئتان، ومن لم يعدَّها قال: (إلا آية).

وورد في فَضل هذه السورة: أنها أمانٌ من الحيَّات، وكنزٌ للفقير، وأنه يكتبُ لمن قرأ منها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخرها آخرَ الليل ثوابُ مَنْ قامَ الليلَ كلَّه[١].

قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** مشى بذلك على مَذهب السلف في المتشابه، وهكذا عادته في فواتح السُّور، وقد تقدَّمَ الكلامُ في ذلك بأبسَط عبارة[٢].

---

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٤/ ٢).

(٢) انظر (١/ ٨١).

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ....

(٢) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

(٣ - ٤) ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ﴾ يا مُحمَّدُ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ مُلتَبِساً ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بِالصِّدقِ في أخبارِه، ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: قَبله مِن الكُتُب، ....

حاشية الصاوي

واعلم: أنه قُرِئَ عند إسقاط الهمزة من ﴿ٱللَّهُ﴾ وفتح ميم ﴿الٓمٓ﴾ للنقل بمدِّ الميم ستَّ حركات أو حركتين، وعند إسكان الميم حالةَ الوقوف وإثبات الهمزة بمدِّ الميم ستَّ حركات، فالقراءاتُ ثلاث[1].

قوله: (﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾) سببُ نزولها: قدومُ وفد نصارى نَجران وكانوا ستين راكباً، منهم أربعةَ عشرَ من أشرافهم، ثلاثةٌ منهم أكابرُهم أميرُهم وحبرُهم ووزيرُهم، يحاجُّون رسولَ الله في عيسى، فتارةً قالوا: إن عيسى ابنُ الله؛ لأنه لم يكُنْ له أبٌ، وتارةً قالوا: إنه الله؛ لأنه يُحيي الموتى، وتارةً قالوا: إنه ثالثُ ثلاثة؛ لأنه يقول: فَعلنا وخلقنا؛ فلو كان واحداً لذَكره مفرداً، فشرعَ النبيُّ يردُّ عليهم تلك الشُّبَهَ، فقال لهم: أتسلِّمون أن الله حيٌّ لا يموت؟ قالوا: نعم، فقال: «أتسلِّمون أن عيسى يموت؟»، قالوا: نَعم، فقال لهم: «أتسلِّمون أن الله يُصوِّرُ في الأرحام كيف يشاء؟»، فقالوا: نعم، إلى غير ذلك، فنزلت تلك السورة منها نيفٌ وثمانون آية على طِبق ما ردَّ عليهم به[2].

قوله: (﴿ٱلۡحَيُّ﴾) أي: ذو الحياة الذاتية، وقوله: (﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾) أي: القائمُ بأمور خَلقه من غير واسطة مُعِين.

قوله: (ملتبساً ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾) أشار بذلك إلى أن الباءَ في ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ للملابسة، في محلِّ نصب على الحال، فيكون ﴿مُصَدِّقٗا﴾ حالاً بعد حال.

قوله: (﴿مُصَدِّقٗا﴾) حالٌ من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

قوله: (﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾) في الكلام استعارةٌ بالكناية؛ حيث شُبِّهَ بسلطان تقدَّمَهُ عسكرُهُ، وجاء على إثرهم يؤيِّدُهم ويُقوِّيهم، وطُويَ ذكر المشبَّهِ به، ورُمزَ له بشيء من لوازمه وهو قوله: ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾، فإثباته تخييل.

---

(١) والقراءة الأولى للجمهور، وانظر «الدر المصون» (٣/ ٦).

(٢) رواه الطبراني في «تفسيره» (٦/ ١٥١).

وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ....

﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ﴾ أي: قَبل تَنزيلِه ﴿هُدًى﴾ ـ حالٌ ـ بمعنَى: هادِيَين مِن الضَّلالةِ، ﴿لِّلنَّاسِ﴾ مِمَّن تَبِعَهُما، وعَبَّرَ فِيهِما بِـ(أنزل) وفي القُرآن بِـ(نَزَّلَ) المُقتَضِي لِلتَّكرِيرِ لِأنَّهُما أُنزِلا دُفعةً واحِدة بِخِلافِه، ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ بِمعنَى الكُتُب الفارِقة بَين الحقِّ والباطِل، وذَكَرَهُ بعدَ ذِكر الثَّلاثة لِيَعُمَّ ما عَداها. ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾) أي: على موسى، وقوله: (﴿وَٱلْإِنجِيلَ﴾) أي: على عيسى، واختلفَ الناسُ في هاتين اللفظتين؛ هل يدخلُهما الاشتقاق والتَّصريف أم لا لِكونهما أعجميَّين؟ فذهب جماعةٌ إلى الأول، فقالوا: التوراة مشتقةٌ من قولهم: وَرَى: إذا قدَح فظهر منه نار[1]، فلمَّا كانت التوراة فيها ضياء ونور يُخرجُ به من الضلال إلى الهدى كما يُخرجُ بالنار من الظلام إلى النور.. سُمِّيَ هذا الكتاب بالتوراة، والإنجيل مشتقٌ من: النَّجَل، وهو التوسعة، ومنه: العينُ النجلاء؛ لِسَعتها، فسُمِّيَ الإنجيلُ بذلك؛ لأنه فيه تَوسعة لم تكن في التوراة؛ إذ حُلِّلَ فيه أشياءُ كانت محرَّمة فيها، **والصحيح**: أنهما ليسا مشتقين؛ لأنهما عبرانيَّان[2].

قوله: (أي: قبل تنزيله) أي: الكتاب الذي هو القرآن.

قوله: (حال) أي: من ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

قوله: (ممن تبعهما) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالهدى: الوصول، لا مجرَّدَ الدلالة.

قوله: (وعبَّرَ فيهما بـ«أنزل»... إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدَّر، وقيل: إن ذلك تفنُّنٌ، وقيل: إن مادة (نزل) تفيدُ التكرار غالباً، ومادة (أنزل) تفيدُ عدمه غالباً، فلعلَّ المفسر بنى هذا الجواب على ذلك، وإلا.. فالهمزُ والتضعيفُ أخَوان[3].

قوله: (بخلافه) أي: فإنه نزل مفرَّقاً بحسَب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

قوله: (ليعمَّ ما عداها) أي: فهو من عطف العامِّ على الخاصِّ، فالمرادُ بالفرقان هنا: الفارقُ بين الحقِّ والباطل، لا خصوص القرآن، فالفرقانُ كما يُطلقُ على القرآن يطلقُ على غيره من الكتب.

---

(١) يقال: وَرَى الزَّنْدُ يَري من باب وعد، وفي لغة: وَرِيَ يَرِي بكسرهما: انظر «المصباح المنير» (و ر ى).

(٢) «الدر المصون» (٣/ ١٦) نقلاً عن الزمخشري وصحَّحه.

(٣) ما ذهب إليه الإمام السيوطي هو رأي الزمخشري في تفريقه بين أنزل ونزَّل، وردَّ عليه العلامة السمين بما حاصلُهُ عند المصنف هنا. انظر «الدر المصون» (٣/ ٢١).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ....

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ وغَيره ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: غالِبٌ على أمرِه، فلا يَمنَعهُ شَيء مِن إنجاز وَعده ووَعِيدِه، ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: عُقُوبةٍ شَدِيدة مِمَّن عَصاهُ، لا يَقدِر على مِثلِها أحَدٌ.

﴿٥﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ كائِنٌ ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لِعِلمِه بِما يَقَع في العالَم مِن كُلِّيٍّ وجُزئِيٍّ، وخَصَّهُما بِالذِّكرِ لِأنَّ الحِسَّ لا يَتَجاوَزهُما.

﴿٦﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ مِن ذُكُورةٍ وأُنُوثة، وبَياضٍ وسَواد،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) أي: كنصارى نَجران.

قوله: (﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ﴾) أي: في الدنيا بالقتل والأَسْر، وفي الآخرة بالنار.

قوله: (وعده) أي: بالخير، وقوله: (ووعيده) أي: بالشرِّ.

قوله: (لا يقدر على مثلها أحد) أي: لأن غايةَ عذابِ غيره الموتُ، وفيه راحةٌ للمعذَّب، ولا يقدرُ على إعادة روحه حتى تتألَّم ثانياً، وأما عذابُ الله فدائمٌ لا آخرَ له، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾) هذا ردٌّ لقولهم: إن عيسى إله؛ لأنه يَعلم الأمور، فردَّ عليهم: بأنَّ اللهَ هو الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وليس كذلك عيسى.

قوله: (كائن) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ﴿شَيۡءٞ﴾.

قوله: (وخصَّهما بالذكر) جوابٌ عن سؤال مقدَّر.

قوله: (لا يتجاوزهما) أي: لا يتعدَّاهما.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ﴾) هذه حجة أخرى للردِّ على تلك الفرقة؛ كأنه يقول: لا إله إلا مَنْ يصوِّر في الأرحام كيف يشاء، وأما عيسى فإنه وإن كان يحيي الموتى فبإذن الله، ولا يقدر أن يصوِّر في الأرحام كيف يشاء، بل هو مصوَّرٌ في الرحم، فالمصوَّرُ لا يصوِّرُ غيره، بل ولا نفسَه.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ....

وغيرِ ذلك، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

﴿٧﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾: واضِحاتُ الدَّلالة، ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصلُه المُعتَمَد عَلَيهِ في الأحكام، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْعَزِيزُ﴾) أي: الغالبُ على أمره، عديمُ المثال.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾) أي: ذو الحكمة، وهي وضع الشيء في محلِّه.

قوله: (﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾) قيل: سببُ نزولها: أن وفدَ نجران قالوا للنبيِّ ﷺ: ألستَ تقول: إن عيسى روحُ الله وكلمتُه؟ فقال: «نعم»، فقالوا: حسبُنا؛ أي: يكفينا ذلك في كونه ابنَ الله، فنزلت الآية.

والمعنى: أن اللهَ أنزلَ القرآن منه محكمٌ ومنه مُتشابه، وقوله: (روح الله وكلمته) من المتشابه الذي لا يعرفون معناه ولا يفهمون تأويلَهُ، بل معنى ذلك: أنه روحٌ من الله؛ أي: نُورُهُ وكلمته، بمعنى أنه قال له: كُن، فكان، فهو عبدٌ من جملة العباد، ميَّزَهُ اللهُ بالنبوَّة والرسالة.

قوله: (أصله) إنما فسَّرَ (الأمَّ) بذلك؛ لِصحة الإخبار بالمفرد عن الجمع؛ لأنَّ الأصلَ يصدق بالمتعدد، وأجيبَ أيضاً: بأنه عبَّرَ بالمفرد؛ إشارةً إلى أن المجموع بمنزلة آية واحدة؛ على حدِّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠][1]، وما سلَكه المفسِّرُ أظهر.

قوله: (المعتمدُ عليه في الأحكام) أي: الذي يعوَّلُ عليه في أحكام الدين والدنيا هو المحكَم، وأما المتشابهُ.. فلم نكلَّفْ بمعرفة معناه، بل نؤمنُ به ونفوِّضُ علمَهُ لله.

قوله: (﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾) إن قلتَ: هلَّا نزلَ كلُّهُ محكماً؛ لأنه نزلَ لإرشاد العباد ومدارُهُ على المحكم لا على المتشابِه؟

أجيبَ: بأنه نزل على أسلُوب العرب؛ فإنَّ أسلوبَهم التعبيرُ بالمجاز والكناية والتلميح وغيرِ ذلك من المستحسنات؛ فلو نزلَ كلُّهُ محكماً.. لقالت العرب: إن القرآن على لُغتنا، فهلَّا ذُكِرَ فيه مستحسناتُ لغاتنا؟!.

---

(١) أي: كلُّ واحد منهما آية، وقوله: (لصحة الإخبار...) أي: إذا كان المفرد واقعاً موقع الجمع. ذكر ذلك العارف بالله تعالى أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى في «البرهان المؤيد» (ص١٤).

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ ....

لا تُفهَم مَعانِيها كأوائِلِ السُّوَرِ، وجَعَلَهُ كُلَّه مُحكَماً في قَوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] بِمعنَى أنَّهُ ليسَ فِيهِ عَيب، ومُتَشابِهاً في قَوله: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣] بِمعنَى أنَّهُ يُشبِه بَعضُه بَعضاً في الحُسنِ والصِّدق، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾: مَيلٌ عَن الحَقِّ ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ﴾: طَلَبَ ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ لِجُهَّالِهِم بِوُقُوعِهِم في الشُّبُهات واللَّبس، ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا يفهم معانيها) أي: إلا بفكر وتأمُّل كما هو مذهبُ الخلف.

قوله: (كأوائل السور) أي: بعضِها، وأدخلت الكافُ باقيَ الآياتِ المتشابهة.

قوله: (وجعلَهُ كلَّه محكماً... إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدَّر؛ كأن قائلاً يقول: هذه الآيةُ بيَّنت أن القرآنَ بعضُهُ محكمٌ، وبعضُهُ متشابه، وآيةٌ أخرى أفادت أن كلَّهُ محكمٌ، وآيةٌ أخرى أفادت أن كلَّهُ متشابهٌ، فبينَ هذه الآياتِ تنافٍ! أجابَ المفسِّرُ بما ذكره[1].

قوله: (بمعنى: أنه ليس فيه عيب) أي: لا في ألفاظه، ولا في مَعانيه.

قوله: (في الحسن والصدق) قال ابنُ عباس: تفسيرُ القرآن أربعة أقسام: قسمٌ لا يسعُ أحداً جهلُهُ، كقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وقسمٌ يتوقَّفُ على معرفة لغات العرب، كقوله: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه: ١٨]، وقسمٌ يَعرفه العلماءُ الراسخون في العلم، وقسمٌ لا يعلمُهُ إلا الله، ودخلَ تحت القسمَين الأخيرين المتشابهُ[2].

وحكمة الإتيان بالمتشابِه: الزيادةُ في الإعجاز عن الإتيان بمثله؛ فإنَّ المحكمَ وإن فهمُوا معناه إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بلفظ مثلِ ألفاظه، والمتشابه عَجزوا عن فهم معناه كما عجزُوا عن الإتيان بمثلِه.

قوله: (ميل عن الحق) أي: إلى الباطل.

قوله: (بوقوعهم في الشبهات واللبس) أي: كنصارى نجران ومَن حذا حذوَهم ممَّنْ أخذَ بظاهر القرآن؛ فإنَّ العلماء ذكروا أن مِن أصول الكفر الأخذَ بظواهر الكتاب والسنة[3].

---

(١) انظر «تأسيس التقديس» (ص٢٢٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٥) بنحوه، ورواه مرفوعاً بإسناد وفيه نظر.

(٣) ذكر ذلك العارف بالله تعالى أحمد الرفاعي رحمه الله تعالى في «البرهان المؤيد» (ص١٤).

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ ....﴾

﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ﴾: تَفسيرِه، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾: تَفسيرَه ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وَحدَه، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾: الثَّابِتُونَ المُتَمَكِّنُونَ ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ ـ مُبتَدأٌ خَبَرُه: ـ ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بِالمُتَشابِهِ أَنَّهُ مِن عِندِ الله ولا نَعلَم مَعناهُ، ﴿كُلٌّ﴾ مِن المُحكَم والمُتَشابِه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ ـ بِإدغامِ

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ﴾) معطوفٌ على ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ الأول، والمعنى: أنهم يتجرَّؤون على تفسيره بتفسير باطل لا أصلَ له.

قوله: (﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾) أي: تفسيرَهُ على الحقيقة.

قوله: (﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وحده) هذه طريقةُ السلف، واختارَها المفسِّرُ؛ لكونها أسلمَ، فالوقفُ على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾، وأما طريقةُ الخلف فهي أحكمُ، والوقفُ على ﴿أولي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، فـ(الراسخون) معطوفٌ على لفظ الجلالة، قال بعضهم: ويؤيدُ طريقةَ الخلف قولُهُ تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

قوله: (﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾) كلامٌ مستأنف، فالواو للاستئناف، و(الراسخون): مبتدأٌ، و﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾: متعلِّقٌ بـ(الراسخون)، وخبرُهُ ﴿يَقُولُونَ﴾ كما قال المفسرُ، قال مالكٌ: (الراسخُ في العِلم: من جمع أربعَ خِصال: الخشية فيما بينَه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهد فيما بينَه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينَه وبين نفسه)[2].

قوله: (﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾) أي: ففهَّمنا المحكم، وأخفى علينا المتشابه.

---

(١) وصفُ طريقة السلف بأنها الأسلم، والخلف بأنها الأحكم... هو على الجملة، وإلا فلا ريبَ أن طريقة السلف هي الأسلَم والأحكم، قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٣٥٢): (قول من قال: طريقة السلف أسلَم، وطريقة الخلف أحكم... ليس بمستقيم؛ لأنه ظن أن طريقة السلف مجرَّد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث مِن غير فقه...) إلى أن قال: (بل السلف في غاية المعرفة بما يَليق بالله تعالى، وفي غاية التعظيم له والخُضوع لأمره والتسليم لمراده، وهذا الترجيح لا يذهب بطريقة الخلف من المتكلمين وغيرهم؛ إذْ هي مؤسسة على أصول الدين ناصِرة له).

(٢) عند البغوي في «تفسيره» (١/ ٤١٢) أن مالكاً فسَّرَ الراسخ بقوله: (العالم العامل بما علم المتبع له)، ونقل ما هنا بقوله: (وقيل...).

إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩ . .

التَّاء في الأصل في الذَّال ـ أي: يَتَّعِظُ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحابُ العُقُولِ، ويَقُولُونَ أيضاً إذا رَأَوا من يَتَّبِعُه:

﴿٨﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: تُمِلها عَن الحَقِّ بِابتِغاءِ تَأوِيله الَّذي لا يَلِيقُ بِنا، كما أَزَغتَ قُلُوبَ أُولئكَ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾: أرشَدتَنا إلَيهِ، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾: مِن عِندِك ﴿رَحْمَةً﴾: تَثبِيتاً، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

﴿٩﴾ يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾: تَجمَعهُم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: في يَومٍ ﴿لَّا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ﴾ هو يَوم القِيامةِ، فتُجازِيهِم بِأعمالِهِم كما وَعَدتَ بِذلك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: مَوعِدَه بِالبَعثِ، فِيه التِفاتٌ عَن الخِطاب، ويَحتَمِل أن يَكُونَ مِن كَلامه تَعالى،

حاشية الصاوي

قوله: (في الأصل في الذال) أي: فأصله: يتذكَّر، قلبت التاءُ ذالاً ثم أدغمت في الذال.

قوله: (أصحاب العقول) أي: السَّليمةِ المستنيرةِ.

قوله: (من يتبعه) أي: يتَّبع الباطل.

قوله: (﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾) أي: بعد وقت هِدايتك وتبيينك الحقَّ لنا.

قوله: (تثبيتاً) فسَّرَ الرحمةَ هنا بذلك؛ لأنه المرادُ هنا، وأمَّا في غير هذا الموضع. . فقد تفسَّرُ بالمطر، أو الغُفران.

قوله: (﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾) أي: الذي يُعطي النوالَ قبل السؤال.

قوله: (﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾) منادى، وحرفُ النداء محذوفٌ، قدَّرَهُ المفسِّرُ إشارةً إلى أنه دعاء.

قوله: (أي: في يوم) أشارَ بذلك إلى أن اللام بمعنى (في).

قوله: (فيه التفات) أي: على أنه من كلام الراسخين.

قوله: (ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى) أي: فلا التفاتَ فيه على مذهب الجمهور، وأما على مذهب السكَّاكيِّ. . ففيه التفاتٌ على كلِّ حال؛ لأنه أتى على خلاف السياق[1].

---

(١) انظر «الإيضاح» (٢/ ٨٥).

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ ....

والغَرَضُ مِن الدُّعاء بِذلك بَيانُ أنَّ هَمَّهُم أَمرُ الآخِرة، ولِذلك سَأَلُوا الثَّبات على الهِداية لِيَنالُوا ثَوابَها، رَوَى الشَّيخانِ عَن عائِشة رضي الله عنها قالَت: تَلا رَسُولُ الله ﷺ هذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ إلى آخِرها وقالَ: «فإذَا رَأَيتُم الَّذينَ يَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنه، فأُولئكَ الَّذِينَ سَمَّى الله، فاحذَرُوهُم»، ورَوَى الطَّبَرانِيُّ في «الكبير» عن أبي مالِكٍ الأشعَرِيِّ أنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُول: «ما أخافُ على أُمَّتِي إلَّا ثَلاثَ خِلال، وذَكَرَ مِنها أنْ يُفتَحَ لَهُم الكِتاب فيَأخُذهُ المُؤمِنُ يَبتَغِي تَأوِيلَه، وليسَ يَعلَمُ تَأوِيلَه إلَّا الله، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾...» الحديثَ.

﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾: تَدفَعَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (روى الشيخان)[1] قصدُهُ بذلك الاستدلالُ على ذمِّ المتَّبعين للمتشابه، ومدحِ الراسخين.

قوله: (فأولئك الذين سمَّى الله) أي: بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ...﴾ الآية.

قوله: (فاحذَرُوهم) الخطاب لعائشة، وإنما ذكَّرَ وجمعَ تعظيماً لها، أو إشارةً إلى عدم خصوصيتها بذلك.

قوله: (وروى الطبراني) أي: في «معجمه الكبير»[2].

قوله: (إلا ثلاث خلال) هذه نسخة، وفي أخرى: (خِصال).

قوله: (وذكر منها... إلخ) هذه هي الخلة الثانية، وتركَ اثنتين، ونصُّ الحديث: أخرج الطبراني عن أبي مالك الأشعري أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا أخافُ على أمتي إلا ثلاثَ خلال: أن يكثرَ لهم المالُ فيتحاسدوا فيقتتِلوا، وأن يفتحَ لهم الكتاب فيأخذَهُ المؤمنُ يبتغي تأويله،** ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، **وأن يزدادَ علمُهم فيضيِّعوه ولا يسألوا عنه**».

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) قيل: المرادُ بهم: جميعُ من كفَر من أوَّل الزمان إلى آخره، وقيل: المرادُ بهم: نصارى نجران، وقيل: كفارُ مكة، وعلى كلٍّ فالعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٩٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ....

﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عـذابه ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ ـ بفتح الواو ـ: ما تُوقد به.

﴿١١﴾ دَأْبُهُم ﴿كَدَأْبِ﴾: كعادةِ ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مِن الأُمَم كعادٍ وثَمُودَ، ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أهلَكَهُم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ ـ والجُملةُ مُفَسِّرة لِما قَبلها ـ، ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾) قدَّمَ الأموالَ؛ لأن الشأن أنَّ الشخص أوَّلَ ما يَفتدي بالأموال ثم بالأولاد، والمعنى: أن زينتهم وعزَّهم لا يدفعُ عنهم شيئاً من عقاب الله أبداً، لا قليلاً ولا كثيراً.

قوله: (أي: عذابِه) أشارَ بذلك إلى أن في الكلام حذفَ مضاف.

قوله: (﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾) هذه الجملةُ تأكيدٌ لِلجملة الأولى.

قوله: (بفتح الواو) أي: باتفاق السبعة، وقرأ الحسن بضمِّ الواو، مصدرٌ بمعنى: الإيقاد[1].

قوله: (ما يوقد به) أي: وهو الحطبُ مثلاً.

قوله: (دأبهم ﴿كَدَأْبِ﴾) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿كَدَأْبِ﴾ خبرٌ لمحذوف قدَّرَهُ بقوله: (دأبهم)[2]، وهذا بيان لِسبب كونهم وَقود النار، وفي ذلك تسليةٌ للنبي ﷺ؛ أي: فلا تحزَنْ يا محمدُ؛ فإنَّ ما نزلَ بالأمم الذين كفروا بمن قبلك ينزلُ بمن كفرَ بك.

قوله: (كعاد وثمود) بيانٌ للأمم، وأدخلت الكافُ باقيَ الأمم الذين كفروا بِأنبيائهم؛ كقوم نوح وقوم موسى وغيرهم.

قوله: (أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾) أي: انتقمَ منهم دنيا وأُخرى.

قوله: (والجملة مفسرة لما قبلها) أي: جملة ﴿كَذَّبُوا۟﴾ وما قبلَها هي قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾.

---

(١) «الدر المصون» (٣/ ٧٣).

(٢) يقال: دأب فلان في عمله؛ جدَّ وتعب، والدأب: الاجتهاد.

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ ....

﴿١٢﴾ ونزَلَ لَمَّا أمَرَ النَّبيُّ ﷺ اليَهُود بالإسلامِ مَرجِعَه مِن بَدرٍ، فقالُوا: (لا يَغُرَّنَّك أنْ قَتَلتَ نَفَراً مِن قُرَيش أغماراً لا يَعرِفُون القتالَ): ﴿قُل﴾ يا مُحمَّد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مِن اليَهُود: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ - بِالتَّاءِ والياء - في الدُّنيا بِالقَتلِ والأسرِ وضَربِ الجِزيَة، وقَد وقَعَ

حاشية الصاوي

واعلَم: أنه هنا قال: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، وفي آية أخرى: ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، وفي آية أخرى: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، وحكمةُ ذلك: التفنُّنُ في التعبير على عادة فُصَحاء العرب.

والباءُ في قوله: ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ يحتملُ أن تكون لِلمُلابسة، والمعنى: أخذهم الله والحال أنهم مُلتبسون بذنوبهم، يعني من غير توبة، ويحتملُ أن تكون للسببيَّة، والمعنى: أخذهم الله بسبب ذنوبهم، والأولُ أبلَغ؛ لأنَّ فيه دفعَ توهُّم أن مَوتهم كفارةٌ لما وقع منهم.

قوله: (ونزل لمَّا أمر النبيُّ ﷺ) حاصلُ ذلك: أنه لما رجعَ من غزوة بدر إلى المدينة جمعَ يهودَها وهم قريظةُ وبنو النّضير ودعاهم للإسلام، وتوعَّدَهم إن لم يُسلموا أو يؤدُّوا الجزيةَ.. قاتلهم، فقالوا له ما ذكرَهُ المفسِّر[١].

قوله: (أغماراً) جمع غُمْرٍ بالضم، وهو: الرجلُ الذي لا يعرفُ الأمور، وأما بِالكسر.. فمعناه: الحقدُ، وبالفتح مع سكون الميم.. يطلق على الشدَّة، وأما الغَمَر بفتحتين فمعناه: الدَّسم[٢].

قوله: (من اليهود) أي: قريظة وبني النضير ومن حذا حذوَهم كأهل خيبر.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فالتاءُ ظاهرةٌ في الخطاب لهم، والياءُ معناها الإخبارُ بأنهم سيَغلبون[٣].

قوله: (وقد وقع ذلك) أي: فقُتلَ من قريظة ستُّ مئة حولَ الخندق[٤]، وكان القاتلُ لهم عليَّ بنَ أبي طالب، وقوله: (وضرب الجزية) أي: على أهل خَيبر، وأما بنو النضير.. فأجلاهم إلى الشام.

---

(١) رواه الطبراني في «تفسيره» (٦/ ٢٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) «الصحاح» (غ م ر)، والغَمَر: زَهِمَةُ اللحم وريحه.

(٣) قرأ حمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤١).

(٤) في (أ): (فقتل من فحول قريظة).

وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ....

ذَلك، ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ - بِالوَجهَينِ - في الآخِرةِ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ﴾ فتدخُلُونَها، ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِراشُ هي.

﴿١٣﴾ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾: عِبرةٌ، - وذُكِّرَ الفِعلُ لِلفَصلِ - ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾: فِرقَتَينِ ﴿ٱلْتَقَتَا﴾ يَومَ بَدر لِلقِتالِ؛ ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعَتِه، وهُم النبيُّ وأصحابُه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بالوجهين) أي: التاء والياء، وهما سبعيَّتان أيضاً[1].

قوله: (﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾) المقصودُ من ذلك: بيانُ سوء مآلهم، قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍۚ﴾ [الأعراف: ٤١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

قوله: (هي) هذا هو المخصوصُ بالذم، وفاعلُ (بئس) قوله: ﴿ٱلْمِهَادُ﴾.

قوله: (﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾) يحتملُ أن يكون ذلك من جملة مقولِ النبيِّ للكفار؛ أي: قل لهم ما ذكر، وقل لهم: قد كان لكم آية، فعلى ذلك الخطابُ لليهود، ويحتملُ أن يكون ذلك خطاباً لكفار مكة أو للمؤمنين ويكونُ مُستأنفاً.

قوله: (أي: للفصل) أي: بالجار والمجرور الواقع خبراً لـ﴿كَانَ﴾، على حدِّ: أتى القاضيَ بنتُ الواقف، وأجيبَ أيضاً: بأن الفاعل مجازيُّ التأنيث، أو مذكَّرٌ معنًى؛ لأنَّ الآيةَ معناها البرهان.

قوله: (فرقتين) إنما سُمِّيت الفرقة فئة؛ لأنَّه يُفاءُ - بمعنى: يُرجَعُ - إليها في الشدائد.

قوله: (﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) برفع ﴿فِئَةٌ﴾ باتفاق السبعة، مبتدأٌ، خبرُهُ ﴿تُقَٰتِلُ. . . إلخ﴾؛ والمعنى: فئة مُؤمنة، وقوله: (﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾) يعني: تُقاتل في سبيل الطاغوت، ففيه شبهُ احتباكٍ؛ حيث حذف من كلٍّ نظيرِ ما أثبتَهُ في الآخَر[2].

---

(١) تابعة للقراءة السابقة.

(٢) وهذا هو الاحتباك عند البلاغيين، وتبع المصنف هنا العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٢٤٦) حيث عبَّر بشبه الاحتباك وأراد الاحتباك بِعينه، قال: (فحذف من الأول ما يفهم من الثاني، ومن الثاني ما يفهم من الأول)، والله أعلم.

وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم ....

وكانوا ثلاثَمائة وثَلاثة عَشَرَ رَجُلاً، مَعهُم فَرَسانِ وسِتُّ أَدرُع وثَمانِيةُ سُيُوف، وأكثَرُهم رَجَّالةٌ، ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (وكانوا ثلاث مئة) أي: من المهاجرين سبعة وسبعون، صاحب رايتهم عليُّ بن أبي طالب، ومن الأنصار مِئتان وستة وثلاثون، صاحبُ رايتهم سعدُ بن عبادة، والذي مات منهم في تلك الغَزوة أربعةَ عشرَ؛ ستةٌ من المهاجرين، وثمانيةٌ من الأنصار.

قوله: (معهم فَرَسان) وردَ: أنه كان معهم سَبعون بعيراً[١].

قوله: (رجَّالة) جمع: راجل بمعنى: ماشٍ.

قوله: (﴿يَرَوْنَهُم﴾) هكذا بالياء للسبعة ما عدا نافعاً فقرأ بالتاء[٢]، و(رأى): بصريَّة، والواو: فاعلٌ عائد على المؤمنين، والهاء: مفعولٌ عائد على الكفار، و﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾: حال، والهاءُ: إما عائدةٌ على المؤمنين، والمعنى: يُشاهد المؤمنون الكفَّارَ قَدْرَ أنفسهم مرتين، أو الكفارِ، والمعنى: يرى المؤمنون الكفَّارَ قدرَ الكفار مرتَين محنةً للمؤمنين، ويحتمل أن الواو عائدةٌ على الكفار، والهاء عائدة على المؤمنين، والهاء في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ إمَّا عائدة على الكفار، والمعنى: يرى الكفارُ المؤمنين قَدرَهم مرتين، فترتَّبَ على ذلك هزيمتهم، أو عائدة على المؤمنين، والمعنى: يرى الكفارُ المؤمنين قدرَ المؤمنين مرتَين، ففي هذه القراءةِ احتمالاتٌ أربعة قد علمتَها، ومثلُها على قراءة التاء؛ لأنه يحتملُ أن الخطاب للمؤمنين؛ فالواوُ عائدةٌ على المؤمنين، والهاءُ عائدةٌ على الكفار، والضميرُ في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ عائدٌ على الكفار، وهو ظاهر، أو على المؤمنين ويكون فيه التفاتٌ من الخطاب للغيبة، وكان مقتضى الظاهر أن يقول: مثليكم، ويحتمل أن الخطاب للكفار فالواوُ عائدةٌ على الكفار، والهاء عائدةٌ على المؤمنين، والضمير في ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ إما عائدٌ على المؤمنين وهو ظاهر، أو على الكُفار، وفيه التفاتٌ أيضاً.

بقي شيءٌ آخر، وهو أن مقتضى الآية أن المرئيَّ كثيرٌ، سواء كان الرائي الكفار أو المسلِمين، ومقتضى ما يأتي في سورة (الأنفال) أنَّ المرئي قليلٌ، فحصَل تنافٍ بين الآيتين!

(١) عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٦): (ومعهم سبعون بعيراً وفَرَسان).

(٢) «الدر المصون» (٣/ ٤٧)، وسياق المصنف الآتي عنده.

مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ....

أي: الكُفارُ ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي: المسلِمِينَ أي: أكثَرَ مِنهُم، وكانُوا نَحوَ ألفٍ، ﴿رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ﴾ أي: رُؤيَةً ظاهِرة مُعايَنة، وقد نَصَرَهُم الله مع قِلَّتِهم، ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾: يُقَوِّي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ﴾ نَصْرَه، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لِذَوِي البَصائِر، أفَلا تَعتَبِرُونَ بِذلك فتُؤمِنُون؟

﴿١٤﴾ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: ما تَشتَهِيه النَّفس وتَدعُو إلَيهِ، زَيَّنَها الله ابتِلاءً،

حاشية الصاوي

وأجيبَ عن ذلك: بِحَمل ما يأتي على حالة البعد، وما هنا على حالة التقاء الصفَّين، وحكمةُ ذلك: أنهم إذا شاهدوا القلَّةَ على بُعْدٍ.. حملَهم ذلك على الالتِحام.

قوله: (**أي: الكفار**) يقرأ بالرفع تفسيراً للواو، وبالنصب تفسيراً للهاء.

قوله: (**وقد نصرهم الله مع قلتهم**) أي: مع كونهم عدداً قليلاً جدًّا ولا عُدَدَ معهم.

قوله: (﴿لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾) صفةٌ لـ(عبرة).

قوله: (**أفلا تعتبرون**) الخطابُ لليهود، أو لِكُفار مكة.

قوله: (**بذلك**) أي: بالنصر ورُؤية الجيش مثلَيهم.

قوله: (﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾) هذه الآيةُ مسوقةٌ لبيانِ حقارة الدنيا وتزهيدِ المسلمين فيها؛ ففي الحديث: «**ظاهرُها غِرَّةٌ، وباطنُها عبرةٌ**»، وقال الشاعر: [الوافر]

هِيَ الدُّنْيا تَقُولُ بِمِلْءِ فِيها: حَذارِ حَذارِ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي
فَلا يَغْرُرْكُمُ مِنِّي ابْتِسامٌ فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالفِعْلُ مُبْكِي

والفعلُ مبني لِلمفعول، والمزيِّنُ حقيقةً هو الله، ويصحُّ أن يكون الشيطان باعتبار وَسوسته؛ ولذا نوَّعَ فيه المفسِّر.

قوله: (﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾) جمع شَهوة، وهي ميلُ النفس لمحبوبها، ولما كان ذلك المعنى ليس مراداً.. فسَّرَها بالذي تَشتهيه؛ ففيه إشارةٌ إلى أنه أُطلق المصدرُ وأُريد اسمُ المفعول.

إن قلتَ: إنه يدخل في الناس الأنبياء مع أنهم مَعصومون من ذلك!

مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ....

أو الشَّيطانُ، ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾: الأموالِ الكَثِيرةِ ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: المُجمَّعة،

حاشية الصاوي

أجيبَ: بأنه عامٌّ مخصوص بما عدا الأنبياء، وأما هم فهم مَعصُومون من الميل إلى ما سوى الله؛ لما في الحديث: «حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم»[1]، ولم يقُل: من دُنيانا، وفي الحديث أيضاً: «لستُ من الدنيا ولا الدُّنيا مِني»[2].

قوله: (زيَّنها الله) أي: أوجدَ فيها الزِّينة.

قوله: (ابتلاء) أي: اختباراً، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧].

قوله: (أو الشيطان) أي: بالوَسوسة.

قوله: (﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾) متعلق بمحذوف حال من ﴿ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، وهو تفصيلٌ لما أجمل فيها، وقدَّمَ النساءَ لأنهن أعظمُ زينة الدنيا، فإنهن حِبالةُ الشيطان، ويَحملن الإنسانَ على قطع الرحم، واكتساب المال من الحرام، وارتِكاب المحرَّمات، وقال ﷺ: «ما تركتُ فِتنةً أضرَّ على الرجال من النساء»[3]، «ما رأيتُ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أسلبَ لِلُبِّ الرجل الحكيم منهنَّ»[4].

قوله: (﴿وَٱلْبَنِينَ﴾) قدَّمَهم على الأموال؛ لأنهم فرعُ النساء، وأكبر فتنةً من الأموال؛ لأنَّ الإنسانَ يفدي بنيه بالمال، ولم يقُلْ: والبنات؛ لأنَّ الشأنَ أن الفخرَ في الذكور دُون الإناث.

قوله: (﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾) جمع: قِنطار، قيل: المرادُ به: المالُ الكثير، وقيل: ألفُ أوقية ومِئتا أوقية، وقيل: اثنا عشر ألف أُوقية، وقيل غيرُ ذلك، ودرجَ المفسِّر على الأول.

قوله: (﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾) قيل: وزنها (مُفعَلَلة)، فتكون النون أصلية، وقيل: وزنها (مُفنعَلة)، فالنون زائدة، ويترتَّبَ على ذلك النون في (قنطار) هل هي أصليَّة فوزنه (فِعلال)، أو زائدة فوزنه (فِنعال)؟ وأقلُّ القناطير المقنطرة تِسعة؛ لأنَّ المرادَ: تعدَّدَتْ جموعُ القناطير عنده، ثلاثة فَوق.

---

(١) رواه النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦١) من حديث أنس ﷺ.

(٢) رواه الضياء في «الأحاديث المختارة» (١٥٤٢) من حديث أنس ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠) من حديث أسامة بن زيد ﷺ.

(٤) رواه البخاري (١٤٦٢)، ومسلم (٧٩).

مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ ....

﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: الحِسانِ، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: الإبلِ والبَقَرِ والغَنَم، ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾: الزَّرعِ؛ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّع بِه فِيها ثُمَّ يَفنَى، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾: المَرجِع وهو الجَنَّة، فيَنبَغِي الرَّغبةُ فِيه دُون غيرِه.

﴿١٥﴾ ﴿قُلْ﴾ يا مُحمدُ لِقَومِك: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾: أأُخبِرُكُم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ المَذكُور مِن الشَّهَوات؟ - استِفهامُ تَقرِير - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلْفِضَّةِ﴾) الواو بمعنى (أو) المانعة الخلو، فتجوِّز الجمع، وقدَّمَ الذهب والفضة على ما عداهما؛ لأنَّ فخرَ صاحبهما أعظَم.

قوله: (﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾) قدَّمها على الأنعام؛ لأنَّ فخرها أعظَم.

قوله: (الزرع) أي: مطلقاً، حنطةً أو غيرَها.

قوله: (ثمَّ يفنى) أي: يزولُ هو وصاحبه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ...﴾ [يونس: ٢٤] الآية.

قوله: (فينبغي الرغبة فيه) أي: في ذلك المآب الحسن. وفي الآية اكتفاء؛ أي: وعنده سوءُ المآب، فحسنُ المآب لمن لم يغترَّ بالدنيا وجعلها مزرعةً للآخرة، وسوءُ المآب لمن اغترَّ بها وآثرها على الآخرة.

قوله: (﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم﴾) قُرِئَ في السبع بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية مع زيادة مدٍّ بينهما، وبدون زيادة، فالقراءاتُ أربعٌ، وليس في القرآن همزةٌ مضمومة بعد مفتوحة إلا ما هنا وما في (ص): ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [ص: ٨]، وما في (اقتربت الساعة): ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ [القمر: ٢٥][١].

قوله: (من الشهوات) أي: المشتهَيات.

قوله: (استفهام تقرير) أي: تثبيت.

---

(١) «الدر المصون» (٣/ ٦٣).

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشِّركَ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ـ خَبَرٌ مُبتَدَؤُهُ: ـ ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ أي: مُقَدِّرِينَ الخُلُود ﴿فِيهَا﴾ إذا دَخَلُوها، ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ مِن الحَيض وغَيره مِمَّا يُستَقذَر، ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ ـ بِكَسرِ أوَّله وضَمِّه لُغَتانِ ـ أي: رِضاً كَثِير ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾: عالِم ﴿بِالْعِبَادِ﴾، فيُجازِي كُلًّا مِنهُم بِعَمَلِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك) أي: بالإيمان، وإنما اقتصرَ عليه؛ لأن أصلَ دخول الجنة إنما يتوقَّفُ عليه فقط.

قوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾) في محلِّ نصب على الحال من ﴿جَنَّاتٌ﴾.

قوله: (﴿جَنَّاتٌ﴾) أي سبع: جنة المأوى، وجنة الخلد، وجَنة النعيم، وجنة عَدن، وجنة الفردوس، ودار السلام، ودار الجلال، وأبوابها ثمانيةَ عشرَ، وأعظمُها جنةُ الفردوس.

قوله: (أي: مقدرين الخلود) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حالٌ منتظرة؛ أي: مُنتظرين الخلود فيها إذا دَخلوها؛ لأنه ينادي المنادي حين استقرار أهل الدارين فيهما: **«يا أهل الجنة؛ خلودٌ بلا موت، ويا أهل النار؛ خُلودٌ بلا موت، فيقعُ الفرحُ الدائم في قلوب أهل الجنة، والحزنُ الدائم في قلوب أهل النار»**(١).

قوله: (﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾) أي: من الحُور وغيرهنَّ من نساء الدنيا.

قوله: (لغتان) أي: وقرئ فيهما في السبع في جميع لفظ (رضوان) الواقع في القرآن، إلا الثاني في (المائدة) فإنه بالكسر باتفاق السبعة(٢)، وهو قوله: ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]، والمكسورُ قياسيٌّ والمضمومُ سماعيٌّ، ومعناهما واحد، وقولُ المفسِّر: (كثير) أخذ الكثرةَ من التنوين.

قوله: (أي: رضاً كثير) أي: عظيم لا سخطَ بعده أبداً.

قوله: (فيجازي كلًّا منهم بعمله) أي: فيُدخل المتقين الجنَّة، والعاصين النار.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٤٨)، ومسلم (٢٨٥٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الكسر لغة الحجاز، والضم لغة تميم، وبالكسر قرأ العامة إلا أبا بكر عن عاصم. انظر «الدر المصون» (٣/ ٦٨).

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ....

﴿١٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ نَعتٌ، أو بَدَلٌ مِن (الَّذِينَ) قَبله ـ ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾: صَدَّقنا بِك وبِرَسُولِك، ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الطَّاعة وعَن المَعصِيَة، ـ نَعتٌ ـ ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمانِ، ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: المُطِيعِينَ لِلَّهِ، ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: المُتَصَدِّقِينَ، ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ اللهَ بِأن يَقُولُوا: اللَّهُمَّ اغفِر لَنا ﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾: أواخِرِ اللَّيل، خُصَّت بِالذِّكرِ لِأنَّها وقتُ الغَفلةِ ولَذَّةِ النَّوم.

حاشية الصاوي

قوله: **(نعت)** أي: للذين اتقوا.

قوله: **(على الطاعة)** أي: على فعلها، وقوله: **(وعن المعصية)** أي: نهاهم اللهُ عنها، فأمسكوا عنها وانتَهوا.

قوله: (﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾) **إن قيل**: كيف دخلت الواوُ على هذه الصفات مع أنَّ الموصوفَ فيها واحد؟ **أجيب بجوابين**:

أحدهما: أن الصفاتِ إذا تكرَّرت جازَ أن يعطف بعضُها على بعض بالواو وإن كان الموصوف بها واحداً، ودخول الواو في مثل هذا لِلتفخيم؛ لأنه يؤذنُ بأنَّ كلَّ صفة مستقلةٌ يمدحُ الموصوف بها.

ثانيهما: لا نسلِّمُ أن الموصوف بها واحد، بل هو متعدِّدٌ والصفاتُ موزَّعةٌ عليه، فبعضُهم صابر، وبعضهم صادق، ففيه إشارةٌ إلى أن بعضَها كافٍ في المدح.

قوله: **(في الإيمان)** أي: صدَّقوا بقلوبهم، وانقادوا بظواهرهم.

قوله: **(المطيعين لله)** أي: بأيِّ نوع من أنواع الطاعة.

قوله: **(بأن يقولوا: اللهمَّ! اغفر لنا)** أي: أو غير ذلك من أنواع الطاعات، فالمرادُ بالمستغفرين: المتعرِّضون لِلمغفرة إما بسؤال المغفرة أو غيرها من الطاعات.

قوله: **(أواخر الليل)** ويدخل بالنصف الأخير منه، وقيل: الأسحار: ما بعد الفجر إلى طلوع الشمس، فينبغي اغتنامُ هذَين الوقتين؛ فإن لم يمكن الأول.. فالثاني.

شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ....

﴿١٨﴾ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: بيَّن لِخَلقه بالدَّلائلِ والآياتِ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي: لا مَعبُودَ في الوُجود بِحق ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾ شَهِد بِذَلك ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بِالإقرارِ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾) سببُ نزولها: أن حبرين من أحبار الشام قَدما على رسول الله بالمدينة، فقالا له: نسألُكَ عن شيء إن أخبرتنا به آمَنا بك وصدقناك، فقال: «سلا»، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في القرآن، فنَزلت، فآمنا به[١]، ولكونها أعظمَ كان وقتَ نزولها حول البيت ثلاثُ مئة وستون صنماً، فحين نَزلت تساقطت تلك الأصنام[٢].

وورِدَ في فضلها: «**أنه يومَ القيامة يُجاءُ بمن كان يحفظها، فيقول الله له: إن لَعبدي هذا عندي عهداً فأُوفيه إيَّاه، أدخلوا عبدي الجنَّة، فيُدخلوه من غير سابقة عذاب**»[٣]، ومن فضلها: أنها تقطع عرقَ الشرك من القلب، وتنفع من الوسواس؛ ولذا اختارَها العارفون في ختم صلاتهم، فيقرؤونها عقب كلِّ صلاة.

ثم اعلَم: أن معنى الشهادة: الإقرارُ باللسان، والإذعانُ بالقلب، وذلك مستحيلٌ على الله تعالى، فالمرادُ: بيَّنَ وأظهرَ لخلقه بالدلائل القطعية... إلخ؛ ففي الكلام استعارةٌ تبعيَّة؛ حيث شبَّهَ البيانَ بالشهادة، واستعارَ اسمَ المشبَّهِ به للمشبَّهِ، واشتقَّ من الشهادة شَهِدَ بمعنى: بيَّنَ، والجامعُ: الوثوق بكلٍّ؛ لأنَّ مَنْ أقرَّ وأذعنَ حصلَ له الوثوقُ؛ كما أن من بيَّنَ حصلَ للسامع وثوقٌ بخبره، وإلى ذلك أشارَ المفسِّرُ بقوله: (بيَّنَ لخلقه... إلخ).

قوله: (**في الوجود**) أي: الدنيويِّ والأخرويِّ.

قوله: (﴿وَ﴾ **شهد بذلك** ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) أشارَ بذلك إلى أن (الملائكة) معطوفٌ على لفظ الجلالة، فهو مرفوع، وقدَّرَ الفعل؛ دفعاً لاستعمال اللفظ في حَقيقته ومجازه، وفيه خلافٌ، ولا يمشي التنزيلُ عليه؛ فإنَّ الشهادةَ في حقِّ الملائكة معناها: الإقرارُ، وأمَّا في حقِّ الله فمعناها: التبيينُ.

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٤٢٠) عن الكلبي مقطوعاً.

(٢) رواه عبد بن حميد وابن المنذر عن سعيد بن جبير. انظر «الدر المنثور» (٢/ ١٦٧).

(٣) رواه البيهقي في «الشعب» (٢١٩٠)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٦٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٨﴾ ....

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ مِن الأنبياء والمُؤمِنِينَ بِالاعتِقادِ واللَّفظ، ﴿قَآئِمَۢا﴾ بِتَدبِيرِ مَصنُوعاتِه، ونَصبُه على الحال، والعامِلُ فِيها معنَى الجُملة ـ أي: تَفرَّدَ ﴿بِٱلْقِسْطِۚ﴾: بِالعَدلِ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ـ كَرَّرَهُ تأكِيداً ـ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾) لم يقدِّر الفعلَ اكتفاءً بما قدَّرَهُ في جانب الملائكة.

قوله: (بالاعتقاد) أي: في القلب، وقوله: (واللفظ) أي: باللسان، وإنما اقتصرَ في جانب الملائكة على الإقرار دُون أولي العلم؛ لأنَّ توحيدَ الملائكة جبلِّيٌّ لهم مخلوقون عليه كالنَّفَس، فلا يُتوهَّمُ فيهم عدمُ الاعتقاد، بخلاف الإنس فاختياريٌّ لهم؛ لوجود المنافقين فيهم دون الملائكة.

قوله: (ونصبه على الحال) أي: إمَّا من لفظ الجلالة، أو من الضمير المنفصل بعد (إلا)، والأحسنُ: الثاني؛ ليفيدَ أن الله شهدَ شهادتَين؛ الأولى: أنه لا إله إلا هو، والثانية: أنه قائم بالقسط، فمتعلَّقُ الأولى تنزيهُ ذاته، ومتعلَّقُ الثانية تنزيهُ صفاته.

قوله: (معنى الجملة) أي: جملة (لا إله إلا هو)، وقوله: (أي: تفرَّد) بيان لمعنى الجملة.

قوله: (﴿بِٱلْقِسْطِۚ﴾) بيانٌ لِكرمه تعالى، فالمعنى: أنه تعالى ثابتُ الألوهيَّة، وأن جميعَ الخلق مملوكون له يتصرَّفُ فيهم كيف شاء؛ فلو أدخل الطائعين جميعاً النارَ.. لا حرجَ عليه، غيرَ أنه لا يفعل ذلك، بل هو قائمٌ بالقسط.

قوله: (تأكيداً) أي: وتوطئةً لقوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

قوله: (﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه) أي: عديمُ المثال، أو قاهرٌ لِخلقه، وهو راجع لقوله: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

قوله: (﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه) أي: يضعُ الشيءَ في محلِّهِ، وهو راجعٌ لقوله: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾، و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ إمَّا خبران لمبتدإٍ محذوف، وإمَّا بدلان من الضمير المنفصل، أو نعتان له على جواز نعت ضمير الغيبة.

إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ....

﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ المَرْضِيَّ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي: الشَّرعُ المَبعُوث بِه الرُّسُل المَبنِيُّ على التَّوحِيد، ـ وفي قِراءة بِفَتح (أنَّ) بَدَل مِن ﴿أَنَّهُۥ ...﴾ إلخ بَدَلَ اشتِمال ـ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليَهُودُ والنَّصارَى في الدِّين ـ بِأن وحَّدَ بَعضٌ وكَفَرَ بَعض ـ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بِالتَّوحِيدِ ﴿بَغْيًۢا﴾ مِن الكافِرِينَ ﴿بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: المُجازاةِ لَه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾) نزلت لمَّا ادَّعت اليهودُ أنه لا دينَ أفضلُ من دين اليهوديَّة، وادَّعت النصارى أنه لا دينَ أفضلُ من دين النصرانيَّة[١].

قوله: (هو ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾) قدَّرَ الضمير؛ إشارةً إلى أن الجملةَ معرَّفةُ الطرفين، فتفيدُ الحصر.

قوله: (المبعوث به الرسل) أي: جَميعهم، من آدمَ إلى محمد، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ [الشورى: ١٣]، فأصلُ الدين واحدٌ، وإنما الاختلافُ في الفُروع.

قوله: (بدل اشتمال)[٢] أي: فيكون من تمام آية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ وحدانيَّة الله اشتمل عليها الإسلام، وهذا إن أُريد بالإسلام الشرعُ المنقول، وأما إن أُريد به التوحيدُ.. كان بدلَ كلٍّ من كل.

قوله: (﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾) جوابٌ عن سؤال نشأ من قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، كأنه قيل: حيث كان الدينُ واحداً من آدمَ إلى الآن فما اختلافُ أهل الكتاب؟

قوله: (﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾) استثناءٌ من محذوف؛ أي: ما كان اختلافُهم في حال من الأحوال إلا في حال مجيء العِلم لهم، فالمعنى: لا عذرَ ولا شبهةَ لهم في ذلك الاختلاف؛ لأنَّ اللهَ بيَّنَ لهم الحقَّ من الباطل، وإنما كفرُهم واختلافُهم محضُ عِناد، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

قوله: (﴿وَمَن يَكْفُرْ﴾) (مَنْ): اسمُ شرط جازم، و﴿يَكْفُرْ﴾: فعل الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ

(١) «زاد المسير» (١/ ٢٦٧) عن أبي سليمان الدمشقي.

(٢) قرأ الكسائي بفتح همزة (أنَّ الدين)، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٣/ ٨٣).

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا ....

﴿٢٠﴾ ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾: خاصَمَك الكُفَّارُ يا مُحمَّد في الدِّين، ﴿فَقُلْ﴾ لَهُم: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾: انقدتُ لَه أنا ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾، وخَصَّ الوَجه بِالذِّكرِ لِشَرَفِه، فغَيرُه أَولى، ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾: اليَهُودِ والنَّصارَى ﴿وَالْأُمِّيِّينَ﴾: مُشرِكِي العَرَب: ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾ أي: أَسلِمُوا، ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا ....

حاشية الصاوي

سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ دليلُ الجواب، والجواب محذوف؛ أي: فيُعذبه، وهذا تسليةٌ لرسول الله ﷺ، كأنه قال له: لا تحزنْ على كفرِ مَنْ كفرَ؛ فإن اللهَ معذِّبُهُ.

قوله: (﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾) أي: اليهود والنصارى؛ حيث أنكروا عمومَ رسالتك، أو أصلَها، وجملة ﴿حَاجُّوكَ﴾ فعلُ الشرط، وجوابُهُ: ﴿فَقُلْ﴾ وما عُطِفَ عليه.

قوله: (﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾) معطوفٌ على ضمير ﴿أَسْلَمْتُ﴾ المتصل وقد وُجِدَ الفاصلُ، وهو قوله: ﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، إذا علمتَ ذلك.. فتقديرُ المفسر (أنا) توضيحٌ وبيانٌ لِلضمير المتصل، لا ليفيدَ الفاصل؛ فإنه قد حصلَ بقوله: ﴿وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، قال ابن مالك: [الرجز]

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلْ
أَوْ فَاصِلٍ مَا ....[1]

وما هنا من قَبيله، ومفعول (مَن اتبعن) محذوفٌ لدلالة ما قبله عليه؛ أي: ومَن اتبعن أسلمَ وجهَهُ.

قوله: (لشرفه) أي: لوجود الحواسِّ الخمس فيه.

قوله: (﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾) أي: التوراة بالنسبة لليهود، والإنجيل بالنسبة للنصارى، وفيه وَضْعُ الموصول موضع الضمير لمقابلته بـ(الأمِّيِّين)[2].

قوله: (ومشركي العرب) أي: ومن عاداهم ممَّنْ لا كتابَ لهم.

قوله: (أي: أسلِموا) أي: فهو استفهامٌ تقريعي، والمقصودُ: الأمرُ، على حدِّ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

(١) «الخلاصة» (باب عطف النسق).

(٢) إذ معنى الأمِّيِّين هنا الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب، فحصل التقابل.

فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ ....

فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ﴾ مِن الضَّلال، ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عنِ الإسلام، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ﴾: التَّبليغُ لِلرِّسالة، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فيُجازيهِم بِأعمالِهِم، وهَذا قَبلَ الأمرِ بِالقِتالِ.

﴿٢١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ ـ وفي قِراءة: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾ ـ ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بِالعَدلِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ﴾) أي: انتفعوا، وحصل لهم الرضا والقبول، وتمَّ لهم السعد والوصول، وبهذا اندفعَ ما يقال: إن فعل الشرط متَّحدٌ مع جوابه، كأنه قال: فإن أسلَموا فقد أسلموا.

قوله: (﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾) أي: داموا عليه، وهو فعل الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ دليلُ الجواب، والجوابُ محذوف تقديرُهُ: فلا تحزَنْ عليهم وأمرُهم إلى الله.

قوله: (أي: التبليغ للرسالة) أي: وقد بلَّغْتَ، فلا تأْسَ عليهم.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾) أي: عليمٌ بهم، ومطَّلعٌ عليهم، وناظرٌ إليهم؛ فلا يغيبُ عنه شيءٌ من أفعالهم.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالقتال) أي: وهذه الآيةُ نزلت قبلَ الأمر به؛ فإنَّ رسول الله أُمِرَ بالإمساك والإعراض عنهم في نحو نيِّفٍ وسبعينَ آية، ثم أُمِرَ بقتالهم[١].

قوله: (﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾) أي: القرآن وغيره.

قوله: (وفي قراءة: ﴿يُقَٰتِلُونَ﴾) صوابُهُ: تأخيرُها بعد المعطوف؛ إذْ هي التي فيها القراءتان، وأما هذه.. فـ(يقتلون) باتفاق السَّبعة[٢].

قوله: (﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾) إن قلتَ: إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حقٍّ!

أجيب: بأنه في اعتقادهم أيضاً، فهو زيادةٌ في التشنيع عليهم، فالمعنى: اعجَبْ يا محمدُ من بلادةِ هؤلاء، حيث يقتلون الأنبياء وهم معتقدون أن قتلَهم خلافُ الحقِّ، ويقتلون مَنْ يأمرُهم بالعدل.

---

(١) أي: في آية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ﴾. انظر «تفسير الزمخشري» (٣/ ١٦٠).

(٢) قرأ حمزة: يقاتلون، والباقون: يقتلون. انظر «الدر المصون» (٣/ ٩٤).

مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ....

﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهُم اليَهُود، رُوِيَ أَنَّهُم قَتَلُوا ثَلاثةً وأربَعِينَ نَبِيًّا، فنَهاهُم مِائة وسَبعُونَ مِن عُبَّادِهم فقَتَلُوهُم مِن يَومِهم، ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أعلِمهُم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلِم، وذِكرُ البِشارة تَهَكُّم بِهِم. ـ ودَخَلَت الفاء في خَبَر ﴿إِنَّ﴾ لِشَبَهِ اسمِها المَوصُول بِالشَّرطِ ـ.

﴿٢٢﴾ ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: ما عَمِلُوا مِن خَيرٍ، كصَدَقةٍ وصِلَة رَحِم، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا اعتِدادَ بِها لِعَدَمِ شَرطِها، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانِعِينَ مِن العَذاب.

حاشية الصاوي

قوله: (وهم اليهود) أي: قوم موسى، وإنما خُوطبَ مَنْ كان في زمنه ﷺ بذلك؛ لرضاهم بفعلهم، مع كونهم كانوا عازمين على قتله ﷺ.

قوله: (ثلاثة وأربعين) وفي رواية أخرى: سبعين.

قوله: (من يومهم) أي: فقتلوا الأنبياء أوَّلَ النهار، والعُبَّادَ آخرَهُ[1].

قوله: (أعلمهم) أشارَ بذلك إلا أنَّ في الكلام استعارةً تبعيَّة، حيث شُبِّهَ الإعلامُ بالعذاب بالبشارة، واستُعيرَ اسمُ المشبَّهِ به للمشبَّه، واشتُقَّ من البشارة (بَشِّرهم) بمعنى: أعلمهم بالعذاب، والجامعُ: الانتقالُ من حال لأخرى في كلٍّ.

قوله: (وذكرُ البشارة تهكُّمٌ) أي: لأنَّ البشارةَ هي: الخبر السارُّ، والنِّذارة: الخبرُ الضارُّ، فكأنه يقول: هو لا يتخلَّفُ كما أن الوعدَ بالخير لا يتخلَّفُ.

قوله: (لشبه اسمها الموصول) أي: وهو في الأصل كان مبتدأً، والمبتدأُ متى وقع اسم موصول ولو منسوخاً.. قُرِنَ خبرُهُ بالفاء[2].

قوله: (كصدقة وصلة رحم) إن قلتَ: إن مثلَ هذا العمل لا يتوقَّفُ على الإسلام؛ لعدم توقُّفِهِ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٨٦) من حديث أبي عبيدة رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه: «قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيًّا من أول النهار في ساعة واحدة، فقام مئة رجل واثنا عشر رجلاً من عُبَّاد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فقتلوا جميعاً آخر النهار من ذلك اليوم، وهم الذين ذكرَ اللهُ عز وجل»؛ أي: في الآية.

(٢) إلا إذا نُسِخَ بليت ولعل وكأن، فتمتنع الفاء. «الفتوحات» (١/ ٢٥٤).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ....

﴿٢٣﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنظُرْ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾: حظًّا ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التَّوراةِ، ﴿يُدْعَوْنَ﴾ ـ حال ـ ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قَبولِ حُكمِه؟ نَزَلَ في اليَهُود؛ زَنَى مِنهُم اثنانِ فتَحاكَمُوا إلى النَّبيِّ ﷺ، فحَكَمَ عَلَيهِما بِالرَّجمِ، فأبَوا، فجِيءَ بِالتَّوراةِ ....

حاشية الصاوي

على النية، فينتفعُ به الكافر، فلا يتمُّ قولُ المفسِّر: (فلا اعتدادَ بها؛ لعدم شرطها)! فلعلَّ ذلك محمولٌ على جماعة مخصوصين باشروا قتلَ الأنبياء وعاندوهم، وإلَّا.. فصدقةُ الكافر وصلةُ الرحم تنفعُهُ في الدنيا بتوسعتها عليه مثلاً لا غير، ولا ينتفعُ بها في الآخرة إجماعاً؛ لأنَّ محلَّ الجزاء الجنَّة، وهو عنها بمعزل؛ لأنه ليس له في الآخرة إلا النَّار.

قوله: (﴿أَلَمْ تَرَ﴾) الخطاب للنبي، أو لكلِّ من يتأتّى منه النظر.

قوله: (﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾) أي: التوراة.

قوله: (في اليهود) أي: يهود خيبر.

قوله: (زنى منهم اثنان) أي: من أشرافهم، ثم سألوا أحبارَهم، فأخبروهم بأن التوراةَ نصَّتْ على رجمهم، ولكن أخذتهم الشفقة عليهم؛ لكونهم من أشرافهم، فتحاكموا إلى النبيِّ ﷺ لعله أن يوجدَ في دينه فرجٌ لهم، فقال لهم النبيُّ: «حُكم ديني رجمُكُم، والذي أعلمُهُ أن في التوراة كذلك»، فقالَ بعضُهم: جُرْتَ علينا يا محمد! فقال: «هلمُّوا إليَّ بأعلمِكُمْ بالتوراة»، فقالوا: عبدُ الله بن صوريا، وكان بفَدَك، فأُتِيَ به، فسأله النبيُّ عن حكم الزاني والزانية في التوراة، فقال: ائتوني بالتوراة، فقرأ منها على النبيِّ ﷺ حتى وصلَ آية الرجم، فوضعَ يده عليها وقرأ ما بعدها، فأمر النبيُّ بأخذها منه، فأخذَها وقرأَها، فإذا فيها: (إن المحصنَ والمحصنةَ إذا زنيا وقامَتْ عليهما البينةُ رُجما، وإن كانت امرأةٌ حبلى تُرُبِّصَ بها حتى تضعَ ما في بطنها)، فأمرَ ﷺ برجمهما، فغضب اليهودُ لذلك[1].

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٤٢٤) برواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأصل الخبر عند البخاري (٦٨٤١)، ومسلم (١٦٩٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ....

فوُجِدَ فِيها، فرُجِما فغَضِبُوا.

﴿٢٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التَّوَلِّي والإعراضُ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بِسَبَبِ قَولِهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ أربَعِينَ يَوماً مُدَّةَ عِبادة آبائِهم العِجل ثُمَّ تَزُول عَنهُم، ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم﴾ - مُتَعَلِّق بِقَولِه: - ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ مِن قَولِهم ذلك.

﴿٢٥﴾ ﴿فَكَيْفَ﴾ حالُهم ﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يَومٍ ﴿لَّا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ﴾ هو يَوم القِيامة، ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ مِن أهل الكِتاب وغَيرِهم جَزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: عَمِلَت مِن خَير وشَرٍّ، ﴿وَهُمْ﴾ أي: النَّاسُ ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بِنَقصِ حسَنة أو زِيادةِ سَيِّئة؟

حاشية الصاوي

قوله: (فوجد فيها) أي: الرجمُ.

قوله: (﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾) أي: بسبب قولهم ذلك، فهَوَّنوا على أنفسهم جميعَ الموبقات؛ من قتل الأنبياء وعِصيانهم وغير ذلك.

قوله: (من قولهم ذلك) أي: وهو ﴿لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾.

قوله: (﴿فَكَيْفَ﴾ حالُهم) ردٌّ لقولهم المذكور، وإبطالٌ لما غرَّهُمْ باستعظام ما سيقعُ لهم من الأهوال، ويجوزُ أن يكون (كيف) خبراً مقدَّماً، والمبتدأُ محذوف قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (حالهم)، وقوله: (﴿إِذَا جَمَعْنَاهُمْ﴾) ظرفٌ غير مضمَّنٍ معنى الشرط، منصوب على الظرفية، والعاملُ فيه متعلق الخبر.

قوله: (﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾) أي: في مجيئه ووقوع ما فيه.

قوله: (﴿وَهُمْ﴾ أي: الناس) فيه إشارةٌ إلى أنه ذكَّرَ ضميرَهم وجمعه باعتبار معنى ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾.

قُلِ ٱللَّهُمَّ . . . .

﴿٢٦﴾ ونزَل لَمَّا وعَدَ النبيُّ ﷺ أُمَّته مُلكَ فارِسَ والرُّوم، فقالَ المُنافِقُونَ: (هَيهاتَ!): ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ يا الله . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (ونزل لما وعدَ. . . إلخ) وذلك أنه حين تحزَّبَتْ عليه الأحزابُ سنةَ خمس من الهجرة، حتى تجمَّعَ عليه عشرةُ آلاف مقاتل، وكانت المسلمون إذ ذاك نحو الألفَين معه بالمدينة، فأشاروا عليه بحفرِ الخندق، فجعلَ على كلِّ عشرة أربعين ذراعاً، فبينَما هم في ذلك إذْ ظهرت لهم صخرةٌ عظيمة لا تعملُ فيها المعاويل، فكَرَبَ مَنْ كانت في قِسمته، فاستجاروا برسول الله، فأخذَ ﷺ المعولَ من سلمان الفارسي وضربَ الصخرة أوَّلَ مرة، فخرجَ منها نورٌ ملأ ما بين لابَتي المدينة، فقال: «أضاءَ لي منها قصورُ الحيرة، كأنها أنيابُ الكلاب»، والحِيرةُ بكسر الحاء المهملة وسكون الياء: مدينة بقرب الكوفة، وتمثيله القصورَ بأنياب الكلاب؛ لِشبهها لها في البياض، وانضمام بعضها لبعض، مع الإشارة إلى تحقيرها، ثم ضربَ الثانية وقال: «أضاءَ لي منها قصورُ الروم»، ثم ضربَ الثالثةَ وقال: «أضاءَ لي منها قصورُ صنعاءِ اليمن، وأخبرني جبريلُ أن أمَّتي ظاهرةٌ على كلها فأبشروا»، فقال المنافقون: ألا تعجبون! يُمنِّيكم ويعدُكم الباطلَ، ويخبركم أنه يبصرُ ما ذكرَ، وأنها تفتحُ لكم، وأنتم إنما تَحفرون الخندقَ من شِدة الخوف ولا تستطيعون البُروز؟! فنزلت الآية، وكسرَ الصخرةَ في الثلاث ضرَبات من عزمه وقوَّته البشرية، وإلا. . لو كان معجزةً لأشارَ لها فقط[١].

ورُوِيَ في فضل تلك الآية أحاديثُ لا تحصى؛ منها: ما روي أن الله لمَّا أمرَ (فاتحةَ الكتاب) وآية الكرسي و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ بالنزول إلى الأرض. . قالوا: يا ربَّنا؛ لا تهبطْنا دارَ الذنوب وإلى مَنْ يعصيك، فقال تعالى: وعزَّتي وجلالي؛ ما يقرأُكُنَّ عبدٌ عقبَ كلِّ صلاة إلا أسكنتُهُ حظيرةَ القدس على ما كان منه، وإلا نظرتُ له بعيني المكنونة في اليوم والليلة سبعين مرَّةً، وإلا قضيتُ له في اليوم والليلة سبعين حاجةً أدناها المغفرةُ، وإلا أعذتُهُ من عدوِّهِ بنصرته عليه، ولا يمنعُهُ من دخول الجنة إلا أن يموت[٢].

قوله: (يا الله) أشارَ بذلك إلى أن الميمَ معوَّضةٌ عن ياء النداء، فهو مبنيٌّ على الضم في محلِّ

(١) الخبر بطوله رواه ابنُ سعد في «طبقاته» (٤/ ٨٢).

(٢) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٢٥) من حديث علي كرم الله وجهه.

مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ ....

﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي﴾: تُعطِي ﴿ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ مِن خَلقِك، ﴿وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بِإيتائِه، ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾ بِنَزعِه مِنهُ، ﴿بِيَدِكَ﴾ بِقُدرَتِك ﴿ٱلۡخَيۡرُۖ﴾ أي: والشَّرُّ،

حاشية الصاوي

نصب، والميم عوضٌ عن ياء النداء، وذلك من جملة ما خُصَّ به لفظ الجلالة، ومن جملتها اجتماعُ يا و(أل).

قوله: (﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾) يصحُّ أن يكون بدلاً، أو عطف بيان، أو نعتاً لمحلِّ ﴿ٱللَّهُمَّ﴾، أو منادى حذفت منه ياء النداء، والمُلكُ: هو من العرش للفرش، وفي بعض الكتب: (أنا اللهُ ملكُ الملوك، ومالكُ الملك، قلوبُ الملوك ونواصيهم بيدي، فَإنِ العبادُ أطاعوني جعلتُهم عليهم رحمةً، وإن هم عَصَوْني جعلتُهم عليهم عقوبةً، فلا تَشتغلوا بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفْهم عليكم)[1].

قوله: (﴿تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾) إما صفةٌ لـ﴿مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾، أو استئنافٌ بياني، دليلٌ لكونه مالكَ الملك، وقوله: ﴿مَن تَشَآءُ﴾ أي: كمحمَّدٍ وأصحابِه.

قوله: (بإيتائه) أي: الملك.

قوله: (بنزعه منه) أي: بنزع الملك من فارس والروم وغيرهما[2].

قوله: (بقدرتك) هذا تأويلُ الخَلَف، وأما السلفُ فيؤمنون بذلك ويُفوِّضون علمَ ذلك لله.

قوله: (أي: والشر) أشارَ بذلك إلى أن فيه اكتفاءً، وإنما اقتصرَ على الخير؛ لأنَّ الآيةَ مسوقةٌ في الخير؛ بدليل سببِ نزولها وإن كان لفظُها عامًّا، أو يقال: إنما اقتصرَ على الخير؛ لأنه صنعُهُ، وأما الشرُّ فبالنظر لِلمنعكس عليه، قال بعض العارفين: [الطويل]

إذا ما رَأَيْتَ اللهَ فِي الكُلِّ فاعِلاً ... رَأَيْتَ جَمِيعَ الكائِناتِ مِلاحَا

وَإنْ لَمْ تَرَى إلا مَظاهِرَ صُنْعِهِ ... حُجِبْتَ فَصَيَّرْتَ الحِسانَ قِباحَا

ففعلُ الله كلُّهُ خيرٌ؛ لأن أفعالَهُ دائرةٌ بين الفَضل والعدل، ولا ينسبُ له الشرُّ أصلاً، وإنما ينسبُ الشرُّ للمُخالف، وليس لمولانا حاكم يخالفُهُ فيما أمره به، بل هو الفعَّالُ لما يريد.

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٧) عن مالك بن دينار أنه قرأه في بعض كتب الحكمة.

(٢) وإنما ذكر هذه الأمم لملاحظة سبب النزول.

إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ

﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿تُولِجُ﴾: تُدخِلُ ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾: تُدخِلُهُ ﴿فِي ٱلَّيْلِ﴾، فيَزيد كُلٌّ مِنهُما بِما نَقَصَ مِن الآخَر، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسانِ والطَّائِر مِن النُّطفة والبيضةِ، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ كالنُّطفَةِ والبَيضة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رِزقاً واسِعاً.

﴿٢٨﴾ ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾) دليلٌ لما تقدَّم.

قوله: (فيزيدُ كلٌّ منهما بما نقصَ من الآخر) أي: بقدْرِ ما نقصَ ساعةً بساعة، ودرجةً بدرجة.

قوله: (كالإنسان والطائر... إلخ) ويصحُّ أن يُرادَ بالحيِّ: المسلم، وبالميت: الكافر.

قوله: (من النطفة والبيضة) لفٌّ ونشرٌ مرتَّب.

قوله: (﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾) أي: ومن غير توقُّف على عمل، وإلا.. فلو توقَّفَ رزقُهُ على عمل منَّا لما أعطانا شيئاً أبداً، بل لم يُبقِ لنا نعمَهُ التي هي مَوجودة فينا؛ كالسمع والبصر والكلام واليدين والرجلين وغير ذلك، فسبحانَ الحليم الذي لا يعجِّلُ بالعقوبة على مَن عصاه!

قوله: (﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) قيل: نزَلت في عبد الله بن أُبي ابن سلول، كان منافقاً يخفي الكفرَ ويحبُّ أهلَهُ ويُواليهم باطناً، وكان بصحبته على هذه الخصلة ثلاثُ مئة، وكانوا يحبُّون ظفرَ الأعداء برسول الله وأصحابه، وإنما كانوا يُظهرون الإسلام فقط، فمعنى الآية: أنَّ من علامة الإيمان عدمَ موالاة أهل الكفر، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١].

أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً

أَوْلِيَآءَ﴾ يُوالُونَهُم ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غيرِ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: يُوالِهِم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دِينِ ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ ـ مَصدَرُ (تَقَيْتُه) ـ أي: تَخافُوا مَخافةً، فلَكُم مُوالاتُهم بِاللِّسانِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَوْلِيَآءَ﴾) أي: أصدقاء، وقوله: (يوالونهم)[1] أي: يحبُّونهم ويَميلون إليهم.

قوله: (﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾) في محلِّ الحال من الفاعل؛ أي: حال كون المؤمنين مُتجاوزين بموالاتهم المؤمنين؛ أي: تاركين قصرَ الولاية عليهم، وذلك التركُ يصدقُ بصُورتين: كونها مشتركةً بين الكفار والمؤمنين، أو مختصَّةً بالكفار، فالصُّورتان داخلتان في منطوق النهي، وإنما الواجبُ على المؤمنين قصر الموالاة والمحبةِ على بعضهم.

قوله: (﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ﴾) الكلامُ على حذف مضاف، قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (دين)، وفيه حذف مضاف أيضاً؛ أي: من أهل دين الله، فالمعنى أنه كافر، وإذا اطَّلعنا عليه فلا نُبقيه بل نَقتله، ويسمَّى زنديقاً ومنافقاً، واسمُ (ليس) ضميرٌ يعودُ على (مَنْ) الشرطيَّة.

قوله: (﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟﴾) هذا استثناءٌ مفرَّغ من عموم الأحوال؛ أي: لا يتخذ المؤمنُ الكافرَ وليًّا لشيء من الأشياء ولا لغرضٍ من الأغراض إلا للتقيَّة ظاهراً؛ بحيث يكون مُواليه في الظاهر، ومُعاديه في الباطن، ومحصلُهُ: أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفَّار ومداهنتِهم إلا أن يكونَ الكفَّارُ غالبين ظاهرين، أو يكونَ المؤمنُ في قوم كفار فيُداهنهم بلسانه مطمئنًّا قلبه بالإيمان، فالتقيةُ لا تكونُ إلا مع الخوف على النفس أو العرض.

قوله: (﴿تُقَىٰةً﴾) وزنُهُ: فُعَلَةٌ، ويجمعُ على تُقًى؛ كـ(رُطَبَة ورُطَب)، وأصلهُ: وُقَيَة؛ لأنه من الوقاية، فأبدلت الواو تاء، والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقوله: (من: تَقَيْته) بفتح القاف بوزن: رَمَيته، وهو بمعنى: اتَّقيته[2].

---

(١) كذا في نسخة المصنف بإثبات النون، قال العلامة الجمل في «فتوحاته» (١/ ٢٥٧): (تفسير للفعل المجزوم، فالصواب حذف النون كما في بعض النسخ، نصَّ على ذلك علي قاري، ويمكن أن يقال: إن التفسير لا يلزم أن يعطى حكم المفسر من كل وجه؛ فإن المدار على توضيح المعنى).

(٢) انظر «الدر المصون» (٣/ ١١٠).

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ ....

دُون القَلب، وهذا قَبلَ عِزَّة الإسلام، ويَجرِي فِيمَن هو في بَلَد ليس قَوِيًّا فِيها، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾: يُخَوِّفُكم ﴿ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أن يَغضَبَ عَلَيكم إن والَيتُموهُم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ، فيُجازِيكم.

﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: قُلُوبِكم مِن مُوالاتِهِم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾: تُظهِرُوهُ، ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومِنهُ تَعذِيبُ من والاهُم.

حاشية الصاوي

قوله: (دون القلب) أي: فالموالاةُ به حرامٌ إجماعاً.

قوله: (وهذا) أي: قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟﴾.

قوله: (ليس قويًّا فيها) أي: الإسلام ليس قويًّا في تلك البلد؛ كأن يجعل أمراء تلك البلد الحكَّام من أهل الكفر، فالواجبُ مداراتُهم ظاهراً حتى يقضيَ الله أمراً كان مفعولاً؛ كما وقعَ لرسول الله ﷺ أنه كان في داره يوماً؛ إذْ أقبلَ عليه رجلٌ فطرق الباب، فقال: «مَن؟»، فقال: فلان، فقال سرًّا: «بئسَ أخو العشيرة»، ثم لمَّا خرج إليه أطلقَ له وجهَهُ وصار يلاطفُهُ بالقول، فلمَّا انصرفَ قالت له عائشة: رأيتُ منك عجباً! سمعتُكَ تقول قولاً، ثم فعلتَ خلافَهُ! فقال: **«يا عائشةُ؛ إنا لنَبَشُّ في وجوه قومٍ وقلوبُنا تَلعنُهم»**[1].

قوله: (﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾) الكافُ: مفعول أول، و﴿نَفْسَهُۥ﴾: مفعول ثانٍ، وهو على حذف مضاف، أشارَ له المفسِّرُ بقوله: (أن يغضب عليكم)، والأصلُ: غضبَ نفسِهِ؛ أي: فإن والَيتموهم غضبَ اللهُ بجلالِهِ عليكم[2].

قوله: (فيجازيكم) أي: إما بالثواب إن لم تُوالوهم، أو بالعقاب إن والَيتموهم.

قوله: (﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾) أي: فيرتِّبُ الجزاءَ على ذلك.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٢)، ومسلم (٢٥٩١) بلفظ: «يا عائشة؛ إن شرَّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة من وَدَعَهُ ـ أو تركه ـ الناس اتقاء فحشه»، وروى البيهقي في «الشعب» (٧٧٤٩) وعلَّقه البخاري عن أبي الدرداء ﷺ: (إنا لنكشر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم).

(٢) في (أ): (غضبُ اللهِ يحلُّ عليكم) بدل (غضبَ اللهُ...).

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ....

﴿٣٠﴾ اذكُـــرْ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾هُ ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾هُ ﴿مِن سُوٓءٍ﴾ ـ مُبتدأٌ خَبَرُهُ: ـ ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾: غايةٌ في نِهايةِ البُعدِ فلا يَصِلُ إليها، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ ـ كُرِّرَ لِلتَّأكيد ـ ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

﴿٣١﴾ ونَزَلَ لَمَّا قالُوا: (ما نَعبُدُ الأصنامَ إلَّا حُبًّا لِلَّه لِيُقرِّبُونا إلَيه): ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَوْمَ تَجِدُ﴾) ظرف لمحذوف؛ أي: اذكُرْ.

قوله: (﴿مُّحْضَرًا﴾) أي: حاضراً ظاهراً تفرحُ به، وذلك كالصدقات والصيام والصلاة مثلاً.

قوله: (﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾) أي: مسافةً طويلةً، فيتمنَّى أن لم يكن رَآه، وقد وردَ: «أن العبدَ إذا خرجَ من قبره وجدَ عملَهُ الصالحَ في صورة حسَنة، فيقول: طالَما كنت أقلقُكَ في الدنيا، فاركَبْ على ظهري الآن، فيركُبهُ إلى المحشر، وذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، وإذا كان غيرَ صالح وجدَ عمَله السيئَ في صورة قبيحة، فيقول له: طالَما كنت تتمتَّعُ بي في الدنيا، فأنا أركبُكَ الآن، وذلك قوله تعالى: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]»(١).

و﴿لَوْ﴾: شرطيَّة، وفي الكلام حَذفان، أحدهما: حذفُ مفعول ﴿يَوَدُّ﴾، والثاني: حذفُ جوابِ ﴿لَوْ﴾، والتقدير: تودُّ تباعدَ ما بينها وبينه، لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً.. لَسُرَّتْ بذلك.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾) أي: شديدُ الرحمة بهم؛ حيث قطعَ عذرَهم بتَبيين ذلك في زمن يسعُ التوبةَ والرجوع إليه فيه، ومن جملة رأفته كثرةُ التكرار والتأكيد في الكلام لعله يَصلُ إلى قلوب السامعين فيَعملوا بمقتضاه.

قوله: (ونزل لما قالوا... إلخ) وقيل: سببُ نزولها: قولُ اليهود والنصارى: نحن أبناءُ الله وأحباؤه، وقيل: قولُ نصارى نجران: ما عبَدنا عيسى وأمَّهُ إلا محبةً لله، وقيل: سببُ نزولها: أن النبيَّ دخلَ الكعبة فوجد الكفَّارَ يعلِّقون على الأصنام بيضَ النعام ويُزخرفونها، فقال لهم: «ما هذه ملَّةَ إبراهيم التي تدَّعونها»، فقالوا: ما نعبدُهم إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلفى(٢).

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢٧) عن عمرو بن قيس العلائي، وضمن خبر طويل رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٠٤٦) عن كعب.

(٢) كذا في «زاد المسير» (١/ ٢٣٧)، وروى الأخير البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٢٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ . . . . . .

﴿قُلْ﴾ لَهُم يا مُحمَّد: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ بِمعنَى: أنَّه يُثِيبكُم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِمَن اتَّبَعَني ما سَلَفَ مِنه قَبل ذلكَ، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد) أي: ردًّا لمقالتهم.

قوله: (﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾) أي: في جميع ما جِئت به، والمعنى: أن اتباعَ النبيِّ فيما جاء به دليلٌ على محبَّةِ الإنسان لربِّه، وهي: ميلُ القلب نحوه، وإيثارُ طاعته على هوى نفسه، فيلزمُ من المحبة الطاعة، قال بعض العارفين: [الكامل]

لَوْ قالَ تِيهاً: قِفْ عَلَى جَمْرِ الغَضا ... لَوَقَفْتُ مُمْتَثِلاً وَلَمْ أَتَوَقَّفِ[1]

وقال بعضهم: [الكامل]

تَعْصِي الإِلَهَ وأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذا لَعَمْرِي فِي الفِعالِ بَدِيعُ
لَوْ كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطَعْتَهُ ... إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ[2]

فمن ادَّعى المحبةَ من غير طاعة.. فدَعواه باطلةٌ لا تقبل.

قوله: (بمعنى: أنه يُثيبكم) أشارَ بذلك إلى أن معنى المحبة الأصليَّ محالٌ في حقِّهِ تعالى، أو أن المرادَ بمحبة الله للعبد: قبولُهُ والإثابةُ على أعماله.

قوله: (﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾) أي: يَمحوها من الصحف، فالمحبوبُ لا يبقى عليه ذنبٌ، والمبغوضُ لا تبقى له طاعة، قال بعض العارفين: (واجعلْ سيِّئاتنا سيئاتِ مَنْ أحبَبت، ولا تجعَلْ حسناتِنا حسناتِ مَنْ أبغَضت، فالإحسانُ لا ينفعُ مع البغض منك، والإساءةُ لا تضرُّ مع الحبِّ منك)[3].

قوله: (﴿رَّحِيمٌ﴾ به) أي: في الدنيا والآخرة.

---

(١) هو لسلطان العاشقين ابن الفارض رحمه الله تعالى، انظر «ديوانه» (ص١٥٣).

(٢) هما لمحمود الورَّاق، انظر «ديوانه» (ص٢٢٧)، ونُسبا أيضاً للشافعي في «ديوانه» (ص٩١)، ولابن المبارك كما في «تاريخ دمشق» (٤٦٩/٣٢)، وذكر ابن عساكر أيضاً: أن السيدة رابعة العدوية كانت تُنشدهما. وقوله: (في الفعال) كذا في الأصول، وفي الدوواين والمراجع: (في القياس).

(٣) قطعة من دعاء العارف بالله أبي الحسن الشاذلي المشهور بـ«الحزب الكبير».

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ ....

﴿٣٢﴾ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فِيما يَأْمُرُكُم بِه مِن التَّوحِيد، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرَضُوا عَن الطَّاعةِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ - فِيهِ إقامةُ الظَّاهِر مُقامَ المُضمَر - أي: لا يُحِبُّهُم بِمعنَى أنَّهُ يُعاقِبُهم.

﴿٣٣﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: اختارَ ﴿ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (من التوحيد) أي: وغيرِهِ من شرائع الدين.

قوله: (أعرضوا عن الطاعة) أي: فلمْ يَتبعوك فيما أمرت به.

قوله: (فيه إقامة الظاهر) أي: تبكيتاً لهم.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾) قال ابنُ عباس: قالت اليهود: نحن من أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ونحن على دينهم، فأنزلَ تعالى هذه الآية، والمعنى: أن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام والنبوة والرسالة، وأنتم يا معشرَ اليهود على غير دِينهم[١]. وعاشَ آدمُ في الأرض تسعَ مئة وستين سنة، وأما مدَّةُ إقامته في الجنة.. فلا تُحسب.

قوله: (﴿وَنُوحًا﴾) هذا لقبه، واسمه الأصلي: عبدُ الغفَّار، وقيل: السَّكَن، ولقب بنوح لِكثرة نوحه، وهو من نسل إدريسَ؛ لأنه بن لمك بن متوشلخ بن إدريس عليهم الصلاة والسلام، وعُمِّرَ ألفَ سنة وخمسين[٢]، والمعنى: اختاره بالنبوة والرسالة، وجعلَهُ من أُولي العزم.

قوله: (﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾) أي: اصطفاه بِالنبوة والرسالة والخلَّة، وعُمِّرَ إبراهيمُ مئةً وسبعين سنة.

قوله: (﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾) قيل: المرادُ: عمرانُ أبو مريم، وهو الأقربُ، وقيل: أبو موسى وهارون[٣]، وبين العمرانين ألفٌ وثمان مئة سنة.

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٤٣١).

(٢) انظر «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٠)، وسُمِّي السكن لأن الناس سكنوا إليه بعد آدم، عليهما السلام، وفيه: (لامك) بدل (لمك).

(٣) انظر «زاد المسير» (١/ ٢٧٤)، القول الأول قاله الحسن ووهب، والثاني قاله مقاتل.

عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۢ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ ....

بِمعنَى: أنفُسَهما ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بِجَعلِ الأنبياءِ مِن نَسلِهِم.

﴿٣٤﴾ ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ﴾ وَلَدِ ﴿بَعْضٍۢ﴾ مِنهُم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

﴿٣٥﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ حَنَّةُ لَمَّا أَسَنَّت واشتاقَت لِلوَلَدِ، فدَعَت الله وأحَسَّت بِالحَملِ: يا ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ﴾ أنْ أجعَلَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى: أنفسهما) وقيل: إنهما حقيقة، فآلُ إبراهيم: أولادُهُ، وآلُ عمران أبو مريم[1]: مريمُ وابنُها، وأبو موسى: موسى وهارونُ.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: عالمي زمانهم.

قوله: (﴿ذُرِّيَّةَۢ﴾) بدلٌ من ﴿ءَادَمَ﴾ وما عُطف عليه، وهي إمَّا مأخوذةٌ من: الذرِّ؛ أو من: الذرْءِ بمعنى: الخَلق[2].

قوله: (﴿بَعْضُهَا مِنۢ﴾ ولد ﴿بَعْضٍۢ﴾) أي: مُتناسلين من بعض، فالمرادُ: البعضيَّةُ في النسب. وقيل: المرادُ: بعضُها من بعض في الصلاح والنبوة والرسالة، فكما أن الأصولَ أنبياءُ ورسلٌ كذلك الذريَّة، بل في بعضها ما يفوقُ الأصولَ جميعَها؛ كسيدنا محمَّد ﷺ.

قوله: (﴿إِذْ قَالَتِ﴾) ظرفٌ في محلِّ نصب على المفعولية لمحذوف، قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (اذكر)، والتقدير: اذكر يا محمدُ وقتَ قولِ امرأة عمران، والمقصودُ: ذكرُ القصة الواقعة في ذلك الوقت؛ لا ذكرُ الوقت نَفسه.

قوله: (حَنَّة) أي: بنت فاقود، وكان لها أخت تسمى إشاع[3] بنت فاقود، مُتزوجة بزكريا عليه السلام، وكان عِمران من السادات الصالحين، وكان له التكلُّمُ على سدَنةِ بيت المقدس، واسم أبيه ماثان.

قوله: (واشتاقت للولد) سببُ ذلك: أنها كانت يوماً جالسةً في ظلِّ شجرة، فرأت طائراً يطعمُ

---

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (أبي مريم)، وكذا ما بعدها (أبي موسى).

(٢) والذَّرُّ التفريق؛ أي: فرَّقهم في الأرض، أو من الذرء؛ أي: خلقهم فيها.

(٣) كذا في النسخ و«الفتوحات» (١/ ٢٦٢)، وفي جُلِّ التفاسير: (إيشاع) بياء بعد الهمزة.

لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ....

﴿لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾: عَتِيقاً خالِصاً مِن شَواغِلِ الدُّنيا لِخِدمَةِ بَيتِك المُقَدَّس، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لِلدُّعاءِ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بِالنِّيَّاتِ، وهَلَكَ عِمرانُ وهيَ حامِل.

﴿٣٦﴾ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ وَلَدَتها جارِيةً ـ وكانَت تَرجُو أن يَكُونَ غُلاماً؛ إذ لَم يَكُن يُحَرَّر إلَّا الغِلمانُ ـ ﴿قَالَتْ﴾ مُعتَذِرةً: يا ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي: عالِمٌ ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ ـ جُملةُ اعتِراض مِن كَلامه تَعالى، ....

حاشية الصاوي

فرخَه ويَسقيه، فعطفت واشتاقت للولد من أجل رؤية ذلك الطائر، فدعَت اللهَ أن يرزقَها ولداً، ونذرت أن تهبَهُ لبيت المقدس يَخدمه، وكان ما من رجلٍ من أشراف بيت المقدس إلا وله ولدٌ مَنذور لخدمته، فاستجابَ الله دعاءَها، فحمَلت، فلما أحسَّتْ بالحمل جدَّدت النذرَ ثانياً بقولها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]، فلامها زوجُها على ذلك حيث أطلقت في نذرها ولم تُقيِّدْهُ بالذَّكر، فبقيت في حيرة وكرب إلى أن وضعت، فلمَّا وضعتها ورأتها أنثى.. اعتَذرت إلى الله إلى آخِر ما يأتي.

قوله: (عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا) أي: وكانوا يفعلون ذلك بالصبيان إلى أن يَبلغوا الحلم، فإذا بَلغوا عرضوا ذلك الأمرَ عليهم، فإن اختاروا الخدمةَ مكثوا وكلِّفوا بها، ولا يخرجون لشيء من شَواغل الدنيا، وإن اختاروا عدمَ الخِدمة أُجيبوا لذلك.

قوله: (وهلك عمران وهي حامل) أي: وحينَ نذرت ذلك النذرَ لامَها فكربت، ثم لما وضعتها... إلخ، فهو مرتَّبٌ على محذوف.

قوله: (جارية) حال من الهاء في ﴿وَضَعَتْهَا﴾.

قوله: (﴿قَالَتْ﴾ معتذرة) حالٌ من فاعل ﴿قَالَتْ﴾، لا إعلاماً له تعالى؛ فإنه لا يليقُ ذلك؛ فإنه عالمٌ بها من قبل أن تَعلمَ بها هي.

قوله: (﴿أُنثَىٰ﴾) حالٌ من الضمير في ﴿وَضَعْتُهَآ﴾ مؤكدةٌ له، ويحتملُ أن تكون مؤسسةً بالنظر لِعَوده على النسمة الشاملة للذكر والأنثى.

قوله: (جملة اعتراض) أي: بين كلامي حَنَّةَ تفخيماً وتعظيماً لشأن ذلك المولود.

وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾

وفي قِراءة: بِضَمِّ التَّاء - ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الَّذي طَلَبَتْ ﴿كَٱلْأُنثَىٰ﴾ التي وُهِبَت؛ لِأَنَّهُ يُقصَد لِلخِدمةِ وهيَ لا تَصلُحُ؛ لِضَعفِها وعَورَتها، وما يَعتَريها مِن الحَيض ونَحوِه، ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أولادَها ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: المَطرُودِ، في الحَديث: «**ما مِن مَولُود يُولَد إلَّا مَسَّهُ الشَّيطانُ حينَ يُولَد، فيَستَهِلُّ صارِخاً، إلَّا مَريَمَ وابنَها**». رواهُ الشَّيخانِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعيَّة.

قوله: (بضم التاء) أي: ويكونُ ذلك من كلامها اعتذاراً[١].

قوله: (﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾) يحتمل أن يكون ذلك من كلام الله، والمعنى: ليس الذكر الذي طلبتِيه كالأنثى التي أعطيتُها لك؛ فإنَّ ما وهبتُهُ لك أعظمُ مما طلبتِيه أنتِ لنفسك[٢]، فالقصدُ: تفخيمُ شأنها، ويحتمل أن يكون من كلام حَنَّة، ويكون في الكلام قلْبٌ، والمعنى: ليس الأنثى التي وهبتَ لي كالذَّكر الذي طلبتُهُ، فالذكرُ أعظمُ من حيث قوَّتُهُ على الخدمة، وخُلوِّه من القذارة كالحيض والنفاس، فيكون اعتذاراً واقعاً منها.

قوله: (ونحوه) أي: كالنِّفاس.

قوله: (﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا﴾) معطوفٌ على ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾، ويكون ما بينهما اعتراضاً على أنه من كلام الله، وأما على أنه مِن كلامها.. فيكون من جملة مَقولها.

قوله: (﴿مَرْيَمَ﴾) معناه بلغتهم: العابدةُ خادمة الربِّ.

قوله: (﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا﴾) أي: أُحصِّنها وأُجِيرها.

قوله: (أولادها) أي: ولم تلد إلا عيسى.

قوله: (﴿ٱلرَّجِيمِ﴾) فعيل بمعنى مفعول؛ أي: مطرودٌ كما قاله المفسِّر، أو مَرجومٌ بالشهب من السماء.

قوله: (إلا مسَّه الشيطان) أي: نخسَهُ في جنبه[٣]، وظاهرُهُ حتى الأنبياء، وهو كذلك.

---

(١) وهي قراءة ابن عامر وشعبة. انظر «الدر المصون» (٣/ ١٣٥).

(٢) كذا في الأصول (طلبتيه) بإثبات الياء في الموضعين، ولعله أشبع الكسرة.

(٣) رواه البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ....

﴿٣٧﴾ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قَبِلَ مَريَمَ مِن أُمِّها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: أنشَأها بِخَلْقٍ حسَنٍ، فكانَت تَنبُت في اليَوم كما يَنبُت المَولُودُ في العام، وأتَت بِها أُمُّها الأحبارَ سَدَنةَ بَيت المَقدِس فقالَت: دُونَكُم هَذِه النَّذِيرةَ، فتَنافَسُوا فِيها لِأنَّها بِنتُ إمامِهم، فقال زَكَرِيَّا: أنا أحقُّ بِها ....

حاشية الصاوي

إن قلتَ: إن الأنبياءَ مَعصومون من الشيطان، فلا سبيلَ له عليهم ؟

أجيبَ: بأنهم معصومُون من وَسوسته وإغوائه، لا من نخسِهِ في أجسامهم؛ فإنَّ ذلك لا يقدحُ في عِصمتهم منه.

إن قلتَ: إن موضوعَ الآية أن دعوةَ أمِّ مريم كانت بعد وضعها وتسميتها، فلم تنفَعْ مريم من نخسِ الشيطان، وإنما نفعت ولدَها فقط، فلم تحصُلْ مطابقة بين الآية والحديث! **إلا أن يقالَ**: إن حفظَهما من نخسِ الشيطان كان واقعاً وإن لم تدعُ حَنَّةُ، فدَعوتها طابقت ما أرادَهُ الله بهما، ومع ذلك فالمناسبُ للمفسِّر ألا يأتيَ بالحديث تفسيراً للآية، وقد ورَد: أن الشيطان نخسَهما أيضاً، إلا أنه صادف الغِشاء[1].

قوله: (﴿فَتَقَبَّلَهَا﴾) أي: رضيَ بها خادمةً لبيت المقدس، وخلَّصَها من دنَس الأطفال والنساء.

قوله: (﴿بِقَبُولٍ﴾) يحتملُ أن الباء زائدة؛ أي: قبولاً، ويكون منصوباً على المصدر، والمحذوفُ الزوائد، وإلا لقيل: تقبُّلاً أو تقبيلاً، ويحتمل أنها أصلية، والمرادُ بالقبول: اسمٌ لما يقبلُ به الشيء؛ كالوجور والسَّعوط.

قوله: (كما ينبت المولود في العام) أي: في العَقل والمعرفة، وإلا.. فالكلامُ من قَبيل المبالغة.

قوله: (سدنة بيت المقدس) أي: خَدَمتِهِ.

قوله: (هذه النذيرة) أي: المنذُورة.

قوله: (لأنها بنتُ إمامِهم) أي: رئيسهم وأميرهم.

---

(١) فقد روى البخاري (٣٢٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم، ذهب يَطعن فطعن في الحجاب».

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ....

لِأنَّ خالَتها عِندِي، فقالُوا: لا، حتَّى نَقتَرِعَ، فانطَلَقُوا وهُم تِسعَةٌ وعِشرُونَ إلى نَهر الأُردُنِّ، وألقَوا أقلامَهم على أنَّ مَن ثَبتَ قَلَمُه في الماء وصَعِدَ فهو أولَى بِها، فثَبَتَ قَلَم زَكرِيَّا، فأخَذَها وبَنَى لَها غُرفةً في المَسجِد بِسُلَّمٍ لا يَصعَد إلَيها غَيرُه، وكانَ يَأتِيها بِأكلِها وشُربِها ودُهنِها، فيَجِدُ عِندها فاكِهةَ الصَّيف في الشِّتاء، وفاكِهةَ الشِّتاء في الصيف، كما قال تَعالى. ﴿وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّاءُ﴾: ضَمَّها إلَيه، ـ وفي قِراءة بِالتَّشدِيدِ ونَصبِ ﴿زَكَرِيَّا﴾ مَمدُوداً ومَقصُوراً، والفاعِلُ الله ـ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاءُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (لأن خالتها عندي) ورَد: أنهم قالوا: لو كانت القرابةُ مقتضيةً لأَخْذِها.. لكانت أُمُّها أولى.

قوله: (إلى نهر الأردن) أي: وهو نهرٌ يجري إلى الآن.

قوله: (وألقَوا أقلامهم) قيل: سِهامهم، وقيل: التي كانوا يكتبون بها التوراة، وقيل: أقلام من حديد.

قوله: (وصعد) أي: على وجه الماء، ومن غرقَ قلمُهُ أو ذهب مع الماء.. فلا حقَّ له فيها[١].

قوله: (بأُكُلها) بضم الهمزة فيه وفيما بعده؛ بمعنى: الشيء المأكول والمشروب والذي يدَّهنُ به.

قوله: (ممدوداً ومقصوراً) راجع لقراءة التشديد لا غير، وأما التخفيف فليس فيه إلا المدُّ مع رفعه على الفاعليَّة[٢].

قوله: (والفاعل الله) أي: بالنسبة للتشديد.

قوله: (﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾) أي: في أيِّ وقت دخل عليها فيه وَجد... إلخ. و(زكريا) بالمدِّ والقصر، قراءتان سبعيَّتان[٣].

---

(١) الخبر رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٨٦)، وعلَّق بعضه البخاري (باب القرعة في المشكلات) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (١/ ٢١١).

(٣) المصدر السابق.

ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ ....

﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾: الغُرفةَ وهيَ أشرَفُ المَجالِس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾: مِن أينَ ﴿لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ﴾ - وهي صَغيرةٌ -: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يأتِيني بِه مِن الجَنَّة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رِزقاً واسِعاً بِلا تَبِعة.

﴿٣٨﴾ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: لَمَّا رَأى زَكرِيَّا ذلك، وعَلِمَ أنَّ القادِرَ على الإتيانِ بِالشَّيءِ في غَيرِ حِينه قادِرٌ على الإتيان بِالوَلِدِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلْمِحْرَابَ﴾) هو اسمٌ لكلِّ محلٍّ من محالِّ العبادة، فسُمِّيت الغرفةُ بذلك؛ لأنها في المسجد، وهو محلُّ العبادة.

قوله: (﴿وَجَدَ عِندَهَا﴾) حال من ﴿زَكَرِيَّا﴾، التقديرُ: قائلاً كلَّما دخل عليها زكريا المحرابَ حالَ كونه واجداً عندها رزقاً: يا مريمُ... إلخ، و﴿رِزْقًا﴾: مفعولٌ لقوله: ﴿وَجَدَ﴾، و(وَجد) بمعنى: أصاب.

قوله: (وهي صغيرة) أي: فهي من جملة مَنْ تكلَّمَ في المهد.

قوله: (بلا تبعة) أي: حقٍّ عليه، فليس إعطاؤه الرزقَ لحقِّ العباد عليه، بل هو من محضِ فَضله وجُوده.

قوله: (﴿هُنَالِكَ﴾) أصلها ظرفُ مكان، لكن استعملت هنا ظرفَ زمان، ويحتمل أن تكون ظرفَ مكان معنوي، والمعنى: عند تلك الواقعة دعا زكريا... إلخ، وهو كلامٌ مستأنف، وقصَّةٌ مستقلَّة سيقت أثناءَ قصة مريم لما بينهما من قوَّة الارتباط؛ لأنَّ فضلَ بعض الأقارب يدلُّ على فضل الآخر، وهو حِكمة قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾.

قوله: (لما رأى ذلك زكريا) أي: ما تقدَّمَ من قصَّة حَنَّة، حيث دعت اللهَ أن يرزقها بولد مع يأسِها، فأجابها الله مع كونها لم تكن نبيَّةً وأعطاها مريمَ، وجعلها أفضلَ من الذكور، وصار يأتيها رزقُها من الجنة، وأكرمها إكراماً عظيماً، فكان ذلك الأمرُ العجيب باعثاً له على طلب الولد.

قوله: (وعلم) أي: تنبَّهَ واستحضرَ عند مشاهدة تلك الخَوارق للعادة، على حدِّ: ﴿وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فشهودُ الكرامات يَزيد في اليقين، والكاملُ يقبل الكامل.

دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ....

على الكِبَر - وكانَ أهلُ بيتِه انقرَضُوا - ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ لَمَّا دَخَلَ المِحرابَ لِلصَّلاةِ جَوفَ اللَّيل؛ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: مِن عِندِكَ ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: ولَداً صالِحاً؛ ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾: مُجِيبُ ﴿ٱلدُّعَآءِ﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جِبرِيلُ ﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المَسجِدِ ﴿أَنَّ﴾ أي: بِأَنَّ، - وفي قراءةٍ بالكسر بِتَقدِيرِ القَول - ....

حاشية الصاوي

قوله: (على الكبر) أي: منه ومِن زوجته، قيل: كان وقتَ الدعاء عمرُهُ ثمانون سنة، وعمرُها ثمان وخمسون[1]، وبين الدعاء والإجابة أربَعون سنة[2].

قوله: (وكان أهل بيته) أي: أقاربه.

قوله: (لما دخل المحراب) أي: المسجد.

قوله: (﴿ذُرِّيَّةً﴾) الذرية تُطلق على المفرد والجمع؛ فلِذا قال المفسِّرُ: (ولداً صالحاً).

قوله: (﴿إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾) ليس المراد به الاسمَ، بل المرادُ به: المجيب؛ أي: سميعٌ سماعَ إجابة كما قال المفسِّر.

قوله: (﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) أي: بعد مضيِّ أربعين سَنة من دعوته.

قوله: (أي: جبريل) أي: فهو من تسمية الخاصِّ باسم العامِّ تعظيماً له.

قوله: (﴿وَهُوَ قَآئِمٌ﴾) جملة حالية من الهاء في (نادته)، وجملة ﴿يُصَلِّي﴾ إما خبر ثانٍ، أو حال ثانية، أو صفة لـ﴿قَآئِمٌ﴾، وقوله: (﴿فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾) متعلِّقٌ بـ﴿يُصَلِّي﴾ أو بـ﴿قَآئِمٌ﴾.

قوله: (أي: بأن) أي: فهو بدل من (نادَته).

قوله: (بتقدير القول) أي: استئناف، تقديره: قائلين: إن الله يبشرك... إلخ.

---

(١) اسمُ (كان) ضمير عائد على زكريا، وخبرها جملة، وفي (ط١) اسمها: عمرُه وما عُطف عليه.

(٢) «تفسير القرطبي» (٤/ ٧٩).

ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ....

﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ ـ مُثَقَّلاً ومُخفَّفاً ـ ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنةٍ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بِعِيسَى أنَّهُ رُوح الله، وسُمِّيَ كَلِمة لِأنَّهُ خُلِقَ بِكَلمةِ (كُن)، ﴿وَسَيِّدًا﴾: مَتبُوعاً، ﴿وَحَصُورًا﴾: مَمنُوعاً مِن النِّساء، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، رُوِيَ أنَّهُ لم يَعمَلْ خَطِيئةً ولم يَهُمَّ بِها.

حاشية الصاوي

قوله: (مثقلاً ومخففاً) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان مع فتح همزة (إن) وكسرها، فهما أربع، فالمثقَّل بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين المشدَّدة، والمخفَّف بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين المخففة[1].

قوله: (﴿بِيَحْيَىٰ﴾) قيل: إنه منقول من الفعل، فيكون ممنوعاً من الصرف للعَلمية ووزن الفعل، ويكون عربيًّا، وسُمِّيَ بذلك لأنه يُحيي القلوب الميتة، وقيل: أعجمي، فيكون ممنوعاً من الصرف لِلعَلمية والعجمة، ويجمعُ في حالة الرفع على: يَحيَون، وفي حالة النصب على: يَحيَين، وتثنيته في حالة الرفع: يَحيان، وفي النصب والجر: يحيَيْن.

قوله: (﴿مُصَدِّقًۢا﴾) هو وما بعده أحوالٌ من (يحيى).

قوله: (أنه روح الله) أي: سرٌّ نشأ من الله.

قوله: (لأنه خلقه بكلمة كن) وقيل: لأنه الكلمةُ التي قالها الله، وهي ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، وقيل: لأنه الكلمة التي قالها اللهُ لجبريل حيث أمرَهُ بالنفخ في جَيبها.

قوله: (متبوعاً) أي: إماماً يقتدى به، حتى قيل: إنه أُعطي النبوةَ من حين الولادة.

قوله: (ممنوعاً من النساء) أي: اختياراً؛ لِشغله بربِّهِ، وهذا هو المراد بالحَصور هنا، فمعناه: الممنوعُ من النساء مطلقاً؛ سواءٌ كان اضطراراً أو اختياراً.

قوله: (﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) أي: من كِبار المرسلين القائمين بحقوقك وحُقوقِ عبادك[2].

قوله: (روي: أنه لم يعمل خطيئة... إلخ) هذا لا يخصُّهُ، بل كذلك غيرُهُ من الأنبياء.

---

(١) قرأ نافع وحمزة وابن عامر بكسر همزة (إن)، والباقون بفتحها، وقرأ حمزة والكسائي: (يَبْشُرُك)، والباقون: (يُبَشِّرُك) بالتشديد. انظر «الدر المصون» (٣/ ١٥٢)، و«السراج المنير» (١/ ٢١٢).

(٢) والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بُد منه في منصب النبوة. «الفتوحات» (١/ ٢٦٨).

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ....

﴿٤٠﴾ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كَيفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾: ولَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: بَلَغتُ نِهايةَ السِّنِّ مِائةً وعِشرينَ سَنةً، ﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ بَلَغَت ثَمانِيةً وتِسعِينَ سَنة؟ ﴿قَالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِن خَلقِ اللهِ غُلاماً مِنكُما ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ لا يُعجِزُهُ عَنه شَيء، ولِإظهارِ هَذِه القُدرة العَظِيمة ألهَمَهُ السُّؤالَ لِيُجابَ بِها.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَنَّىٰ يَكُونُ﴾) تستعمل (أنَّى) شرطيةً كقول الشاعر: [الطويل]

فَأَصْبَحَت أَنَّى تَأْتِها تَسْتَجِرْ بِها ... تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وَناراً تَأَجَّجَا

وتستعملُ اسمَ استفهام كما هنا؛ فلِذا فسَّرَها بـ(كيف)، فالاستفهامُ عن أحوالِ الغلام لا عن ذاته، و﴿يَكُونُ﴾: ناقصة، و﴿غُلَٰمٌ﴾: اسمها، وخبرها: ﴿أَنَّىٰ﴾، التقدير: ربِّ؛ يكون لي غلام على أيِّ حالة؟

قوله: (﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾) هنا أسند البلوغَ للكبر، وفيما يأتي في سورة (مريم) أسنَده لنفسه، وكلاهما صحيح؛ لأنَّ البلوغَ من الطرفين، والجملةُ حاليَّة، وكذا ما بعدها.

قوله: (**أي: بلغت نهاية السن**) أي: بالنسبة لأهل زَماني؛ فلا ينافي أن المتقدِّمين كان الواحد منهم يُعمَّرُ الألف.

قوله: (﴿كَذَٰلِكَ﴾) خبر لمحذوف قدَّرَهُ بقوله: (الأمر)، وقوله: (**من خلق غلام**) بيانٌ لمرجع اسم الإشارة، والكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يحتملُ أن تكون صِلة، والمعنى: قال الله: الأمرُ ذلك، واسم الإشارة راجعٌ إلى خَلق الولد، ويحتملُ أن تكون أصليَّة، والمعنى: قال الله: الأمر كذلك؛ أي: كما قلتُ لا تغييرَ فيه ولا تَبديل، فاسمُ الإشارة راجعٌ إلى القول.

قوله: (**ألهمه السؤال**) أي: بقوله: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾.

قوله: (**ليجاب بها**) علةٌ للإلهام، وقوله: (**لإظهار**) علةٌ لقوله: (لِيُجاب)، فهو علةٌ مقدَّمةٌ على مَعلولها.

إن قلتَ: ما الحكمةُ في قوله في قصة زكريا: ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾، وفي قصة مريم: ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾؟

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ....

﴿٤١﴾ ولَمَّا تاقَت نَفسُه إلى سُرعة المُبَشَّر به ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ﴾ أي: عَلامةً على حَملِ امرأتي، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليهِ ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تَمتَنِعَ مِن كَلامهم بِخِلافِ ذِكر الله تَعالى، ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: بِلَيالِيها، ﴿إِلَّا رَمْزًاۗ﴾: إشارةً، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾: صَلِّ ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: أواخِرِ النَّهار وأوائِله.

حاشية الصاوي

قلتُ: الحكمةُ: أن خرقَ العادة في عيسى أعظمُ من يحيى؛ فإنَّ عيسى لم يكُنْ له أبٌ مع كون أمِّه عذراءَ، وأما يحيى فأبواه مَوجودان وإن كان هناك مانعٌ من الحمل، فعبَّرَ في جانب عيسى بالخلق الذي هو إنشاءٌ واختراع دونَ الفعل.

قوله: (ولما تاقت نفسه) أي: اشتاقَت.

قوله: (﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ﴾) أي: لأزدادَ بها شكراً على ما أعطيتَني وسروراً به.

قوله: (علامة على حمل امرأتي) أي: فإن الحملَ في مبدئِهِ خفيٌّ، فطلبَ علامةً على ظهور عُلوقه بها.

قوله: (﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾) أي: يأتيك مانعٌ من الله يمنعُكَ من الكلام بغير ذكر الله.

قوله: (أي: بلياليها) أخذَ ذلك ممَّا يأتي في سورة (مريم) جمعاً بين الموضعين والقصَّتين، ومن ذلك اختارَ بعضُ أكابر الصوفية: أن الخلوةَ مع الرياضة لبُلوغ المراد ثلاثة أيام بلياليها، يجعلُ ذكرَ الله فيها شعارَهُ ودثارَهُ، ولا يتكلَّم فيها.

قوله: (﴿إِلَّا رَمْزًاۗ﴾) استثناءٌ منقطع على التحقيق؛ لأنَّ الرمزَ لا يقال له: كلامٌ اصطلاحاً وإن كان كلاماً لغةً، لكن ليس مراداً هنا.

قوله: (إشارة) أي: وكانت بِسَبابته اليمنى.

قوله: (أواخر النهار) راجعٌ للعشي، وقوله: (أوائله) راجعٌ للإبكار، فهو لفٌّ ونشرٌ مرتَّب، وخصَّ هذين الوقتين؛ لِفرضية الصلاة عليه فيهما.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ ....

﴿٤٢﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جبريلُ: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾: اختارَكِ ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ مِن مَسِيس الرِّجالِ، ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أهلِ زَمانِك.

﴿٤٣﴾ ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾: أَطِيعِيه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) عطفٌ على قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾، والمناسبةُ بينهما ظاهرةٌ؛ فإنَّ تلك قصةُ الأمِّ، وهذه قصةُ البنت، وأما قصةُ زكريا فذُكرت بينهما؛ لأنَّ رؤيةَ العجائب في الأولى هي الحاملةُ لزكريا على طَلب الولد.

قوله: (أي: جبريل) أشارَ بذلك إلى أنه من باب: تسميةِ الخاصِّ باسم العامِّ تعظيماً له.

قوله: (﴿يَٰمَرْيَمُ﴾) الحكمةُ في أن الله لم يذكُرْ في القرآن امرأةً باسمها إلا هي: الإشارةُ بطرفٍ خفيٍّ إلى ردِّ ما قال الكفارُ من أنها زَوجته؛ فإنَّ العظيمَ عليَّ الهمة يأنفُ من ذكر اسم زَوجته بين الناس، فكأنَّ اللهَ يقول: لو كانت زوجةً لي لما صَرَّحت باسمها.

قوله: (من مسيس الرجال) أي: ومن الحيض والنِّفاس وكلِّ قَذر.

قوله: (أي: أهل زمانك) أشارَ بذلك إلى أن ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عامٌّ مخصوص بما عدَا خديجة وفاطمة وعائشة، وهذه طريقةٌ مرجوحة، والحقُّ: أن مريمَ أفضلُ النساء على الإطلاق، ثم فاطمَة، ثم خديجة، ثم عائشة، قال بعضُهم في ذلك: [البسيط]

فُضْلَى النِّسا بِنْتُ عِمْرانَ فَفاطِمَةٌ ... خَدِيجَةٌ ثُمَّ مَنْ قَدْ بَرَّأَ اللهُ[1]

وبالجملة: فأفضلُ النساء خمسةٌ: مريم، وخديجة، وفاطمة، وعائشة، وآسية بنت مُزاحم زوجة فرعون، وهي زوجةُ النبيِّ ﷺ في الجنَّة، وكذلك مريم.

قوله: (﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى﴾) تكرارُ الخطاب باسمها يفيدُ ما قُلناه أولاً من أنه إشارةٌ لردِّ ما قيل: إنها زوجتُه.

---

(١) كذا في «نهاية المحتاج» (٦/ ١٧٩) وقال: (كما أفتى بذلك الوالد).

وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ....

﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: صَلِّي مع المُصَلِّينَ.

﴿٤٤﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُورُ مِن أمر زكريَّا ومَريمَ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبارِ ما غابَ عنك، ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ في الماء يَقترِعُونَ لِيَظهَر لَهُم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾: يُرَبِّي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالَتِها فتَعرِفَ ذلك فتُخبِرَ به، وإنَّما عرَفتَه مِن جِهةِ الوَحيِ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى﴾) قدَّمَ السجودَ لِشرفه، والواو لا تقتضي ترتيباً إن كانت صلاتهم كصلاتنا من تقديم الركوع على السجود، وإن كانت بالعكس.. فالأمرُ ظاهِر.

قوله: (﴿مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾) لم يقُلْ: مع الراكعات؛ إما لِدخول جمع المؤنث في المذكَّر تغليباً، أو المعنى: صلي كصلاة الرجال من حيث الخشيةُ وعلوُّ الهمَّة، لا كصَلاة النساء من حيث التفريطُ وعدمُ الخشية.

قوله: (﴿نُوحِيهِ﴾) أي: المذكور، فالضميرُ عائدٌ على اسم الإشارة لإفرادِه.

قوله: (﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾) أي: وقتَ إلقائِهم أقلامَهم.

قوله: (﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾) هذا بمعنى ما قبله، والمعنى: يَختصمون قبلَ إلقاء الأقلام.

قوله: (فتعرف ذلك... إلخ) مسبَّبٌ عن النفي؛ أي: ما كنتَ حاضراً حتى تعرفَ ذلك وتخبر به، وإنما عرفتَهُ من جهة الوحي لا من جِهة غيره؛ لأنَّ بلَده ليست بلد علم، ولم يجلِسْ بين يدي معلِّم، ولم يقرأْ كتاباً، ولم يكن هو ولا أحدٌ من أجداده حاضراً وقتَ حصول تلك الوقائع، فتعيَّنَ أن يكونَ ذلك بوحي من الله، قال العارف: [البسيط]

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالتَّأْدِيبِ في اليُتُمِ[1]

---

(١) البيت للإمام البوصيري في «بُردته» المشهورة.

إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ....

(٤٥) اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: جبريل: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: وَلَدٍ ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾، خاطَبَها بِنِسبَتِه إليها تَنبيهاً على أَنَّها تَلِدُهُ بِلا أَبٍ؛

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾) قدَّرَ المفسِّرُ (اذكر) إشارةً إلى أن ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ معمُول لمحذوف، وهذا شروع في ذكر قصَّةِ عيسى وما فيها من العجائب.

قوله: (أي: جبريل) أي: فهو من باب: تسمية الخاصِّ باسم العامِّ.

قوله: (﴿يُبَشِّرُكِ﴾) البشارةُ: هي الخبرُ السارُّ، وضدُّها النِّذارةُ؛ وهي الخبرُ الضارُّ.

قوله: (﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾) أي: الله.

قوله: (أي: ولد) أي: مولود، وعبَّرَ عنه بالكلمة؛ لأنه بقَول: (كن) من غير واسِطة مادة.

واتفقَ أن نصرانيًّا قَدمَ على الرشيد، فوجد عنده الحسنَ بن علي الواقدي، فقال النصراني للخليفة والعالم: إنَّ في كلام الله آيةً تدلُّ على أن عيسى ابنُ الله، فقال له: وما تِلك الآية؟ فقال النصراني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾، فـ(مِنْ) للتبعيض، فمُقتضى ذلك أنه جزءٌ منه، فقال الشيخ: إذا كانت (مِنْ) للتبعيض هنا فكذلك هي في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾؛ إذْ لا فرقَ بينهما، فبُهت النصراني وأسلَم، وأغدقَ الخليفةُ على الشيخ إغداقاً كثيراً، وكان يوماً مشهوداً. وإنما (مِنْ) للابتداء؛ على حدِّ: «إن اللهَ خلقَ نورَ نبيِّكَ من نُوره»[1]، والمعنى: خلقَهُ بلا واسطةِ مادة. واعلَم أن تلك البشارة تضمَّنت خمسةَ عشرَ وصفاً.

قوله: (﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾) ظاهرُهُ: أنَّ هذه الأشياءَ كلَّها اسمٌ واحد له، مع أن المسيحَ لقبٌ، وابن مريم كنيتُهُ، وإنما الاسمُ عيسى فقط، ويجابُ: بأنه لما كان لا يتميَّزُ إلا بهذه الأشياء كلِّها جُعلت اسماً واحداً.

والمسيح: فَعيل إما بمعنى: فاعل؛ لأنه ما مسحَ على ذي عاهة إلا بَرِئ، أو لأنه كان يمسح الأرضَ في الزمن القليل لهداية الخلق، أو مفعول؛ لأنه ممسوحٌ بالبركة، أو ممسوحُ القدم بمعنى: أنها لا أخمصَ لها، وأما الدجَّال فيلقَّبُ بالمسيح؛ إما لأنه يَمسحُ الأرضَ في الزمن القليل لإضلال

---

(١) قال العلامة الحرضي في «بهجة المحافل» (١/ ١٥): (أخرجه عبد الرزاق في «مُسنده» بسند مستقيم من حديث جابر)، وانظر «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٤٥٣) في توجيه خلاف أول مخلوق لله تعالى.

وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ....

إذ عادةُ الرِّجال نِسبَتُهم إلى آبائِهم، ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاهٍ ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بِالنُّبُوَّة، ﴿وَٱلْأَخِرَةِ﴾ بِالشَّفاعةِ والدَّرجات العُلا، ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عِندَ الله.

﴿٤٦﴾ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ أي: طِفلاً قَبلَ وقتِ الكَلامِ، ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

حاشية الصاوي

الناس، أو لأنه ممسوحُ العينِ، فهو من تسميةِ الأضداد، ومن الأسماء المشتركة، وعيسى من العيس، وهو البياضُ المشرب بحُمرة؛ لأن لَونَه كان كذلك.

قوله: (إذ عادة الرجال) أي: والنساء.

قوله: (﴿وَجِيهًا﴾) حالٌ من ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾.

قوله: (ذا جاه) أي: عزٍّ وسُؤْدَدٍ.

قوله: (بالنبوة) أي: والمعجزات الباهرة، والحكمةِ التي لا تضاهى.

قوله: (والدرجات العلا) أي: من حيث إنه من أُولي العزم.

قوله: (عند الله) عِندية مكانة لا مكان؛ أي: قُرب ومنزلة.

قوله: (﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾) أي: زمنه، والمهدُ: فراشُ الصبي زمن طُفوليَّته، وورد: أنه تكلَّمَ حين ولادته كما قصَّ اللهُ في سورة (مريم).

قوله: (قبل وقت الكلام) أي: وانقطعَ إلى وقته المعتاد، وكان يحدِّثُ أمَّهُ وهو في بَطنها، فإذا اشتغلت أمُّه بكلام إنسان اشتغلَ هو بالتسبيح[1].

قوله: (﴿وَكَهْلًا﴾) أي: بين الثلاثين والأربعين، والمقصودُ: بشارةُ أمِّه بطُول عمره، لا كونُ كلامه حينئذٍ خرقَ عادة.

قوله: (﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾) أي: الكامِلين في الصلاح، وهم سادات الرسل، فـ(أل) في ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ للكمال.

---

(١) كذا روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٠٧٤) عن مجاهد، وقوله: (انقطع) أي: الام.

قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ....

﴿٤٧﴾ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بِتزوُّجٍ ولا غيرِه؟ ﴿قَالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذَٰلِكِ﴾ مِن خَلقِ وَلَدٍ مِنكِ بِلا أبٍ، ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أرادَ خَلقَه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يَكُون.

﴿٤٨﴾ ﴿وَنُعَلِّمُهُ﴾ ـ بِالنُّونِ والياء ـ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: الخَطَّ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بتزوج ولا غيره) أي: كالزنا، وقد صرَّحَ به في سورة (مريم) بقوله: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠]، وهذا استفهامٌ عن الحالة التي يَأتي عليها ذلك الولد، وإنما استفهمَتْ عن ذلك؛ لأنها جازمة أنها مَنذورة لخدمة بيت المقدس وأنها مقبولة، وكانَت عادتهم أن المنذور لا يتزوَّج، فهذا هو حكمةُ استِعظامها ذلك.

قوله: (﴿كَذَٰلِكِ﴾) خبرٌ لمحذوف، قدَّره المفسِّرُ بقوله: (الأمر)، والكاف يُحتمل زيادتها، والأصلُ الأمرُ ذلك، ويحتمل أصالتُها وقد تقدَّم ذلك.

قوله: (﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾) القضاءُ: هو تعلُّقُ إرادة الله بالأشياء أزلاً.

قوله: (أراد خلقه) أي: تعلَّقت إرادتُهُ بخَلقه تعلُّقاً تنجيزيًّا قديماً.

قوله: (أي: فهو ﴿يَكُونُ﴾) أشارَ بذلك إلى أن جملة ﴿يَكُونُ﴾ خبرٌ لمحذوف.

قوله: (بالنون والياء) أي: قراءتان سبعيَّتان[1]، فعلى الياء الأمرُ ظاهرٌ، وعلى النون فهو التفاتٌ من الغيبة للخطاب.

قوله: (الخطَّ) وردَ: أنه كان حسنَ الخطِّ جدًّا، وكان يعلِّمُهُ للصغار في المكتب.

قوله: (﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾) أي: النبوة.

قوله: (﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ﴾) إن قلتَ: إنها كتابُ موسى! أجيبَ: بأنه كان يحفظُها ويتعبَّدُ بها إلا ما نُسِخَ منها في الإنجيل.

---

(١) قرأ نافع وعاصم بالياء، والباقون بنون المتكلم. انظر «الدر المصون» (٣/ ١٨٢).

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ....

(٤٩) ﴿وَ﴾ نَجعَلُهُ ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ في الصِّبا أو بَعد البُلُوغ. فنَفَخَ جِبريلُ في جَيب دِرعِها فحمَلَت، وكانَ مِن أمرِها ما ذُكِرَ في سُورةِ (مَريَمَ)، فلَمَّا بَعَثَهُ الله إلى بَني إسرائِيلَ قالَ لَهُم: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾، ﴿أَنِّي﴾ أي: بِأنِّي ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ﴾: عَلامةٍ على صِدقِي ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، هي ﴿أَنِّيٓ﴾ ـ وفي قِراءة بِالكَسرِ استِئنافاً ـ ﴿أَخۡلُقُ﴾: أُصَوِّرُ ﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ﴾: مِثلَ صُورَته، ـ فالكافُ اسمٌ: مَفعُولٌ ـ ......

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَرَسُولًا﴾) معمولٌ لمحذوف قدَّره المفسِّرُ بقوله: (نجعله) لأنه المناسبُ له.

قوله: (في الصبا) أي: وهو ابنُ ثلاث سنين، وقوله: (أو بعد البلوغ) أي: وهو ابنُ ثلاثين سنة، وكِلا القولين ضعيف، والمعتمدُ: أنه نبيٌّ على رأس الأربعين، وعاش نبيًّا ورسولاً ثمانين سنة، فلم يُرفَعْ إلا وهو ابنُ مئةٍ وعشرين سنة[١].

قوله: (فنفخ جبريل في جيب درعها) أي: وكان عمرُها إذ ذاك قيل: عشر سنين، وقيل: ثلاثةَ عشرَ، وقيل: ستةَ عشرَ سنة.

قوله: (ما ذكر في سورة «مريم») أي: في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ...﴾ [مريم: ١٦] الآيات، واختُلفَ في مدَّة حَملها، فقيل: تسعة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة وهو المشهور[٢].

قوله: (﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم﴾) مرتَّبٌ على محذوف قدَّره المفسِّرُ بقوله: (فلما بعثه الله... إلخ)، وهو إشارةٌ لِقصة رسالته بعد أن ذكر قِصة بشارته وحمله وولادته[٣].

قوله: (أصوِّر) دفع بذلك ما يُقال: إن الخلق هو الإيجاد بعد العدم، وهو مخصوصٌ بالله تعالى! فأجابَ: بأن معنى الخلق التصوير.

قوله: (مفعول) أي: لـ﴿أَخۡلُقُ﴾.

---

(١) كذا في «الفتوحات» (١/ ٢٧٣) نقلاً عن العلامة الآجهوري.

(٢) وقيل غير ذلك، وانظر «زاد المسير» (٣/ ١٢٥).

(٣) وقوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ﴾ قرأ نافع بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٣/ ١٩١).

فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ

﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ - الضَّمِيرُ لِلكافِ - ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ - وفي قِراءة: (طائِراً) - ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادَتِه، فخَلَقَ لَهُم الخُفَّاش لِأَنَّهُ أكمَلُ الطَّير خَلقاً، فكانَ يَطِير وهُم يَنظُرُونَه، فإذا غابَ عَن أعيُنِهم سَقَطَ مَيِّتاً، ﴿وَأُبْرِئُ﴾: أَشفِي ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ الذي وُلِدَ أعمَى، ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾، وخُصَّا بِالذِّكرِ لِأَنَّهُما داءَا إعياءٍ، وكانَ بَعثُه في زَمَن الطِّبِّ، فأبرَأ في يَوم خَمسِينَ ألفاً بِالدُّعاءِ بِشَرطِ الإيمانِ، ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كَرَّرَهُ لِنَفيِ تَوَهُّم الأُلُوهِيَّة فيه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (**الضمير للكاف**) ويصحُّ أن يعودَ على الطِّين، وحكمةُ المغايَرة بين ما هنا وبين ما يأتي في آخر (المائدة): أن المتكلِّم هنا عيسى وهناك الله.

قوله: (**وفي قراءة: طائراً**) أي: بالإفراد، وأما الأُولى فهو اسمُ جمع، وهما سبعيَّتان[1].

قوله: (**الخفاش**) أي: الوَطواط[2]، وقوله: (**لأنه أكملُ الطير خلقاً**) أي: لأنَّ له أسناناً وثدياً، ويحيضُ كالنساء، ويطيرُ من غير رِيش، ولا يُبصر إلا في ساعة بعد المغرب وبعد الصبح، وما بقيَ من الزمن هو فيه أعمى.

قوله: (**سقط ميتاً**) أي: ليتميَّزَ فعلُ المخلوق من فِعل الخالق.

قوله: (**الذي وُلِدَ أعمى**) أي: ممسوحَ العين أم لا، وإبراؤُهُ للطارئ أولَويٌّ.

قوله: (﴿**وَٱلْأَبْرَصَ**﴾) هو مَنْ به داء البرص، وهو داءٌ عظيم يُشبه البهقَ إذا نُخِسَ نزلَ منه دم.

قوله: (**لأنهما داءا إعياء**) أي: إعياء الأطباء الذين كانوا في زَمنه؛ فإنَّ معجزةَ كلِّ نبيٍّ على شكل أهل زمانه؛ كموسى فإنه بُعِثَ في زمنٍ كثُرت فيه السحرة، فأعياهم بالعصا واليد البيضاء، وسيدِنا محمدٍ فإنه بُعِثَ في زمن العرب البُلغاء، فأعياهم بالقرآن.

قوله: (**بشرط الإيمان**) أي: بالقَلب واللسان؛ فإن آمَن بلسانه فقط.. لم يُشْفَ.

قوله: (**لنفي توهم الألوهية فيه**) أي: في عيسى بهذا الوصف الذي لم يُشارك اللهَ فيه أحدٌ صورةً، فقوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ردٌّ عليهم، فالمعنى: لو كان دليلاً على ألوهيَّته لكانَ: بإذنه[3].

(١) قرأ نافع: طائراً، والجمهور: طيراً. المصدر السابق.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٢٦) عن ابن جريج.

(٣) وفي (أ): (لما قال: بإذنه) أي: بإذن الله؛ ليصحَّ المعنى.

﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾

فأَحيَا عازرَ صديقاً له، وابنَ العَجُوز وابنة العاشِر، فعاشُوا ووُلِدَ لَهُم، وسامَ بن نُوح وماتَ في الحالِ، ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾: تُخَبِّئُونَ ﴿فِي بُيُوتِكُمْۚ﴾ مِمَّا لم أُعايِنْهُ، فكانَ يُخبِر الشَّخصَ بِما أكَلَ وبِما يَأكُل بَعدُ، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (عازر) بفتح الزاي، وقوله: (صديقاً له) أي: لعيسى، وكان قد تمرَّضَ، فأرسلت أخته لعيسى فأخبرته بمرضه، وكان على مسافة ثلاثة أيام، فجاء فوجده قد مات ودُفن، فذهبَ مع أُخته إلى قبره، فدعا بالاسم الأعظم فأُحييَ، وعاش إلى أن وُلِدَ له.

قوله: (وابن العجوز) أي: وأحياه قبل دَفنه حين مُرَّ به على عيسى وهو على أعناق الرجال، فدعا الله، فجلس ولَبس ثيابه وأتى أهله، وقوله: (وابنة العاشر) أي: الذي كان يأخذ العشر من الناس، وقوله: (وسام بن نوح) أي: وكان قد ماتَ من نحو أربعة آلاف سنة، فدعا الله فأحياه، فقام وقد شابَ نصفُ رَأسه، ثم قال له: مُتْ بإذن الله، فقال: نَعم، لكن لا أُذوقُ حرارةَ الموت ثانياً، فقال له: كذلك[1].

قوله: (﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾) وردَ: أنه كان يخبرُ الصبيانَ الذين يُعلِّمُهم الخطَّ بما في بيوت آبائهم من المدَّخرات، فتذهبُ الأولادُ ويخبرون آباءهم بذلك، ثم إنهم تَجمَّعوا وحبسوا أولادَهم عنه، فجاء إليهم وسألَ عنهم، فأنكرُوهم، فقال لهم: مَن الذين خلفَ الأبواب؟ فقالوا: هم خَنازير، فقال: كذلك إن شاء الله، ففَتحوا خلفَ الأبواب ففتحوا عليهم، فوجدوهم كذلك، فكَربوا وتجمَّعوا على قَتله، فحملته أمُّهُ على حمار لها، وجاءَت به مصر.

فإن قلتَ: قد يخبرُ المنجِّم والكاهن عن مثل ذلك، فما الفرقُ؟

أجيبَ: بأن المنجِّم والكاهن لا بدَّ لكلٍّ واحد من مقدِّمات يَرجعُ إليها ويعتمدُ عليها في أخباره، فالمنجِّم يستعينُ بواسطة الكواكب، والكاهنُ يستعينُ بخبرٍ من الجن، وقد يُخطئان في كثير، وأما الأنبياءُ عليهم السلام فليس إلا بالوحي السماوي، وهو من عند الله لا بِواسطة حساب ولا غيره، فتأمَّلْ!

قوله: (﴿فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾) هذه الجملةُ يحتملُ أن تكونَ من كلام عيسى، أو من كلام الله، وقوله: (﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾) جوابه محذوف؛ أي: انتفعتُم بهذه الآية.

---

(١) كذا عند البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٤٢).

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ ....

﴿٥٠﴾ ﴿و﴾ جِئتُكُم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾: قَبلِي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فِيها، فأَحَلَّ لَهُم مِن السَّمَك والطَّير ما لا صِيصِيَةَ لَهُ، وقِيل: أَحَلَّ الجَمِيعَ، فـ﴿بَعْضَ﴾ بِمعنَى (كُلّ)، ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ - كَرَّرَهُ تَأكِيداً ولِيَبنِيَ عَليه - ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فِيما آمُرُكُم بِه مِن تَوحِيدِ الله وطاعَتِه.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمُصَدِّقًا﴾) حالٌ معطوفة على حال مقدَّرة، وهي متعلّق قوله: ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ التقدير: جئتكم حالَ كوني ملتبساً بآية وحالَ كوني مُصدقاً، ويشعرُ بذلك تقديرُ المفسِّر قوله: (جِئتكم)، وليس معطوفاً على ﴿وَجِيهًا﴾؛ لأنَّ ﴿وَجِيهًا﴾ من جملة المبشَّر به وهو من كلام الله، وأمَّا قوله: ﴿مُصَدِّقًا﴾ فهو من كلام عيسى.

قوله: (قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾) أي: وهي كتابُ موسى، وكان بينه وبين عيسى ألفٌ وتسعُ مئة وخمسةٌ وسبعون سنة، وأوَّلُ أنبياء بني إسرائيل يوسفُ بن يعقوبُ، وآخرُهم عِيسى.

قوله: (﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾) معمولٌ لمحذوف تقديرُهُ: وجئتكم لأجل التحليل، ولا يَصحُّ عطفه على ﴿مُصَدِّقًا﴾؛ لأنَّ ذاك حالٌ، وذا تعليل.

قوله: (﴿بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾) أي: بسبب ظُلمكم؛ كذي الظفر وشحومِ البقر والغنم.

قوله: (ما لا صِيْصِيَةَ له) أي: شوكة يؤذي بها[1]، وأما ما له صِيصية فهو باقٍ على حلِّه لم يحرم.

قوله: (فـ﴿بَعْضَ﴾ بمعنى كل) استُشكلَ: بأنه يلزمُ عليه تحليل كالزنا والقتل! وأجيبَ: بأن المرادَ جميعُ ما طرأ تحريمُهُ من قبل التشديد، لا ما كانَ محرَّماً بالأصالة.

قوله: (وليبني عليه ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾) أي: فحيث أمرتُكم بما ذُكِرَ مع ظهور الآيات فاتقوا... إلخ.

قوله: (وطاعته) معطوف على (توحيد الله)؛ من عطف العامِّ على الخاصِّ.

---

(١) الصِّيصية: شوكة الحائك، وتطلق على شوكة الديك، وقرن البقر والظباء. انظر «تاج العروس» (ص ي ص).

إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ....

﴿٥١﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾ الَّذي آمُرُكُم بِهِ ﴿صِرَٰطٌ﴾: طَرِيقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾، فكَذَّبُوهُ ولم يُؤمِنوا به.

﴿٥٢﴾ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾: عَلِمَ ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ وأرادُوا قتلَه، ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾: أعواني ذاهباً ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لِأنصُرَ دِينه؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: أعوانُ دِينِه، وهُم أصفِياءُ عِيسَى أوَّل مَن آمَنَ بِهِ، وكانُوا اثنَي عَشَرَ رَجُلاً، مِن الحَوَرِ وهو البَياض الخالِصُ، وقِيل: كانُوا قَصَّارِينَ يُحَوِّرُونَ الثِّيابَ أي: يُبَيِّضُونَها، ﴿ءَامَنَّا﴾: صَدَّقنا ﴿بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسَى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ﴾) هذا ردٌّ لِدعواهم بنوَّتَهُ لله، وإلا لقال: إن الله أبي.

قوله: (طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾) أي: دين قيِّم، مَنْ تمسَّكَ به فقد نجا، ومن حادَ عنه وقع في الرَّدى.

قوله: (﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾) ﴿أَحَسَّ﴾: يتعدَّى بنفسه وبحرف الجر، والإحساسُ: الإدراكُ بأحد الحواسِّ الخمس؛ السمع والبصر والذَّوق واللمس والشم، والمعنى: أدركه منهم عِناداً بعد ظهور تلك الآيات البَينات.

قوله: (﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾) أي: من يَنصرني؟ وقوله: (﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾) جار ومجرور متعلِّقٌ بمحذوف حال من الياء في ﴿أَنصَارِىٓ﴾، قدَّره المفسِّرُ بقوله: (ذاهباً).

قوله: (أعوان دِينه) أي: أهل دينه، فنُصرةُ الدين كنايةٌ عن نصرةِ أهله.

قوله: (وكانوا اثني عشر) أي: وكان لهم كبيران، اسمهما شمعون ويعقوب.

قوله: (وهو البياض الخالص) أي: لبياض قلوبهم وثيابهم، فأعطاهم اللهُ بياضَ بواطنهم وظَواهرهم.

قوله: (وقيل: كانوا قَصَّارِينَ) وقيل: لأنهم حوَّروا النبيَّ بمعنى: نصروه، وقيل: كانوا صيَّادين للسَّمك، وقيل: كانوا صبَّاغين، وقيل: كانوا ملوكاً.

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ . . . .

﴿٥٣﴾ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ مِن الإنجيلِ، ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾: عيسَى، ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لَك بِالوَحدانيَّة، ولِرَسولِكَ بِالصِّدقِ.

حاشية الصاوي

ورد: أن عيسى مرَّ على هؤلاء وهم يَصطادون السمك، فقال لهم: اذهبوا بنا لِنَصطاد الخلق، فقالوا: كيف ذلك؟ قال: نَدلُّهم على عبادة الله، فقالوا له: ومَن أنت؟ فقال: روحُ الله، فقالوا: وما آيَتك على ذلك؟ وكانوا طولَ نهارهم يَطرحون الشبكَ لا يخرجُ لهم شيءٌ من السمك، فأمرَ أن يطرحَ الشبكَ واحدٌ منهم، ففعل، فخرجَ لهم سمكٌ ملأَ مركبَين، فآمنوا به وسارُوا بسيره.

وقيل: إن شمعونَ كان ملكاً، فرأى عيسى ذاتَ يوم يأكل من إناءٍ هو والناس ولا يَفرغُ ذلك الطعام، فآمَن به، ونزل عن ملكه، وتبعَهُ أقاربُهُ.

وقيل: كان في صغره عند صبَّاغ، فأمره بصبغ ثيابٍ مُتعدِّدة ألواناً متغايرة وذهب لحاجة، فوضع تلك الثياب في دَنٍّ واحد وقال: أيُّها الثيابُ كوني كما أُريدُ، فجاء الصبَّاغُ وسأله عن الثياب، فقال: في هذا الدَّنِّ، فحزنَ حزناً عظيماً، فأخرجَها من الدَّنِّ فوجدَها كما أَمرَهُ الصَّباغُ، فآمَن به هو وأقاربه.

وقيل: إن الاثني عشرَ كانوا لا صنعةَ لهم حين آمنوا بِعيسى[1]، وكانوا سيَّاحين معه، وكانوا كلَّما جاعوا شكَوا لعيسى، فينزلُ لهم كلِّ واحد رغيفان، وكلَّما ظمئوا شكوا له فتنبعُ لهم عينٌ في أيِّ محلٍّ كانوا فيه، فقال لهم يوماً: هناك من هو أفضَلُ منكم، فقالوا: مَن؟ قال: الذين يأكلون من كَسب أيديهم، فاستَعملوا قصارة الثياب.

وقد يُجمعُ بين الروايات المختلفة: بأن بعضَ الاثني عشر كان من الملوك، وبعضهم من الصيادين، وبعضهم من القصَّارين، وبعضهم من الصبَّاغين[2].

قوله: (﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾) أي: الموحِّدين مطلقاً، أو الذين فضَّلتهم بالشهادة، وهم محمدٌ وأُمته؛ لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ، وعلى الأُمَم بالتكذيب.

---

(١) في (أ): (لا منعة لهم).

(٢) انظر مجمل الروايات في «تفسير البغوي» (١/ ٤٤٤)، و«الدر المنثور» (٢/ ٢٣٣).

وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ....

﴿٥٤﴾ قال تَعالى: ﴿وَمَكَرُواْ﴾ أي: كُفَّار بَنِي إسرائِيل بِعيسَى إذ وكَلُوا بِه مَن يَقتُلُهُ غِيلةً، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ بِهِم، بِأن ألقَى شَبَه عيسَى على مَن قَصَدَ قَتْلَه، فقَتَلُوهُ، ورَفَعَ عيسَى إلى السَّماءِ، ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أعلَمهُم بِه.

﴿٥٥﴾ اذكُر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَكَرُواْ﴾) المكرُ: هو الخديعةُ وإظهارُ خلاف ما يُبطن.

قوله: (غِيلة) هي بكسر الغين المعجمة وسكون الياء التحتية: أن يخدعَ الرجلَ فيذهبَ به إلى موضعٍ لا يراه به أحدٌ ويَقتله.

قوله: (﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾) أي: جازاهم على مَكرهم، فحيث أضمروا على أخذ عيسى من حيث لا يحتسبُ.. جازاهم على ذلك وأخذَهم من حيث لم يَحتسبوا.

قوله: (بأن ألقى شبه عيسى... إلخ) حاصلُ ذلك: أنهم لما تجمَّعوا على قَتله جاءه جبريلُ، فوجدَهُ في مكان في سَقفه فرجةٌ، فرفعَهُ من تلك الفرجة إلى السماء، وأمرَ ملكُ اليهود رجلاً اسمه ططيانوس أن يدخلَ على عيسى فيَقتله، فلمَّا دخلَ فلم يجدْهُ خرجَ وقد ألقى اللهُ شبهَ عيسى عليه، فلمَّا رأوه ظنُّوه عيسى فقَتلوه، وفتَّشوا على عيسى فلم يَجدوه، ثم قالوا: إن كان هذا عيسى فأين صاحِبُنا، وإن كان صاحبَنا فأين عيسى؟! فوقعَ بينهم قتالٌ عَظيم[1].

قوله: (﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾) أي: أقواهم مكراً؛ بحيث يقدرُ على إيصال الضَّرر لهم من حيث لم يحتسبُوا كما أضمَروا ذلك لعيسى، ولا يقال لله: ماكِر أو مكَّار إلا مشاكلة، ويؤوَّلُ بما علمتَ؛ لأنَّ أصلَ المكر يستعملُ في المُحتال لأخذ صاحبه لِعجزه عنه، وهو مستحيلٌ على الله.

قوله: (اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿إِذْ﴾ ظرفٌ معمول لمحذوف، والمعنى: أن اليهودَ لما تجمَّعوا على قتله وتحيَّلوا على أَخذه.. جعلَ الله كيدَهم في نحرهم، ﴿قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ...﴾ إلخ، فهو من تَفصيل قوله: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾.

قوله: (﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾) اختُلفَ في التوفِّي؛ فقيل: معناه: مبلِّغُكَ الأملَ بأن تبلغَ عمرَكَ بتَمامه، ولا تموتَ بقتل أحدٍ، بل من الله، وقيل: مَعناه بالنوم؛ أي: فرفع إلى السماء وهو نائمٌ

---

(١) «الخازن» (١/ ٢٥١)، وقيل: هو ليودس، وهو عندهم يهوذا الإسخريوطي.

وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ....

قابِضُك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ مِن الدُّنيا مِن غَير مَوتٍ، ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾: مُبعِدُك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾: صَدَّقُوا بِنُبُوَّتِك مِن المُسلِمِينَ والنَّصارَى ....

حاشية الصاوي

فلمْ يحصُلْ له انزعاج، وقيل: معناه: مميتُكَ وقابضٌ لروحك، لا يقال: إنه يقتضي أنه يموتُ قبل الرفعَ إلى السماء؛ لأنه يقال: إن الواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، فالكلامُ على التقديم والتأخير، والمعنى: إني رافعك إليَّ ومتوفِّيك بعد ذلك، والمقصودُ: بِشارتُهُ بنَجاته من اليهود ورفعِهِ إلى السماء.

واعلم: أن الأنبياءَ الذين أمروا بالقتال معصومُون من القتل، فلا خصوصيةَ لعيسى، وأما مَنْ لم يُؤمَرْ به.. فلا مانعَ من كون الكفَّار يَقتلونه؛ لأنه مأمورٌ بالصبر، وذلك كما وقع لزكريا حين نشَرُوه بالشجرة[(١)].

قوله: (قابضك ﴿وَرَافِعُكَ﴾) أشارَ بذلك إلى أن عَطف ﴿وَرَافِعُكَ﴾ على ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ لِلتفسير، وهو تقريرٌ آخر غيرُ ما تقدَّم.

قوله: (﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾) أي: إلى كرامتي وأهل قُربي[(٢)]، وقوله: (من الدنيا) أرادَ بها الأرض.

قوله: (﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾) أي: أحبُّوك وانتَسبوا لك؛ فإن صدَّقوا بمحمد أيضاً وأحبُّوه أو ماتوا قبل بعثته.. فقد تمَّ لهم العزُّ دنيا وأخرى، وإن لم يصدِّقوا بمحمد ولم يحبُّوه.. فقد حازوا عزَّ الدنيا وما لهم في الآخرة من خَلاق، فالنصارى لهم عزٌّ في الدنيا وسَلطنةٌ على اليهود إلى يوم القيامة.

---

(١) حيث اتهموه عليه السلام بمريم. انظر «زاد المسير» (٣/ ١٠).

(٢) تمسكت المشبهة بهذه الآية إثباتاً لجهة العلو والمكان لله تعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، وهي كقوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾، وقوله ﷺ: «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله»، وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾، وكل هذا معناه: إلى موضع لا يجري فيه غير حكم الله تعالى، قال أبو حيان في «البحر المحيط» (٢/ ٤٩٧): (إلى مكان لا يملك الحكم فيه في الحقيقة ولا في الظاهر إلا أنا، بخلاف الأرض؛ فإنه قد يتولَّى المخلوقون فيها الأحكام ظاهراً)، وانظر «تفسير الرازي» (١١/ ٢٦٢).

فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ....

﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِك، وهُم اليَهود، يَعلُونَهُم بِالحُجَّةِ والسَّيف، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أمرِ الدِّين.

﴿٥٦﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بِالقَتلِ والسَّبيِ والجِزيَة، ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنَّارِ، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانِعِينَ مِنه.

﴿٥٧﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ ـ بِالياءِ والنُّون ـ ﴿أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: يُعاقِبُهم.

حاشية الصاوي

قوله: (وهم اليهود) أي: فهو عزٌّ على خصوص اليهود ـ لا مطلقاً ـ ما داموا كفاراً، وذلك أنه لما رفع اللهُ عيسى.. افترقَ أصحابُهُ ثلاثَ فرق، فقالت فِرقة: كان الله فِينا ثم صعد إلى السماء وهم اليَعقوبية، وقالت أخرى: كان فينا ابن الله ثم رفَعه إليه وهم النسطورية، وقالت أخرى: كان فينا عبد الله ورَسوله ثم رَفعه إليه، وهذه الفرقة هم المسلمون، فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتَلوهم، فلم يزل الإسلامُ منطمِساً إلى أن بُعثَ محمد.

قوله: (يعلونهم بالحجَّة) أي: يغلبونهم بالأدلة.

قوله: (﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾) أي: طائفة بعد طائفة.

قوله: (﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾) خطابٌ لجميع المخلوقات.

قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) تفصيلٌ لما يؤول أمرُ الناس إليه في الآخرة.

قوله: (بالقتل والسبي) أي: مع الذلّ والهوان.

قوله: (مانعين منه) أي: مِن العذاب.

قوله: (بالياء والنون) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

(١) قرأ حفص بياء الغيبة، والباقون بالنون. «الدر المصون» (٣/ ٢١٦).

رُوِيَ أنَّ اللهَ أرسَلَ إلَيه سَحابةً فرَفَعَتهُ، فتَعَلَّقَت بِه أُمُّه وبَكَت، فقالَ لَها: إنَّ القِيامةَ تَجمَعُنا، وكانَ ذلك لَيلةَ القَدر بِبَيتِ المَقدِس، ولَه ثَلاثٌ وثَلاثُونَ سَنةً، وعاشَت أُمُّه بَعدَه سِتَّ سِنِينَ. ورَوَى الشَّيخانِ حدِيثَ «أنَّهُ يَنزِلُ قُربَ السَّاعة، . . . .

حاشية الصاوي

قوله: (فتعلَّقت به أمُّه) اعلَمْ: أنه بعد رَفعه بسبعة أيام قال الله له: اهبط إلى مريم؛ فإنه لم يبكِ عليك أحدٌ بكاءَها، ولم يحزَنْ عليك أحدٌ حزنَها ثم لَتجمعن الحواريين، فبثَّهم في الأرض دُعاة إلى الله، فأهبطه اللهُ عزَّ وجلَّ، فاجتَمعت له الحواريون، فبثَّهم في الأرض، فلمَّا أصبحَ الحواريون تكلَّم كلُّ واحد منهم بِلُغة من أرسله عيسى إليه[1]، إذا علمتَ ذلك فقوله: (تعلقت به أمه) محمولٌ على هذا الصُّعود الثاني، وإلا . . فالأول لم تعلَمْ به هي ولا أصحابُهُ.

قوله: (وبكت) أي: على فِراقه.

قوله: (وكان ذلك ليلةَ القدر) إن قلتَ: إن ليلةَ القَدْرِ من خصائص هذه الأمة! أجيبَ: بأن الذي من خصائص هذه الأمة فَضلُها من كونها خيراً من ألف شهر، وكونِها تنزلُ فيها الملائكة من الغروب إلى طُلوع الفجر، وكونِ الدعاء فيها مجاباً بعين المطلوب، فلا ينافي ثُبوتها في الأمم السابقة، لكن لا بهذا الفَضل.

قوله: (وله ثلاث وثلاثون سنة) أي: وعليه فقيل: جاءته النبوةُ من حين الولادة، وقيل: على رأس الثلاثين، وبعد هذا فما قاله المفسِّرُ ضعيفٌ رجعَ عنه كما قاله سيِّدي محمد الزرقاني في «شرح المواهب»[2]، والحقُّ الذي اعتَمده الأشياخُ: أنه ما رُفِعَ إلا بعد مضي مئة وعِشرين سنة، وجاءته النبوة على رأس الأربعين كغيره، وعمرُ أمِّه حين رُفِعَ على الأول: ستٌّ وأربعون سَنة، وعاشت بعده ستَّ سنين، فيكون عمرُها اثنين وخمسين، وعلى الثاني: مئة وتسعةٌ وثلاثون.

واعلَم: أنه لما رُفِعَ كساه اللهُ خلعة النور، وسلبَهُ شهوةَ الطعام والشراب والنوم، وجَعل له ريشاً يطير به كالملائكة، فهو حَكَمهم[3].

قوله: (أنه ينزل) أي: على منارة بني أميَّة حين يضايق الدجَّالُ المهديَّ والخلق جميعاً، فيُهرعون إلى دمشق الشام وهو مُحتاط بهم، فينزلُ عند إقامة الصلاة، فيريد المهدي التأخُرَ، فيأمرُهُ عيسى

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٤٤٦)، و«تفسير الخازن» (١/ ٢٥١).

(٢) «شرح المواهب اللدنية» (١/ ٦٨)، وذكر أن المصنف رجع عنه في «مرقاة الصعود» له.

(٣) كذا في النسخ، والمعنى: صار في حكمهم بهذه الأوصاف.

ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْآيَٰتِ ....

ويَحكُمُ بِشَرِيعةِ نَبِيِّنا، ويَقتُلُ الدَّجَّالَ والخِنزِيرَ، ويَكسِرُ الصَّلِيبَ، ويَضَع الجِزيَةَ»، وفي حدِيث مُسلِم أَنَّهُ يَمكُث سَبعَ سِنِينَ، وفي حَدِيثٍ عِندَ أبي داودَ الطَّيالِسِيِّ: أربَعين سَنةً، ويُتوفَّى ويُصَلَّى علَيه، فيَحتَمِل أنَّ المُرادَ مَجمُوع لُبثِه في الأرض قَبل الرَّفعِ وبَعدَه.

(٥٨) ﴿ذَٰلِكَ﴾ المَذكُور مِن أَمر عيسَى ﴿نَتْلُوهُ﴾: نَقُصُّهُ ﴿عَلَيْكَ﴾ يا مُحمَّد ﴿مِنَ ٱلْآيَٰتِ﴾ ـ حالٌ مِن الهاء في ﴿نَتْلُوهُ﴾، وعامِلُه ما في ﴿ذَٰلِكَ﴾ مِن معنَى الإشارةِ ـ ......

حاشية الصاوي

بالتقدُّم، فبعد الصلاة يَتوجَّهون إلى الدجَّال وهو بِلُدِّ[1]، فإذا رأى عيسى ذابَ كالملح، فيَهزمه الله، ثم يظهرُ العدل والصَّلاح في الأرض.

قوله: (ويحكم بشريعة نبيِّنا) إن قلتَ: إن وضعَ الجزيةِ ليس من شرع نبيِّنا! أجيبَ: بأنه منه، غير أن أخذها مُغَيًّا بنزول عيسى كما أخبرَ بذلك نبيُّنا[2]، فوضعُها أيضاً من شَرعِنا.

قوله: (سبع سنين) أي: فوق الثلاث والثلاثين، وهو ضَعيف.

قوله: (أربعين سنة) قيل: من ولادته، فيكون مكثُهُ بعد النزول سبعَ سنين كالرواية الأولى، وقيل: مبدأ الأربعين من نزوله، وعلى كونها من نزوله فعلى كونه رُفعَ وهو ابنُ ثلاث وثلاثين فيكون عمرُهُ ثلاثاً وسبعين سنة، وعلى أنهُ رُفعَ وهو ابنُ مئة وعشرين فيكون عمرُهُ مئةً وستين.

قوله: (ويُصلى عليه) أي: يُصلي عليه المسلمون، ويُدفن في السهوة الشريفة[3]، فإذا جاءَ يومُ القيامة قام أبو بكر وعمر بين رسولَين؛ سيدِنا محمد وعيسى عليهما السلام.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) اسمُ الإشارة عائدٌ على ما تقدَّم من عجائب عيسى، وأفردَ باعتبار ما ذكر كما أشارَ له المفسِّر.

قوله: (وعامله ما في ﴿ذَٰلِكَ﴾... إلخ) أي: لأنه مُضمَّنٌ معنى أُشير، واعترضَ ذلك:

---

(١) لُدّ: بلدٌ بالشام، وهي قرية بيت المقدس في فلسطين. انظر «معجم البلدان» (٥/ ١٥).

(٢) رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.

(٣) قال الحافظ القسطلاني في «المواهب» (٣/ ٥٨٥): (ونقل أهل السير عن سعيد بن المسيب قال: بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسى بن مريم عليهما السلام، ويكون قبره الرابع)، والسهوةُ كما في «إتحاف الزائر» (ص١٧٨) وعنه نقل: بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً شبيه بالمخدع.

وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ . . . .

﴿وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾: المُحكَمِ أي: القرآن.

﴿٥٩﴾ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾: شَأنَه الغَريبَ ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ﴾: كشَأنِه في خَلقِه مِن غَير أبٍ، وهو مِن تَشبِيهِ الغَريب بِالأغرَبِ؛ لِيَكُونَ أقطَعَ لِلخَصمِ وأوقَعَ في النَّفس، ﴿خَلَقَهُۥ﴾ أي آدمَ أي: قالَبَه ﴿مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ بَشَراً ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكانَ، . . . .

حاشية الصاوي

بأن العاملَ في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في ﴿نَتۡلُوهُ﴾، فالعاملُ فيها هو ﴿نَتۡلُوهُ﴾! قال بعضُهم مُعتذراً عن المفسِّر: بأنه خلطَ إعراباً بآخر، وحاصل ذلك أن قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿نَتۡلُوهُ﴾ خبره، وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ حالٌ من الهاء، وعاملُهُ هو (نتلو)، أو ﴿مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ خبره، و﴿نَتۡلُوهُ﴾ حال، وعامِلها ما في ﴿ذَٰلِكَ﴾ مِن معنى الإشارة، وهذا الذي يشيرُ إليه المفسِّرُ على قول بعضهم[1].

قوله: (﴿وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ﴾) عطفٌ على ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ لِلتفسير.

قوله: (﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾) سببُ نزولها: أن وفدَ نجران قدموا على النبيِّ ﷺ، فقالوا له: نَراك تسبُّ صاحبنا، فقال: «مَن هو؟»، قالوا: عيسى، تزعُم أنه عبدُ الله، فقال رسول الله: **«أجَلْ، إنه عبدُ الله ورسولُه»**، فقالوا: هل له مَثَلٌ في الخلق خُلقَ من غير أبٍ؟ فنزلت الآية.

قوله: (**الغريب**) أي: وهو عيسى، وقوله: (**بالأغرب**) أي: وهو آدمُ، وأغربيَّتُهُ من وجوه؛ منها: أنه لم يسبِقْ له مثالٌ أصلاً، ومنها: وجودُ الأم لعيسى دُون آدم.

إن قلتَ: وجهُ التشبيه بينهما ليس بتامٍّ! **أجيبَ**: بأنه يكفي وجهٌ واحد، وهو عدمُ الأبوَّة لكلٍّ.

قوله: (﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾) جملةٌ مفسِّرةٌ لما قبلها، فلا محلَّ لها من الإعراب.

قوله: (**أي: قالَبه**) بفتح اللام، وهو الجسمُ، وأما الروحُ فمن نورِ نبيِّنا ﷺ، وإنما حملَ الخلقَ على القالب لا على صُورة الجسم الشاملة للروح؛ نظراً لقوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن. . .﴾ إلخ، وإلا . . كان ضائعاً.

---

(١) انظر «الفتوحات الإلهية» (١/ ٢٨١).

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ....

وكَذلك عيسَى قال لَه: (كُن مِن غَير أبٍ) فكانَ.

﴿٦٠﴾ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ - خَبَرُ مُبتَدأ مَحذُوف - أي: أمرُ عيسَى، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشَّاكِّينَ فيه.

﴿٦١﴾ ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾: جادَلَك مِن النَّصارَى ﴿فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بِأمرِه، ﴿فَقُلْ﴾ لَهُم: ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فنجمَعهُم .....

حاشية الصاوي

قوله: (وكذلك عيسى... إلخ) أشارَ بذلك إلى وجه الشَّبه بينَهما.

واتفقَ أن عالماً أُسِرَ في بلاد الروم، فوجدَهم يعبدون عيسى، فقال لهم: لم تعبدون عيسى؟ فقالوا: لأنه لا أبَ له، فقال لهم: آدمُ أولى؛ لأنه معدومُ الأبوَين، فقالوا له: آدمُ وإن كان بلا أبٍ إلا أنه لا يُحيي الموتى، فقال لهم: إذا كان كذلك فحزقيلُ أولى؛ لأنه أحيا ثمانيةَ آلاف - وقيلَ: أكثر - بدعوته، وعيسى أحيا أربعة أنفار، فقالوا: إن عيسى يبرئ الأكمَه والأبرص، فقال: جرجيسُ أُحرقَ وطُبخَ ولم يضرَّهُ الحرقُ ولا الطبخ[1].

قوله: (أي: أمر عيسى) أي: عيسى الذي قصَّهُ اللهُ في كتابه.

قوله: (﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾) خطابٌ له والمرادُ أمتُهُ؛ على حدِّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]؛ لأنه معصومٌ من الامتراء والشِّرك وكلِّ كبيرة وصغيرة.

قوله: (من النصارى) أي: نصارى نَجران أو غيرهم.

قوله: (بأمره) أي: أنه عبدُ الله ولم يكن ابنَهُ.

قوله: (﴿تَعَالَوْا۟﴾) أصله: تعالَيُوا، تحركت الياءُ وانفتحَ ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان الألف والواو حُذفت الألف لالتقائهما، وهو فعلُ أمر على الصحيح مبنيٌّ على حذف النون، والواو: فاعل، وهو مفتوح اللام دائماً لمذكَّر أو مؤنَّث.

قوله: (﴿أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾) أي: الذكور، وقوله: (﴿وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ﴾) أي: الإناث مِنهم،

(١) أورده الزمخشري في «تفسيره» (١/ ٣٦٧).

ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ....

﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ﴾: نَتَضَرَّع في الدُّعاء، ﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ بِأن نَقُولَ: اللَّهُمَّ الْعَنِ الكاذِبَ في شَأن عيسَى! وقَد دَعا ﷺ وفدَ نَجرانَ لِذلك لَمَّا حاجُّوهُ فِيه، فقالُوا: حتَّى نَنظُرَ في أمرِنا ثُمَّ نَأتِيك، فقال ذُو رَأيِهم: لقَد عَرَفتُم نُبوَّتَه، وأنَّهُ ما باهَلَ قَومٌ نَبِيًّا إلَّا هَلَكُوا، فوادِعُوا الرَّجُلَ وانصَرِفُوا، فأتَوهُ وقَد خَرَجَ ومعَهُ الحسَن والحُسَينُ وفاطِمة وعَلِيٌّ وقالَ لَهُم: «إذا دَعَوتُ فأمِّنُوا»، فأبَوا أن يُلاعِنُوا وصالَحُوهُ على الجِزيَةِ. ....

حاشية الصاوي

والحكمةُ في حُضور الأولاد: زيادةُ التغليظ في اليمين، وتأكيدٌ لمزيد صِدقه وكذبهم، ولما كانت المباهلةُ أمراً عظيماً.. لم تُشرَعْ بعدَ النبيِّ إلا في اللعان بين الزوجَين[1].

قوله: (﴿نَبۡتَهِلۡ﴾) الابتهالُ: من البَهْلة بفتح الباء وضمِّها، هي: اللعنة في الأصل، ثم استُعملَ في دعاءٍ مُجتهد فيه وإن لم يكن التعاناً[2].

قوله: (لذلك) أي: للتضرُّع والدعاء.

قوله: (فقال ذوُو رأيهم) أي: فرجعوا إليهم وشاورُوهم فقال... إلخ.

قوله: (لقد عرفتم نبوَّته) أي: نبوَّةَ محمد، وقوله: (ما باهل) أي: نازع.

قوله: (فوادِعوا الرجلَ) أي: صالِحوه على مال يأخذه منكم.

قوله: (وقد خرج) الجملةُ حالية.

قوله: (وصالحوه على الجزية) ورد: أنها ألفا حُلَّة؛ نصفها في صفر، ونصفها في رجب، وثلاثون درعاً، وثلاثون بعيراً، وثلاثون فرساً، وثلاثون من كلِّ صنف من أصناف السلاح، وقد ثبَتت هذه الرواية في بعض نُسَخ الجلال القديمة[3].

---

(١) نقل العلامة الجمل في «الفتوحات» (١/ ٢٨٣) عن المحقق جلال الدين الدواني (ت ٩١٨هـ) أن المباهلة لا تجوز إلا في أمر مهمٍّ شرعاً وقع فيه اشتِباه أو عناد، ولا يتيسَّرُ دفعه إلا بالمباهلة، فتكون بعد إقامة الحجة، والسعي في زوال الشبهة، وتقديم النصح والإنذار، وما يشاكل ذلك.

(٢) إذ الابتهالُ: التضرُّع والاجتهاد في الدعاء، وإخلاصه لله تعالى.

(٣) عزا المصنف روايته في «الدر المنثور» (٢/ ٢٣٢) لأبي نعيم في «دلائل النبوة».

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ....

وعن ابن عَبَّاس قال: لو خَرَجَ الَّذِينَ يُباهِلُونَ، لَرَجَعُوا لا يَجِدُونَ مالاً ولا أهلاً، ورُوِيَ: لو خَرجُوا لاحترَقُوا.

﴿٦٢﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المَذكُورَ ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾: الخَبَرُ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الَّذي لا شَكَّ فِيه، ﴿وَمَا مِنْ﴾ ـ زائدة ـ ﴿إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في مُلكِه، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صُنعِه.

﴿٦٣﴾ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرَضُوا عَن الإيمانِ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فيُجازِيهِم. ـ وفِيه وَضع الظَّاهِر مَوضِعَ المضمَر ـ.

﴿٦٤﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليَهُود والنَّصارَى ....

حاشية الصاوي

قوله: (وعن ابن عباس... إلخ) أي: وردَ أنه ﷺ قال: «**والذي نفسي بِيَده؛ إن الهلاكَ قد تولَّى على أهل نجران، ولو لاعَنوا لمُسخوا قردةً وخنازير، ولأضرمَ عليهم الوادي ناراً، ولم يَبقَ نصرانيٌّ على وجه الأرض إلى يوم القيامة**»[١].

قوله: (﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾) هذا نتيجةُ ما قبله، واسمُ الإشارة عائدٌ على ما ذُكرَ من أمر عيسى، وأنه ليس ابنَ الله، وأكَّدَ الجملة بـ(إنَّ) واللام وكونِها معرَّفةَ الطرفين؛ لشدَّةِ إنكارهم.

قوله: (زائدة) أي: و﴿إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ﴾: خبره، وهو قصرُ إفراد.

قوله: (وفيه وضع الظاهر... إلخ) أي: زِيادةً في التبكيت عليهم.

قوله: (﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) سببُ نزولها: أن نصارى نجران اختَصموا مع اليهود في شأن إبراهيم؛ فزعمت النصارى أنه كان نصرانيًّا وهم على دِينه، وزعمت اليهودُ أنه كان يهوديًّا وهم على دينه، فقدِموا مُتحاكمين إلى النبي ﷺ، فقال ﷺ: «**كِلا الفريقين كاذبٌ**»، فقالت النصارى: ما تريد إلا أن نَتخذك معبوداً كما اتخذت اليهودُ العزيرَ ربًّا، وقالت اليهود: ما تريد إلا أن نَتخذك معبوداً كما اتَّخذت النصارى عيسى ربًّا، فنَزلت[٢].

---

(١) هو قطعة من الخبر السابق.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦/ ٤٩٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ....

﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾: مَصدَر بِمعنَى: مُستَوٍ أمرُها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾، هيَ ﴿أَ﴾ن ﴿لَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كما اتَّخذتُم الأحبارَ والرُّهبان، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾) متعلِّقٌ بـ﴿تَعَالَوْا﴾، وذكره المتعلَّقَ هنا؛ لأنَّ المقصودَ الاجتماعُ على هذه الكلمة، بخلاف التي قبلها؛ فإن المقصودَ منها مجرَّدُ الإقبال، أو حذفَهُ من الأول وتقديرُهُ: إلى المباهَلة؛ لِدلالة الثاني عليه.

قوله: (﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾) هذه الجملةُ في محلِّ رفع خبر لمحذوف، قدَّره المفسِّرُ بقوله: (هي)، وإنما أطلقَ عليها كلمةً مع أنها جملٌ؛ لارتباط بعضها ببعض، قال ابن مالك: [الرجز]

وَكِلْمَةٌ بِهَا كَلامٌ قَدْ يُؤَمْ[1]

نظير قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

قوله: (**كما اتخذتم الأحبار**) أي: وهم عُلماءُ اليهود، والرهبان: عبَّادُ النصارى، واتخاذُهم أرباباً من حيث إنهم يَنسبون التحليل والتحريم والإقالة من الذنوب لهم، ولا يتبعون ما أنزل الله، بل المدارُ عندهم على ما حلَّلته الأحبارُ والرهبان أو حرَّموه[2]، وهذه الآيةُ وإن كانت خطاباً لليهود والنصارى إلا أنها تجرُّ بِذيلها على مَنْ يشركُ بالله غيرَهُ من المسلمين، كضُعفاء الإيمان الذين يعتقدون في الأولياء أنهم يضرُّون وينفعون بِذواتهم، ويحلُّونَ ما حرَّمَ اللهُ، ويحرِّمون ما أحلَّ الله، ومع ذلك يُحدِثون بدعاً عظيمةً ما أنزل الله بها من سُلطان، ويجعلون تلك البدعَ طرقاً لهؤلاء الأولياء، ويزعمون أنها مُنجيةٌ وإن كانت مخالفةً لِلشرع، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٨ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٨-١٩].

(١) «الخلاصة»، باب: (الكلام وما يتألف منه).

(٢) روى الترمذي (٣٠٩٥) عن عدي بن حاتم ﷺ في قصة إسلامه مرفوعاً: «أما إنهم لم يكونوا يَعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه».

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ....

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾: أعرَضُوا عَن التَّوحِيدِ، ﴿فَقُولُواْ﴾ أنتُم لَهُم: ﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ مُوَحِّدُونَ.

﴿٦٥﴾ ونَزَلَ لَمَّا قال اليَهُود: إبراهِيمُ يَهُودِيٌّ ونَحنُ على دِينِه، وقالَت النَّصارى كذَلك: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾: تُخاصِمُونَ ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بزَعمِكُم أنَّهُ على دِينكُم، ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ بِزَمن طويلٍ، وبعدَ نُزولِهما حَدَثَت اليَهُودِيَّة والنَّصرانِيَّة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (**أعرضوا عن التوحيد**) أي: ولم يَمتثلوا أمرَك، واتَّبعوا أحبارَهم ورُهبانهم فيما يأمرونهم به.

قوله: (﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾) أي: مُنقادُون لله، وبريئون منكم ومِن عقائدكم.

قوله: (**ونزل لما قال اليهود... إلخ**) أي: وتحاكَموا عند النبي ﷺ لِيَفصل بينهما.

قوله: (**وقالت النصارى كذلك**) أي: هو نصرانيٌّ ونحن على دِينه.

قوله: (﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: اليهود والنصارى.

قوله: (﴿لِمَ تُحَآجُّونَ﴾) أي: يُحاججُ بعضُكم بعضاً، والاستفهامُ توبيخيٌّ إنكاريٌّ.

قوله: (﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾) أي: في دِينه، فهو على حذف مضاف، وإليه يشيرُ المفسِّرُ بقوله: (بزعمكم أنه على دِينكم).

قوله: (**بزمن طويل**) أي: فكان بين التوراة وإبراهيم ألفُ سنة، وبينه وبين الإنجيل ألفا سنةٍ وتسعُ مئة وخمسةٌ وسبعون سنة.

قوله: (**وبعد نزولهما... إلخ**) بهذا التقدير تمَّت الحجةُ عليهم، فالمعنى: أن المانعَ من كونهم على دين إبراهيم تغييرُهم وتَبديلُهم، وإلا.. فلو تمسَّكوا بالتوراة والإنجيل حقيقةً لما اختَلفوا، ولكانوا على دين إبراهيم.

قوله: (**حدثت اليهودية والنصرانية**) أي: اللتان ابتدعوهما، حيث غيَّروا التوراة وسمَّوها اليهودية، وغيَّروا الإنجيل وسمَّوه النَّصرانية.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ....

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بُطلانَ قَولِكُم؟

﴿٦٦﴾ ﴿هَا﴾ - لِلتَّنبيهِ - ﴿أَنتُمْ﴾ - مُبتَدأٌ - يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، - والخَبَرُ: - ﴿حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِن أمرِ مُوسَى وعيسَى، وزَعمِكُم أنَّكُم على دِينِهما، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِن شَأنِ إبراهِيمَ؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شَأنَه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾هُ.

﴿٦٧﴾ قالَ تَعالى تَبرِئةً لِإبراهِيمَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مائِلاً عَن الأديانِ كُلِّها إلى الدِّين القَيِّمِ، ﴿مُّسْلِمًا﴾: مُوَحِّداً، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿٦٨﴾ ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾: أحقَّهُم ﴿بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾) أي: أغفَلتم عمَّا زعمتم، فلا تَعقلون ما تقولونه؟!

قوله: (﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾) يقرأ إما بألف وبعدها همزة محقَّقة أو مُسهلة، أو بدون همزة أصلاً، فالقراءاتُ خمسٌ وكلُّها سبعيَّة[1].

قوله: (من أمر موسى وعيسى) أي: الذي نطقت به التوراة والإنجيل من أنهما عَبدان ورسولان لله، يَأمران بعبادة الله وحدَهُ، ولا يُشركان به غيره.

قوله: (من شأن إبراهيم) أي: لكونه لم يذكرْ في كتبكم ما كان إبراهيم عليه، فكيف تدَّعون أنكم على دِينه مع جهلكم به؟!

قوله: (إلى الدين القيم) أي: المستقيمِ الذي لا اعوجاجَ فيه.

قوله: (موحِّداً) أي: منقاداً ممتثلاً أوامرَ ربِّهِ، مجتنباً نواهيَهُ.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) أي: معه غيره.

قوله: (﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾) زِيدت اللامُ للتقوية، وهي لام الابتداء، زُحلِقت للخبر كما قال في «الخلاصة»: [الرجز]

---

(١) قرأ الكوفيون وابن عامر والبزي بألف بعد الهاء وتحقيق همزة (أنتم)، وقرأ نافع وأبو عمرو ويعقوب بهاء بعدها ألف بعدها همزة مسهلة بين بين، وأبدل أناس هذه الهمزة ألفاً محضة لورش. انظر «البحر المحيط» (٢/ ٥١٠).

وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ....

في زَمانِه، ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ مُحمَّد؛ لِمُوافَقَتِه لَه في أكثَرِ شَرعِه، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ مِن أُمَّتِه، فهُم الَّذينَ يَنبَغِي أن يَقُولُوا: نَحنُ على دِينِه لا أنتُم، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ناصِرُهم وحافِظُهم.

﴿٦٩﴾ ونَزَلَ لَمَّا دَعا اليَهُودُ مُعاذاً وحُذَيفةَ وعَمَّاراً إلى دِينِهم: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لِأنَّ إثمَ إضلالِهم عَلَيهِم، والمُؤمِنُونَ لا يُطِيعُونَهم فِيه، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بِذَلك.

حاشية الصاوي

وَبَعْدَ ذاتِ الكَسْرِ تَصْحَبُ الخَبَرْ   لامُ ابْتِداءٍ نَحْوُ: إِنِّي لَوَزَرْ[1]

قوله: (في زمانه) أي: وهم أولادُه، كإسماعيل وإسحاق ويعقوبَ وأولادهم إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ...﴾ [البقرة: ١٣٢] الآية.

قوله: (لموافقته له في أكثَر شرعه) أي: فعقائدُ محمد التي هو عليها لا تخالفُ ما قصَّهُ الله في كتابه عن إبراهيم، إذا علمتَ ذلك فالمناسبُ للمفسِّر أن يقول: لموافقته له في الأصول، أو يقالَ: إن الموافقة في الفروع من حيث السهولة؛ فإن شَريعة محمد سهلة نهلة كشريعة إبراهيم، لا كشريعة موسى؛ فإنها صعبة التكاليف بِسبب عناد بني إسرائيل، وهذا هو مَحملُ المفسِّر.

قوله: (من أمته) أي: أُمة محمد ﷺ.

قوله: (ناصرهم) أي: على أعدائهم، وقوله: (وحافظهم) أي: واقِيهم من عدوِّهم.

قوله: (﴿وَدَّت﴾) أي: أحبَّتْ، و﴿لَوْ﴾: مصدرية، والمعنى: أحبَّتْ جماعةٌ من اليهود والنصارى إضلالَكم؛ أي: رجوعَكم من الإسلام إلى الكفر، وكانوا يتودَّدون إليهم بالهدايا.

قوله: (لأنَّ إثم إضلالهم عليهم) أي: لأن الدالَّ على الشرِّ كفاعله، ويؤخذُ من ذلك: أن المقوِّي لِشَوكة الكفر بالشبهِ الباطلة والحججِ العاطلة.. عليه إثمُ كفره وإثمُ كُفرِ مَنْ تَبعه إلى يوم القيامة.

قوله: (بذلك) أي: بكون إثمِ الضلال لاحقاً بهم؛ لِقَساوة قلوبهم، فلم يعرفوا أنهم لا يضرُّون إلا أنفسهم.

---

(١) «الخلاصة»، باب: (إن وأخواتها)، والوزر: الملجأ.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ....

﴿٧٠﴾ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القُرآنِ المُشتَمِلِ على نَعتِ مُحمَّد ﷺ، ﴿وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾: تَعلمُون أنَّه الحقُّ؟

﴿٧١﴾ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾: تَخلِطُونَ ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بِالتَّحريفِ والتَّزوِير، ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: نَعتَ النَّبيِّ ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنَّه حَقٌّ؟

﴿٧٢﴾ ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليَهودِ لِبَعضِهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: القُرآنِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (القرآن المشتمل على نعت محمد) أي: وقيل: هي التوراة والإنجيل؛ فإنهما مُشتملان على نعته أيضاً، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ...﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآية.

قوله: (تعلمون أنه حقٌّ) أي: التوراة والإنجيل.

قوله: (﴿ٱلۡحَقَّ﴾) أي: وهو نعتُ محمد وأصحابه المذكورُ في التوراة والإنجيل، وقوله: (﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾) أي: وهو التغييرُ لِتلك النعوت.

قوله: (بالتحريف والتزوير) أي: الكذبِ في تلك الصفات.

قوله: (أنه حقٌّ) أي: أنه نبيٌّ حقًّا، وما جاء به من عند ربِّهِ حقٌّ.

قوله: (﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ﴾) شروعٌ في بيان تَلبيسات اليهود، ورَدَ: أنه اجتمعَ اثنا عشر من أحبار خيبر، وأجمعَ رأيُهم على أنهم يُظهرون الإسلام في أول النهار، وفي آخره يَرجعون لدينهم، ويأمرون الناسَ بذلك، وقصدُهم بذلك دخولُ الشكِّ على مَنْ آمَن به ﷺ، فلمَّا أجمعوا وصمَّموا على ذلك.. جعلَ الله كيدَهم في نُحورهم، ولم يفعلوا شيئاً من ذلك، ولو فعَلوه لعادَ شؤمُهُ عليهم، وقتلوا إن لم يَتوبوا؛ لأن المرتدَّ لا يبقى على رِدَّته؛ ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾ [الفتح: ١٠].

قوله: (﴿ءَامِنُواْ﴾) أي: صدِّقوا ظاهراً باللسان.

قوله: (أي: القرآنِ) هذا هو المشهورُ في تفسير الآية، وقيل: الذي أنزل على الذين آمنوا

وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ....

﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوَّله، ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ به ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: المُؤمنِينَ ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عن دِينِهم؛ إذ يَقُولُونَ: ما رَجَعَ هَؤلاءِ عَنهُ بَعد دُخُولهم فِيه ـ وهُم أُولُو عِلم ـ إلَّا لِعِلمِهم بُطلانَه.

﴿٧٣﴾ وقالُوا أيضاً: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾: تُصَدِّقُوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ ـ اللامُ زائدةٌ ـ ﴿تَبِعَ﴾: وافَقَ ﴿دِينَكُمۡ﴾، قال تَعالى: ﴿قُلۡ﴾ لَهُم يا مُحمَّد: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذِي هو الإسلامُ، وما عَداهُ ضَلالٌ، ....

حاشية الصاوي

هو: القبلة حين أُمرَ النبيُّ بالتحوُّل للكعبة ثانياً بعد استِقباله بيتَ المقدس، فحصلَ لليهود غيظٌ وحزنٌ عظيم، فأجمعَ رأيُهم على موافقة المؤمنين أوّلَ النهار ومُخالفتِهم آخرَهُ، لعله يحصلُ الشكُّ لأصحابه فيَرجعوا عن دِينهم.

قوله: (أوَّله) أشارَ بذلك إلى أن ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ ظرفُ زمان لِقوله: ﴿ءَامِنُواْ﴾.

قوله: (﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾) علّةٌ لقوله: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ...﴾ إلخ.

قوله: (إذ يقولون) علّةٌ للعلة.

قوله: (﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾) هذا من جملة تَلبيساتهم، وحاصلُ إعراب هذه الآية أن يقالَ: (لا): ناهية، و﴿تُؤۡمِنُوٓاْ﴾: مجزوم بها، وعلامة جَزمه حذف النون، والواو: فاعل، وقوله: (﴿أَن يُؤۡتَىٰٓ﴾) ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب، و﴿يُؤۡتَىٰٓ﴾: منصوبٌ بها، وعلامة نَصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذُّر، وهو في تأويل مصدر معمول لقوله: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾، و﴿أَحَدٌ﴾: نائبُ فاعل ﴿يُؤۡتَىٰٓ﴾، وهو مَفعول أول له، و﴿مِّثۡلَ﴾: مفعولٌ ثانٍ، وقوله: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء، و﴿لِمَن﴾: اللام زائدة، و(مَنْ): منصوب على الاستثناء، والمستثنى منه قوله: ﴿أَحَدٌ﴾، و﴿مَآ﴾: اسم موصول، و﴿أُوتِيتُمۡ﴾: صِلتها، والعائدُ محذوف، والمعنى: لا تصدِّقوا إتيانَ أحدٍ من الفضائل والكمالات مثلَ الذي أُوتيتموهُ إلا مَنْ تبعَ دينكم، وأمَّا مَنْ لم يَتبعه كمحمد.. فلا تُصدِّقوه، وهذا الوجهُ وإن كان صحيحاً من جهة المعنى إلا أنه مشكلٌ من جهة الصناعة؛ لأن فيه تقديمَ المستثنى على المستثنى منه، ومَعمولَ الصلة عليها[1].

(١) والخلاف الإعرابي في هذه الآية كبير، أورد العلامة السمين في «الدر المصون» (٣/ ٢٥٧) تسعة أوجه فيه.

أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْۗ ....

ـ والجُملةُ اعتِراض ـ ﴿أَن﴾ أي: بِأن ﴿يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ مِن الكِتاب والحِكمةِ والفَضائِل، ـ و﴿أَن﴾ مَفعُول ﴿تُؤْمِنُوٓاْ﴾، والمُستَثنَى مِنهُ ﴿أَحَدٌ﴾ قُدِّمَ عَليه المُستَثنَى ـ المعنَى: لا تُقِرُّوا بِأن أحَداً يُؤتَى ذلك إلَّا لِمَن تَبعَ دِينَكُم، ﴿أَوْ﴾ أنْ ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾ أي: المُؤمِنُونَ: يَغلِبُوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْۗ﴾ يَومَ القِيامة؛ لِأَنَّكُم أصَحُّ دِيناً، ـ وفي قِراءة: (أَأَنْ) بِهَمزةِ التَّوبِيخ

حاشية الصاوي

قوله: (والجملة اعتراض) أي: بين العاملِ والمعمول.

قوله: (و﴿أَن﴾ مفعول ﴿تُؤْمِنُوٓاْ﴾) أي: مع صِلتِها.

قوله: (والمعنى: لا تقروا... إلخ) إيضاحُهُ: أنهم قالوا: انظروا فيمن ادَّعى شيئاً من النبوة والفضائل والكمالات، فإن كان متبعاً لدينكم فصدِّقوه، وإلا.. فكذِّبوه، والمناسبُ للمفسِّر أن يقولَ: والمعنى: لا تصدقوا... إلخ، وحاصلُ المعنى الذي أشارَ له المفسِّرُ: أنه ضمَّنَ (تُؤمنوا) معنى (تقرُّوا)، فتكون اللام أصليَّة، والمستثنى منه محذوف تقديرُهُ: لأحدٍ، والمعنى: لا تقرُّوا ولا تَعترفوا لأحدٍ بأنه يُؤتى أحدٌ مثلَ الذي أُوتيتموه من الفضائل والكمالات إلا لِشخص اتَّبع دينَكم، وهذا كلُّهُ كنايةٌ عن نفي النبوةِ عن محمد ﷺ، وهذا المعنى صحيحٌ من جهة العربية والمعنى، والمفسِّرُ من شِدة اختصاره خلطَ هذا التقرير بالتقرير المتقدِّم، وقد عَلمتهما.

قوله: (﴿أَوْ يُحَآجُّوكُمْ﴾) معطوفٌ على ﴿يُؤْتَىٰٓ﴾، والضميرُ عائدٌ على ﴿أَحَدٌ﴾ المتقدِّم، وإنما جمعَهُ؛ لأنَّ أحداً في معنى الجمع، والمعنى على الأول: لا تصدِّقوا أن أحداً يُحاججُكم ويغلبكم عند ربِّكم يومَ القيامة إلا مَنْ تبعَ دِينكم، وأما من لم يَتْبعهُ فلا حجةَ له عليكم، وعلى الثاني: لا تقرُّوا بأن أحداً يَغلبُكم ويحاججُكم عند ربِّكم إلا لمن تبعَ دينكم، وأما غيره فلا تقرُّوا ولا تَعترفوا له بذلك.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّةٌ لابن كثير، لكنْ بتَسهيل الثانية.

قوله: (بهمزة التوبيخ) أي: الاستفهام التوبيخي، والكلام قد تمَّ قبل الاستفهام، والمستثنى منه محذوفٌ على كلا التقديرين المتقدِّمين، والمعنى: لا تصدقوا أحداً في دَعواه النبوةَ والفضائل إلا من تبعَ دينكم، أو: لا تقرُّوا لأحد من الناس أنه على هدًى وخير إلا لمن تبعَ دِينكم.

وقوله: (﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾) ردٌّ لمقالتهم، وجملةُ الاستفهام: استئنافيةٌ، فالمعنى: أيُؤتى أحدٌ مثلَ الذي أوتيتموه أو يكون له مُحاججةٌ عند ربكم؟ وجوابه: لا يكونُ ذلك، وهو استبعادٌ منهم لِفضل الله.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ....﴾

أي: أَإِيتاءُ أحَدٍ مِثلَه تُقِرُّونَ بِه؟ ـ قال تَعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فمِن أينَ لَكُم أنَّهُ لا يُؤتَى أحَدٌ مِثلَ ما أُوتِيتُم؟ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كَثِيرُ الفَضلِ، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَن هو أَهلُه.

﴿٧٤﴾ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي: بِمالٍ كَثِيرٍ ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ لِأَمانَتِه، كعَبدِ الله بن سَلام، ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أإيتاء أحد... إلخ) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ، خبره محذوف، تقديرُهُ: تقرُّون به.

قوله: (﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ﴾) ردٌّ عليهم حيث استبعدوا أن الله لا يُؤتي أحداً مثلَ ما آتاهم من الفضل والنبوة، وفي الحقيقة هو ردٌّ لِدعواهم من أولها إلى آخرها.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾) أي: فيُعطيه لمن يشاء.

قوله: (﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾) شروعٌ في بيان قبائحهم في أمور الدنيا بعد أن ذَكر قبائحهم في أمور الدين، والجار والمجرور: خبرٌ مقدَّم، و﴿مَنْ﴾: اسم موصول، أو نكرةٌ موصوفة، مبتدأٌ مؤخَّر، وقوله: ﴿إِن تَأْمَنْهُ﴾ و﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾ جملةٌ شرطية؛ إما صِلةٌ، أو صفة، وراعى في إفراد الضمير في ﴿تَأْمَنْهُ﴾ لفظَ ﴿مَنْ﴾، ولو راعى معناها لقال: تأمَنهم.

قوله: (أي: بمال كثير) أشارَ بذلك إلى بيان شأن هذا المؤتَمن وإن كان سببُ النزول في قِنطار حقيقة، فالمقصودُ: بيانُ شَرفه من جهة الأمانة، فلا مفهومَ للقنطار، بل لو ائتمن على قناطيرَ مُتعددة.. لم يَخُنْهُ فيها[1].

قوله: (﴿يُؤَدِّهِۦٓ﴾) يقرأ بالسكون وبالكسر مع الإشباع وتركه، فهي ثلاثُ سبعيَّات[2].

---

(١) فقد روى البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٥٨) كما سيأتي أن عبد الله بن سلام ﷺ استُودع ألفاً ومئتي أوقية من ذهب فأدَّاها لصاحبها، واستُودع فِنْحاص بن عازوراء ديناراً فخان ولم يؤدِّ.

(٢) قرأ حمزة وأبو عمرو وشعبة: (يؤدْه) و(لا يؤدْه) بإسكان الهاء، فهو وصل بنية الوقف، وقالون باختلاس حركة الهاء، وحفص والكسائي بالحركة الكاملة. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٢٦).

وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ....

أودَعَهُ رَجُل ألفاً ومِائَتَي أُوقِيَّة ذَهَباً فأَدَّاها إليهِ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ لِخيانَتِه، ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ لا تُفارِقهُ، فمتَى فارَقته أنكرَهُ، ككَعبِ بن الأشرَف، استَودَعَهُ قُرَشِيٌّ دِيناراً فجَحدَهُ، ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تَركُ الأداءِ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ بِسَبَبِ قَولِهِم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي: العَرَب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي: إثمٌ؛ لِاستِحلالِهم ظُلمَ مَن خالَف دِينَهم، ونَسَبُوه إليه تَعالى، قال تَعالَى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في نِسبةِ ذلك إلَيهِ

حاشية الصاوي

قوله: (أودعه رجل) أي: قُرشي.

قوله: (﴿بِدِينَارٍ﴾) أصله: دِنّار بنونين، قلبت الأولى ياءً؛ دفعاً للثقل، والباء في قوله: ﴿بِدِينَارٍ﴾ و﴿بِقِنطَارٍ﴾ بمعنى: في، وهو على حذف مضاف؛ أي: في حفظ قنطار، وفي حِفظ دينار، ويصحُّ أن تكون بمعنى: على؛ لِتعدي الأمانة بها في القرآن كثيراً؛ نحو: ﴿لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١]، ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦٤]، والدينارُ: أربعةٌ وعشرون قيراطاً، والقيراط وزنُهُ ثلاث شعيرات، فوزن الدينار بالشعير اثنان وسَبعون شعيرة.

قوله: (﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾) ﴿مَا﴾: مصدرية ظرفية، و(دام): فعل ماض، والتاء: اسمها، و﴿قَآئِمًا﴾: خبرها، والتقديرُ: إلا مدَّةَ دَوامه قائماً عليه، والمعنى: لا يؤدِّهِ إليك في حال من الأحوال إلا في حال ملازمتك له وإشهادك عليه.

قوله: (فجحده) أي: أنكرَهُ[1].

قوله: (أي: بسبب قَولهم) أشارَ بذلك إلى أن الباء سببيَّة، و(أن) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر مَجرور بالباء.

قوله: (أي: العرب) أي: وغيرهم ممَّنْ ليس من أهل كِتابهم[2].

قوله: (لاستحلالهم ظلمَ من خالفَ دينهم... إلخ) رُويَ: أنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه،

---

(١) قيل: الجاحد هو فنخاص كما سبق، وقيل: كعب بن الأشرف كما أورده المصنف هنا. انظر «تفسير القرطبي» (١١٥/٤).

(٢) اختار الإمام الرازي أنهم يستحلُّون ما للعرب خاصَّة، بل هو قول عامة المفسِّرين، أو أنهم يرون أن من انتقل من دين باطل إلى دين باطل بزعمهم كان في حكم المرتد. انظر «مفاتيح الغيب» (٨/ ٢٦٤).

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ....

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّهم كاذِبُون.

﴿٧٦﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ علَيهم فِيهِم سَبِيلٌ، ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ الذي عاهَدَ اللهَ عَليه، أو بِعَهدِ الله إليهِ مِن أداءِ الأمانةِ وغَيرِه، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ اللهَ بتَركِ المَعاصِي وعَمَلِ الطَّاعات، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، ـ فِيه وضعُ الظَّاهِر مَوضِعَ المُضمَر ـ أي: يُحِبُّهُم بِمعنَى: يُثِيبهُم.

حاشية الصاوي

وجميعُ ما في الأرض مُلكٌ لأبينا، وأولاد السيِّد يتصرَّفون في ملك أبيهم، وقيل: إنهم قالوا: المالُ لنا وظَلَمنا فيه العربُ، وقيل: إنهم قالوا: إن الله أباحَ لنا مال من خالف دِيننا، وادَّعوا أن ذلك في التوراة، وردَ: أن النبيَّ لما قالوا ذلك قال: «**كذَبوا، ما من شيء إلا وهو تحت قَدمي ـ يعني: منسوخٌ ـ ما عدَا الأمانة؛ فإنها مؤدَّاة للبرِّ والفاجر**»[1].

قوله: (﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) هذا بالنسبة لعلمائهم، وما عداهم مُقلِّدون لهم في ذلك.

قوله: (﴿بَلَىٰ﴾) إضرابٌ إبطالي، وهو مغنٍ عن جملة قدَّرها المفسِّرُ بقوله: (عليهم فيهم سبيل).

قوله: (﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾) جملةٌ مستأنفة مؤكِّدة للإبطال الأول.

قوله: (**الذي عاهدَ الله عليه**) أي: فهو من إضافة المصدر لفاعله، وقوله: (**أو بعهد الله إليه**) أي: فهو من إضافة المصدر لمفعوله، فكلٌّ من العبد والمولى معاهِدٌ ومعاهَد، فعهدُ الله للعبد: إثابته، وعهدُ العبد لمولاه: عدمُ مُخالفته له.

قوله: (**من أداء الأمانة... إلخ**) ورد في الحديث: «**أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه واحدةٌ منهن كان فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَعها؛ إذا اؤتمنَ خان، وإذا حدَّثَ كذب، وإذا وعدَ أخلف، وإذا عاهدَ غدر، وإذا خاصمَ فجر**»[2].

قوله: (**فيه وضع الظاهر موضعَ المضمر**) أي: وكان مقتضى الظاهر أن يقولَ: فإن الله يحبُّهُ، وفيه أيضاً مراعاةُ معنى (مَنْ).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٧١٢)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٢٢) من حديث سعيد بن جبير مرسلاً.

(٢) تبع المصنف شيخه الجمل في «الفتوحات» (١/ ٢٩٠) بجمعه بين روايات الحديث، وقد رواه البخاري (٣٤) ولم يذكر: «إذا وعد أخلف»، ورواه (٢٤٥٩) ولم يذكر: «إذا اؤتمن خان» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)﴾ . . . . . .

(٧٧) ونَزَلَ في اليَهُود لَمَّا بَدَّلُوا نَعتَ النَّبِيِّ ﷺ وعَهْدَ الله إلَيهِم في التَّوراة، وفِيمَن حَلَفَ كاذِباً في دَعوَى أو في بَيعِ سِلعةٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾: يَستَبدِلُون ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ إلَيهِم في الإيمان بِالنَّبِيِّ وأداءِ الأمانةِ ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾: حَلِفهم بِه تَعالى كاذِبِينَ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن الدُّنيا، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾: نَصِيبَ ﴿لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غَضباً علَيهِم، ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾: يَرحَمهُم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهُم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

حاشية الصاوي

قوله: (لما بدَّلوا... إلخ) شروعٌ في سبب نزول الآية، وقد ذكره على ثلاثة أوجه.

قوله: (نعت النبي) من الجماعة الذين بدلوا نعتَهُ حييُّ بنُ أخطب وكعبُ بن الأشرَف.

قوله: (في دعوى) أي: كانت بين رجلين في بئرٍ، أحدُهما الأشعثُ بن قيس، فاختصما إلى النبيِّ ﷺ، فقال له: «شاهداكَ أو يَمينُهُ»، فقال الأشعثُ بن قيس: إذاً يحلف كاذباً ولا يُبالي![1]

وقوله: (أو بيع سلعة) أي: فيمن أرادَ بيعَها وحلفَ لقد أعطي فيها كذا كاذباً.

قوله: (﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾) الباء داخلةٌ على المتروك؛ أي: يتركون الوفاءَ به في نظير الثمن القليل.

قوله: (﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ﴾) أي: فهم مخلَّدون في النار إن استحلُّوا ذلك.

قوله: (﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾) إن قلتَ: إن قوله تعالى في سورة (المؤمنون): ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ...﴾ [المؤمنون: ١٠٨] الآية يقتضي أنَّ الله يقع منه كلامٌ لهم، فكيف الجمع بين الآيتين؟!

أجيبَ: بأن قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: كلامَ رضاً، فلا ينافي أنه يكلِّمهم كلامَ غضب، أو لا يكلِّمُهم أصلاً، وآياتُ الكلام على لِسان الملائكة، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

قوله: (﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾) أي: نظرَ رحمة، وإلا.. فهو ناظرٌ لكلِّ شيء.

قوله: (يُطهرهم) أي: من الذنوب، ولا يُثني عليهم، وهذا استخفافٌ بهم.

---

(١) رواه البخاري (٢٥١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، والأشعث صحابي تخلَّل إيمانه ردَّة.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَٰبِ ....

﴿٧٨﴾ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: أهلِ الكِتابِ ﴿لَفَرِيقًا﴾: طائِفةً ككَعبِ بن الأشرَفِ، ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَٰبِ﴾ أي: يَعطِفُونَها بِقراءَتِه عن المُنزَّل إلى ما حَرَّفُوهُ مِن نَعتِ النَّبيِّ ﷺ ونَحوِه؛ ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: المُحَرَّف ﴿مِنَ الْكِتَٰبِ﴾ الَّذي أنزَلَهُ الله، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا﴾) هذا من جملة قبائحهم وتلبيساتهم، وأُكِّدت الجملةُ بـ(إنَّ) واللامِ؛ إشارةً إلى أن ذلك محقَّقٌ منهم.

قوله: (ككعب بن الأشرف) أدخلَت الكافُ مالكَ بن الصيف، وحييَّ بنَ أخطب، وأبا ياسر[(١)]، وشعبةَ بن عمرو الشاعر.

قوله: (﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم﴾) في محلِّ نصب صفة لـ(فريقاً)، وقوله: (﴿مِنْهُمْ﴾) متعلِّق بمحذوف خبر (إن)، وراعى في الجمع معنى ﴿فَرِيقًا﴾؛ لأنه اسمُ جمع كـ(رهط وقوم)، قال بعضهم: ويجوز مراعاةُ اللفظ، و﴿أَلْسِنَتَهُم﴾: جمعُ لسان، وهذا على أنه مذكَّر، وأما على أنه مؤنث فهو جمع لألسن كـ(ذراع وأذرُع)[(٢)]، والمرادُ من الألسنة: الكلامُ؛ ففيه إطلاقُ الشيء على آلتِه، والباء في ﴿بِالْكِتَٰبِ﴾ بمعنى (في) أي: يَلفتون ألسنتَهم في حال قراءة الكتاب[(٣)].

قوله: (أي يعطفونها) أي: يلفتونها.

قوله: (عن المنزل) متعلق بـ(يعطفونها)، وكذا قوله: (إلى ما حرَّفوه)، وقوله: (من نعت النبي) بيانٌ لـ(ما).

قوله: (ونحوه) أي: كآية الرجم وغيرها ممَّا يشهدُ للنبي بالتصديق.

قوله: (﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾) أي: أيُّها المؤمنون، فالمقصودُ من ذلك: إدخالُ اللَّبس على المؤمنين.

قوله: (﴿مِنَ الْكِتَٰبِ﴾) في محلِّ نصب مفعول ثانٍ لـ﴿تَحْسَبُوهُ﴾، والهاء: مفعولٌ أول.

---

(١) في النسخ: (أبي بن ياسر)، والتصحيح من «تفسير البغوي» (١/ ١٧١)، وهو أبو ياسر بن أخطب أخو حُيي.

(٢) كذا في النسخ، والمراد: إن اعتبرنا كلمة (لسان) مؤنثة فيكون جمعها ألسن، أو مذكرة فجمعها ألسنة، وانظر «لسان العرب» (ل س ن).

(٣) يأتي الليُّ بمعنى اللفت والفتل.

وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ ....

﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُم كاذِبُون.

﴿٧٩﴾ ونَزَلَ لمَّا قال نَصارَى نَجرانَ: (إنَّ عيسَى أَمَرَهُم أن يَتَّخِذُوهُ رَبًّا)، أو لَمَّا طَلَبَ بَعضُ المُسلِمِينَ السُّجُود لَه ﷺ: ﴿مَا كَانَ﴾: يَنبَغِي ﴿لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ أي: الفَهمَ لِلشَّرِيعةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: لا في الواقع، ولا في اعتقادهم، وأظهرَ في محلِّ الإضمار في الموضعين؛ زيادةً في التَّبكيت عليهم.

قوله: (﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) الواو: للحال، وقوله: (أنهم كاذبون) إشارةٌ إلى مفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾.

قوله: (ونزل لما قال نصارى نجران) أي: حين قدموا على النبيِّ ﷺ، فالمرادُ بالبشر على هذا: هو عيسى، وبالكتاب: الإنجيل(١)، وقوله: (أو لما طلب بعض المسلمين... إلخ) (أو): لتنويع الخلاف، فالمرادُ بالبشر على ذلك: هو محمدٌ ﷺ، وبالكتاب: القرآن، وآخر الآية يؤيِّدُ هذا السبب(٢).

قوله: (﴿مَا كَانَ﴾ ... إلخ) هذه الصيغةُ يؤتى بها للنفي العامِّ الذي لا يجوزُ عقلاً ثُبوته، وهو المرادُ هنا، وكذلك قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠] أي: لا يمكنُ ولا يتصوَّرُ عقلاً دعوى الألوهية من نبيٍّ قطُّ، ويُؤتى بها للنفي الخاصِّ؛ كقول أبي بكر: (ما كان لابنِ أبي قحافة

---

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (١/ ٤٦٢).

(٢) أخرج عبد بن حميد ـ كما في «الدر المنثور» (٢/ ٢٥٠) ـ عن الحسن بلاغاً: أن رجلاً قال: يا رسول الله، نسلِّمُ عليك كما يسلِّمُ بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ قال: «لا، ولكن أكرموا نبيَّكم، واعرفوا الحقَّ لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله»، فأنزل الله الآية.

وروى أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٧) عن معاذ بن جبل أنه لما رجع من اليمن قال: يا رسول الله؛ رأيتُ رجالاً باليمن يسجدُ بعضهم لبعض، أفلا نسجد لك؟ قال: «لو كنت آمراً بشراً يسجد لبشر.. لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها»، وطلبُهم للسجود له ﷺ محمولٌ على المبالغة في التعظيم، والنهيُ لأنه قد يبلغ العبادة.

وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ....

﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾ يَقُولُ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾: عُلَماءَ عامِلِينَ، ـ مَنسُوبٌ إلى الرَّبِّ بِزِيادةِ أَلِف ونُونٍ تَفخِيماً ـ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ ....

حاشية الصاوي

أن يتقدَّمَ في الصلاة بين يدي رسول الله ﷺ[1] أي: ما ينبغي له ذلك، فقول المفسِّر: (ينبغي) أي: يمكن، وقد فسَّرَهُ المحلِّيُّ في سورة (يس) في قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠] بذلك.

قوله: (﴿ثُمَّ يَقُولَ﴾) معطوف على (يؤتيَ)، وهذا العطف لازمٌ يتوقَّفُ صحة المعنى عليه، لأنَّ مصبَّ النفي المعطوفُ والمعطوفُ عليه.

قوله: (﴿لِلنَّاسِ﴾) أي: أمةِ محمد على الثاني، ونصارى نجران على الأول.

قوله: (﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾) أي: من غير أن يَقصرهم على الله؛ بأن يشركَ نفسه مع الله في العبادة، أو يفردَ نفسه بالعبادة، وهذه الجملةُ حالٌ من الواو في ﴿كُونُوا۟﴾ أي: حالَ كونكم متجاوزين الله إشراكاً أو إفراداً.

قوله: (﴿وَلَٰكِن﴾) استدراكٌ على ما تقدَّم.

قوله: (**بزيادة ألف ونون**) أي: كرَقباني وشعراني ولحياني، وقوله: (**تفخيماً**) أي: للمبالغة.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ﴾) الباءُ: سببيَّة.

قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[2]، فالعِلمُ سببٌ للعمل، فقبيحٌ

---

(١) رواه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وتقرير المصنف في الصورة الأولى استحالة دعوى النبي الألوهيةَ عقلاً قد يقال: دعوى الألوهية داخلة في الكذب، واستحالة الكذب في حق النبي ثابتة بالدليل الشرعي لا العقلي، وقيل: دليلها عقلي؛ لتنزهه تعالى عن تصديق الكاذب، وهو المسلك الذي سلكه المصنف في «شرحه جوهرة التوحيد» (ص٢٨٣) حيث قال: (ولو كان كاذباً للزم الكذب في خبره تعالى...، والكذب على الله محال)، وعند العلامة الباجوري في «تحفة المريد» (ص٢٠٠، ٢٠٤): أن الاستحالة ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع، فدليلها شرعي لا عقلي.

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «تفسير البغوي» (١/ ٤٦٣).

ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ....

﴿ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي: بِسَبَبِ ذلك؛ فإنَّ فائِدَته أن تعمَلُوا.

﴿٨٠﴾ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ ـ بِالرَّفعِ استِئنافاً أي: الله، والنَّصبِ عَطفاً على ﴿يَقُولَ﴾ أي: البَشَرُ ـ ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ كما اتَّخَذَتِ الصَّابِئَةُ المَلائكةَ ....

حاشية الصاوي

على العالم تركُ العمل، وأقبَحُ منه أن يرشدَ الناس ويهديَهم مع كونه هو غيرَ مُهتدٍ في نفسه، قال بعضهم: [الرجز]

وَعَالِمٌ بِعِلْمِهِ لَمْ يَعْمَلَنْ ... مُعَذَّبٌ مِنْ قَبْلِ عُبَّادِ الوَثَنْ(١)

فمثلُ العالم الذي يعلِّمُ الناسَ وهو غير عامل كشَمعة موقودة تضيء للناس وتُحرقُ نفسها، وفي هذا المعنى قال بعضهم: [المتقارب]

أَتَنْهَى النَّاسَ وَلا تَنْتَهِي ... مَتَى تَلْحَقُ القَوْمَ يا لُكَعُ؟

وَيا حَجَرَ السَّنِّ ما تَسْتَحِي ... تَسُنَّ الحَدِيدَ وَلا تَقْطَعُ(٢)

قوله: (أي: الله) أشارَ بذلك إلى أن فاعل (يأمرُ) ضميرٌ مستتر عائد على الله.

قوله: (قوله: عطفاً على ﴿يَقُولَ﴾) أي: لأنه في حيِّزِ النفي، وتكون (لا) زائدةً لتأكيد النفي، والمعنى: لا يمكنُ لبشرٍ أن يأمر بعبادة الناس له، ولا بعبادة الملائكة والنَّبيين، وقوله: (أي: البشر) أي: ففاعله ضمير يعود على البشر، ولا يصحُّ كون الفاعل ضميراً يعودُ على الله(٣).

قوله: (﴿أَرْبَابًا﴾) أي: بل نحبُّهم ونعتقدُ أنهم عبيدٌ مكرمون، لا يَعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يضرُّون ولا ينفعون؛ فنَتوسلُ بهم إلى الله لذلك، لا لكونهم أرباباً.

قوله: (كما اتخذت الصابئة) هم فرقةٌ من اليهود صَبؤوا ـ بمعنى: مالوا ـ عن دين موسى إلى عبادة الملائكة، وقالوا: إنهم بناتُ الله.

---

(١) من «زبد ابن رسلان» أرجوزة في الفقه الشافعي، ووقع في النسخ: (لن) بدل (لم)، والتصحيح من «غاية البيان» (ص٤).

(٢) حكاهما الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٣٦/ ١٢١) من شعر ابن تومرت، وحكاهما بنحوهما أيضاً الحافظ الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (١/ ٨) لأحمد الغزالي في عظة لأخيه حجة الإسلام صاحب «الإحياء»، واللكع: اللئيم ذليل النفس.

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بنصب الراء، والباقون بالرفع. انظر «تفسير البغوي» (١/ ٤٦٣).

أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ....

واليَهُودُ عُزَيراً والنَّصارَى عيسَى، ﴿أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾؟! لا يَنبَغِي لَه هذَا.

﴿٨١﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذۡ﴾: حِينَ ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: عَهدَهُم ﴿لَمَآ﴾ - بِفَتحِ اللَّامِ لِلابتِداءِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (واليهود عزيراً) أي: حيث رأوهُ يحفظُ التوراة.

قوله: (والنصارى عيسى) أي: حيث رأوهُ جاءَ من غير أبٍ، ويُحيي الموتى.

قوله: (لا ينبغي له هذا) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهام إنكاريٌّ تعجبي، نظيرُ قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢٨].

قوله: (﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾) (إذ): ظرفٌ لمحذوف قدَّره المفسر بقوله: (اذكر)، والمرادُ: ذكرُ العهد نفسه، لا ذكرُ وقته، والميثاقُ: هو عهدٌ مؤكَّد باليمين، واختُلفَ فيه: هل كان ذلك في عالم الذَّرِّ، وعليه: يكون قوله: ﴿ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ﴾ [آل عمران: ٨١] في عالم الأشباح، فالمعاهدةُ لما يأتي، أو كان ذلك في عالم الأشباح وكانت تلك المعاهدةُ تنزلُ في كتبهم، وعليه تكون المعاهدةُ في الحالَة الراهنة؟

واختُلف في الرسول المعاهَدِ عليه في جميع الأنبياء؛ فذهب جماعةٌ من الصحابة والتابعين منهم سعيد بن جبير وطاووس إلى أن كلَّ نبيٍّ يعاهدُ على من يأتي بَعده من الأنبياء، فأُخذَ العهدُ على آدم إن جاءه رسولٌ مصدِّقٌ لما معه ليؤمننَّ به ولَيَنصرنه، وكذلك شيثٌ أُخذَ عليه العهدُ، وهكذا إلى إبراهيم إلى موسى إلى بقية أنبياء بني إسرائيل إلى عيسى، فهو ﷺ معاهَدٌ عليه مع كلِّ نبيٍّ في عموم الأنبياء، ومع عيسى عُوهدَ عليه بالخصوص، وهي حِكمة قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦].

وذهب جماعةٌ أخرى من الصحابة منهم ابنُ عباس وعليُّ بن أبي طالب والسّدي وقتادة إلى أن المرادَ بالرسول المعاهَدِ عليه هو سيدُنا محمد ﷺ، فأخذَ الله العهد على كلِّ نبيٍّ بانفراده لئن جاءَهُ محمدٌ وهو حيٌّ مُصدق لما معه ليؤمنَّ به ولَيَنصرنه، وعليه: فلو ظهرَ محمدٌ في زمن أيِّ نبيٍّ من الأنبياء لبطلَ شرعُ ذلك النبي، وكان هو وأُمَّته من أتباعه، واقتصرَ على هذا القول المفسِّر.

﴿ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ﴾ ....

وتَوكِيدِ معنَى القَسَم الَّذي في أخذِ المِيثاق، وكَسرِها مُتعلِّقة بِـ﴿أَخَذَ﴾، و(ما) مَوصُولة على الوَجهَينِ ـ أي: لَلَّذِي ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ إيَّاهُ، ـ وفي قِراءة: ﴿ءَاتَيْنَٰكُم﴾ ـ ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ مِن الكِتاب والحِكمةِ وهو مُحمَّد ﷺ، ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ ـ جَوابُ القَسَم ـ إنْ أدرَكتُمُوه، وأُمَمُهُم تَبَعٌ لَهُم في ذلكَ، ﴿قَالَ﴾ تعالى لَهُم: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بِذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾: قَبِلتُم ....

حاشية الصاوي

قال السبكي: يؤخذُ من الآية على هذا التفسير: أنه نبيُّ الأنبياء، وأن الأنبياءَ نُوَّابُهُ[١]، والحكمةُ في تلك المعاهدة: ارتباطُ أوَّلهم بآخِرهم، وبيانُ عِصمتهم من داء الحسد، وظهور الحسد من الأُمَم التي تكفرُ بالرسول المبعوث.

قوله: (أو توكيد معنى القسم) أي: مؤكدة لليمين المأخُوذ من الميثاق؛ فإنه تقدَّم أن معنى الميثاق: عهدٌ مؤكَّدٌ بيمين.

قوله: (متعلِّقة بـ﴿أَخَذَ﴾) أي: على أنها لِلتعليل مع حذف مضاف؛ أي: لِرعاية وحفظ ما آتيتكم.

قوله: (و(ما): موصولة على الوجهين) وهي على الأول مبتدأ، و﴿ءَاتَيْتُكُم﴾: صلتُها، وقوله: ﴿مِّن كِتَٰبٍ﴾ بيان لـ(ما)، ﴿وَحِكْمَةٍ﴾: معطوف على ﴿كِتَٰبٍ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾، و﴿مُّصَدِّقٌ﴾: صفة لـ﴿رَسُولٌ﴾، وقوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾: جواب القسم، وخبرُ المبتدأ محذوفٌ تقديرُهُ: تؤمنون به وتَنصرونه، والضميران في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ راجعان للرسول، واستُشكلَ عودُ الضمير على الرسول مع أن المبتدأ في الحقيقة الكتاب والحكمة، وانظُرْ ما الجواب؟

قوله: (﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾) بتحقيق الهمزتين بألف بينهما، وتَركها وتسهيل الثانية بألف وبدونها، وبإبدال الثانية ألفاً، فالقراءاتُ خمسٌ[٢].

---

(١) القول لتقي الدين السبكي رحمه الله تعالى في «فتاويه» (١/ ٤٠) بتصرف، وقال أيضاً: (وبهذا بان لنا معنى حديثين خفيا عنا؛ أحدهما: «بُعثت إلى الناس كافة»، كنَّا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة، فبان أنه جميع الناس أولهم وآخرهم، والثاني: قوله ﷺ: «كنت نبيًّا وآدم بين الروح والجسد» كنَّا نظن أنه بالعلم، فبان أنه زائد على ذلك...).

(٢) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية وألف بينها وبين الهمزة الأولى، وابن كثير كذلك إلا أنه أدخل ألفاً =

عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ ....

﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ﴾: عَهدِي؟ ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ﴾ على أنفُسِكم وأتباعِكم بِذلك، ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليكُم وعليهم.

﴿٨٢﴾ ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرَضَ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ المِيثاقِ، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

﴿٨٣﴾ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ ـ بِالياءِ ـ أي: المُتولُّونَ، ـ والتَّاءِ ـ ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾: انْقادَ

حاشية الصاوي

قوله: (عَهدِي) سمَّى العهد بالإصر؛ لأنَّ فيه مشقَّة.

قوله: (﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ﴾) جوابٌ عن سؤال تقديره: ماذا قالوا حينئذٍ؟ وثمرةُ المعاهدة على محمد مع علمِ الله أنه لا يأتي في زمن نبيٍّ من الأنبياء: الثوابُ على العزم بالاتباع، والعقابُ على العزم بعدم الإيمان، فجميعُ الأنبياء يُثابون على الإيمان بمحمد، ومَن عزمَ على عدم الإيمان به لو ظهرَ عُوقِب.

قوله: (﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾) **إن قلتَ**: إن الأنبياءَ معصُومون من ذلك! **أجيب**: بأن الشرطية لا تقتضي الوقوع[1]، أو خطابٌ لهم والمرادُ أممُهم.

قوله: (﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾) هذا ردٌّ على اليهود والنصارى؛ حيث ادَّعى كلٌّ دينَ إبراهيم، واختصموا إلى النبيِّ، فقال النبي: كلا الفريقين بريءٌ من دين إبراهيم، والهمزةُ داخلةٌ على محذوف تقديره: أعَمُوا فغير دين الله يبغون؟!

قوله: (﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾) جملة حالية.

= بينهما، ولورش وجهان: أحدهما كابن كثير، والثاني: أنه يبدل الثانية حرف مدٍّ، والباقون بتحقيق الهمزتين من غير دخول ألف بينهما. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٢٨).

(١) قال ابن عرفة في «تفسيره» (٢/ ٦١٧): (قال أبو حيان: وكل عسى في القرآن للتحقيق يَعنون به الوقوع، إلا قوله عز وجل: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾، قال ابن عرفة: بل هي أيضاً للتحقيق؛ لما تقدم من أن القضية الشرطية تقتضي صحة ملزومية الجزاء للشرط، ولا تقتضي الثبوت والوقوع، والقضية الحملية تقتضي الثبوت والوقوع).

مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ ....

﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا﴾ بِلا إباءٍ، ﴿وَكَرۡهٗا﴾ بِالسَّيفِ ومُعايَنةِ ما يُلجِئُ إلَيه، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾؟ - بِالتَّاءِ والياء. والهَمزةُ لِلإنكارِ -.

﴿٨٤﴾ ﴿قُلۡ﴾ لَهُم يا مُحمَّد: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿طَوۡعٗا﴾) راجع لجميع أهل السماء وبعض أهل الأرض، وقوله: (﴿وَكَرۡهٗا﴾) راجع لبعض أهل الأرض، فـ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾: مصدران في موضع الحال، والتقدير: طائعين وكارهين.

قوله: (ومعاينة ما يلجئ إليه) أي: إلى الإسلام؛ كنتقِ الجبل[1]، وإدراكِ فرعون وقومِهِ الغرقَ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ...﴾ [غافر: ٨٤] الآية.

قوله: (والهمزة للإنكار) أي: التوبيخي، وقدَّمَ المفعول؛ لأنَّ المقصودَ إنكاره.

قوله: (﴿قُلۡ ءَامَنَّا﴾) لمَّا تقدَّم أن الله أمرَ الأنبياءَ بالإيمان بمحمد على أرجح التفسيرين.. ذكرَ هنا أمره بالإيمان، وأفردَ في قوله: ﴿قُلۡ﴾ وجمع في قوله: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ لأن النبيَّ هو المخاطب بالوحي والتبليغ فقط، وأما الإيمان فمخاطبٌ به هو وأتباعه.

قوله: (﴿بِٱللَّهِ﴾) أي: صدَّقنا بأن الله متَّصفٌ بكلِّ كمال، ويستحيل عليه كلُّ نقص.

قوله: (﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾) أي: وهو القرآن، وعبَّرَ هنا بـ(على) وفي (البقرة) بـ(إلى)؛ لأنَّ مادةَ النزول تتعدَّى بهما، غير أنه بالنظر للمبدإ يُعدَّى بـ(على) كما هنا؛ لأنَّ المخاطبَ بذلك هو الموحى إليه، وهو محمد والأنبياء بعده، وبالنظر لِلمنتهى كما في (البقرة) يُعدَّى بـ(إلى)؛ لأنَّ المأمورَ بذلك الأمم.

قوله: (﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾) إنما صرَّحَ بأسماء هؤلاء؛ لأن أهلَ الكتاب يعترفون بكُتبهم ونبوَّتهم.

قوله: (﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ ... إلخ) أي: وما أنزلَ على هؤلاء من الوحي، وكانوا يتعبَّدون بشرع

---

(١) أي: قلعه، كما في الآية: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ﴾.

وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ....

أولادِه، ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ بِالتَّصدِيقِ والتَّكذِيب، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: مُخلِصُونَ في العِبادةِ.

حاشية الصاوي

إبراهيم بوحي من الله، وإسماعيلُ أبو العرب، وإسحاقُ أبو العجم، ويعقوبُ بنُ إسحاقَ، والأسباطُ أولادُ يعقوب، وكانوا اثني عشر رجلاً؛ يوسف وأخوته، ويؤخذُ من الآية: أنهم أنبياءُ يجبُ الإيمان بهم، وهو المعتمَدُ، وما يأتي في سورة (يوسف) من الوقائع العظيمة الموهِمة عدمَ عصمتهم.. فمؤوَّلٌ بأنهم مأمورون بذلك باطناً من حضرة الله؛ كأفعال الخضر عليه السلام، قال تعالى في حقه: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [الكهف: ٨٢]، ويقال فيهم ما يقال فيه بالأولى؛ فإنَّ المعتمدَ: أن الخضرَ ليس بنبيٍّ، والأسباطُ أنبياءُ على المعتمد، وموافقةُ ظاهر الشرع إنما تلزمُ الرسولَ المشرِّعَ، فتأمَّلْ[1].

قوله: (أولاده) أي: أولاد يعقوب، فهم أسباطٌ لإبراهيم بمعنى: أولاد بَنِيه، لا بالمعنى المصطلح عليه وهو أولاد البنت.

قوله: (﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾) أي: من التوراة والإنجيل ومعجزاتهما.

قوله: (﴿وَٱلنَّبِيُّونَ﴾) عطفُ عامٍّ على خاص؛ أي: فيجب الإيمان بالنبيين عموماً، إجمالاً في الإجمالي، وتفصيلاً في التفصيلي، فيجبُ الإيمان تفصيلاً بخمسة وعشرين نبيًّا، ثمانيةَ عشرَ في (الأنعام)، ومحمد وآدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل، مَنْ أنكر أيَّ واحد منهم بعد عِلمه.. فقد كفر، ويجبُ الإيمانُ إجمالاً بما عدا هؤلاء، ولا يعلمُ عدَّتَهم إلا الله.

قوله: (بالتصديق والتكذيب) أي: بالتصديق لِبَعض، والتكذيب للبعض الآخر؛ كما فعَلت اليهودُ والنصارى[2].

قوله: (مُخلصون في العبادة) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالإسلام هنا: حقيقتُهُ، وهو الانقيادُ الظاهري.

---

(١) تقدَّم طرف من هذا نقلاً عن «شرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي. انظر (١/ ٢٤٦)، وسيأتي في تفسير سورة (الكهف) أنه صحح نبوة الخضر عليه السلام جماعةٌ. انظر (٤/ ١٦٧).

(٢) فلا يدخل في التفريق تفضيلُ بعض على بعض كما نطق به الشرع.

وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٨٦) ....

(٨٥) ونَزَلَ فِيمَن ارتَدَّ ولَحِقَ بِالكُفار: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؛ لِمَصِيرِه إلى النَّار المُؤَبَّدة علَيه.

(٨٦) ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ أي: وشَهادَتِهم ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجَجُ الظَّاهِراتُ على صِدق النَّبِيِّ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافِرين.

حاشية الصاوي

قوله: (فيمن ارتدَّ) أي: وهم اثنا عشر، أسلَموا بالمدينة، ولحقوا بأهل الكفر في مكة، منهم الحارثُ بن سويد الأنصاري، ولكنه أسلمَ بعد ذلك[١].

قوله: (﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ﴾) اعلَمْ: أن جمهور السبعة على الفكِّ؛ لوجود الفاصل الحكمي، وهو الياءُ التي حذفَها الجازم؛ لأن المحذوفَ لعلَّة كالثابت، وقرأ أبو عمرو في أحد وجهيه بالإدغام نظراً للصورة الظاهرية، ونظيرُهُ في القرآن كلُّ مثلين بينهما فاصل حكمي ففيه الوجهان؛ نحو ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٩]، ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٢٨]، و(مَن): اسم شرط، و﴿يَبْتَغِ﴾: فعله، و﴿غَيْرَ﴾: مفعول، و﴿دِينًا﴾: تمييز لـ﴿غَيْرَ﴾، أو بدل منه، أو مفعول، و﴿غَيْرَ﴾: حال؛ لأنه نعتُ نكرة قُدِّمَ عليها.

قوله: (﴿فَلَن يُقْبَلَ﴾) أي: ولا يقرُّ عليه.

قوله: (﴿كَيْفَ﴾) استفهامٌ إنكاري بمعنى النفي كما يُشيرُ له المفسر بقوله: (أي: لا يهدي)، وقيل: إنه استبعادي؛ أي: فهُداهم مستبعدٌ، قال العارف البوصيري: [الخفيف]

وَإِذا البَيِّناتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً فَالْتِماسُ الهُدَى بِهِنَّ عَناءُ[٢]

قوله: (أي: وشهادتهم) أشارَ بذلك إلى أن الفعل مؤوَّلٌ باسم لِصِحة عطفه على الاسم الذي هو الإيمان.

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٤٦٦).

(٢) من همزيته المشهورة، انظر «المنح المكية» (ص٤٠٢).

أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ....

﴿٨٧﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللَّعنةِ، أو النَّارِ المَدلُول بِها علَيها، ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلُونَ.

﴿٨٩﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ﴾ عَمَلَهم؛ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُم، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِم.

﴿٩٠﴾ ونَزَلَ في اليَهُود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بِعيسَى ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بِمُوسَى، ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بِمُحمَّدٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾) أي: حتى أهل النار في النار، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

قوله: (أي: اللعنة) أي: ومن لوازمها الخلودُ في النار، وقوله: (المدلول بها) أي: اللعنة، وقوله: (عليها) أي: النار.

قوله: (﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾) أي: كالحارث بن سويد؛ فإنه لما ارتدَّ وذهبَ لمكة مع الكفار وأرادَ اللهُ له الهدى.. بعثَ لأخ له بالمدينة وكان مُسلماً يقول له: أخبِرْ رسولَ الله أني إذا تبتُ هل أُقبل؟ فأخبرَ رسول الله بذلك، فنزَلت الآية، وبعَثها له بمكة، فأتى طائعاً وأسلم وحسُن إسلامه[1]، وهذا شروعٌ في تَقسيم الكفار إلى ثلاثة أقسام: قِسم منهم كفرَ ولم يَعد، وقسم كفرَ ثم عاد للإسلام ظاهراً فقط، وقِسم كفرَ ثم أسلم ظاهراً وباطناً.

قوله: (﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾) أي: الكفر.

قوله: (﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم) أي: حيث قَبِلَ توبتَهم.

قوله: (بعيسى) أي: والإنجيل، وقوله: (بموسى) أي: والتوراة، وقوله: (بمحمد) أي: والقرآن.

---

(١) تقدَّم بعض الخبر، وقد رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٧١٨).

لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ....

﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغَرُوا أو ماتُوا كُفاراً، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

﴿٩١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾: مِقدارُ ما يَملؤُها ﴿ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾، ـ أدخلَ الفاء في خَبَر ﴿إِنَّ﴾ لِشَبَهِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بِالشَّرطِ، وإيذاناً بِتَسَبُّبِ عَدَم القَبُولِ عن المَوت على الكُفرِ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِمٌ، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانِعِينَ مِنه.

﴿٩٢﴾ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ثَوابَهُ وهو الجَنَّة، ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾: تَصَدَّقُوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ مِن أموالِكُم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (إذا غرغروا) أشارَ بذلك إلى أن الآية مُقيَّدةٌ بذلك، وهذا في الكافر، وأما العاصي فتقبلُ منه عِند الغرغرة.

قوله: (أو ماتوا كفاراً) أي: بأن تابُوا عند معاينة العذاب.

قوله: (﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾) أي: مشرقاً ومغرباً.

قوله: (﴿ذَهَبًا﴾) تمييز، وخصَّهُ بالذكر؛ لأنه أحسنُ الأموال وأغلاها.

قوله: (﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾) أي: هذا إذا تصدَّقَ به، بل ولو افتداه أهلُهُ به، فالصدقةُ لا تنفعه منه أو من غيره لأجلِه.

قوله: (﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾) لمَّا ذكر أن صدقةَ الكافر لا تنفعُهُ.. ذكرَ هنا أنَّ صدقةَ المسلم وجميعَ طاعاته تنفعُهُ.

قوله: (ثوابه) أي: البرِّ، أشارَ بذلك إلى أنَّ في الكلام حذفَ مضاف.

قوله: (تصدقوا) بحذف إحدى التاءين على التخفيف، أو بدُون حذف على التشديد؛ بقلب إحدى التاءين صاداً وإدغامها في الصاد.

قوله: (من أموالكم) أي: وغيرِها من الأنفس والجاه.

وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ....

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فيُجازِي عليهِ.

﴿٩٣﴾ ونَزَلَ لَمَّا قال اليَهود: (إنَّك تَزعُم أنَّك على مِلَّة إبراهِيم، وكان لا يَأكُل لُحُومَ الإبِل وألبانَها): ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾: حَلالاً ﴿لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾: يَعقُوبُ ﴿عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾، وهو الإبِلُ لَمَّا حَصَلَ لَهُ عِرق النَّسا ـ بِالفَتحِ والقَصر ـ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾) هذه الجملةُ في محلِّ الجواب؛ أي: فحيث كان عليماً بذلك لا يضيعُ من جزائه شيءٌ، وقد أشارَ لذلك المفسِّر بقوله: (فيُجازون عليه).

قوله: (ونزل لما قال اليهود... إلخ) أي: سببُ نزولها قولُ اليهود ما ذكر[1].

قوله: (وكان لا يأكل لحوم الإبل) أي: زعموا أن ما ذُكرَ حرامٌ على إبراهيم؛ فلو كنت على ملَّتِهِ لما كان ذلك حِلًّا لك، فردَّ الله عليهم زعمَهم.

قوله: (﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ﴾) أي: الذي هو حلالٌ في شرعنا كما هو حلال في شَرعنا.. كان حلالاً في شرعه.

قوله: (حلالاً) أشارَ بذلك إلى أنه يُقال: حِل وحَلال، وكذلك حِرْم وحَرام[2].

قوله: (﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾)[3] معناه بالعربية: عبد الله، وهو اسمه، ويعقوبُ: لقبُهُ.

قوله: (عرق النَّسا) أي: وهو عرقٌ ينقر في باطن الفخذ يعجزُ صاحبه، ووردَ في دوائه عن أنس عن النبي ﷺ: أنه يؤتى بكبش عربي ويذبح، وتؤخذُ أليتُهُ وتقطَّعُ ثم تسلى بالنار، ثم يؤخذُ ذلك ويقسم ثلاثةَ أجزاء، ويشربُ كلُّ جزء على الرِّيق، قال أنسٌ: فما زلتُ أصفُ ذلك لمن نزلَ به، فشفيَ به أكثرُ من مئة[4].

---

(١) «زاد المسير» (١/ ٣٠٤).

(٢) «الدر المصون» (٣/ ٣١١).

(٣) رواه الترمذي (٣١١٧)، وما سيأتي بنحوه رواه الطيالسي في «مسنده» (٢٨٥٤).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٤٦٣)، والنسا: بوزن: عَصا، وأنس يحتمل أن يكون الصحابي ﷺ هو القائل، أو أنس بن سيرين الراوي عنه كما في «المستدرك» (٢/ ٢٩٣).

مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ ....

فنَذَرَ إن شُفِيَ لا يَأكُلها، فحُرِّمَ علَيهِم، ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ وذلكَ بَعد إبراهِيمَ، ولَم تَكُن على عَهدِه حَراماً كما زَعَمُوا، ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ لِيَتَبيَّنَ صِدقُ قَولِكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ فِيه، فبُهِتُوا ولَم يَأتُوا بِها. قال تَعالى:

﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: ظُهُورِ الحُجَّةِ بِأنَّ التَّحريم إنَّما كانَ مِن جِهةِ يَعقُوبَ لا على عَهدِ إبراهِيم، ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: المُتَجاوِزُون الحقَّ إلى الباطلِ.

حاشية الصاوي

قوله: (فنذرَ إن شفيَ لا يأكلُها) أي: وكان لحمُها أحبَّ المأكول إليه، ولبنُها أحبَّ المشروب إليه، ومثلُ هذا النذر لا يلزمُ في شرعنا؛ لأنَّ النذرَ إنما يلزمُ به ما يندبُ، وتركُ ما ذُكرَ ليس مندوباً[1].

قوله: (فحرم عليه) قيل: حرمت أيضاً على أولاده تبعاً له، وقيل: هو حرَّمَها على نفسه وعلى ذريته.

قوله: (﴿مِن قَبْلِ﴾) ظرف متعلق بـ﴿حِلًّا﴾ مع ملاحظة الاستثناء، ويحتملُ أنه متعلِّقٌ بقوله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ﴾.

قوله: (وذلك بعد إبراهيم) أي: بألف سنة.

قوله: (صدق قولكم) أي: إخباركم عنه بأن ما ذُكرَ حرامٌ عليه.

قوله: (فبهتوا) من باب: عَلِم أو نصَر أو كرُم أو زُهِيَ، والمعنى: دهشوا وتحيَّروا وانقطعت حجَّتُهم.

قوله: (﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾) أي: اختلقَهُ من عند نَفسه.

قوله: (بأن التحريم) أي: لخصوص لحوم الإبل وألبانها.

---

(١) وفي الآية شاهد لمن قال بالمجاهدة بترك بعض المباحات عملاً لا اعتقاداً.

قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ....

﴿٩٥﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هذا كجَمِيعِ ما أخبَرَ به، ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الَّتي أنا علَيها، ﴿حَنِيفًا﴾: مائِلاً عن كُلِّ دِينٍ إلى الإسلامِ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿٩٦﴾ ونَزَلَ لَمَّا قالُوا: (قِبلَتُنا قبلَ قِبلَتِكم): ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مُتَعَبَّداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرضِ ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ ـ بِالباءِ لُغةٌ في (مَكَّة) ـ سُمِّيَت بِذلك لِأنَّها تَبُكُّ أعناقَ الجَبابِرة أي: تَدُقُّها، بَناهُ المَلائكةُ قبلَ خَلقِ آدَم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾) أي: ثبتَ وتقرَّرَ صدقُهُ، وظهرَ كذبُكم.

قوله: (كجميع ما أخبر به) أي: كصِدقه في جميع أخباره التي جاءت بها الرسل.

قوله: (التي أنا عليها) أي: وجميعُ المؤمنين.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾) تعريضٌ لهم بأنهم هم المشركون، وبيانٌ أن النبيَّ على ملَّةِ إبراهيم من حيث السهولة وأصول الدين.

قوله: (ونزل لما قالوا... إلخ) أي: حين حُوِّلت القبلةُ قالوا: لِمَ تحوَّلت عن قبلتنا مع كونها أقدم وأفضل؟![1]

قوله: (لغة في مكة) أي: فأبدلت الميمُ باء.

قوله: (لأنها تبك أعناق الجبابرة) أي: وسُمِّيت مكةَ؛ لأنه من الملكِّ، وهو الإزالةُ؛ فإنها تزيلُ الذنوب وتمحوها.

وقوله: (بناه الملائكة) وردَ: أن اللهَ لمَّا خلق البيتَ المعمور وكانت ملائكةُ السماء تطوفُ به.. اشتاقت ملائكة الأرض لبيتٍ مِثله، فأمرَهم اللهُ ببناء بيت محاذٍ للبيت الذي في السماء، وكان من دُرَّةٍ بيضاء، وطافت به قبل آدمَ ألفي سنة[2].

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٤٧١).

(٢) انظر قصة بناء البيت عند البغوي في «تفسيره» (١/ ١٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٠)، وقد تقدَّم كلامٌ للمصنف عن بناء البيت في تفسير سورة (البقرة). انظر (١/ ٢٣٩).

﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ....﴾

ووُضِعَ بَعدَه الأقصَى، وبَينهما أربَعُون سَنةً كما في حَدِيث «الصَّحِيحَينِ»، وفي حَدِيثٍ أنَّهُ أوَّلُ ما ظَهَرَ على وجهِ الماءِ عِند خَلقِ السَّماوات والأرضِ زُبدةٌ بَيضاء، فدُحِيَت الأرضُ مِن تَحتِه، ﴿مُبَارَكًا﴾ ـ حالٌ مِن (الذي) ـ أي: ذا بَرَكةٍ، ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لِأنَّهُ قِبلَتُهم.

(٩٧) ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ﴾؛ مِنها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: الحَجَر الذي قامَ عَلَيه عِندَ بِناء البَيتِ، فأَثَّرَ قَدَماهُ فِيه، وبَقِيَ إلى الآنَ مع تَطاوُلِ الزَّمان وتَداوُلِ الأَيدِي علَيهِ، ومِنها تَضعِيفُ الحسَنات فِيه، وأنَّ الطَّير لا يَعلُوهُ، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ لا يُتَعَرَّض إليهِ بِقَتلٍ

حاشية الصاوي

قوله: (ووضع بعده) أي: بعد بنائه، ظاهرُهُ: أنه وُضعَ بعد بناء الملائكة بأربعين سنة، فيكون من وضع الملائكة، ويكون متقدِّماً على آدم، وليس كذلك، بل الحقُّ أن بيتَ المقدس وضعَهُ آدمُ بعد بنائه هو البيتَ الحرام بأربعين سنة[1].

قوله: (زَبَدة) بالتحريك: رغوة بيضاء.

قوله: (ذا بركة) أي: من حيث الحج به، وتكفير السيئات لمن دخله بذُلٍّ وانكسار.

قوله: (لأنه قبلتهم) أي: يتوجَّهون إليه عند الصلاة، وعمومُ الآية يشهدُ بأنه قِبلةٌ حتى للجمادات؛ ولذلك ترى الأشجارَ عند انحنائها تكون لِجهته.

قوله: (وبقي إلى الآن) أشارَ بذلك إلى أن في الحجر آيتين: غَوص قدمي إبراهيم فيه، وصعوده به ونزوله به، وكونه باقياً إلى الآن.

قوله: (تضعيف الحسنات فيه) أي: فالصلاةُ فيها بمئة ألف صلاة.

قوله: (وأن الطير لا يَعلوه) أي: لا يمرُّ على ظهره إلا إذا كان بالطير مرضٌ، فيمرُّ ليَستشفي بهوائه.

قوله: (بقتل) أي: ولو قصاصاً، هذا كان في الجاهلية، فكان الرجلُ يقتل ويدخُلهُ فلا يُتعرَّضُ له ما دام فيه، وأما بعد الإسلام.. فعند مالك والشافعي: إن قتلَ اقتصَّ منه فيه، وعند أبي حنيفة:

---

(١) روى البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) عن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله؛ أيُّ مسجد وضع في الأرض أوَّلَ؟ قال: «المسجد الحرام»، قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت: كم كان بينهما؟ قال: «أربعون سنة...»، وانظر «تفسير القرطبي» (٤/١٣٧).

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ....﴾

أو ظُلم أو غيرِ ذلك، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ واجِبٌ ـ بِكَسرِ الحاء وفَتحِها لُغتانِ في مَصدَر (حَجَّ) بمعنَى: قَصَدَ، ويُبدَل مِن ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ـ ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾: طَرِيقاً، فسَّرَهُ ﷺ بِالزَّادِ والرَّاحِلة، رَواهُ الحاكِم وغَيرُه، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بِالله أو بِما فَرَضَهُ مِن الحَجِّ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ والمَلائكة، وعن عِبادَتِهم.

﴿٩٨﴾ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: ....

حاشية الصاوي

لا يقتصُّ فيه منه ما دام فيه، وإنما يُضيَّقُ عليه حتى يخرجَ، وهذا هو الأمن في الدنيا، وأما في الآخرة.. فبتكفير السيئات، ومُضاعفة الحسنات.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾) خبرٌ مقدَّم، و﴿حِجُّ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والحجُّ لغة: القصد، واصطلاحاً: عبادةٌ يلزمُها طوافٌ بالبيت سبعاً، وسعيٌ بين الصفا والمروة كذلك، ووقوفٌ بعرفةَ ليلةَ عاشر ذي الحجة على وجه مخصوص، وهو فرضُ عين في العمر مرَّة، وواجب كفاية كلَّ عام إن قصدَ إقامة الموسم، ومندوبٌ إن لم يقصِدْ ذلك.

قوله: (لغتان) أي: وهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (ويبدل من ﴿ٱلنَّاسِ﴾) أي: بدلَ بعضٍ من كلٍّ، والعائدُ محذوف تقديره: منهم.

قوله: (﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾) أي: على سبيل العادة، فلا يجبُ بطَيران ولا خطوة، ولكن لو فعل سقطَ الفرض، وأما المشيُ.. فيجبُ به عند مالك إن قدرَ عليه.

قوله: (﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله) أي: أنكرَ وحدانيَّته أو جحدَ شيئاً من أحكامه، وقوله: (أو بما فرضه) تفسيرٌ ثانٍ.

قوله: (﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: فلا تنفعُهُ طاعتهم، ولا تضرُّهُ معاصِيهم، قال تعالى: ﴿فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦].

قوله: (﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾) أي: اليهود والنصارى، خصَّهم بالذكر؛ لأنَّ كفرَهم محضُ عناد.

---

(١) قرأ الجمهور: (الحَج) بالفتح في جميع القرآن، إلا حمزة والكسائي وحفصاً عن عاصم فقرؤوا: ﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ بالكسر. «الدر المصون» (٢/ ٣٠٥).

وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) ....

القُرآنِ ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيكم علَيه؟

(٩٩) ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾: تَصرِفُون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دِينِه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بِتَكذِيبِكم النَّبِيَّ وكَتمِ نَعتِه، ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي: تَطلُبُونَ السَّبِيل ﴿عِوَجًا﴾ - مَصدَرٌ بِمعنَى مُعوَجَّة - أي: مائِلةً عن الحَقِّ، ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾ عالِمُون بِأنَّ الدِّين المَرْضِيَّ القَيِّم هو دِينُ الإسلامِ كما في كِتابِكم؟ ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (القرآن) أي: وما ألحق به من المعجزات الباهرة.

قوله: (﴿عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾) أي: مِن الكفر.

قوله: (تصرفون) أي: تمنعون.

قوله: (أي: دينِهِ) أي: المعتدلِ.

قوله: (﴿مَنْ ءَامَنَ﴾) يحتملُ أن المعنى: مَنْ آمن بالفعل تَسْعَوْنَ في ردِّهِ عن الإيمان إلى الكفر، ويحتملُ أن المرادَ: من أراد الإيمان تصدُّوه عن كونه يؤمن بالله.

قوله: (﴿تَبْغُونَهَا﴾) الجملة حاليةٌ من الواو في ﴿تَصُدُّونَ﴾.

قوله: (﴿عِوَجًا﴾) هو بكسر العين: في المعاني، وبفتحها: في الأجسام، يُقال: اعوجَّت الطريقُ، واعوجَّت الحائطُ؛ بمعنى: قام بالأول العِوَج - بالكسر - وبالثاني - العَوَج - بالفتح، والمعنى: تتركون السبيلَ المعتدلة وتطلبون السبيلَ المعوجَّة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قوله: (مصدر) أي: حالٌ من ضمير ﴿تَبْغُونَهَا﴾.

قوله: (﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾) الجملة حاليةٌ من الواو في ﴿تَبْغُونَهَا﴾.

قوله: (كما في كتابكم) المرادُ به الجنس الصادق بالتوراة والإنجيل.

قوله: (﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾) دفعَ بذلك توهُّمَ أن الله حيث أمهلَهم فهو غافلٌ عنهم، قال تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ...﴾ [إبراهيم: ٤٢] الآيات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾

مِن الكُفر والتَّكذِيبِ، وإنَّما يُؤَخِّرُكُم إلى وَقتِكم لِيُجازِيَكُم.

(١٠٠) ونَزَلَ لَمَّا مَرَّ بَعض اليَهُودِ على الأوسِ والخَزرَج فغاظَهُ تَآلُفهم، فذَكَّرَهُم بِما كان بَينَهم في الجاهِلِيَّة مِن الفِتَن، فتَشاجَرُوا وكادُوا يَقتَتِلُون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (من الكفر... إلخ) بيان لـ(ما).

قوله: (ونزل لمَّا مرَّ بعض اليهود) أي: واسمه شاس[١].

قوله: (فغاظه تآلُفهم) أي: توادُّهم ومحبةُ بعضهم لبعض بعد أن كان ما كان بينهم من الشحناء والبغضاء.

قوله: (فذكرهم) ورَد: أنه كان معه شابٌّ يهودي، فقال له: اذهب إلى بني قيلة هؤلاء وقل لهم[٢]: أتذكرون يومَ بُعاث؟ واذكر لهم ما تَناشدوهُ بينهم من الأشعار التي فيها الهجوُ لبعضهم بعضاً، وكان يومُ بُعاث عظيماً في اقتتال الأوس والخزرج، وكانت الغلبةُ فيه لِلخزرج، فذهبَ ففعلَ كما أمَره، فقالوا: السلاحَ السلاحَ، فنزلَ جبريلُ على النبيِّ ﷺ بالآيات إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾، فخرجَ النبيُّ مع بعض أصحابه، فوجدهم في الصحراء مصطفِّين للقتال، فقال: «**يا معشرَ المسلمين؛ أتدعون بدَعوى الجاهلية وأنا بين أظهُرِكم بعد أن أكرمَكم الله بالإسلام، وقطَع عنكم أمر الجاهلية، وألَّفَ بين قلوبكم؟!**» وقرأَ عليهم الآيات، فعلموا أنها نَزغةٌ من عدوِّهم، فألقوا السلاحَ، وصارَ يُعانقُ بعضُهم بعضاً، قال جابرُ بن عبد الله: ما رأيتُ يوماً أشأمَ منه ولا أسرَّ منه، كان أولُهُ شؤماً وآخرُهُ سروراً[٣].

قوله: (﴿فَرِيقٗا﴾) هو شاسٌ وأتباعه.

قوله: (﴿يَرُدُّوكُم﴾) أي: يُصيروكم، فالكاف: مفعول أول، و﴿كَٰفِرِينَ﴾: مفعول ثان، فـ(ردَّ) تنصبُ مفعولين، كقول الشاعر: [الوافر]

---

(١) هو شاس بن قيس، شيخ من اليهود شاب في الجاهلية، روى خبره الطبري في «تفسيره» (٦/ ٥٥).

(٢) قيلة: أصل الأوس والخزرج.

(٣) «تفسير البغوي» (١/ ٤٧٨).

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ ....

﴿١٠١﴾ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ ـ استِفهامُ تَعجيب وتَوبيخ ـ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم﴾: يَتمَسَّكْ ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿١٠٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بِأن يُطاعَ فلا يُعصَى، ويُشكَرَ فلا يُكفر، ويُذكَرَ فلا يُنسَى، فقالُوا: يا رَسُول الله ومَن يَقوَى على هذا؟ فنُسِخَ بِقَولِه تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ....

حاشية الصاوي

فَـرَدَّ وُجُـوهَـهُـنَّ الـبِـيـضَ سُـوداً　　وَرَدَّ شُـعُـورَهُـنَّ الـسُّـودَ بِـيـضَـا[١]

قوله: (﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾) هاتان الجملتان حالان، والمعنى: كيف يحصل منكم الكفرُ والحال أنكم تُتلى عليكم آيات الله ـ أي: القرآن ـ وفيكم رسولُه محمد؟! فهذا الأمرُ مُستبعد أن يكونَ بعد تمام الهدى الكفرُ والضلال.

قوله: (﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾) أي: دين قيِّم لا اعوجاجَ فيه، وهو دينُ الإسلام.

قوله: (﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾) صفةٌ لمصدر محذوف؛ أي: تقوى حقَّ تُقاته.

قوله: (بأن يطاع... إلخ) تصويرٌ للتقوى حقَّ التقوى، وهذه أخلاقُ الأنبياء والمرسلين لِعصمتهم، وتكون لخواصِّ عباد الله الذين على قَدم الأنبياء؛ ولذلك قال بعض العارفين: [الطويل]

وَلَـوْ خَـطَـرَتْ لِـي فـي سِـواكَ إِرادَةٌ　　عَلَى خاطِرِي يَوْماً حَكَمْتُ بِرِدَّتِي[٢]

ولكن ليس معنى ذلك أنه يكونَ كافراً يَستحق الخلودَ في النار، بل هذا لسانُ محبٍّ عاشق، وردَّتُهُ نقصُهُ عن مرتبة حبِّه؛ أي: إلى مَرتبة أدنى منها في الحبِّ، وأما القرآنُ فنزلَ على أخلاق العوامِّ؛ لِتعليمهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين، فنسخُ الآية من حيث التكليفُ بهذا المعنى على سبيل الوجوب، وأما الرقيُّ لتلك المراتب.. فممَّا يتنافسُ فيه المتنافسُون على سبيل التطوُّع والتقرُّب، فتدبَّرْ!.

قوله: (فنسخ بقوله... إلخ) فيقال في قوله: (بأن يطاعَ) بحسَب الطاقة، وقوله: (فلا يعصى)

---

(١) البيت متنازع النسبة، ونسبه أبو حاتم السجستاني في «المعمرون» (ص٥٠) لابن خريم الأسدي.

(٢) عمر بن الفارض رحمه الله تعالى، ت (٦٣٢هـ) من تائيته المشهورة، ويروى عجزه: (على خاطري سهواً قضيت بردتي).

وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم ....

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُوَحِّدُون.

﴿١٠٣﴾ ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾: تَمَسَّكُوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي: دِينِه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعدَ الإسلامِ، ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: إنعامَه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا مَعشَرَ الأوسِ والخَزرَجِ، ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ قبلَ الإسلامِ ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ﴾: جَمَعَ ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلامِ، ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: فصِرتُم ......

حاشية الصاوي

يعني: أصلاً، وكذا قوله: (ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى)، ويناسبُ الناسخةَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقيل: إن الآيةَ ليست منسوخة، بل آية: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] مبيِّنةٌ للمراد منها.

قوله: (﴿وَلَا تَمُوتُنَّ﴾) أي: يا بني قيلةَ الأوس والخزرج.

قوله: (﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾) أي: فلا يكنْ منكم موتٌ على حالة دون حالة الإسلام، والمعنى: دُوموا على الإسلام إلى الممات، ولا تغيِّروا ولا تبدِّلوا؛ لئلا يصادفكم الموتُ في حالة التغيُّر، قال المفسِّر في بعض كتبه: (وما شاعَ من تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ مُتزوجون.. فهو باطلٌ لا أصلَ له، ولا يجوزُ تفسيرُ القرآن بمجرَّد الرأي)[1]، وخصَّ حالةَ الموت بذلك؛ لأنَّ ثمرةَ الأعمال تظهرُ في تلك الحالة، والمدارُ عليها.

قوله: (﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾) أي: حينَ الدخول في الإسلام، وقوله: (﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾) أي: فدوموا على الاجتماع ولا يكن منكم تفرقة.

قوله: (أي: دينه) أي: أو القرآن، وفي الكلام استعارةٌ؛ حيث شُبِّهَ الدينُ أو القرآن بالحبل، واستُعير اسمُ المشبَّه به وهو الحبل للمشبه وهو الدين أو القرآن على سَبيل الاستعارة التصريحية الأصليَّة، والجامعُ بينهما: التوصُّلُ للمقصود في كلٍّ، وإضافتُهُ للفظ الجلالة قرينةٌ مانعة، والاعتصامُ ترشيحٌ، وفيه استعارةٌ تصريحيَّة تبعيَّة؛ حيث شبَّهَ الوثوقَ بالاعتصام، واستعار الاعتصامَ للوثوق، واشتقَّ من الاعتصام اعتصموا بمعنى: ثِقوا.

---

(١) قاله المصنف في «التحبير في علوم التفسير». انظر «الفتوحات الإلهية» (١/ ٣٠١).

بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ....

﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ في الدِّين والولايةِ، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾: طَرَفِ ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ليسَ بينَكُم وبَين الوُقُوعِ فِيها إلَّا أن تَمُوتُوا كُفَّاراً، ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بِالإيمانِ، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّن لَكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ الإسلامِ، ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الدَّاعُونَ الآمِرُونَ النَّاهُونَ ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائِزُونَ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِخْوَٰنًا﴾) خبر ثانٍ لـ(أصبحتم)[1]، وقوله: (والولاية) أي: النصرة؛ أي: ينصرُ بعضُكم بعضاً.

قوله: (﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾) أي: يزيدُكم بياناً ما دامَ رسولُ الله فيكم.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾) أي: تدومون على الهداية، وتزيدون فيها.

قوله: (﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾) يحتملُ أنها ناقصةٌ، و﴿أُمَّةٌ﴾: اسمها، و﴿يَدْعُونَ﴾: خبرها، و﴿مِّنكُمْ﴾: إما ظرف لغو متعلق بـ(تكُن)، أو حال من ﴿أُمَّةٌ﴾ أو من الواو في ﴿يَدْعُونَ﴾، أو تامةٌ، و﴿أُمَّةٌ﴾: فاعلها، وجملة ﴿يَدْعُونَ﴾: صفة لـ﴿أُمَّةٌ﴾، و﴿مِّنكُمْ﴾: حال، أو متعلِّق بـ(تكن).

قوله: (﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾) مفعوله هو وما بعدَهُ مِن: (يأمرُون) و(ينهوَن) محذوفٌ، تقديرُهُ: الناسَ.

قوله: (الإسلام) إنما قصَره عليه؛ لأنه رأسُ الأمور، ولأجل قوله بعدُ: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

قوله: (﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾) المرادُ به: ما طلبَهُ الشارعُ إما على سَبيل الوجوبِ كالصلوات الخمس وبرِّ الوالدين وصِلة الرحم، والندبِ كالنوافل وصدقات التطوع، وقوله: (﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾) المرادُ به: ما نهى عنه الشارعُ إما على سَبيل الحرمةِ كالزنا والقتل والسرقة، أو على سَبيل الكراهةِ.

(١) على أن (بنعمته) هو الخبر الأول، ويجوز أن تكون حالاً على أن (أصبح) تامة أو بمعنى صار، والأظهر أن (إخواناً) خبرها، و(بنعمته) متعلق به لما فيه من معنى الفعل. انظر «الدر المصون» (٣/ ٣٣٤).

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ....

ـ و(مِن) لِلتَّبعِيضِ؛ لِأنَّ ما ذُكِرَ فَرضُ كِفاية لا يَلزَمُ كُلَّ الأُمَّة، ولا يَلِيق بِكُلِّ أحدٍ كالجاهِلِ. وقيل: زائدةٌ، أي: لِتَكُونوا أُمَّة ـ.

(١٠٥) ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ عن دِينِهِم ﴿وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فِيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ وهُم اليَهُود والنَّصارَى، ....

حاشية الصاوي

قوله: (و«مِن» للتبعيض) أي: بناء على أن المخاطبَ بفرض الكفاية بعضٌ غير معيَّن، أو مُعيَّن في عِلم الله.

قوله: (كالجاهل) أي: فلا يأمرُ ولا ينهى؛ لأنه ربما أمرَ بمنكر ونهى عن معروف؛ لعدم علمه بِذلك.

قوله: (وقيل: زائدة) أي: بناءً على أن المخاطبَ بفرض الكفاية الجميعُ، ويسقطُ بفعل بعضِهم.

قوله: (أي: لتكونوا أمة) أي: دعاةً للخير، آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر.

قوله: (اليهود والنصارى) أي: فافترقت اليهود إحدى وسبعين فِرقة، واحدةٌ ناجية والباقون في النار، والنصارى اثنَين وسبعين فرقة، واحدةٌ ناجية والباقون في النار، وأخبر النبيُّ ﷺ: أن هذه الأمةَ ستفترقُ ثلاثاً وسبعين فرقة، واحدةٌ ناجية والباقون في النار[1]، وهذا التفرُّقُ من بعد الصحابة، فالناجي مَنْ كان على قدم النبي وأصحابه، ويختلفُ في كل زمن بالقلَّة والكثرة؛ ففي الصدر الأول كانوا ظاهرِين أقوياءَ، وكلما تقادم الزمان.. ازدادُوا في الاختفاء، لكن لا تنقطعُ الفرقةُ الناجية ما دام القرآن موجوداً، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ...﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، فلولا أن أهلَ القرآن الذين يتدبَّرونه مَوجودون.. لما بقيَ القرآن.

إن قلتَ: إن دعاءهم مستجابٌ، فهلا دعَوا بإصلاح العالم مثلاً!

أجيبَ: بأنهم لا يُلهَمون الدعاءَ بغير ما في عِلم الله، فإذا علمَ الله أن العالَمَ لا يصلحُ مثلاً.. فلا يُلهمون ولا يوفَّقون للدعاء أصلاً، بل هم أشدُّ الناس صبراً وتحمُّلاً للمكاره، ورضاً بالقضاء والقدر، وفي ذلك قلتُ: [الطويل]

---

(١) رواه أبو داوود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

﴿١٠٦﴾ ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ﴾ أي: يَومَ القِيامةِ، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ وهُم الكافِرُونَ، فيُلقَونَ في النَّار ....

حاشية الصاوي

أَرِحْ قَلْبَكَ العاني وَسَلِّمْ لَهُ القَضا ... تَفُزْ بِالرِّضا فَالأَصْلُ لا يَتَحَوَّلُ
عَلامَةُ أَهْلِ اللهِ فِينا ثَلاثَةٌ ... أَمانٌ وَتَسْلِيمٌ وَصَبْرٌ مُجَمَّلُ

والتفرُّقُ المذموم إنما هو في العقائد، لا في الفُروع؛ فإنه رحمةٌ لعباد الله.

قوله: (﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ﴾) مبتدأٌ، و﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿لَهُمۡ﴾: متعلِّقٌ بمحذوف خبر الثاني، والثاني وخبره: خبرُ الأول، وقوله: (﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ﴾) ظرفٌ متعلق بما تعلقَ به الجار والمجرور، تقديره: وأُولئك الذين تفرَّقوا في العقائد عذابٌ عظيم مستقرٌّ لهم يومَ تبيَضُّ وجوه. . . إلخ، يعني: أنه يكون ويحصلُ ذلك العذاب حينئذٍ، ويحتمل أن قوله: ﴿يَوۡمَ﴾ مفعول لمحذوف تقديره: اذكر يومَ تَبيض وجوهٌ.

وبياضُ الوجه إما حقيقة؛ فقد وردَ: «أن وجهَ المؤمن يكون أضوءَ من الشمس في رابعة النهار»[1]، وإما كناية عن الفرح والسرور، ومثلُهُ يقال في اسوِداد الوجه، وذلك حين تطايُر الصحف، فالمؤمنُ يأخذُ كتابه بيَمينه ويقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ. . .﴾ [الحاقة: ١٩] الآية، والكافرُ يأخذُ كتابه بشمانه ويقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ. . .﴾ [الحاقة: ٢٥] الآية.

قوله: (﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾) تفصيلٌ لما أجمل أولاً، والفاءُ: واقعة في جواب شرط مقدَّر، تقديرُهُ: إن أردت تفصيلَ ما تقدَّمَ فأقول لك: أما الذين اسودَّت وُجوههم، وقدَّمَ في التفصيل هذا القسمَ مبادرةً في التحذير، وليكون في الكلام حسنُ ابتداء وحسنُ اختتام، فابتدأ الآيةَ بالبشرى وختمَها كذلك.

قوله: (فيلقون في النار) أي: وإلقاؤُهم مختلفٌ، فمِنهم من يؤخذُ بالكلاليب، ومنهم من يؤخذُ بالنواصي والأقدام، وعلى كلِّ حالٍ: فهم يُسحبون في النار على وجوههم، وهذه الجملةُ خبرُ المبتدأ قدَّرَها المفسِّرُ؛ وذلك لأنَّ الخبر في المقابل هو الكون في الجنة، فالمناسبُ هنا أنه يكون هو الكون في النار، وتقديرُ القول هنا لأجل أن يكون حذفُ الفاء من جواب (أما) متعيِّناً[2].

---

(١) ويفاد هذا من قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾، والإسفارُ هو النور والضياء.

(٢) في (ط): (مقيساً) بدل (متعيناً).

أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ ....

ويُقالُ لَهُم تَوبِيخاً: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يومَ أخذِ الميثاقِ؟ ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

﴿١٠٧﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهُم المُؤمِنُون، ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: جَنَّتِه، ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذِهِ الآياتُ ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا مُحمَّدُ ....

حاشية الصاوي

قوله: (ويقال لهم) يحتملُ أن ذلك من كلام الله لهم، ويحتملُ أن ذلك على لسان الملائكة.

قوله: (يومَ أخذ الميثاق) دفعَ بذلك ما يُقال: إن الآيةَ ظاهرة فيمَن ارتدَّ بعد إيمانه، لا فيمن كان كافراً واستمرَّ على كفره، وأجيبَ أيضاً: بأن هذا يحملُ على اليهود والنصارى؛ فإنهم كانوا مؤمنين برسول الله قبل البعثة، ثم كفروا به بَعدها، وأجيبَ أيضاً: بأن قوله: ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي: بعد ظهور الأدلَّةِ التي توجبُ الإيمان.

قوله: (﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾) فيه استعارةٌ بالكناية؛ حيث شبَّهَ العذاب بشيء مرٍّ يُذاق، وطوى ذكر المشبَّهِ به، ورمزَ له بشيء من لَوازمه وهو الإذاقة، فإثباتُها تخييل.

قوله: (﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾) الباءُ: سببيَّة، فالكفرُ سببٌ في إذاقة العذاب بِخلاف الطاعات، فلم يجعَلْها الله سبباً لدخول الجنة، بل دخولُ الجنة بمَحض فضل الله، وإنما كان جزاء الكفار الخلودَ في النار؛ لأنَّ الكفرَ إنكارٌ لكمالات الله وهي لا تَتناهى، فكان جزاؤُهُ عذاباً لا يتناهى، وذلك يتحقَّقُ بالخلود، بخلاف مَعصية المؤمن.

قوله: (أي: جنَّتِهِ) أي: ففيه إطلاقُ الحالِّ وإرادةُ المحلِّ، فالجنةُ محلُّ هبوط الرحمة، والرحمةُ ناشئة عن ذات الله، فقولهم: (اللهمَّ اجمعنا في مستقرِّ رحمتك) فالمرادُ بالمستقرِّ: محلُّ هبوط الرحمة، وهي الجنةُ، لا ذاتُ الله.

بِٱلْحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ ....

﴿بِٱلْحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن يَأْخُذَهُم بغيرِ جُرم.

﴿١٠٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبيداً، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تَصِيرُ ﴿ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿١١٠﴾ ﴿كُنتُمْ﴾ يا أُمَّةَ مُحمَّد ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِٱلْحَقِّۗ﴾) أي: الصدق.

قوله: (﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾) أي: فحيث انتفت إرادةُ الظلم فالظلمُ منفيٌّ بالأولى؛ لأنَّ تعلُّقَ الإرادة في التعقُّل سابقٌ على الفعل.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۚ﴾) أي: فيتصرَّفُ في مُلكه كيف يشاء.

قوله: (﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾) أي: فلا مفرَّ منه، ولا محيصَ عنه.

قوله: (﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾) هذا مدحٌ عظيم، وتَفضيل من الله لهذه الأمة المحمدية، وفيه إعلامٌ بتَثبيتهم على تلك الأوصاف العظيمة.

واعلَمْ: أن المخاطبَ مُشافهةً الصحابةُ، وثبتت لهم هذه الصفاتُ المرضيَّة، فمدحَهم الله على ذلك، ومن تمسَّكَ بأوصافهم وأخلاقهم كان ممدوحاً مثلَهم، وهذا المدحُ يدلُّ على أنَّ أوصافَهم مرضيةٌ لله، فشرَّفَهم الله بشرف نبيِّهم، قال صاحبُ «البُردة»: [البسيط]

لَـمَّـا دَعـا اللهُ داعِـيـنـا لِـطـاعَـتِـهِ بِـأَشْـرَفِ الـرُّسْـلِ كُـنَّـا أَكْـرَمَ الأُمَـمِ[١]

وقال في «الهمزية»: [الخفيف]

وَلَـكَ الأُمَّـةُ الَّـتِـي غَـبَـطَـتْـهـا بِـكَ لَـمَّـا أَتَـيْـتَـهَـا الأَنْـبِـيـاءُ[٢]

ومدحهم الله سابقاً بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية، وبالجملة: فهو ﷺ أفضَلُ الخلق على الإطلاق، وأُمتُهُ أفضلُ الأُمم على الإطلاق.

---

(١) هو للبوصيري في «بردته» كما ذكر المصنف.

(٢) انظر «المنح المكية» (ص٦٦٤)، ولو قال: غبطتك بها... لم يبعد كما ذكر الشارح.

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ....

في عِلمِ الله تعالى ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾: أُظهِرَتْ ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ﴾ الإيمانُ ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ ....

حاشية الصاوي

و(كان): فعل ماض ناقصٌ يُفيد الاتصافَ في الماضي، لكن المرادُ هنا الدوام؛ على حدِّ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، والتاء: اسمها، و﴿خَيْرَ﴾: خبرها، وقوله: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ صفة لـ﴿أُمَّةٍ﴾.

قوله: (في عِلم الله) أي: وقيل: في اللوح المحفوظ، وقيل: في كُتب الأمم السابقة.

قوله: (﴿لِلنَّاسِ﴾) إنما عبَّرَ باللام دون (مِنْ) إشارةً إلى أن هذه الأمةَ نفعٌ ورَحمة لنفسها وللخلق عموماً؛ في الدنيا بالدعاء لجميع الأُمَم، وفي الآخرة بالشهادة للأنبياء.

قوله: (﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾) إما خبرٌ بعد خبر لـ(كان)، والمقصودُ منه: تفصيلُ ما أجمل أوّلاً، أو صفةٌ لمعنى الخَيرية، أو استئنافٌ بَياني واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر تقديرُهُ: ما وجهُ الخيرية؟ وراعى في الخطاب لفظَ ﴿كُنتُمْ﴾، ولو راعى الخبرَ لقال: يأمُرون؛ لأنَّ الاسمَ الظاهر من قَبيل الغيبة، واختيرت صيغةُ الخطاب تشريفاً لهم، وإشارةً إلى رفع الحجب عنهم؛ حيث خاطبهم ولم يخبِرْ عنهم، وأنهم مقرَّبون من حَضرة الله.

إن قلتَ: الإيمانُ هو الأصل، فلِمَ لم يُقدَّمْ؟

أجيبَ: بأنه غيرُ مخصوص بهم، وإنما الفضلُ الثابت لهم الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، فهذه الأمةُ لها شَبهٌ بالأنبياء من حيث إنها مهتديةٌ في نفسها، هاديةٌ لغيرها.

قوله: (﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ﴾) أي: اليهود والنصارى.

قوله: (﴿خَيْرًا لَّهُم﴾) أي: من الإيمان بموسى وعيسى في زمانهما؛ أي: إنَّ مَنْ آمن بمحمد أعلى وأفضلُ ممن أدرك عيسى أو موسى وآمَن به؛ لدخوله في هذا المدح العظيم، أو المعنى: خيراً لهم ممَّا هم عليه في زعمهم وإن كان في الواقع ما هُم عليه ليس بخير، أو ذلك تهكُّمٌ بهم، أو أن أفعل التفضيل ليس على بابِه؛ أي: لَكان هو الخير لهم.

مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ ....

﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعَبدِ الله بن سَلامٍ رضي الله عنه وأصحابِه، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الكافِرون.

﴿١١١﴾ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ أي: اليَهودُ يا مَعشَرَ المُسلِمِينَ بِشَيءٍ، ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ بِاللِّسانِ مِن سَبٍّ ووَعِيدٍ، ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ مُنهَزِمِين، ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ عَلَيكُم، بَل لَكُم النَّصرُ عَليهِم.

﴿١١٢﴾ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾: حيثُما وُجِدُوا، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾) استئنافٌ بياني واقع في جواب سؤال مقدَّرٌ نشأ من قوله: (ولو آمن أهل الكتاب) كأن قائلاً قال: وهل آمن مِنهم أحد أو لا؟ فأجابَ بذلك.

قوله: (كعبد الله بن سلام) أي: من اليهود، وأدخَلت الكافُ النجاشيَّ وغيره من النصارى.

قوله: (الكافرون) أي: وسمَّاهم فاسقين؛ لأنهم فسَقوا في دينهم، فليسوا عدولاً فيه.

قوله: (﴿إِلَّآ أَذًى﴾) قيل: استثناءٌ منقطع، وهو المتبادرُ من المفسِّر، والمعنى: لا يصلُ لكم منهم ضررٌ بشيء أصلاً، لكن يقعُ منهم أذًى باللسان، قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ففي الحقيقة لا ضررَ في ذلك، وقيل: الاستثناءُ مُتصل، والمعنى: لا يصلُ لكم منهم ضررٌ في حال من الأحوال إلا في حال الضرَر اللساني.

قوله: (من سبٍّ) أي: لِلنبي وأصحابه، وقوله: (ووعيد) أي: للمؤمنين بقولهم: إنا نَغلبهم، وستكون العزَّةُ لنا والذلَّةُ لهم.

قوله: (﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾) ليس معطوفاً على جواب الشرط، وإلا.. لأوهمَ أنهم قد يُنصرون من غير قتال، بل هو مستأنفٌ؛ لِيُفيدَ سلبَ النصرة عنهم في جميع الأحوال.

قوله: (﴿أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾) ﴿أَيْنَ﴾: اسمُ شرط، و﴿ثُقِفُوٓا۟﴾: فِعل الشرط، وجوابه محذوف لدلالة ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ عليه، التقديرُ: أينما ثُقفوا تضربُ عليهم الذِّلة.

إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ ....

فلا عِزَّ لَهُم ولا اعتِصامَ، ﴿إِلَّا﴾ كائِنِين ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ المُؤمِنِينَ، وهو عَهدُهم إلَيهِم بالأمانِ على أداءِ الجِزيَة، أي: لا عِصمةَ لَهُم غيرُ ذلك، ﴿وَبَآءُو﴾: رَجَعُوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بِسَبَبِ أَنَّهُم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (فلا عزَّ لهم) أي: ولِذا لم يوجَدْ فيهم سلطان أصلاً، فالذلُّ قد عَلاهم للمؤمنين والنصارى؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [آل عمران: ٥٥][(١)].

قوله: (ولا اعتصام) معطوف على قوله: (فلا عزَّ لهم)، وقدَّرَ ذلك ليرتِّبَ قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عليه، إشارةً إلى أنه مستثنًى من محذوف.

قوله: (﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) أي: وهو الإيمان.

قوله: (أي: لا عصمة لهم غيرُ ذلك) أي: لكن إن كان اعتِصامهم بحبل من الله.. ارتفعَ عنهم الذلُّ وعَصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس.. فقد عَصموا نفوسهم وأموالهم وعاشوا في الذلِّ.

قوله: (﴿ذَٰلِكَ﴾) أي: المذكور من ضَرب الذلة والمسكنة والغَضب من الله.

قوله: (﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾) أي: فقتلوا أوَّلَ النهار سبعين نبيًّا وآخرَه أربعَ مئة عابد[(٢)].

إن قلتَ: إن القاتلَ لأنبياء أجدادُهم، فلم أُوخِذوا بقتل أصولهم؟

أُجيب: بأن رضا الفروع بقتل الأصولِ الأنبياءَ صيَّرَهُ كأنه واقعٌ منهم، فالقتلُ وَقع من أصولهم بالفعل، ومِنهم بالعزم والتصميم، فهم الآن لو تمكَّنوا من النبيِّ والمسلمين ما أبقَوا واحداً.

قوله: (﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾) أي: حتى في اعتقادهم، فاعتقادُهم عدم الحقيَّة مُطابق للواقع، غير أنه عنادٌ منهم.

---

(١) وعبارة الخازن: بل هم مستضعفون بين المسلمين والنصارى في جميع البلاد. «الفتوحات» (١/ ٣٠٤).

(٢) كذا أورد الخطيب في «السراج المنير» (١/ ٦٥)، وروى نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٣٢)، وانظر «الدر المنثور» (١/ ١٧٨).

بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ....

تأكيدٌ ﴿بِمَا عَصَوا﴾ أمرَ اللهِ، ﴿وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: يَتَجاوَزُون الحلالَ إلى الحَرام.

﴿١١٣﴾ ﴿لَيْسُوا﴾ أي: أهلُ الكِتابِ ﴿سَوَآءً﴾: مُستَوِينَ ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: مُستَقِيمةٌ ثابِتةٌ على الحَقِّ، كعَبدِ الله بن سَلامٍ رضي الله عنه وأصحابِه، ﴿يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: في ساعاتِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (تأكيد) أي: فالعصيانُ والاعتداء هو عينُ الكفر وقتل الأنبياء، ويحتمل أنه ليس تأكيداً، بل هو علَّةٌ لِلعلة؛ أي: فعِلَّةُ ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله كفرُهم وقتلُهم الأنبياء، وعلَّةُ الكفر والقتل عِصيانُهم أمرَ الله وتجاوزُهم الحدَّ.

قوله: (﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾) هذه الجملة راجعةٌ لجميع أهل الكتاب؛ أي: هم غير مُستوين في العقيدة، بل منهم من هو على حقٍّ، ومِنهم من هو على باطل.

قوله: (مستوين) دفعَ بذلك ما يقال: إن ﴿سَوَآءً﴾ خبر عن الواو في ﴿لَيْسُوا﴾، فكان حقُّهُ أن يُجمعَ مطابقةً له! فأجابَ: بأن (سواء) مصدرٌ من التسوية، بمعنى: مُستوين.

قوله: (﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ﴾) هذا كالتفصيل لقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً﴾.

قوله: (كعبد الله بن سلام وأصحابه) أي: من اليهود، وكالنجاشي وأربعِين من نصارى نجران، واثنين وثلاثين من الحبَشة، وثلاثة من الروم، وكجماعة من الأنصار كأسعدَ بنِ زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وصِرْمة بن أنس؛ كانوا يتعبَّدون بما يعرفون من الشرائع القديمة، فلمَّا بُعثَ النبيُّ.. صَدَّقوه ونصَرُوه[1].

قوله: (﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾) إما جمع أَنًى كـ: عصاً، أو إِنًى كـ: مِعًى، أو أَنْي كـ: ظَبي، أو إِنْي كـ: حِمْل، أو إِنْو كـ: جِرْو.

وقوله: (أي: في ساعاته) أي: اللغوية، وهي دقائقه ولحظاته، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦].

---

(١) وهو قول عطاء كما في «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٣٢).

وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا ....

﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: يُصلُّونَ، ـ حالٌ ـ.

﴿١١٤﴾ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ﴾ المَوصُوفُون بِما ذُكِرَ ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ومِنهُم مَن ليسُوا كذَلك، وليسُوا مِن الصَّالِحِين.

﴿١١٥﴾ ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ ـ بِالتَّاءِ ـ أيَّتُها الأُمَّةُ، ـ والياءِ ـ أي: الأُمَّةُ القائِمة، ....

حاشية الصاوي

قوله: (يُصلون) سمَّى الصلاةَ سجوداً؛ لأنه أشرفُ أجزائها، وقوله: (حال) أي: من قوله: ﴿يَتْلُونَ﴾ أي: يَقرؤون القرآن في حال صلاتهم.

قوله: (﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾) أي: يُصدِّقون بأن الله يتصفُ بكلِّ كمال، يستحيلُ عليه كلُّ نقص، وقوله: (﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) أي: وما فيه من النعيم والعقاب، فيُصدِّقون بأنه حقٌّ.

قوله: (﴿وَيَأْمُرُونَ﴾) مفعوله هو و(ينهون) محذوفٌ، تقديره: الناسَ.

قوله: (﴿وَيُسَارِعُونَ﴾) أي: يُبادرون بامتثال أمر الله.

إن قلتَ: إن العجلةَ مذمومةٌ؛ ففي الحديث: «**العجلةُ من الشيطان**»[١] إلا في أُمور[٢].

وأُجيب: بأن معنى المسارعة: أنه إذا تعارضَ حقٌّ لله وحظٌّ لنفسه.. بادرَ لحقِّ الله وترك حظَّه، وأما العجلةُ.. فهي المبادرةُ للشيء مطلقاً؛ كأنْ يبادرَ للصلاة قبل وقتها، أو في الصلاة بألا يُتقنَ ركوعها ولا سجودها؛ فإنَّ ذلك مَذموم إلا في أمور، فهي مسارعةٌ لا عَجلة، كالتوبة، وتقديمِ الطعام للضيف، وتجهيزِ الميت، وزواجِ البِكْر، والصلاة في أوَّل وَقتها[٣].

قوله: (ومنهم من ليسوا كذلك) قدَّرَ ذلك؛ إشارةً إلى أن في الآية حذفَ المقابل.

قوله: (وبالياء) أي: فهما قِراءتان سبعيَّتان[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٢٠١٢) بلفظ: «الأناة من الله، والعجلة من الشيطان» من حديث سهل بن سعد الساعدي.

(٢) قال تعالى حاكياً قول سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.

(٣) رواها أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٧٨) عن حاتم الأصم رحمه الله تعالى.

(٤) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٤١).

مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ ....

﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ﴾ ـ بِالوَجهَينِ ـ أي: تَعدَمُوا ثَوابَه، بَل تُجازَوْنَ عليه، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾: تَدفَعَ ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مِن عَذابِه ﴿شَيْـًٔا﴾، وخَصَّهُما بالذِّكرِ لِأنَّ الإنسانَ يَدفَعُ عن نَفسِه تارةً بِفِداء المال، وتارةً بالاستِعانةِ بِالأولادِ، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

﴿١١٧﴾ ﴿مَثَلُ﴾: صِفةُ ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: الكُفَّار ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مِنْ خَيْرٍ﴾) أي: قليل أو كثير، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧].

قوله: (بالوجهين) أي: للياء والتاء[١].

قوله: (بل تجازَوا عليه) أي: في الآخرة[٢].

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) قيل: نزلت في قريظة وبني النضير، وقيل: في مُشركي العرب، وقيل: فيما هو أعمُّ، وهو الأقرب[٣].

قوله: (﴿شَيْـًٔا﴾) أي: قليلاً كان أو كثيراً.

قوله: (يدفع عن نفسه) أي: في الدنيا.

قوله: (﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ﴾) يحتمل أن ﴿مَا﴾ اسم موصول، و﴿يُنفِقُونَ﴾: صِلتها، والعائد محذوف، ويحتمل أنها مصدرية تُسبك مع ما بعدها بمصدر، تقدير الأول: مثلُ المال الذي يُنفقونه، وتقدير الثاني: مثل إنفاقهم.

---

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٤١).

(٢) في (ط١): (بل تجازون) بدل (بل تجازوا).

(٣) «الفتوحات الإلهية» (١/ ٣٠٦).

فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً ......

﴿فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في عَداوةِ النَّبيِّ أو صَدَقةٍ ونَحوِها، ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: حَرٌّ أو بَردٌ شَديدٌ، ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾: زَرْعَ ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بِالكُفرِ والمَعصِيةِ، ﴿فَأَهْلَكَتْهُۚ﴾ فلَم يَنتَفِعُوا بِه، فكَذلك نَفَقاتُهم ذاهِبةٌ لا يَنتَفِعُون بِها، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بِضَياعِ نَفَقاتِهم، ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِالكُفرِ المُوجِبِ لِضَياعِها.

﴿١١٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾: أَصفِياءَ تُطلِعُونَهم على سِرِّكُم ....

حاشية الصاوي

قوله: (في عداوة النبي) أي: في مثل حُروبه، وقوله: (أو صدقة) أي: على فقرائهم أو فقراء المسلمين.

قوله: (ونحوها) أي: كصِلة الرحم ومُواساة الفقراء.

قوله: (﴿كَمَثَلِ رِيحٍ﴾) أي: كمثل مهلك ريح، فالكلام على حذف مضاف.

قوله: (حرٌّ) أي: ويُسمَّى بالسَّموم، وقوله: (أو برد شديد) أي: ويُسمَّى الزمهرير.

قوله: (﴿أَصَابَتْ﴾) أي: تلك الريح.

قوله: (أي: زرع) سمَّاه حرثاً لأنه يُحرث.

قوله: (﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾) هذا وصف المشبَّهِ به.

قوله: (﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾) هذا في جانب المشبَّه، فلا تكرارَ.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾) نزَلت في قوم من المؤمنين كان لهم أقاربُ من المنافقين والكفار، وكانوا يواصلونهم.

قوله: (أصفياء) أشارَ بذلك إلى أن في الكلام استعارةً، حيث شُبِّهَ الأصفياءُ بِبطانة الثوب الملتصِقة به، واستُعير اسم المشبَّه به للمشبَّه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامعُ: شدَّةُ الالتصاق؛ على حدِّ: «الناسُ دِثارٌ والأنصارُ شعار»[1].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٦١) من حديث أنس ﷺ مرفوعاً.

مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ....

﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: غَيرِكُم مِن اليَهُودِ والنَّصارَى والمُنافِقِين، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ نَصْبٌ بِنَزعِ الخافِضِ أي: لا يُقَصِّرُونَ لَكُم في الفَسادِ، ﴿وَدُّوا﴾: تَمَنَّوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عَنَتَكُم وهو شِدَّةُ الضَّرَر، ﴿قَدْ بَدَتِ﴾: ظَهَرَتِ ﴿الْبَغْضَاءُ﴾: العَداوةُ لَكُم ﴿مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ بِالوَقِيعَةِ فِيكُم، وإطلاعِ المُشرِكِينَ على سِرِّكُم، ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ مِن العَداوةِ ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عَداوَتِهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك، فلا تُوالُوهُم.

﴿١١٩﴾ ﴿هَا﴾ - لِلتَّنبِيهِ - ﴿أَنتُمْ﴾ يا ﴿أُولَاءِ﴾ المُؤمِنِين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لِقَرابَتِهِم مِنكُم وصَداقَتِهم، ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لِمُخالَفَتِهم لَكُم في الدِّين، ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بِالكُتُبِ كُلِّها ولا يُؤمِنُونَ بِكِتابِكُم، ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ﴾: أطرافَ الأصابِعِ ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾: شِدَّةِ الغَضَب لِما يَرَونَ مِن ائتِلافِكُم، ويُعَبَّرُ عن شِدَّة الغَضَب بِعَضِّ الأنامِلِ مَجازاً وإن لَم يَكُن ثَمَّ عَضٌّ، ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ أي: ابقَوا عَلَيهِ إلى المَوتِ، فلَن

حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا يقصِّرون في الفساد) أي: فليس عندهم تقصيرٌ في ذلك، بل هو شأنُهم.

قوله: (﴿مَا عَنِتُّمْ﴾) ﴿مَا﴾: مصدرية تسبكُ بمصدر؛ أي: ودُّوا عنتَكم، بمعنى: تعبَكم به ومشقَّتكم.

قوله: (بالوقيعة فيكم) أي: في أعراضِكم بالغيبة وغيرها.

قوله: (فلا تُوالوهم) أشارَ بذلك إلى أن جوابَ الشرط محذوف.

قوله: (﴿بِالْكِتَابِ﴾) أي: جِنسه، وقوله: (ولا يؤمنون بكتابكم) أي: القرآن.

قوله: (﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾) أي: خلَا بعضهم لبعض.

قوله: (﴿عَلَيْكُمُ﴾) أي: من أجلكم.

قوله: (﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾) أي: مصاحبين له، وهو دعاءٌ عليهم بذلك.

إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ....

تَرَوا ما يَسُرُّكُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِما في القُلُوبِ، ومِنهُ ما يُضمِرُهُ هؤلاءِ.

﴿١٢٠﴾ ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾: تُصِبْكُم ﴿حَسَنَةٌ﴾: نِعمَةٌ كنَصرٍ وغَنِيمةٍ، ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تُحزِنْهُم، ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهَزِيمةٍ وجَدبٍ، ﴿يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾، ـ وجُملةُ الشَّرط مُتَّصِلة بِالشَّرطِ قَبلُ، وما بَينهما اعتِراضٌ ـ والمعنَى: أنَّهم مُتَناهُونَ في عَداوَتِكُم فلِمَ تُوالُونَهُم؟ فاجتَنِبُوهُم، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على أذاهُم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ اللهَ في مُوالاتِهِم وغيرِها، ﴿لَا يَضِرْكُمْ﴾ ـ بِكَسرِ الضَّاد وسُكُونِ الرَّاء، وضَمِّها وتَشدِيدِها ـ ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ـ بِالياءِ والتَّاء ـ ﴿مُحِيطٌ﴾: عالِم فيُجازِيهِم بِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (وجدب) هو ضدُّ الخصب.

قوله: (وجملة الشرط) أي: وهي ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ... إلخ﴾، وقوله: (بالشرط) وهو قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ﴾، وقوله: (وما بينهما) أي: وهو قوله: ﴿قُلْ مُوتُوا۟...﴾ الآية.

قوله: (بكسر الضاد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، الأولى من: ضارَ يَضِير، والثانية من: ضَرَّ يضُرُّ، والفعل من كِليهما مجزومٌ جواباً للشرط، وجزمه على الأولى ظاهر، وعلى الثانية بسكون مقدَّرٍ على آخره منعَ من ظهوره اشتغالُ المحلِّ بحركة الإتباع[١].

قوله: (﴿كَيْدُهُمْ﴾) الكيدُ: احتيالُ الشخص لِيُوقعَ غيره في مكروه[٢].

قوله: (بالياء) أي: وقد اتفقَ عليها العشرة، وقوله: (والتاء) أي: وهي شاذَّةٌ، فكان على المفسِّر أن ينبِّهَ على شُذوذها؛ كأن يقول: (وقُرِئَ بالتاء) كما هو عادَته[٣].

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بكسر الضاد وجزم الراء، وقرأ الباقون بضم الضاد وتشديد الراء مرفوعة. انظر «الدر المصون» (٣/ ٣٧٤).

(٢) وقد يكون الكيد ممدوحاً، ولكن الأكثر استعماله في الذم. انظر «مفردات الراغب» (ك ي د).

(٣) قراءة التاء بالخطاب قرأ بها الحسن. «الدر المصون» (٣/ ٣٧٨).

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ ....

﴿١٢١﴾ ﴿وَ﴾ اذكر يا مُحمَّدُ ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ مِن المَدينةِ ﴿تُبَوِّئُ﴾: تُنزِلُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾: مَراكِز يَقِفُونَ فِيها ﴿لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأقوالِكُم، ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأحوالِكُم، وهو يَوم أُحُد، خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ بِألفٍ أو إلَّا خَمسِينَ رَجُلاً، والمُشرِكُونَ ثَلاثةُ آلافٍ، ونَزَلَ بِالشِّعبِ يَومَ السَّبت ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾) جمهورُ المفسرين على أنَّ هذه الآية متعلِّقةٌ بغَزوة أحد، وقيل: بغزوة بدر، وقيل: بغَزوة الأحزاب، والصحيحُ: الأول؛ ولِذا مشى المفسِّرُ عليه.

قوله: (﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾) أي: من بيتِ أهلك، وهي زوجتُهُ عائشة، وكان قدومُ جيش الكفار رابعَ شوال يومَ الأربعاء، وأميرُهم إذ ذاك أبو سفيان، فجمعَ ﷺ الأنصارَ والمهاجرين وشاوَرَهم في الخروج لهم أو المكثِ في المدينة يَنتظرونهم، فأشار عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول رئيسُ المنافقين هو وجماعة من الأنصار بعدم الخروج؛ فإن أتَوا قاتلَهم الرجال والنساء، وأشارَ جماعةٌ بالخروج، فدخلَ ﷺ منزلَهُ ولبسَ لَأْمتَهُ وخرجَ، فقال: «هلمُّوا إلى الخروج»، فقالوا: يا رسول الله؛ ما لنا رأيٌ معك، فقال: «ما من نبيٍّ يلبس لَأْمتَهُ ويرجعُ حتى يحكمَ الله له بين عَدوه»، وكان قد رأى في المنام بقراً ودرعاً حصيناً وضع يده فيه وثَلْماً في ذُبابة سيفه، فقالوا: ما أوَّلته؟ فقال: «أما البقرُ فخير، وأما الدرعُ الحصين فهي المدينة، وأما الثَّلْمُ في السيف فهزيمة»، فخرجَ ﷺ هو وأصحابه بعد صلاة الجمعة، فلمَّا أصبَحوا جعلَ الجيشَ خمسةَ أقسام: جناحان، ومُقدَّم، وساقَة، ووسَط، وترك كلًّا في مَنزلته، وأمرهم أن يَثبتوا مكانَهم ولا يتحوَّلوا، وأخبرَهم أنه بمجرَّدِ ملاقاةِ الصفوف تحصلُ الهزيمةُ للكفار، فلمَّا التقى الصفَّان ولَّى عبدُ الله بنُ أُبي بن سلول هو وجماعته الثلاث مئة وقالوا: لو نَعلمُ قتالاً لاتَّبعناكم، ولم يبقَ إلا ستُّ مئة وخمسون، فهزمَ الصحابةُ الكفارَ أوَّلاً، واشتغلوا بالغنيمة، فنزعَ اللهُ من قُلوب الكفار الرعبَ، فكرُّوا عليهم مرة واحدة، ففرَّ المسلمون ما عدَا النبيَّ وبعض الصحابة، فبعد ذلك اجتمعَ المسلمون لِلقتال، فقُتلَ من كلٍّ سبعون، وكانت العزةُ لله ورَسوله(١).

قوله: (وهو يوم أحد) أي: وهو قولُ جمهور المفسِّرين، وهو المعتمَد.

قوله: (أو إلا خمسين) أي: فهما قولان.

---

(١) الخبر متوزع في كتب السنة، وانظر «الدر المنثور» (٢/ ٣٠٣).

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ....

سابعَ شَوَّال سنةَ ثَلاث مِن الهِجرةِ، وجَعَلَ ظَهرَه وعَسكَرِهِ إلى أُحُد، وسَوَّى صُفُوفَهم، وأجلَسَ جَيشاً مِن الرُّماة - وأَمَّرَ عليهم عبدَ الله بن جُبَيرٍ - بِسَفحِ الجَبَلِ، وقال: انضَحُوا عَنَّا بِالنَّبلِ لا يَأْتُونا مِن وَرائِنا، ولا تبرَحُوا غُلِبنا أو نُصِرْنا.

﴿١٢٢﴾ ﴿إِذْ﴾ - بَدَل مِن (إذ) قَبلَه - ﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾: بَنُو سَلِمةَ وبَنُو حارِثة جَناحا العَسكَر ﴿أَن تَفْشَلَا﴾: تَجبُنا عن القِتال، وتَرجِعا لَمَّا رَجَعَ عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ المُنافِقُ وأصحابُه، وقال: عَلامَ نَقتُلُ أنفُسَنا وأولادَنا؟ وقال لِأَبِي جابِرِ السُّلَمِيِّ ....

حاشية الصاوي

قوله: (سابع شوال) وقيل: كان في نِصفه، فيكون قدومُ الكفَّار يومَ اثني عشر منه.

قوله: (وعسكرِهِ) بالجرِّ، معطوفٌ على الضمير المجرور في (ظهره) أي: وجعل ظهرَ عَسكره.

قوله: (وأجلس جيشاً من الرُّماة) أي: وهم المسمَّونَ بالساقة.

قوله: (وقال: انضحوا) أي: فرِّقوا، من: النَّضح، وهو الرشُّ، والمعنى: فرِّقوا الأعداءَ عنَّا بالنبل.

قوله: (ولا تبرحوا) هذا في الحقيقة خِطاب وأمر للجميع.

قوله: (﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾) أي: أرادت، ولمَّا كان الهمُّ بالمعصية لا يُكتبُ.. مدحهم الله بقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[1].

قوله: (بنو سلمة) أي: وهم مِن الخزرج، وقوله: (وبنو حارثة) أي: وهم مِن الأوس.

قوله: (وأصحابه) أي: وكانوا ثلاثَ مئة.

قوله: (علامَ نقتلُ أنفسنا وأولادنا) أي: لأيِّ شيء نَقتل؟

قوله: (وقال) أي: عبد الله بنُ أُبي، ومقول القول قوله: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا... إلخ﴾.

---

(١) وقع في (ط١) زيادة هي: وأما بالطاعة فيكتب، وأما العزم فيكتب خيراً أو شرًّا، وما دون ذلك من مراتب القصد لا يكتب أصلاً، لا خيراً ولا شرًّا، قال بعضهم:

مَراتِبُ القَصْدِ خَمْسٌ هاجِسٌ ذَكَروا ... فَخاطِرٌ فَحَديثُ النَّفْسِ فَاسْتَمِعا
يَلِيهِ هَمٌّ فَعَزْمٌ كُلُّها رُفِعَتْ ... سِوَى الأَخِيرِ فَفِيهِ الأَخْذُ قَدْ وَقَعا

وقد ضُربَ عليها في (أ)؛ لأنه سبق للمصنف أن ذكرها.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ ....

القائِل لَه: (أنشدُكُم الله في نَبِيِّكُم وأنفُسِكُم): (لو نَعلَم قِتالاً لاتَّبعناكُم)، فثَبَّتَهُما الله ولَم يَنصَرِفا، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصِرُهما، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لِيَثِقُوا به دُون غَيره.

﴿١٢٣﴾ ونَزَلَ لَمَّا هُزِمُوا تَذكِيراً لَهُم بِنِعمةِ الله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: مَوضِع بينَ مَكَّة والمَدِينةِ ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بِقِلَّةِ العَدَد والسِّلاحِ، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعَمَه.

حاشية الصاوي

قوله: (القائل له) صِفة لأبي جابر.

قوله: (أَنْشُدكم الله) أي: أُحلِّفكم بالله، وقوله: (في نبيكم وأنفسكم) أي: في حِفظهما.

قوله: (فثبتهما الله) أي: الطائفتَين بعد أن حصَلت لهما التفرقة أوَّلاً، وشُجَّ وجهُ رسول الله، وكُسرت رَباعِيَته، وضُرب نَيِّفاً وسبعين ضربةً ما بين سهم وسيف، وطلحة بن عبد الله أحد العشرة يلقاها عن رسول الله، وحينئذٍ نادى إبليسُ والمنافقون في الناس: أنَّ محمداً قد مات، وكان ﷺ في محلٍّ منخفض، فأراد الصعودَ لِيَراه المسلمون، فلم ينهض، فحملَهُ طلحةُ على ظهره، وقد كان على المصطفى دِرعان، فلمَّا رآه المسلمون.. فَرحوا وصاروا يأتون إليه من كلِّ فجٍّ كالناقة الغائب عنها ولدها إذا رأته، فحصل الثباتُ والنصرُ، وباتَت الهزيمةُ على الكفَّار.

قوله: (ناصرهما) أي: ولم يؤاخذهما بذلك الهمِّ.

قوله: (﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ﴾) هذا الكلام تسليةٌ للنبي وأصحابِه فيما وقعَ لهم في غزوة أُحد، يعني: أنه سبقَ لكم النصر فلا تحزنُوا بحصول تلك الشدة، وحِكمتُها: تمييزُ المنافق من المؤمن، لا الهزيمة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

قوله: (موضع بين مكة والمدينة) أي: فسُمِّيت الواقعةُ باسم الموضع، وقيل: إن بدراً اسمٌ لبئرٍ حفرها رجلٌ يقال له: بَدر، فسُمِّي المكان باسم ذلك الرجل.

قوله: (بقلة العدد والسلاح) أي: فلم يكن مَعهم إلا ثلاثة أفراس وثلاثة سيوف، وكان عِدَّتهم ثلاث مئة وثلاثةَ عشر، وعِدَّةُ الكفَّار نحو ألف.

قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه) أي: حيث نَصركم مع كونكم أذلَّة، فظفروا بهم، وأخذوا شجعانَهم ما بين قَتيل وأسير.

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ ....

﴿١٢٤﴾ ﴿إِذْ﴾ - ظَرفٌ لِـ﴿نَصَرَكُمُ﴾ - ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تُوعِدهُم تَطمِيناً: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾: يُعِينكُم ﴿رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد -.

﴿١٢٥﴾ ﴿بَلَىٰٓ﴾ يَكفِيكُم ذلكَ، وفي (الأنفال): ﴿بِأَلْفٍ﴾ لِأَنَّه أَمَدَّهُم أَوَّلاً بِها ثُمَّ صارَت ثَلاثةً، ثُمَّ صارَت خَمسةً كما قال تَعالى: ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على لِقاء العَدُوِّ ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله في المُخالَفةِ، ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي: المُشرِكُون ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾: وَقتِهم ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾) سببُ هذا القول: أنه لما تلاقى الصَّفان جاءَ الصحابةَ خبرٌ بأن كرزَ بن جابر يمدُّ الكفار ويُعينهم[1]، فحزنت الصحابةُ حزناً شديداً، فأنزل الله تلك الآية.

قوله: (﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾) الاستفهامُ إنكاري؛ نظير: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قوله: (يُعينكم) أي: يَزيدكم.

قوله: (﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾) **إن قلتَ**: ما الحاجةُ لِذلك العدد الكثير؟ فإن جبريلَ وحده أو أيَّ ملك كافٍ في قتال الكفار!

أجيبَ: بأن ذلك يَنسب النصر لرسول الله والمؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤]، فلو هلكوا بشيء ممَّا هلكَ به الأُمَم السابقة.. لم يكُنْ في ذلك مزيدُ فخر للمؤمنين، ولا شفاءٌ لِغَيظهم؛ لكونه خارجاً عن اختيارهم.

قوله: (﴿بَلَىٰٓ﴾) حرفُ جواب؛ أي: وهو إيجاب للنفي في قَوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾، وأما جواب الشرط فهو قوله: ﴿يُمْدِدْكُمْ﴾.

قوله: (لأنه أمدَّهم أوَّلاً بها) هذا إشارةٌ لوجه الجمع بين ما هنا وبين ما يأتي.

قوله: (﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾) يُطلق الفورُ على الغلَيان، يقال: فار القِدر: غَلا، ويطلقُ على الوقت الحاضر، وهو المرادُ هنا.

---

(١) وهو كرز بن جابر المحاربي، روى خبره الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٧٣).

﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ ....﴾

﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ـ بكَسرِ الواو وفَتحها ـ أي: مُعَلِّمِين، وقد صَبَرُوا وأنجَزَ الله وَعدَه، بِأن قاتَلَت معَهُم المَلائكةُ على خَيل بُلْقٍ، علَيهِم عَمائِمُ صُفر أو بِيضٌ أرسَلُوها بينَ أكتافِهم.

﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمدادَ ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بِالنَّصرِ، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: تَسكُنَ

حاشية الصاوي

قوله: (بكسر الواو) أي: اسم فاعل، والمعنى: مُعلمين أنفسَهم آداب الحرب، وقوله: (وفتحها) أي: اسم مَفعول، بمعنى: أنَّ الله علَّمَهم آدابه[١].

قوله: (وأنجز الله وعدهم) أي: فكلَّما حصلَ للمؤمنين ضعفٌ.. زادَهم الله من الملائكة.

قوله: (على خيل بُلْق) أي: وُجوهها وأيديها وأرجلُها بِيض، وقوله: (وعليهم عمائم صفر أو بيض) أي: فهما روايتان، وجُمعَ: بأن جبريلَ كانت عِمامتُهُ صفراءَ، وباقِيهم بيض.

قوله: (أرسلوها) أي: طرَفها، وردَ عن علي أنه قال: كنتُ في قَليب بدر، فاشتدَّت ريحٌ عظيمة، فرأيت جبريلَ نزلَ بألفين من الملائكة، فسارَ أمامَ المصطفى، ثم اشتدَّت ريحٌ، فرأيت إسرافيلَ نزلَ بألفين من الملائكة، فسارَ على يَمينه، ثم اشتدَّت ريح، فرأيت ميكائيلَ نزل بألف، فسارَ على يَساره[٢].

واعلم: أن قتالَ الملائكة من خَصائص هذه الأمة، وليس مخصوصاً بواقعة بدر، بل وردَ: أن جبريلَ وميكائيلَ قاتلا مع النبي في أُحد حين فرَّت أصحابه[٣].

قوله: (أي: الإمداد) أي: المفهوم من قوله: ﴿يُمْدِدْكُمْ﴾.

قوله: (﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾) البشارةُ: هي الخبر السارُّ، ولا تطلقُ على الضدِّ إلا مقيَّدة.

قوله: (﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾) معطوف على ﴿بُشْرَىٰ﴾ الواقعِ مفعولاً لأجله، وجُرَّ باللام لِعَدم استيفاء

---

(١) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم بكسر الواو على اسم الفاعل، والباقون بفتحها على اسم المفعول. انظر «الدر المصون» (٣/ ٣٨٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٩).

(٣) رواه مسلم (٢٣٠٦)، وكانا في صورة رجلين عليهما ثياب بيض.

قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ ....

﴿قُلُوبُكُم بِهِۦۗ﴾ فلا تَجزَعَ مِن كَثرةِ العَدُوِّ وقِلَّتِكم، ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ يُؤتِيه مَن يَشاءُ، وليسَ بِكَثرةِ الجُندِ.

﴿١٢٧﴾ ﴿لِيَقۡطَعَ﴾ - مُتَعلِّق بـ﴿نَصَرَكُمُ﴾ - أي: لِيُهلِكَ ﴿طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بِالقَتلِ والأَسرِ، ﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾: يُذِلَّهُم بِالهَزيمةِ، ﴿فَيَنقَلِبُواْ﴾: يَرجِعُوا ﴿خَآئِبِينَ﴾ لَم يَنالُوا ما رامُوهُ.

﴿١٢٨﴾ ونَزَلَ لَمَّا كُسِرَت رَباعِيَتُه ﷺ وشُجَّ وَجهه يَومَ أُحُد وقال: «كيفَ يُفلِحُ قَومٌ

حاشية الصاوي

شروط المفعول من أجله؛ فإن فاعلَ الجعل الله، وفاعل الطُّمَأنينة القلوب، فلم يتَّحدَا في الفاعل، وشرطُهُ: الاتحاد.

قوله: (فلا تجزع من كثرة العَدو) ورد: أن الملائكة كانت تُقاتل وتقول للمؤمنين: اثبُتوا فإن عدوَّكم قليل والله مَعكم[1].

قوله: (وليس بكثرة الجند) أي: فلا تتوهَّموا أن النصرَ بكثرة العدد.

قوله: (متعلق بـ﴿نَصَرَكُمُ﴾) أي: المتقدِّم في قوله: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ﴾.

قوله: (أي: ليهلك) إنما فسَّره بذلك؛ لأن القطعَ يأتي لِمَعانٍ، منها: التفريق؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗاۖ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وليس مراداً هنا، ومنها: الهلاكُ، وهو المراد.

قوله: (بالقتل) أي: وكانوا سبعين، وقوله: (والأسر) أي: وكانوا كذلك.

قوله: (﴿أَوۡ يَكۡبِتَهُمۡ﴾) الكبت بمعنى: الكَبْد، فتاؤه مبدلةٌ من الدال، وهو الغيظُ الذي يُحرقُ الكبد[2].

قوله: (لم ينالوا ما راموا) أي: ما قصَدوه.

قوله: (لما كسرت رَباعيته) أي: السِّنَّةُ التي بين الثَّنايا والناب، وقوله: (وشجَّ وجهه) أي: غاصَت فيه حلقة المِغْفَر.

---

(١) قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ...﴾ الآية، وانظر «الدر المنثور» (٤/ ٣٤).

(٢) كذا قال الأزهري في «تهذيب اللغة» (ك ب ت).

لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ ....

خَضَبُوا وجهَ نَبِيِّهم بِالدَّمِ؟»: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، بَل الأمرُ لِلَّه فاصبِر، ﴿أَوْ﴾ - بِمعنَى (إلى أنْ) - ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالإسلامِ، ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بِالكُفرِ.

﴿١٢٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلْقاً وعَبِيداً، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المَغفِرةَ لَه، ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تَعذِيبَه، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِأوليائِه، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِأهلِ طاعَتِه.

حاشية الصاوي

قوله: (وقال: كيف يُفلح قوم... إلخ)[1] أي: وقد عزمَ أن يدعوَ عليهم، كذا قيل، والأقربُ: أن مقالة النبيِّ حزناً على عدم إيمانهم؛ فإن قصدَ النبيِّ هُداهم، وحيث وقع منهم ذلك الفعل فهو دليلٌ على عدم إيمانهم، فيَفوت مقصدُ النبي، فسلَّاه اللهُ بالآية كما سلَّاه بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ [الكهف: ٦]، وبقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

قوله: (يوم أحد) أي: وقيل: نزَلت في أهل بئر مَعُونة، وهم سبعون رجلاً من القرَّاء، بعثهم رسولُ الله ﷺ إلى بئر مَعُونة - وهي بين مكة وعسفان - لِيعلِّموا الناسَ القرآن والعلم، وأمَّرَ عليهم المنذرَ بن عمرو، وكان ذلك في صَفر سنةَ أربع من الهجرة، فخانهم عامرُ بن الطُّفيل وقتَلهم عن آخِرهم، فاشتدَّ غضبُ رسول الله ﷺ، فسلَّاه الله بِذلك[2].

قوله: (﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾) أي: لا تملكُ لهم نفعاً فتُصلحَهم، ولا ضرًّا فتهلكَهم، فنفى ذلك من حيث الإيجاد والإعدام، وأمَّا من حيث الدلالةُ والشفاعةُ فهو الدليلُ الشفيع المشفَّعُ، جعلَ الله مفاتيحَ خزائنه بِيَده، فمن زعمَ أن النبيَّ كآحاد الناس لا يملك شيئاً أصلاً ولا نفعَ به لا ظاهراً ولا باطناً.. فهو كافرٌ، خاسرُ الدنيا والآخرة، واستِدلاله بهذه الآية ضلالٌ مُبين.

قوله: (﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾) عِلة لقوله: ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾) هذا كالدليل لما قبله.

---

(١) رواه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس ﷺ.

(٢) «تفسير البغوي» (١/ ٥٠٤)، وأورد لكلا القولين رواية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوٓاْ ....

﴿١٣٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ - بِأَلِفٍ ودُونها - بأن تَزِيدُوا في المالِ عِند حُلُول الأجَلِ وتُؤَخِّرُوا الطَّلَبَ، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بِتركِه، ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُون.

﴿١٣١﴾ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أن تُعَذَّبُوا بها.

﴿١٣٢﴾ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿١٣٣﴾ ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ - بِواوٍ ودُونَها - ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾) سببُ نزول الآية: أن الرجلَ كان في الجاهلية إذا كان له دينٌ على آخرَ وحَلَّ الأجلُ ولم يقدر الغريمُ على وفائه، قال له صاحبُ الدَّين: زِدني في الدين وأنا أزيدُك في الأجل، فكانوا يَفعلون ذلك مراراً، فربما زاد الدينُ زيادةً عظيمة.

قوله: (وتؤخِّروا الطلب) أي: في نظير تلك الزيادة، والواجبُ إنظارُ المعسِرِ مِن غير شيء، والتشديدُ على الموسِر المماطل.

قوله: (بتركه) أي: الربا، وكذا كلُّ ما نهى الله عنه.

قوله: (أن تعذَّبوا بها) أشارَ بذلك إلى أن في الكلام حذف مضاف؛ أي: اتقوا تعذيبَ النار؛ أي: اجعلوا بينكم وبينَه وِقاية.

قوله: (﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾) أي: بادِروا.

قوله: (بواو ودونها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، فعلى الواو تكون الجملةُ معطوفةً على جملة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾، وعلى عدمها تكون الجملة استئنافية، كأن قائلاً قال: وما كيفية تقوى النار؟ وبأيِّ شيء يكون تقواها؟ فأجاب بقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ... إلخ﴾.

إن قلتَ: إن ما خالف الرسمَ العثماني شاذٌّ، فمُقتضاه أن أحد القراءتين مخالفٌ للرسم!

(١) قرأ نافع وابن عامر بدون واو، والباقون بواو العطف. انظر «الدر المصون» (٣/ ٣٩٤).

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ ....

﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: كعَرضِهما لو وُصِلَت إحداهُما بالأُخرَى، والعَرْض: السَّعَةُ، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله بِعَمَلِ الطَّاعات وتَركِ المعاصي.

حاشية الصاوي

أجيبَ: بأن المصاحف العثمانية تعدَّدت، فبعضها بالواو، وبعضُها بدونها، ولا يردُ هذا الإشكال إلا لو كان واحداً.

قوله: (﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾) أي: إلى أسبابها، وهو الانهماكُ في الطاعات، والبعدُ عن المعاصي.

قوله: (﴿وَجَنَّةٍ﴾) عطفها على المغفرة من: عطف المسبَّب على السبب، ومُرادنا بالسبب: الظاهريُّ، وإلا.. فالسببُ الحقيقيُّ هو فضلُ الله.

قوله: (كعرضهما) أشارَ بذلك إلى أن في الكلام حذفَ مضاف وأداةِ التشبيه، وقد صُرِّحَ بهما في سورة (الحديد)، قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١].

واختُلف هل هذا التشبيه حقيقي؟ والمعنى: لو بُسطت السموات كلٌّ واحدة بجانب الأخرى وكذلك الأرض.. لكان ما ذُكرَ مماثلاً لعرض الجنة، وأما طولُها فلا يعلمُهُ إلا الله، وإنما لم يقُلْ: طولها؛ لأنه لا يلزمُ من سعة الطول سعةُ العرض، بخلاف العكس، وهذا تفسير ابن عباس[١].

أو مجازيٌّ؟ وهو كنايةٌ عن عظيم سَعتها، وإلا.. فالسمواتُ والأرض لو اتَّصلت بعضُها ببعض.. كان ما ذُكرَ أقلَّ ممَّا يُعطاه أبو بكر الصديق فضلاً عن غيره؛ لما وردَ: أن جبريلَ يسيرُ بأجنحته الست مئة في ملكه شهراً، إذا علمتَ ذلك.. فالمناسبُ للمفسِّرِ أن يقول: (أو العرض السعة)؛ ليفيدَ أنه تفسيرٌ آخَر.

قوله: (﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾) أي: هُيِّئت وأُحضرت، وقدَّمَ هذا الوصفَ؛ لأنه مستلزمٌ لجميع الأوصاف، و(المتقين) جمع متَّقٍ، وهو المنهمِكُ في الطاعات، المجتنبُ للمعاصي.

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٠٧).

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ....﴾

(١٣٤) ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعةِ اللهِ ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: اليُسرِ والعُسر ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾: الكافِّينَ عن إمضائِه معَ القُدْرةِ، ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ مِمَّن ظَلَمَهُم،

حاشية الصاوي

قوله: (اليسر والعسر) أي: الرخاء والشدة، وذلك لِثقته بربِّه واعتماده عليه، فينفقُ في كلِّ زمن على حسَب حاله فيه قليلاً أو كثيراً، ولا يستخِّف بالصدقة؛ ففي الحديث: «**اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة**»[١]، وفي رواية: «**ولو بظِلْفٍ محرق**»[٢].

قوله: (﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾) أي: وهو ناريةٌ تحلُّ في القلب، يظهرُ أثرها على الجوارح[٣].

قوله: (الكافين عن إمضائه مع القُدرة) أي: الكاتمين الغضبَ مع القدرة على العمل بِمقتضاه بظواهرهم وبَواطنهم، وكظمُ الغيظِ من أعظم العبادة، وردَ: «**من كظمَ غيظاً وهو يقدرُ على إنفاذه.. ملأَهُ اللهُ أمناً وإيماناً**»[٤].

إن قلتَ: ورد عن الشافعي أنه قال: (من استُغضبَ ولم يغضَبْ فهو حمار)[٥]، فمقتضاه: أنه مذمومٌ، ومقتضى الآية أنه مِن المتقين!

أجيبَ: بأن كلام الشافعي يحملُ على ما إذا رأى حُرمات الله تُفعلُ ولم ينهَ عنها ولم يغضَبْ لأجلها.

واتفق للإمام الحسن زمنَ خلافته وكان حليماً جدًّا أن رجلاً قدمَ عليه لِيَمتحنه، فصار يسبُّهُ ويتكلَّمُ فيه وهو يبتسمُ، فقال له الرجلُ: إن شتَمتني واحدةً شتمتك مئة، فقال الحسن: إن شتمتني مئةً ما شتمتك واحدة، فوقعَ على قدمه وقبَّلَها وقال: أشهدُ أنك على خُلُقِ رسول الله.

قوله: (﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾) عطفٌ على (الكاظمين) من عطف العامِّ على الخاصِّ؛

---

(١) رواه البخاري (١٤١٧)، ومسلم (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٢) رواه مالك في «الموطأ» بلفظ: «ردُّوا المسكين ولو بظِلْف مُحْرَق»، والظلف للبقر والغنم كالحافر للفرس والخفِّ للبعير.

(٣) روى أحمد في «المسند» (٢/ ١٢٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «ما تجرَّع عبدٌ جرعةً أفضلَ من جرعة غيظ يكظمها ابتغاءَ وجه الله تعالى».

(٤) رواه أبو داوود (٤٧٧٨).

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٨٧٣٤).

وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ....

أي: التَّارِكِينَ عُقُوبَتَهُ، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بِهذه الأفعالِ، أي: يُثِيبُهُم.

﴿١٣٥﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾: ذَنباً قَبِيحاً كالزِّنا، ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بِما دُونَه كالقُبلةِ، ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: وَعِيدَه، ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ....

حاشية الصاوي

لأن العفوَ أعمُّ من أن يكون معه كظمُ غيظٍ أو لا، كما إذا سبَّهُ وهو غائبٌ، فبَلغه ذلك، فعفا عنه من غير أن يَستفزَّهُ الغضب.

واتفق للإمام زين العابدين أن جاريتَهُ كانت تصبُّ عليه ماء الوضوء، فسقط الإبريقُ على رأسه، فشجَّ وجهَه، فرفع بصره لها، فقالت له: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، فقال: كظمتُ غيظي، فقالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾، فقال: عفوتُ عنك، فقالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فقال: أنتِ حرَّةٌ لوجه الله.

قوله: (﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟﴾) شروعٌ في ذكر التوَّابين بعد أن ذكر المطهَّرين، وبقي قسمٌ ثالث وهم الذين أصرُّوا على المعاصي وماتوا من غير توبة، فأمرُهم مفوَّضٌ لله؛ إما أن يدخلَهم الجنة من غير سابِقة عذاب، أو يعذِّبَهم بقدر الجرم ثم يدخلَهم الجنة، خِلافاً للمعتزلة؛ حيث منعوا غفرانَ الذنوب لهم.

وقوله: (﴿وَٱلَّذِينَ﴾) مبتدأ أول، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ ثانٍ، و﴿جَزَآؤُهُم﴾: مبتدأ ثالث، وقوله: ﴿مَّغْفِرَةٌ﴾: خبرُ الثالث، وهو وخبره: خبرُ الثاني، وهو وخبرُهُ: خبرُ الأول.

قوله: (ذنباً قبيحاً) أي: كبيراً، وقوله: (كالزنا) أي: وغيره من الكبائر، وقوله: (بما دونه) أي: كالصغائر، وهذه الآيةُ نزلت في حقِّ رجلٍ تمَّار مرَّتْ عليه امرأةٌ وأرادت أن تشتريَ منه تمراً، فأعجبَته، فقال لها: إن التمرَ الجديد داخلَ الحانوت، فدخل معها الحانوت وفَعل معها ما عدا الإيلاج، وأعطاها التمرَ، فتذكَّرَ هيبةَ الله وعِقابه، فجاءَ لرسول الله يبكي، فنزَلت الآية[1].

قوله: (أي: وعيده) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف.

قوله: (﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾) أي: أقلَعوا عنها وتابوا.

---

(١) «زاد المسير» (١/ ٣٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، والرجل هو نبهان التمَّار.

وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ....

﴿وَمَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾: يُدِيموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾، بل أقلَعُوا عنهُ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الذي أتوهُ مَعصِيَة.

﴿١٣٦﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ - حالٌ مُقَدَّرة - أي: مُقَدِّرينَ الخُلُودَ فِيها إذا دَخَلُوها، ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ بِالطَّاعةِ هذا الأجرُ.

﴿١٣٧﴾ ونَزَلَ في هَزِيمة أُحُدٍ: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾: مَضَتْ ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾: طَرائِقُ في الكُفَّار

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾) جملةٌ معترضة بين الحال وصاحبها، قُصدَ بها التعليل.

قوله: (﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾) جملةٌ حالية من الواو في ﴿ٱسْتَغْفَرُوا۟﴾.

قوله: (﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) جملةٌ حالية أيضاً، وقوله: (أن الذي أتوه معصيةً) إشارةٌ لمفعول ﴿يَعْلَمُونَ﴾، والمعنى: وليسوا ممَّنْ يُصرون على الذنوب وهم عالمون بقُبحها والنهي عنها والوعيد عليها؛ لأنه قد يقدمُ على الذنب مَنْ لم يعلَمْ أنه ذنب ولا يؤاخذُ بذلك؛ كالمجتهِدين من الصحابة في قتال بعضهم؛ ولذلك كان الواحدُ منهم إذا ظهرَ له الخطأ . أقلعَ في الحال.

قوله: (﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾) المعنى: أن القصورَ والأشجار مُشرفةٌ على الأنهار.

قوله: (﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾) (نِعمَ): فعل ماض، و﴿أَجْرُ﴾: فاعل، والمخصوص بالمدح محذوفٌ، قدَّره المفسِّرُ بقوله: (هذا الأجر) أي: الذي هو المغفِرة والجنة.

قوله: (ونزل في هزيمة أحد) أي: تسليةً للنبي وأصحابه على ما أصابهم من الحزن الذي وقعَ لهم في تلك الغَزوة، فكأن اللهَ يقول لهم: لا تحزنوا؛ فإن هذه سنن من قبلكم، والعِبرة بالخواتم، وقد تمَّ النصرُ لكم على أعدائكم.

قوله: (﴿قَدْ خَلَتْ﴾) من الخُلو، بمعنى: المضي.

قوله: (في الكفار) أي: كعاد مع هُود، وكثمود مع صالح، وكقوم نوح معه، وكقوم لُوط معه، وكالنمروذ مع إبراهيم، وكفِرعون مع موسى، فإن اللهَ أمهل هؤلاء ثم أخذهم أخذَ عزيز مقتدر،

فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ....

بِإمهالِهِم ثُمَّ أخذِهِم، ﴿فَسِيرُواْ﴾ أيُّها المُؤمنونَ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرُّسُلَ، أي: آخِرُ أمرِهم مِن الهَلاكِ، فلا تَحزَنُوا لِغَلَبَتِهم، فأنا أُمهِلُهم لِوَقتِهِم.

﴿١٣٨﴾ ﴿هَٰذَا﴾ القُرآنُ ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ كُلِّهِم، ﴿وَهُدًى﴾ مِن الضَّلالَةِ، ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مِنهُم.

حاشية الصاوي

فكذلك هؤلاء، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن اللهَ ليملي للظالم حتى إذا أخذَهْ لم يُفلتْهُ**»(١).

قوله: (بإمهالهم) أي: على سبيل الاستدراج، والمعنى: فلا تحزنوا ممَّا وقعَ لكم؛ فإن الله يمهلُ ولا يُهمل.

قوله: (﴿فَسِيرُواْ﴾) إنما قرنَ الفعل بالفاء؛ لما في الجملة الأولى من معنى الشرط، كأن الله يقول: إن كنتم في شكٍّ ممَّا ذكرته لكم.. فسيروا في الأرض لتَروا آثارَهم.

قوله: (أي: آخر أمرهم) أي: وهو الهلاكُ الأُخرويُّ بإخبار الله ورسله، والدنيويُّ بالمشاهدة.

قوله: (فإنما أمهلهم لوقتهم) أي: المقدَّر لهم، ولا يعجلُ بالعقوبة إلا مَنْ يخاف الفوات.

قوله: (﴿بَيَانٌ﴾) إما باقٍ على مَصدريته مبالغة، أو بمعنى: مبيِّن، أو ذو بيان؛ على حدِّ: زيدٌ عدْلٌ، ولذلك سُمِّيَ القرآنُ أيضاً فرقاناً؛ لأنه يفرقُ بين الحقِّ والباطل.

قوله: (كلهم) أي: مُسلمين أو كفاراً، وإنما كان بياناً للجميع؛ لإقامة الحجَّة على الكافر يومَ القيامة وتَعذيبه.

قوله: (﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة) أي: هادٍ من الكفر أو المعصية.

قوله: (﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾) راجعٌ لقوله: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾، وخصَّهم لأنهم هم المنتفعُون بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ....

﴿١٣٩﴾ ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾: تَضعُفُوا عن قِتالِ الكُفَّار، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما أصابَكُم بِأُحُدٍ، ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ بِالغَلَبةِ علَيهِم، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًّا، ـ وجَوابُه دَلَّ علَيه مَجمُوعُ ما قبلَه ـ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَا تَهِنُوا﴾) هذا من جملة التسلية للنبي وأصحابه، وأصلُهُ: (توهِنوا) حذفت الواو لوقوعها بين عدوَّتيها[1]، وسببُ ذلك: أنه لمَّا حصلت التفرقةُ لأصحاب النبي ﷺ يومَ أحد، وقُتلَ منهم سبعون، وجُرحَ منهم ناسٌ كثيرون، وقُتلَ من الكفار نيِّفٌ وعشرون، وجُرحَ منهم ناسٌ كثيرون.. قال أبو سفيان رئيسُ الكفار مُنادياً للنبي وأصحابه: أفي القوم محمدٌ؟ ثلاثَ مرات، فنهى النبيُّ القومَ أن يُجيبوه، فقال: أفي القوم ابنُ أبي قحافة؟ ثلاثَ مرات، ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطاب؟ ثلاثَ مرات، ثم رجعَ إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قُتلوا، فما ملكَ عمرُ نفسَهُ فقال: كذبتَ واللهِ يا عدوَّ الله؛ إن الذين عددتَ لأحياءٌ كلُّهم، وقد بقيَ لك ما يَسوؤُك، ثم أخذَ أبو سفيان يرتجزُ بقوله: اعْلُ هُبَل، اعْلُ هبل، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ألا تُجِيبوه؟ قولوا: اللهُ أعلى وأجل**»، قال أبو سفيان: إنَّ لنا عزى ولا عزى لكم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قُولوا: اللهُ مولانا ولا مَولى لكم**»[2]، وفي رواية: قال أبو سفيان: يومٌ بيوم، وإن الأيامَ دولٌ والحربَ سِجال، فقال عمرُ: لا سواء، قَتلانا في الجنة، وقتلاكم في النار[3]، ثم أمرَ النبيُّ أصحابه جميعاً بالإقبال على قتال الكفار ثانياً، فصار الجريحُ منهم يزحفُ على الرُّكَب، ووقعَ الحرب بينهم، وباتت الهزيمةُ على الكفار، فنزلت الآية تسليةً للنبي وأصحابه.

قوله: (﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾) أصله: الأعلَوُون، استثقلت الضمة على الواو فحذفت، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حذفت الألف لالتقائهما وبقيت الفتحةُ لتدلَّ عليها.

قوله: (مجموع ما قبله) أي: وهو قوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾.

---

(١) إذ أصل الفعل في المضارعة: يَوْهِن، فوقعت الواو بين الياء والكسرة، فحُذفت.

(٢) رواه البخاري (٤٠٤٣).

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٧).

إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ....

﴿١٤٠﴾ ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾: يُصِبْكُم بأُحُدٍ ﴿قَرْحٌ﴾ - بفَتحِ القاف وضَمِّها -: جَهدٌ مِن جُرحٍ ونحوِه، ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ﴾ الكُفَّارَ ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ ببدرٍ، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾: نُصَرِّفُها ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ يَوماً لِفرقةٍ ويوماً لِأُخرَى لِيَتَّعِظُوا، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ عِلمَ ظُهُورٍ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أخلَصُوا في إيمانِهم مِن غَيرِهِم، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ يُكرِمُهُم بالشَّهادةِ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين، أي: يُعاقِبُهم، وما يُنعِمُ بِه عليهِم استِدراجٌ.

﴿١٤١﴾ ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: يُطَهِّرَهم مِن الذُّنُوب ....

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح القاف وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، وجواب الشرط محذوفٌ، تقديره: فلا تَحزنوا، فقوله: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ... إلخ﴾ مفرَّعٌ عليه.

قوله: (ببدر) أي: فكانت الغلبة فيه للمؤمنين من أوَّله إلى آخره، وقال بَعضهم: بل في أُحُد أيضاً؛ لأنَّ الغلبةَ آخراً كانت للمؤمنين، وأما غزوةُ بدر فكانت للمؤمنين خاصَّة.

قوله: (﴿نُدَاوِلُهَا﴾) المداولةُ: نقلُ الشيء من واحد لآخر، والمعنى: إنما جعلنا الأيامَ دولاً بين الناس يوماً للكفار ويوماً للمسلمين لِتتَّعظوا وليعلمَ الله... إلخ.

قوله: (علم ظهور) جواب عن سؤال مقدَّر، حاصلُهُ: إن علم الله قديمٌ لا يتجدَّد فكيف ذلك؟ فأجابَ: بأن المرادَ ليظهر متعلَّقُ عِلمه بتمييز المؤمن من غيره، والمعنى: أن نصرةَ الكافر تارةً ليست لمحبة الله له، بل ليتميَّزَ المؤمن من المنافق، وليتخذَ منكم شهداءَ، وإلا.. فاللهُ لا يحبُّ الكافرين.

قوله: (أي: يعاقبهم) تفسيرٌ لعدم محبة الله لِلظالمين.

قوله: (وما ينعم به عليهم استدراج) جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ، تقديرُهُ: إنا نرى اللهَ ينصرُهم تارةً، وينعمُ عليهم بالدنيا وزينتها! فأجاب: بأنها نِقَمٌ في صورة نِعَم.

قوله: (﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾... إلخ) هذه حكمةٌ ثالثة، والمعنى: إنما جعلنا الغلبةَ أوَّلاً للكفار

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بضم القاف، والباقون بفتحها. انظر «تفسير البغوي» (١/ ٥١٤).

وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ....

بما يُصِيبُهُم، ﴿وَيَمْحَقَ﴾: يُهلِكَ ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿١٤٢﴾ ﴿أَمْ﴾: بَل أ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: لَم ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ عِلمَ ظُهُورٍ، ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الشَّدائِد؟

حاشية الصاوي

ليتميَّزَ المؤمن من الكافر، ويتخذَ منهم شهداء، ويخلصَ المؤمنين من الذنوب، ويأخذَ الكفَّارَ شيئاً فشيئاً.

قوله: (بما يصيبهم) أي: بسبب ما يُصيبُهم من الجهد والمشقَّة.

قوله: (﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾) أي: يأخذهم ويهلكهم شيئاً فشيئاً؛ لأنَّ المحقَ: الإهلاكُ شيئاً فشيئاً.

قوله: (﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾) ﴿أَمْ﴾: مُنقطعة؛ فلذا فسَّرَها بـ(بل) التي للإضراب الانتقالي، والهمزةُ التي قدَّرَها المفسِّرُ للاستفهام الإنكاري، والمعنى: لا تظنُّوا يا أيها المؤمنون أنكم تَدخلون الجنة مع السابقين بمجرَّد الإيمان من غير جهادٍ وصبرٍ، بل مع الجهاد والصبر، وهو خطابٌ لأهل أُحُد؛ حيث أُمروا بالقتال مع كونهم جرحى وتشديدٌ عليهم في ذلك، والمقصودُ من ذلك: تعليمُ من يأتي بعدهم، وإلا.. فهم قد جاهَدوا في الله حقَّ جهاده، وصبروا صبراً جميلاً.

قوله: (﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾) (لما): حرفُ نفي وجزم وقلب، تفيدُ توقُّعَ الفعل؛ فلذا عبَّرَ بها دون (لم)، وقد حصلَ ذلك، و﴿يَعْلَمِ﴾: مجزومٌ بـ(لمَّا) وعلامةُ جزمه السكون، وحرِّكَ بالكسر تخلُّصاً من التقاء الساكنين، و﴿ٱللَّهُ﴾: فاعل ﴿يَعْلَمِ﴾، وذلك كنايةٌ عن عدم حصول الجهاد والصبر؛ لأنَّ ما لم يَعلمْهُ الله لم يكنْ حاصلاً.

قوله: (﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾) هكذا بالنصب باتفاق القراء بـ(أن) مضمرة بعد واو المعية؛ على حدِّ: لا تأكلِ السمكَ وتشربَ اللبن.

قوله: (في الشدائد) أي: البلايا؛ كالأمراض والفقر والمِحن، فيكون عن الله راضياً في السرَّاء والضراء. وقوله: (﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾) يدخل فيه جهادُ النفس بمخالفة شهواتها؛ لأنَّ العبرةَ بعموم اللفظ

وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ ....

﴿١٤٣﴾ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ ـ فِيه حذفُ إحدَى التَّاءَينِ في الأصلِ ـ ﴿ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ حيثُ قُلْتُم: (ليتَ لَنا يوماً كيومِ بدرٍ؛ لِنَنالَ ما نالَ شُهَداؤُهُ)، ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي: سَبَبَهُ الحَربَ ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي: بُصَراءُ تَتَأَمَّلُون الحالَ كيفَ هي، فلِمَ انهَزَمتُم؟

﴿١٤٤﴾ ونَزَلَ في هَزِيمَتِهم لَمَّا أُشِيعَ أنَّ النَّبِيَّ قُتِلَ وقال لَهُم المُنافِقُونَ: (إنْ كان قُتِلَ فارجِعُوا إلى دِينِكم): ....

حاشية الصاوي

لا بخصوص السبب، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

قوله: (فيه حذف إحدى التاءين) أي: تخفيفاً، قال ابن مالك: [الرجز]

وَمـا بِـتـاءَيْـنِ ابْـتُـدِي قَـدْ يُـقْـتَـصَـرْ فِـيـهِ عَـلَـى تـا كَـ(تَـبَـيَّـنُ الـعِـبَـرْ)[١]

قوله: (﴿مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾) يحتملُ أن الضميرَ عائدٌ على الموت بمعنى: سَببه، وهو الحرب، أو على العدوِّ نفسه، وهو وإن كان غيرَ متقدِّم الذكر لكنَّه معلومٌ من السياق.

قوله: (ما نال شهداؤه) أي: من الأجر العظيم؛ ففي الحديث: «اطَّلعَ اللهُ على أهلِ بدرٍ فقالَ: اعملوا ما شِئتم فقَدْ غفرتُ لكم»[٢].

قوله: (أي: سببه) ويحتمل أن الضميرَ عائدٌ على العدو.

قوله: (أي: بُصَراء) أشارَ بذلك إلى أن (نظرَ) بصريةٌ تنصب مفعولاً واحداً، قدَّرَه بقوله. (الحالَ)، ويحتمل أنها علميةٌ ومفعولاها محذوفان، تقديرهما: تعلمون إخوانَكم ما بين مقتول ومجروح.

قوله: (ونزل في هزيمتهم) أي: في أُحُد حين تفرَّقوا.

قوله: (لما أشيع) أي: أشاعَ المنافقون.

قوله: (أن النبي قتل) أي: وكذا أبو بكر وعمر.

---

(١) «الخلاصة» (باب الإدغام).

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي رضي الله عنه.

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾: رَجعتُم إلى الكُفرِ؟ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾) أي: لا ربٌّ معبود، فالقصرُ قصرُ قَلْب، والمقصودُ من ذلك: الردُّ على المنافقين حيث قالوا لضعفاء المسلمين: إن كان قتلَ محمد فارجعوا إلى دينكم ودين آبائكم، فأفادَ أن محمداً عبد مرسل، يجوزُ عليه الموت، لا ربٌّ معبود حتى نتركَ عبادةَ الله من أجل مَوته؛ لأن المقصودَ من وجوده تبليغُ رسالة ربِّه؛ ولذلك نزل قربَ وفاته: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ولكن يجبُ علينا تعظيمُهُ واحترامه حيًّا وميتاً، واعتقادُ أن مُعجزاته باقيةٌ، واتباعه وطاعته، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ولم يقل: وهو حيٌّ، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولم يقل: لأصحابك، وقال عليه الصلاة والسلام: «حياتي خيرٌ لكم، ومماتي خيرٌ لكم»[١]، فمن اعتقدَ أن النبيَّ لا نفعَ به بعد الموت بل هو كآحاد الناس.. فهو الضالُّ المضلُّ.

قوله: (﴿أَوْ قُتِلَ﴾) أي: فرضاً.

قوله: (رجعتم إلى الكفر) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ كنايةٌ عن الرجوع للكفر، لا حقيقةُ الانقلاب على الأعقاب الذي هو السقوطُ إلى خَلف، وهذه الآيةُ قالها أبو بكر الصديق يومَ وفاته ﷺ حين طاشَت عقولُ الصحابة، وارتدَّ مَن ارتد، قال عمرُ: كلُّ من قال: إن محمداً قد مات.. رميتُ عنقَهُ بسيفي، فبلغ أبا بكر الخبرُ، فدخلَ على النبي ﷺ وكشفَ اللثامَ عن وجهه وقبَّلَهُ بين عينَيه وقال: طبتَ يا حبيبي حيًّا وميتاً، كنتُ أودُّ لو أفدِيك بنفسي ومالي، ولكن قال الله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وخرجَ وجمع الصحابة، وصَعد المنبر وخطب خطبةً عظيمة قال فيها: أيُّها الناس؛ من كان يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومَن كان يعبدُ اللهَ فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ...﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية، فثبَّتَ الناسَ، حتى قال عمرُ: والله كأنَّ هذه الآيةَ لم أسمَعها إلا من أبي بكر[٢].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٩٢٥) بإسناد جيد كما قال الحافظ العراقي في «طرح التثريب» (٣/٢٩٧)، وانظر «إتحاف السادة المتقين» (٩/١٧٦).

(٢) رواه البخاري (١٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ....

ـ والجُملةُ الأخِيرةُ مَحلُّ الاستِفهام الإنكاريِّ ـ أي: ما كان مَعبُوداً فترجِعُوا، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ وإنّما يَضُرُّ نفسَه، ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ نِعَمَه بالثَّبات.

﴿١٤٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِقَضائِه، ﴿كِتَٰبًا﴾ ـ مَصدَرٌ ـ أي: كَتَبَ الله ذلكَ، ﴿مُّؤَجَّلًا﴾: مُؤقَّتاً لا يَتقدَّم ولا يَتأخَّر، فلِمَ انهَزمتُم والهَزِيمةُ لا تَدفع المَوتَ، والثَّباتُ لا يَقطَعُ الحَياةَ؟ ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بِعَمَلِه ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: جَزاءَه مِنها ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما قُسِمَ لَه، ولا حَظَّ لَه في الآخِرةِ، ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ أي: مِن ثَوابِها، ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (والجملة الأخيرة) أي: التي هي قوله: ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾) هذا ردٌّ لمن يَفرُّ من القتال خوفاً على نفسه من الموت.

قوله: (لا يتقدم ولا يتأخر) أي: لِقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

قوله: (﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾) أي: يصرف نيَّتَهُ للدنيا وزَخارفها تاركاً الآخرةَ وما فيها.

قوله: (ما قسم له) هذا هو مفعول ﴿نُؤْتِهِۦ﴾ الثاني، والأول هو الهاء.

قوله: (أي: من ثوابها) أي: وما قُسِمَ له من الدنيا يَأتيه على كلِّ حال، فلا فرقَ بين مَنْ يطلبُها ومَنْ لا يطلبُها، فلا تجعل الدنيا أكبرَ همِّكَ ولا مبلغَ علمك، بل اجعَلْ مَطمحَ نظرك عبادةَ ربِّك، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وما قُدِّرَ لك فلا بدَّ من وصوله إليك، طلبتَهُ أو لا.

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ....

﴿١٤٦﴾ ﴿وَكَأَيِّن﴾: كَم ﴿مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ - وفي قِراءة: ﴿قَـٰتَلَ﴾، والفاعِلُ ضَميرُه - ﴿مَعَهُۥ﴾ - خَبَرٌ مُبتدؤُه: - ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾: جُمُوعٌ كَثِيرةٌ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قتل﴾) هذا من جملة التسلية لأهل أُحُد على ما أصابهم، وفيه توبيخٌ لمن انهزمَ منهم، وتحريضٌ على القتال، وأصلُ (كأيِّن): أيٌّ الاستفهامية، دخَلت عليها كافُ التشبيه، فأكسبتها معنى (كم) الخبرية؛ فلِذا فسَّرَها بها، و(كأين): مبتدأ، و﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾: مميِّزُها، وجملة ﴿قُتِلَ﴾ خبرها، ونائب فاعل ﴿قُتِلَ﴾ ضميرٌ يعودُ على (كأيِّن) المفسر بقوله: ﴿مِّن نَّبِيٍّ﴾، وعلى القراءة الثانية يكون الضميرُ فاعل ﴿قَـٰتَلَ﴾[1].

وقوله: (﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ﴾) مبتدأ وخبر، والجملة حالية، واستُشكلت تلك القراءة الأولى: بأنه لم يَرِدْ أن نبيًّا قُتِلَ في حال الجهاد، بل متى أُمِرَ النبيُّ بالجهاد عُصِمَ من القتل، ومُقتضى الآية وقوع ذلك!

وأجيبَ: بأنَّ المعنى: قتلَهُ قومُهُ ظلماً في غير حرب، ولكن الأحسن أن نائبَ الفاعل قوله: ﴿رِبِّيُّونَ﴾، و﴿مَعَهُۥ﴾: ظرفٌ متعلّق بـ﴿قُتِلَ﴾، فالقتلُ واقعٌ للربِّيين لا للأنبياء، وهو ردٌّ لقول الكفار: لو كان نبيًّا ما قُتلت أصحابُهُ وهو بينهم، وهذا الإعرابُ يجري في القراءة الثانية أيضاً. والضمير في ﴿أَصَابَهُمْ﴾ يعود على الأُمم، ويتفرَّعُ على هذين الإعرابين صحة الوقف على (قُتِلَ)، أو (قاتَل) على الإعراب الأول دون الثاني.

قوله: (والفاعل) أي: حقيقة على القراءة الثانية، أو حكماً على القراءة الأولى.

قوله: (﴿رِبِّيُّونَ﴾) هكذا بكسر الراء، جمعُ رِبِّي نسبة للربِّ على غير قياس، ومعناه: العالمُ الربَّاني، أو منسوب للرِّبة بالكسر بمعنى: الجماعة، وعليه مشى المفسِّرُ، وقياسُ الأول فتحُ الراء، وقد قرأ بها ابنُ عباس، وقُرِئَ بضم الراء بمعنى: الجماعة الكثيرة أيضاً، والقراءتان شاذتان[2]، والمعنى: لا تَحزنوا على ما وقع لكم، فكم من نبيٍّ قُتل والحالُ أن معه أصحابه، فلم يضعفوا. . . إلخ، وورَدَ: أنه لما نزلت الآيةُ أخذَ النبيُّ وأصحابه في التوجُّهِ خلف الأعداء، فساروا ثمانية أميال صحيحهم وجريحهم، وباتت الهزيمة على الكفار.

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (قُتِل) مبنيًّا للمجهول، والباقون: (قاتل) بالبناء للفاعل. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق، وقوله الآتي: (والمعنى: لا تحزنوا) إلى قوله: (وورد) ضُرِبَ عليه في (أ).

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)﴾ .....

﴿فَمَا وَهَنُوا﴾: جَبُنُوا ﴿لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مِن الجِراح وقَتلِ أنبيائِهم وأصحابِهم، ﴿وَمَا ضَعُفُوا﴾ عن الجِهادِ، ﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾: خَضَعُوا لِعَدُوِّهم كما فعَلتُم حِين قِيل: قُتِلَ النَّبيُّ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ على البَلاءِ، أي: يُثيبُهم.

(١٤٧) ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ عندَ قَتلِ نَبيِّهم مع ثَباتِهم وصَبرِهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾: تَجاوُزَنا الحَدَّ ﴿فِي أَمْرِنَا﴾؛ إيذاناً بِأنَّ ما أصابَهُم لِسُوءِ فِعلِهم، وهَضماً لأنفُسِهم، ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بِالقُوَّةِ على الجهادِ، ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

(١٤٨) ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾: النَّصرَ والغَنيمةَ، ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجَنَّةِ، وحُسْنُه: التَّفَضُّلُ فوقَ الاستِحقاقِ، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَمَا وَهَنُوا﴾) هكذا بفتح الهاء، وقُرِئَ بسكون الهاء وكسرها[1].

قوله: (﴿وَمَا اسْتَكَانُوا﴾) قيل: أصلُهُ: استكَنوا، زِيدَ في الفتحة فصارت ألفاً، وقيل: أصلُهُ: استكْوَنوا، نُقلت فتحةُ الواو إلى الساكن قبلَها، فتحركت الواو وانفتحَ ما قبلها قُلبت ألفاً.

قوله: (﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾) أي: الرِّبِّيين، وهذا بيانٌ لمحاسن أقوالهم بعد بيانِ محاسن أفعالهم.

قوله: (عند قتل نبيِّهم) ظاهرُهُ: حتى في جهاد الكفار، وتقدَّمَ ما فيه.

قوله: (﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ﴾) أي: بِسبب دعائهم وحسن أفعالهم.

قوله: (والغنيمة) إن قلتَ: إنها لم تحلَّ إلا لهذه الأمة المحمدية! أُجيب: بأن المراد بالغنيمة: ملكُ أموال الكفار ورقابهم، ولا يلزمُ من الملك حِلُّ أكلها.

قوله: (وحسنه: التفضُّل فوق الاستحقاق) يعني: أن ثوابَ الآخرة هو الجنة، وهو حَسن، وأحسنُ منه الزيادةُ لهم فوق ما يَستحقون.

---

(١) الفتح قراءة الجمهور، وبسكون الهاء وكسرها قرأ أبو السَّمَّال. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٣١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ۝١٤٩ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ۝١٥٠ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥١﴾ ....

(١٤٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فِيما يَأمرُونكم بِهِ ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ إلى الكُفرِ، ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

(١٥٠) ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصِركُم، ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فأَطِيعُوه دُونَهم.

(١٥١) ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ ـ بِسُكُونِ العِين وضَمِّها ـ: الخَوف، وقد عَزَمُوا بعدَ ارتِحالهم مِن أُحُد على العَودِ واستِئصال المُسلِمِينَ، فرُعِبُوا ولَم يَرجِعُوا، ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ﴾: بِسَبَبِ إشراكِهم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّةً على عِبادَتِه وهو الأصنامُ، ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَأوَى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافِرين هيَ.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾) نزلت في أهل أُحُد حين تفرَّقوا وصار عبدُ الله ابن سلول يقول لضعفائهم: امضُوا بنا إلى أبي سفيان لنأخذَ لكم منه عهداً، ألم أقُلْ لكم: إنه ليس بنبي؟![1].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾) أي: كعبد الله ابن سلول وغيره من المنافقين.

قوله: (﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾) أي: للدنيا بالأسر والخزي، والآخرةِ بالعذاب الدائم.

قوله: (والله ﴿خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾) أفعلُ التفضيل ليس على بابه.

قوله: (﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾) وهذا وعدٌ حَسنٌ من الله بنصر المسلمين وخِذلان الكفار.

قوله: (بسبب إشراكهم) أشارَ بذلك إلى أن الباءَ سببية، و(ما): مصدريَّة.

قوله: (حجة) سمَّاها سلطاناً؛ لقوَّتها ونفوذها.

قوله: (وهو) أي: ما لم ينزلْ به سلطاناً.

قوله: (﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾) هذا بيانٌ لحالهم في الآخرة بعد أن بيَّنَ حالَهم في الدنيا، وكلُّ ذلك مسبَّبٌ عن الإشراك بالله، فهم في الدنيا مَرعوبون، وفي الآخرة معذَّبون.

---

(١) أورده ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٣٣٣) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم ....

﴿١٥٢﴾ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ إيَّاكُم بالنَّصرِ ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تَقتُلُونَهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادتِه، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جَبُنتُم عن القتالِ، ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾: اختَلَفتُم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أمرِ النَّبيِّ ﷺ بالمُقامِ في سَفح الجَبَل لِلرَّمي، فقال بَعضُكم: نَذهَبُ فقد نُصِرَ أصحابُنا، وبَعضُكم: لا نُخالِف أمرَ النَّبيِّ ﷺ، ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمرَه، فتَرَكتُم المَركَزَ لِطَلَبِ الغَنيمةِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾) سببُ نزولها: أن أصحابَ رسول الله ﷺ لما رجعوا إلى المدينة تذاكروا ما وقعَ في تلك الغَزوة؛ حيث قالوا: إن الله وعدنا بالنصر على لسان نبيِّه، فلأيِّ شيء غلبنا؟ فنزلت الآية ردًّا عليهم(١).

قوله: (﴿وَعْدَهُۥٓ﴾) مفعول ثانٍ لـ(صدق)؛ لأنه يتعدَّى لمفعولين، الأول بنفسه، والثاني إما كذلك كما هنا، أو بحرف الجر وهو (في).

قوله: (﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾) ظرفٌ لقوله: ﴿صَدَقَكُمُ﴾، و(حسَّ): يطلقُ بمعنى: عَلم، ووجد، وطَلب، وقتلَ وهو المرادُ هنا.

قوله: (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾) ﴿حَتَّىٰٓ﴾: ابتدائية بمعنى أنَّ ما بعدها مستأنف، ويصحُّ أن تكون غائيةً بمعنى إلى، والمعنى: ولقد استمرَّ معكم النصرُ إلى أن فَشلتم وتنازعتم وعصيتم، فتخلَّفَ وعده ومنعَكم النصر، و﴿إِذَا﴾ على الأول: ظرفٌ لما يستقبلُ من الزمان، و(عصيتم): معطوفٌ على ﴿فَشِلْتُمْ﴾، وجواب (إذا) محذوفٌ، قدَّره المفسِّرُ بقوله: (منعكم نَصره)، وقوله: (﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾) معطوفٌ على ذلك المحذوف، وقوله: (﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ...﴾) معترضٌ بين المعطوف والمعطوف عليه.

قوله: (جبنتم عن القتال) أي: بسبب الالتفات لِلغنيمة.

قوله: (فتركتم المركز) أي: الموضعَ الذي أقامكم فيه رسولُ الله، فإنه تقدَّمَ أنه قَسَّمَ الجيشَ

(١) كذا عن محمد بن كعب القرظي كما في «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٨٣).

مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ....

﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ اللهُ ﴿مَّا تُحِبُّونَۚ﴾ مِن النَّصر، ـ وجَوابُ ﴿إِذَا﴾ دَلَّ عليهِ ما قبلَه ـ أي: مَنَعَكُم نَصرَه، ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ فترَكَ المَركَز لِلغَنيمة، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ فثَبَتَ بِه حتَّى قُتِلَ، كعَبدِ الله بن جُبَير وأصحابه، ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ﴾ ـ عَطفٌ على جَواب ﴿إِذَا﴾ المُقدَّر ـ: رَدَّكُم لِلهَزِيمةِ ﴿عَنۡهُمۡ﴾ أي: الكُفَّار؛ ﴿لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾: لِيَمتَحِنَكُم فيَظهَر المُخلِص مِن غيرِه، ﴿وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ﴾ ما ارتكَبتُمُوه، ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بِالعَفوِ.

﴿١٥٣﴾ اذكُرُوا ....

حاشية الصاوي

خمسة أقسام: ساقة، ومقدَّم، وجناحان، وقلب[1]، وأمرهم بالثبات؛ سواء حصلَ النصر أو الهزيمة، فظهرت لهم أماراتُ النصر أوَّلاً، فبعضُهم تركَ مَركزه وذهبَ للغنيمة، والبعضُ ثبت.

قوله: (﴿مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾) تنازعَهُ كلٌّ من (فَشلتُم) و(تَنازعتُم) و(عَصَيتُم)، فأُعملَ الأخيرُ وأُضمرَ في الأولين وحذف.

قوله: (﴿مَّا تُحِبُّونَۚ﴾) مفعول ثانٍ لـ(أرى)، والكاف: مفعول أول.

قوله: (من النصر) أي: أوَّلاً، فلما وقعَ الاختلافُ.. تغيَّرَ الحال.

قوله: (دلَّ عليه ما قبله) أي وهو قوله: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾.

قوله: (كعبد الله بن جبير) أي: وكان أميراً على الرُّماة.

قوله: (﴿وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ﴾) أي: عن المؤمن منكم بعد تَوبته.

قوله: (اذكروا) قدَّرَهُ إشارةً إلى أن ﴿إِذۡ﴾ ظرفٌ لمحذوف، ويصحُّ أنه ظرفٌ لقوله: (عصيتم)، التقدير: عصيتم وقتَ بُعدكم... إلخ.

---

(١) انظر (١/ ٥٧٥).

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ....

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تُبْعِدُونَ في الأرضِ هارِبِينَ، ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾: تُعرِّجُون ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: مِن ورائِكم يقُول: «إليَّ عِبادَ الله، إليَّ عِبادَ الله!»، ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: فجازَاكُم ﴿غَمًّۢا﴾ بِالهَزِيمة ﴿بِغَمٍّ﴾: بِسَببِ غَمِّكُم لِلرَّسُولِ بِالمُخالَفةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾) فعله رباعي بمعنى: تُبعدون، وقُرِئَ: (تَصعَدون) من الثلاثي؛ بمعنى: تذهبون متفرِّقين في البَرية[١].

قوله: (﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾) الجمهورُ على أنها بواوين، وقُرِئَ شذوذاً بإبدال الواو الأولى همزة، وأصلها: تَلْوِيون بواوين بينهما ياء هي لام الكلمة، فأُعلَّ بحذفها، وقرأ الحسن شاذًّا بواو واحدة[٢].

قوله: (تعرجون) أي: لا تُقيمون مع أحد، بل كلُّ واحد ذاهبٌ على حِدة.

قوله: (﴿يَدْعُوكُمْ﴾) أي: يناديكم ولم يبقَ معه إلا اثنا عشر، وقيل: ثمانيةَ عشرَ رجلاً، وقيل: لم يبقَ معه إلا طلحةُ عن يساره وجبريلُ عن يمينه، وجُمعَ بين الأقوال: بأنَّ ذلك بحسَب اختلاف الأوقات حين احتاطَت به الكفار[٣].

قوله: (أي: من ورائكم) أشارَ بذلك إلى أن (أخرى) بمعنى: آخر، وفي بمعنى: مِن، ويصحُّ أن يبقى الكلام على ما هو عليه، ويكون المعنى: والرسول يَدعوكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى[٤].

قوله: (يقول: إليَّ عبادَ الله) تمامه: «أنا رسولُ الله، مَن يكرُّ فلَه الجنة»[٥].

قوله: (فجازاكم) أشارَ بذلك إلى أن المرادَ بالثواب: مطلقُ المجازاة، وإلا.. فالثوابُ هو ما يكون في نظير الأعمال الصالحة، وإنما سمَّاه ثواباً؛ لأنَّ عاقبتَهُ محمودة.

---

(١) الجمهور على أنه من الرباعي، وقرأ الحسن والسلمي شاذًّا من الثلاثي. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٣٨).

(٢) «الدر المصون» (٣/ ٤٤٠).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (١/ ٥١٤).

(٤) الساقة: قطعة من الجيش كما سبق بيانه قريباً.

(٥) «تفسير البغوي» (١/ ٥٢٣).

﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ....﴾

وقِيل: الباء بِمعنى (على) أي: مُضاعَفاً على غَمِّ فَوتِ الغَنِيمة، ﴿لِكَيْلَا﴾ ـ مُتعلِّق بـ﴿عَفَا﴾، أو بـ(أثابَكُم) فـ(لا) زائِدة، ﴿تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مِن الغَنِيمة، ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ مِن القَتلِ والهَزيمةِ، ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٥٤﴾ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾: أمناً ﴿نُّعَاسًا﴾ ـ بَدَلٌ ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مضاعفاً) أي: زائداً.

قوله: (متعلق بـ﴿عَفَا﴾) أي: وتكون (لا) أصلية، والمعنى: عفا عنكم ليذهبَ عنكم الحزن.

قوله: (أو بـ«أثابكم») أي: فيكون المعنى: أثابكم غمًّا بغمٍّ لأجل حزنكم على فَوات الغنيمة وعلى قتل أصحابكم، فقوله: (فـ«لا» زائدة) أي: على هذا الثاني فقط.

قوله: (﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾) أي: فيَعلم المخلصَ من غيره، فإنَّ منهم مَنْ لزمَ رسول الله ولم ينتقِلْ من موضعه أبداً، وهو طلحةُ بن عبد الله، ومنهم مَنْ ثبتَ لولا غلبةُ الكفار؛ كبقية الاثني عشر أو الثمانية عشر، ومنهم من فرَّ خوفاً من القتل، ومنهم من فرَّ ابتداءً لإظهار هزيمة المؤمنين، وهؤلاء مُنافقون وقد ظهروا في تلك الغزوة وافتُضحوا، وأما المؤمنون فقد تمَّ لهم النصرُ وعفا الله عن مسيئهم.

قوله: (﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾) ﴿ثُمَّ﴾: للترتيب؛ بدليل تصريحه بالبَعدية بعد ذلك بقوله: ﴿مِّن بَعْدِ الْغَمِّ﴾.

قوله: (أمناً) أشارَ بذلك إلى أن الأَمنة والأمن بمعنًى واحد، وهو الطُّمَأنينة، زال سببُ الخوف أو لا، وقيل: إن الأمنَ: هو الطُّمأنينة مع زوال سبب الخوف، والأَمنة: الطُّمأنينة مع وجود أسبابه.

قوله: (بدل) أي: بدلُ كلٍّ من كل، وهو ظاهرٌ؛ لأنَّ الأمنة هي النعاسُ بعينها، وقيل: بدلُ اشتمال؛ لأن الأَمنة لها اشتمال بالنعاس، وهو له اشتمالٌ بها؛ لأنه لا يحصلُ النعاس إلا لِلآمن.

يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ

﴿يَغْشَىٰ﴾ - بالياءِ والتَّاء - ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْۖ﴾ وهُم المُؤمِنُون، فكانُوا يَميدُونَ تحتَ الحَجَفِ وتَسقُطُ السُّيُوفُ مِنهُم، ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: حمَلَتهُم على الهَمِّ فلا رَغبةَ لَهُم إلَّا نَجاتُها دُون النَّبِيِّ وأصحابِه، فلَم يَنامُوا، وهُم المُنافِقونَ. ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ظَنًّا ﴿غَيْرَ﴾ الظَّنِّ ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي: كظَنِّ ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حيثُ اعتَقَدُوا أنَّ النَّبِيَّ قُتِلَ أو لا يُنصَرُ،

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فعلى الياء الضميرُ عائدٌ على النعاس، وعلى التاء الضمير عائدٌ على الأمَنة[١].

قوله: (يميدون) أي: يَميلون، وقوله: (تحت الحَجَف) بفتحتين وتقديم الحاء، جمعُ حَجَفة - ك: قصبة وقصَب - اسمٌ للترس والدَّرقة كما في «المصباح»[٢].

قوله: (وتسقط السيوف منهم) أي: المرة بعد المرة، وكلَّما سَقطت أخذوها.

قوله: (﴿وَطَآئِفَةٌ﴾) أي: من غيركم، وهم المنافقون.

قوله: (﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾) (أهمَّ): فعل ماض، والتاء: علامة التأنيث، و﴿أَنفُسُهُمْ﴾: فاعل، والمعنى: أنهم يَحرصون على نجاة أنفسهم من الموت، لا تشييدِ الدين.

قوله: (ظنًّا ﴿غَيْرَ﴾ الظنِّ ﴿ٱلْحَقِّ﴾) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ صفةٌ لموصوف محذوف مَفعول لـ﴿يَظُنُّونَ﴾، وقوله: ﴿ٱلْحَقِّ﴾ صفة لمصدر محذوف مضاف لـ﴿غَيْرَ﴾، وقوله: ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ صفة ثانية، وهو مَنصوب بنزع الخافض، والمعنى: أن هذه الطائفة حملتهم أنفسهم على الهزيمة لِنجاتها، ومن أوصافهم أنهم يَظنون في ربهم ظنًّا باطلاً مثلَ ظنِّ الجاهلية؛ بمعنى: أهل الجهل والكفر؛ حيث ظَنوا أن النبيَّ قُتلَ وأن دينَهُ قد بَطل، قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، فحسنُ الظنِّ بالله من علامات الإيمان، قال تعالى في الحديث القدسي: **«أنا عندَ ظنِّ عبدي بي، فليَظنَّ بي ما شاء»**[٣]، وبالجملة: فمن أرادَ أن يَعلمَ عاقبة أمره.. فلينظُرْ إلى ظنِّهِ بربِّه.

---

(١) الجمهور قرؤوا بالياء، وحمزة والكسائي بالتاء. انظر «الفتوحات الإلهية» (١/ ٣٢٦).

(٢) «المصباح المنير» (ج ح ف)، وقال: (الجحفة: الترس الصغير).

(٣) بهذا اللفظ رواه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩١)، وأصله في «الصحيحين».

يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ ....

﴿يَقُولُونَ هَل﴾: ما ﴿لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: النَّصرِ الَّذي وُعِدناهُ ﴿مِن﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿شَيْءٍ قُلْ﴾ لَهُم: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ ـ بِالنَّصبِ تَوكِيداً، والرَّفعِ مُبتَدأً خَبَرُه: ـ ﴿لِلَّهِ﴾ أي: القَضاءُ له يَفعَلُ ما يَشاءُ، ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ﴾: يُظهِرُونَ ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾ ـ بَيانٌ لِما قَبله ـ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي: لو كان الاختِيارُ إلَينا لَم نَخرُجْ فلَم نُقتَلْ، لَكِن أُخرِجنا كَرهاً، ﴿قُل﴾ لَهُم: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وفِيكُم مَن كَتبَ الله عليهِ القَتلَ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿يَقُولُونَ﴾) أي: اعتراضاً على رسول الله، وتكذيباً له.

قوله: (﴿هَل لَّنَا﴾) استفهامٌ إنكاريٌّ بمعنى النفي؛ أي: ما ثبتَ لنا من النصر شيءٌ، فـ﴿لَّنَا﴾: خبرٌ مقدَّم، و﴿شَيْءٍ﴾: مبتدأ مؤخَّر، و﴿مِن﴾: زائدة فيه، و﴿مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾: حالٌ من ﴿شَيْءٍ﴾.

قوله: (بالنصب توكيد) أي: للأمر، وخبرُ ﴿إِنَّ﴾ قوله: ﴿لِلَّهِ﴾.

قوله: (أو بالرفع مبتدأ. . . إلخ) أي: والجملةُ خبرُ ﴿إِنَّ﴾، والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: القضاء له) تفسيرٌ للأمر، والمعنى: أن النصرَ بِيَد الله، واللهُ هو الفاعل المختار، وليس النصرُ بكثرة العَدَد والعُدَد، وقوله: (بيان لما قبله) أي: استئنافٌ بيانيٌّ واقع في جواب سؤال مقدَّر، كأنه قيل: ما الذي يُخفونه؟

قوله: (﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾) أي: الاختيار والرأي.

قوله: (لكن أخرجنا كرهاً) أي: فحصلَ القتلُ فينا.

قوله: (﴿قُل﴾ لهم) أي: ردًّا لمقالتهم واعتقادهم دفعَ قضاءِ الله المبرم.

قوله: (﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾) أي: لو لم تخرجوا إلى أُحُد ومَكثتم في بيوتكم، وقوله: (لبرز) جواب ﴿لَوْ﴾، والمعنى: لخرجَ من قُضي عليه بالموت إلى المحلِّ الذي مات به لسبب من الأسباب ونفذَ حكمُ الله فيه.

ممَّا اتفقَ: أن سليمانَ بن داوود عليهما السلام كان جالساً وإذا بملَك الموت أقبلَ عليه ونظرَ

(١) وبالرفع قرأ أبو عمرو، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٤٩).

لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ....

﴿لَبَرَزَ﴾: خَرجَ ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾: قُضِيَ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ مِنكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْۖ﴾: مَصارِعِهم، فيُقتَلُوا ولَم يُنجِهِم قُعُودُهم؛ لِأنَّ قَضاءَهُ تَعالى كائِنٌ لا مَحالةَ، ﴿وَ﴾ فعَلَ ما فَعَلَ بأُحُدٍ ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾: يَختَبِرَ ﴿ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: قُلُوبِكُم مِن الإخلاصِ والنِّفاقِ، ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يُمَيِّزَ ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بِما في القُلُوب لا يَخفَى عليهِ شيءٌ، وإنَّما يَبتَلِي لِيُظهِرَ لِلنَّاس.

﴿١٥٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ﴾ عن القِتالِ ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: جَمعُ المُسلِمِين وجَمعُ الكُفَّار بِأُحُدٍ، وهُم المُسلِمُون إلَّا اثني عَشَرَ رَجُلاً، ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: أزَلَّهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾

حاشية الصاوي

إلى رجل في مجلسه، فارتَعدت فرائصُ الرجل، فلمَّا ذهبَ ملكُ الموت قال الرجلُ: يا نبيَّ الله؛ إني خِفت من نظرة هذا الرجل، فقال: هو ملكُ الموت، قال الرجلُ: مُرِ الرياحَ لتذهَبْ بي إلى أقصى البلاد، ففعلَ، فبعدَ لحظة وإذا بملك الموت قد أقبلَ على سليمان، فقال له: إنَّ الله أمرني أن أقبضَ روحَ ذلك الرجل بتِلك الأرض، فلمَّا وجدته في مجلسك تحيَّرتُ، فكان منه ما كان، فهو قد خرجَ هارباً، وفي الواقع خرجَ لِمَصرعه[1].

قوله: (﴿وَ﴾فعل ما فعل) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ علةٌ لمحذوف، والواو عاطفة لذلك المحذوف على (أنزل).

قوله: (﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾) عطفٌ على ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ من عطف السبب على المسبَّب.

قوله: (ليظهر للناس) أي: المؤمن الخالِص من غيره.

قوله: (إلا اثني عشر) منهم أبو بكر وعليٌّ وطلحةُ وسعدُ بن أبي وقاص وعبدُ الرحمن بن عوف، وتقدَّم في رواية: أن من بقي ثمانيةَ عشرَ، وقيل: لم يبقَ إلا طلحة، وتقدَّم الجمعُ بين هذه الروايات.

---

(١) القصة رواها ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٦٨)، وأحمد في «الزهد» (ص٣٧).

بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى ....

بِوَسوَسَتِه ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ مِن الذُّنُوب، وهو مُخالَفة أمرِ النَّبِيِّ، ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِلمُؤمِنِين، ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يَعجَلُ على العُصاةِ.

﴿١٥٦﴾ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: الـمُـنـافِـقِـيـن، ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي: في شَأنِهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾: سافَرُوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فماتُوا، ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾: جَمع (غازٍ)

حاشية الصاوي

قوله: (وهو مخالفة أمر النبي) أي: حيث قسَّمَهم خمسة أقسام، وأقامَ كلًّا في مركزه، وقال لهم: «**لا تَبرحوا عن مكانكم غُلبنا أو نُصرنا**»[1]، فبعضُهم تفرَّقَ للغنيمة، والبعضُ فرَّقَهُ الأعداء.

قوله: (﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾) أي: عن الجماعة الذين تفرَّقوا للغنيمة وعصَوا أمرَ النبي.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾) هذه الجملة تأكيدٌ وعلَّةٌ لما قبلها؛ أي: إنما عفا عنهم لأنه كثيرُ المغفرة للذنوب، وواسعُ الحِلم، فلا يعجلُ بالعقوبة على العاصي؛ لأنَّ الكلَّ في قَبضته، ولا يعجلُ بالعقوبة إلا مَنْ يخافُ الفوات.

قوله: (﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾) يعني: لا تُشبهوهم في قولهم في شأن من مات أو قتل: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا، فهم يعتقدون أن الفرارَ نافعٌ من قضاء الله.

قوله: (﴿لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾) أي: في النَّسب أو الكفر والضلال، والمعنى: لا تكونوا مثلَهم في كفرهم، ولا في قولهم لإخوانهم... إلخ.

قوله: (﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾) ﴿إِذَا﴾: هنا لمجرد الزمان، وأتى بـ(إذا) إشارةً إلى أن هذا الأمرَ محقَّقٌ منهم.

قوله: (سافروا) أي: مطلقاً، لغزوٍ أو لا.

قوله: (فماتوا) أخذَه من قوله الآتي: ﴿مَا مَاتُوا۟﴾.

قوله: (﴿غُزًّى﴾) خبرُ (كان) منصوبٌ بفتحة مقدرة على الألف المنقلبةِ عن الواو.

---

(١) بنحوه رواه البخاري (٤٠٤٣) من حديث البراء رضي الله عنه.

لَوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ....

فقُتِلُوا: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ أي: لا تَقُولُوا كقَولِهِم؛ ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القَولَ في عاقِبةِ أمرِهِم ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا يَمنَعُ عن المَوت قُعُودٌ، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ـ بِالتَّاءِ والياءِ ـ ﴿بَصِيرٌ﴾ فيُجازِيكُم بِه.

﴿١٥٧﴾ ﴿وَلَئِن﴾ ـ لامُ قَسَم ـ ﴿قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجِهادِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (جمع غازٍ) أي: على غير قياس، وقياس المعتل: غُزاة كـ(قُضاة).

قوله: (فقتلوا) أخذَهُ من قوله: ﴿وَمَا قُتِلُوا۟﴾.

قوله: (﴿مَا مَاتُوا۟﴾) راجعٌ لقوله: ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وقوله: (﴿وَمَا قُتِلُوا۟﴾) راجعٌ لقوله: ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾.

قوله: (أي: لا تقولوا كقولهم) أي: فإنه شائبةٌ من الكفر والضلال، واعتقادُهُ كفر.

قوله: (﴿لِيَجْعَلَ﴾) اللامُ: للعاقبة والصيرورة؛ كهي في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، والمعنى: أنَّ الكفار قَصدوا بهذا الكلام اللومَ على مَنْ خرجَ، ومنعَ من يريدُ الخروج، فكان عاقبةُ ذلك كونَهُ يُجعلُ حسرةً في قلوبهم.

قوله: (فلا يمنعُ عن الموت قعود) أي: عن الغَزو والسفر، ولا يجلبُ الغزوُ والسفرُ موتاً، بل لكلِّ أجل كتاب، فإذا جاءَ أجلُهم لا يَستأخرون ساعةً، ولا يستقدمون.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سَبعيَّتان، فعلى الياء يكون وعيداً للكفَّار، وعلى التاء يكون تحذيراً للمؤمنين[١].

قوله: (فيجازيكم به) أي: إن خيراً فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قوله: (لام قسم) أي: مُوطئة له، تقديرُهُ: والله لئن قُتلتم[٢].

---

(١) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالتاء. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٥٨).

(٢) أي: المؤذنة بالقسم، وهي الداخلة على أداة شرط، وأكثر ما تدخل كما قال المصنف على (إن) الشرطية. انظر «مغني اللبيب» (ص٣١٠).

أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ ....

﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ - بِضَمِّ المِيم وكَسرها مِن (ماتَ يَمُوتُ، ويَماتُ) - أي: أتاكُم المَوتُ فِيه، ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائِنَةٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لِذُنُوبِكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ مِنهُ لَكم على ذَلِك، - واللَّام ومَدخُولُها جَوابُ القَسَم، وهو في مَوضِع الفِعل مُبتَدأٌ خَبرُه: - ﴿خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ﴾ مِن الدُّنيا، - بِالتَّاءِ والياء -.

حاشية الصاوي

قوله: (بضم الميم وكسرها) قراءتان سبعيَّتان[1]، وقوله: (مِنْ: مات يموت) راجعٌ للضم، ووزنُهُ: قال يَقول، وأصله: يَمْوُت بسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

قوله: (ويمات) راجعٌ لقوله: (وكسرها) فيكون من باب: خاف يَخاف، وأصله: يَمْوَت بسكون الميم وفتح الواو، نُقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلَها، ثم تحركت الواو وانفتحَ ما قبلها قُلبت ألفاً.

قوله: (أي: أتاكم الموت فيه) أي: في السفر.

قوله: (﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾) أي: تَأتيه، وقوله: (﴿وَرَحْمَةٌ﴾) أي: إحسان، فالموتُ خيرٌ من الحياة إن كان في سفرٍ غير معصية أو جهادٍ؛ فإنه شهادة على كل حال.

قوله: (جواب القسم) أي: وجوابُ الشرط محذوفٌ دلَّ عليه جوابُ القسم؛ لقول ابن مالك:

[الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِماعِ شَرْطٍ وقَسَمْ جَوابَ ما أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ[2]

قوله: (وهو في موضع الفعل) أي: فتقديرُهُ: لَغفرت لكم ورحمتكم، وظاهرُهُ: أن جوابَ القسم لا بدَّ وأن يكونَ جملة فعلية، وليس كذلك، بل يكون جملة اسمية، وقدَّمَ القتلَ هنا على الموت؛ لأنه أهمُّ وأشرَف، وقدَّمَ الموتَ أوَّلاً؛ لمراعاة الترتيب، وآخراً؛ لأنه أعمُّ من القتل.

قوله: (﴿مِّمَّا تَجْمَعُونَ﴾) يحتملُ أن (ما) مصدرية، والمعنى: خيرٌ من جمعكم للدنيا، أو مَوصولة والعائدُ محذوف، تقديرُهُ: خيرٌ من الذي تَجمعونه من الدنيا.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[3].

---

(١) قرأ نافع وحمزة بكسر الميم، والباقون بضمِّها. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٥٩).

(٢) «الخلاصة» (باب عوامل الجزم).

(٣) قرأ حفص بياء الغيبة، والباقون بتاء الخطاب. انظر «السراج المنير» (١/ ٢٥٩).

وَلَبِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ ....

﴿١٥٨﴾ ﴿وَلَبِن﴾ - لامُ قَسَم - ﴿مُّتُّمْ﴾ - بالوجهينِ - ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد أو غيرِه، ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيرِه ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة، فيُجازيكم.

﴿١٥٩﴾ ﴿فَبِمَا﴾ - (ما) زائدةٌ - ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمَّد ﴿لَهُمْ﴾ أي: سَهُلَت أخلاقُك إذ خالفُوكَ، ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيئَ الخُلُق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: جافِياً فأغلَظتَ لَهُم،

حاشية الصاوي

قوله: (بالوجهين) أي: السابقين من ضمِّ الميم وكسرها.

قوله: (﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾) قال بعضهم: إن الآية تشيرُ إلى مقامات العبودية الثلاثة:

الأول: من يعبدُ الله خوفاً من ناره، وإليه أشارَ بقوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾.

الثاني: من يعبدُ اللهَ شوقاً إلى جنَّته، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾.

الثالث: من يعبدُ اللهَ لِذاته لا طمعاً ولا خوفاً، وإليه الإشارةُ بقوله: ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾.

وفي الحقيقة: الثالثُ قد حازَ جميعَها لكن من غير قصدٍ منه؛ لأن مشاهدةَ الله لا تكون إلا في الجنة ولا بدَّ، ومن ذلك قولُ بعض العارفين: [الخفيف]

لَيْسَ قَصْدِي مِنَ الجِنانِ نَعِيماً غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُها لِأَراكا[1]

قوله: («ما»: زائدة) أي: للتوكيد، والمعنى: فبِسبب رحمة من الله كنت ليِّناً سهلَ الخلق، قال أنسُ بن مالك: (خدَمت رسولَ الله عشرَ سنين، فما لامني على شيء فعلتُه أو تركته)[2].

قوله: (﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) التنوين للتعظيم.

قوله: (﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾) أي: صعبَ القول والفعل، ومِن سهولته: قبولُهُ توبةَ وحشيٍّ قاتلِ عمِّه حمزة.

قوله: (سيئ الخلق) المناسبُ: أن يفسِّرَهُ بصعوبةِ القول والفعل.

قوله: (﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾) أي: قاسِيَهُ.

---

(١) البيت لعباس المجنون كما في «حلية الأولياء» لأبي نعيم في ترجمته ضِمن أبيات له.

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩) بنحوه.

﴿لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ ....﴾

﴿لَانفَضُّواْ﴾: تفرَّقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ﴾: تَجاوَزْ ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذَنْبَهم حتَّى أغفِرَ لَهُم، ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾: استَخرِجْ آراءَهُم ﴿فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ أي: شَأنِك مِن الحَرب وغيرِه تَطييباً لِقُلُوبِهم، ولِيُستَنَّ بك، وكان ﷺ كَثيرَ المُشاوَرةِ لَهم، ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاءِ ما تُرِيدُ بعدَ المُشاوَرة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ ثِقْ بِه لا بِالمُشاورةِ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ علَيه.

﴿١٦٠﴾ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾: يُعِنْكم على عَدُوِّكم كيَومِ بَدرٍ، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾) أي: ذهبوا إلى الكفَّار ولم يَبقَ منهم أحدٌ، وأما مَنْ قبلَهُ من الأنبياء.. فقد عامَلوا قومهم بالجلال؛ كنوح حين قال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وكهودٍ وكصالح؛ فنبيُّنا رحمةٌ لِلعالمين، ولولا رحمتُهُ بنا ما بقيَ منَّا أحدٌ، فكان شفيعاً عند ربِّه لنا في كلِّ بلاء عامٍّ طلبته الأنبياءُ لأُممهم.

قوله: (﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾) شروعٌ في ذكر تَرقيته لهم، فذكرَ أوَّلاً العفوَ عنهم، ثم الاستغفارَ لهم ليطهِّرهم ربُّهم من الذنوب، فإذا طُهِّروا وصاروا أصفياءَ خُلفاءَ.. شاورَهم في الأمر.

قوله: (تطييباً لقلوبهم) أي: تونيساً وجبراً لها؛ لئلا ينفرَ ضعفاءُ المؤمنين لو لم تَحصل المشاورةُ منه.

قوله: (وليستنَّ بك) أي: ليصيرَ سُنةً لمن يأتي بعدك، وليظهرَ صاحبُ الرأي السديد مِن غيره؛ ولذا قدَّموا بعد النبي أبا بكر؛ لأنَّه كان يشاورُهُ كثيراً، ثم عمرَ؛ لأنَّ القرآن كان ينزلُ على طبقِ ما يقول، واختُلف هل كانت المشاورةُ في أمر الدين أو الدنيا فقط؟ فقيل بالأول، ولكن لا يتبعُ إلا الوحي، وإنما المشاورةُ تطييباً لخاطرهم، وقيل بالثاني، وهو ظاهر.

قوله: (ثق به) أي: فلا يردُّكَ عنه أحد.

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾) أي: يُثيبُ المفوِّضين الأمورَ إليه.

قوله: (﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾) هذا خطابُ تشريفٍ للمؤمنين المجاهدين.

قوله: (يُعِنْكُم) أشارَ بذلك إلى أن النصرَ بمعنى: الإعانة، ويطلقُ بمعنى: المنع، قال تعالى:

فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ....

﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: يَترُكْ نصرَكم كيومِ أُحُد ﴿فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾ أي: بعد خِذلانِه؟ أي: لا ناصِرَ لَكم، ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا غيرِه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: لِيَثِقِ ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.

(١٦١) ونزَلَ لَمَّا فُقِدَت قَطِيفةٌ حَمراءُ يَومَ بدرٍ، فقال بعضُ النَّاس: (لعلَّ النَّبِيَّ أخذَها): ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما يَنبغِي ﴿لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾: يَخُونَ في الغَنِيمة، ....

حاشية الصاوي

﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ [هود: ٦٣]، وبمعنى: الانتقام، قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].

قوله: (﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾) أي: ولو اجتمعت عليكم أهلُ الأرض جميعاً.

قوله: (أي: بعد خذلانه) أشارَ بذلك إلى أن الكلامَ على حذف مضاف، والضميرُ عائدٌ على الله.

قوله: (أي: فلا ناصر لكم) أشارَ بذلك إلى أن الاستفهامَ إنكاريٌّ بمعنى النفي، ولم يقُل: (فلا ناصرَ لكم)[١]؛ إشارةً لعدم تقنيطهم من النصر تلطُّفاً بهم؛ أي: فارجعوا إليه يَنصركم، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

قوله: (﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾) أي: المصدِّقون بأن النصرَ والخذلان من عند الله، والمعنى: فإذا عَلمتم أيُّها المؤمنون أنَّ مَنْ نصرَهُ اللهُ فلا يغلبه أحدٌ، ومن خذلَهُ لا ناصرَ له سِواه.. فثِقوا به واعتمدوا عليه.

قوله: (لما فُقدت قطيفة) أي: من الغنيمة[٢].

قوله: (فقال بعض الناس) أي: من المنافقين.

قوله: (ينبغي) أي: يمكن، والمعنى: لا يتأتى ذلك؛ لأنَّ الأنبياءَ معصومون من الذنوب كبيرِها

---

(١) بل أتى به في صورة الاستفهام وإن كان معناه نفياً، فقال: ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم﴾. «فتوحات» (١/ ٣٥١).

(٢) الخبر رواه أبو داوود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩) عن ابن عباس ﷺ.

وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ ....

فلا تَظُنُّوا بِهِ ذلك، ـ وفي قِراءة بِالبِناء لِلمفعُولِ ـ أي: يُنسَبَ إلى الغُلُولِ، ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حامِلاً لَه على عُنُقِه، ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغالُّ وغَيره جَزاءَ .....

حاشية الصاوي

وصغيرها، وأما قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٧٧] حكايةً عن سيدنا يوسف.. فقال بعضُ المفسِّرين: إن يوسفَ وهو صغيرٌ وَجدَ صنماً عند جدِّه لأُمه، فأخذه خفيةً وكسرَهُ ووضعَهُ في محلِّ القذر(١).

قوله: (فلا تظنُّوا به ذلك) أي: لأنها خِيانة، وهي محرَّمةٌ، والنبيُّ معصومٌ من ذلك، فمَن جوَّزَ المعصيةَ على النبي.. فقد كفرَ؛ لمنافاتِهِ لِلعِصمة الواجبة.

قوله: (﴿وَمَن يَغْلُلْ﴾) كلامٌ مستأنف قُصدَ به التحذيرُ لغير المعصومِين.

قوله: (حاملاً له على عنقه) أي: والناسُ ناظرون له فضيحةً له، روى الشيخان عن أبي هريرة قال: قامَ فينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم، فذكر الغلولَ فعظَّمَهُ وعظَّمَ أمره، حتى قال: **«لا ألقينَّ أحدَكُمْ يجيءُ يومَ القيامة على رَقبته بعيرٌ له رغاءٌ يقول: يا رسولَ الله؛ أغِثني، فأقولُ: لا أملكُ لك من الله شيئاً قد أبلغتُكَ، لا ألقينَّ أحدكم يَجيء يومَ القيامة على رقبته فرسٌ له حَمحمةٌ، فيقول: يا رسولَ الله؛ أغِثني، فأقولُ: لا أملكُ لك من الله شيئاً قد أبلغتُك، لا ألقينَّ أحدكم يجيء يومَ القيامة وعلى رقبته نفسٌ لها صياحٌ فيَقول: يا رسولَ الله؛ أغِثني، فأقولُ: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتُك، لا ألقينَّ أحدكم يجيء يومَ القيامة على رقبته رقاعٌ تخفقُ فيقولُ: يا رسولَ الله؛ أغِثني، فأقولُ: لا أملكُ لك من الله شيئاً قد أبلغتُك، لا ألقينَّ أحدكم يجيء يومَ القيامة على رَقبته صامتٌ فيقولُ: يا رسولَ الله؛ أغِثني، فأقولُ: لا أملكُ لك من الله شيئاً»**(٢)، والرغاءُ: صوت البعير، والثُّغاءُ: صوت الشاة، والرقاعُ: الثياب، والصامتُ: الذهب والفِضة، والحَمحمةُ: صوتُ الفرس، وقوله: (لا ألقينَّ) نفيٌ معناه النهي؛ أي: لا يغلَّ أحدُكم حتى ألقاه هكذا.

---

(١) انظر «تفسير الخازن» (٢/٥٤٦).

(٢) رواه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١) واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والرواية هنا بالقاف في (ألقين)، وثَمَّ أيضاً رواية بالفاء: (أُلْفِين) كما في شروح الحديث.

مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ....

﴿مَا كَسَبَتْ﴾: عمِلَت، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

﴿١٦٢﴾ ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ فأطاعَ ولَم يَغُلَّ ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾: رَجَعَ ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لِمَعصِيَتِه وغُلُولِه، ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: المَرجِعُ هي؟ لا.

﴿١٦٣﴾ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾ أي: أصحابُ دَرَجاتٍ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: مُختلِفُو المَنازِل؛ فلِمَن اتَّبَعَ رِضوانَه الثَّوابُ، ولِمَن باءَ بِسَخَطِه العِقابُ، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيُجازِيهم بِه.

﴿١٦٤﴾ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: عَرَبِيًّا مِثلَهم لِيَفهَمُوا عنهُ ويَشرُفُوا بِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿أَفَمَنِ﴾) الهمزةُ مقدَّمةٌ من تأخير؛ لأنَّ الاستفهامَ له الصَّدارة.

قوله: (ولم يغل) أي: لم يسرِقْ ولم يخُن.

قوله: (﴿بِسَخَطٍ﴾) مصدر قياسي لـ(سَخِطَ) بكسر الخاء، وله مصدرٌ سماعي وهو (سُخْط) بضمِّ السين وسكون الخاء.

قوله: (هي) هذا هو المخصوصُ بالذمِّ، وقوله: (لا) جوابُ الاستفهام.

قوله: (﴿هُمْ دَرَجَاتٌ﴾) أي: رُتَبٌ، فمنهم المقبولُ فلَه الدرجات العُلا، ومنهم المردود فلَهُ الدركات السفلى، وفيه تغليبُ الدرجات على الدركات؛ لِشَرفها.

قوله: (﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾) هذا ترقٍّ في تعظيمه ﷺ، فنزَّهَهُ أوَّلاً عن الغلول، ثم بيَّنَ أن وجودَهُ بينهم نعمةٌ عظيمة أنعمَ بها عليهم، وفي الحقيقة: هو نعمةٌ حتى على الكفَّار، وإنما خَصَّ المؤمنين؛ لأنهم هُم المنتفعون بها وتَدوم عليهم، وأما الكفَّارُ وإن أمنوا به من الخَسف والمسخ وكلِّ بلاءٍ عامٍّ ورُزقوا به إلا أن عاقبتَها الخلودُ في دار البوار، ويتبرَّأُ منهم ولا يشفعُ لهم في النجاة من العذاب.

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلامِ إِنَّ لَنَا ... مِنَ العِنَايَةِ رُكْناً غَيْرَ مُنْهَدِمِ[1]

(١) بيت من «بُردة» الإمام البوصيري.

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ....

لا مَلَكاً ولا عَجميًا، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القُرآنَ، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطهِّرهُم مِن الذُّنُوب، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القُرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: السُّنَّةَ، ﴿وَإِن﴾ ـ مُخَفَّفة ـ أي: إنَّهُم ﴿كَانُواْ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَ بَعثِه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن.

﴿١٦٥﴾ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بِأُحُدٍ بِقَتلِ سَبعِين مِنكُم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ بِبَدرٍ بِقَتلِ سَبعِين ....

حاشية الصاوي

قوله: (لا ملكاً) أي: لعدم طاقةِ البشر له، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

قوله: (ولا عجميًا) أي: لعدم فَهمِهم عنه ما أُرسلَ به، ومن نعمِ الله أيضاً كونُ القرآن عربيًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ...﴾ [فصلت: ٤٤] الآية.

قوله: (﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾) أي: بنَفسه، أو بواسطةٍ كالعلماء.

قوله: (السُّنَّة) العلم النافع.

قوله: (مخففة) أي: من الثقيلة لا عملَ لها؛ أي: لِقول ابن مالك: [الرجز]

وَخُفِّفَتْ (إنَّ) فَقَلَّ العَمَلُ ... وَتَلْزَمُ اللَّامُ إذا ما تُهْمَلُ[1]

قوله: (﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾) أي: كفرٍ واضح ظاهر، قال العارف البرعي: [الوافر]

أَتَى وَالجاهِلِيَّةُ فِي ضَلالٍ ... وَكُفْرٍ تَعْبُدُ الحَجَرَ الأَصَنَّا

وَتَأْكُلُ مِيتَةً وَدَماً وَتَسْطُو ... عَلَى مَوْءُودَةِ الأَطْفالِ دَفْنَا

فَجاءَ بِمِلَّةِ الإسْلامِ يَتْلُو ... مَثانِيَ فِي صَلاةِ الخَمْسِ تُثْنَى[2]

قوله: (﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم﴾) الهمزةُ داخلةٌ على قوله: ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾، والتقديرُ: أقُلتم أنَّى هذا حينَ أصابتكم... إلخ.

---

(١) «الخلاصة»: (باب إن وأخواتها).

(٢) انظر «ديوانه» (ص٢٤٤).

قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ ....

وأسرِ سَبعِين مِنهُم، ﴿قُلْتُمْ﴾ مُتعَجِّبين: ﴿أَنَّىٰ﴾: مِن أينَ لنا ﴿هَٰذَا﴾ الخِذلانُ ونَحن مُسلِمُون ورَسُولُ الله فِينا؟ ـ والجُملةُ الأخِيرة مَحلُّ الاستِفهام الإنكارِيِّ ـ ﴿قُلْ﴾ لَهُم: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لِأنَّكم تَركتُم المَركَزَ فخُذِلتُم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومِنهُ النَّصر ومَنعُه، وقد جازاكُم بِخِلافِكم.

﴿١٦٦﴾ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ بِأُحدٍ ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بِإرادتِه، ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ اللهُ عِلمَ ظُهُور ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا.

﴿١٦٧﴾ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَ﴾ الذينَ ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لَمَّا انصَرَفُوا عن القِتال ـ وهُم عبدُ الله بنُ أُبَيٍّ وأصحابُه ـ: ﴿تَعَالَوْا قَٰتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءَهُ، ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا﴾ عنَّا القَوم بِتَكثِيرِ سَوادِكم إن لَم تُقاتِلُوا، ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾: نُحسِنُ ﴿قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾، قال تَعالى

حاشية الصاوي

قوله: (وأسر سبعين) أي: لأن الفخرَ بالمأسور أعظمُ من المقتُول؛ لِدلالته على عظم الشجاعة، فلذلك قال: ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾، والمقصودُ من ذلك: تَسليةُ المؤمنين.

قوله: (والجملة الأخيرة) أي: وهي قوله: ﴿قُلْتُمْ﴾.

قوله: (محل الاستفهام الإنكاري) أي: فهو بمعنى النفي، والمعنى: لا تقولوا ذلك حينَ أصابَتكم مصيبةٌ؛ لأنه من عند أنفسكم، فسببُهُ ظاهرٌ، فلا يُتعجَّبُ منه.

قوله: (بخلافكم) أي: مُخالفتكم، والمعنى: جازاكم عليها.

قوله: (﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾) شروعٌ في بيان الحِكَمِ التي ترتَّبَتْ على هزيمة المؤمنين بأُحُد.

قوله: (علم ظهور) أي: بالنِّسبة للخلق.

قوله: (وأصحابه) أي: وكانوا ثلاثَ مئة.

قوله: (﴿تَعَالَوْا قَٰتِلُوا﴾) أي: إما في المقدَّم بالسيف، أو في المؤخَّر بالسهام.

قوله: (بتكثير سوادكم) أي: عَددكم وأشخاصكم.

هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ....

تكذيباً لَهُم: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ بما أظهَرُوا مِن خِذلانِهم لِلمُؤمِنِين، وكانُوا قبلُ أقرَبَ إلى الإيمانِ مِن حيثُ الظَّاهِرُ، ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾، ولَو عَلِمُوا قِتالاً لَم يَتَّبِعُوكم، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ مِن النِّفاق.

﴿١٦٨﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ - بَدَل مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبلَه أو نَعتٌ - ﴿قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في الدِّين ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُوا۟﴾ عن الجِهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شُهَداءُ أُحُدٍ أو إخوانُنا في القُعودِ ﴿مَا قُتِلُوا۟ قُلْ﴾ لَهُم: ﴿فَٱدْرَءُوا۟﴾: ادفعُوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنَّ القُعُود يُنجِي مِنه.

﴿١٦٩﴾ ونَزَلَ في الشُّهداءِ: ....

حاشية الصاوي

قوله: (بما أظهروا) أي: بسَببه؛ أي: فإظهارُهم الخذلان للمؤمنين سببٌ في كونهم أقربَ للكفر من الإيمان.

قوله: (بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبله) أي: وهو قوله: ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾.

قوله: (﴿وَقَعَدُوا۟﴾) الجملة حاليَّة؛ فلذا قدَّرَ المفسِّرُ (قد).

قوله: (﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾) ورد: أنه نزلَ بهم الموتُ وهم في دُورِهم، فمات منهم سبعون من غير قتال في يوم واحد[١].

قوله: (ونزل في الشهداء) قيل: شهداء بدر، وقيل: أُحُد، وقيل: شهداء بئر مَعونة وهم سبعون، أرسلَهم النبيُّ ﷺ لأهل نجد يعلِّمونهم القرآن، فقتَلوهم عن آخرهم، ولم ينجُ منهم إلا واحدٌ فرَّ هارباً وأخبرَ النبيَّ بذلك، والعبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعدُ الحسنُ لكلِّ مَنْ قُتِلَ في سبيل الله لإعلاء كَلمة الله، وسببُ ذلك: «أن الشهداءَ الذين قُتلوا لما رأوا ما رأَوا

(١) كذا في «الفتوحات الإلهية» (١/ ٣٣٤) نقلاً عن الشيخ الأجهوري.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ . . . .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ - بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد - ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لِأجلِ دِينِه ﴿أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ﴾ هُم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أرواحُهُم في حَواصِل طُيُور خُضْر تَسرَحُ في الجَنَّة حيثُ شاءَت كما ورَدَ في الحدِيث، ﴿يُرْزَقُونَ﴾: يَأكُلون مِن ثِمار الجنَّة.

حاشية الصاوي

من الحياة والرزق والنعيم الدائم.. قالوا: يا ربَّنا؛ ومَن يوصلُ خبرَنا لإخواننا الأحياء؟ فقال لهم الله: أنا أبلِّغُ خبركم لإخوانِكم، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ...﴾ الآية»[١].

قوله: (﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾) الخطابُ قيل: للنبي، وقيل: لكلِّ من يصلحُ للخطاب، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول أول، و﴿أَمْوَٰتًۢا﴾: مفعول ثانٍ، و﴿بَلْ﴾: للإضراب الانتقالي، و﴿أَحْيَآءٌ﴾: خبر لمحذوف قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (هم).

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[٢].

قوله: (﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾) أي: طاعته، والمعنى: لم يكن لهم قصدٌ إلا إعلاءَ دينه.

قوله: (﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾) ﴿بَلْ﴾: للعطف، وما بعدها خبر لمحذوف، والجملة معطوفةٌ على ما قبلها، وهذه الحياة ليست كحياة الدنيا، بل هي أعلى وأجلُّ منها؛ لأنهم يَسرَحون حيث شاءت أرواحُهم.

قوله: (﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾) خبرٌ ثانٍ، والمعنى: أنهم في كرامة ربِّهم وضِيافته، وقوله: (﴿يُرْزَقُونَ﴾) خبرٌ ثالث.

قوله: (كما ورد في الحديث) أي: وهو أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الله جعلَ أرواحَ الشهداءِ في أجوافِ طُيور خُضْرٍ، تردُ أنهارَ الجنة، تأكلُ من ثمارها، وتَأوي إلى قناديلَ معلَّقةٍ في ظلِّ العرش**»[٣]. انتهى.

وأما أجسادُهم فمحلُّها القبور، غيرَ أن الأرواحَ لها تعلُّقٌ بها؛ فلِذلك لا يحصلُ لأجسادهم بلاءٌ، فأرواحُهم لها جَولانٌ عظيم من البرزخ إلى أعلى السموات إلى داخل الجِنان، والطيورُ الخضر لها كالهوادج مع كونها متَّصلة بجسم صاحبِها، وما وصلَ للروح من النعيم يَحصلُ للجسم أيضاً،

---

(١) رواه أبو داوود (١٩٠)، وابن ماجه (٢٨٠٠).

(٢) قرأ ابن عامر بالتشديد: (قُتِّلوا) للتكثير، والباقون بالتخفيف ويحتمله. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٨١).

(٣) رواه مسلم (١٨٨٧).

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ....

﴿١٧٠﴾ ﴿فَرِحِينَ﴾ - حالٌ مِن ضميرِ ﴿يُرْزَقُونَ﴾ - ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَ﴾ هُم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يَفرحُون ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ مِن إخوانِهم المؤمِنينَ، - ويُبدَل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾: - ﴿أَن﴾ أي: بأنْ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الذين لَم يَلحَقُوا بِهم، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخِرة، المعنى: يَفرَحُون بِأَمنِهم وفَرَحِهم.

حاشية الصاوي

وذلك نظيرُ النائم؛ فإنَّ النائمَ يرى أن روحَهُ في المشرق أو في المغرب مع كونها مُتصلة بجسمِه، وكالأولياء الذين أعطاهم اللهُ التصريف؛ فإنَّ الواحدَ منهم يكون جالساً في مكان وروحُهُ تَسرحُ في أمكنة متعدِّدة، وربُّكَ على كلِّ شيء قدير[1]؛ ولِذَلك قال الله تعالى في آية البقرة: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

ومثلُ الشهداء الأنبياءُ، بل حياةُ الأنبياء أجلُّ وأعلى، وأما المؤمنون غيرُ الشهداء والأنبياء.. فأرواحُهم تسرحُ من القبر إلى باب الجنة، وتنظرُ ما أعدَّ لها من النعيم المقيم، لكن لا تدخلُ إلا يومَ القيامة، وذلك يُسمَّى عالمَ البرزخ، واتساعُهُ بالنسبة للدنيا كاتساعِ الدنيا بالنسبة لبَطن الأم.

قوله: (﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ﴾) متعلق بقوله: ﴿فَرِحِينَ﴾، والذي آتاهم الله من فضله هو حياتُهم ورزقُهم.

قوله: (﴿وَ﴾هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ خبرٌ لمحذوف، والجملة إما حاليةٌ من الضمير في ﴿فَرِحِينَ﴾، أو مستأنفةٌ.

قوله: (﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم﴾) أي: في الموت، والمعنى: أنهم يفرحون بما أعطاهم الله، ويفرحون بما أعدَّ لإخوانهم الذين لم يَموتوا الآن، سواء كانوا موجودين أو سيوجدون إلى يوم القيامة؛ لدخولهم الجنةَ واطِّلاعهم على منازل المؤمنين فيها.

قوله: (﴿مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾) حالٌ من الواو في ﴿يَلْحَقُوا۟﴾ أي: حالَ كون الذين لم يلحقوا بهم متخلِّفين عنهم.

قوله: (المعنى: يفرحون) أي: المتقدِّمون، وقوله: (بأمنهم) أي: المتأخِّرين.

---

(١) كما أعطى سيدنا ميكائيل هذه الرتبة، وقوله: (وروحه في أمكنة متعددة) يتمشَّى على ما اختاره الغزالي والفخر من وجود حادث غير متحيز، ومثَّلا له بالروح.

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ....

﴿١٧١﴾ ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾: ثوابٍ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: زيادةٍ عليه، ﴿وأن﴾ - بالفتحِ عَطفاً على (نِعمَة)، والكَسرِ استِئنافاً - ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بَل يَأجُرُهم.

﴿١٧٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ - مُبتدأٌ - ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دُعاءَهُ بِالخُروجِ لِلقتالِ لَمَّا أرادَ أبو سُفيانَ وأصحابُه العَوْدَ، وتَواعَدُوا مع النَّبيِّ ﷺ سُوق بَدرِ العامَ المُقبِلَ مِن يومِ أُحُد، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ بِأُحدٍ، - وخَبرُ المُبتدأ: - ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بِطاعَتِه ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ مُخالَفَته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجَنَّة.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾) أي: لهم ولإخوانهم.

قوله: (بالفتح عطفاً على «نعمة») أي: ويكون المعنى: يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأنَّ الله لا يضيع... إلخ، وقوله: (والكسر استئنافاً) أي: في معنى العلة لما قبله، والقراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾) نزلت في أهل أُحُد حين دعاهم للقتال ثانياً بعد حصولِ التفرقة، فخرجُوا وساروا خلفَ العدوِّ ثمانيةَ أميال، فوقعَ بينهم ما وقعَ في مكان يقال له: حمراءُ الأسد، فحصل التوافقُ بين أبي سفيان والنبيِّ أن يرفعوا القتال إلى العام القابل والموعدُ بدر الصغرى، فسافرَ أبو سفيان وأصحابه، ومكث النبيُّ بحمراء الأسد من يوم الأحد إلى يوم الجمعة.

إذا علمت ذلك فقولُ المفسر: (بالخروج للقتال لمَّا أرادَ أبو سفيان... إلخ) ليس بِسَديد؛ فإنَّ الآيةَ نزلت مَدحاً لمن أجابَ الرسول للقتال ثانياً في غزوة أحد يومَ الأحد بعد الواقعة التي كانت يومَ السبت، وتُسمَّى غزوةُ يومِ الأحد غزوةَ حمراء الأسد، وهي التي مدحَهم اللهُ بها وانجبر خلَلُهم بها[2].

قوله: (بأُحُد) المناسبُ أن يقول بعد ذلك: يومَ السبت واستجابوا له يومَ الأحد.

قوله: (﴿مِنْهُمْ﴾) (مِنْ): بَيانية؛ على حدِّ: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

---

(١) قرأ الكسائي بالكسر، وباقي السبعة بالفتح. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٨٧).

(٢) روى الخبر النسائي في «السنن الكبرى» (١١٠١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولكن فيه إشارة إلى أن المشركين هم من رَغبوا في العود إلى القتال، بل صرَّح بذلك البغوي في «تفسيره» (١/ ٥٣٩)، وهذا يؤيِّدُ ما ذهب إليه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى، والمدح ثابت للصحابة على كل حال.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ ....

﴿١٧٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ - بَدلٌ مِن ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبلَه أو نَعتٌ - ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي: نُعَيمُ بن مَسعُود الأشجَعِيُّ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾: أبا سُفيانَ وأصحابَه ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ الجُمُوعَ لِيَستأصِلُوكم، ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ ولا تَأتُوهم، ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القولُ ﴿إِيمَـٰنًا﴾: تَصدِيقاً بِالله ويَقِيناً، ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافِينا أمرَهُم، ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾: المُفَوَّض إليه الأمرُ هو.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾) شُروعٌ في غزوة بدر الثالثة، وتُسمَّى بدراً الصغرى، وكانت في السنة الرابعة في شعبان، وهو يومئذٍ موسمٌ عظيم لقبائل العرب كلَّ عام[1]، فخرجَ أبو سفيان حتى نزلَ مرَّ الظهران، فألقى اللهُ الرعبَ في قلبه، فلقيَ نعيمَ بن مَسعود الأشجعي، فقال أبو سفيان: يا نعيم؛ إني قد واعدت محمداً أن نَلتقي بموسم بدر، وهذا عام جدب، فأحبُّ أن يكونَ الخُلْفُ منه لا منِّي، فاذهب إلى المدينة فثبِّطْهم عن الخروج ولك عندي عشرةٌ من الإبل، فانطلقَ نعيم إلى المدينة، فوجدَ النبيَّ وأصحابه يتجهَّزون، فقال لهم: ما تُريدون؟ فقالوا: لِمِيعاد أبي سفيان، فقال لهم: لا تقدرون عليهم؛ فإنهم تجمَّعوا لكم فاخشوهم، فقال النبيُّ: «لأخرجنَّ إليهم ولو وَحدي»، فخرجَ النبيُّ في ألف وخمس مئة مقاتل حتى بلغوا بدراً، وكانت موضعَ سوق للعرب يَجتمعون فيها كلَّ عام ثمانية أيام، فصادفوا الموسمَ وباعوا ما كان معهم من التجارات، فربحُوا في الدرهم درهمين، ولم يأتهم أحدٌ من المشركين، فرجعوا بربحٍ وأجر عظيمَين، وأسلم كثيرٌ من أهل القبائل حينئذٍ[2].

قوله: (أي: نعيم بن مسعود) أي: فأطلقَ الكلَّ وأرادَ البعضَ، وقد أسلم بعد ذلك عامَ الخندق.

قوله: (ذلك القول) أشارَ بذلك إلى فاعل (زادَ) على حدِّ: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

قوله: (هو) أي: الله، وهو إشارةٌ للمخصوص بالمدح، وهذه الدعوةُ من أفضل الدعوات، وقد استعملها العارفون للمهمَّات، وجعلوا عدَّتها أربعَ مئة وخمسين، فمن فعلَها.. كفاهُ اللهُ ما أهمَّهُ.

---

(١) في (ط١): (وهو يومُ موسم عظيم...).

(٢) «تفسير البغوي» (١/٥٤١).

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ ....

﴿١٧٤﴾ وخرَجُوا مع النَّبيِّ ﷺ فوافَوا سُوقَ بَدرٍ، وألقى الله الرُّعبَ في قَلبِ أبي سُفيانَ وأصحابِه، فلَم يَأتُوا، وكان معَهم تِجاراتٌ فباعُوا ورَبِحُوا، قال الله تعالى: ﴿فَانقَلَبُوا﴾: رَجَعُوا مِن بَدرٍ ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: بِسَلامةٍ ورِبحٍ، ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ مِن قَتلٍ أو جَرحٍ، ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بِطاعتِه ورَسُولِه في الخُرُوج، ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهلِ طاعَتِه.

﴿١٧٥﴾ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي: القائِلُ لَكم: إنَّ النَّاس... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ﴾كُم ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾ الكُفارَ، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ في تَركِ أمرِي، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًّا.

﴿١٧٦﴾ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ ـ بِضَمِّ الياء وكَسر الزَّاي، وبِفَتحِها وضمِّ الزاي مِن (حَزَنَه) لغةٌ في (أَحزَنَه) ـ ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: يَقَعُونَ فِيه سَرِيعاً ....

حاشية الصاوي

قوله: (وربحوا) أي: في الدرهم درهمَين.

قوله: (بسلامة وربح) راجع للنعمة والفضل.

قوله: (فلم يأتوا) أي: أبو سفيان وأصحابه، وقد أسلمَ هو يومَ الفتح بعد أن أُسِرَ.

قوله: (أي: القائل لكم) أي: وهو نعيمُ بن مَسعود الأشجعي.

قوله: (﴿يُخَوِّفُ﴾كم ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾) أشارَ بذلك إلى أن ﴿يُخَوِّفُ﴾ ينصب مفعولين؛ الكاف المقدرة: مفعول أول، و﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾: مفعول ثان، والمعنى: يُخوفكم شرَّ أوليائه وهم الكفَّار.

قوله: (﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾) نزلت تسليةً للنبيِّ ﷺ والمؤمنين.

قوله: (بضم الياء... إلخ) قراءتان سبعيَّتان، ولُغتان مشهورتان[1]، الأولى: مِن (أحزَن)، والثانية: مِن (حَزِن).

قوله: (يقعون فيه) أشارَ بذلك إلى أن ﴿يُسَارِعُونَ﴾ مضمَّنٌ معنى: يقعون، فعدَّاه بـ(في)؛ إشارةً إلى أنهم تلبَّسوا بالكفر وليسوا بخارجِين عنه.

---

(١) قرأ نافع: (يُحْزِنك) بالضم، والباقون بفتح الياء. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٩٥).

إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ......

بِنُصرتِه، وهُم أهلُ مَكَّة أو المُنافِقون، أي: لا تَهتَمَّ لِكُفرِهم؛ ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بِفِعلِهم، وإنَّما يَضُرُّونَ أنفُسَهم، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾: نَصيباً ﴿فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: الجَنَّةِ، فلِذلك خَذَلَهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النَّار.

﴿١٧٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: أخَذوه بَدلَه ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ بِكُفرِهم ﴿شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم.

﴿١٧٨﴾ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ ـ بِالياءِ والتَّاء ـ ....

حاشية الصاوي

قوله: (بنصرته) أي: الكفرِ بمقاتلة النبيِّ وأصحابه.

قوله: (﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾) علَّةٌ للنفي، وهو على حذف مضاف تقديرُهُ: لن يضرُّوا أولياءَ الله شيئاً، وإنما أسندَ الضررَ لنفسه؛ تشريفاً لهم، كأنَّ محاربةَ المسلمين محاربةٌ له.

إن قلت: إن قتلَهم للمؤمنين مشاهدٌ، وهو ضررٌ، فكيف يُنفى؟

أجيبَ: بأنه ليس بضَرر، بل هو شهادةٌ، فالمؤمنون فائزون على كلِّ حال قُتلوا أو قَتلوا، والكفَّارُ خاسرون على كلِّ حال قَتلوا أو قُتلوا.

قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) أي: جزاءٌ لمسارعتهم في الكفر ونُصرتهم له.

قوله: (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾) هذه الجملةُ مؤكِّدةٌ لما قبلها.

قوله: (أي: أخذُوه بدله) يعني: تركوا الإيمانَ واختاروا الكفر.

قوله: (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) إنما وصفَ العذاب هنا بكونه أليماً؛ لأنَّ مَنِ اشترى سلعةً وخسرَ فيها تألَّمَ منها، ووصفُهُ فيما تقدَّمَ بـ(العظيم)؛ لأنَّ المسارعةَ للشيء تقتضي عظمَهُ.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1]، فعلى التاء الخطابُ للنبي، وقوله: (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾) مفعول أول لـ﴿تَحْسَبَنَّ﴾، وقوله: (﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ﴾): في محلِّ المفعول الثاني، وهو تسليةٌ للنبي ﷺ، والمعنى: لا تظنَّ أنَّ إمهالَ الكافر بطُولِ عمره وأكلِهِ من رزق الله ومقاتلتِهِ في أولياء الله

---

(١) قرأ حمزة بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٣/ ٤٩٦).

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٧٨ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ ....

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي﴾ أي: إملاءَنا ﴿لَهُمۡ﴾ بِتَطوِيلِ الأعمارِ وتأخِيرِهم ﴿خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ﴾، ـ و(أنَّ) ومَعمُولاها سَدَّت مَسَدَّ المَفعُولَين في قِراءة التَّحتانيَّة، ومَسَدَّ الثَّاني في الأُخرَى ـ ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي﴾: نُمهِلُ ﴿لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ﴾ بِكَثرةِ المَعاصِي، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: ذُو إهانةٍ في الآخِرة.

١٧٩ ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾: لِيَترُكَ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ﴾ أيُّها النَّاس ﴿عَلَيۡهِ﴾ مِن اختِلاط المُخلِصِ بِغيرِه، ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد ـ: يَفصِلَ ﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾: المُنافِقَ ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾: المُؤمِن، بِالتَّكالِيفِ الشَّاقَّة المُبيِّنة لِذلك، ففَعَلَ ذلك يومَ أُحُد، ....

حاشية الصاوي

خيرٌ له، وإنما إمهالُهُ ليزدادَ إثماً وجُرْماً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ...﴾ [إبراهيم: ٤٢] الآية، وعلى الياء فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ فاعل ﴿يَحۡسَبَنَّ﴾، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾ خبرٌ سدَّ مسدَّ مفعوليها كما قال المفسِّر، والمعنى: لا يظنَّ الكفارُ أن إملاءنا وإمهالَنا خيرٌ لهم، بل هو شرٌّ لهم؛ لأننا إنما نُملي لهم لِيَزدادوا إثماً.

قوله: (أي: إملاءَنا) أشارَ بذلك إلى أن (ما) مصدريةٌ تسبكُ مع ما بعدها بمصدر، اسم (أنَّ).

قوله: (ومسدَّ الثاني في الأخرى) أي: ومفعولها الأول هو ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾.

قوله: (﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ﴾) تعليلٌ لما قبله.

قوله: (﴿وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾) وصفه بالإهانة؛ لأنَّ من شأنِ مَنْ طالَ عمرُهُ في الكفر أن تنفذ كلمتُهُ ويزدادَ عزًّا، فعُوملَ بضدِّ ما لقيَ في الدنيا.

قوله: (﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾) هذا وعدٌ من الله لِنَبيِّه بأنه سيميزُ له المؤمنَ من المنافق.

قوله: (أيها الناس) أي: المؤمنون والكفار.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[١].

قوله: (وفعلَ ذلك يومَ أحد) أي: حيث امتحنَهم بالقدوم على العدوِّ وبذل الأموال، وكذلك

---

(١) قرأ حمزة والكسائي: (يُمَيِّز) بالتشديد، والباقون بالتخفيف. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٠٩).

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ....

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ فتعرِفُوا المُنافِقَ مِن غيرِه قبلَ التَّمييز، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي﴾: يَختارُ ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيُطلِعُهُ على غَيبِه، كما أطلَعَ النَّبِيَّ ﷺ على حال المُنافِقِين، ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ النِّفاقَ ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿١٨٠﴾ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ - بالتَّاءِ والياء - ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: بِزَكاتِه ﴿هُوَ﴾ أي: بُخلَهُم ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ - مَفعُول ثانٍ، والضَّمِير لِلفَصلِ، والأوَّل (بُخلَهُم) مُقدَّراً قبلَ المَوصُول على الفَوقانِيَّة، وقبلَ الضَّمِير على التَّحتانِيَّة - ....

حاشية الصاوي

في غزوة الأحزاب، وكذلك في مِيعاد أبي سفيان في العام المقبل من أُحُد، ففضحَهم اللهُ وميَّزَهم في مواضعَ عديدة.

قوله: (﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾) أي: ما غابَ عنهم.

قوله: (﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ﴾) استدراكٌ على ما تقدَّمَ في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾، كأنه قال: إلا الرسل فإنَّه يطلعُهم على الغيب.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان[1].

قوله: (أي: بزكاتِهِ) أشارَ بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: بزكاة ما آتاهم الله من فَضلِه.

قوله: (مقدراً قبل الموصول) أي: فتقديرُهُ: ولا تحسبن بخلَ الذين يَبخلون... إلخ خيراً لهم، إذا علمت ذلك فقول المفسِّر: (بخلهم) فيه تسمُّحٌ؛ لأنَّ المقدَّرَ قبلَ الموصول يكون مضافاً له لا للضمير، وإنما المضافُ للضمير هو ما قُدِّرَ قبلَ الضمير.

قوله: (وقبل الضمير) أي: فتقديره: ولا يحسبن الذين يَبخلُون... إلخ بخلَهم خيراً لهم.

---

(١) قرأ حمزة بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥١٠).

بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ....

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ أي: بِزكاتِه مِن المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يُجعَلَ حَيَّةً في عُنُقه تَنهَشُهُ كما ورَد في الحَديثِ، ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يَرِثُهما بعد فَناء أهلِهما، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - بالتَّاءِ والياء - ﴿خَبِيرٌ﴾ فيُجازِيكم بِه.

﴿١٨١﴾ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وهُم اليَهُود، قالُوهُ لَمَّا

حاشية الصاوي

قوله: (كما وردَ في الحديث) أي: وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «**يُمثَّل مالُ مانعِ الزكاة بشُجاع أقرعَ له زَبيبتان، يأخذ بلِهْزِمَتَيْهِ ويقول له: أنا كنزُك، أنا مالُك، ثم تلا: ﴿ولا تحسبن الذين يبخلون...﴾ الآية**»[1]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ...﴾ [التوبة: ٣٥] الآية، وهذا إذا كان المالُ من حلال، فما بالُكَ إذا كان حراماً وبَخِل به؟!

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾) هذا كالدليل لما قبلَهُ؛ كأنه قال: لا معنى لِلبخل بالمال؛ فإنه لله يُعطيه لمن يشاء؛ ليصرفَهُ فيما أمرَ به مدَّةَ حياته، فإذا ماتَ رجعَ المال لصاحبه، قال الشاعر: [الطويل]

وَمَا المَالُ والأَهْلُونَ إِلَّا وَدائِعٌ ... وَلا بُدَّ يَوْماً أَنْ تُرَدَّ الوَدائِعُ[2]

قوله: (﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾) اللامُ: مُوطئةٌ لقسم محذوف؛ أي: والله لقد سمع... إلخ.

وسببُ ذلك: أن رسولَ الله ﷺ لما أمرهم بالدخول في الإسلام وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن يُقرضوا الله قرضاً حسناً.. قال كُبراءُ اليهود كحُيَي بن أخطب وكعب بن الأشرف وفِنْحاص بن عازوراء لأبي بكر الصديق حين أمرَهم بما ذُكرَ على لسان رسوله: إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء، ولو كان غنيًّا ما استقرَضَنا[3]. ومعنى سَمعِه له: علمُهُ وإحصاؤُهُ والمجازاةُ عليه.

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، واللهزمتان: الشدقان، والزبيبتان: إما نابان يخرجان من فمه، أو نقطتان سَوداوان فوق عينيه.

(٢) البيت للبيد العامري رضي الله عنه. انظر «ديوانه» (ص٥٦).

(٣) رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٨٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ ....

نَزَلَ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقالُوا: (لو كان غَنِيًّا ما استقرَضَناهُ)، ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نَأْمُر بِكَتبِ ﴿مَا قَالُواْ﴾ في صَحائِف أعمالِهِم لِيُجازَوا علَيهِ، ـ وفي قِراءة بالياءِ مَبنِيًّا لِلمَفعولِ ـ ﴿وَ﴾ نكتُبُ ﴿قَتْلَهُمُ﴾ ـ بِالنَّصبِ والرَّفع ـ ﴿ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ ـ بِالنُّونِ والياء ـ أي: الله لَهُم في الآخِرةِ على لِسانِ المَلائكةِ: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ النَّار، ويُقال لَهُم إذا أُلقُوا فيها:

﴿١٨٢﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العَذابُ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عُبِّرَ بِها عن الإنسانِ ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾) هذا من تلطُّفِ الله بعباده، وتنزُّله لهم، وإلا.. فالملكُ لله وحدَهُ، وإنما سمَّاه قرضاً؛ لأنَّ جزاءَهُ عليه كمُجازاة المقترض أو أعظم، فمِن إحسانه علينا خلقَ ونسبَ إلينا، وليس معناه: أقرضوا الله لينتفعَ به، بل معناه: أعطُوا الفقراءَ لأجلي ومجازاتُكم عليَّ.

قوله: (وفي قراءة بالياء) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، فعلى هذه القراءةِ: يكون الموصولُ وصِلَته نائبَ الفاعل، وعلى الأولى: يكون مفعولاً، والفاعلُ ضميرٌ يعودُ على الله[1].

قوله: (بالنصب والرفع) لفٌّ ونشرٌ مُرتَّب، وهو معطوف على محلِّ الموصول وصِلته، ومحلُّهُ: إما نصبٌ على قراءة النون، أو الرفعُ على قراءة الياء.

قوله: (﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾) أي: حتى في اعتقادهم.

إن قلتَ: إن ذلك كان في أجدادهم فلِمَ أُوخذوا به؟ أجيبَ: بأنَّ رضاهم به صيَّرَهُ كأنه واقعٌ منهم؛ لأنَّ الرضا بالكفر كفرٌ.

قوله: (أي: الله) هذا تفسيرٌ لقراءة الياء، ويحتملُ أنه راجعٌ لقراءة النون ويكونُ حلَّ معنًى، وإلا.. فمقتضى حلِّها أن يقول: (أي: نحن).

قوله: (عبَّرَ بها عن الإنسان... إلخ) أي: فهو من باب: تسمية الكلِّ باسم جزئِه، ....

(١) قرأ حمزة بالياء مبنيًّا لما لم يُسم فاعله، والباقون بالنون للمتكلم العظيم. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥١٤).

وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ....

لِأنَّ أكثَرَ الأفعال تُزاوَل بِها، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بِذي ظُلْم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾، فيُعَذِّبُهم بِغيرِ ذَنب.

﴿١٨٣﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ نَعت لِـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبلَه ـ ﴿قَالُوٓاْ﴾ لِمُحمَّد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ في التَّوراةِ ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾: نُصَدِّقَهُ ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾، فلا نُؤمِنُ لَكَ حتَّى تَأتِيَنا بِهِ، وهو ما يُتقرَّبُ بِه إلى الله مِن نَعَمٍ وغَيرِها، فإنْ قُبِل جاءَت نارٌ بَيضاء مِن السَّماء فأحرقَتْهُ، وإلَّا بَقِيَ مَكانَه، وعَهِدَ إلى بَني إسرائيل ذلك ....

حاشية الصاوي

وقوله: (لأن أكثر الأفعال تزاول بها) علَّةٌ لارتكاب المجاز.

قوله: (﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾) معطوفٌ على الموصول عطفَ عِلَّة على معلول، التقديرُ: ذلك العذابُ بما قدَّمت أيديكم؛ لأن اللهَ ليس بظلام لِلعبيد.

قوله: (أي: بذي ظلم) دفعَ بذلك ما يقال: إن المنفيَّ كثرةُ الظلم، فيفيدُ أن أصلَ الظلم ثابِت! فأجابَ: بأن هذه الصيغة لِلنسب لا للمبالغة؛ كتمَّار، قال ابن مالك: [الرجز]

وَمَعَ فَاعِلٍ وفَعَّالٍ فَعِلْ ... في نَسَبٍ أَغْنَى عَنِ اليا فَقُبِلْ[1]

قوله: (نعتٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قبله) أي: وهو قولُه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾؛ فقد وصفَهم بأوصاف زادتهم قُبحاً وشناعة.

قوله: (في التوراة) أي: على لسان موسى، قيل: إن تلك المقالة لم تقعْ أصلاً، فهي كذبٌ محضٌ، وقيل: إنها موجودةٌ في التوراة إلا في حقِّ المسيح ومحمد، وأما هما فمُعجزاتُهما غيرُ ذلك، فهم قد كذبوا على التوراة على كلِّ حال.

قوله: (من نَعَم) أي: إبل وبَقر وغنم، وقوله: (وغيرها) أي: كخيلٍ وبِغال وحَمير وأمتعة.

قوله: (بيضاء) أي: لا دخانَ لها ولها دَويٌّ.

---

(١) «الخلاصة»: (باب النسب)، وصيغة فَعَّال وردت ولا يراد بها الكثرة؛ كقول طرفة:

ولستُ بحلَّالِ التِّلاعِ مخافةً ... ولكنْ متى يسترفدِ القومُ أرفدِ

﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾

إِلَّا في المَسِيح ومُحمَّد، قال تَعالى: ﴿قُلْ﴾ لَهُم تَوبِيخاً: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بِالمُعجِزاتِ ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ كزَكريَّا ويَحيَى فقَتَلتُمُوهم، والخِطابُ لِمَن في زَمَن نَبِيِّنا مُحمَّد ﷺ وإن كان الفِعلُ لِأجدادِهم لِرِضاهُم بِه، ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أَنَّكم تُؤمِنُون عندَ الإتيان بِه؟

﴿١٨٤﴾ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المُعجِزاتِ ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ كصُحُف إبراهيمَ ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (إلا في المسيح ومحمد) هذه طَريقة، والطريقةُ الأخرى: أن هذا العهدَ باطلٌ وكذبٌ من أصله.

قوله: (كزكريا ويحيى) أي: فجاؤوا بقربان وأكلته النار.

قوله: (لرضاهم به) أي: والرضا بالكفر كفرٌ.

قوله: (﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾) أي: فلأيِّ شيءٍ قَتلتموهم؟

قوله: (﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾) أي: داموا على تكذيبك، وجوابُ الشرط محذوف، قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (فاصبر كما صبروا)، والمناسب ذكره بِلصقه، وأما ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ﴾.. فدليلُ الجواب، ولا يصحُّ أن يكون جواباً؛ لأنه ماضٍ بالنسبة للشرط، وهذا تسليةٌ له ﷺ.

قوله: (المعجزات) أي: الظاهرة الباهِرة.

قوله: (﴿وَٱلزُّبُرِ﴾) جمع زَبُور، وهو كلُّ كتاب اشتملَ على المواعظ؛ من: الزَّبْرِ، وهو: الموعظةُ والزجر.

قوله: (﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾) عطفُ عامٍّ على خاصٍّ، وإنما خصَّهما؛ لِشَرفهما.

ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

ـ وفي قِراءة بِإثباتِ الباء فِيهما ـ ﴿ٱلْمُنِيرِ﴾: الواضِحِ، هو التَّوراة والإنجِيل، فاصبِرْ كما صَبَرُوا.

﴿١٨٥﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: جَزاءَ أعمالِكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾: بُعِّدَ ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: نالَ غايةَ مَطلُوبِه، ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: العَيشُ فيها ﴿إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الباطِل، يُتمَتَّع بِه قَلِيلاً ثُمَّ يَفنَى.

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيَّة أيضاً[1].

قوله: (﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾) هذا أيضاً من جملة التسليةِ له ﷺ، والمعنى: كلُّ روح ذائقةُ الموت لِجسمها، وإلا.. فالروحُ لا تموت، وعمومُ الآية يشملُ حتى الشهداء والأنبياء والملائكة، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩].. فمعناه: تُرَدُّ بعد خروجها لهم، وكذلك الأنبياءُ والملائكةُ، وأما ما عدَاهم فلا تردُّ لهم إلا عند النفخة الثانية.

قوله: (جزاء أعمالكم) أي: خيرها وشَرها.

قوله: (﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾) أي: وما أُلحقَ به؛ لما وردَ: «القبرُ روضةٌ من رِياض الجنة، أو حفرةٌ من حُفَرِ النار»[2].

قوله: (﴿وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ﴾) أي: مع السابقين، أو بعدَ الخروج من النار.

قوله: (﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾) أي: القريبةُ، وهي التي نحن مُتلبِّسون بها.

قوله: (الباطل) أي: الزائل الذي لا يبقى، ويصحُّ أن يُراد بالغُرور مصدرٌ بمعنى: اسم المفعول؛ أي: المخدوع بالشيء الحسنِ ظاهرُهُ القبيحِ باطنُهُ؛ بمعنى: أنه لا يَدري العواقبَ، قال الإمامُ الشافعي: [الرمل]

إِنَّ للهِ عِبَاداً فُطَنَا طَلَّقُوا الدُّنْيا وَخافُوا الفِتَنَا

(١) إدخال الباء على الزبر والكتاب هي قراءة ابن عامر، والباقون بإسقاطها. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥١٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٦٠) آخر خبر طويل في وصف عذاب القبر.

لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ....

(١٨٦) ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ - حُذِفَ مِنهُ نُون الرَّفع لِتَوالِي النُّوناتِ، والواوُ ضَمِير الجَمع لِالتقاءِ السَّاكِنَينِ -: لَتُختَبَرُنَّ ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بِالفَرائِضِ فِيها والجَوائِح، ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بِالعِباداتِ والبَلاء، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: اليَهُودِ والنَّصارَى ....

حاشية الصاوي

نَظَرُوا فِيها فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّها لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنا
جَعَلُوها لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صالِحَ الأَعْمالِ فيها سُفُنَا

قوله: (﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾) إخبارٌ من الله للمؤمنين بأنه سيقعُ لهم بَلايا من الله بلا واسطة، ومن الكفَّار أذًى كثيرٌ في أموالهم وأعراضهم وأنفسِهم، وأمرٌ منه لهم بالصبر حينَ وقوعِ ذلك؛ لأنَّ الجنةَ حُفَّتْ بالمكاره.

واللامُ: موطئةٌ لقسم محذوف، و(تبلون): فعلٌ مضارع مرفوع، وعلامة رَفعه النون المحذوفة لتوالي النونات، والواو: نائب فاعل، والنون: للتوكيد، وأصله: تُبْلَوْنَ، أُكِّدَ فصار تُبْلَوُوْنَنَّ، ثم أُتي باللام لتدلَّ على القسم المحذوف، تحركت الواوُ الأولى التي هي لام الكلمة وانفتحَ ما قبلها قلبت ألفاً، فالتقى ساكنان، حذفت الألفُ لالتقاء الساكنين، ثم حُذفت نونُ الرفع لتوالي الأمثال، ثم حُرِّكت الواوُ بحركة مجانسة لها.

قوله: (لالتقاء الساكنين) علةٌ لمحذوف تقديره: وحذفت الألفُ المنقلبةُ عن الواو الأُولى لالتقاء الساكنين.

قوله: (لتختبرن) حلُّ معنىً لـ(تُبلونَّ)، والمعنى: يُعاملكم معاملةَ المختبر، وإلا.. فهو أعلَمُ بكم من أنفسكم.

قوله: (بالفرائض فيها) أي: كالزكاة والكفَّارات والنُّذور، وقوله: (والجوائح) أي: الأُمور السماويَّة التي تهلكُ الزرعَ؛ كالجراد والفأر والظَّلَمَة.

قوله: (بالعبادات) أي: التكاليف بها، وقوله: (والبلاء) أي: الذي يُصيبُ الإنسانَ في نفسه؛ كالعمى والجراحات وغيرِ ذلك.

قوله: (﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾) جار ومجرور، حالٌ من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾، وأصل (لَتَسمعُنَّ): تسمعون، أُكِّدَ بالنون ولام القسم، حذفت نونُ الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان، حذفت الواوُ لالتقائهما، ولِوُجود الضمة التي تدلُّ عليها.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ....

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ مِن العَرَب ﴿أَذًى كَثِيرًاۚ﴾ مِن السَّبِّ والطَّعن والتَّشبِيبِ بِنسائِكم، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ على ذلكَ ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: مِن مَعزُوماتِها التي يُعزَم علَيها لِوُجُوبِها.

﴿١٨٧﴾ ﴿وَ﴾ اذكُر ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: العَهدَ علَيهم في التَّوراة ﴿لَيُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ أي: الكِتابَ ﴿لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُۥ﴾ أي: الكِتابَ، ـ بِالياءِ والتَّاء في الفِعلَينِ ـ، ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: طَرَحُوا المِيثاقَ ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلَم يَعملُوا بِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (والتشبيب بنسائكم) أي: ذكر مَحاسِنهن بالقصائد وتَناشدها بينهم، وكان يفعلُ ذلك كعبُ بن الأشرَف لَعنه الله[١].

قوله: (على ذلك) أي: المذكور من الابتلاءِ في الأموال والأنفُسِ وسماعِ الأذى من أهلِ الكتاب.

قوله: (لوجوبها) أي: فالصبرُ على ما ذُكرَ والتقوى لله مِن الأمور الواجبة؛ فإنَّ من علامة الإيمانِ الصبرَ والتقوى، وقبيحٌ على الإنسان يدعي محبةَ الله ثم لم يَصبرْ على أحكامه، قال العارف: [الخفيف]

تَـدَّعِـي مَـذْهَـبَ الـهَـوَى ثُـمَّ تَـشْـكُـو أَيْـنَ دَعْـوَاكَ فِـي الـهَـوَى يَـا مُـعَـنَّـى؟
لَـوْ وَجَـدْنَـاكَ صَـابِـراً لِـبَـلَانَـا لَـعَـطَـيْـنَـاكَ كُـلَّـمَـا تَـتَـمَـنَّـى[٢]

قوله: (بالياء والتاء في الفعلين) أي: وهما (ليبيننَّهُ) و(لا يَكتمونه)، وهما قراءتان سبعيَّتان، فعلى الياء إخبارٌ عنهم، وعلى التاء حكايةٌ للحال الماضية[٣].

قوله: (﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾) كنايةٌ عن عدم التمسك به؛ لأنَّ مَنْ لم يَتمسَّكْ بشيء ولم يَعتنه طرَحَهُ خلفَ ظهرِه.

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ٥٥٠).

(٢) المشهور: (لمنحناك) بدل (لعطيناك)، ولا سيما أنَّ (عطا) الثلاثي لا يتعدَّى إلا لواحد.

(٣) فقرأ شعبة وابن كثير وأبو عمرو بالغيب إسناداً لأهل الكتاب، والباقون بالخطاب. «الفتوحات الإلهية» (١/ ٣٤٥).

وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ....

﴿وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ﴾: أخذُوا بدلَه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِن الدُّنيا مِن سَفِلَتهم بِرِياسَتِهم في العِلم، فكتَمُوه خوفَ فَوتِه علَيهِم، ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شِراؤُهم هذا.

﴿١٨٨﴾ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ ـ بالتَّاءِ والياء ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾: فعَلُوا مِن إضلالِ النَّاس ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ مِن التَّمَسُّك بالحقِّ وهُم على ضَلالٍ، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ ـ بِالوَجهَين، تَأكِيدٌ ـ ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بِمَكانٍ يَنجُونَ فِيه ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخِرة، بَل هُم في مَكانٍ يُعَذَّبُون فِيه وهو جهنَّمُ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلِم فِيها، ـ ومفعولَا (يحسَب) الأُولى دلَّ عليهما مَفعولَا الثَّانيةِ على قِراءة التَّحتانيَّة، وعلى الفوقانيَّة حُذِفَ الثَّاني فقط ـ.

﴿١٨٩﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خَزائِنِ المَطَر والرِّزقِ والنَّبات وغَيرِها، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ....

حاشية الصاوي

قوله: (شراؤهم) أشارَ به إلى أن (ما) مُؤوَّلة بمصدر فاعل (بئسَ)، وقوله: (هذا) هو المخصوص بالذم، وهذه الآية وإنْ وَردت في الكفَّار تجرُّ بذيلها على عُصاة المؤمنين الذين يكتمون الحقَّ وينصرون الباطل.

قوله: (بالياء والتاء) فعلى التاء: الخطابُ للنبي أو لمن يَصلحُ له الخطاب، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول أول، والمفعول الثاني محذوفٌ دلَّ عليه قوله: ﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾، تقديرُهُ: ناجِين من عذاب الله، وعلى الياء: فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فاعل، ومفعولاها محذوفان تقديرُهما: أنفسَهم ناجين من عذاب الله، وسيَأتي يشير لذلك المفسِّر.

قوله: (بالوجهين) أي: الياءِ والتاء، لكن على قراءة التاء الباء مفتوحة، وهذه الآيةُ تجرُّ بذيلها على من يكون خبيثَ الباطن ويحبُّ زينة الظاهر؛ كمَن يُظهرُ العلمَ والصلاح والتقوى مع كونِه في الباطن ضالًّا مضلًّا.

قوله: (﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) أي: التصرُّفُ فيما في السماوات والأرض؛ لأنَّ ذات السماوات والأرض لا نزاعَ في أنهما مَملوكان لله.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ ......

ومنهُ تَعذِيبُ الكافِرين وإنجاءُ المُؤمِنين.

﴿١٩٠﴾ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فِيهما مِن العَجائِب، ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالمَجِيءِ والذَّهاب والزِّيادةِ والنُّقصان، ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دَلالاتٍ على قُدرَتِه تعالى، ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لِذَوِي العُقُول.

حاشية الصاوي

قوله: (ومنه) أي: من الشيء المقدُور عليه.

قوله: (﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾) سببُ نزولها: أن كفارَ مكة قالوا للنبيِّ ﷺ: ائتِنا بآية تدلُّ على أنَّ الله واحدٌ، فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ الآياتِ، و﴿إِنَّ﴾: حرفُ توكيد ونصب، و﴿فِي خَلْقِ﴾: جار ومجرور خبرها مقدَّم، و﴿خَلْقِ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه، وقوله: ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: اسمُها مؤخَّر.

قوله: (وما فيهما من العجائب) أشارَ بذلك إلى أن (خَلْق) باقٍ على مصدريَّته بمعنى: الإيجاد، ويحتملُ أن يكون بمعنى اسم المفعول؛ أي: مَخلوقات السماوات والأرض، وقوله: (من العجائب) كالنجوم والشمس والقمَر والسحاب بالنسبة للسماوات، والبِحار والجبال والنباتات والحيوانات بالنسبة للأرض، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٦-٧]، وبالجملة: [المتقارب]

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الواحِدُ[1]

قوله: (بالمجيء والذهاب) أي: بمجيء الليل عَقِبَ النهار، والنهار عقبَ الليل، فليس أحدٌ يقدرُ على إتيان الليل في النهار ولا العَكس.

قوله: (والزيادة والنقصان) أي: زيادةُ أحدِهما بقَدْرِ ما نقصَ من الآخر.

قوله: (دلالات) أي: براهين قَطعية دالَّة على كونه متَّصفاً بالكمالات منزَّهاً عن النقائص.

قوله: (ذوي العقول) أي: أصحاب العقول الكاملة.

---

(١) البيت لأبي العتاهية، انظر «ديوانه» (ص٤٥).

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ ....

﴿١٩١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ـ نَعتٌ لِما قبلَه أو بَدلٌ ـ ﴿يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾: مُضطَجِعينَ أي: في كلِّ حالٍ، وعن ابنِ عبَّاس: يُصلُّونَ كذلك حسَبَ الطَّاقةِ، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لِيَستَدِلُّوا بِه على قُدرةِ صانِعِهما، يَقُولُون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا﴾ الخَلقَ الذي نَراهُ ﴿بَٰطِلٗا﴾ ـ حالٌ ـ: عَبثاً، بل دَلِيلاً على كمالِ قُدرَتِك، ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾: تَنزِيهاً لكَ عن العبَث، ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (نعت لما قبله) أي: وهو (أولي)، فهو في محلِّ جر.

قوله: (مضطجعِين) أشارَ بذلك إلى أن قوله: ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ متعلِّقٌ بمحذوف حال، فهو حالٌ مُؤولةٌ بعد حال صريحة.

قوله: (أي: في كلِّ حال) تفسيرٌ لقوله: ﴿قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾.

قوله: (يصلون كذلك) أي: قياماً إن قَدروا، فإن لم يقدروا فقُعوداً، فإن لم يَقدروا فعلى جنوبهم.

قوله: (ليستدلوا به على قدرة صانعهما) أي: واتِّصافه بالكمالات، فالفكرُ مورِثٌ للعلم والمعرفة، قال العارف أبو الحسن الشاذلي: (ذرةٌ من عملِ القلوب خيرٌ من مَثاقيلِ الجبال من عملِ الأبدان).

قوله: (يقولون) قَدَّره؛ إشارةً إلى أنه حال من الواو في (يتفكرون)، والمعنى: يتفكَّرون قائلِين: ربَّنا... إلخ، وهو إشارةٌ لثمرة الفكر، فثمرةُ الفكر الاستدلالُ والمعرفةُ بالله.

قوله: (حال) أي: من قوله: ﴿هَٰذَا﴾، وهذه الحالُ لا يُستغنى عنها، فهي واجبةُ الذكر كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

قوله: (﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾) مصدرٌ منصوب بفعل محذوف وجوباً تقديرُهُ: أسبحُ سبحانك، وهذه الجملةُ معترضةٌ بين قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾ وبين قوله: ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

قوله: (﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾) هذا متسبِّبٌ عن قوله: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا﴾ أي: فحيث وحَّدناك ونزَّهناك عن النقائص فقِنا عذاب النار؛ لأنَّ النارَ جزاءُ من عصى ولم يُوحِّدْ.

رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ ....

﴿١٩٢﴾ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ لِلخُلُودِ فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: أَهَنْتَه، ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ﴾: الكافِرين، ـ فِيه وَضعُ الظَّاهِرِ مَوضِعَ المُضمَر ـ إشعاراً بِتَخصِيصِ الخِزيِ بِهِم، ﴿مِنْ﴾ ـ زائدةٌ ـ ﴿أَنصَارٍ﴾ يَمنَعُونَهم مِن عذابِ الله تعالى.

﴿١٩٣﴾ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾ يَدعُو النَّاسَ ﴿لِلْإِيمَـٰنِ﴾ أي: إلَيهِ، وهو مُحمَّد أو القُرآنُ، ﴿أَنْ﴾ أي: بِأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ بِه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ ... إلخ) هذا علةٌ لما قبله، والمعنى: إنما طلبنا الوقاية من عذاب النار؛ لأنَّ مَنْ أدخَلته النار فقد أخزيته.

قوله: (للخلود فيها) جوابٌ عن سؤال مُقدَّر تقديره: إن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ يقتضي أن جميعَ المؤمنين غيرُ مخزيِّين مع أن بعضَ العصاة منهم يدخلُ النار تطهيراً لما اقترفه، وهذه الآيةُ تدلُّ على أن مَنْ دخلَ النار مخزيٌّ وإن مؤمناً، فأجابَ المفسِّرُ: بحمل الآيةِ على الكفَّار.

قوله: (زائدة) أي: للتوكيد في المبتدأ المؤخَّر، وقوله: (﴿لِلظَّـٰلِمِينَ﴾) خبرٌ مقدَّم.

قوله: (﴿مُنَادِيًا﴾) أي: داعياً، وهو على حذف مضاف؛ أي: نداء منادٍ.

قوله: (﴿يُنَادِى﴾) صفة لـ﴿مُنَادِيًا﴾ على الصحيح، خلافاً لمن جعلَهُ مفعولاً ثانياً لـ(سمع)[1]؛ لأنها لا تنصبُ إلا مفعولاً واحداً على الصحيح.

قوله: (وهو محمد) أي: فإسنادُ النداء إليه حقيقيٌّ، وقوله: (أو القرآن) أي: فإسنادُ النداء إليه مجازٌ، والمعنى: منادًى به.

قوله: (﴿أَنْ ءَامِنُوا۟﴾) (أنْ): تفسيريَّة.

قوله: (﴿بِرَبِّكُمْ﴾) أي: صدِّقوا بأنه يجبُ له كلُّ كمال، ويستحيلُ عليه كلُّ نقص.

(١) وهو الفارسي وجماعة، والجملةُ الواقعة بعد المنصوب على رأي الجمهور صفة إن كان قبلها نكرة، وحالٌ إن كان قبلها معرفة، وانظر «الدر المصون» (٣/ ٥٣٤).

رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ....

﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾: غَطِّ ﴿عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فلا تُظهِرْها بالعِقابِ علَيها، ﴿وَتَوَفَّنَا﴾: اقبِضْ أرواحَنا ﴿مَعَ﴾: في جُملةِ ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾: الأنبياءِ والصَّالِحين.

﴿١٩٤﴾ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾: أعطِنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ ألسِنَةِ ﴿رُسُلِكَ﴾ مِن الرَّحمةِ والفَضلِ، وسُؤالُهم ذلك وإن كان وَعدُه تَعالى لا يُخلَفُ سُؤالُ أن يَجعَلَهم مِن مُستَحِقِّيه؛ لِأنَّهم لَم يَتيقَّنُوا استِحقاقَهم لَه، ....

حاشية الصاوي

قوله: (﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾) أي: استُرْها عن أعين الخلق، وقوله: (﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾) أي: غطِّها عنَّا فلا تؤاخذنا بها، وامحُها من الصحف، وهو تَرَقٍّ عظيم في طلب المغفرة، فهو من عطف الخاصِّ على العامِّ.

قوله: (بالعقاب عليها) أي: ولا بالعتاب عليها.

قوله: (﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾) أي: احشُرْنا معهم، واجعَلْنا في زُمرتهم، والمرادُ بالأبرار: المطهَّرون الذين لم يفعلوا ذنوباً.

قوله: (﴿وَءَاتِنَا﴾) معطوف على محذوف، تقديرُهُ: حقِّقْ لنا ما ذُكرَ وآتنا.

قوله: (من الرحمة والفضل) بيان لـ﴿مَا﴾.

قوله: (وسؤالهم ذلك... إلخ) أشارَ بذلك إلى سؤال وارِد، حاصلُهُ أن يقالَ: إن وعدَ الله لا يتخلَّفُ، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، فلا فائدةَ في ذلك السؤال! أجاب المفسِّرُ: بقوله: (سؤال أن يجعلهم... إلخ)، وحاصلُ ذلك الجواب: أن العاقبةَ مجهولةٌ، ووعدُ الله لا يُخلفُ لمن حُمدت عاقبتُهُ، ومِن أين لنا حسنُ العاقبة؟! ففائدةُ السؤال: أن اللهَ يحسن عاقبتَهم، فإذا حسُنت تحقَّقَ وعدُهُ تعالى.

إن قلت: لا يخلو الأمرُ إما أن تكون العاقبة في نفسِ الأمر محمودةً، فوعدُ الله له مُحقَّق ولا بدَّ، وإما أن تكونَ غيرَ محمودة فليس له عند الله وعدٌ أصلاً، فلا فائدةَ في الدعاء!

وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى . . . .

وتَكريرُ ﴿رَبَّنَا﴾ مُبالغةٌ في التَّضرُّع - ﴿ولا تُخزِنا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إنك لا تُخلف الميعاد﴾: الوعد بالبعث والجزاء.

﴿١٩٥﴾ ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دُعاءَهُم ﴿أنِّي﴾ أي: بأنِّي . . . .

حاشية الصاوي

أُجيبَ: بأن توفيقَهُ للدعاء دليلٌ على أن اللهَ لا يخلفُ وعدَهُ الذي وعَدَهُ إيَّاه، قال بعضهم: (ما وفقكَ للدعاءِ إلا لِيُعطيك)، فحيثُ وُفِّقَ العبدُ للدعاء كان دليلاً على قَبوله وإثابته وحُسن عاقبته[١]؛ ولذلك لم يُوفَّقْ إبليسُ للتوبة ولا للدعاء.

قوله: (وتكرير ﴿رَبَّنَا﴾ . . . إلخ) جوابٌ عن سؤال مقدَّرٍ، حاصلُهُ: أنه لِمَ كرَّرَ لفظَ (ربنا) خمسَ مرات؟ فأجابَ: بأنه مُبالغةٌ في التضرُّع؛ أي: الخضوع والتذلُّل، ولما وردَ: أنه الاسمُ الأعظمُ، وعن جعفرٍ الصادق: مَنْ حزبَهُ أمرٌ فقال خمسَ مرَّات: (ربنا).. أنجاهُ اللهُ ممَّا يخافُ، وأعطاه ما أراد، قيل: وكيف ذلك؟ قال: اقرَؤوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ. . .﴾ الآيات[٢]. وهي من أورادِ الصالحين، تُقرأُ إلى آخر السورة عند الاستيقاظ من النوم ليلاً، فمَن لازمَ عليها.. تحقَّقَ بما فيها، وحصلَ له ثوابُ مَنْ قامَ الليل.

قوله: (﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾) ظرفٌ لِقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنَا﴾ أي: لا تَفضَحنا في ذلك اليوم.

قوله: (﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾) عِلةٌ لقوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا. . . إلخ﴾.

قوله: (﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ﴾) أي: لأولي الألباب الموصوفين بما تقدَّم، واستجابَ بمعنى: أجابَ، فالسينُ والتاء: زائدتان للتأكيد، وهو يَتعدَّى بنفسه واللام.

قوله: (﴿رَبُّهُمْ﴾) إنما عبَّرَ به دُون غيره من الأسماء؛ لمناسبة دُعائهم به.

قوله: (أي: بأني) أشارَ بذلك إلى أن (أنَّ) بفتح الهمزة باتِّفاق السبعة، وفيه حذفُ الجار، وهو مطَّردٌ إذا أُمنَ اللبس، قال ابن مالك: [الرجز]

---

(١) وجاء ضمن حديث رواه الضياء في «المختارة» (١٨١٤) مرفوعاً: «من أُلهم الدعاء لم يُحرم الإجابة»، قال أبو الفتح البستي:

لَوْ لَمْ تُرِدْ نَيلَ ما أرجو وأطلُبُهُ   مِنْ فيضِ جُودِكَ ما علَّمتَني الطَّلبا

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٥/ ١٨٩٠).

لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي ....

﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم﴾ كائِنٌ ﴿مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ أي: الذُّكُور مِن الإناث وبِالعَكسِ، ـ والجُملةُ مُؤكِّدة لِما قبلَها ـ أي: هُم سَواءٌ في المُجازاةِ بِالأعمالِ وتَركِ تَضيِيعها، نَزلَتْ لَمَّا قالَت أُمُّ سَلَمة: يا رَسُولَ الله! إنِّي لا أسمَعُ ذِكر النِّساء في الهِجرَة بِشَيءٍ، ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ مِن مَكَّةَ إلى المَدِينة ﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي﴾:

حاشية الصاوي

وَحَــذْفُــهُ مَــعْ (أَنْ) وَ(أَنَّ) يُــطَّــرَدُ ... مَعْ أَمْنِ لَبْسٍ كَعَجِبْتُ أَنْ يَدُوا[1]

وهذه الباءُ للسببية، وقُرِئ شذوذاً بإثباتها، وقرئ شذوذاً أيضاً بكسر الهمزة على تقدير القول[2].

قوله: (﴿لَآ أُضِيعُ﴾) هكذا بسكون الياء من: أضاع، وقرئ بتشديد الياء من: ضَيَّعَ[3].

قوله: (﴿مِّنكُم﴾) جار ومجرور صفة لـ﴿عَٰمِلٖ﴾، وقوله: (﴿مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾) ﴿مِّن﴾: بَيانية، وقيل: زائدة، و﴿ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾: بدلٌ من ﴿عَٰمِلٖ﴾، وقيل: إن الجار والمجرور بدلٌ من الجار والمجرور قبله بدلَ كلٍّ من كل.

قوله: (﴿بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾) هذه الجملةُ قُصدَ بها التعليلُ والتعميم، والمعنى: لا أضيعُ عملَ عامل منكم جميعاً ذكراً أو أنثى؛ لأنَّ ربَّكم واحد، وأصلَكم واحد، ودينَكم واحد، وبعضُكم مُتناسلٌ من بعض.

قوله: (مؤكدة لما قبلها) أي: قُصدَ بها التعميم.

قوله: (نزلت) أي: هذه الآية من هنا إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾.

قوله: (من مكة إلى المدينة) أي: أو إلى الحبشة كما كان في صدر الإسلام، فكان مَنْ أسلمَ ولم يأمَنْ على نفسه يأمرُهُ النبيُّ ﷺ بالهجرة إلى الحبَشة إلى أن جاءَهُ الإذنُ بالهجرة إلى المدينة.

قوله: (﴿وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾) يشيرُ بذلك إلى أن الإخراجَ قهريٌّ؛ لأنه وإن كان في الظاهر طائعاً إلا أنه في الباطن مُكْرهٌ.

---

(١) تقدَّم، وفيه أن البيت في «الخلاصة»: (نَقْلاً وفي أنَّ وأنْ...).

(٢) إثبات الباء قراءة أُبيٍّ ﷺ، وكسر الهمزة قراءة عيسى بن عمر. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٣٨).

(٣) المصدر السابق، من غير نِسبة.

وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ....

دِينِي، ﴿وَقَٰتَلُواْ﴾ الكُفَّارَ ﴿وَقُتِلُواْ﴾ ـ بِالتَّخفِيفِ والتَّشدِيد، وفي قِراءة بِتَقدِيمِه ـ ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: أستُرُها بِالمَغفرةِ، ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا﴾ ـ مَصدَر مِن معنَى ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾ مُؤَكِّدٌ لَه ـ ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فِيه التِفاتٌ عن التَّكلُّم، ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾: الجَزاءِ.

حاشية الصاوي

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيَّتان، وقوله: (وفي قراءة بتقديمه) أي: المبني للمفعول لكن بالتخفيف[1]، فالقِراءاتُ ثلاث، وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى (مع) أي: قتلوا مع كونهم قاتلوا، فلم يَفرُّوا، بل قُتلوا في حال مقاتلتهم الأعداء.

قوله: (﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾) اللامُ: موطئة لقسم محذوف؛ أي: وحقِّي وجلالي لأكفرنَّ، والقسم وجوابه في محلِّ رفع خبر قولِهِ: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ.. إلخ﴾، وهذا الوعدُ الحسَن لمن اتصفَ بجميع تلك الصفات أو ببعضِها.

قوله: (أسترها بالمغفرة) أي: عن الخلق، وأبدلها حسنات.

قوله: (﴿ثَوَابًا﴾) هو في الأصل: مقدارٌ من الجزاء أعدَّهُ اللهُ لعباده المؤمنين في الآخِرة في نظيِر أعمالهم الحسنة، لكن المراد به هنا: الإثابةُ، فهو مصدَّرٌ مؤكِّد كما قال المفسِّر، ويصحُّ أن يكونَ حالاً من ﴿جَنَّٰتٍ﴾ أي: لأدخلنهم جنات حالَ كونها ثواباً؛ بمعنى: مثاباً بها؛ أي: في نَظير أعمالهم الحسنة.

قوله: (من معنى ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾) أي: وما بعده وهو (لأدخلنهم)، فهما في معنى لَأُثيبَنَّهُمْ.

قوله: (﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) جار ومجرور متعلِّقٌ بمحذوف صفة لـ﴿ثَوَابًا﴾.

قوله: (فيه التفات عن التكلم) أي: وكان مقتضى الظاهر أن يقول: ثواباً من عِندي، وإنما أظهرَ في محلِّ الإضمار؛ تشريفاً لهم.

قوله: (﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾) لفظُ الجلالة: مبتدأ، وقوله: ﴿حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ مبتدأ ثانٍ،

---

(١) قراءة التشديد لابن عامر وابن كثير. انظر «الدر المصون» (٣/ ٥٤٢).

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ ....

﴿١٩٦﴾ ونَزَلَ لَمَّا قال المُسلِمُون: (أعداءُ الله فِيما نَرَى مِن الخَير، ونحنُ في الجَهدِ): ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: تَصرُّفُهم ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ بِالتِّجارة والكَسب.

﴿١٩٧﴾ هو ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يَتمتَّعُون بِه يَسِيراً في الدُّنيا ويَفنَى، ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفِراشُ هي.

﴿١٩٨﴾ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ ....

حاشية الصاوي

وقوله: ﴿عِندَهُۥ﴾ خبر الثاني، والثاني وخبرُهُ: خبرُ الأول، ويحتمل أن يكون ﴿حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ فاعلاً بالظرف قبلَهُ[١]، والجملةُ: خبرُ المبتدأ، وإضافةُ (حسن) لـ(الثواب) من إضافة الصفة لِلموصوف؛ أي: الثواب الحسَن؛ كالجنة وما فيها، وأتى بهذه الآية تعليلاً لما قبلها.

قوله: (﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾) الخطابُ للنبيِّ ﷺ والمقصودُ غيرُهُ؛ لأنَّ هذه المقالةَ واقعةٌ من ضُعَفاء المسلمين، و﴿لَا﴾: ناهية، و﴿يَغُرَّنَّكَ﴾: فعل مضارع مبنيٌّ على الفتح لاتِّصاله بنون التوكيد الثقيلة، والكاف: مفعول، والمعنى: لا تَغترَّ بتقلُّبهم... إلخ.

قوله: (﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾) خبرٌ لمحذوف قدَّرَهُ المفسِّرُ بقوله: (هو).

قوله: (يتمتعون) أي: ينتفعون ويَتنعَّمون به.

قوله: (هي) أشارَ به إلى أنه المخصوصُ بالذم.

قوله: (﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾) إنما أتى بالاستدراك؛ دفعاً لما يُتوهَّمُ من أن الدنيا مذمومةٌ ومَتاعٌ قليل مطلقاً للمؤمن والكافر، فأفادَ أن المؤمنَ وإن أخذَ في التجارة والتكسُّبِ لا يَضرُّهُ ذلك، بل له في الآخرة الدرجاتُ العُلَى، فذمُّ الدنيا ومَعِيشتها للكافر خاصَّة، قال العارفُ: [البسيط]

ما أَحْسَنَ الدِّيْنَ والدُّنْيا إذا اجْتَمَعَا! لا بـارَكَ اللهُ فِـي دُنْـيـا بِـلا دِيْـنِ[٢]

---

(١) والتقدير: والله استقرَّ عنده حسنُ الثواب، وهذا الإعراب استَحسنه العلامة السمين في «الدر المصون» (٣/ ٥٤٤).

(٢) نُسب البيت لسيدنا علي ﷺ كما في «ديوانه»، ولأبي العتاهية أو لأبي دلامة:

مـا أحـسـنَ الـديـنَ والـدنـيـا إذا اجـتـمَـعـا وأقـبَـحَ الـكُـفـرَ والإفـلاسَ بـالـرجـلِ!

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ....

تجري من تحتها الأنهار خالدين﴾ أي: مُقَدِّرِين الخُلُودَ ﴿فيها نزلا﴾ هو ما يُعَدُّ لِلضَّيفِ، ـ ونَصبُه على الحال مِن ﴿جَنَّٰتٌ﴾، والعامِلُ فيها معنَى الظَّرف ـ ﴿مِّن عند الله وما عند الله﴾ مِن الثَّواب ﴿خير للأبرار﴾ مِن مَتاعِ الدُّنيا.

﴿١٩٩﴾ ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله﴾ كعَبدِ الله بن سَلامٍ وأصحابِه والنَّجاشِيِّ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿تجري من تحتها الأنهار خالدين﴾) صفةٌ لـ﴿جَنَّٰتٌ﴾.

قوله: (أي: مقدرين الخلود) أشارَ بذلك إلى أن قولَه: ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حالٌ مقدَّرة؛ لأنَّ وقتَ دخولهم الجنةَ ليسوا بخالدِين فيها.

قوله: (ونصبه على الحال) أي: لهم جنانٌ حالَ كونها مُهيئةً ومعدَّةً للمؤمنين؛ كما يقري الإنسانُ ضيفَهُ بأفخرِ ما عندَه.

قوله: (﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾) هذه الجملةُ صفةُ ﴿نُزُلًا﴾، وإنما سُمِّي نزلاً؛ لأنه ارتَفعَ عنهم تكاليفُ السعي والكسب، فهو شيءٌ سهل مُهيَّأٌ لهم من غير تعَب، ولِذلك حين دخولها يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤].

قوله: (﴿لِّلْأَبْرَارِ﴾) أي: المتَّقِين.

قوله: (﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾) سببُ نزولها: أنه يومَ موتِ النجاشي مَلكِ الحبشة ـ واسمُهُ: أصحمةُ، ومعناه: عطيَّة الله، أسلمَ من غير أن يرى النبيَّ ﷺ، ودخلت رَعيتُهُ في الإسلام تبعاً له ـ جاء جبريلُ وأخبرَهُ بأنهم متوجِّهون بِجنازته ليصلوا عليه، فخرجَ النبيُّ وأصحابه إلى الصحراء، فكشف للنبيِّ عنه، فصلَّى عليه هو وأصحابه، فلمَّا فرغُوا قال المنافقون: انظروا إلى هذا الرجل، يُصلِّي على عِلْجٍ حبشي نَصراني لم يَرَهُ قطُّ وليس على دِينه! فنزلت الآية[١].

قوله: (كعبد الله بن سلام) أي: وأربعين من نصارى نَجران، واثنين وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم، وراعَى في الصلة لفظَ (مَن)، وفي قوله: ﴿خَٰشِعِينَ﴾ وما بعده معناها.

---

(١) رواه البغوي في «تفسيره» (١/ ٥٥٩) عن ابن عباس وجابر وأنس وقتادة.

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ ....

﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي: القُرآنِ، ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: التَّوراةِ والإنجيل، ﴿خَٰشِعِينَ﴾ ـ حالٌ مِن ضَمير ﴿يُؤْمِنُ﴾ مُراعًى فِيه معنَى (مَن) ـ أي: مُتواضِعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي عِندَهم في التَّوراة والإنجيل مِن نَعتِ النَّبيِّ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًاۗ﴾ مِن الدُّنيا، بِأن يَكتُمُوها خَوفاً على الرِّياسَة كفِعلِ غَيرِهم مِن اليَهُود، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثَوابُ أعمالِهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْۗ﴾ يُؤتَونَهُ مَرَّتَينِ كما في (القَصَص)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يُحاسِب الخَلقَ في قَدر نِصف نَهارٍ مِن أيَّامِ الدُّنيا.

﴿٢٠٠﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ على الطَّاعات والمَصائِب وعن المَعاصِي، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ الكُفَّارَ فلا يَكُونُوا أشَدَّ صَبراً مِنكم، ....

حاشية الصاوي

قوله: (بأن يكتموها) تصويرٌ للشراء المنفيِّ.

قوله: (يؤتَوْنه مرتين) أي: لإيمانهم بكتابهم والقرآن.

قوله: (كما في «القصص») أي: في سورةِ (القصص)، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤].

قوله: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾) أي: المجازاةِ على الخيرِ والشرِّ.

قوله: (﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾) لمَّا بُيِّنَ في هذه السورة فضلُ الجهاد والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرُ ذلك من الأحكام العَظيمة.. خُتمت بما يفيدُ المحافظةَ على ذلك.

قوله: (على الطاعات... إلخ) أشارَ بذلك إلى مَراتب الصبر الثلاثة، وأعظمُها: الصبرُ عن المعصية.

قوله: (فلا يكونوا أشدَّ صبراً منكم) أي: فلا تفرُّوا من الأعداء، واصبِروا على الجهاد، وخصَّهُ وإن دخلَ في عموم الصبر؛ لأنه أعظَمُ أنواعه، وجامعٌ لها؛ فإنه صبرٌ على الطاعة وهو الجهاد، وعن المعصيَة وهو الفِرار من العدوِّ، وعلى المصيبة وهي القتلُ والجرح.

﴿وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾

﴿وَرَابِطُواْ﴾: أقيمُوا على الجِهاد، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في جَمِيعِ أحوالِكم، ﴿لعلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَفُوزُونَ بِالجَنَّة وتَنجُون مِن النار.

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَرَابِطُواْ﴾) أصلُ المرابطة: أن يربطَ كلٌّ من الخصمَين خيولَهم بحيث يكونون مستعدِّين للقتال، ثم تُوسِّعَ فيه وجُعلَ كلُّ مُقيم في الثغر لحراسة العدو مرابطاً وإن لم يكن عدوٌّ ولا مركوبٌ مربوط.

قوله: (في جميع أحوالكم) أي: حالاتِكم؛ من رخاءٍ وشدَّةٍ، وعُسرٍ ويسرٍ، وصحَّةٍ ومرضٍ.

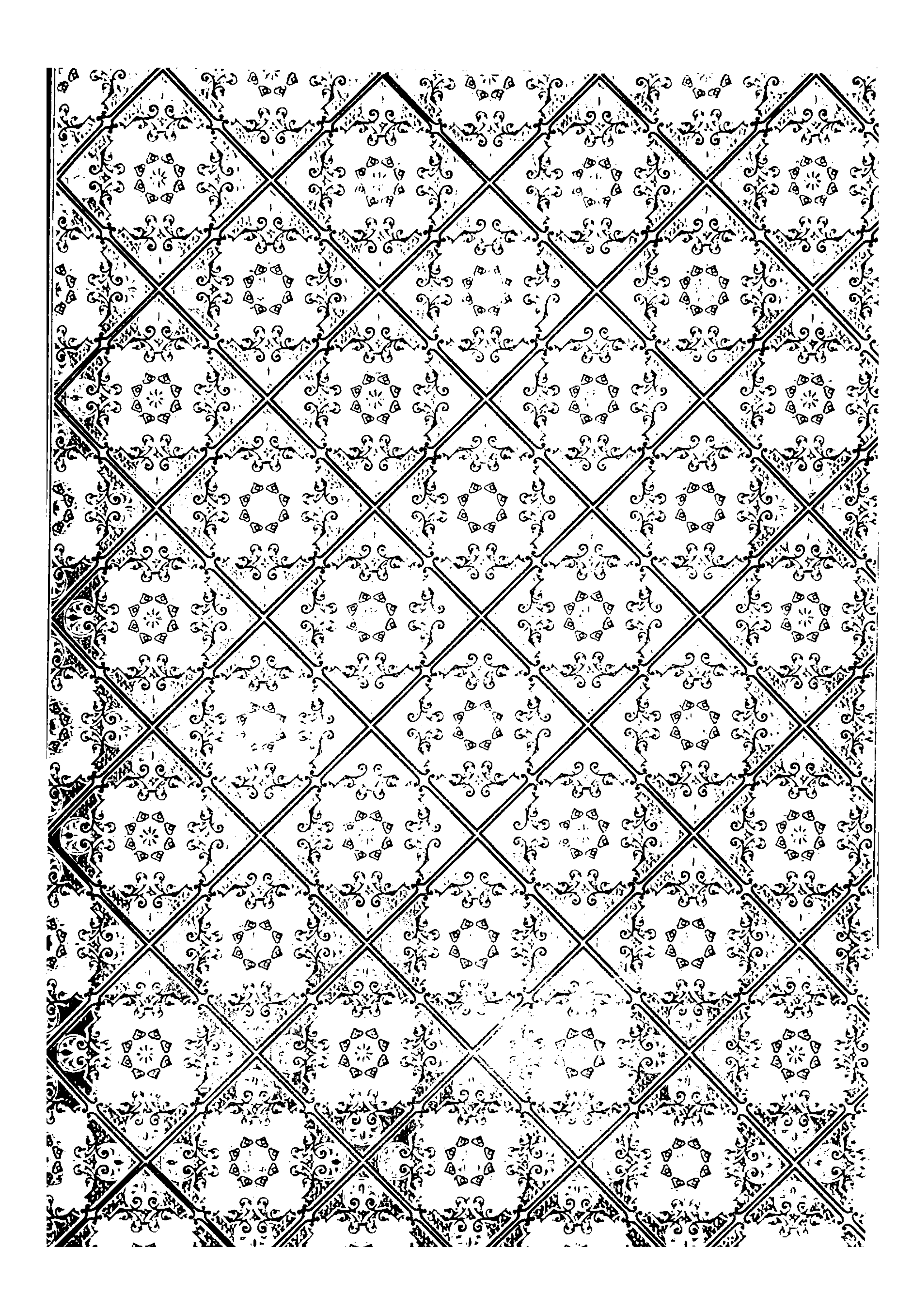
قوله: (﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾) الترجِّي في القرآن بمنزلة التَّحقيق، والفلاحُ هو: الفوز والظفر.

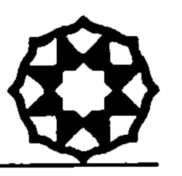
وردَ: أنَّ مَنْ قرأَ سورةَ (آل عمران). . أعطاهُ اللهُ بكلِّ آية منها أماناً على جسر جهنم[١].

✿ ✿ ✿

(١) رواه الواحدي في «الوسيط» (١/ ٤١١) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، ولكن نبَّهَ الإمام السيوطي في «نواهد الأبكار» (٣/ ١١٢) أنه موضوع، ونَقَل كلام الأئمة في ذلك.

روى مسلم (٨٠٤) عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً: «اقرؤوا الزهراوَين البقرة وآل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غَيايتان، أو كأنهما فِرْقانِ من طير صوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصحابهما. . .» الحديث.





فهرس الموضوعات

✿ ✿ ✿